

القوانين الخيرية

من هديب

سيرة أمير النبلاء

قدم له

الدكتور محمد موسى الشريف

جمع وترتيب

الشريف فهد بن أحمد بن عبد الله المهدي

ساهم في الطبع

الشيخ محمد عائض غرامة الأسمرى

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين



الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

جميع الحقوق محفوظة

القوانين العرفية
مؤلفه

سيد احمد النبلا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصَّالِحُ وَالصَّالِحُونَ

(١) سِيَمَاءُ الصَّالِحِينَ وَسَمْتُهُمْ

(أ) صُورٌ عَلَى حُسْنِ السَّمْتِ :

رَوَى يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ : عَنْ أَبِيهِ ، كَانَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ إِذَا رُئِيَ ، ذُكِرَ اللَّهُ^(١) .

رُورِي عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : كَانَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ إِذَا دَخَلَ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِذْنٌ لِأَحَدٍ حَتَّى يَفْرَغَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ صَاحِبِهِ فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ : يَا أَبَا يَزِيدَ ، لَوْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَحَبِّكَ ، وَمَا رَأَيْتَكَ إِلَّا ذَكَرْتُ الْمُخْتَبِينَ^(٢) ،^(٣) .

وَقَالَ ابْنُ الْمَاجِشُونِ : إِنَّ رُؤْيَةَ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ لَتَنْفَعُنِي فِي دِينِي^(٤) .

وَقَالَ عَبْدُ الرَّازِقِ : كُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ ابْنَ جُرَيْجٍ ، عَلِمْتُ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ^(٥) .

وَعَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَوْقَرَ فِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا أَحْسَنَ سَمْتًا وَحِلْمًا مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ^(٦) .

وَعَنْ شَرِيكِ قَالَ : كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ طَوِيلَ الصَّمْتِ ، كَثِيرَ الْعَقْلِ .

-
- (١) انظر السير : (عمرو بن ميمون) ١٥٨-١٦١ / ٤ ، وانظر النزاهة : ١ / ٤٦٨ .
 - (٢) المختبون : هم المطمئنون ، وقيل : هم المتواضعون الخاشعون لربهم .
 - (٣) انظر السير : (الربيع بن خثيم) ٢٥٨-٢٦٢ / ٤ ، وانظر النزاهة : ٤ / ٤٩٢ .
 - (٤) انظر السير : (محمد بن المنكدر) ٣٥٣-٣٦١ / ٥ ، وانظر النزاهة : ٣ / ٦٠٧ .
 - (٥) انظر السير : (ابن جريج) ٣٣٦-٣٢٥ / ٦ ، وانظر النزاهة : ١ / ٦٥٥ .
 - (٦) انظر السير : (أبو حنيفة) ٣٩٠-٤٠٤ / ٦ ، وانظر النزاهة : ١ / ٦٦٣ .

وقال أبو عاصم النبيل : كان أبو حنيفة يُسمّى الوتد لكثرة صلّاته (١) .

وقال بشر بن الحارث : إنني لأذكر المُعافى اليوم ، فأنْتفعُ بذكرِهِ ، وأذكرُ رؤيته فأنْتفعُ (٢) .

وقال أبو زُرعة الرّازي : سمعتُ أبا جعفر الجَمّال يقولُ : أتينا وكيعاً فخرج بعد ساعة وعليه ثيابٌ مَغسولة ، فلمّا بَصُرنا به ، فزِعنا من الثور الذي رأيناه يتلأأ من وجهه ، فقال رجلٌ بجنبي : أهذا ملكٌ ؟! فتعجّبنا من ذلك الثور (٣) .

وقال أحمد بن مُنير البلخي ، سمعتُ حمدان بن سهل البلخي الفقيه يقولُ : ما رأيتُ أحداً إذا رُئيَ ذكرَ اللهُ تعالى إلاّ القَعْنبيّ رحمه اللهُ ، فإنه كان إذا مرَّ بمجلسٍ يقولون : لا إله إلاّ اللهُ وقيل : كان يُسمّى الرَّاهِبُ لِعِبَادَتِهِ وَفَضْلِهِ (٤) .

وقال عباسُ العنبريُّ عن علي بن المديني : لعلّه كان يُقدّمُ على الحسن البصري ، كان الناسُ يكتبون قيامه وقعوده ولباسه ، وكلّ شيء يقولُ أو يفعلُ أو نحو هذا (٥) .

وكان يجتمعُ في مجلسِ أحمد زهاءَ خمسة آلافٍ أو يزيدون نحو خمسِ مئة يكتبون ، والباقون يتعلّمون منه حُسنَ الأدبِ والسُننِ (٦) .

وقال أبو الحسن علي بن إبراهيم الرّازي الخطيب في ترجمة عملها لابن أبي حاتم : كان - رحمه اللهُ - قد كساه اللهُ ثوراً وبهاءً ، يسرُّ مَنْ نظرَ إليه سمعته يقولُ : رحلَ بي أبي سنةَ خمسٍ وخمسين ومِئتين ، وما احتلمتُ بعدُ ، فلمّا بلغنا ذا الحليفة احتلمتُ ، فسرَّ أبي ، حيثُ أدركتُ حجةَ الإسلام (٧) .

وقال ابنُ النّجار ، كان ابنُ قدامة إمامَ الحنابلة بجامعِ دِمَشقَ ، على قانونِ السلف ،

- (١) انظر السير : (أبو حنيفة) ٦/٣٩٠-٤٠٤ ، وانظر النزهة : ٣/٦٦٣ .
- (٢) انظر السير : (المُعافى) ٩/٨٠-٨٦ ، وانظر النزهة : ٣/٨٠٠ .
- (٣) انظر السير : (وكيع) ٩/١٤٠-١٦٨ ، وانظر النزهة : ٧/٨١١ .
- (٤) انظر السير : (القَعْنبيّ) ١٠/٢٥٧-٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٤/٨٧٥ .
- (٥) انظر السير : (علي بن المديني) ١١/٤١-٦٠ ، وانظر النزهة : ٥/٩٠٧ .
- (٦) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٤٧ .
- (٧) انظر السير : (عبد الرحمن بن أبي حاتم) ١٣/٢٦٣-٢٦٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٧٨ .

عليه النور والوقار ، يَنْتَفِعُ الرَّجُلُ بِرُؤْيَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَهُ (١) .

وكان فخر الدين ابن عساكر لا يَمَلُّ الشَّخْصُ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ لِحُسْنِ سَمْتِهِ ، وَنُورِ وَجْهِهِ ، وَلُطْفِهِ وَاقْتِصَادِهِ فِي مَلْبَسِهِ ، وَكَانَ لَا يَفْتَرُّ مِنَ الذِّكْرِ ، وَكَانَ يُسَمِّعُ الْحَدِيثَ تَحْتَ النَّسْرِ (٢) ، (٣) .

(ب) الهَيْبَةُ :

صُورٌ عَلَى الْهَيْبَةِ :

عن الأحنف قال : كَذِبْتُ مَرَّةً وَاحِدَةً ، سَأَلَنِي عُمَرُ عَنْ ثَوْبٍ ، بَكَمَ أَخَذْتَهُ ؟ ، فَأَسْقَطْتُ ثُلثِي الثَّمَنِ (٤) .

وعن عمر بن جُعْثَم ، قَالَ : كَانَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ إِذَا قَعَدَ لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَذْكُرُ الدُّنْيَا عِنْدَهُ هَيْبَةً لَهُ (٥) .

وقال أيُّوبُ السُّخْتِيَانِيُّ : كَانَ الرَّجُلُ يَجْلِسُ إِلَى الْحَسَنِ ثَلَاثَ حِجَجٍ مَا يَسْأَلُهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ هَيْبَةً لَهُ (٦) .

وقال أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ : لَزِمْتُ هُشَيْمًا أَرْبَعَ سِنِينَ ، أَوْ خَمْسًا ، مَا سَأَلْتُهُ عَنْ شَيْءٍ ، إِلَّا مَرَّتَيْنِ هَيْبَةً لَهُ ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّسْبِيحِ بَيْنَ الْحَدِيثِ ، يَقُولُ بَيْنَ ذَلِكَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، يَمْدُ بِهَا صَوْتَهُ (٧) .

وقال مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيُّ : كَانَ الْعَمْرِيُّ أَصْفَرَ جَسِيمًا ، لَمْ يَكُنْ يَقْبَلُ مِنَ السُّلْطَانِ وَلَا غَيْرِهِ ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَقَارِبِهِ وَمَعَارِفِهِ لَا يُكَلِّمُهُ وَوَلِيَ أَخُوهُ عُمَرُ الْمَدِينَةَ وَكِرْمَانَ ،

(١) انظر السير : (ابنُ قُدَّامَةَ المَقْدِسِيِّ) ٢٢/١٦٥-١٧٣ ، وانظر النزهة : ١/١٦٨١ .

(٢) يعني قُبَّةَ النَّسْرِ مِنْ جَامِعِ دِمَشْقِ الْأُمَوِيِّ .

(٣) انظر السير : (ابنُ عَسَاكِر) ٢٢/١٨٧-١٩٠ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٨٣ .

(٤) انظر السير : (الأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ) ٤/٨٦-٩٧ ، وانظر النزهة : ١/٤٥٠ .

(٥) انظر السير : (خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ) ٤/٥٣٦-٥٤١ ، وانظر النزهة : ٤/٥٥١ .

(٦) انظر السير : (الْحَسَنُ البَصْرِيُّ) ٤/٥٦٣-٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٤/٥٦٠ .

(٧) انظر السير : (هُشَيْمٌ) ٨/٢٨٧-٢٩٤ ، وانظر النزهة : ١/٧٥٩ .

فَهَجَرَهُ ، مَا أَدْرَكْتُ بِالْمَدِينَةِ رَجُلًا أَهْيَبَ مِنْهُ وَكَانَ يَقْبَلُ صَلَاةَ ابْنِ الْمُبَارَكِ وَقَدِمَ الْكُوفَةَ لِيُخَوِّفَ الرَّشِيدَ بِاللَّهِ ، فَزَجَفَ لِمَجِيئِهِ الدَّوْلَةَ ، حَتَّى لَوْ كَانَ نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْعَدُوِّ مِثْلُ أَلْفٍ ، مَا زَادَ مِنْ هَيْبَتِهِ ، فَرُدَّ مِنَ الْكُوفَةِ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ^(١) .

قَالَ الدَّقِيقِيُّ : مَا رَأَيْتُ شَيْخًا أَهْيَبَ مِنْ ابْنِ الْجَلَاءِ ، مَعَ أَنِّي لَقَيْتُ ثَلَاثَ مِائَةِ شَيْخٍ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : مَا جَلَا أَبِي شَيْئًا قَطُّ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَعِظُ ، فَيَقَعُ كَلَامُهُ فِي الْقُلُوبِ ، فَسُمِّيَ جَلَاءَ الْقُلُوبِ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْجُلَنْدِيِّ : سُئِلَ ابْنُ الْجَلَاءِ عَنِ الْمَحَبَّةِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : مَالِي وَلِلْمَحَبَّةِ ؟ أَنَا أُرِيدُ أَنْتَعَلَّمَ التَّوْبَةَ^(٢) .

* * *

(١) انظر السير : (العُمَرِيُّ) ٣٧٣-٣٧٨ ، وانظر النزهة : ١/٧٦٥ .

(٢) انظر السير : (ابنُ الجَلَاءِ) ١٤/٢٥١-٢٥٢ ، وانظر النزهة : ٣/١١٤٨ .

(٢) مِنْ صِفَاتِهِمْ

(أ) مَجْمُوعَةٌ صِفَاتٌ تَجِدُهَا فِي الصَّالِحِينَ :

عن الحرمازي : خَطَبَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بِالْكُوفَةِ ، فَقَالَ : إِنَّ الْحِلْمَ زِينَةُ وَالْوَقَارَ مَرْوَةٌ ، وَالْعَجَلَةَ سَفَهٌ ، وَالسَّفَهَ ضَعْفٌ ، وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ الدَّنَاءَةِ شَيْنٌ ، وَمُخَالَطَةُ الْفُسَّاقِ رِيْبَةٌ^(١) .

وعن ياسينَ الزِّيَّاتِ قَالَ : جَاءَ ابْنُ الْكُوَّاءِ إِلَى الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ ، فَقَالَ : دُلَّنِي عَلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ ، قَالَ : نَعَمْ ، مَنْ كَانَ مَنْطِقُهُ ذِكْرًا ، وَصَمْتُهُ تَفَكُّرًا ، وَمَسِيرُهُ تَدَبُّرًا فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي .

وعن الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : كَانَ الرَّبِيعُ أَوْرَعَ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ .

عن أَبِي يَعْلَى الثَّوْرِيِّ ، قَالَ : كَانَ فِي بَنِي ثَوْرٍ ثَلَاثُونَ رَجُلًا ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ دُونَ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ^(٢) .

وعن وَهْبِ بْنِ مَنْبَهٍ ، قَالَ : الْعِلْمُ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ ، وَالْعَقْلُ دَلِيلُهُ ، وَالْعَمَلُ قِيَمُهُ ، وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ ، وَالرَّفْقُ أَبُوهُ ، وَاللِّينُ أَخُوهُ^(٣) .

وعن وَهْبٍ : الْمُؤْمِنُ يَنْظُرُ لِعِلْمِهِ ، وَيَتَكَلَّمُ لِيَفْهَمَ وَيَسْكُتُ لِيَسْلَمَ ، وَيَخْلُو لِيَغْنَمَ^(٤) .

وعن قَتَادَةَ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٥) ، قَالَ : كَفَى بِالرَّهْبَةِ عِلْمًا ، اجْتَنَبُوا نَقْضَ الْمِيثَاقِ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدَّمَ فِيهِ وَأَوْعَدَ ، وَذَكَرَهُ فِي آيٍ مِنَ الْقُرْآنِ تَقْدِيمَةً وَنَصِيحَةً

(١) انظر السير : (الحسن بن علي بن أبي طالب) ٢٤٥-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٥/٣٨٠ .

(٢) انظر السير : (الربيع بن خثيم) ٢٥٨-٢٦٢ ، وانظر النزهة : ١٠/٤٩٣ .

(٣) انظر السير : (وهب بن منبه) ٥٤٤-٥٥٧ ، وانظر النزهة : ٣/٥٥٤ .

(٤) انظر السير : (وهب بن منبه) ٥٤٤-٥٥٧ ، وانظر النزهة : ٤/٥٥٤ .

(٥) سورة فاطر ، الآية : ٢٨ .

وَحُجَّةٌ ، إِيَّاكُمْ وَالتَّكْلُفَ وَالتَّنَطُّعَ وَالعُلُوَّ وَالعِجَابَ بِالأَنْفُسِ تَوَاضَعُوا لِلَّهِ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَرْفَعَكُمْ ^(١) .

وقال جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ : الصَّلَاةُ قُرْبَانٌ كُلُّ تَقِيٍّ ، وَالحَجُّ جِهَادٌ كُلُّ ضَعِيفٍ ، وَزَكَاةُ البَدَنِ الصِّيَامُ ، وَالدَّاعِي بِلا عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلا وَتَرٍ وَاسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ ، وَحَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَمَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ ، وَالتَّقْدِيرُ نِصْفُ العَيْشِ ، وَقِلَّةُ العِيَالِ أَحَدُ اليَسَارِينَ ، وَمَنْ أَحْزَنَ وَالدَّيْهَ ، فَقَدَ عَقَّهْمَا ، وَمَنْ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَيَّ فَخِذَهُ عِنْدَ مُصِيبَةٍ فَقَدَ حَبَطَ أَجْرَهُ وَالصَّنِيعَةُ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً إِلَّا عِنْدَ ذِي حَسَبٍ أَوْ دِينٍ وَاللَّهُ يُنْزِلُ الصَّبْرَ عَلَيَّ قَدْرَ المُصِيبَةِ وَيُنْزِلُ الرِّزْقَ عَلَيَّ قَدْرَ المُؤْنَةِ وَمَنْ قَدَّرَ مَعِيشَتَهُ ، رَزَقَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ بَدَّرَ مَعِيشَتَهُ ، حَرَمَهُ اللَّهُ ^(٢) .

وقال جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ : لَا زَادَ أَفْضَلَ مِنَ التَّقْوَى وَلَا شَيْءَ أَحْسَنَ مِنَ الصَّمْتِ ، وَلَا عَدُوٌّ أَضْرُّ مِنَ الجَهْلِ ، وَلَا دَاءٌ أَدْوَأُ مِنَ الكَذِبِ ^(٣) .

قال إبراهيمُ بن الأَشْعَثِ : سَمِعْتُ الفُضَيْلَ يَقُولُ : رَهْبَةُ العَبْدِ مِنَ اللَّهِ عَلَيَّ قَدْرَ عِلْمِهِ بِاللَّهِ ، وَزَهَادَتُهُ فِي الدُّنْيَا عَلَيَّ قَدْرَ رَغْبَتِهِ فِي الآخِرَةِ ، مَنْ عَمِلَ بِمَا عِلْمَ اسْتَغْنَى عَمَّا لَا يَعْلَمُ ، وَمَنْ عَمِلَ بِمَا عِلْمَ وَفَقَهُ اللَّهُ لِمَا لَا يَعْلَمُ ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ شَانَ دِينَهُ وَحَسَبُهُ وَمَرُوءَتُهُ ^(٤) .

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : أَكْذَبُ النَّاسِ العَائِدُ فِي ذَنْبِهِ ، وَأَجْهَلُ النَّاسِ المُدِلُّ بِحَسَنَاتِهِ ، وَأَعْلَمُ النَّاسِ أَخَوْفُهُمْ مِنْهُ ، لَنْ يَكْمُلَ عَبْدٌ حَتَّى يُؤَثِّرَ دِينَهُ عَلَيَّ شَهْوَتِهِ ، وَلَنْ يَهْلِكَ عَبْدٌ حَتَّى يُؤَثِّرَ شَهْوَتَهُ عَلَيَّ دِينِهِ ^(٥) .

وقيلَ للفُضَيْلِ : مَا الرُّهُدُ ؟ قَالَ : القُنُوعُ ، وَقِيلَ مَا الوَرَعُ ؟ قَالَ : اجْتِنَابُ

(١) انظر السير : (قناة) ٥/٢٦٩-٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٧/٦٠٢ .

(٢) انظر السير : (جعفر بن محمد) ٦/٢٥٥-٢٧٠ ، وانظر النزهة : ١/٦٤٨ .

(٣) انظر السير : (جعفر بن محمد) ٦/٢٥٥-٢٧٠ ، وانظر النزهة : ٢/٦٤٨ .

(٤) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ١/٧٧٤ .

(٥) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٢/٧٧٤ .

الْمَحَارِمِ ، قِيلَ : مَا الْعِبَادَةُ ؟ قَالَ : آدَاءُ الْفَرَائِضِ ، قِيلَ : مَا التَّوَاضُّعُ ؟ قَالَ : أَنْ تَخْضَعَ لِلْحَقِّ ، وَقَالَ : أَشَدُّ الْوَرَعِ فِي اللِّسَانِ (١) .

وعن الشَّافِعِيِّ ، قَالَ : أَصْلُ الْعِلْمِ التَّثْبِيتُ ، وَثَمَرَتُهُ السَّلَامَةُ ، وَأَصْلُ الْوَرَعِ الْقِنَاعَةُ ، وَثَمَرَتُهُ الرَّاحَةُ ، وَأَصْلُ الصَّبْرِ الْحَزْمُ ، وَثَمَرَتُهُ الظَّفَرُ ، وَأَصْلُ الْعَمَلِ التَّوْفِيقُ ، وَثَمَرَتُهُ النَّجْحُ ، وَغَايَةُ كُلِّ أَمْرٍ الصِّدْقُ (٢) .

وعن المَرْوُذِيِّ ، قَالَ : لَمْ أَرِ الْفَقِيرَ فِي مَجْلِسٍ أَعَزَّ مِنْهُ فِي مَجْلِسٍ أَحَمَدَ كَانَ مَائِلًا إِلَيْهِمْ ، مُقْصِرًا عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَكَانَ فِيهِ حِلْمٌ ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْعَجُولِ ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّوَاضُّعِ تَعْلُوهُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ ، وَإِذَا جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الْعَصْرِ لِلْفُتْيَا لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يُسْأَلَ ، وَإِذَا خَرَجَ إِلَى مَسْجِدِهِ لَمْ يَتَصَدَّرْ (٣) .

وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ شَدِيدَ الْحَيَاءِ ، كَرِيمَ الْأَخْلَاقِ ، يُعْجِبُهُ السَّخَاءُ (٤) .

وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ مِنْ أَحْسَبِ النَّاسِ ، وَأَكْرَمِهِمْ ، وَأَحْسَنِهِمْ عِشْرَةً وَأَدَبًا ، كَثِيرَ الْإِطْرَاقِ ، لَا يُسْمَعُ مِنْهُ إِلَّا الْمَذَاكِرَةُ لِلْحَدِيثِ ، وَذِكْرُ الصَّالِحِينَ فِي وَقَارٍ وَسُكُونٍ ، وَلَفْظٍ حَسَنٍ وَإِذَا لَقِيَهِ إِنْسَانٌ ، بَشَّ بِهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَكَانَ يَتَوَاضَعُ لِلشُّيُوخِ شَدِيدًا ، وَكَانُوا يُعْظَمُونَهُ ، وَكَانَ يَفْعَلُ بِيَحْيَى بْنِ مَعِينٍ مَا لَمْ أَرَهُ يَفْعَلُ بغيرِهِ مِنَ التَّوَاضُّعِ وَالتَّكْرِيمِ وَالتَّبْجِيلِ كَانَ يَحْيَى أَكْبَرَ مِنْهُ سَبْعَ سِنِينَ (٥) .

وعن حَاتِمِ الْأَصَمِّ : مَنْ أَصْبَحَ مُسْتَقِيمًا فِي أَرْبَعٍ فَهُوَ بِخَيْرٍ ؛ التَّفَقُّهُ ، ثُمَّ التَّوَكُّلُ ، ثُمَّ الْإِخْلَاصُ ، ثُمَّ الْمَعْرِفَةُ (٦) .

قَالَ شَقِيقُ لِحَاتِمِ : مُذْ صَحِبْتَنِي ، أَيُّ شَيْءٍ تَعَلَّمْتَ مِنِّي ؟ قَالَ : سِتَّ كَلِمَاتٍ ؛

(١) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٤٢١/٨ - ٤٤٢ ، وانظر النزاهة : ٤/٧٧٧ .

(٢) انظر السير : (الإمام الشافعي) ١٠/٩٩ - ٥ ، وانظر النزاهة : ٢/٨٤٩ .

(٣) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧ - ٣٥٨ ، وانظر النزاهة : ٨/٩٢٩ .

(٤) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧ - ٣٥٨ ، وانظر النزاهة : ١/٩٣٠ .

(٥) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧ - ٣٥٨ ، وانظر النزاهة : ٣/٩٤٧ .

(٦) انظر السير : (حاتم الأصم) ١١/٤٨٤ - ٤٨٧ ، وانظر النزاهة : ٣/٩٦٠ .

رَأَيْتُ النَّاسَ فِي شَكِّ مِنْ أَمْرِ الرَّزْقِ ، فَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (١) .

وَرَأَيْتُ لِكُلِّ رَجُلٍ صَدِيقًا يُنْفِئُهُ إِلَيْهِ سِرَّهُ ، وَيَشْكُو إِلَيْهِ ، فَصَادَقْتُ الْخَيْرَ لِيَكُونَ مَعِيَ فِي الْحِسَابِ ، وَيَجُوزَ مَعِيَ الصِّرَاطَ .

وَرَأَيْتُ كُلَّ أَحَدٍ لَهُ عَدُوٌّ ، فَمَنْ اغْتَابَنِي لَيْسَ بِعَدُوِّي ، وَمَنْ أَخَذَ مِنِّي شَيْئًا لَيْسَ بِعَدُوِّي ، بَلْ عَدُوِّي مَنْ إِذَا كُنْتُ فِي طَاعَةِ ، أَمَرَنِي بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ وَذَلِكَ إِبْلِيسُ وَجُنُودُهُ ، فَاتَّخَذْتُهُمْ عَدُوًّا وَحَارِبْتُهُمْ .

وَرَأَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ لَهُمْ طَالِبٌ ، وَهُوَ مَلِكُ الْمَوْتِ ، فَفَرَّغْتُ لَهُ نَفْسِي .

وَنظَرْتُ فِي الْخَلْقِ ، فَأَحْبَبْتُ ذَا وَأَبْغَضْتُ ذَا ، فَالَّذِي أَحْبَبْتُهُ لَمْ يُعْطِنِي ، وَالَّذِي أَبْغَضْتُهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنِّي شَيْئًا ، فَقُلْتُ : مَنْ أَيْنَ أُتَيْتُ ؟ فَإِذَا هُوَ مِنَ الْحَسَدِ فَطَرَحْتُهُ وَأَحْبَبْتُ الْكُلَّ ، فَكُلُّ شَيْءٍ لَمْ أَرْضَهُ لِنَفْسِي لَمْ أَرْضَهُ لَهُمْ .

وَرَأَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ لَهُمْ بَيْتٌ وَمَأْوَى ، وَرَأَيْتُ مَاوَايَ الْقَبْرِ ، فَكُلُّ شَيْءٍ قَدَرْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ قَدَّمْتُهُ لِنَفْسِي لِأَعْمَرَ قَبْرِي .

فَقَالَ شَقِيقٌ : عَلَيْكَ بِهَذِهِ الْخِصَالِ (٢) .

وَمِنْ كَلَامِ الْقَاسِمِ : رَأْسُ الْأَعْمَالِ الرِّضَا عَنْ اللَّهِ ، وَالْوَرَعُ عِمَادُ الدِّينِ ، وَالْجُوعُ مُخَّ الْعِبَادَةِ ، وَالْحِصْنُ الْحَصِينُ الصَّمْتُ (٣) .

وَمِنْ كَلَامِ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : لَا مُعِينَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا دَكِيلَ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَا زَادَ إِلَّا التَّقْوَى ، وَلَا عَمَلَ إِلَّا الصَّبْرُ عَلَيْهِ (٤) .

وَعَنهُ قَالَ : الْجَاهِلُ مَيِّتٌ ، وَالنَّاسِي نَائِمٌ ، وَالْعَاصِي سَكْرَانٌ ، وَالْمُصِرُّ هَالِكٌ (٥) .

(١) سورة هود ، الآية : ٦ .

(٢) انظر السير : (حاتم الأصم) ١١/٤٨٤-٤٨٧ ، وانظر النزهة : ٦/٩٦٠ .

(٣) انظر السير : (الجوعى) ١٢/٧٧-٧٩ ، وانظر النزهة : ٣/٩٨٤ .

(٤) انظر السير : (سهل بن عبد الله) ١٣/٣٣٠-٣٣٣ ، وانظر النزهة : ١/١٠٩٣ .

(٥) انظر السير : (سهل بن عبد الله) ١٣/٣٣٠-٣٣٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٩٣ .

وقال الحكيم الترمذي : مَنْ جَهَلَ أَوْصَافَ الْعُبُودِيَّةِ ، فَهُوَ بِنَعْوَتِ أَوْصَافِ الرَّبَّانِيَّةِ أَجْهَلُ (١) .

وقال أبو عبد الرحمن السلميّ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ الْخَشَّابِ ، سَمِعْتُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ يَقُولُ : الْمَعْرِفَةُ كُلُّهَا الْأَعْتِرَافُ بِالْجَهْلِ وَالتَّصَوُّفُ كُلُّهُ تَرْكُ الْفُضُولِ وَالزُّهْدُ كُلُّهُ أَخْذُ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ ، وَالْمُعَامَلَةُ كُلُّهَا اسْتِعْمَالُ الْأَوْلَى فِالْأَوْلَى ، وَالرِّضَا كُلُّهُ تَرْكُ الْأَعْتِرَاضِ ، وَالْعَافِيَةُ كُلُّهَا سُقُوطُ التَّكَلُّفِ بِلَا تَكَلُّفٍ .

وكان رحمه الله قد صحب الجنيّد وأبا أحمد القلانسي .

وعمل تاريخاً للبصرة لم أره ، أمّا كتابه في « طبقات السّاك » فنقلت منه (٢) .

(ب) مَعْرِفَتُهُمْ لِمَ عَوْقِبُوا :

(وانظر المزيد في فهرس الذنوب)

عن مُحَمَّد بن سيرين قال : قُلْتُ لِرَجُلٍ : يَا مُفْلِسُ ، فَعَوْقِبْتُ .

قال أبو سليمان الدّاراني ، وبلغه هذا فقال : قُلْتُ ذُنُوبَ الْقَوْمِ فَعَرَفُوا مِنْ أَيْنَ أَتَوْا ، وَكَثُرَتْ ذُنُوبُنَا فَلَمْ نَدْرِ مِنْ أَيْنَ نُوتِي (٣) .

(ج) مَعْرِفَتُهُمْ ضَخَامَةَ التَّكْلِيفِ الْمُطَالِبِينَ بِهِ :

رُوي عن المروزيّ ، قال : قُلْتُ لِأَحْمَدَ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ قَالَ : كَيْفَ أَصْبَحَ مَنْ رُئِيَ يُطَالِبُهُ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ ، وَنَبِيُّهُ يُطَالِبُهُ بِأَدَاءِ السُّنَّةِ وَالْمَلَكَانِ يُطَالِبَانِهِ بِتَصْحِيحِ الْعَمَلِ ، وَنَفْسُهُ تُطَالِبُهُ بِهَوَاها ، وَإِبْلِيسُ يُطَالِبُهُ بِالْفَحْشَاءِ ، وَمَلِكُ الْمَوْتِ يُرَاقِبُ قَبْضَ رُوحِهِ ، وَعِيَالُهُ يُطَالِبُونَهُ بِالنَّفَقَةِ !؟ (٤) .

(١) انظر السير : (الحكيم) ٤٣٩-٤٤٢ ، وانظر النزّهة : ٣/١١٠٠ .

(٢) انظر السير : (ابن الأعرابي) ٤٠٧-٤١٢ ، وانظر النزّهة : ٤/١٢٤٢ .

(٣) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٦٠٦-٦٢٢ ، وانظر النزّهة : ٧/٥٦٩ .

(٤) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١-١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزّهة : ٦/٩٣٠ .

(د) استواء أحوال الدنيا في أعينهم :

عن أبي عثمان الحيري قال : لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في المنع والعطاء ،
وفي العز والذل^(١) .

(هـ) ﴿ يَتَوَنَّ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ :

عن فضالة بن عبيد ، قال : لأن أعلم أن الله تقبل مني مثقال حبة ، أحب إلي من
الدنيا وما فيها ، لأنه تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾^(٢) ،^(٣) .

* * *

(١) انظر السير : (أبو عثمان الحيري) ١٤ / ٦٢ - ٦٦ ، وانظر النزاهة : ٣ / ١١٣١ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٢٧ .

(٣) انظر السير : (فضالة بن عبيد) ٣ / ١١٣ - ١١٧ ، وانظر النزاهة : ١ / ٣٤٧ .

(٣) مِنْ فَوَائِدِ الصَّلَاحِ

الحِفْظُ فِي المَالِ وَالْأَهْلِ :

عن ابنِ المُنْكَدِرِ قَالَ : إنَّ اللهَ يَحْفَظُ العَبْدَ المَوْمنَ فِي وِلْدِهِ ، وَوَلَدَ وِلْدِهِ ، وَيَحْفَظُهُ فِي دُورَتِهِ ، وَدُورَاتِ حَوْلِهِ ، فَمَا يَزَالُونَ فِي حِفْظِ أَوْ فِي عَافِيَةِ مَا كَانَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ ^(١) .

(٤) صُحْبَةُ الصَّالِحِينَ

صُحْبَتُهُمْ تُورِثُ الحِكْمَةَ فِي القَوْلِ وَالْعَمَلِ :

رُويَ عن أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : لَوْلَا ثَلَاثٌ مَا أُحْبِبْتُ البَقَاءَ سَاعَةً : ظَمًا الهَوَاجِرِ ، وَالسُّجُودُ فِي اللَّيْلِ ، وَمُجَالَسَةُ أَقْوَامٍ يَنْتُقُونَ جَيِّدَ الكَلَامِ كَمَا يُنْتَقَى أَطْيَبُ الثَّمَرِ ^(٢) .
وعن أَبِي العَبَّاسِ بنِ سُرَيْجٍ : أَنَّهُ تَكَلَّمَ يَوْمًا فَعَجِبُوا! فَقَالَ : بِبِرْكَةِ مُجَالَسَتِي لِأَبِي القَاسِمِ الجُنَيْدِ ^(٣) .

(٥) أُمَّثَلَةٌ عَلَى حَيَاةِ الصَّالِحِينَ

(وَسْتَجِدُ غَيْرَهَا لَا سِيَّمَا فِي فِهْرَسِ الوَقْتِ)

جَاءَ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي النُّضْرِ الطُّوسِيِّ ، قَالَ الحَاكِمُ : وَكَانَ إِمَامًا عَابِدًا ، بَارِعَ الأَدَبِ ، مَا رَأَيْتُ فِي مَشَايخِي أَحْسَنَ صَلَاةً مِنْهُ ، وَكَانَ يَصُومُ الدَّهْرَ وَيَقُومُ وَيَتَصَدَّقُ بِمَا فَضَّلَ مِنْ قُوَّتِهِ وَكَانَ يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ ^(٤) .

(١) انظر السير : (محمد بن المنكدر) ٣٥٣/٥ - ٣٦١ ، وانظر النزاهة : ٩/٦٠٧ .

(٢) انظر السير : (أبو الدرداء) ٣٣٥/٢ - ٣٥٣ ، وانظر النزاهة : ٥/٢٧٢ .

(٣) انظر السير : (الجنيد) ٦٦/١٤ - ٧٠ ، وانظر النزاهة : ٣/١١٣٢ .

(٤) انظر السير : (أبو النضر الطوسي) ٤٩٠/١٥ - ٤٩٢ ، وانظر النزاهة : ٣/١٢٥٢ .

وجاء في ترجمة التيمي ، قال أبو موسى : ولا أعلم أحداً عاب عليه قولاً ولا فعلاً ، ولا عانده أحدٌ إلا ونصره الله ، وكان نزه النفس عن المطامع ، لا يدخل على السلاطين ، ولا على من اتصل بهم ، قد أخلى داراً من ملكه لأهل العلم مع خفة ذات يده ، ولو أعطاه الرجل الدنيا بأسرها لم يترفع عنده ، أملى ثلاثة آلاف وخمسة مئة مجلس ، وكان يملئ على البديهة^(١) .

وقال الحافظ يحيى بن مئدة : كان أبو القاسم حسن الاعتقاد جميل الطريقة قليل الكلام ، ليس في وقته مثله^(٢) .

قال ابن النجار : شيخنا ابن سكينه شيخ العراق في الحديث والزهد وحسن السمات وموافقة السنة والسلف عمر حتى حدث بجميع مروياته ، وقصده الطلاب من البلاد ، وكانت أوقاته محفوظة ، لا تمضي له ساعة إلا في تلاوة أو ذكر أو تهجد أو تسميع ، وكان إذا قرىء عليه منع من القيام له أو لغيره وكان كثير الحج والمجاورة والطهارة ، لا يخرج من بيته إلا لحضور جمعة أو عيد أو جنازة ، ولا يحضر دور أبناء الدنيا في هناء ولا عزاء ، يديم الصوم غالباً ، ويستعمل السنة في أموره ، ويحب الصالحين ، ويعظم العلماء ، ويتواضع للناس ، وكان يكثر أن يقول : أسأل الله أن يميّتنا مسلمين ، وكان ظاهر الخشوع ، غزير الدمعة ، ويعتذر من البكاء ، ويقول : قد كبرت ولا أملكه ، وكان الله قد ألبسه رداء جميلاً من البهاء وحسن الخلق وقبول الصورة ، ونور الطاعة ، وجلالة العبادة ، وكانت له في القلوب منزلة عظيمة ، ومن رآه انتفع برويته ، فإذا تكلم كان عليه البهاء والنور ، لا يشبع من مجالسته لقد طفت شرقاً وغرباً ورأيت الأئمة والزهاد فما رأيت أكمل منه ولا أكثر عبادة ولا أحسن سمناً .

قال الإمام أبو شامة : وفي سنة سبع وست مئة توفي ابن سكينه ، وحضره أرباب الدولة ، وكان يوماً مشهوداً ، ثم قال : وكان من الأبدال^(٣) .

(١) انظر السير : (التيمي) ٢٠/٨٠-٨٨ ، وانظر النزعة : ٢/١٥٣٢ .

(٢) انظر السير : (التيمي) ٢٠/٨٠-٨٨ ، وانظر النزعة : ٣/١٥٣٢ .

(٣) انظر السير : (ابن سكينه) ٢١/٥٠٢-٥٠٥ ، وانظر النزعة : ٢/١٦٥٦ .

وجاء في ترجمة العِمَادِ الْمُقَدِّسِيِّ قَالَ الضَّيَاءُ : وَكَانَ يَجْلِسُ فِي جَامِعِ الْبَلَدِ مِنَ الْفَجْرِ إِلَى الْعِشَاءِ لَا يَخْرُجُ إِلَّا لِحَاجَةٍ ، يُقْرَأُ الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ ، فَإِذَا فَرَغُوا اشْتَغَلَ بِالصَّلَاةِ ، فَسَأَلْتُ الشَّيْخَ مُوَفَّقَ الدِّينِ عَنْهُ فَقَالَ : كَانَ مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِنَا وَأَعْظَمِهِمْ نَفْعًا ، وَأَشَدَّهُمْ وَرَعًا ، وَأَكْثَرَهُمْ صَبْرًا عَلَى التَّعْلِيمِ وَكَانَ دَاعِيَةً إِلَى السُّنَّةِ ، أَقَامَ بِدِمَشْقَ مُدَّةَ يُعَلِّمُ الْفُقَرَاءَ وَيُقَرِّئُهُمْ وَيُطْعِمُهُمْ ، وَيَتَوَاضَعُ لَهُمْ ، كَانَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ تَوَاضِعًا ، وَاحْتِقَارًا لِنَفْسِهِ ، وَخَوْفًا مِنَ اللَّهِ ، مَا أَعْلَمُ أَنِّي رَأَيْتُ أَشَدَّ خَوْفًا مِنْهُ ، وَكَانَ كَثِيرَ الدُّعَاءِ وَالسُّؤَالِ لِلَّهِ ، يُطِيلُ السُّجُودَ وَالرُّكُوعَ ، وَلَا يَقْبَلُ مِمَّنْ يَغْذُلُهُ ، وَنُقِلَتْ لَهُ كَرَامَاتٌ^(١) .

* * *

(٦) فَضْلُ الصَّالِحِينَ

عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ ، وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيِّ ، فَقَالَ : أَهْلُ الشَّامِ بِهِ يُمَطَّرُونَ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : سَمِعْتُ أَبِي يُحْسِنُ الثَّنَاءَ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْخَوَارِيِّ ، وَيُطِنِّبُ فِيهِ^(٢) .

* * *

(١) انظر السير : (العماد) ٢٢/٤٧-٥٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٦٤ .

(٢) انظر السير : (أحمد بن أبي الخواري) ١٢/٨٥-٩٤ ، وانظر النزهة : ٢/٩٨٥ .

(٧) عِنَايَةُ الصَّالِحِينَ بِالْقَلْبِ

١- حَيَاةُ الْقَلْبِ بِذِكْرِ الْمَوْتِ :

رَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : لَوْ فَارَقَ ذِكْرُ الْمَوْتِ قَلْبِي ، لَخَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ قَلْبِي ^(١) .

٢- مُعَالَجَةُ قَسْوَةِ الْقَلْبِ بِزِيَارَةِ الْقَبْرِ :

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ بْنِ التَّمَّارِ قَالَ : كَانَ صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْمٍ يَأْتِي الْبَقِيْعَ فِي الْأَيَّامِ فَيَمُرُّ بِهَا ، فَاتَّبَعْتُهُ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَقُلْتُ : لَأَنْظُرَنَّ مَا يَصْنَعُ ، فَفَنَعَ رَأْسَهُ ، وَجَلَسَ إِلَى قَبْرِ مِنْهَا ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى رَحِمْتُهُ ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَبْرُ بَعْضِ أَهْلِهِ ، وَمَرَّ بِي مَرَّةً أُخْرَى ، فَاتَّبَعْتُهُ ، فَفَعَدَ إِلَى جَنْبِ قَبْرِ غَيْرِهِ ، فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ .

فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْمُكْدِرِ ، وَقُلْتُ : إِنَّمَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَبْرُ بَعْضِ أَهْلِهِ ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ : كُلُّهُمْ أَهْلُهُ وَإِخْوَتُهُ هُوَ رَجُلٌ يُحْرِكُ قَلْبَهُ بِذِكْرِ الْأَمْوَاتِ كُلَّمَا عَرَضَتْ لَهُ قَسْوَةٌ .
مَاتَ صَفْوَانُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِئَةً ، عَاشَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً ^(٢) .

٣- مُعَالَجَةُ قَسْوَةِ الْقَلْبِ بِزِيَارَةِ الصَّالِحِينَ :

رَوَى مُعْتَمِرٌ عَنْ أَبِيهِ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَخْشَعَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ ، وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ : كُنْتُ إِذَا وَجَدْتُ مِنْ قَلْبِي قَسْوَةً ، غَدَوْتُ فَنَظَرْتُ إِلَى وَجْهِ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ كَانَ كَأَنَّهُ تَكَلَّى قَالَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ : قَالَ رَجُلٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ : أَوْصِنِي قَالَ : أَوْصِيكَ أَنْ تَكُونَ مَلِكًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَالَ : كَيْفَ ؟ قَالَ : ارْهَدْ فِي الدُّنْيَا ^(٣) .

وَعَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ : إِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْفُضَيْلِ ، جَدَّدَ لِي الْحُزْنَ ، وَمَقَّتْ نَفْسِي ، ثُمَّ بَكَى ^(٤) .

(١) انظر السير : (سعيد بن جبير) ٤/٣٢١-٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٧/٥٠٦ .

(٢) انظر السير : (صفوان بن سليم) ٥/٣٦٤-٣٦٩ ، وانظر النزهة : ٦/٦١٠ .

(٣) انظر السير : (محمد بن واسع) ٦/١١٩-١٢٣ ، وانظر النزهة : ٣/٦٣٨ .

(٤) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٦/٧٧٨ .

٤- مُعَالَجَتُهُ بِتَغْسِيلِ الْمَوْتَى :

كَانَ الْمُزَنِّيُّ يُغَسِّلُ الْمَوْتَى تَعَبُّدًا وَاحْتِسَابًا وَهُوَ الْقَائِلُ : تَعَانَيْتُ غَسَلَ الْمَوْتَى لِيَرِقَّ قَلْبِي ، فَصَارَ لِي عَادَةٌ ، وَهُوَ الَّذِي غَسَلَ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ ^(١) .

٥- الْبُعْدُ عَنِ الْخِصَالِ الْمُفْسِدَةِ لِلْقَلْبِ :

عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ : خَصَلْتَانِ تُقْسِيَانِ الْقَلْبَ : كَثْرَةُ الْكَلَامِ ، وَكَثْرَةُ الْأَكْلِ ^(٢) .
وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ : لِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمٌ ، وَعَلِمُ الْخِذْلَانَ تَرَكَ الْبُكَاءَ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ صَدَأٌ ، وَصَدَأُ الْقَلْبِ الشُّبْعُ ^(٣) .

٦- حِرَاسَةُ الْقَلْبِ :

عَنِ أَبِي حَفْصِ النَّيْسَابُورِيِّ قَالَ : حَرَسْتُ قَلْبِي عِشْرِينَ سَنَةً ، ثُمَّ حَرَسَنِي عِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ وَرَدَتْ عَلَيَّ وَعَلِيهِ حَالَةٌ صِرْنَا مَحْرُوسِينَ جَمِيعًا ^(٤) .

مِنْ وَسَائِلِ الْعِنَايَةِ بِالْقَلْبِ

(أ) الْاسْتِغْفَارُ :

١- لَوَازِمُ الْاسْتِغْفَارِ :

قَالَ يُونُسُ بْنُ الْحُسَيْنِ : سَمِعْتُ ذَا التُّونِ الْمِصْرِيَّ يَقُولُ : الْاسْتِغْفَارُ جَامِعٌ لِمَعَانٍ ؛ أَوَّلُهَا : النَّدْمُ عَلَى مَا مَضَى ، وَالثَّانِي : الْعَزْمُ عَلَى التَّرْكِ ، وَالثَّلَاثُ : أَدَاءُ مَا ضَيَّعْتَ مِنْ فَرَضِ اللَّهِ ، وَالرَّابِعُ : رَدُّ الْمَظَالِمِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْمُصَالِحَةِ عَلَيْهَا ، وَالخَامِسُ : إِذَابَةُ كُلِّ لَحْمٍ وَدَمٍ نَبَتَ عَلَى الْحَرَامِ ، وَالسَّادِسُ : إِذَاقَةُ أَلْمِ الطَّاعَةِ كَمَا وَجَدْتَ حَلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ ^(٥) .

(١) انظر السير : (الْمُزَنِّيُّ) ١٢/٤٩٢-٤٩٧ ، وانظر النزهة : ٥/١٠٢٤ .

(٢) انظر السير : (الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٢/٧٧٩ .

(٣) انظر السير : (أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ) ١٠/١٨٢-١٨٦ ، وانظر النزهة : ٣/٨٦٥ .

(٤) انظر السير : (أَبُو حَفْصِ النَّيْسَابُورِيِّ) ١٢/٥١٠-٥١٣ ، وانظر النزهة : ٥/١٠٢٥ .

(٥) انظر السير : (ذُو التُّونِ الْمِصْرِيُّ) ١١/٥٣٢-٥٣٦ ، وانظر النزهة : ٤/٩٦٨ .

٢- الاستغفارُ مَقْدَمٌ على التَّوَابِ :

سَأَلَ أَحَدُهُمْ أَبُو الْفَرَجِ بْنِ الْجَوَازِيِّ : أَيُّهُمَا أَفْضَلُ : أَسْبَحُ أَوْ أَسْتَغْفِرُ ؟ قَالَ :
التَّوْبُ الْوَسِيخُ أَحْوَجُ إِلَى الصَّابُونَ مِنَ الْبُحُورِ^(١) .

٣- صُورٌ عَلَى الاسْتِغْفَارِ :

عَنْ مَرْوَانَ الْأَصْفَرَ ، سَمِعَ الْأَخْنَفَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنْ تَغْفِرْ لِي ، فَأَنْتَ أَهْلُ ذَلِكَ وَإِنْ
تُعَذِّبْنِي ، فَأَنَا أَهْلُ ذَلِكَ^(٢) .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ : قَالَ رِيَّاحُ الْقَيْسِيِّ : لِي
نَيْفٌ وَأَرْبَعُونَ ذَنْبًا ، وَقَدْ اسْتَغْفَرْتُ لِكُلِّ ذَنْبٍ مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ^(٣) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ رَابِعَةِ الشَّامِيَّةِ : عَابِدَةٌ مَشْهُورَةٌ ، أَصْغَرُ مِنْ رَابِعَةِ
الْعَدَوِيَّةِ ، قَدْ تَدَخَّلَ حِكَايَاتُ هَذِهِ فِي حِكَايَاتِ هَذِهِ ، وَالثَّانِيَةُ هِيَ الْقَائِلَةُ مَا رَوَى
أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَّارِيِّ عَنْ عَبَّاسِ بْنِ الْوَلِيدِ أَنَّهَا قَالَتْ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَلَّةِ صِدْقِي فِي
قَوْلِي : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ^(٤) .

٤- شِعْرٌ فِي الاسْتِغْفَارِ :

أَوْصَى أَبُو الْفَرَجِ ابْنَ الْجَوَازِيَّ أَنْ يُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ^(٥) :

يَا كَثِيرَ الْعَفْوِ عَمَّنْ	كَثُرَ الذَّنْبُ لَدَيْهِ
جَاءَكَ الْمُذْنِبُ يَرْجُو ال	صَفْحَ عَنِ جُرْمِ يَدَيْهِ
أَنَا ضَيْفٌ وَجَزَاءُ ال	ضَيْفِ إِحْسَانٍ إِلَيْهِ

(١) انظر السير : (أبو الفرج ابن الجوزي) ٣٦٥-٣٨٤ / ٢١ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٦٣٤ .

(٢) انظر السير : (الأخنف بن قيس) ٨٦ / ٤ ، وانظر النزهة : ٤ / ٤٥١ .

(٣) انظر السير : (رياح) ١٧٤ / ٨ ، وانظر النزهة : ٤ / ٧٤١ .

(٤) انظر السير : (رابعة الشامية) ٢٤٣-٢٤٤ ، وانظر النزهة : ١ / ٧٤٨ .

(٥) انظر السير : (أبو الفرج ابن الجوزي) ٣٦٥-٣٨٤ / ٢١ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٦٣٦ .

(ب) تَذَلِيلُ النَّفْسِ وَمُجَاهَدَتُهَا :

١- خِلَافُ هَوَى النَّفْسِ عَمَلٌ عَظِيمٌ :

عن أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ قَالَ : أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ خِلَافُ هَوَى النَّفْسِ (١) .

٢- صُورٌ مِنْ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ :

عن ابْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ : كَابَدْتُ نَفْسِي أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى اسْتَقَامَتْ (٢) .

٣- مَنْ كَانَ مَشْهُورًا بِتَذَلِيلِ نَفْسِهِ وَمُجَاهَدَتِهَا :

قَالَ السُّلَمِيُّ : كَانَ يُوسُفُ بْنُ الْحُسَيْنِ إِمَامًا وَقِيَّةً ، لَمْ يَكُنْ فِي الْمَشَايخِ أَحَدًا عَلَى طَرِيقَتِهِ فِي تَذَلِيلِ النَّفْسِ وَإِسْقَاطِ الْجَاهِ (٣) .

٤- الْإِزْرَاءُ عَلَى النَّفْسِ طَرِيقَةٌ - أحياناً - لِتَذَلِيلِهَا :

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حَمَلَ قَرِيبَةً عَلَى عُنُقِهِ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّ نَفْسِي أُعْجِبْتَنِي فَأَرَدْتُ أَنْ أُذَلِّهَا (٤) .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : سَمِعْتُ إِنْسَانًا يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي أَنَّهُ كَانَ وَاقِفًا بِعَرَفَةَ ، فَرَقَّ فَقَالَ : لَوْلَا أَنِّي فِيهِمْ لَقُلْتُ : قَدْ غُفِرَ لَهُمْ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : كَذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يُرِي عَلَى نَفْسِهِ وَيَهْضِمَهَا (٥) .

وعن خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ ، قَالَ : لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَرَى النَّاسَ فِي جَنْبِ اللَّهِ أَمْثَالَ الْأَبَاعِرِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى نَفْسِهِ فَيَكُونُ لَهَا أَحْقَرَ حَاقِرٍ (٦) .

وجاءَ فِي تَرْجَمَةِ عَطَاءِ السَّلِيمِيِّ ، وَقِيلَ : كَانَ إِذَا جَاءَ بَرْقٌ وَرِيحٌ ، قَالَ : هَذَا مِنْ

(١) انظر السير : (أبو سليمان الداراني) ١٠/١٨٢-١٨٦ ، وانظر النزعة : ٢/٨٦٥ .

(٢) انظر السير : (محمد بن المنكدر) ٥/٣٥٣-٣٦١ ، وانظر النزعة : ٨/٦٠٧ .

(٣) انظر السير : (يوسف بن الحسين) ١٤/٢١٧ ، وانظر النزعة : ٦/١١٤٧ .

(٤) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزعة : ١/٥٠ .

(٥) انظر السير : (بكر بن عبد الله) ٤/٥٣٢-٥٣٦ ، وانظر النزعة : ٢/٥٥٠ .

(٦) انظر السير : (خالد بن معدان) ٤/٥٣٦-٥٤١ ، وانظر النزعة : ١/٥٥٢ .

أَجَلِي يُصِيبِكُمْ لَوْ مِتُّ اسْتَرَحَ النَّاسُ ، وَلِعَطَاءِ حِكَايَاتٍ فِي الْخَوْفِ وَإِزْرَاتِهِ عَلَيَّ نَفْسِهِ (١) .
 وَقَالَ ابْنُ وَاسِعٍ : لَوْ كَانَ لِلذُّنُوبِ رِيحٌ مَا جَلَسَ إِلَيَّ أَحَدٌ (٢) .
 وَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ قَالَ : قَرِيبًا أَجَلِي ، بَعِيدًا أَمَلِي ، سَيِّئًا عَمَلِي (٣) .
 وَعَنْ عُبَيْةِ الْغُلَامِ قَالَ : إِنَّمَا أَبْكِي عَلَيَّ تَفْصِيرِي (٤) .
 وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى الشَّيْبَانِي الْمَشْهُورِ بِ « ثَعْلَب » :
 وَكَانَ يُزْرِي عَلَيَّ نَفْسِهِ ، وَلَا يُعَدُّ نَفْسَهُ (٥) .
 وَقِيلَ فِي تَرْجَمَةِ الْيُونِنِيِّ : كَانَ يَقُولُ لِلشَّيْخِ الْفَقِيهِ تَلْمِيزُهُ : فِيَّ وَفِيكَ نَزَلَتْ ﴿ إِنَّ
 كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ ﴾ (٦) .
 تُوفِّيَ سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَهُوَ صَائِمٌ ، وَقَدْ جَاوَزَ ثَمَانِينَ سَنَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ
 تَعَالَى (٧) .

٥- شِعْرٌ فِي الْإِزْرَاءِ عَلَى النَّفْسِ :

أَنْشَدَ الْإِمَامُ الْوَاعِظُ ابْنُ الْبَلِّ (٨) :

تَتُوبُ عَلَيَّ يَدَيَّ قَوْمٌ عَصَاةٌ
 وَقَلْبِي مُظْلَمٌ مِنْ طُولِ مَا قَدْ
 كَانِي شَمْعَةً مَا بَيْنَ قَوْمٍ
 كَانِي مَخِيطٌ يَكْسُو أَنْسَاءً
 أَخَافَتْهُمْ مِنَ الْبَارِي ذُنُوبُ
 جَنَى فَاَنَا عَلَيَّ يَدٍ مَنْ أَتُوبُ
 تُضِيءُ لَهُمْ وَيَحْرِقُهَا اللَّهَيْبُ
 وَجِسْمِي مِنْ مَلَائِسِهِ سَلِيبُ

(١) انظر السير : (عطاء السليمي) ٦/٨٦-٨٨ ، وانظر النزهة : ٦/٦٣٤ .

(٢) انظر السير : (محمد بن واسع) ٦/١١٩-١٢٣ ، وانظر النزهة : ٥/٦٣٨ .

(٣) انظر السير : (محمد بن واسع) ٦/١١٩-١٢٣ ، وانظر النزهة : ٨/٦٣٨ .

(٤) انظر السير : (عُبَيْة الغلام) ٧/٦٢-٦٣ ، وانظر النزهة : ١٠/٦٧٦ .

(٥) انظر السير : (ثَعْلَب) ١٤/٥-٧ ، وانظر النزهة : ٢/١١٢١ .

(٦) سورة التوبة ، الآية : ٣٤ .

(٧) انظر السير : (اليونيني) ٢٢/١٠١-١٠٣ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٦٩ .

(٨) انظر السير : (ابن البَلِّ) ٢٢/٧٥-٧٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٦٦ .

(ج) ذِكْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

١- فَائِدَةُ الذِّكْرِ :

عن أَبِي جَعْفَرِ الْبَاقِرِ قَالَ : الصَّوَاعِقُ تُصِيبُ الْمُؤْمِنَ وَغَيْرَ الْمُؤْمِنِ ، وَلَا تُصِيبُ الذَّاكِرَ^(١) .

٢- كَيْفَ يَتَعَوَّدُ الْإِنْسَانُ الذِّكْرَ :

قال مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِي : أَقْبَلَ عَلَيْنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ فَقَالَ : يَا فِثْيَانُ أُخْبِرْكُمْ لَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَنْتَفَعَ بِهِ كُنْتُ وَأَنَا غُلَامٌ أُخْتَلِفُ إِلَى السُّوقِ فَإِذَا انْقَلَبْتُ إِلَى الْبَيْتِ ، جَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ أذْكَرَ اللَّهَ إِلَى مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ، فَإِذَا بَلَغْتُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ ، جَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ أذْكَرَ اللَّهَ كَذَا وَكَذَا حَتَّى آتِيَ الْمَنْزِلَ^(٢) .

٣- مَتَى يُعَدُّ الْإِنْسَانُ ذَاكِرًا لِلَّهِ :

عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : إِنَّ الْخَشْيَةَ أَنْ تَخْشَى اللَّهَ حَتَّى تَحُولَ خَشْيَتِكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ ، فَتَلِكِ الْخَشْيَةُ ، وَالذِّكْرُ طَاعَةُ اللَّهِ ، فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ ، فَقَدْ ذَكَرَهُ ، وَمَنْ لَمْ يُطِعْهُ فَلَيْسَ بِذَاكِرٍ وَإِنْ أَكْثَرَ التَّسْبِيحَ وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ^(٣) .

٤- أَقْوَالٌ جَمِيلَةٌ تَحُثُّ عَلَى الذِّكْرِ :

رَوَى مِسْعَرٌ عَنْ ابْنِ عَوْنٍ قَالَ : ذَكَرُ النَّاسِ دَاءٌ ، وَذِكْرُ اللَّهِ دَوَاءٌ .

قال الإمامُ الذَّهَبِيُّ : إِي وَاللَّهِ ، فَالْعَجَبُ مِنَّا وَمَنْ جَهَلْنَا كَيْفَ نَدْعُ الدَّوَاءَ وَنَقْتَحِمُ الدَّاءَ ؟! قالَ تَعَالَى : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكَرْكُمْ ﴾^(٤) ، وقالَ : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾^(٥) ، وقالَ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^(٦) ، ولكن

(١) انظر السير : (أبو جعفر الباقر) ٤/٤٠١-٤٠٩ ، وانظر النزاهة : ٦/٥٢٣ .

(٢) انظر السير : (داود بن أبي هند) ٦/٣٧٦-٣٧٩ ، وانظر النزاهة : ١/٦٥٩ .

(٣) انظر السير : (سعيد بن جبیر) ٤/٣٢١-٣٤٣ ، وانظر النزاهة : ٨/٥٠٥ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٥٢ .

(٥) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٥ .

(٦) سورة الرعد ، الآية : ٢٨ .

لا يَتِهَيَّأُ ذَلِكَ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَمَنْ أَدْمَنَ الدُّعَاءَ وَلَا زَمَ قَرَعَ الْبَابِ فَتُحَّ له .

وقد كان ابنُ عَوْنٍ قد أوتِيَ حِلْمًا وَعِلْمًا وَنَفْسَهُ زَكِيَّةً تُعِينُ عَلَى التَّقْوَى فَطَوَّبَى لَهُ (١) .

وقالَ عبدُ اللَّهِ بنُ مُحَمَّدٍ الكَرْمَانِي : دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ ، فَقُلْتُ : كَأَنَّكَ تَكْرَهُ مُجَالَسَةَ النَّاسِ قَالَ : أَجَلٌ ، كَيْفَ اسْتَوْحِشُ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا جَلِيسٌ مَنْ ذَكَرَنِي (٢) ؟!

وقالَ إبراهيمُ بنُ عَلِيِّ المُرَيْدِيِّ : سَمِعْتُ أَبَا حَمْزَةَ يَقُولُ : مِنَ المُمَحَّالِ أَنْ تُحِبَّهُ ثُمَّ لَا تَذْكُرُهُ ، وَأَنْ تَذْكُرَهُ ثُمَّ لَا يُوجِدُكَ طَعْمَ ذِكْرِهِ ، وَيُشْعَلُكَ بِغَيْرِهِ (٣) .

٥- تَقْيِيدُ الذِّكْرِ بَعْدَ مُعَيَّنٍ :

عن ابنِ حَلِيسٍ : قِيلَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ - وَكَانَ لَا يَفْتَرُّ مِنَ الذِّكْرِ - كَمْ تُسَبِّحُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ؟ قَالَ : مِئَةَ أَلْفٍ ، إِلَّا أَنْ تُخْطِئَ الأَصَابِعَ (٤) .

وعن عِكْرَمَةَ : أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُسَبِّحُ كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ تَسْبِيحَةٍ ، يَقُولُ : أُسَبِّحُ بِقَدْرِ دِيَّتِي .

عن حُمَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حُثَيْمٍ ، قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي أَرْضِهِ بِالْعَقِيقِ ، فَأَتَاهُ قَوْمٌ ، فَزَكَّوْا عِنْدَهُ قَالَ حُمَيْدٌ : فَقَالَ : اذْهَبْ إِلَى أُمِّي ، فَقُلْ : إِنَّ ابْنَكَ يُقَرِّئُكَ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ : أَطْعَمِينَا شَيْئًا قَالَ : فَوَضَعَتْ ثَلَاثَةَ أَقْرَاصٍ فِي الصَّحْفَةِ ، وَشَيْئًا مِنْ زَيْتٍ وَمِلْحٍ وَوَضَعَتْهَا عَلَى رَأْسِي ، فَحَمَلْتُهَا إِلَيْهِمْ .

فَلَمَّا وَضَعَتْهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، كَبَّرَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَشْبَعَنَا مِنَ العُجْبِ ، بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ طَعَامُنَا إِلَّا الأَسْوَدَيْنِ : التَّمْرُ وَالمَاءُ .

فَلَمْ يُصِبِ القَوْمُ مِنَ الطَّعَامِ شَيْئًا ، فَلَمَّا انصَرَفُوا قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، أَحْسِنْ إِلَى غَنَمِكَ ، وَامسَحْ عَنْهَا الرُّعَامَ ، وَأَطْلُبْ مُرَاحَهَا ، وَصَلِّ فِي نَاحِيَّتِهَا ، فَإِنَّهَا مِنْ دَوَابِّ

(١) انظر السير : (عبد الله بن عون) ٦ / ٣٦٤ - ٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٥ / ٦٥٧ .

(٢) انظر السير : (محمد بن النضر) ٨ / ١٧٥ - ١٧٦ ، وانظر النزهة : ٧ / ٧٤١ .

(٣) انظر السير : (أبو حمزة البغدادي) ١٣ / ١٦٥ - ١٦٨ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٠٦٧ .

(٤) انظر السير : (أبو الدرداء) ٢ / ٣٣٥ - ٣٥٣ ، وانظر النزهة : ٢ / ٢٧٢ .

الْحِجَّةَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَكُونُ الثَّلَاةُ مِنَ الْغَنَمِ أَحَبُّ إِلَى صَاحِبِهَا مِنْ دَارِ مَرْوَانَ^(١) ، ^(٢) .

٦- ذِكْرُ الْمَلَائِكَةِ لِلَّهِ :

عَنْ هَارُونَ بْنِ رِثَابٍ ، قَالَ : حَمَلَتُ الْعَرْشَ ثَمَانِيَةَ ، يَتَجَاوَبُونَ بِصَوْتِ رَحِيمٍ حَسَنٍ ، يَقُولُ أَرْبَعَةً : سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَلَى حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ وَيَقُولُ الْآخَرُونَ : سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَلَى عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ^(٣) .

٧- حَالُ السَّلَفِ مَعَ الذِّكْرِ :

وَقِيلَ : كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ حَتَّى مَعَ الصَّبِيَّانِ ، وَيَقُولُ : اذْكُرِ اللَّهَ حَتَّى يَرَى الْجَاهِلُ أَنَّكَ مَجْنُونٌ^(٤) .

وَقَالَ قُرَّةٌ : كَانَ هِجْرِي^(٥) . الضَّحَّاكُ إِذَا سَكَتَ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ^(٦) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ : وَقَصَّ إِنْسَانٌ شَارِبَ مَعْرُوفٍ ، فَلَمْ يَفْتَرِ عَنِ الذِّكْرِ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَقْصُ ؟ قَالَ : أَنْتَ تَعْمَلُ وَأَنَا أَعْمَلُ^(٧) .

وَقَالَ زَكَرِيَّا بْنُ دَلْوَيْهِ : كَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ إِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ الْحَجَّامِ لِيُخْفِي شَارِبَهُ ، يُسَبِّحُ ، فَيَقُولُ لَهُ الْحَجَّامُ : اسْكُتْ سَاعَةً ، فَيَقُولُ : اَعْمَلْ أَنْتَ عَمَلَكَ ، وَرُبَّمَا قَطَعَ مِنْ شَفَتِهِ ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ^(٨) .

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ ، أَخُو نِظَامِ الْمَلِكِ : كَانَ أَبُو الْحَسَنِ الدَّائُودِيُّ

(١) الرُّعَامُ : مَخَاطُ رَقِيقٍ يَجْرِي مِنْ أَنْوْفِ الْغَنَمِ ، وَأَطْبُ مَرَاحِمُهَا : نَظْفُهُ ، وَالثَّلَاةُ : جَمَاعَةٌ مِنَ الْغَنَمِ ، قَلِيلَةٌ كَانَتْ أَوْ كَثِيرَةٌ ، وَقِيلَ ، الثَّلَاةُ : الْكَثِيرُ مِنْهَا .

(٢) انظر السير : (أبو هريرة) ٥٧٨/٢ - ٦٣٢ ، وانظر النزاهة : ١/٣١٢ .

(٣) انظر السير : (هارون بن رثاب) ٥/٢٦٣-٢٦٤ ، وانظر النزاهة : ٣/٦٠٠ .

(٤) انظر السير : (أبو مسلم الخولاني) ٤/٧-١٤ ، وانظر النزاهة : ٣/٤٣١ .

(٥) الهجير والهجيرى : الدأب والعادة والديدن .

(٦) انظر السير : (الضحَّاكُ بن مَرَّاحِمِ) ٤/٥٩٨-٦٠٠ ، وانظر النزاهة : ٥/٥٦٦ .

(٧) انظر السير : (معرُوفُ الكرخي) ٩/٣٣٩-٣٤٥ ، وانظر النزاهة : ٥/٨٢٦ .

(٨) انظر السير : (أحمد بن حرب) ١١/٣٢-٣٥ ، وانظر النزاهة : ٥/٩٠٥ .

لَا تَسْكُنُ شَفْتَهُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، فَحَكِي أَنْ مُزِينًا أَرَادَ قَصَّ شَارِبِهِ ، فَقَالَ : سَكَّنُ شَفْتَيْكَ ، قَالَ : قُلْ لِلزَّمَانِ حَتَّى يَسْكُنَ (١) .

٨- رُؤْيَا تَحُتُّ عَلَى الذِّكْرِ :

قَالَ ابْنُ السَّمَّكَ : رَأَيْتُ مِسْعَرًا فِي النَّوْمِ ، فَقُلْتُ : أَيُّ الْعَمَلِ وَجَدْتَ أَنْفَعُ ؟ قَالَ : ذِكْرُ اللَّهِ ، تُوْفِّي سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَةً (٢) .

(٨) مِنْ أَسْبَابِ مَوْتِ الْقَلْبِ

(أ) الذُّنُوبُ :

١- ذُلُّ الذُّنُوبِ :

رُويَ عَنْ سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيِّ قَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُصْبِحُ وَعَلَيْهِ مَذَلَّتُهُ .
تُوْفِّي سُلَيْمَانُ التَّمِيمِيُّ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَةً ، ابْنُ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً (٣) .

٢- صُعُوبَةُ تَرْكِ الذُّنُوبِ لِمَنْ لَمْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ :

عَنْ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ ، قَالَ : مِسْكِينٌ ابْنُ آدَمَ ، قَلَعُ الْأَحْجَارِ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ تَرْكِ الْأَوْزَارِ (٤) .

٣- مَنْ نَدَّرَتْ ذُنُوبُهُ :

عَنْ خَارِجَةَ بْنِ مُصْعَبٍ قَالَ : صَحِبْتُ ابْنَ عَوْنٍ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، فَمَا أَعْلَمُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَتَبَتْ عَلَيْهِ خَطِيئَةً .

وَعَنْ سَلَامِ بْنِ أَبِي مُطِيعٍ قَالَ : كَانَ ابْنُ عَوْنٍ أُمْلَكَهُمْ لِلِسَانِهِ (٥) .

-
- (١) انظر السير : (الدَّوودِي) ٢٢٢/١٨-٢٢٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٠٦ .
 - (٢) انظر السير : (مِسْعَر) ١٦٣/٧-١٧٣ ، وانظر النزهة : ٢/٦٩٠ .
 - (٣) انظر السير : (سُلَيْمَانُ بْنُ طَرْخَانَ) ١٩٥/٦-٢٠٢ ، وانظر النزهة : ١/٦٤٢ .
 - (٤) انظر السير : (يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ) ١٦-١٥/١٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٤٧ .
 - (٥) انظر السير : (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَوْنٍ) ٣٦٤-٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٣/٦٥٦ .

٤- معرفة الصالحين أن سبب البلاء الذنوب :

عن مُحَمَّد بن سيرين قال : قُلْتُ لِرَجُلٍ : يا مُفْلِسُ ، فعُوبِتُ .
قال أبو سُلَيْمان الدَّاراني ، وبلَّغَه هذا فقال : قُلْتُ ذُنُوبُ القَوْمِ فعَرَفُوا من أَيْنَ
كُتُوا ، وكَثُرَتْ ذُنُوبُنَا فلمَ نَدْر من أَيْنَ نُوتَى^(١) .

وقال الفِرْيَابِيُّ : سَمِعْتُ الأوزاعيَّ وسُفيانَ الثَّوريَّ يَقولان : لَمَّا أَلْقِيَ دَانِيالُ في الجُبِّ
مع السَّبَّاعِ ، قال : إِلَهِي ! بالعارِ والخِزْيِ الذي أَصَبْنَا سَلَطَتْ عَلَيْنَا مَنْ لا يَعْرِفُكَ^(٢) .
ورُوِيَ عن وَكيعِ أَنَّ رَجُلًا أَغْلَظَ له ، فَدَخَلَ بَيْتًا ، فَعَفَّرَ وَجْهَهُ ثم خَرَجَ إلى الرَّجُلِ ،
فقال : زِدْ وَكيعاً بَدَنِيهِ ، فَلَوْلَاهُ ما سَلَطَتْ عَلَيْهِ^(٣) .

وقال ابنُ فارس : سَمِعْتُ القَطَّانَ يَقولُ : أُصِبتُ ببَصْرِي ، وَأظنُّ أَنِّي عُوِبتُ بكثْرَةِ
كَلَامِي أَيَّامَ الرِّحْلَةِ^(٤) .

قال الذهبيُّ : صَدَقَ اللهُ ، فقد كانوا مع حُسْنِ القَصْدِ ، وصِحَّةِ النِّيَّةِ - غالباً -
يَخافونَ من الكَلَامِ ، وإظهارِ المَعْرِفَةِ والفضيلةِ ، واليومَ يُكثرونَ الكَلَامَ مع نَقْصِ
العِلْمِ ، وسوءِ القَصْدِ ، ثمَّ إِنَّ اللهَ يَفْضَحُهُمْ وَيُلَوِّحُ جَهْلَهُمْ وهَوَاهُمَ واضطرابُهُم فيما
عَلِمُوهُ فَنَسَأَلُ اللهُ التَّوفيقَ والإِخْلَاصَ .

تُوفِّيَ هذا الإمامُ في سَنَةِ خَمْسِ وأربَعينَ وثلاثِ مئةٍ^(٥) .

(ب) المَعاصِي :

١- أَقسامُ المَعاصِي :

من كَلَامِ مُحَمَّد بنِ نَصْرٍ قالَ : لَمَّا كانتِ المَعاصِي بَعْضُها كُفْراً وبَعْضُها ليسَ بكُفْرٍ ،
فَرَّقَ تَعَالَى بَيْنَها ، فَجَعَلَهَا ثلاثَةَ أنواعٍ : فَنوعٌ منها كُفْرٌ ، ونوعٌ منها فُسُوقٌ ، ونوعٌ منها

(١) انظر السير : (مُحَمَّد بن سيرين) ٦٠٦/٤ - ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٧/٥٦٩ .

(٢) انظر السير : (سُفيان الثَّوري) ٢٢٩/٧ - ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٣/٦٩٩ .

(٣) انظر السير : (وَكيع) ١٤٠/٩ - ١٦٨ ، وانظر النزهة : ٣/٨١١ .

(٤) انظر السير : (القَطَّان) ٤٦٣/١٥ - ٤٦٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٥٠ .

(٥) انظر السير : (القَطَّان) ٤٦٣/١٥ - ٤٦٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٥٠ .

عُضِيَانُ لَيْسَ بِكَفْرٍ وَلَا فُسُوقٍ ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ كَرَّهَا كُلَّهَا إِلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَمَّا كَانَتِ الطَّاعَاتُ كُلَّهَا دَاخِلَةً فِي الْإِيمَانِ ، وَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ خَارِجٌ عَنْهُ ، لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهَا ، فَمَا قَالَ : حَبَّبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَالْفَرَائِضَ وَسَائِرَ الطَّاعَاتِ ، بَلْ أَجْمَلَ ذَلِكَ فَقَالَ : ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ ﴾ ^(١) فَدَخَلَ فِيهِ جَمِيعُ الطَّاعَاتِ ، لِأَنَّهُ قَدْ حَبَّبَ إِلَيْهِمُ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ ، وَسَائِرَ الطَّاعَاتِ حُبًّا تَدَيُّنًا ، وَيَكْرَهُونَ الْمَعَاصِيَ كَرَاهِيَةً تَدَيُّنًا ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَرَّتُهُ حَسَنَتُهُ ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ » ^(٢) .

٢- التَّحْذِيرُ مِنَ الْمَعَاصِي :

قَالَ شُعَيْبُ بْنُ حَرْبٍ : قَالَ عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ : يَا أَهْلَ مَعَاصِي اللَّهِ ، لَا تَغْتَرُّوا بِطَوْلِ حِلْمِ اللَّهِ عَنْكُمْ ، وَاحْذَرُوا أَسْفَهَهُ ، فَإِنَّهُ قَالَ : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ ^(٣) ، ^(٤) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ : وَلَا بِي جَعْفَرٍ فِي تَأْلِيفِهِ عِبَارَةً وَبِلَاغَةً ، فَمِمَّا قَالَهُ فِي كِتَابِ : « الْأَدَابُ النَّفْسِيَّةُ وَالْأَخْلَاقُ الْحَمِيدَةُ » : الْقَوْلُ فِي الْبَيَانِ عَنِ الْحَالِ الَّذِي يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ مُرَاعَاةَ حَالِهِ فِيمَا يَصْدُرُ مِنْ عَمَلِهِ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ ، قَالَ : إِنَّهُ لَا حَالَةَ مِنْ أَحْوَالِ الْمُؤْمِنِ يَغْفُلُ عَدُوَّهُ الْمُوَكَّلُ بِهِ عَنْ دُعَائِهِ إِلَى سَبِيلِهِ ، وَالْقُعُودِ لَهُ رَصْدًا بِطَرُقِ رَبِّهِ الْمُسْتَقِيمَةِ ، صَادِقًا لَهَا عَنْهَا ، كَمَا قَالَ لِرَبِّهِ - عَزَّ ذِكْرُهُ - إِذْ جَعَلَهُ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ : ﴿ قَالَ فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَنْبَهُنَّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ ^(٥) .

طَمَعًا مِنْهُ فِي تَصْدِيقِ ظَنِّهِ عَلَيْهِ إِذْ قَالَ لِرَبِّهِ : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(٦) .

(١) سورة الحجرات ، الآية : ٧ .

(٢) انظر السير : (محمد بن نصر) ٣٣/١٤ - ٤٠ ، وانظر النزهة : ٣/١١٢٥ .

(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٥٥ .

(٤) انظر السير : (عمر بن ذر) ٦/٣٨٥ - ٣٩٠ ، وانظر النزهة : ٥/٦٦٠ .

(٥) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٦ ، ١٧ .

(٦) سورة الإسراء ، الآية : ٦٢ .

فَحَقَّ عَلَى كُلِّ ذِي حِجَى أَنْ يُجْهَدَ نَفْسَهُ فِي تَكْذِيبِ ظَنِّهِ ، وَتَخْيِيبِهِ مِنْهُ أَمَلَهُ وَسَعِيَهُ
فِيمَا أَرْغَمَهُ ، وَلَا شَيْءَ مِنْ فِعْلِ الْعَبْدِ فِي مَكْرُوهِهِ مِنْ طَاعَتِهِ رَبَّهُ وَعِصْيَانِهِ أَمْرَهُ وَلَا شَيْءَ
أَسْرَأَ إِلَيْهِ مِنْ عِصْيَانِهِ رَبَّهُ ، وَاتَّبَاعِهِ أَمْرَهُ .

فَكَلَامُ أَبِي جَعْفَرٍ مِنْ هَذَا النَّمَطِ ، وَهُوَ كَثِيرٌ مُفِيدٌ^(١) .

٣- الْحَثُّ عَلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي :

عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قَالَ : يَا ابْنَ آدَمَ ، وَاللَّهِ إِنْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ثُمَّ آمَنْتَ بِهِ لِيَطُولَنَّ فِي
الدُّنْيَا حُزْنُكَ ، وَلَيْسْتَدَنَّ فِي الدُّنْيَا خَوْفُكَ ، وَلَيَكْثُرَنَّ فِي الدُّنْيَا بُكَاءُكَ^(٢) .

قَالَ الْعِمَادُ : حَدَّثَنِي سَعْدُ الْكَاتِبِ بِمِصْرَ ، قَالَ : كَانَ الْجُوْنِيُّ صَدِيقِي ، وَكَانَ
يَشْرَبُ الْخَمْرَ ، فَحَدَّثَنِي أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ مُصْحَفًا ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ مِجْمَرَةٌ وَقِنِينَةٌ خَمْرٌ ، وَلَمْ
يَكُنْ بِقُرْبِي مَا أُتْدِي بِهِ الدَّوَاةَ فَصَبَبْتُ مِنَ الْقِنِينَةِ فِي الدَّوَاةِ ، وَكَتَبْتُ وَجْهَهُ وَنَسَفْتُهَا عَلَى
الْمِجْمَرَةِ ، فَصَعَدَتْ شَرَارَةٌ أَحْرَقَتْ الْخَطَّ دُونَ بَقِيَّةِ الْوَرَقَةِ ، فَرَعَبْتُ وَقُمْتُ ، وَغَسَلْتُ
الدَّوَاةَ وَالْأَقْلَامَ ، وَتُبْتُ إِلَى اللَّهِ .

مَاتَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسٍ مِئَةٍ^(٣) .

٤- عَاقِبَةُ الْمَعَاصِي :

عَنِ ابْنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمَّا فَتَحَتْ قَبْرَسَ مُرٍّ بِالسَّبْيِ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ
فَبَكَى ، فَقُلْتُ لَهُ : تَبْكِي فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ ؟ قَالَ :
يَا جُبَيْرُ ، بَيْنَا هَذِهِ الْأُمَّةَ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ إِذْ عَصَوْا اللَّهَ ، فَلَقُوا مَا تَرَى مَا أَهْوَنَ الْعِبَادَةِ
عَلَى اللَّهِ إِذَا هُمْ عَصَوْهُ^(٤) .

(١) انظر السير : (محمد بن جرير) ٢٦٧/١٤ - ٢٨٢ ، وانظر النزاهة : ٥/١١٥٢ .

(٢) انظر السير : (الحسن البصري) ٥٦٣/٤ - ٥٨٨ ، وانظر النزاهة : ٦/٥٦٠ .

(٣) انظر السير : (الجويني) ٢١/٢٣٣ - ٢٣٤ ، وانظر النزاهة : ٢/١٦١٥ .

(٤) انظر السير : (أبو الدرداء) ٢/٣٣٥ - ٣٥٣ ، وانظر النزاهة : ١/٢٧٣ .

٥- المَعَاصِي بَرِيدُ الْكُفْرِ :

قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو حَفْصِ النَّيْسَابُورِيِّ : الْمَعَاصِي بَرِيدُ الْكُفْرِ ، كَمَا أَنَّ الْحُمَى بَرِيدُ الْمَوْتِ (١) .

٦- تَرَكَ الْمَعَاصِي شَدِيدٌ ، وَفَعَلَ الطَّاعَاتِ هَيِّنٌ :

عَنْ أَبِي حَامِدٍ الْغَزَّالِيِّ قَالَ : اعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ شَطْرَانِ : أَحَدُهُمَا تَرَكَ الْمَنَاهِي ، وَالْآخَرُ فَعَلَ الطَّاعَاتِ ، وَتَرَكَ الْمَنَاهِي هُوَ الْأَشَدُّ ، وَالطَّاعَاتُ يَقْدِرُ عَلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ ، وَتَرَكَ الشَّهَوَاتِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا الصَّادِقُونَ ، وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ هَوَاهُ » (٢) .

٧- عَاقِبَةُ التَّحَبُّبِ إِلَى الْعِبَادِ بِالْمَعَاصِي :

قَالَ الْإِمَامُ سَعِيدُ بْنُ الْحَدَّادِ : مَنْ طَالَتْ صُحْبَتُهُ لِلدُّنْيَا وَلِلنَّاسِ فَقَدْ ثَقُلَ ظَهْرُهُ خَابَ السَّالُونَ عَنْ اللَّهِ الْمُتَنَعِّمُونَ بِالدُّنْيَا ، مَنْ تَحَبَّبَ إِلَى الْعِبَادِ بِالْمَعَاصِي بَغَّضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ (٣) .

٨- الْمَعَاصِي تَجْلِبُ بَغْضَ اللَّهِ وَالْعِبَادِ :

عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى ، قَالَ : كَتَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى مَسْلَمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ : سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمَلَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ أَبْغَضَهُ اللَّهُ ، فَإِذَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ بَغَّضَهُ إِلَى عِبَادِهِ (٤) .

* * *

(١) انظر السير : (أبو حفص النيسابوري) ١٢/٥١٠-٥١٣ ، وانظر النزاهة : ٢/١٠٢٥ .

(٢) انظر السير : (الغزالي) ١٩/٣٢٢-٣٤٦ ، وانظر النزاهة : ١/١٤٨٤ .

(٣) انظر السير : (ابن الحداد) ١٤/٢٠٥-٢١٤ ، وانظر النزاهة : ٢/١١٤٦ .

(٤) انظر السير : (أبو الدرداء) ٢/٣٣٥-٣٥٣ ، وانظر النزاهة : ١/٢٧١ .

(٩) حَاجَاتُ الْإِنْسَانِ الضَّرُورِيَّةِ وَحَالُ الصَّالِحِينَ مَعَهَا

(أ) الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ :

١- الْجُوعُ غَيْرُ الْمُفْرِطِ وَفَائِدَتُهُ :

قال أبو بكر المَرُوزِيُّ : سَمِعْتُ بِشْرَ بْنَ الْحَارِثِ يَقُولُ : الْجُوعُ يُصَنِّفِي الْفُؤَادَ ،
وَيُمَيِّتُ الْهَوَى ، وَيُورِثُ الْعِلْمَ الدَّقِيقَ ^(١) .

٢- الْجُوعُ الْمُفْرِطُ وَعَاقِبَتُهُ :

قال مَكِّيُّ بْنُ عُمَرَ الْبَيْعِ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَيْسَى يَقُولُ : صَامَ طَاهِرٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا
أَرْبَعِينَ مَرَّةً ، فَأَخَّرُ أَرْبَعِينَ عَمَلَهَا صَامٌ عَلَى قِشْرِ الدُّخْنِ ، فَلْيَيْسِهِ قَرَعَ رَأْسُهُ ، وَاخْتَلَطَ
فِي عَقْلِهِ ، وَلَمْ أَرْ أَكْثَرَ مُجَاهِدَةً مِنْهُ .

قال الإمامُ الذَّهَبِيُّ : فِعْلُ هَذِهِ الْأَرْبَعِينَاتِ حَرَامٌ قَطْعًا ، فَعُقْبَاهَا مَوْتُ مِنَ الْخَوَرِ ،
أَوْ جُنُونٌ وَاخْتِلَاطٌ ، أَوْ جَفَافٌ يُوجِبُ لِلْمَرْءِ سَمَاعَ خِطَابٍ لَا وُجُودَ لَهُ أَبَدًا فِي الْخَارِجِ
فَيَظُنُّ صَاحِبُهُ أَنَّهُ خِطَابٌ إِلَيَّ ^(٢) ، كَلَا وَاللَّهِ .

وقال ابنُ زَيْرِكَ : حَضَرْتُ مَجْلِسًا ذَكَرَ فِيهِ الْجِصَّاصُ ، فَبَعْضُهُمْ نَسَبَهُ إِلَى الرِّزْدَقَةِ ،
وَبَعْضُهُمْ نَسَبَهُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ .

وقيل : كَانَ تَرَكَ اللَّحْمَ وَالْخُبْزَ ، فَحُوقِقَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِذَا أَكَلْتُهَا طَلَبْتَنِي
نَفْسِي بِتَقْبِيلِ أَمْرَدٍ مَلِيحٍ .

وَكَانَ عَلَيْهِ قَمَلٌ مَفْرُطٌ ، وَلَا يَقْتُلُهُ ، وَيَقُولُ : لَا يُؤْذِينِي .

(١) انظر السير : (بشر بن الحارث) ٤٦٩-٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٣/٨٨٥ .

(٢) أي إلهي ، فقد جاء في اللسان : الإلُّ : الله عزَّ وجلَّ ، والمعنى أنه مما يوسوس له يخيل إليه أنه يسمع كلاماً ويظنُّ أن الله يُخاطبُه به .

تُوْفِي سنة ثمان عشرة وأربع مئة ، وقَبْرُهُ يُزارُ بِهَمْدَان^(١) .

وقَالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الأُبْهَرِيِّ : وَقِيلَ إِنَّهُ عَمَلَ لَهُ خَلْوَةً ، فَبَقِيَ خَمْسِينَ يَوْمًا لَا يَأْكُلُ شَيْئًا وَقَدْ قَلْنَا : إِنَّ هَذَا الجُوعَ المُفْرِطَ لَا يَسُوغُ ، فَإِذَا كَانَ سَرْدُ الصَّيَامِ وَالوَصَالِ قَدْ نَهِيَ عَنْهُمَا ، فَمَا الظَّنُّ وَقَدْ قَالَ نَبِيْنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الصَّجِيعُ ؟ » ثُمَّ قَلَّ مِنْ عَمَلِ هَذِهِ الخَلَوَاتِ المُبْتَدَعَةِ إِلَّا وَاضْطَرَبَ ، وَفَسَدَ عَقْلُهُ ، وَجَفَّ دِمَاغُهُ ، وَرَأَى مَرَأَى ، وَسَمِعَ خِطَابًا لَا وُجُودَ لَهُ فِي الخَارِجِ ، فَإِنْ كَانَ مُتَمَكِّنًا مِنَ العِلْمِ والإِيمَانِ ، فَلَعَلَّهُ يَنْجُو بِذَلِكَ مِنْ تَزَلُّزِ تَوْحِيدِهِ ، وَإِنْ كَانَ جَاهِلًا بِالسُّنَنِ وَبِقَوَاعِدِ الإِيمَانِ تَزَلُّزَلِ تَوْحِيدِهِ ، وَطَمَعَ فِيهِ الشَّيْطَانُ ، وَادَّعَى الوُصُولَ ، وَبَقِيَ عَلَى مَرَلَةٍ قَدَمَ ، وَرُبَّمَا تَزَنَّدَقَ ، وَقَالَ : أَنَا هُوَ ، نَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ النَّفْسِ الأُمَّارَةِ وَمِنَ الهَوَى ، وَنَسَأَلُ اللهُ أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْنَا إِيمَانَنَا آمِينَ^(٢) .

٣- الاغتدالُ فِي تَنَاوُلِ المُبَاحَاتِ :

قَالَ مُبَارَكٌ عَنِ الحَسَنِ : دَخَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى ابْنِهِ عَاصِمٍ وَهُوَ يَأْكُلُ لَحْمًا ، فَقَالَ : مَا هَذَا !!؟ قَالَ : قَرِمْنَا^(٣) . إِلَيْهِ ، قَالَ : أَوْكَلَمَا قَرِمْتَ إِلَى شَيْءٍ أَكَلْتَهُ !!؟ ، كَفَى بِالْمَرْءِ سَرَفًا أَنْ يَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَى^(٤) .

٤- مَسَاوِيءُ الشَّبَعِ :

قَالَ شُرْحُبِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنِ عَمْرِو بْنِ الأَسْوَدِ العَنْسِيِّ ، أَنَّهُ كَانَ يَدَعُ كَثِيرًا مِنَ الشَّبَعِ مَخَافَةَ الأَشْر^(٥) .

قَالَ أَبُو عَوَانَةَ الإِسْفَرَايِينِي : حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ : سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ : مَا شَبَعْتُ مِنْذُ

(١) انظر السير : (الجصاص) ١٧/٣٩٠-٣٩٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٤٦ .

(٢) انظر السير : (الأبهري) ١٧/٥٧٦-٥٧٧ ، وانظر النزهة : ٤/١٣٦٥ .

(٣) القرم : شدة الشهوة إلى اللحم .

(٤) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ١/٤٦ .

(٥) انظر السير : (عمرو بن الأسود) ٤/٧٩-٨١ ، وانظر النزهة : ١/٤٤٨ .

سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً إِلَّا مَرَّةً ، فَأَدْخَلْتُ يَدِي فَتَقَيَّأْتُهَا^(١) .

رَوَاهَا ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الرَّبِيعِ ، وَزَادَ : لِأَنَّ الشَّيْخَ يُثْقَلُ الْبَدَنُ ، وَيُقَسِّي الْقَلْبُ وَيُزِيلُ الْفِطْنَةَ ، وَيَجْلِبُ النَّوْمَ ، وَيُضْعِفُ عَنِ الْعِبَادَةِ^(٢) .

٥- مَنْ مَاتَ بِسَبَبِ الطَّعَامِ :

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ : خَرَجَ ابْنُ مَعِينٍ حَاجًّا ، وَكَانَ أَكُولًا فَحَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ شَاهٍ أَنَّهُ كَانَ فِي رَفَقَتِهِ ، فَلَمَّا قَدِمُوا فَيَدُ أَهْدِي إِلَى يَحْيَى فَالْوَدَجَ لَمْ يَنْضُجْ ، فَقُلْنَا لَهُ : يَا أَبَا زَكْرِيَا ، لَا تَأْكُلْهُ فَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ فَلَمْ يَعْبا بِكَلَامِنَا وَأَكَلَهُ ، فَمَا اسْتَقَرَّ فِي مَعَدَتِهِ حَتَّى شَكَا وَجَعَ بَطْنِهِ وَأَنْسَهَلَ ، إِلَى أَنْ وَصَلْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَا نُهُوْضَ لَهُ فَتَفَاوَضْنَا فِي أَمْرِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا سَبِيلٌ إِلَى الْمَقَامِ عَلَيْهِ لِأَجْلِ الْحَجِّ ، وَلَمْ نَذِرْ مَا نَعْمَلُ فِي أَمْرِهِ فَعَزَمَ بَعْضُنَا عَلَى الْقِيَامِ عَلَيْهِ وَتَرَكَ الْحَجَّ وَبِتْنَا فَلَمْ يُصْبِحْ حَتَّى وَصَّى وَمَاتَ ، فَغَسَّلْنَاهُ وَدَفَّنَاهُ .

قَالَ عَبَّاسُ الدُّورِيِّ : مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَحُجَّ عَامَتُدْ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ وَالِي الْمَدِينَةِ ، وَكَلَّمَ الْحِزَامِيَّ الْوَالِيَّ ، فَأَخْرَجُوا لَهُ سَرِيرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ .

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ : مَاتَ يَحْيَى سَنَةً ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ ، وَقَدْ اسْتَوْفَى خَمْسًا وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَدَخَلَ فِي السُّتِّ ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ^(٣) .

٦- مَنْ مَاتَ بِسَبَبِ طَعَامٍ حَارٍّ :

قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْمُنَادِيِّ : مَاتَ أَبُو مُحَمَّدِ ابْنُ قُتَيْبَةَ فُجَاءَةً ، صَاحَ صَبِيحَةً سُمِعَتْ مِنْ بُعْدٍ ، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ أَكَلَ هَرِيْسَةً ، فَأَصَابَ حَرَارَةً ، فَبَقِيَ إِلَى الظُّهْرِ ، ثُمَّ اضْطَرَبَ سَاعَةً ، ثُمَّ هَدَأَ ، فَمَا زَالَ يَتَشَهَّدُ إِلَى السَّحَرِ ، وَمَاتَ - سَامَحَهُ اللَّهُ - وَذَلِكَ سَنَةً سِتِّ وَسَبْعِينَ وَمِئَتِينَ .

(١) انظر السير : (الإمام الشافعي) ١٠/٥-٩٩ ، وانظر النزهة : ٦/٨٤٨ .

(٢) انظر السير : (الإمام الشافعي) ١٠/٥-٩٩ ، وانظر النزهة : ٧/٨٤٨ .

(٣) انظر السير : (يحيى بن معين) ١١/٧١-٩٦ ، وانظر النزهة : ٤/٩١٢ .

والرجُل لیس بصاحبِ حدیثٍ ، وإنما هو من كبارِ العلماءِ المشهورین ، عنده فنونٌ
جمَّةٌ وعلومٌ مهمَّةٌ^(١) .

٧- حرمانُ النَّفسِ من بعضِ الطَّعامِ يُدَلِّلُها :

قِيلَ إِنَّ عُتْبَةَ الْغَلَامِ نازَعَتْه نَفْسُهُ لَحْمًا فَمَا طَلَّهَا سَبْعَ سِنِينَ^(٢) .

٨- التَّحَرِّيُّ فِي الْمَطْعَمِ :

(وَصُورٌ أُخْرَى سَتَجِدُهَا فِي فَهْرَسِ الْوَرَعِ)

قال أحمدُ بنُ شُبوبِه : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قال : أَكَلَ مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ
فَاكْبَهَةً ثُمَّ سَأَلَ فَقِيلَ : هَدِيَّةٌ مِنْ فُلَانَةَ النَّوَّاحَةِ فَقَامَ فَتَقَيَّأَ وَبَعَثَ إِلَيْهِ مَعْنُ وَالِي الْيَمَنِ
بِذَهَبٍ فَرَدَّهُ وَقَالَ لِأَهْلِهِ : إِنْ عَلِمَ بِهَذَا غَيْرُنَا لَمْ يَجْتَمِعْ رَأْسِي وَرَأْسُكَ أَبَدًا .
مات مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ^(٣) .

٩- تَقَلُّبُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الطَّعامِ حَالِ الطَّلَبِ :

قال صالحُ جَزْرَةَ : سَمِعْتُ حَجَّاجَ بْنَ الشَّاعِرِ يَقُولُ : جَمَعْتُ لِي أُمَّي مِئَةَ رَغِيفٍ ،
فَجَعَلْتَهَا فِي جِرَابٍ ، وَانْحَدَرْتُ إِلَى شِبَابَةِ بِالْمَدَائِنِ ، فَأَقَمْتُ بِبَابِهِ مِئَةَ يَوْمٍ ، أَعْمِسُ
الرَّغِيفَ فِي دِجْلَةٍ وَأَكُلُهُ ، فَلَمَّا نَفَدَتْ خَرَجْتُ^(٤) .

وقال ابنُ عبدِ كَوَيْهِ : أَخْبَرْتَنَا عاتِكَةُ بنتُ ابنِ أبي عاصِمٍ ، سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ :
خَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ مِنَ الْكُوفَةِ ، فَأَكَلْتُ أَكْلَةً بِالْكُوفَةِ ، وَالثَّانِيَةَ بِمَكَّةَ .
قال الإمامُ الذَّهَبِيُّ : إِسْنَادُهَا صَحِيحٌ .

وكان ابنُ أبي عاصِمٍ مُجَوِّدًا لِلْقِرَاءَةِ ، وَكَانَ يَقُولُ : أَنَا أَقَدَّمُ نَافِعًا فِي الْقِرَاءَةِ ، وَكَانَ
يَقُولُ : مَا بَقِيَ أَحَدٌ قَرَأَ عَلَى رُوحِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ غَيْرِي - يَعْنِي صَاحِبَ يَعْقُوبَ -^(٥) .

(١) انظر السير : (ابنُ قُتَيْبَةَ) ١٣/٢٩٦-٣٠٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٨٨ .

(٢) انظر السير : (عُتْبَةُ الْغَلَامِ) ٧/٦٢-٦٣ ، وانظر النزهة : ٦/٦٧٦ .

(٣) انظر السير : (مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ) ٧/٥-١٨ ، وانظر النزهة : ٦/٦٧١ .

(٤) انظر السير : (حَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ) ١٢/٣٠١-٣٠٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٠٢ .

(٥) انظر السير : (ابنُ أبي عاصِمٍ) ١٣/٤٣٠-٤٣٩ ، وانظر النزهة : ٤/١٠٩٨ .

١٠- صُورٌ مِنَ التَّقَلُّلِ مِنَ الطَّعَامِ :

عن نافع قال : إن كان ابنُ عمرَ ليُفَرِّقَ في المَجْلِسِ ثلاثين ألفاً ، ثم يأتي عليه شهرٌ ما يأكلُ مُزْعَةً^(١) . لحم^(٢) .

وعن حمزة بن عبد الله بن عمر قال : لو أن طعاماً كثيراً كان عند أبي ما شبع منه بعد أن يجده له أكلاً ، فعاده ابنُ مطيع ، فراه قد نحل جسمه فكلمه ، فقال : إنه ليأتي عليّ ثمان سنين ، ما أشبع فيها شبعةً واحدةً أو قال : إلا شبعةً ، فالآن تريد أن أشبع حين لم يبق من عمري إلا ظمءُ حمار^(٣) ،^(٤) .

وعن ابن سيرين ، أن رجلاً قال لابن عمر : أعمل لك جوارش ؟ قال : وما هو ؟ قال : شيءٌ إذا كظك الطعام ، فأصبت منه ، سهّل ، فقال : ما شبعت منذ أربعة أشهر ، وما ذاك أن لا أكون له واجداً ، ولكنني عهدت قوماً يشبعون مرّةً ، ويجوعون مرّةً^(٥) ،^(٦) .

وقال هشام بن حسان : كان قوتُ العلاء بن زياد رغيماً كلَّ يوم^(٧) .

وقال مالك بن دينار : إنه لتأتي عليّ السنّة لا آكلُ فيها لحماً إلا من أضحيتي يوم الأضحى^(٨) .

وعن أبي بشر قال : كان كرز بن ويرة الحارثي من أعبد الناس ، وكان قد امتنع من الطعام ، حتى لم يوجد عليه من اللحم ، إلا بقدر ما يوجد على العصفور ، وكان يطوي أياماً كثيرة ، وكان إذا دخل في الصلاة لا يرفع طرفه يميناً ، ولا شمالاً وكان من

(١) المُزْعَةُ ، بضم الميم : القطعة اليسيرة من اللحم .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن عمر) ٣/٣٠٢-٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٢/٣٦٩ .

(٣) أي شيء يسير ، وخصّ الحمار بذلك ، لأنه أقلُّ الدوابِّ صبراً على الماء .

(٤) انظر السير : (عبد الله بن عمر) ٣/٣٠٢-٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٥/٣٦٩ .

(٥) قوله : « إذا كظك الطعام » ، أي : إذا امتلأت منه وأثقلت .

(٦) انظر السير : (عبد الله بن عمر) ٣/٣٠٢-٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٤/٣٧٠ .

(٧) انظر السير : (العلاء بن زياد) ٤/٢٠٢-٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٥/٤٧٧ .

(٨) انظر السير : (مالك بن دينار) ٥/٣٦٢-٣٦٤ ، وانظر النزهة : ١/٦١٠ .

الْمُحِبِّينَ الْمُحِبِّينَ لِلَّهِ ، قَدْ وَلَهُ مِنْ ذَلِكَ فَرْجًا كَلِمٌ فَيُجِيبُ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنْ شِدَّةٍ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِاللَّهِ ، وَاشْتِيَاقِهِ إِلَيْهِ (١) .

وَحَكَى حَزْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَنَّ ابْنَ عُيَيْنَةَ قَالَ لَهُ - وَأَرَاهُ خُبِزَ شَعِيرٍ - هَذَا طَعَامِي مِنْذُ سِتِّينَ سَنَةً (٢) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ : وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيُّ رُبَّمَا يَأْتِي عَلَيْهِ النَّهَارُ فَلَا يَأْكُلُ رُقَاقَةً ، إِنَّمَا كَانَ يَأْكُلُ أحيانًا لَوْزَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا (٣) .

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرَبِيُّ يَقُولُ : فَرَدُّ عَقْبِي (٤) . صَحِيحٌ وَالْآخِرُ مَقْطُوعٌ ، وَلَا أُحَدِّثُ نَفْسِي أَنِّي أَصْلِحُهَا ، وَلَا شَكْوَتْ إِلَى أَهْلِي وَأَقَارِبِي حُمَى أَجْدُهَا ، لَا يَغْمُ الرَّجُلُ نَفْسَهُ وَعِيَالَهُ ، وَلِي عَشْرُ سِنِينَ أَبْصِرُ بِفَرْدِ عَيْنٍ ، مَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا ، وَأَفْنَيْتُ مِنْ عُمْرِي ثَلَاثِينَ سَنَةً بَرَغِيفِينَ ، إِنْ جَاءَتْنِي بِهِمَا أُمِّي أَوْ أُخْتِي ، وَإِلَّا بَقَيْتُ جَائِعًا إِلَى اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ ، وَأَفْنَيْتُ ثَلَاثِينَ سَنَةً بَرَغِيفٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ، إِنْ جَاءَتْنِي امْرَأَتِي أَوْ بَنَاتِي بِهِ وَإِلَّا بَقَيْتُ جَائِعًا ، وَالآنَ أَكُلُ نِصْفَ رَغِيفٍ ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ تَمْرَةً ، وَقَامَ إِفْطَارِي فِي رَمَضَانَ هَذَا بِدِرْهَمٍ وَدَانِقَيْنِ وَنِصْفٍ (٥) .

١١- تَقَلُّلُ الصَّالِحِينَ مِنَ الطَّعَامِ لَيْسَ - دَائِمًا - بِسَبَبِ الْفَقْرِ :

وَعَنْ ابْنِ سِيرِينَ ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِابْنِ عُمَرَ : أَعْمَلُ لَكَ جَوَارِشَ ؟ قَالَ : وَمَاهُو ؟ قَالَ : شَيْءٌ إِذَا كَطَّكَ الطَّعَامُ ، فَأَصَبْتَ مِنْهُ ، سَهْلٌ ، فَقَالَ : مَا شَبَعْتُ مِنْذُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، وَمَا ذَاكَ أَنْ لَا أَكُونَ لَهُ وَاجِدًا ، وَلَكِنِّي عَهَدْتُ قَوْمًا يَشْبَعُونَ مَرَّةً ، وَيَجُوعُونَ مَرَّةً (٦) ، (٧) .

(١) انظر السير : (كز) ٦/٨٤-٨٦ ، وانظر النزهة : ٥/٦٣٣ .

(٢) انظر السير : (سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ) ٨/٤٥٤-٤٧٥ ، وانظر النزهة : ٢/٧٨٣ .

(٣) انظر السير : (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيُّ) ١٢/٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزهة : ٦/١٠١٦ .

(٤) الْعَقْبُ هُنَا : النَّعْلُ ، عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ .

(٥) انظر السير : (إِبْرَاهِيمُ الْحَرَبِيُّ) ١٣/٣٥٦-٣٧٢ ، وانظر النزهة : ١/١٠٩٥ .

(٦) قَوْلُهُ : « إِذَا كَطَّكَ الطَّعَامُ » ، أَي : إِذَا امْتَلَأَتْ مِنْهُ وَأَثْقَلَكَ .

(٧) انظر السير : (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ) ٣/٣٠٢-٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٤/٣٧٠ .

١٢- الشَّبَعُ مع الضَّيْفِ جائز :

عن مُعَاذِ بْنِ خَالِدٍ : سَمِعْتُ أَبَا حَمَزَةَ السُّكْرِيَّ يَقُولُ : مَا شَبَعْتُ مِنْذِ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِي ضَيْفٌ^(١) .

١٣- الفَرَحُ بالطَّعامِ الطَّيِّبِ :

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَّادِ بْنِ أَبِي حَنيفَةَ : والنُّعْمَانُ بْنُ الْمَرْزِبَانَ والدُّ ثابِتٌ هُوَ الَّذِي أَهْدَى لِعَلِيِّ الْفَالَوْدَجِ فِي يَوْمِ النَّيروزِ فقالَ عَلِيُّ : نَوْرُزُونَا كُلَّ يَوْمٍ ، وَقِيلَ كَانَ ذَلِكَ فِي الْمَهْرَجَانِ ، فقالَ : مَهْرَجُونَا كُلَّ يَوْمٍ^(٢) .

١٤- شُرْبُ العَسَلِ والسَّمَرِ عليه :

عن اللَّيْثِ : كانَ ابْنُ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ يَحْتِمُ حَدِيثَهُ بِدَعَاءِ جَامِعٍ ، يَقُولُ : (اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) وكانَ مِنْ أَسْحَى مَنْ رَأَيْتُ ، كانَ يُعْطِي ، فإذا فَرِغَ ما مَعَهُ يَسْتَلْفُ مِنْ عَيْبِهِ ، يَقُولُ : يا فُلانُ أَسْلَفَنِي كما تَعْرِفُ ، وَأَضْعِفْ لَكَ كما تَعْلَمُ ، وكانَ يُطْعِمُ النَّاسَ الثَّرِيدَ ، وَيَسْقِيهِمُ العَسَلَ ، وكانَ يَسْمُرُ عَلى العَسَلِ كما يَسْمُرُ أَهْلُ الشَّرَابِ عَلى شَرابِهِمُ ، وَيَقُولُ : اسقُونَا وَحَدِّثُونَا وكانَ يُكثِرُ شُرْبَ العَسَلِ ، وَسَمِعْتُهُ يَبْكِي عَلى العِلْمِ بِلِسانِهِ ، وَيَقُولُ : يَذْهَبُ العِلْمُ وَكثِيرٌ مِمَّنْ كانَ يَعمَلُ بِهِ فقلْتُ لَهُ : لو وَضَعْتَ مِنْ عِلْمِكَ عِنْدَ مَنْ تَرَجُّو أَنْ يَكُونَ لَكَ خَلْفاً قالَ : وَاللَّهِ ما نَشَرَ أَحَدٌ العِلْمَ نَشْرِي ، ولا صَبَرَ عَلَيْهِ صَبْرِي ، وَلقد كُنَّا نَجْلِسُ إِلى ابْنِ المَسِيبِ ، فما يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مَنَّا أَنْ يَسْأَلَهُ عَنِ شَيْءٍ نَزَلَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَبْتَدِئَ الحَدِيثَ ، أو يَأْتِي رَجُلٌ يَسْأَلُهُ عَنِ شَيْءٍ قد نَزَلَ بِهِ^(٣) .

(١) انظر السير : (أبو حَمَزَةَ السُّكْرِيَّ) ٧/٣٨٥-٣٨٧ ، وانظر النزهة : ١/٧٠٧ .

(٢) انظر السير : (أبو حَنيفَةَ) ٦/٣٩٠-٤٠٤ ، وانظر النزهة : ١/٦٦٢ .

(٣) انظر السير : (أخبار الزهري) ٥/٣٢٦-٣٥٠ ، وانظر النزهة : ٦/٦٠٦ .

١٥- الجُوعُ بسببِ الفقرِ :

عن ابنِ شِهَابِ الحَنَاطِ قَالَ : بَعَثَتْ أُخْتُ سُفْيَانَ بِجِرَابٍ مَعِيَ إِلَى سُفْيَانَ وَهُوَ بِمَكَّةَ ، فِيهِ كَعُكٌ وَخَشَكَنَانٌ^(١) فَقَدِمْتُ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ لِي : رَبُّمَا قَعَدَ عِنْدَ الكَعْبَةِ مِمَّا يَلِي الحَنَاطِينَ ، فَأَتَيْتُهُ ، فَوَجَدْتُهُ مُسْتَلْقِيًا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يُسَائِلْنِي تِلْكَ المُسَاءَلَةَ ، وَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيَّ كَمَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ فَقُلْتُ : إِنَّ أُخْتَكِ بَعَثَتْ مَعِيَ بِجِرَابٍ ، فَاسْتَوَى جَالِسًا ، وَقَالَ : عَجَّلْ بِهَا فَكَلَّمْتُهُ فِي ذَلِكَ قَالَ : يَا أَبَا شِهَابِ ! لَا تَلْمُنِي ، فَلِي ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ لَمْ أَذُقْ فِيهَا ذَوْقًا ، فَعَدَّرْتُهُ^(٢) .

وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يُصَلِّي بَعْدَ الرِّزَاقِ فَسَهَا ، فَسَأَلَ عَنْهُ عَبْدِ الرِّزَاقِ ، فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَمْ يَأْكُلْ مِنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ شَيْئًا^(٣) .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : بَقِيتُ فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ بِالْبَصْرَةِ ، وَكَانَ فِي نَفْسِي أَنْ أُقِيمَ سَنَةً ، فَانْقَطَعَتْ نَفْقَتِي ، فَجَعَلْتُ أُبِيعُ ثِيَابِي حَتَّى نَقَدْتُ ، وَبَقِيتُ بِلَا نَفَقَةٍ ، وَمَضَيْتُ أَطُوفُ مَعَ صَدِيقٍ لِي إِلَى المَشِيخَةِ ، وَأَسْمَعُ إِلَى المَسَاءِ ، فَانصَرَفَ رَفِيقِي ، وَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي ، فَجَعَلْتُ أَشْرَبُ المَاءَ مِنَ الجُوعِ ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ ، فَعَدَا عَلَيَّ رَفِيقِي ، فَجَعَلْتُ أَطُوفُ مَعَهُ فِي سَمَاعِ الحَدِيثِ عَلَيَّ جُوعٍ شَدِيدٍ ، وَانصَرَفْتُ جَائِعًا ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ العَدِّ ، غَدَا عَلَيَّ فَقَالَ : مُرُّ بِنَا إِلَى المَشَايخِ .

قُلْتُ : أَنَا ضَعِيفٌ لَا يُمَكِّنُنِي قَالَ : مَا ضَعْفُكَ ؟ قُلْتُ : لَا أَكْتُمُكَ أَمْرِي ، قَدْ مَضَى يَوْمَانِ مَا طَعِمْتُ فِيهِمَا شَيْئًا ، فَقَالَ : قَدْ بَقِيَ مَعِيَ دِينَارٌ ، فَيُصَفُّهُ لَكَ ، وَنَجْعَلُ النُّصْفَ الآخَرَ فِي الكِرَاءِ ، فَخَرَجْنَا مِنَ البَصْرَةِ ، وَأَخَذْتُ مِنْهُ النُّصْفَ دِينَارًا^(٤) .

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ : سَمِعْتُ ابْنَ خِرَاشٍ يَقُولُ : شَرِبْتُ بَوْلِي فِي هَذَا الشَّانِ - يَعْنِي الحَدِيثَ - خَمْسَ مَرَّاتٍ .

(١) دقيق القمح إذا عُجِنَ بشيرج ، وُيَسَطُ ومُلَىءَ بالسُّكَّرِ واللُّوزِ والفُسْتَقِ وماءِ الوردِ ، وَجُمِعَ وَخُبِزَ .

(٢) انظر السير : (سُفْيَانَ الثُّورِي) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٢/٦٩٧ .

(٣) انظر السير : (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٢٥ .

(٤) انظر السير : (أَبُو حَاتِمِ الرَّازِي) ١٣/٢٤٧-٢٦٣ ، وانظر النزهة : ٥/١٠٧٥ .

قال أبو نعيم بن عدي : ما رأيتُ أحداً أحفظَ من ابنِ خِرَاشِ .

وقال ابنُ عدي : قد ذُكِرَ بشيءٍ من التشيع ، وأرجو أنه لا يتعمدُ الكذبَ سمعتُ ابنَ عُدَّةَ يقولُ : كان ابنُ خِرَاشِ عندنا إذا كتبَ شيئاً في التشيع يقولُ : هذا لا يَنفِقُ إلَّا عندي وعندك وسمعتُ ابنَ عُبْدَانَ يقولُ : حملَ ابنُ خِرَاشِ إلى بُنْدَارِ عندنا جُزْأَيْنِ صَنَفَهُمَا فِي مِثَالِبِ الشَّيْخِينَ ، فأجازه بألفي درهم ، بُني له بها حُجْرَةٌ ببغداد ليُحَدِّثَ فيها ، فمات حين فرغَ منها .

وقال أبو زُرْعَةَ ، محمدُ بنُ يوسفَ الحافظُ : خرَجَ ابنُ خِرَاشِ مِثَالِبِ الشَّيْخِينَ وكان رافِضياً .

وقال ابنُ عدي : سمعتُ عُبْدَانَ يقولُ : قلتُ لابنِ خِرَاشِ : حديثُ : « ما تَرَكَناه صدقةً » فقال : باطلٌ .

قال الذهبيُّ : هذا مُعْتَرٍ مَخْذُولٌ ، كان عِلْمُهُ وَبِالْأَسْبَابِ ، وَسَعِيهِ ضَلَالاً ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّقَاءِ .

مات سنة ثلاثٍ وثمانين ومئتين^(١) .

وقال الإمامُ الذهبيُّ في تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ : كان مَوْلَدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَتَيْنِ ، وَرَحَلَ مِنْ أَمْلٍ لَمَّا تَرَ عِرْعَ وَحَفِظَ الْقُرْآنَ ، وَسَمَحَ لَهُ أَبُوهُ فِي أَسْفَارِهِ ، وَكَانَ طُولَ حَيَاتِهِ يَمُدُّهُ بِالشَّيْءِ بَعْدَ الشَّيْءِ إِلَى الْبُلْدَانِ ، فَيَقْتَاتُ بِهِ ، وَيَقُولُ فِيمَا سَمِعْتُهُ : أَبْطَأْتُ عَنِّي نَفَقَةٌ وَالِدِي ، وَاضْطَرَرْتُ إِلَى أَنْ فَتَقْتُ كُمِّي قَمِيصِي فَبِعْتُهُمَا^(٢) .

وقال الوُخْشِيُّ يوماً : رَحَلْتُ وَقَاسَيْتُ الدُّلَّ وَالْمِشَاقَّ ، وَرَجَعْتُ إِلَى وَخْشٍ وَمَا عَرَفَ أَحَدٌ قَدْرِي ، فَقُلْتُ : أَمُوتُ وَلَا يَنْتَشِرُ ذِكْرِي ، وَلَا يَتَرَحَّمُ أَحَدٌ عَلَيَّ ، فَسَهَّلَ اللَّهُ ، وَوَفَّقَ نِظَامَ الْمُلْكِ حَتَّى بَنَى هَذِهِ الْمَدْرَسَةَ وَأَجْلَسَنِي فِيهَا أَحَدًا ، لَقَدْ

(١) انظر السير : (ابن خِرَاشِ) ٥٠٨-٥١٠ ، وانظر النزهة : ٢/١١١٢ .
(٢) انظر السير : (محمد بن جَرِيرِ) ٢٦٧-٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٣/١١٥٢ .

كُنْتُ بَعْسَقْلَانَ أَسْمَعُ مِنْ ابْنِ مُصَحَّحٍ ، وَبَقِيْتُ أَيَّاماً بِلَا أَكْلٍ ، فَفَعَدْتُ بِقُرْبِ حَبَّازٍ ،
لَأَشُمَّ رَائِحَةَ الْخُبْزِ وَأَتَقَوَّى بِهَا^(١) .

وَقَالَ السَّمْعَانِيُّ : قَالَ أَصْحَابُنَا بِبَغْدَادَ : كَانَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيرَازِي إِذَا بَقِيَ
مُدَّةً لَا يَأْكُلُ شَيْئاً صَعَدَ إِلَى النَّصْرِيَّةِ وَلَهُ بِهَا صَدِيقٌ ، فَكَانَ يَثْرُدُ لَهُ رَغِيفاً وَيُشْرِبُهُ بِمَاءِ
الْبَاقِلَاءِ ، فَرُبَّمَا صَعَدَ إِلَيْهِ وَقَدِ فَرَّغَ ، فَيَقُولُ أَبُو إِسْحَاقَ : ﴿ تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾^(٢) .

قَالَ الْقَاضِي ابْنُ هَانِيءٍ : إِمَامَانِ مَا اتَّفَقَ لِهَمَا الْحَجُّ ، أَبُو إِسْحَاقَ ، وَقَاضِي الْقَضَاةِ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّامَغَانِي أَمَّا أَبُو إِسْحَاقَ فَكَانَ فَقِيرًا ، وَلَوْ أَرَادَهُ لِحَمَلُوهُ عَلَى الْأَعْنَاقِ ،
وَالْآخِرُ لَوْ أَرَادَ لِأَمْكَنَهُ عَلَى الشُّنْدُسِ وَالْإِسْتَبْرَقِ^(٣) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ : أَقَمْتُ بِتَنْبُوسَ مُدَّةً عَلَى أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْحَدَّادِ وَنُظَرَائِهِ ،
فَضَاقَ بِي فَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ غَيْرُ دِرْهَمٍ ، وَكُنْتُ أَحْتَاجُ إِلَى حَبِيرٍ وَكَأْغَدٍ ، فَتَرَدَّدْتُ فِي صَرْفِهِ
فِي الْحَبِيرِ أَوْ الْكَأْغَدِ أَوِ الْخُبْزِ ، وَمَضَى عَلَيَّ هَذَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ أُطْعَمَ فِيهَا فَلَمَّا كَانَ بُكْرَةَ
الْيَوْمِ الرَّابِعِ ، قَلْتُ فِي نَفْسِي : لَوْ كَانَ لِي الْيَوْمَ كَأْغَدٌ لَمْ يُمَكِّنِي أَنْ أَكْتُبَ مِنَ الْجُوعِ ،
فَجَعَلْتُ الدَّرْهَمَ فِي فَمِي وَخَرَجْتُ لِأَشْتَرِيَ خُبْزًا ، فَبَلَعْتُهُ ، وَوَقَعَ عَلَيَّ الضَّحْكَ ،
فَلَقَيْتَنِي صَدِيقٌ وَأَنَا أَضْحَكُ ، فَقَالَ : مَا أَضْحَكَكَ ؟ قُلْتُ : خَيْرٌ ، فَالْحَ عَلَيَّ ، وَأَبَيْتُ
أَنْ أُخْبِرَهُ ، فَحَلَفَ بِالطَّلَاقِ لِتَصُدُقَنِي ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَأَدْخَلَنِي مَنْزِلَهُ ، وَتَكَلَّفَ أُطْعَمَةً ،
فَلَمَّا خَرَجْنَا لِصَلَاةِ الظُّهْرِ ، اجْتَمَعَ بِهِ بَعْضُ وَكَلَاءِ عَامِلِ تَنْبُوسَ ابْنِ قَادُوسَ ، فَسَأَلَهُ عَنِّي
فَقَالَ : هُوَ هَذَا ، قَالَ : إِنَّ صَاحِبِي مِنْذُ شَهْرٍ أَمَرَ بِي أَنْ أُوْصَلَ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ عَشْرَةَ
دَرَاهِمَ قِيمَتُهَا رِبْعُ دِينَارٍ ، وَسَهْوَتْ عَنْهُ ، فَأَخَذَ مِنْهُ ثَلَاثَ مِئَةِ وَجَاءَ بِهَا .

مَاتَ ابْنُ طَاهِرٍ عِنْدَ قُدُومِهِ مِنَ الْحَجِّ سَنَةَ سَبْعِ وَخَمْسِ مِئَةٍ^(٤) .

(١) انظر السير : (الوَحْشِيُّ) ٣٦٥-٣٦٧ ، وانظر النزهة : ١/١٤٢٣ .

(٢) سورة النَّازِعَاتِ ، آيَةٌ ١٢ .

(٣) انظر السير : (أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيرَازِي) ٤٥٢-٤٦٤ ، وانظر النزهة : ١/١٤٣٠ .

(٤) انظر السير : (مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ) ٣٦١-٣٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٤٨٨ .

وقال ابن هبيرة : جلست مع الزبيدي من بكرة إلى قريب الظهر وهو يلوك شيئاً فسألته ، فقال : نواة أتعلل بها ، لم أجد شيئاً^(١) .

وقال ابن النجار : قرأت بخط أبي بكر عبد الله بن نصر بن حمزة التيمي ، سمعت الشيخ عبد القادر يقول : بلغت بي الضائقة في الغلاء إلى أن بقيت أياماً لا أكل طعاماً ، بل أتبع المنبذات ، فخرجت يوماً إلى الشط ، فوجدت قد سبني الفقراء ، فضعت ، وعجزت عن التماسك فدخلت مسجداً ، وقعدت ، وكدت أصافح الموت ، ودخل شاب أعجمي ومعه خبز وشواء ، وجلس يأكل ، فكنت أكاد كلما رفع لقمه أفتح فمي ، فالتفت فرآني ، فقال : باسم الله ، فأبيت ، فأقسم علي ، فأكلت مقصراً ، وأخذ يسألني ، ما شغلك ؟ ، ومن أين أنت ؟ فقلت : متفقه من جيلان ، قال : وأنا من جيلان ، فهل تعرف لي شاباً جيلانياً اسمه عبد القادر ، يُعرف بسبط أبي عبد الله الصومعي الزاهد ؟ فقلت : أنا هو فاضطرب لذلك ، وتغير وجهه ، وقال : والله يا أخي ، لقد وصلت إلى بغداد ومعني بقية نفقة لي ، فسألت عنك ، فلم يرشدني أحد إلى أن نفذت نفقتي ، وبقيت بعدها ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوتي إلا من مالك ، فلما كان هذا اليوم الرابع قلت : قد تجاوزتني ثلاثة أيام ، وحلت الميتة ، فأخذت من وديعتك ثمن هذا الخبز والشواء ، فكل طيباً ، فإنما هو لك ، وأنا صيفك الآن ، فقلت : وما ذاك ؟ قال : أمك وجهت معي ثمانية دنانير ، والله ما خنتك فيها إلى اليوم ، فسكنته ، وطيبت نفسه ، ودفعت إليه شيئاً منها^(٢) .

وكان اليونيني لا يقوم لأحد تعظيماً لله ولا يدخر شيئاً ، له ثوب خام ، ويلبس في الشتاء فروة ، قد يؤثر بها في البرد ، وكان ريمًا جاعاً ويأكل من ورق الشجر^(٣) .

(١) انظر السير : (الزبيدي) ٣١٦/٢٠-٣١٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٥٤ .

(٢) انظر السير : (الشيخ عبد القادر الجيلاني) ٤٣٩/٢٠-٤٥١ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٧٤ .

(٣) انظر السير : (اليونيني) ١٠١/٢٢-١٠٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٦٩ .

(ب) المَال :

١- أَهْمِيَّةُ المَال :

عن وَهَبِ بْنِ مُنْبَهٍ : الدَّرَاهِمُ خَوَاتِيمُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ ، فَمَنْ ذَهَبَ بِخَاتِمِ اللَّهِ قُضِيَتْ حَاجَتُهُ^(١) .

وقيلَ لأبي الزَّنَادِ : لِمَ تُحِبُّ الدَّرَاهِمَ وَهِيَ تُدْنِيكَ مِنَ الدُّنْيَا ؟ فقالَ : إِنَّهَا وَإِنْ أَدْنَيْتَنِي مِنْهَا ، فَقَدْ صَانَتَنِي عَنْهَا^(٢) .

وقالَ رُوَادُ بْنُ الجَّرَّاحِ : سَمِعْتُ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ : كَانَ المَالُ فِيما مَضَى يُكْرَهُ ، فَأَمَّا اليَوْمُ ، فَهُوَ تُرْسُ المُؤْمِنِ^(٣) .

وَنَظَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَفِي يَدِهِ دَنانِيرٌ ، فقالَ : يا أبا عبدِ اللَّهِ ! تَمَسِكُ هذِهِ الدَّنَانِيرَ ! ؟ قالَ : اسْكُتْ ، فَلَوْلَاها لَتَمَنَدَلَ بِنَا المُلُوكِ .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ : قد كانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَأْساً فِي الرُّهْدِ ، وَالتَّأَلُّهِ ، وَالخَوْفِ ، رَأْساً فِي الحِفظِ ، رَأْساً فِي مَعْرِفَةِ الأَثارِ ، رَأْساً فِي الفِقهِ ، لا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوَمَةَ لائِمٍ ، من أئِمَّةِ الدِّينِ وَاعْتَفَرَ لَهُ غَيْرُ مَسْأَلَةٍ اجْتَهَدَ فِيها ، وَفِيهِ تَشْبِيحٌ بِسَيْرٍ ، كانَ يُنَلِّثُ بَعْلِيَّ^(٤) وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ بَلَدِهِ أَيْضاً فِي النَّبِيذِ ، وَيُقَالُ : رَجَعَ عَن كُلِّ ذلِكَ ، وَكانَ يُنْكَرُ عَلَى المُلُوكِ ، وَلا يَرى الخُرُوجَ أَصْلاً ، وَكانَ يُدَلِّسُ فِي رِوَايَتِهِ ، وَرُبَّمَا دَلَّسَ عَن الضَّعَفَاءِ ، وَكانَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ مُدَلِّساً ، لَكِن ما عُرِفَ لَهُ تَدْلِيسٌ عَن ضَعِيفٍ^(٥) .

٢- نِعَمَ المَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ :

من كَلامِ سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ : لا خَيْرَ فِيمَنْ لا يُرِيدُ جَمَعَ المَالِ مِنْ حِلِّهِ ، يُعْطِي مِنْهُ حَقَّهُ ، وَيَكْفُفُ بِهِ وَجْهَهُ عَنِ النَّاسِ^(٦) .

-
- (١) انظر السير : (وَهَبِ بْنِ مُنْبَهٍ) ٤/٥٤٤-٥٥٧ ، وانظر النزهة : ٦/٥٥٣ .
 - (٢) انظر السير : (أبو الزَّنَادِ) ٥/٤٤٥-٤٥١ ، وانظر النزهة : ٥/٦٢٠ .
 - (٣) انظر السير : (سُفْيَانُ الثَّوْرِي) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٢/٦٩٦ .
 - (٤) أي كان يُقدِّمُ عَلَيَّ عَلَى عُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي التَّفْضِيلِ .
 - (٥) انظر السير : (سُفْيَانُ الثَّوْرِي) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٣/٦٩٦ .
 - (٦) انظر السير : (سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ) ٤/٢١٧-٢٤٦ ، وانظر النزهة : ١/٤٨٨ .

وقال عثمانُ بنُ حَيَّانَ : سَمِعْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ تَقُولُ : إِنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ : اللَّهُمَّ ارزُقْني ، وقد عَلِمَ أَنَّ اللهَ لا يُمِطِرُ عليه ذَهَباً ولا دَرَاهِمَ ، وَإِنَّمَا يَرزُقُ بَعْضَهُمْ من بَعْضٍ ، فَمَنْ أُعْطِيَ شَيْئاً ، فَلْيَقْبَلْ ، فَإِنْ كانَ غَنِيّاً ، فَلْيَضَعْهُ في ذِي الحَاجَةِ ، وَإِنْ كانَ فَقيراً ، فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ (١) .

وكانَ ابنُ المُنْكَدِرِ يَقُولُ : نِعْمَ العَوْنُ على تَقْوَى اللهِ الغِنَى (٢) .

٣- المَالُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ في اليَدِ لا في القَلْبِ :

قالَ هِشامُ بنُ حَسَّانَ : سَمِعْتُ الحَسَنَ البَصْرِيَّ يَحْلِفُ باللهِ ، ما أَعَزَّ أَحَدُ الدَّرْهَمِ إِلَّا أَدَلَّهُ اللهُ (٣) .

قالَ كُرْزُ بنُ وَيْرَةَ الحارِثِيَّ : لا يَكُونُ العَبْدُ قارِئاً حتَّى يَزْهَدَ في الدَّرْهَمِ (٤) .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّباً : هَكَذا كانَ زُهَّادُ السَّلَفِ وَعُبَّادُهُمْ ، أَصْحابُ خَوْفٍ وخُشُوعٍ وتَعَبُّدٍ وَقُتُوعٍ ، ولا يَدْخُلُونَ في الدُّنْيا وشَهَوَاتِها ، ولا في عِباراتِ أَحَدِثِها المُتَأَخَّرُونَ من الفَناءِ ، والمَحْوِ ، والاضْطِدامِ ، والاتِّحادِ ، وأشباهِ ذلكِ ، ممَّا لا يَسُوعُه كِبارُ العُلَماءِ ، فَنَسأَلُ اللهُ التَّوْفِيقَ والإِخْلاصَ ، ولُزُومَ الاتِّباعِ (٥) .

٤- الخَوْفُ من الحِسابِ على الأَمْوالِ يُزْهَدُ بَعْضَ النَّاسِ فيها :

رَوَى لُقْمانُ بنُ عامِرٍ ، أَنَّ أبا الدَّرْدَاءِ قالَ : أَهْلُ الأَمْوالِ يَأْكُلُونَ وِناكُلُ ، وَيَشْرَبُونَ وِناشْرَبُ ، وَيَلْبَسُونَ وِنايَلْبَسُ ، وَيَرْكَبُونَ وِنايَرْكَبُ ، وَلَهُمْ فَضُولُ أَمْوالِ يَنْظُرُونَ إليها وِنايَنْظُرُ إليها مَعَهُمْ ، وِحِسابُهُمْ عليها وِنايَحْضُرُ منها بُرْءٌ (٦) .

(١) انظر السير : (أُمُّ الدَّرْدَاءِ) ٤/٢٧٧-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٥/٤٩٧ .

(٢) انظر السير : (محمَّد بن المُنْكَدِرِ) ٥/٣٥٣-٣٦١ ، وانظر النزهة : ٣/٦٠٨ .

(٣) انظر السير : (الحَسَنُ البَصْرِيَّ) ٤/٥٦٣-٥٨٨ ، وانظر النزهة : ١/٥٦١ .

(٤) انظر السير : (كُرْزُ) ٦/٨٤-٨٦ ، وانظر النزهة : ٦/٦٣٣ .

(٥) انظر السير : (كُرْزُ) ٦/٨٤-٨٦ ، وانظر النزهة : ٧/٦٣٣ .

(٦) انظر السير : (أبو الدَّرْدَاءِ) ٢/٣٣٥-٣٥٣ ، وانظر النزهة : ٩/٢٧٢ .

٥- مَنْ ذَمَّ الْمَالَ :

قال حَزْمُ بْنُ أَبِي حَزْمٍ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ يَقُولُ : بَشَسَ الرَّفِيقَانِ ، الدَّيْنَارُ وَالذَّرْهَمَ ، لَا يَنْفَعَانِكَ حَتَّى يُفَارِقَاكَ^(١) .

٦- حَالُ السَّلْفِ مَعَ الْأَمْوَالِ :

عن الْحَسَنِ الْبَصْرِيَّ قَالَ : رَأَى الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فِي يَدِ رَجُلٍ دِرْهَمًا ، فَقَالَ : لِمَنْ هَذَا ؟ قَالَ لِي قَالَ : لَيْسَ هُوَ لَكَ حَتَّى تُخْرِجَهُ فِي أَجْرٍ أَوْ اِكْتِسَابِ شُكْرٍ وَتَمَثَّلَ^(٢) :
أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ وَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ
وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ مُسْلِمٍ : عَاشَ دَاوُدُ الطَّائِي عِشْرِينَ سَنَةً بِثَلَاثِ مِئَةِ دِرْهَمٍ^(٣) .

وَيُقَالُ : إِنَّ سَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ زَارَ سُلَيْمَانَ الْخَوَاصَ لَيْلَةً فِي بَيْتِهِ بَيْتُوتَ ، فَرَأَهُ فِي الظُّلْمَةِ ، فَقَالَ : ظَلَمْتَ الْقَبْرَ أَشَدُّ ، فَأَعْطَاهُ دَرَاهِمَ ، فَرَدَّهَا ، وَقَالَ : أَكْرَهُ أَنْ أُعَوِّدَ نَفْسِي مِثْلَ دَرَاهِمِكَ ، فَمَنْ لِي بِمِثْلِهَا إِذَا احْتَجْتُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْأَوْزَاعِيَّ فَقَالَ : دَعُوهُ فَلَوْ كَانَ فِي السَّلْفِ لَكَانَ عَلَامَةً^(٤) .

جَاءَ فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، قَالَ حَنْبَلٌ : وَجَرَى بَيْنَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَبَيْنَ أَبِي كَلَامٍ كَثِيرٌ قَالَ : يَا عَمُّ مَا بَقِيَ مِنْ أَعْمَارِنَا كَأَنَّكَ بِالْأَمْرِ قَدْ نَزَلَ فَاللَّهُ اللَّهُ ، فَإِنَّ أَوْلَادَنَا يُرِيدُونَ أَنْ يَأْكُلُوا بِنَا ، وَإِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ قَلِيلٌ ، وَإِنَّمَا هَذِهِ فِتْنَةٌ قَالَ أَبِي : فَقُلْتُ : أَرْجُو أَنْ يُؤْمِنَكَ اللَّهُ مِمَّا تَحْذَرُ فَقَالَ : كَيْفَ وَأَنْتُمْ لَا تَتْرُكُونَ طَعَامَهُمْ وَلَا جَوَائِزَهُمْ ؟ لَوْ تَرَكْتُمُوهَا ، لَتَرَكْتُمْ مَاذَا تَنْتَظِرُ ؟ إِنَّمَا هُوَ الْمَوْتُ فِيمَا إِلَى جَنَّةٍ ، وَإِنَّمَا إِلَى نَارٍ فَطُوبَى لِمَنْ قَدِمَ عَلَى خَيْرٍ قَالَ : فَقُلْتُ : أَلَيْسَ قَدْ أُمِرْتَ مَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ مِنْ غَيْرِ إِشْرَافِ نَفْسٍ وَلَا مَسْأَلَةٍ أَنْ تَأْخُذَهُ ؟ قَالَ : قَدْ أَخَذْتُ مَرَّةً بَغَيْرِ إِشْرَافِ نَفْسٍ ، فَالثَّانِيَةُ

(١) انظر السير : (الحسن البصري) ٣/٥٦٣-٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٢/٥٦١ .

(٢) انظر السير : (الأخنف بن قيس) ٤/٨٦-٩٧ ، وانظر النزهة : ٩/٤٥٢ .

(٣) انظر السير : (داود الطائي) ٧/٤٢٢-٤٢٥ ، وانظر النزهة : ٣/٧١٢ .

(٤) انظر السير : (سليمان الخواص) ٨/١٧٨-١٧٩ ، وانظر النزهة : ٥/٧٤٢ .

وَالثَّالِثَةُ ؟ أَلَمْ تَسْتَشْرِفِ نَفْسَكَ ؟ قُلْتُ : أَفَلَمْ يَأْخُذْ ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ ؟ فَقَالَ : مَا هَذَا وَذَلِكَ ! وَقَالَ : لَوْ أَعْلَمْتُ هَذَا الْمَالَ يُؤْخَذُ مِنْ وَجْهِهِ ، وَلَا يَكُونُ فِيهِ ظُلْمٌ وَلَا حَيْفٌ لَمْ أُبَالِ .

قَالَ حَنْبَلٌ : وَلَمَّا طَالَتْ عَلَّةُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، كَانَ الْمُتَوَكَّلُ يَبْعَثُ بَابِنِ مَاسُوِيهِ الْمُتَطَبِّبِ ، فَيَصِفُ لَهُ الْأَدْوِيَةَ ، فَلَا يَتَعَالَجُ وَيَدْخُلُ ابْنُ مَاسُوِيهِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ بِأَحْمَدَ عَلَّةً ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ قِلَّةِ الطَّعَامِ وَالْعِبَادَةِ ، فَسَكَتَ الْمُتَوَكَّلُ .

وَبَلَغَ أُمَّ الْمُتَوَكَّلِ خَيْرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَتْ لَابْنِهَا : أَشْتَهِي أَنْ أَرَى هَذَا الرَّجُلَ فَوَجَّهَ الْمُتَوَكَّلُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، يَسْأَلُهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى ابْنِهِ الْمُعْتَزِّ وَيَدْعُو لَهُ وَيُسَلِّمَ عَلَيْهِ ، وَيَجْعَلُهُ فِي حِجْرِهِ فَاْمْتَنَعَ ثُمَّ أَجَابَ رَجَاءً أَنْ يُطْلَقَ ، وَيَنْحَدِرَ إِلَى بَغْدَادَ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمُتَوَكَّلُ خِلْعَةً وَأَنَوَّهُ بِدَابَّةٍ يَرْكَبُهَا إِلَى الْمُعْتَزِّ فَاْمْتَنَعَ ، وَكَانَتْ عَلَيْهِ مِثْرَةٌ نُمُورٍ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ بَعْلًا لِنَاجِرٍ ، فَرَكَبَهُ ، وَجَلَسَ الْمُتَوَكَّلُ مَعَ أُمِّهِ فِي مَجْلِسٍ مِنَ الْمَكَانِ وَعَلَى الْمَجْلِسِ سِتْرٌ رَقِيقٌ فَدَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْمُعْتَزِّ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ الْمُتَوَكَّلُ وَأُمُّهُ فَلَمَّا رَأَتْهُ ، قَالَتْ : يَا بَيْتِي ، اللَّهُ اللَّهُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَلَيْسَ هَذَا مِمَّنْ يُرِيدُ مَا عِنْدَكُمْ ، وَلَا الْمَصْلَحَةَ أَنْ تَحْبِسَهُ عَنْ مَنْزِلِهِ ، فَاذْنَنْ لَهُ لِيَذْهَبَ ، فَدَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْمُعْتَزِّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، وَجَلَسَ وَلَمْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ فَسَمِعَتْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بَعْدُ يَقُولُ : لَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ ، وَجَلَسْتُ ، قَالَ مُؤَدِّبُهُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، هَذَا هُوَ الَّذِي أَمَرَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُؤَدِّبُكَ وَيُعَلِّمُكَ ؟ فَقَالَ الصَّبِيُّ : إِنْ عَلَّمَنِي شَيْئًا ، تَعَلَّمْتُهُ ! قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : فَعَجِبْتُ مِنْ ذِكَاثِهِ وَجَوَابِهِ عَلَى صِغَرِهِ ، وَكَانَ صَغِيرًا .

وَدَامَتْ عَلَّةُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَبَلَغَ الْمُتَوَكَّلَ مَا هُوَ فِيهِ ، وَكَلَّمَهُ يَحْيَى ابْنُ خَاقَانَ أَيْضًا ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَجُلٌ لَا يُرِيدُ الدُّنْيَا ، فَاذْنَنْ لَهُ فِي الْأَنْصِرَافِ فَجَاءَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى وَقَتَ الْعَصْرِ ، فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَدِنَ لَكَ ، وَأَمَرَ أَنْ يُفْرَشَ لَكَ حَرَّاقَةٌ ^(١) . تَنْحَدِرُ فِيهَا فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : اطْلُبُوا لِي زُورِقًا أَنْحَدِرُ السَّاعَةَ فَطَلَبُوا لَهُ زُورِقًا ، فَاَنْحَدَرَ لِقَوْتِهِ .

(١) السفينة الخفيفة .

قَالَ حَنْبَلٌ : فَمَا عَلِمْنَا بِقُدُومِهِ حَتَّى قِيلَ : إِنَّهُ قَدْ وَافَى ، فَاسْتَقْبَلْتُهُ بِنَاحِيَةِ الْقَطِيعَةِ
وَقَدْ خَرَجَ مِنَ الزُّورَقِ ، فَمَشَيْتُ مَعَهُ ، فَقَالَ لِي : تَقَدَّمَ لِي لَا يَرَاكَ النَّاسُ فَيَعْرِفُونِي ،
فَتَقَدَّمْتُهُ قَالَ : فَلَمَّا وَصَلَ أَلْقَى نَفْسَهُ عَلَيَّ قَفَاهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْعِيَاءِ (١) .

قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ : قَدِمَ الْمُتَوَكِّلُ فَنَزَلَ الشَّمَاسِيَّةَ ، يُرِيدُ الْمَدَائِنَ فَقَالَ
لِي أَبِي : أَحَبُّ أَنْ لَا تَذْهَبَ إِلَيْهِمْ تَنْبَهُ عَلَيَّ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ يَوْمٍ أَنَا قَاعِدٌ ، وَكَانَ يَوْمًا
مَطِيرًا ، فَإِذَا بِيحْيَى بْنُ خَاقَانَ قَدْ جَاءَ فِي مَوَكِبٍ عَظِيمٍ وَالْمَطَرُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لِي :
سُبْحَانَ اللَّهِ لَمْ تَصِرْ إِلَيْنَا حَتَّى تُبَلِّغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ السَّلَامَ عَنْ شَيْخِكَ ، حَتَّى وَجَّهَ بِي ،
ثُمَّ نَزَلَ خَارِجَ الزُّرْقَاقِ ، فَجَهَدْتُ بِهِ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى الدَّابَّةِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَجَعَلَ يَخُوضُ
الْمَطَرَ ، فَلَمَّا وَصَلَ نَزَعَ جُرْمُوقَهُ ، وَدَخَلَ وَأَبِي فِي الزَّوَايَةِ عَلَيْهِ كِسَاءٌ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ،
وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ ، وَقَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقْرُتُكَ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ : كَيْفَ
أَنْتَ فِي نَفْسِكَ ، وَكَيْفَ حَالُكَ ؟ وَقَدْ أَنْسْتُ بِقُرْبِكَ ، يَسْأَلُكَ أَنْ تَدْعُوَ لَهُ فَقَالَ :
مَا يَأْتِي عَلَيَّ يَوْمٌ إِلَّا وَأَنَا أَدْعُو اللَّهَ لَهُ ثُمَّ قَالَ : قَدْ وَجَّهَ مَعِيَ أَلْفَ دِينَارٍ تُفَرِّقُهَا عَلَى أَهْلِ
الْحَاجَةِ فَقَالَ : يَا أَبَا زَكَرِيَا ، أَنَا فِي بَيْتٍ مُنْقَطِعٍ ، وَقَدْ أَعْفَانِي مِنْ كُلِّ مَا أَكَرَهُ ، وَهَذَا
مِمَّا أَكَرَهُ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، الْخُلَفَاءُ لَا يَخْتَمِلُونَ هَذَا ، فَقَالَ : يَا أَبَا زَكَرِيَا تَلَطَّفْ
فِي ذَلِكَ فَدَعَا لَهُ ، ثُمَّ قَامَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الدَّارِ ، رَجَعَ ، وَقَالَ : هَلْ كَذَا لَوْ وَجَّهَ إِلَيْكَ
بَعْضُ إِخْوَانِكَ كُنْتَ تَفْعَلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ فَلَمَّا صِرْنَا إِلَى الدَّهْلِيْزِ ، قَالَ : أَمْرَنِي أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ أَدْفَعُهَا إِلَيْكَ تُفَرِّقُهَا فَقُلْتُ : تَكُونُ عِنْدَكَ إِلَى أَنْ تَمْضِيَ هَذِهِ الْأَيَّامَ (٢) .

وَقَالَ زَكَرِيَا بْنُ دَلْوَيْهِ : بَعَثَ طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى ابْنِ رَافِعٍ بِخَمْسَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ مَعَ
رَسُولٍ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ الْعَصْرِ ، وَهُوَ يَأْكُلُ الْخُبْزَ مَعَ الْفِجْلِ فَوَضَعَ الْكَيْسَ فَقَالَ :
بَعَثَ الْأَمِيرُ إِلَيْكَ بِهَذَا الْمَالِ فَقَالَ : خُذْ خُذْ لَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الشَّمْسَ قَدْ بَلَغَتْ
رَأْسَ الْحِيطَانِ إِنَّمَا تَغْرُبُ بَعْدَ سَاعَةٍ وَقَدْ جَاوَزْتُ الثَّمَانِينَ إِلَى مَتَى أَعِيشُ ؟ فَرُدَّ (٣) .

(١) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٤٣ .

(٢) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٤٤ .

(٣) أي : رجع .

قال: فدخل ابنه ، وقال : يا أبتِ ، ليس لنا الليلةُ حُبْرٌ قال : فبعث ببعض أصحابه خلف الرسول ليُرَدَّ المالُ إلى طاهر فزعاً من ابنه أن يذهب خلفه ، فيأخذ المال^(١) .

٧- كثرة المال وتوَّعه تُؤدى إلى تفرُّق القلب :

عن بلال بن سعد ، أن أبا الدرداء قال : أعودُ بالله من تفرقة القلبِ قيل : وما تفرقة القلب ؟ قال : أن يجعلَ لي في كلِّ وادٍ مالٌ^(٢) .

(ج) التَّوْم :

١- الحثُّ على قلة التَّوْم :

يقول ابن الحدَّاد : ما للعالم وملائمة المضاجع^(٣) .

٢- أحوال السلف مع التَّوْم :

عن داود بن إبراهيم أن الأسد حبس ليلة الناس في طريق الحج ، فدقَّ الناس بعضهم بعضاً ، فلما كان السحر ، ذهب عنهم ، فنزلوا وناموا ، وقام طاووسٌ يُصلِّي ، فقال له رجلٌ : ألا تنام ، فقال : وهل ينام أحدٌ السحر^(٤) .

ويروى أن طاووساً جاء في السحر يطلب رجلاً ، فقالوا : هو نائمٌ ، قال : ما كنتُ أرى أن أحداً ينام في السحر .

وعن طاووس قال : أدركتُ خمسين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٥) .

وعن أبي الأحوص ، قال : آلى محمد بن النضر على نفسه أن لا ينام إلا ما غلبته عينه^(٦) .

(١) انظر السير : (محمد بن رافع) ١٢/٢١٤-٢٢١ ، وانظر النزهة : ٤/٩٩٥ .

(٢) انظر السير : (أبو الدرداء) ٢/٣٣٥-٣٥٣ ، وانظر النزهة : ٤/٢٧٢ .

(٣) انظر السير : (ابن الحدَّاد) ١٤/٢٠٥-٢١٤ ، وانظر النزهة : ٣/١١٤٤ .

(٤) انظر السير : (طاووس) ٥/٣٨-٤٩ ، وانظر النزهة : ١/٥٧٨ .

(٥) انظر السير : (طاووس) ٥/٣٨-٤٩ ، وانظر النزهة : ٥/٥٧٨ .

(٦) انظر السير : (محمد بن النضر) ٨/١٧٥-١٧٦ ، وانظر النزهة : ٢/٧٤٢ .

وقال أبو بكر الأنباري : كان أبو عبيد الإمام الحافظ - رحمه الله - يقسم الليل أثلاثاً فيصلي ثلثه ، وينام ثلثه ، ويصنف الكتب ثلثه (١) .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : كان أبي يقرأ كل يوم سبعا ، وكان ينام نومة خفيفة بعد العشاء ، ثم يقوم إلى الصبح يصلي ويدعو (٢) .

وقال حسين بن خاقان : كان ابن عطاء ينام في اليوم واللييلة ساعتين مات سنة تسع وثلاث مئة في ذي القعدة (٣) .

٣- صور رائعة على إحياء الليل جميعه وصلاة الفجر بوضوء العشاء :

عن أسد بن عمرو ، أن أبا حنيفة ، رحمه الله ، صلى العشاء والصبح بوضوء أربعين سنة (٤) .

وعن محمد بن عبد الله الخزاعي قال : صلى عبد الواحد بن زيد الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة (٥) .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني من سمع عمرو بن عون يقول : مكث هشيم بن بشير يصلي الفجر بوضوء العشاء قبل أن يموت عشرين سنة (٦) .

وعن عاصم بن علي قال : كنت أنا ويزيد بن هارون عند قيس ابن الربيع ، فأما يزيد فكان إذا صلى العتمة ، لا يزال قائماً حتى يصلي الغداة بذلك الوضوء ، نيقاً وأربعين سنة (٧) .

وقال موسى بن طريف : كانت الجارية تفرش لعلي بن بكار ، فيلمسه بيده ،

-
- (١) انظر السير : (أبو عبيد) ١٠/٤٩٠-٥٠٩ ، وانظر النزاهة : ٢/٨٨٧ .
 - (٢) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزاهة : ٥/٩٢٩ .
 - (٣) انظر السير : (ابن عطاء) ١٤/٢٥٥-٢٥٦ ، وانظر النزاهة : ٣/١١٤٩ .
 - (٤) انظر السير : (أبو حنيفة) ٦/٣٩٠-٤٠٤ ، وانظر النزاهة : ٦/٦٦٢ .
 - (٥) انظر السير : (عبد الواحد بن زيد) ٧/١٧٨-١٨٠ ، وانظر النزاهة : ٦/٦٩١ .
 - (٦) انظر السير : (هشيم) ٨/٢٨٧-٢٩٤ ، وانظر النزاهة : ٢/٧٥٩ .
 - (٧) انظر السير : (يزيد بن هارون) ٩/٣٥٨-٣٧١ ، وانظر النزاهة : ٣/٨٢٩ .

وَيَقُولُ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَبَارِدٌ ، وَاللَّهِ لَاعَلَوْتُكَ اللَّيْلَةَ ، وَكَانَ يُصَلِّيَ الْفَجْرَ بُوْضُوءِ الْعَتَمَةِ .
مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَمِثْتَيْنِ (١) .

وَمَرَّ أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ بِصِبْيَانٍ يَلْعَبُونَ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أُمْسِكُوا ، فَإِنَّ هَذَا أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ الَّذِي لَا يَنَامُ اللَّيْلَ ، فَقَبِضَ عَلَى لِحْيَتِهِ ، وَقَالَ : الصَّبِيَّانُ يَهَابُونَكَ وَأَنْتَ تَنَامُ ؟ فَأُحْيِيَ اللَّيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ (٢) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مَنْدَةَ : لَمْ يُحَدِّثْ بَبَلَدِنَا مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ ثَقُ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَهْدِيٍّ ، صَنَّفَ « الْمُسْنَدَ » وَلَمْ يُعْرِفْ لَهُ فِرَاشٌ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، صَاحِبُ عِبَادَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ (٣) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ التَّبَّانِ ، أَنَّ عَبْدَ دُوسَ أَقَامَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً يُصَلِّيُ الصُّبْحَ بُوْضُوءِ الْعِشَاءِ ، وَكَانَ عَلَى غَايَةِ مِنَ التَّوَاضُعِ .
وَقَدْ فَرَّقَ مِثَّةَ دِينَارٍ مِنْ غَلَّةٍ ضَيَّعَتْهُ فِي الْقَحْطِ (٤) .

* * *

-
- (١) انظر السير : (علي بن بكّار) ٥٨٤-٥٨٥/٩ ، وانظر النزهة : ٥/٨٤١ .
 - (٢) انظر السير : (أحمد بن حرب) ٣٢-٣٥/١١ ، وانظر النزهة : ١/٩٠٦ .
 - (٣) انظر السير : (أحمد بن مهدي) ٥٩٧-٥٩٨/١٢ ، وانظر النزهة : ١/١٠٣٨ .
 - (٤) انظر السير : (ابن عبدوس) ٦٣-٦٤/١٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٥١ .

(١٠) وَصَايَا الصَّالِحِينَ

١- وَصِيَّةٌ مِنْ وَصَايَا سَيِّدِ الْخَلْقِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع « أمرني بحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالذُّنُوفِ مِنْهُمْ ، وَأَمْرِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي وَأَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا ، وَأَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرْتُ ، وَأَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مَرًّا ، وَأَلَّا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لِائِمِّ ، وَأَنْ أَكْثِرَ مِنْ قَوْلِ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزِ تَحْتَ الْعَرْشِ » (١) .

٢- مِنْ وَصَايَا الصَّالِحِينَ :

عن أبي قلابَةَ وَغَيْرِهِ أَنَّ فُلَانًا مَرَّ بِهِ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : أَوْصُونِي ، فَجَعَلُوا يُوصُونَهُ ، وَكَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فِي آخِرِ الْقَوْمِ ، فَقَالَ : أَوْصِنِي بِرَحْمَتِكَ اللَّهُ قَالَ : قَدْ أَوْصُوكَ فَلَمْ يَأْلُوا ، وَإِنِّي سَأَجْمَعُ لَكَ أَمْرًا : أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا غِنَى بِكَ عَنْ نَصِيْبِكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَنْتَ إِلَى نَصِيْبِكَ إِلَى الْآخِرَةِ أَفْقَرُ ، فابْدَأْ بِنَصِيْبِكَ مِنَ الْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ سَيَمُرُّ بِكَ عَلَى نَصِيْبِكَ مِنَ الدُّنْيَا فَيَنْتَظِمُهُ ، ثُمَّ يَزُولُ مَعَكَ أَيَّمَا زِلْتِ (٢) .

وقال حريزُ بنُ عثمانَ : حَدَّثَنَا رَاشِدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ ، فَقَالَ : أَوْصِنِي قَالَ : اذْكُرْ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ يَذْكُرْكَ فِي الضَّرَّاءِ ، وَإِذَا ذَكَرْتَ الْمَوْتَى ، فَاجْعَلْ نَفْسَكَ كَأَحَدِهِمْ ، وَإِذَا أَشْرَفَتْ نَفْسُكَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا ، فَانظُرْ إِلَى مَا يَصِيرُ (٣) .

قال إسماعيلُ بنُ عِيَّاشٍ : أَبَانَا عَقِيلُ بْنُ مُدْرِكٍ ، يَرْفَعُهُ إِلَى أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ : عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ ،

(١) انظر السير : (أبو ذرٍّ) ٤٦/٢-٧٨ ، وانظر النزهة : ١/٢٢٠ .

(٢) انظر السير : (معاذُ بنُ جبَلٍ) ٤٤٣-٤٦١ ، وانظر النزهة : ٢/١٩٢ .

(٣) انظر السير : (أبو الدرداء) ٣٣٥-٣٥٣ ، وانظر النزهة : ٦/٢٧٢ .

وعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ رُوحُكَ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَذِكْرُكَ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ ،
وعَلَيْكَ بِالصَّمْتِ إِلَّا فِي حَقِّ ، فَإِنَّكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ^(١) . ، (٢) .

وقيل لَهْرَمِ بْنِ حَيَّانِ الْعَبْدِيِّ : أَوْصِ ، قَالَ : صَدَّقْتَنِي نَفْسِي ، وَمَالِي مَا أَوْصِي
بِهِ ، وَلَكِنْ أَوْصِيكُمْ بِخَوَاتِيمِ سُورَةِ النَّحْلِ^(٣) .

وعن الْحَسَنِ ، عَنْ هَرَمٍ ، أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : أَوْصِنَا فَقَالَ : أَوْصِيكُمْ بِخَوَاتِيمِ سُورَةِ
الْبَقَرَةِ^(٤) .

وعن عَلْقَمَةَ أَنَّهُ أَوْصَى ، قَالَ : إِذَا أَنَا حُضِرْتُ فَأَجْلِسُوا عِنْدِي مَنْ يُلَقِّنُنِي : لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ ، وَأَسْرِعُوا بِي إِلَى حُفْرَتِي ، وَلَا تَنْعَوْنِي إِلَى النَّاسِ ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ
نَعِيًّا كَنَعِي الْجَاهِلِيَّةِ مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ^(٥) .

وقَالَ رَجُلٌ لِدَاوُدَ الطَّائِي : أَوْصِنِي قَالَ : اتَّقِ اللَّهَ ، وَبِرِّ وَالِدَيْكَ ، وَيَحْكُ! صُمِّ
الدُّنْيَا ، وَاجْعَلْ فِطْرَكَ الْمَوْتَ ، وَاجْتَنِبِ النَّاسَ غَيْرَ تَارِكٍ لِحِجَابِهِمْ^(٦) .

مَاتَ سَنَفُ الدَّوْلَةِ بِالْفَالِجِ ، وَقِيلَ : بَعْسِرِ الْبَوْلِ ، سَنَةَ سِتِّ وَخَمْسِينَ ، وَكَانَ قَدْ
جَمَعَ مِنَ الْعُبَّارِ الَّذِي يَقَعُ عَلَيْهِ وَقَتِ الْمَصَافَاتِ قَدْرَ الْكَفِّ ، وَأَوْصَى أَنْ يُوَضَعَ عَلَى
خَدِّهِ وَكَانَتْ دَوْلَتُهُ نَيْفًا وَعِشْرِينَ سَنَةً^(٧) .

مَرَضَ قَاضِي الْمَرَسْتَانَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي ، فَأَوْصَى أَنْ يُعَمَّقَ قَبْرُهُ زِيَادَةً
عَلَى الْعَادَةِ ، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَوُّ عَظِيمٌ ﴾ ﴿ ٧ ﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿ ٨ ﴾ وَبَقِيَ ثَلَاثَةَ

(١) فِيهِ انْقِطَاعٌ بَيْنَ عَقِيلِ بْنِ مَدْرِكِ وَأَبِي سَعِيدٍ .

(٢) انظر السير : (أبو سعيد الخُدري) ٣/١٦٨-١٧٢ ، وانظر النزهة : ٢/٣٦١ .

(٣) انظر السير : (هَرَمِ بْنِ حَيَّانِ) ٤/٤٨-٥٠ ، وانظر النزهة : ٣/٤٤٠ .

(٤) انظر السير : (هَرَمِ بْنِ حَيَّانِ) ٤/٤٨-٥٠ ، وانظر النزهة : ٤/٤٤٠ .

(٥) انظر السير : (عَلْقَمَةَ) ٤/٥٣-٦١ ، وانظر النزهة : ٦/٤٤٤ .

(٦) انظر السير : (دَاوُدَ الطَّائِي) ٧/٤٢٢-٤٢٥ ، وانظر النزهة : ١/٧١٢ .

(٧) انظر السير : (سيف الدولة) ١٦/١٨٧-١٨٩ ، وانظر النزهة : ١/١٢٨٣ .

(٨) سورة ص ، الآيتان : ٦٧ ، ٦٨ .

أَيَّامٍ لَا يَفْتُرُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، إِلَى أَنْ تُوفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسٍ مِئَةٍ (١) .

وقال أبو سعد السَّمْعَانِيُّ : وَلَمَّا عَزَمْتُ عَلَى الرَّحْلَةِ ، دَخَلْتُ عَلَى شَيْخِنَا يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ مُودِّعًا ، فَصَوَّبَ عَزْمِي ، وَقَالَ : أَوْصِيكَ : لَا تَدْخُلْ عَلَى السَّلَاطِينِ ، وَأَبْصِرْ مَا تَأْكُلُ لَا يَكُونُ حَرَامًا (٢) .

ومن وصايا المَوْفَّقِ ، قَالَ : يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ سِيرَتِكَ سِيرَةَ الصِّدْرِ الْأَوَّلِ ، فَاقْرَأِ السِّيْرَةَ النَّبَوِيَّةَ ، وَتَبِعْ أَعْمَالَهُ ، وَاقْتَفِ آثارَهُ ، وَتَشَبَّهْ بِهِ مَا أَمَكْنَاكَ مِنْ لَمْ يَحْتَمِلِ أَلَمَ التَّعَلُّمِ لَمْ يَذُقْ لَذَّةَ الْعِلْمِ ، وَمَنْ لَمْ يَكْدَحْ لَمْ يُفْلِحْ إِذَا خَلَوْتَ مِنَ التَّعَلُّمِ وَالتَّفَكُّرِ فَحَرِّكْ لِسَانَكَ بِالذِّكْرِ وَخَاصَّةً عِنْدَ النَّوْمِ ، وَإِذَا حَدَّثَ لَكَ فَرَحٌ بِالدُّنْيَا فَادْكُرِ الْمَوْتَ وَسُرْعَةَ الزَّوَالِ وَكَثْرَةَ الْمُنْغَصَاتِ إِذَا حَزَبَكَ أَمْرٌ فَاسْتَرْجِعْ ، وَإِذَا اعْتَرَّتْكَ غَفْلَةٌ فَاسْتَعْفِرْ وَاعْلَمْ أَنَّ لِلدُّنْيَا عِبْقَةً وَعِرْقًا يَنَادِي عَلَى صَاحِبِهِ وَنُورًا وَضِيئًا يُشْرِفُ عَلَيْهِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ ، يَا مُحْيِي الْقُلُوبِ الْمَيِّتَةَ بِالْإِيمَانِ خُذْ بِأَيْدِينَا مِنْ مَهْوَاةِ الْهَلَكَةِ وَطَهِّرْنَا مِنْ دَرَنِ الدُّنْيَا بِالْإِخْلَاصِ لَكَ . وَهِيَ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ .

حَضَرَتْهُ الْمَيِّتَةُ بِبَغْدَادَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ (٣) .

* * *

-
- (١) انظر السير : (قاضي المَرَسْتَان) ٢٠/٢٣-٢٨ ، وانظر النزهة : ٤/١٥٢٣ .
(٢) انظر السير : (يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ) ٢٠/٦٦-٦٩ ، وانظر النزهة : ٤/١٥٣١ .
(٣) انظر السير : (المَوْفَّقُ) ٢٢/٣٢٠-٣٢٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٩٣ .

صِفَاتُ قَلْبِيَّةٍ عَزِيزَةٌ يَتَّصِفُ بِهَا الصَّالِحُونَ

الإخلاص

١- اخْتِبَارُ الْإِخْلَاصِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أُمِّ كَلْثُومَ بِنْتِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ : أَسْلَمَتْ بِمَكَّةَ ، وَبَايَعَتْ ، وَلَمْ يَتَّهَمِهَا لَهَا هِجْرَةٌ إِلَى سَنَةِ سَبْعٍ وَكَانَ خُرُوجُهَا زَمَنَ صَلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، فَخَرَجَ فِي إِثْرِهَا أَخْوَاهَا : الْوَلِيدُ وَعُمَارَةُ فَمَا زَالَا حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ ، فَقَالَا : يَا مُحَمَّدُ ، فِ لَنَا بِشَرِّطِنَا ، فَقَالَتْ : أَتُرِدُّنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى الْكُفَّارِ يَفْتِنُونِي عَنْ دِينِي وَلَا صَبْرَ لِي ، وَحَالُ النَّسَاءِ فِي الضَّعْفِ مَا قَدْ عَلِمْتَ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ (١) .

فَكَانَ يَقُولُ : « اللَّهُ مَا أَخْرَجَكَنَّ إِلَّا حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْإِسْلَامِ ! مَا خَرَجْتَنَّ لِزَوْجٍ وَلَا مَالٍ ؟ » فَإِذَا قُلْنَ ذَلِكَ ، لَمْ يَرْجِعُهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ (٢) .

٢- مَا لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ يَضْمَحِلُّ :

عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ قَالَ : كُلُّ مَا لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ يَضْمَحِلُّ (٣) .

٣- سُؤَالُ اللَّهِ الْإِخْلَاصَ وَتَجَنُّبَ الرِّبَاءِ :

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ : فَقَدُ الْأَجِبَةِ غُرْبَةً وَكَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تُحَسِّنَ فِي لَوَائِحِ (٤) الْعُيُونِ عَلَانِيَتِي وَتُقَبِّحَ فِي خَفِيَّاتِ الْعُيُونِ سَرِيرَتِي اللَّهُمَّ كَمَا أَسَأْتُ وَأَحْسَنْتَ إِلَيَّ ، فَإِذَا عُدْتُ فَعُدُّ عَلَيَّ (٥) .

(١) سورة الممتحنة ، الآيتان : ١٠ ، ١١ .

(٢) انظر السير : (أمُّ كلثوم) ٢٧٦-٢٧٧ ، وانظر النزهة : ٦/٢٥٧ .

(٣) انظر السير : (الربيع بن خثيم) ٤/٢٥٨-٢٦٢ ، وانظر النزهة : ٣/٤٩٣ .

(٤) لوائح الشيء : ما يبدو منه وتظهر علامته عليه .

(٥) انظر السير : (علي بن الحسين) ٤/٣٨٦-٤٠١ ، وانظر النزهة : ٦/٥١٩ .

٤- الحثُّ على الاهتمام بالسَّرائر :

عن الأحنف بن قيس قال : رأسُ الأدبِ آلهُ المنطقِ ، لا خيرَ في قولٍ بلا فعلٍ ، ولا في منظرٍ بلا مخبرٍ ، ولا في مالٍ بلا جودٍ ، ولا في صديقٍ بلا وفاءٍ ، ولا في فقهٍ بلا ورعٍ ، ولا في صدقةٍ إلا بنيةٍ ، ولا في حياةٍ إلا بصحةٍ وأمنٍ^(١) .

وعن مُنذرِ الثوريِّ ، قال : كانَ الربيعُ بنُ خُثيمٍ إذا أتاهُ الرجلُ يسألهُ قال : اتَّقِ اللهَ فيما علَمتَ ، وما استوثرتَ به عليك ، فكلُّهُ إلى عَالِمِهِ ، لأننا عليكم في العمدِ أخوفُ منِّي عليكم في الخطأِ ، وما خيَّرُكم اليومَ بخيِّرٍ ، ولكنَّه خيرٌ من آخرٍ شرٌّ منه ، وما تتبعونَ الخيرَ حقَّ اتِّباعِهِ ، وما تفرُّونَ من الشرِّ حقَّ فراره ، ولا كلُّ ما أنزلَ اللهُ على محمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم أدركتُم ، ولا كلُّ ما تقرؤونَ تدرُونَ ما هو ، ثم يقولُ : السَّرائرُ السَّرائرُ اللاتي يخفينَ من النَّاسِ وهنَّ اللهُ بوادٍ ، التمسوا دواءَهُنَّ وما دواؤُهُنَّ إلا أن يتوبَ ثمَّ لا يعود^(٢) .

٥- النيَّةُ الحسنةُ :

(أ) رُؤيا في فائدتها :

حكى القشيريُّ أنَّ عمرو بنَ اللَّيثِ رُئي ، فقيلَ : ما فعلَ اللهُ بك ؟ قال : أشرفتُ يوماً من جبلٍ على جيوشي ، فأعجبتني كثرتهم ، فتمنيتُ أنني كنتُ حضرتُ مع رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فنصرتهُ وأعتتهُ ، فشكرَ اللهُ لي ، وغفرَ لي^(٣) .

(ب) وُجوبُ إخلاصِ النيَّةِ :

عن مُجاهدٍ ، قال : طلبنا هذا العلمَ وما لنا فيه نيَّةٌ ، ثم رزقَ اللهُ النيَّةَ بعد^(٤) . وقال عَوْنُ بنُ عمارَةَ : سمعتُ هشاماً الدَّستوائيَّ يقولُ : والله ما أستطيعُ أن أقولَ

(١) انظر السير : (الأحنف بن قيس) ٨٦/٤-٩٧ ، وانظر النزهة : ٧/٤٥٢ .

(٢) انظر السير : (الربيع بن خثيم) ٢٥٨/٤-٢٦٢ ، وانظر النزهة : ٥/٤٩٢ .

(٣) انظر السير : (عمرو بن اللَّيث الصَّفَّار) ١٢/١٢-٥١٦-٥١٧ ، وانظر النزهة : ١/١٠٢٨ .

(٤) انظر السير : (مُجاهد بن جبر) ٤٤٩/٤-٤٥٧ ، وانظر النزهة : ٥/٥٣٠ .

إِنِّي ذَهَبْتُ يَوْمًا قَطُّ أَطْلُبُ الْحَدِيثَ أُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(١) .

قال الإمام الذهبيُّ مُعَقَّباً : والله ولا أنا ، فقد كان السلفُ يطلبون العلمَ لله فنَبَلُوا وصاروا أئمةً يُقْتَدَى بهم ، وطلبه قومٌ منهم أولاً لا لله ، وحصلوه ، ثم استفاقوا ، وحاسبوا أنفسهم ، فجزَّهم العلمُ إلى الإخلاصِ في أثناء الطريق ، كما قال مُجاهدٌ وغيره : طلبنا هذا العلمَ وما لنا فيه كبيرُ نيةٍ ثم رَزَقَ اللهُ النيةَ بعدُ ، وبعضهم يقولُ : طلبنا هذا العلمَ لغير الله فأبى أن يكونَ إلَّا اللهُ فهذا أيضاً حسنٌ ثم نشره بنيتِه سالحة^(٢) .

وقال رجلٌ لأبي الفرجِ ابنِ الجوزي : ما نمتُ البارحةَ من شوقِي إلى المَجْلِسِ ، قال : لأنك تريدُ الفرجةَ ، وإنما ينبغي الليلةُ أن لا تنامَ^(٣) .

(ج) عاقبةُ سوءِ النيةِ :

قال إسحاقُ بنُ الطَّبَّاعِ : سمعتُ حمَّادَ بنَ سلمةَ يقولُ : مَنْ طَلَبَ الْحَدِيثَ لغيرِ اللهِ تعالى مُكْرَباً به^(٤) .

وقال عبدُ اللهِ بنُ المباركِ : رَبُّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تَكْثُرُهُ النِّيَّةُ ، وَرُبَّ عَمَلٍ كَثِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ^(٥) .

(د) تَمَنِّي صَفَاءِ النِّيَّةِ :

عن أبي يزيدِ البَسْطامي قال : لو صفا لي تهليلٌ ما باليتُ بعدها .

توفِّي أبو يزيدِ ببِسْطام سنةَ إحدى وستينَ ومِئتينَ^(٦) .

(١) انظر السير : (هشام الدستوائي) ١٤٩-١٥٦/٧ ، وانظر النزهة : ٥/٦٨٧ .

(٢) انظر السير : (هشام الدستوائي) ١٤٩-١٥٦/٧ ، وانظر النزهة : ٦/٦٨٧ .

(٣) انظر السير : (أبو الفرج ابن الجوزي) ٣٦٥-٣٨٤/٢١ ، وانظر النزهة : ٦/١٦٣٣ .

(٤) انظر السير : (حماد بن سلمة) ٤٤٤-٤٥٦/٧ ، وانظر النزهة : ٧/٧١٥ .

(٥) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٣٧٨-٤٢١/٨ ، وانظر النزهة : ١/٧٦٩ .

(٦) انظر السير : (أبو يزيد البسطامي) ٨٦-٨٩/١٣ ، وانظر النزهة : ٦/١٠٥٥ .

التَّقْوَى

١- تَعْرِيفُهَا :

عن بَكْرِ الْمُزَنِيِّ ، قَالَ : لَمَّا كَانَتْ فِتْنَةُ ابْنِ الْأَشْعَثِ قَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ : اتَّقَوْهَا بِالتَّقْوَى فَقِيلَ لَهُ : صِفْ لَنَا التَّقْوَى فَقَالَ : الْعَمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، عَلَى نُورٍ مِنْ اللَّهِ رَجَاءً ثَوَابِ اللَّهِ ، وَتَرْكُ مَعَاصِي اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنْ اللَّهِ ، مَخَافَةَ عَذَابِ اللَّهِ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّبًا : أْبَدَعَ وَأَوْجَزَ ، فَلَا تَقْوَى إِلَّا بِعَمَلٍ ، وَلَا عَمَلٌ إِلَّا بِتَرَوُّدٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِتِّبَاعِ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ لَا لِيُقَالَ فَلَانٌ تَارِكٌ لِلْمَعَاصِي بِنُورِ الْفِئَةِ ، إِذِ الْمَعَاصِي يَفْتَقِرُ اجْتِنَابُهَا إِلَى مَعْرِفَتِهَا ، وَيَكُونُ التَّرْكَ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ ، لَا لِيُمدَّحَ بِتَرْكِهَا ، فَمَنْ دَاوَمَ عَلَى هَذِهِ الْوَصِيَّةِ فَقَدْ فَازَ^(١) .

٢- مَتَى يُعَدُّ الْإِنْسَانُ تَقِيًّا :

عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ تَقِيًّا حَتَّى يَكُونَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ مُحَاسَبَةً مِنَ الشَّرِيكِ لِشَرِيكِهِ ، وَحَتَّى يَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ وَمَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ^(٢) .

التَّوَكَّلِ

١- تَعْرِيفٌ لِلتَّوَكَّلِ :

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الذَّهَلِيُّ : سَأَلْتُ الْخُرَيْبِيَّ عَنِ التَّوَكَّلِ ، فَقَالَ : أَرَى التَّوَكَّلَ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ^(٣) .

٢- لَيْسَ النَّاسُ فِي التَّوَكَّلِ سَوَاءً :

سُئِلَ ابْنُ رَاهَوِيَةَ : أَيَدْخُلُ الرَّجُلُ الْمَفَازَةَ بَغَيْرِ زَادٍ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ مِثْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُنِيرٍ ، فَنَعَمْ .

(١) انظر السير : (طلق بن حبيب) ٦٠١/٤ - ٦٠٣ ، وانظر النزعة : ٩/٥٦٦ .

(٢) انظر السير : (ميمون بن مهران) ٧٨-٧١/٥ ، وانظر النزعة : ٥/٥٨١ .

(٣) انظر السير : (الخريبي) ٣٤٦/٩ - ٣٥٢ ، وانظر النزعة : ٤/٨٢٧ .

وقيل : كَانَ ابْنُ مُنِيرٍ يُعَدُّ مِنَ الْأُبْدَالِ (١) .

٣- فَضْلُ التَّوَكُّلِ :

عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ جَمَاعُ الْإِيمَانِ وَكَانَ يَدْعُو : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ (٢) .

٤- الدُّعَاءُ بِصِدْقِ التَّوَكُّلِ :

عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ جَمَاعُ الْإِيمَانِ وَكَانَ يَدْعُو : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ (٣) .

٥- صُورٌ عَلَى التَّوَكُّلِ :

عن يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِي ، عن أبيه : سَمِعْتُ عَوْنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ مِنَ الْقُرْظِيِّ ، وَقِيلَ : كَانَ لَهُ أَمْلَاكٌ بِالْمَدِينَةِ ، وَحَصَلَ مَا لَمْ يَرَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : ادْخِرْ لَوْلَدِكَ ، قَالَ : لَا ، لَكِنْ ادْخِرْهُ لِنَفْسِي عِنْدَ رَبِّي ، وَادْخِرْ رَبِّي لَوْلَدِي ، وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ مُجَابَبَ الدَّعْوَةِ ، كَبِيرَ الْقَدْرِ (٤) .

٦- قَوَاعِدُ فِي التَّوَكُّلِ :

قِيلَ لِحَاتِمِ الْأَصَمِّ : عَلَى مَا بَنَيْتَ أَمْرَكَ فِي التَّوَكُّلِ ؟ قَالَ : عَلَى خِصَالٍ أَرْبَعَةٍ : عَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي لَا يَأْكُلُهُ غَيْرِي ، فَاطْمَأَنْنْتُ بِهِ نَفْسِي ، وَعَلِمْتُ أَنَّ عَمَلِي لَا يَعْمَلُهُ غَيْرِي ، فَأَنَا مَشْغُولٌ بِهِ ، وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً ، فَأَنَا أَبَادِرُهُ وَعَلِمْتُ أَنِّي لَا أَخْلُو مِنْ عَيْنِ اللَّهِ ، فَأَنَا مُسْتَحْيٍ مِنْهُ (٥) .

-
- (١) انظر السير : (عبد الله بن منير) ٣١٦-٣١٧/١٢ ، وانظر النزاهة : ٢/١٠٠٥ .
 - (٢) انظر السير : (سعيد بن جبیر) ٣٢١/٤-٣٤٣ ، وانظر النزاهة : ٦/٥٠٥ .
 - (٣) انظر السير : (سعيد بن جبیر) ٣٢١/٤-٣٤٣ ، وانظر النزاهة : ٦/٥٠٥ .
 - (٤) انظر السير : (القرظي) ٦٥/٥-٦٨ ، وانظر النزاهة : ٣/٥٨١ .
 - (٥) انظر السير : (حاتم الأصم) ٤٨٤-٤٨٧/١١ ، وانظر النزاهة : ٢/٩٦٠ .

٧- الاستِخَارَةُ نَوْعٌ مِنَ التَّوَكُّلِ :

قال أبو عُثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْحِيرِي : حَدَّثَنَا ابْنُ خُزَيْمَةَ قَالَ : كُنْتُ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَصْنَفَ الشَّيْءَ أَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ مُسْتَخِيرًا حَتَّى يُفْتَحَ لِي ، ثُمَّ أُبْتَدِءُ التَّصْنِيفَ ، ثُمَّ قَالَ أَبُو عُثْمَانَ : إِنَّ اللَّهَ لَيَدْفَعُ الْبَلَاءَ عَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِمَكَانِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ - يَعْنِي ابْنَ خُزَيْمَةَ ^(١) .

الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ وَالرَّجَاءُ

١- تَعْرِيفُ الْخَشْيَةِ :

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : إِنَّ الْخَشْيَةَ أَنْ تَخْشَى اللَّهَ حَتَّى تَحُولَ خَشْيَتُكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ ، فَتَلِكُ الْخَشْيَةُ ، وَالذُّكْرُ طَاعَةُ اللَّهِ ، فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ ، فَقَدْ ذَكَرَهُ ، وَمَنْ لَمْ يُطِعه فَلَيْسَ بِذَاكِرٍ وَإِنْ أَكْثَرَ التَّسْبِيحَ وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ ^(٢) .

٢- الْجَمْعُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ :

قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الثَّقَفِيُّ ، سَمِعْتُ بَكْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ : لَوْ قِيلَ لِي : خُذْ بِيَدِ خَيْرِ أَهْلِ الْمَسْجِدِ ، لَقُلْتُ : دُلُّونِي عَلَى أَنْصَحِهِمْ لِعَامَّتِهِمْ ، فَإِذَا قِيلَ : هَذَا ، أَخَذْتُ بِيَدِهِ ، وَلَوْ قِيلَ لِي : خُذْ بِيَدِ شَرِّهِمْ ، لَقُلْتُ : دُلُّونِي عَلَى أَعْشِهِمْ لِعَامَّتِهِمْ ، وَلَوْ أَنَّ مُنَادِيًا نَادَى مِنَ السَّمَاءِ : إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْكُمْ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، لَكَانَ يَنْبَغِي لِكُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَلْتَمِسَ أَنْ يَكُونَ هُوَ ، وَلَوْ أَنَّ مُنَادِيًا نَادَى : إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ مِنْكُمْ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ لَكَانَ يَنْبَغِي لِكُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَفْرُقَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْوَاحِدَ ^(٣) .

(١) انظر السير : (ابن خزيمة) ١٤/٣٦٥-٣٨٢ ، وانظر النزهة : ٢/١١٦٠ .

(٢) انظر السير : (سعيد بن جبير) ٤/٣٢١-٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٨/٥٠٥ .

(٣) انظر السير : (بكر بن عبد الله) ٤/٥٣٢-٥٣٦ ، وانظر النزهة : ٢/٥٥١ .

٣- شِعْرٌ فِي الرَّجَاءِ :

قال ابنُ الفرَضي (١) :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَأَقِفُ
يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو سِوَاكَ وَيَتَّقِي
فِيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي
وَمِنْ شِعْرِ الدَّأُوْدِيِّ (٢) :

رَبِّ تَقَبَّلْ عَمَلِي
أَصْلِحْ أَمْوَرِي كُلَّهَا
وَلَا تُخَيِّبْ أَمَلِي
قَبْلِ حُلُولِ الْأَجَلِ

٤- الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَا مِنْ غَيْرِهِ :

قال سَرِيٌّ بِنُ الْمُغَلِّسِ : سَمِعْتُ الْفَضِيلَ يَقُولُ : مَنْ خَافَ اللَّهَ لَمْ يَضْرِهِ أَحَدٌ ، وَمَنْ خَافَ غَيْرَ اللَّهِ لَمْ يَنْفَعِهِ أَحَدٌ (٣) .

٥- الْخَشْيَةُ تُعِينُ عَلَى الطَّاعَةِ :

عن عُبيدِ اللَّهِ بنِ أَبِي جَعْفَرٍ قالَ : كانَ يُقالُ : ما اسْتَعانَ عبدٌ على دينه ، بمثلِ الْخَشْيَةِ مِنَ اللَّهِ (٤) .

٦- لماذا يَقِلُّ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ :

عن ابنِ أَبِي حاتمٍ : قالَ لي عَلِيُّ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ : قالَ لي أَحْمَدُ ابنُ عاصِمٍ

-
- (١) انظر السير : (ابنُ الفرَضي) ١٧٧/١٧ - ١٨٠ ، وانظر النزهة : ١/١٣٣٤ .
 - (٢) انظر السير : (الدَّأُوْدِيُّ) ٢٢٢-٢٢٦ ، وانظر النزهة : ٤/١٤٠٦ .
 - (٣) انظر السير : (الفَضِيلُ بنِ عِياضِ) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٥/٧٧٣ .
 - (٤) انظر السير : (عُبيدُ اللَّهِ بنِ أَبِي جَعْفَرٍ) ٨/٦ - ١٠ ، وانظر النزهة : ٢/٦٢٥ .

الأنطاكِيُّ : قَلَّةُ الخَوْفِ مِنْ قَلَّةِ الحُزْنِ فِي القَلْبِ ، كَمَا أَنَّ البَيْتَ إِذَا لَمْ يُسْكَنْ خَرِبَ^(١) .

٧- البكاء من خشية الله :

قال المُطَلِّبُ بْنُ زيَادٍ : عن عبدِ الله بنِ عيسى : كان في وَجْهِ عُمَرَ بنِ الحَطَّابِ حَطَّانِ أسودانِ مِنَ البكاءِ^(٢) .

عن عبدِ الله بنِ عُبيد بنِ عُمير ، عن أبيه : أنه تلا : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾^(٣) فجعل ابنِ عمر يبكي حتى لثقتَ لحيتهُ وجيبه من دموعه ، فأراد رجل أن يقول لأبي : أفصِرْ ، فقد آذيتَ الشيخَ^(٤) ،^(٥) .

وعن نافع : كان ابنُ عُمَرَ إذا قرأ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ ﴾^(٦) بكى حتى يغلبه البكاء^(٧) .

وروى خالدُ بنُ معدان : عن كَعْبِ الأَحْبَارِ ، قال : لأن أبكي من خشية أحب إليَّ من أن أتصدق بورني ذهباً .

توفي كَعْبٌ بَحْمَنَ ذاهباً للغزو في أواخرِ خلافةِ عُثمانَ رضي الله عنه ، فلقد كان من أوعية العِلْمِ^(٨) .

(١) انظر السير : (الأنطاكِيَّ) (١١ / ٤٠٩ - ٤١٠ ، وانظر النزهة : ٣ / ٩٥٥ .

(٢) انظر السير : (عُمَرَ بنِ الحَطَّابِ) ، وانظر النزهة : ٢ / ٤٩ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٤١ .

(٤) أخرجه ابنُ سعد (٤ / ١٦٢) من طريق موسى بن مسعود بهذا الإسناد ، وموسى بن مسعود : هو أبو حذيفة النهدي - سيءُ الحفظ ، وباقي السند رجاله ثقات ، وقوله : « حتى لثقت لحيته » أي : ابتلت ، يُقالُ : لثقت الطائرُ ، إذا ابتلَ ريشه .

(٥) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عُمَرَ) ٣ / ٢٠٣ - ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٥ / ٣٦٧ .

(٦) سورة الحديد ، الآية : ١٦ .

(٧) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عُمَرَ) ٣ / ٢٠٣ - ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٦ / ٣٦٧ .

(٨) انظر السير : (كَعْبِ الأَحْبَارِ) ٣ / ٤٨٩ - ٤٩٤ ، وانظر النزهة : ٢ / ٤١٤ .

وكان العلاء بن زياد ربانياً تقياً فانتأ لله ، بكاءً من خشية الله^(١) .

قال قتادة : كان العلاء بن زياد قد بكى حتى غشي بصره ، وكان إذا أراد أن يقرأ أو يتكلم ، جهشه البكاء ، وكان أبوه قد بكى حتى عمي^(٢) .

وقال أحمد بن إبراهيم الدؤرقمي : حدثنا يحيى بن الفضل الأنيسي ، سمعت بعض من يذكر عن محمد بن المنكدر ، أنه بينا هو ذات ليلة قائم يصلي إذ استبكي ، فكثرت بكاه حتى فرغ له أهله ، وسأله ، فاستعجم عليهم ، وتمادى في البكاء ، فأرسلوا إلى أبي حازم ف جاء إليه ، فقال : ما الذي أبكاك ؟ قال مرث بي آية ، قال : ما هي ؟ قال : ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ آلِهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾^(٣) ، فبكى أبو حازم معه ، فاشتد بكاههما^(٤) .

وكان محمد بن المنكدر إذا بكى ، مسح وجهه ولحيته من دموعه ، ويقول : بلغني أن النار لا تأكل موضعاً مسته الدموع^(٥) .

وقال عطاء الخفاف : ما لقيت سُفيان الثوري إلا باكياً ، فقلت : ما شأنك ؟ قال : أتخوف أن أكون في أم الكتاب شقياً^(٦) .

وقال يحيى بن أبي بكير : قلت للحسن بن صالح : صف لنا غسل الميت فما قدر عليه من البكاء^(٧) .

وقال أبو زرعة : حدثني أبو النصر إسحاق بن إبراهيم ، قال : كنت أسمع وقع دموع سعيد بن عبد العزيز على الحصير في الصلاة^(٨) .

(١) انظر السير : (العلاء بن زياد) ٤/٢٠٢-٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٣/٤٧٧ .

(٢) انظر السير : (العلاء بن زياد) ٤/٢٠٢-٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٤/٤٧٧ .

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٤٧ .

(٤) انظر السير : (محمد بن المنكدر) ٥/٣٥٣-٣٦١ ، وانظر النزهة : ٧/٦٠٧ .

(٥) انظر السير : (محمد بن المنكدر) ٥/٣٥٣-٣٦١ ، وانظر النزهة : ٦/٦٠٨ .

(٦) انظر السير : (سُفيان الثوري) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٥/٦٩٨ .

(٧) انظر السير : (الحسن بن صالح) ٧/٣٦١-٣٧١ ، وانظر النزهة : ٢/٧٠٣ .

(٨) انظر السير : (سعيد بن عبد العزيز) ٨/٣٢-٣٨ ، وانظر النزهة : ٤/٧٢٣ .

وقال أبو عبد الرَّحْمَنِ الأَسَدِي : قُلْتُ لَسَعِيدِ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ : ما هَذَا البُكَاءُ الَّذِي يَعْرضُ لَكَ فِي الصَّلَاةِ ؟ فَقَالَ : يا ابنَ أَخِي ، وما سؤَالُكَ عن ذلك ؟ قُلْتُ : لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ ، فَقَالَ : ما قُمْتُ إلى صَلَاةٍ إِلَّا مَثَلْتُ لِي جَهَنَّمَ^(١) .

وقال نَعِيمُ بْنُ حَمَّادٍ : كانَ ابنُ المُبارَكِ إذا قرأ كتابَ الرِّقاقِ ، يَصِيرُ كأنَّهُ ثورٌ مَنْحورٌ ، أو بَقْرَةٌ مَنْحورَةٌ ، من البُكَاءِ ، لا يَجْتَرِيءُ أَحَدٌ مِنْ أَنْ يَسأَلَهُ عن شَيْءٍ إِلَّا دَفَعَهُ^(٢) .

وقال الزَّاهِدُ يُوسُفُ الهَمْدَانِي : انظَرَشَ أبو الحُسَيْنِ ، فكانَ يَقْرَأُ عَلَيْنَا ، وكانَ دائِمَ العِبادَةِ ، قرأَ عَلَيْنَا حَدِيثَ المَلَكِينِ^(٣) . فبَكَى بُكاءً عَظِيماً ، وأبَكَى الحَاضِرِينَ . ماتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ^(٤) .

٨- تَرَكَ البُكَاءُ خِذْلانَ :

وقال أبو سُلَيْمانَ الدَّارَانِيُّ : لِكُلِّ شَيْءٍ عَلمٌ ، وَعَلمُ الخِذْلانِ تَرَكَ البُكَاءِ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ صَدَأٌ ، وَصَدَأُ القَلْبِ الشَّعْبُ^(٥) .

٩- البُكَاءُ المَطْلُوبُ :

عن مُعاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ قالَ : بُكاءُ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بُكاءِ العَيْنِ^(٦) .

(١) انظر السير : (سعيد بن عبد العزيز) ٣٢-٣٨ / ٨ ، وانظر النزهة : ٥ / ٧٢٣ .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٣٧٨-٤٢١ / ٨ ، وانظر النزهة : ٤ / ٧٦٧ .

(٣) ينظر في هذا حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل المخرج في «المُسْنَدِ» (٤ / ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦) وأبي داؤد (٣٢١٢) الطيالسي (٧٥٣) ، وصححه الحاكم (١ / ٣٧ / ٤٠) ، وأقره الذهبي ، وصححه غير واحد من الأئمة وهو كما قالوا ، وحديث أنس في البخاري (١٣٧٤) ، ومسلم (٢٨٧٠) .

(٤) انظر السير : (ابن المهدي بالله) ١٨ / ٢٤١-٢٤٤ ، وانظر النزهة : ١ / ١٤٠٩ .

(٥) انظر السير : (أبو سليمان الداراني) ١٠ / ١٨٢-١٨٦ ، وانظر النزهة : ٣ / ٨٦٥ .

(٦) انظر السير : (معاوية بن قرة) ٥ / ١٥٣-١٥٥ ، وانظر النزهة : ٤ / ٥٩٤ .

١٠- العَمَى من كَثْرَةِ البُكَاءِ :

قَالَ قَتَادَةُ : كَانَ الْعَلَاءُ بْنُ زِيَادٍ قَدِ بَكَى حَتَّى غَشِيَ بَصَرَهُ ، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ أَوْ يَتَكَلَّمَ ، جَهَشَهُ الْبُكَاءُ ، وَكَانَ أَبُوهُ قَدِ بَكَى حَتَّى عَمِيَ ^(١) .

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ مُسْلِمٍ : بَكَى عَلِيُّ بْنُ بَكَّارٍ ، حَتَّى عَمِيَ ، وَكَانَ قَدِ أَثْرَتِ الدَّمُوعُ فِي خَدَّيْهِ ^(٢) .

وَقَالَ الْحَاكِمُ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ عَلَّكَ يَقُولُ : مَاتَ الْبُخَارِيُّ ، فَلَمْ يُخْلَفْ بِخُرَّاسَانَ مِثْلَ أَبِي عَيْسَى التَّرْمِذِيِّ ، فِي الْعِلْمِ وَالْحِفْظِ ، وَالْوَرَعِ وَالزُّهْدِ بَكَى حَتَّى عَمِيَ ، وَبَقِيَ ضَرِيرًا سِنِينَ ^(٣) .

١١- الْعَشِيُّ (الْإِغْمَاءُ) مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ :

قِيلَ : إِنَّ حَوْشَبًا قَالَ لِمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ : رَأَيْتُ ، كَأَنَّ مُنَادِيًا يُنَادِي الرَّحِيلَ ، الرَّحِيلَ ، فَمَا أَزْتَحَلُّ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ فَبَكَى مَالِكٌ ، وَخَرَّ مَغْشِيًا عَلَيْهِ ^(٤) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا الْغَلَابِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ الْجَرَمِيُّ النَّحْوِيُّ ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ ، قَالَ : حَجَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - يَعْنِي هَارُونَ الرَّشِيدَ - فَقَالَ لِي : وَيْحَكَ ، قَدْ حَكَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ ، فَاَنْظُرْ لِي رَجُلًا أَسْأَلُهُ فَقُلْتُ : هَا هُنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، فَقَالَ : امْضِ بِنَا إِلَيْهِ ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَفَرَعْنَا بَابَهُ ، فَقَالَ : مَنْ ذَا ؟ فَقُلْتُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَخَرَجَ مُسْرِعًا ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أُرْسِلْتَ إِلَيَّ أَتَيْتُكَ فَقَالَ : خُذْ لِمَا جِئْتُكَ لَهُ ، فَحَدَّثَنِي سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : عَلَيْكَ دَيْنٌ قَالَ : نَعَمْ فَقَالَ لِي : اقْضِ دَيْنَهُ ، فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَ : مَا أَغْنَى عَنِّي صَاحِبُكَ شَيْئًا ، قُلْتُ : هَا هُنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ : امْضِ بِنَا إِلَيْهِ ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَفَرَعْتُ الْبَابَ فَخَرَجَ ، وَحَادَثَنِي سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : عَلَيْكَ دَيْنٌ ؟ قَالَ :

(١) انظر السير : (العلاء بن زياد) ٢٠٢/٤ - ٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٤/٤٧٧ .

(٢) انظر السير : (علي بن بكار) ٥٨٤/٩ - ٥٨٥ ، وانظر النزهة : ٣/٨٤١ .

(٣) انظر السير : (الترمذي) ٢٧٠/١٣ - ٢٧٧ ، وانظر النزهة : ١/١٠٨١ .

(٤) انظر السير : (محمد بن واسع) ١١٩/٦ - ١٢٣ ، وانظر النزهة : ٩/٦٣٨ .

نَعَمْ قَالَ : يَا أَبَا عَبَّاسٍ ، أَقْضِ دَيْنَهُ ، فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَ : مَا أَغْنَىٰ عَنِّي صَاحِبُكَ شَيْئاً ، انظُرْ لِي رَجُلًا أَسْأَلُهُ ، قُلْتُ : هَا هُنَا الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ ، قَالَ : امْضِ بِنَا إِلَيْهِ ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي ، يَتْلُو آيَةً يُرَدِّدُهَا ، فَقَالَ : اقْرَأِ الْبَابَ ، فَفَرَعْتُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : مَا لِي وَلَا مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ ، أَمَا عَلَيْكَ طَاعَةٌ ، فَتَزَلَّ ، فَفَتَحَ الْبَابَ ، ثُمَّ ارْتَقَىٰ إِلَى الْغُرْفَةِ ، فَأَطْفَأَ السَّرَاجَ ثُمَّ التَّجَأَ إِلَى زَاوِيَةٍ ، فَدَخَلْنَا ، فَجَعَلْنَا نَجُولُ عَلَيْهِ بِأَيْدِينَا ، فَسَبَّحْتُ كَفُّ هَارُونَ قَبْلِي إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا لَهَا مِنْ كَفِّ ، مَا أَلَيْنَهَا إِنْ نَجَتْ عَدَاً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَيْكَلَمَنَّهُ اللَّيْلَةَ بِكَلَامٍ نَقِيٍّ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ ، فَقَالَ لَهُ : خُذْ لِمَا جِئْنَاكَ لَهُ ، رَحِمَكَ اللَّهُ ، فَقَالَ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ دَعَا سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ ، وَرَجَاءَ بْنَ حَيَّوَةَ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ ابْتُلَيْتُ بِهَذَا الْبَلَاءِ فَأَشِيرُوا عَلَيَّ ، فَعَدَّ الْخِلَافَةَ بِلَاءً وَعَدَدْتُهَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ نِعْمَةً ، فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ : إِنْ أَرَدْتَ النَّجَاةَ ، فَصُمْ الدُّنْيَا ، وَلْيَكُنْ إِفْطَارُكَ مِنْهَا الْمَوْتُ ، وَقَالَ ابْنُ كَعْبٍ : إِنْ أَرَدْتَ النَّجَاةَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، فَلْيَكُنْ كَبِيرُ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَكَ أَبَا ، وَأَوْسَطُهُمْ أَحَا ، وَأَضْعَرُّهُمْ وَوَلَدَا ، فَوْقَ أَبَاكَ ، وَأَكْرَمُ أَحَاكَ ، وَتَحَنَّنْ عَلَيَّ وَوَلَدِكَ .

وقال له رجاءٌ : إِنْ أَرَدْتَ النَّجَاةَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، فَاحْبَبْ لِلْمُسْلِمِينَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَاكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ ، ثُمَّ مِتْ إِذَا شِئْتَ ، وَإِنِّي أَقُولُ لَكَ هَذَا وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَشَدَّ الْخَوْفِ يَوْمًا تَزَلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ ، فَهَلْ مَعَكَ رَحِمَكَ اللَّهُ مَنْ يُشِيرُ عَلَيْكَ بِمِثْلِ هَذَا ، فَبَكَى هَارُونَ بُكَاءً شَدِيداً حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : ارْزُقْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : يَا بَنَ أُمَّ الرَّبِيعِ ، تَقْتُلُهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ ، وَارْزُقْ بِهِ أَنَا ؟ !! ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ لَهُ : زِدْنِي رَحِمَكَ اللَّهُ قُلْتُ : بَلَّغْنِي أَنَّ عَامِلاً لِعُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ شُكِيَ إِلَيْهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : يَا أَخِي أَذْكَرُكَ طُولَ سَهْرِ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ مَعَ خُلُودِ الْأَبَدِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ يُنْصَرَفَ بِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَيَكُونُ آخِرَ الْعَهْدِ وَانْقِطَاعِ الرَّجَاءِ ، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ طَوَى الْبِلَادَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : خَلَعْتَ قَلْبِي بِكِتَابِكَ ، لَا أَعُودُ إِلَى وِلَايَةِ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ ، فَبَكَى هَارُونَ بُكَاءً شَدِيداً ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ الْعَبَّاسَ عَمَّ النَّبِيَّ

صلى الله عليه وسلم جاء إليه فقال : أمرني ، فقال له : « إِنَّ الإِمَارَةَ حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَكُونَ أَمِيرًا فَافْعَلْ » فَبَكَى هَارُونُ ، وَقَالَ : زِدْنِي قَالَ : يَا حَسَنَ الْوَجْهِ أَنْتَ الَّذِي يَسْأَلُكَ اللَّهُ عَنْ هَذَا الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقِي هَذَا الْوَجْهَ مِنَ النَّارِ فَافْعَلْ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ وَفِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ أَصْبَحَ لَهُمْ غَاشًّا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ » فَبَكَى هَارُونُ وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ دَيْنٌ ؟ قَالَ نَعَمْ : دَيْنٌ لِرَبِّي ، لَمْ يُحَاسِبْنِي عَلَيْهِ ، فَالْوَيْلُ لِي إِنْ سَاءَ لَنِي ، وَالْوَيْلُ لِي إِنْ نَاقَشَنِي ، وَالْوَيْلُ لِي إِنْ لَمْ أَهْمْ حُجَّتِي ، قَالَ : إِنَّمَا أَعْنِي مِنْ دَيْنِ الْعِبَادِ ، قَالَ : إِنْ رَبِّي لَمْ يَأْمُرْنِي بِهَذَا ، أَمَرَنِي أَنْ أَصْدَقَ وَعَدَهُ ، وَأَطِيعَ أَمْرَهُ ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ^(١) ، فَقَالَ : هَذِهِ أَلْفُ دِينَارٍ خُذْهَا ، فَأَنْفِقْهَا عَلَى عِيَالِكَ ، وَتَقَوَّ بِهَا عَلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ أَنَا أَذْكَ عَلَى طَرِيقِ النَّجَاةِ وَأَنْتَ تُكَافِئُنِي بِمِثْلِ هَذَا!! سَلَّمَكَ اللَّهُ ، وَوَفَّقَكَ ثُمَّ صَمَتَ ، فَلَمْ يُكَلِّمْنَا ، فَخَرَجْنَا ، فَقَالَ هَارُونُ : أبا عَبَّاسَ ، إِذَا دَلَّتُنِي ، فَدَلَّنِي عَلَى مِثْلِ هَذَا ، هَذَا سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِهِ فَقَالَتْ : قَدْ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الضُّيْقِ ، فَلَوْ قَبِلْتَ هَذَا الْمَالَ قَالَ : إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُكُمْ كَمِثْلِ قَوْمٍ لَهُمْ بَعِيرٌ يَأْكُلُونَ مِنْ كَسْبِهِ ، فَلَمَّا كَبِرَ نَحْرُوهُ ، فَأَكَلُوا لَحْمَهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ هَارُونُ هَذَا الْكَلَامَ قَالَ : نَدْخُلُ فَعَسَى أَنْ يَقْبَلَ الْمَالَ ، فَلَمَّا عَلِمَ الْفُضَيْلُ ، خَرَجَ فَجَلَسَ فِي السَّطْحِ عَلَى بَابِ الْعُرْفَةِ ، فَجَاءَ هَارُونُ ، فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ يُكَلِّمُهُ فَلَا يُجِيبُهُ ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءَ ، فَقَالَتْ : يَا هَذَا قَدْ آذَيْتَ الشَّيْخَ مِنْذُ اللَّيْلَةِ ، فَاَنْصَرِفْ ، فَاَنْصَرَفْنَا ^(٢) .

قال إبراهيم بن الحارث العبادي : حدثنا عبد الرحمن بن عوفان ، حدثنا أبو بكر بن عياش قال : صليت خلف فضيل بن عياض المغرب وابنه علي إلى جاني

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

(٢) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٨ / ٤٢١ - ٤٤٢ ، وانظر التزمة : ٨ / ٧٧٤ .

فقرأ : ﴿ أَلَهْنَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾^(١) فلَمَّا قَالَ : ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾^(٢) سَقَطَ عَلَيَّ عَلِيٌّ وَجْهَهُ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ^(٣) .

وقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ لِلْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ : يَا أَبَا عَلِيٍّ مَا أَحْسَنَ حَالَ مَنْ انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ ، فَسَمِعَ ذَلِكَ عَلِيٌّ ابْنَهُ ، فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ^(٤) .

وعن محمد بن ناجية قال : صَلَّيْتُ خَلْفَ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ ، فَقَرَأَ : ﴿ الْحَاقَّةُ ﴾^(٥) فِي الصُّبْحِ فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾^(٦) غَلَبَهُ الْبُكَاءُ فَسَقَطَ ابْنُهُ عَلِيٌّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ^(٧) .

وعن مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَانَ قَالَ : كَانَ عَلِيٌّ بْنُ الْفُضَيْلِ عِنْدَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، فَحَدَّثَ بِحَدِيثٍ فِيهِ ذِكْرُ النَّارِ ، فَشَهَقَ عَلِيٌّ شَهْقَةً ، وَوَقَعَ ، فَالْتَمَتِ سُفْيَانُ فَقَالَ : لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ هَاهُنَا مَا حَدَّثْتُ بِهِ ، فَمَا أَفَاقَ إِلَّا بَعْدَ مَا شَاءَ اللَّهُ^(٨) .

وقَالَ خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ : قَرِئَ عَلِيٌّ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ وَهَبٍ كِتَابَ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ - وَهُوَ مِنْ تَأْلِيْفِهِ - فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ قَالَ : فَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِكَلِمَةٍ حَتَّى مَاتَ بَعْدَ أَيَّامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(٩) .

وقَالَ تَمِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : سَمِعْتُ سُؤَيْدَ بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ : كُنْتُ عِنْدَ سُفْيَانَ ، فَجَاءَ الشَّافِعِيُّ فَسَلَّمَ ، وَجَلَسَ ، فَرَوَى ابْنُ عُيَيْنَةَ حَدِيثًا رَقِيقًا ، فَغُشِيَ عَلَى الشَّافِعِيِّ ، فَقِيلَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ ، فَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : إِنْ كَانَ مَاتَ ، فَقَدْ مَاتَ أَفْضَلُ أَهْلِ زَمَانِهِ^(١٠) .

(١) سورة التكاثر ، الآية : ١ .

(٢) سورة التكاثر ، الآية : ٦ .

(٣) انظر السير : (علي بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزاهة : ٣/٧٨٠ .

(٤) انظر السير : (علي بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزاهة : ٥/٧٨٠ .

(٥) سورة الحاقة ، الآية : ١ .

(٦) سورة الحاقة ، الآية : ٣٠ .

(٧) انظر السير : (علي بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزاهة : ٦/٧٨٠ .

(٨) انظر السير : (علي بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزاهة : ٤/٧٨١ .

(٩) انظر السير : (عبد الله بن وهب) ٩/٢٢٣-٢٣٤ ، وانظر النزاهة : ٢/٨١٩ .

(١٠) انظر السير : (الإمام الشافعي) ١٠/١٠٠-٩٩ ، وانظر النزاهة : ٣/٨٤٦ .

١٢- المَوْتُ من خَشْيَةِ الله :

عن يَعْلَى بنِ حَكِيم ، قَالَ : قَالَ سَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ : مَا رَأَيْتُ أَرْعَى لِحُرْمَةِ هَذَا الْبَيْتِ ، وَلَا أَحْرَصَ عَلَيْهِ ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، لَقَدْ رَأَيْتُ جَارِيَةً ذَاتَ لَيْلَةٍ تَعَلَّقَتْ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ تَدْعُو وَتَضْرَعُ وَتَبْكِي حَتَّى مَاتَتْ (١) .

وَقَالَ الْخَطِيبُ : مَاتَ عَلِيُّ بنُ الْفَضِيلِ قَبْلَ أَبِيهِ بِمُدَّةٍ مِنْ آيَةٍ سَمِعَهَا تُقْرَأُ ، فغُشِيَ عَلَيْهِ ، وَتَوَفِّيَ فِي الْحَالِ (٢) .

وَقَالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الْمِصْرِيُّ ، سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدِ الْخَرَّازِ ، سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بنَ بَشَّارٍ يَقُولُ : الْآيَةُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا عَلِيُّ بنُ الْفَضِيلِ ، فِي الْأَنْعَامِ : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾ (٣) معَ هَذَا الْمَوْضِعِ مَاتَ وَكُنْتُ فِي مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ، رَحِمَهُ اللهُ (٤) .

وَحَكَى الْقَاضِي حُسَيْنُ عَنِ الْقَفَّالِ أَسْتَاذِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ يَقَعُ عَلَيْهِ الْبُكَاءُ حَالَةَ الدَّرْسِ ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ : مَا أَغْفَلْنَا عَمَّا يُرَادُ بِنَا .
مَاتَ فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ تِسْعُونَ سَنَةً (٥) .

١٣- صَغِيرٌ عَظِيمٌ يَخْشَى اللهُ :

وَرَوَى ضِمَّامُ بنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ أَبِي قَبِيلٍ : أَنَّ عُمَرَ بنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَكَى وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ فَأُرْسِلَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ ، وَقَالَتْ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : ذَكَرْتُ الْمَوْتَ .
قَالَ : وَكَانَ يَوْمَئِذٍ قَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ ، فَبَكَتْ أُمُّهُ حِينَ بَلَغَهَا ذَلِكَ (٦) .

-
- (١) انظر السير : (سَعِيدُ بنِ جُبَيْرٍ) ٤/٣٢١-٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٦/٥٠٦ .
 - (٢) انظر السير : (عَلِيُّ بنُ الْفَضِيلِ) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/٧٨٠ .
 - (٣) سورة الأنعام ، الآية : ٢٧ .
 - (٤) انظر السير : (عَلِيُّ بنِ الْفَضِيلِ) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٧/٧٨١ .
 - (٥) انظر السير : (الْقَفَّالِ) ١٧/٤٠٥-٤٠٨ ، وانظر النزهة : ١/١٣٤٨ .
 - (٦) انظر السير : (عُمَرُ بنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ) ٥/١١٤-١٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/٥٨٦ .

١٤- شِعْرٌ فِي الْخَشْيَةِ :

قال عمرو بن مسرور ، أنشدنا أبو سهل الحنفي لنفسه^(١) :

أَنَا عَلَى سَهْوٍ وَتَبْكِي الْحَمَائِمُ وَلَيْسَ لَهَا جُرْمٌ وَمِنِّي الْجَرَائِمُ
كَذَبْتُ وَبَيْتِ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ عَاقِلًا لَمَا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَائِمُ
وقال ابن الفرّضي^(٢) :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفٌ
يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا وَيَرْجُو فِيهَا فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفٌ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو سِوَاكَ وَيَتَّقِي وَمَالِكَ فِي فَضْلِ الْقَضَاءِ مُخَالَفٌ
فَيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَائِفُ

١٥- صُورٌ عَلَى الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ :

عن ابن عمَرَ قال : شَهِدْتُ جُلُودًا ، فابْتَعْتُ مِنَ الْمَغْنَمِ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا ، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ قَالَ : أَرَأَيْتَ لَوْ عَرَضْتُ عَلَى النَّارِ فَقِيلَ لَكَ : افْتَدِهِ ، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًّا بِهِ ؟ قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا مِنْ شَيْءٍ يُوْذِيكَ إِلَّا كُنْتُ مُفْتَدِيًّا مِنْهُ ، قَالَ : كَأَنِّي شَاهِدُ النَّاسِ حِينَ تَبَايَعُوا فَقَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَأَنْتَ كَذَلِكَ ، فَكَانَ أَنْ يُرْخِصُوا عَلَيْكَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يُغْلُوا عَلَيْكَ ، وَإِنِّي قَاسِمٌ مَسْئُولٌ وَأَنَا مُعْطِيكَ أَكْثَرَ مَا رَبِحَ تَاجِرٌ مِنْ قُرَيْشٍ : لَكَ رِبْحُ الدَّرْهَمِ دَرَاهِمَ ، قَالَ : ثُمَّ دَعَا التَّجَارَ فابْتَاعُوا مِنْهُ بِأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفِ دَرَاهِمَ ، فَدَفَعَ إِلَيَّ ثَمَانِينَ أَلْفًا وَبَعَثَ بِالْبَاقِي إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ لِيَقْسِمَهُ^(٣) .

قال الإمام الذهبي في ترجمته أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : وأثنى عليه ابن

(١) انظر السير : (الصُّغْلُوكِيُّ) ١٦/٢٣٥-٢٣٩ ، وانظر النزعة : ٤/١٢٩١ .

(٢) انظر السير : (ابن الفرّضي) ١٧/١٧٧-١٨٠ ، وانظر النزعة : ١/١٣٣٤ .

(٣) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزعة : ٢/٥٠ .

عبّاس ، فقال : لو أنّ لي طلاع الأرضِ ذهباً^(١) فافتديتُ به من هَوْلِ الْمُطَّلَعِ ، وقد جعلتها شورى في عثمانَ وعليٍّ وطلحةَ ، والزُّبيرِ ، وعبدِ الرَّحْمَنِ ، وسعدَ ، وأمرَ صُهَيْباً أن يُصَلِّيَ بالنَّاسِ ، وأَجَلَ السِّتَّةَ ثلاثاً .

وعن عمرو بن ميمون أن عمرَ قالَ : « الحمدُ لله الذي لم يجعل مَنِّي بيد رجلٍ يدّعي الإسلامَ » ثم قال لابنِ عبّاس أنتَ وأبوك تُحِبَّانِ أنْ يكثرَ العلوجُ بالمدينة ، وكان العبّاسُ أكثرَهم رقيقاً .

ثم قالَ : يا عبدَ الله! انظرْ ما عليّ من الدِّينِ ، فحَسَبوه فوجدوه سِتَّةَ وثمانين ألفاً أو نحوها ، فقالَ : إن وَفَى مالُ آلِ عُمرَ فأدّه من أموالِهِم ، وإلّا فاسألْ في بني عديّ ، فإن لم تَفِ أموالُهُم فسَلْ في قريش ، اذهب إلى أمِّ المؤمنين عائشةَ فقلْ : يَسْتَأْذِنُ عُمرُ أن يُدْفَنَ مع صَاحِبِيهِ ، فذهب إليها فقالتَ : كُنْتُ أريدهُ - تعني المكانَ - لِنَفْسِي ، ولأوثرتهُ اليومَ على نَفْسِي ، قالَ : فاتى عبدُ الله فقالَ : أذِنْتَ لك ، فحمدَ الله .

ثم جاءت أمُّ المؤمنين حَفْصَةُ ، والنِّسَاءُ يَسْتُرْنَها ، فلمّا رأيناها قُمنا ، فمكثتُ عنده ساعةً ، ثم استأذِنَ الرُّجَالُ فولجَت داخِلَةً ، ثم سَمِعنا بُكاءَها وقيلَ له : أوصِ يا أميرَ المؤمنين واستخلفِ ، قالَ : ما أرى أحداً أحقَّ بهذا الأمرِ من هؤلاءِ النَّفَرِ الذين تُوفِّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ ، فسَمَى السِّتَّةَ وقالَ : يَشْهَدُ عبدُ الله بنُ عُمرَ مَعَهُم ، وليسَ له من الأمرِ شيءٌ - كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ له - فإنْ أصابتِ الإمرأةُ سعداً فهو ذاك وإلّا فليستعينَ به أيُّكم ما أمره ، فإنِّي لم أعزِّله من عَجْزٍ ولا خيانةٍ^(٢) .

وعن عبدِ الله بنِ عبّاس قالَ : لَمَّا طَعَنَ عُمرُ جاءَ كَعْبٌ فقالَ : والله لئن دَعَا أميرُ المؤمنين ليُبَيِّتَنَّهُ اللهُ وليزفَعَنَّهُ لهذه الأُمَّةِ حتّى يفعلَ كذا وكذا ، حتّى ذَكَرَ المُنافقينَ فيمنَ ذَكَرَ ، قالَ : قُلْتُ : أبلُغُه ما تقولُ ؟ قالَ : ما قُلْتُ إلّا وأنا أريدُ أنْ تُبلِغُه ، فقمْتُ وتخطَّيْتُ النَّاسَ حتّى جَلَسْتُ عندَ رأسِهِ فقلْتُ : يا أميرَ المؤمنين ، فرَفَعَ رأسَهُ فقلْتُ : إنَّ كَعْباً يَخْلِفُ بالله لئن دَعَا أميرُ المؤمنين ليُبَيِّتَنَّهُ اللهُ وليزفَعَنَّهُ لهذه الأُمَّةِ قالَ :

(١) أي ما يملأ الأرض ذهباً حتى يطلع عنها ويسيل .

(٢) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ١/٥٤ .

ادْعُوا كَعْبًا ، فدَعَوْه ، فقالَ : ما تقولُ ؟ قالَ : أقولُ كذا وكذا ، فقالَ : لا والله لا أدعو اللهَ ولكنَّ شَقِيَّ عُمَرَ إن لم يَغْفِرِ اللهُ له .

وعن ابنِ عَبَّاسٍ قالَ : كانَ أبو لؤلؤةَ مَجُوسِيًّا^(١) .

وقالَ ابنُ عُمَرَ : كانَ رأسُ عُمَرَ في حِجْرِي ، فقالَ : ضَعُ خَدِّي على الأرضِ ، فوضَعْتُهُ ، فقالَ : وَيْلٌ لي وَيْلٌ أُمِّي إن لم يَرْحَمْنِي رَبِّي^(٢) .

وعن قتادةَ قالَ أبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ ، ودِدْتُ أَنِّي كُنْتُ كَبِشًا ، فيذْبَحُنِي أهلي ، فيأْكُلُونَ لَحْمِي ، وَيَحْسُونَ مَرَقِي^(٣) .

وعن علقمةَ ، قالَ : أتَيْتِ عبدُ اللهَ بِشَرَابٍ فقالَ : أعطِ علقمةَ ، أعطِ مَسْرُوقًا فكلُّهُم قالَ : إنِّي صائمٌ ، فقالَ : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا نَنْقَلِبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾^(٤) ، وقالَ إبراهيمُ : كانَ علقمةُ يَقْرَأُ القرآنَ في حَمْسٍ ، وقالَ علقمةُ : أطيلوا كَرَّ الحديثِ لا يُدْرَسُ^(٥) .

وعن ابنةِ للرَّبِيعِ بنِ خُثَيْمٍ ، قالتَ : كُنْتُ أقولُ : يا أبتاهُ ، ألا تَنَامُ ؟ فيقولُ : كَيْفَ يَنَامُ مَنْ يَخَافُ النَّبِيَّاتَ^(٦) .

وقالَ القاسِمُ بنُ أبي أيُّوبَ : سَمِعْتُ سَعِيدَ بنَ جُبَيْرٍ يُرَدِّدُ هذه الآيةَ في الصَّلَاةِ بِضِعَاً وَعِشْرِينَ مَرَّةً ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾^(٧) ،^(٨) .

قالَ مُعاويةُ بنُ عبدِ الكَرِيمِ الثَّقَفِيُّ ، سَمِعْتُ بَكْرَ بنَ عبدِ اللهَ يَقولُ يَوْمَ الجُمُعَةِ : لَوْ قِيلَ لي : خُذْ بِيَدِ خَيْرِ أَهْلِ المَسْجِدِ ، لَقُلْتُ : دُلُونِي على أَنْصَحِهِم لِعَامَّتِهِم ، فإذا

(١) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ٢/٥٦ .

(٢) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ١/٥٧ .

(٣) انظر السير : (أبو عبيدة بن الجراح) ١/٥٣-٢٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٣ .

(٤) سورة النور ، الآية : ٣٧ .

(٥) انظر السير : (علقمة) ٤/٥٣-٦١ ، وانظر النزهة : ٣/٤٤٣ .

(٦) انظر السير : (الربيع بن خثيم) ٤/٢٥٨-٢٦٢ ، وانظر النزهة : ٥/٤٩٣ .

(٧) سورة البقرة ، الآية : ٢٨١ .

(٨) انظر السير : (سعيد بن جبيرة) ٤/٣٢١-٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٤/٥٠٥ .

قيل : هذا ، أخذت بيده ، ولو قيل لي : خذ بيد شرهم ، لقلت : ذلوني على أغشهم لعامتهم ، ولو أن منادياً نادى من السماء : إنه لا يدخل الجنة منكم إلا رجل واحد ، لكان ينبغي لكل إنسان أن يلمس أن يكون هو ، ولو أن منادياً نادى : إنه لا يدخل النار منكم إلا رجل واحد لكان ينبغي لكل إنسان أن يفرق أن يكون ذلك الواحد^(١) .

وعن الحسن قال : المؤمن من علم أن ما قال الله كما قال ، والمؤمن أحسن الناس عملاً ، وأشد الناس وجلاً ، فلو أنفق جبلاً من ماله ما أمن دون أن يعاين ، لا يزداد صلاحاً وبرا إلا أزداد فرقاً ، والمناقض يقول : سواد الناس كثير ، وسيغفر لي ولا بأس علي فيسيء العمل ، ويتمني على الله^(٢) .

وعن قيس بن مسلم ، قال : كان الضحاك بن مزاحم إذا أمسى بكى ، فيقال له ، فيقول : لا أدري ما صعد اليوم من عملي^(٣) .

وعن الحر بن أبي الحصين العنبري قال : مر طاووس برؤاس قد أخرج رأساً فغشي عليه^(٤) .

وروى عبد الله بن بشر الرقي قال : كان طاووس إذا رأى تلك الرؤوس المشوية لم يتعش تلك الليلة^(٥) .

وعن أبي كبير البصري ، قالت أم محمد بن كعب القرظي له : يا بني! لولا أنني أعرفك طيباً صغيراً وكبيراً لقلت : إنك أذنبت ذنباً موبقاً لما أراك تصنع بنفسك ، قال : يا أمه! وما يؤمنني أن يكون الله قد أطلع علي ، وأنا في بعض ذنوبي فمقتني ، وقال : اذهب لا أعفرك لك ، مع أن عجائب القرآن ترد بي على أمور حتى إنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي^(٦) .

-
- (١) انظر السير : (بكر بن عبد الله) ٤/٥٣٢-٥٣٦ ، وانظر النزهة : ٢/٥٥١ .
 - (٢) انظر السير : (الحسن البصري) ٤/٥٦٣-٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٥/٥٦٣ .
 - (٣) انظر السير : (الضحاك بن مزاحم) ٤/٥٩٨-٦٠٠ ، وانظر النزهة : ٣/٥٦٦ .
 - (٤) انظر السير : (طاووس) ٥/٣٨-٤٩ ، وانظر النزهة : ٢/٥٧٨ .
 - (٥) انظر السير : (طاووس) ٥/٣٨-٤٩ ، وانظر النزهة : ٣/٥٧٨ .
 - (٦) انظر السير : (القرظي) ٥/٦٥-٦٨ ، وانظر النزهة : ١/٥٨١ .

عن مُغيرةَ بنِ حَكِيمٍ : قالتِ فاطمةُ بنتُ عبدِ الملكِ بنِ مروانِ امرأةُ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ : حَدَّثَنَا مُغيرةٌ أَنَّهُ يَكُونُ فِي النَّاسِ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ صَلَاةً وَصِياماً مِنْ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وما رأيتُ أحداً أَشدَّ فَرَقاَ مِنْ رَبِّهِ مِنْهُ ، كانَ إِذا صَلَّى العِشاءَ قَعَدَ فِي مَسْجِدِهِ ، ثُمَّ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى تَغْلِبُهُ عَيْنُهُ ، ثُمَّ يَتَبَّهُ ، فلا يَزَالُ يَدْعُو رافعاً يَدَيْهِ يَبْكِي حَتَّى تَغْلِبُهُ عَيْنُهُ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ لَيْلَةً أَجْمَعٌ ^(١) .

وقال ابنُ شوذبَ : كُنْتُ إِذا رأيتُ هارُونَ بنَ رِئابٍ كأنَّما أفلَعُ عن البُكاءِ ^(٢) .

وقال ابنُ حِبَّانَ : كانَ يَحْيَى بنُ أَبِي كَثِيرٍ مِنَ العُبادِ ، إِذا حَضَرَ جَنازَةَ ، لَمْ يَتَعَشَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، ولا يُكَلِّمُهُ أَحَدٌ .

وقال أبو حاتمٍ : قد رَأى أَنَساً يُصَلِّي فِي الحَرَمِ ^(٣) .

وقال نعيمُ بنُ مُورِغٍ : أتينا عطاءَ السَّلِيمِيِّ ، فَجَعَلَ يَقولُ : لَيْتَ عَطاءُ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّهُ ، وَكَرَّرَ ذَلِكَ حَتَّى اصْفَرَّتِ الشَّمْسُ ^(٤) .

وقال صالحُ المُرِّيُّ : قُلْتُ لَهُ : يا شَيْخُ قد حَدَعَكَ إبليسُ ، فلو شَرِبْتَ ما تَقَوَّى بِهِ على صَلاتِكَ ووضوئِكَ ؟ فأعطاني ثَلَاثَةَ دِراهِمٍ ، وقالَ : تَعاهَدني كُلَّ يَوْمٍ بِشَرِبَةِ سَوِيقٍ ، فَشَرِبَ يَوْمَينِ وَتَرَكَ ، وقالَ : يا صالحُ إِذا ذُكِرْتَ جَهَنَّمَ ، ما يَسْعُنِي طَعامٌ ولا شِرابٌ ^(٥) .

عن عُبَيْدِ اللهِ العَيْشِيِّ قالَ : كانَ هِشامُ الدَّسْتَوائِيِّ إِذا فُقِدَ السَّراجُ مِنْ بَيْتِهِ ، يَتَمَلَّمُ على فِراشِهِ ، فَكانَتْ امرأَتُهُ تَأْتِيهِ بِالسَّراجِ ، فقالتَ لَهُ فِي ذلكَ ، فقالَ : إِنِّي إِذا فَقَدْتُ السَّراجَ ، ذَكَرْتُ ظُلْمَةَ القَبْرِ ^(٦) .

(١) انظر السير : (عُمَرُ بنِ عبدِ العَزِيزِ) ٥/١١٤-١٤٨ ، وانظر النزهة : ١/٥٩١ .

(٢) انظر السير : (هارون بن رئاب) ٥/٢٦٣-٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٢/٦٠٠ .

(٣) انظر السير : (يَحْيَى بنِ أَبِي كَثِيرٍ) ٦/٢٧-٣١ ، وانظر النزهة : ٣/٦٢٧ .

(٤) انظر السير : (عطاء السَّلِيمِيِّ) ٦/٨٦-٨٨ ، وانظر النزهة : ٢/٦٣٤ .

(٥) انظر السير : (عطاء السَّلِيمِيِّ) ٦/٨٦-٨٨ ، وانظر النزهة : ٤/٦٣٤ .

(٦) انظر السير : (هِشامُ الدَّسْتَوائِيِّ) ٧/١٤٩-١٥٦ ، وانظر النزهة : ٤/٦٨٧ .

وعن عبد الله بن حُبَيْق ، قَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ : كَانَ سُفْيَانُ إِذَا أَخَذَ فِي ذِكْرِ الْآخِرَةِ
يَبُولُ الدَّمَ^(١) .

وقال ابنُ مهدي : كُنْتُ أَرْمُقُ سُفْيَانَ فِي اللَّيْلَةِ بَعْدَ اللَّيْلَةِ ، يَنْهَضُ مَرَعُوباً يُنَادِي :
النَّارُ النَّارُ ، شَغَلَنِي ذِكْرُ النَّارِ عَنِ النَّوْمِ وَالشَّهَوَاتِ^(٢) .

وقال ابنُ أبي الدنيا : حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ يَزِيدٍ ، عَنْ فَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ :
بَكَى عَلِيُّ ابْنِي ، فَقُلْتُ : يَا بُنَيَّ مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : أَخَافُ أَلَّا تَجْمَعَنَا الْقِيَامَةَ^(٣) .

وعن عبد الصَّمَدِ بْنِ يَزِيدٍ ، سَمِعْتُ الْفَضِيلَ يَقُولُ : أَشْرَفْتُ لَيْلَةً عَلَى عَلِيٍّ ، وَهُوَ
فِي صَخْنِ الدَّارِ ، وَهُوَ يَقُولُ : النَّارُ ، وَمَتَى الْخَلَاصُ مِنَ النَّارِ ؟ وَقَالَ لِي : يَا أَبَتِ سَلِّ
الَّذِي وَهَبَنِي لَكَ فِي الدُّنْيَا أَنْ يَهَبَنِي لَكَ فِي الْآخِرَةِ ، ثُمَّ قَالَ : لَمْ يَزَلْ مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ
حَزِيناً ، ثُمَّ بَكَى الْفَضِيلُ ، ثُمَّ قَالَ : كَانَ يُسَاعِدُنِي عَلَى الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ ، يَا ثَمَرَةَ
قَلْبِي ، شَكَرَ اللَّهُ لَكَ مَا قَدْ عَلِمَهُ فِيكَ^(٤) .

وقال أبو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِي : كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْفَضِيلِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْرَأَ ﴿الْقَارِعَةُ﴾^(٥)
وَلَا تُقْرَأُ عَلَيْهِ^(٦) .

ويقولُ صالح عن الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ : وَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيراً يَقُولُ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ
سَلِّمْ^(٧) .

وقال المروزي : كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ خَنَقَتْهُ
الْعَبْرَةُ ، وَكَانَ يَقُولُ : الْخَوْفُ يَمْنَعُنِي أَكْلَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَإِذَا ذَكَرْتُ الْمَوْتَ هَانَ

-
- (١) انظر السير : (سُفْيَانُ الثَّوْرِي) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/٦٩٦ .
 - (٢) انظر السير : (سُفْيَانُ الثَّوْرِي) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٢/٧٠٠ .
 - (٣) انظر السير : (عَلِيُّ بْنُ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٤/٧٨٠ .
 - (٤) انظر السير : (عَلِيُّ بْنُ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزهة : ١/٧٨١ .
 - (٥) سورة القارعة (١) .
 - (٦) انظر السير : (عَلِيُّ بْنُ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٣/٧٨١ .
 - (٧) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٥/٩٢٧ .

عَلَيَّ كُلُّ أَمْرِ الدُّنْيَا ، إِنَّمَا هُوَ طَعَامٌ دُونَ طَعَامٍ ، وَلِبَاسٌ دُونَ لِبَاسٍ ، وَإِنَّهَا أَيَّامٌ قَلَانُلٌ ،
مَا أَعْدَلُ بِالْفَقْرِ شَيْئاً ، وَلَوْ وَجَدْتُ السَّبِيلَ لَخَرَجْتُ حَتَّى لَا يَكُونَ لِي ذِكْرٌ^(١) .

وَقَالَ الْحَاكِمُ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ حَمْدُونَ يَقُولُ : رَأَيْتُ أَبَا بَكْرَ الصُّبُعِيَّ غَيْرَ مَرَّةٍ
عَقِيبَ الْأَذَانِ يَدْعُو وَيَبْكِي ، وَرُبَّمَا كَانَ يَضْرِبُ بِرَأْسِهِ الْحَائِطَ حَتَّى خَشِيتُ يَوْمًا أَنْ يُدْمِيَ
رَأْسَهُ ، وَمَا رَأَيْتُ فِي جَمَاعَةٍ مَشَايخِنَا أَحْسَنَ صَلَاةً مِنْهُ ، وَكَانَ لَا يَدْعُ أَحَدًا يُعْتَابُ فِي
مَجْلِسِهِ^(٢) .

الصَّدَق

١- تَعْرِيفُ الصَّدَق :

عَنِ النَّهْرَجُورِيِّ قَالَ : الصَّدَقُ مُوَافَقَةُ الْحَقِّ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَحَقِيقَةُ الصَّدَقِ
الْقَوْلُ بِالْحَقِّ فِي مَوَاطِنِ الْهَلَكَةِ^(٣) .

٢- الصَّدَقُ مَنْجَاةٌ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ : ابْنُ أَبِي كَعْبٍ ، الْأَنْصَارِيُّ ،
الْخَزْرَجِيُّ ، الْعَقَبِيُّ الْأَحْدِيُّ .

شَاعِرٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبُهُ ، وَأَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا ،
فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : كَانَ كَعْبٌ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ ، وَذَهَبَ بَصْرُهُ فِي خِلَافَةِ
مُعَاوِيَةَ^(٤) .

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَعْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ : أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي

(١) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٦/٩٢٩ .

(٢) انظر السير : (الصبغي) ١٥/٤٨٣-٤٨٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٥١ .

(٣) انظر السير : (النهرجوري) ١٥/٢٣٢-٢٣٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٢٤ .

(٤) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/٥٢٣-٥٣٠ ، وانظر النزهة : ٤/٢٩٩ .

الشُّعْرَاءُ مَا أَنْزَلَ قَالَ : « إِنَّ الْمُجَاهِدَ ، مُجَاهِدٌ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَأَنَّ مَا تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضَحَ النَّبْلِ » (١) .

قَالَ ابْنُ سِيرِينَ ، أَمَّا كَعْبٌ ، فَكَانَ يَذْكُرُ الْحَرْبَ ، يَقُولُ : فَعَلْنَا وَنَفَعُلُ وَيَتَهَدَّدُهُمْ ، وَأَمَّا حَسَّانٌ ، فَكَانَ يَذْكُرُ عُيُوبَهُمْ ، وَأَيَّامَهُمْ وَأَمَّا ابْنُ رَوَاحَةَ ، فَكَانَ يُعَيِّرُهُمْ بِالْكَفْرِ (٢) .

وقد أسلمت دؤسٌ فرقاً من بيتٍ قاله كعبٌ (٣) :

نخيرها ولو نطقت لقاتت قواطعهن دوساً أو ثقيفا
مات كعبٌ سنةً أربعين (٤) .

عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ كعبٍ ، عن أبيه : سَمِعْتُ كَعْباً يَقُولُ : لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ ، حَتَّى كَانَتْ تَبُوكَ إِلَّا بَدْرًا ، وَمَا أُحِبُّ أَنْيَّ شَهِدْتُهَا ، وَفَاتَتْنِي بَيْعَتِي لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ (٥) وَقَلَّمَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةً إِلَّا وَرَىٰ عَنْهَا بغيرها ، فَأَرَادَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنْ يَتَأَهَّبَ النَّاسُ أَهْبَةً وَكَنْتُ أَيْسَرَ مَا كُنْتُ ، وَأَنَا فِي ذَلِكَ أَصْغُو (٦) إِلَى الظُّلَالِ وَطَيْبِ الثَّمَارِ ، فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى خَرَجَ فَقُلْتُ : أَنْطَلِقُ غَدًا ، فَأَشْتَرِي جَهَازِي ، ثُمَّ أَلْحَقُ بِهِمْ فَاَنْطَلَقْتُ إِلَى السُّوقِ ، فَعَسِرَ

(١) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/٥٢٣-٥٣٠ ، وانظر النزهة : ٥/٢٩٩ .

(٢) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/٥٢٣-٥٣٠ ، وانظر النزهة : ١/٣٠٠ .

(٣) قوله : « نُخَيِّرُهَا » ، الضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى السُّيُوفِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ ، وَهُوَ :

قضينا من تهامة كل ريب وخيبر ثم أجمعنا السيوفنا

أي نعطيتها الخيرة ، ولو نطقت ، لاخترت أن نحارب دؤساً أو ثقيفاً ، وهما من قصيدة أوردها ابن هشام في « السيرة » (٢/٤٧٩ ، ٤٨٠) قالها كعبٌ حين فرغ النبي صلى الله عليه وسلم ، وأجمع المسير إلى الطائف .

(٤) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/٥٢٣-٥٣٠ ، وانظر النزهة : ٢/٣٠٠ .

(٥) في البخاري ومسلم : ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة حين تواقنا على

الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها .

(٦) أصغو : أميل .

عليّ ، فرَجَعْتُ ، فقلتُ : أَرْجِعْ عَدَاً فَلَمْ أَزَلْ حَتَّى التَّبَسَ بي الذَّنْبُ ، وَتَخَلَّيْتُ ، فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي أَسْوَاقِ الْمَدِينَةِ ، فَيُخَزِّنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا مَغْمُوصاً^(١) عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ ، أَوْ ضَعِيفاً وَكَانَ جَمِيعٌ مَن تَخَلَّفَ عَن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضِعْمَةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا^(٢) .

وَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبُوكَ ذَكَرَنِي ، وَقَالَ : « مَا فَعَلَ كَعْبٌ ؟ » فَقَالَ رَجُلٌ مِّن قَوْمِي : خَلَّفَهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ بُرْدَاهُ ، وَالنَّظْرُ فِي عِطْفِيهِ ، فَقَالَ مُعَاذٌ : بِسَسَ مَا قُلْتَ : وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا .

إِلَى أَنْ قَالَ : فَلَمَّا رَأَيْتُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَمْ تَكُنْ إِتْبَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ » قُلْتُ : بَلَى قَالَ : « فَمَا خَلَّفَكَ ؟ » قُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ بَيْنَ يَدَيَّ أَحَدٍ غَيْرِكَ جَلَسْتُ لَخَرَجْتُ مَن سَخَطِهِ عَلَيَّ بَعْدُ ، لَقَدْ أُوتِيتُ جَدَلًا ، وَلَكِنْ قَدْ عَلِمْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَنِّي أَخْبِرُكَ الْيَوْمَ بِقَوْلٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ وَهُوَ حَقٌّ فَإِنِّي أَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللَّهِ .

إِلَى أَنْ قَالَ : وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَيْسَرَ وَلَا أَخَفَّ حَاذًا^(٣) مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَكُمْ ، فَمَنْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ » فَقَمْتُ .
إِلَى أَنْ قَالَ : وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ عَن كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ^(٤) .

فَجَعَلْتُ أَخْرَجُ إِلَى السُّوقِ ، فَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ ، وَتَنَكَّرَ لَنَا النَّاسُ ، حَتَّى مَا هُمْ بِالَّذِينَ نَعْرِفُ ، وَتَنَكَّرَتْ لَنَا الْحَيَاطَانُ وَالْأَرْضُ ، وَكُنْتُ أَطُوفُ وَأَتِي الْمَسْجِدَ ، فَأَدْخُلُ

(١) أَي مَطْعُونًا عَلَيْهِ فِي دِينِهِ ، مَتَهَمًا بِالنِّفَاقِ ، وَقِيلَ : مَعْنَاهُ مُسْتَحْقَرًا ، فَتَقُولُ غَمَصْتُ فَلَانًا إِذَا اسْتَحْقَرْتَهُ .

(٢) انظر السير : (كعب بن مالك) ٥٢٣/٢-٥٣٠ ، وانظر النزهة : ٣/٣٠٠ .

(٣) الحاذ : الحال .

(٤) أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ : مَبْنِي عَلَى الضَّمِّ فِي مَحَلِّ نَصْبِ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ ، أَي : مُخْتَصِمِينَ بِذَلِكَ دُونَ بَقِيَّةِ النَّاسِ .

وَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَأَقُولُ هَلْ حَرَكَكَ شَفَتَيْهِ بِالسَّلَامِ!!؟^(١) .

وَأَسْتَكَانَ صَاحِبَايَ^(٢) ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يُطْلِعَانِ رُؤُوسَهُمَا! فَبَيْنَا أَنَا أَطُوفُ بِالسُّوقِ إِذَا بَصُرَانِي جَاءَ بَطْعَامٌ ، يَقُولُ : مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبٍ ؟ فَدَلُّوهُ عَلَيَّ! ، فَأَتَانِي بِصَحِيفَةٍ مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ ، فَإِذَا فِيهَا : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ ، وَأَقْصَاكَ ، وَلَسْتَ بَدَارٍ مَضِيْعَةٍ وَلَا هَوَانٍ ، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِكُ فَسَجَرْتُ لَهَا التُّنُورَ وَأَحْرَقْتُهَا .

إِلَى أَنْ قَالَ : إِذْ سَمِعْتُ نِدَاءً مِنْ ذُرْوَةِ سَلْعٍ^(٣) : أَبَشِّرْ يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فَخَرَزْتُ سَاجِدًا ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ يُبَشِّرُنِي ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنْ فَرَسِهِ ، فَأَعْطَيْتُهُ ثَوْبِيَّ بِشَارَةً ، وَلَبِسْتُ غَيْرَهُمَا .

وَنَزَلَتْ تَوْبَتُنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَلَا نُبَشِّرُ كَعْبًا؟ قَالَ : « إِذَا يَعْطِمُكُمْ النَّاسُ وَيَمْنَعُونَكُمْ النَّوْمَ » قَالَ : فَانْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ ، وَحَوْلَهُ الْمُسْلِمُونَ ، وَهُوَ يَسْتَنْبِرُ كَاسْتِنَارَةَ الْقَمَرِ ، فَقَالَ : « أَبَشِّرْ يَا كَعْبُ بِخَيْرِ يَوْمٍ أَتَى عَلَيْكَ » ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِمْ : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ الْآيَةَ^(٤) .

وَفِينَا نَزَلَتْ أَيْضًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٥) .

فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي إِلَّا أُحَدِّثُ إِلَّا صِدْقًا ، وَأَنْ أَنْخَلَعَ مِنْ مَالِي كُلِّهِ صِدْقَةً ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » الْحَدِيثُ^(٦) .

(١) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/٥٢٣-٥٣٠ ، وانظر النزهة : ٤/٣٠٠ .

(٢) وهما : مرارة بن الربيع العمري ، وهلال بن أمية الوافقي .

(٣) سلع : جبل بالمدينة .

(٤) سورة التوبة ، الآية : ١١٧ .

(٥) سورة التوبة ، الآية : ١١٩ .

(٦) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/٥٢٣-٥٣٠ ، وانظر النزهة : ١/٣٠١ .

وفي لَفْظٍ ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ يُهَزُّوهُ ، حَتَّى صَافَحَنِي وَهَتَّانِي ، فَكَانَ لَا يَنْسَاهَا
لِطَلْحَةَ^(١) .

وقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : أتَى رَجُلٌ الْحَجَّاجَ فَقَالَ : إِنَّ رَبِيعِي بنَ حِرَاشٍ زَعَمُوا لَا يَكْذِبُ ،
وَقَدْ قَدِمَ وَلَدَاهُ عَاصِمَيْنِ قَالَ : فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ فَقَالَ : مَا فَعَلَ ابْنَاكَ ؟ قَالَ : هُمَا فِي
الْبَيْتِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ بنُ يُوسُفَ : هُمَا لَكَ وَأَعْجَبَهُ صِدْقُهُ^(٢) .

٣- مِنْ صِفَاتِ الصَّادِقِ :

عن يُوسُفَ بنِ أَسْبَاطٍ قَالَ : لِلصَّادِقِ ثَلَاثُ خِصَالٍ : الْحَلَاوَةُ ، وَالْمَلَاحَةُ ،
وَالْمَهَابَةُ .

وعنه : خُلِقَتِ الْقُلُوبُ مَسَاكِنَ لِلذِّكْرِ ، فَصَارَتِ مَسَاكِنَ لِلشَّهَوَاتِ لَا يَمْحُو
الشَّهَوَاتِ إِلَّا خَوْفٌ مُزْعِجٌ ، أَوْ شَوْقٌ مُقْلِقٌ ، الزُّهْدُ فِي الرِّئَاسَةِ أَشَدُّ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا^(٣) .

٤- الصُّدْقُ زِينَةٌ :

قَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ بنُ يَزِيدَ مَرَدَوَيْهِ : سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ يَقُولُ : لَمْ يَتَزَيَّنِ النَّاسُ بِشَيْءٍ
أَفْضَلَ مِنَ الصُّدْقِ ، وَطَلَبِ الْحَلَالِ فَقَالَ ابْنُهُ عَلِيُّ : يَا أَبَتِ إِنَّ الْحَلَالَ عَزِيزٌ قَالَ :
يَا بَنِي ، وَإِنَّ قَلِيلَهُ عِنْدَ اللَّهِ كَثِيرٌ^(٤) .

٥- التَّخَلُّصُ الْحَسَنُ صِدْقٌ :

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بنُ عَسَاكِرَ : قَرَأْتُ فِي كِتَابِ أَبِي الْحُسَيْنِ الرَّازِيِّ - يَعْنِي وَالِدَ تَمَّامٍ -
قَالَ : سَمِعْتُ جَمَاعَةً قَالُوا : لَمَّا اتَّصَلَ الْخَبِيرُ بِأَبِي أَحْمَدَ الْوَائِقِ ، أَنَّ أَحْمَدَ بنَ طُورْلُونَ
قَدْ خَلَعَهُ بِدِمَشْقَ ، أَمَرَ بَلْعَنَ أَحْمَدَ بنَ طُورْلُونَ عَلَى الْمَنَابِرِ ، فَلَمَّا بَلَغَ أَحْمَدَ ، أَمَرَ بَلْعَنَ

(١) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/٥٢٣-٥٣٠ ، وانظر النزهة : ١/٣٠٢ .

(٢) انظر السير : (ربيعي بن حراش) ٤/٣٥٩-٣٦٢ ، وانظر النزهة : ٤/٥١٠ .

(٣) انظر السير : (يوسف بن أسباط) ٩/١٦٩-١٧١ ، وانظر النزهة : ٥/٨١٤ .

(٤) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٤/٧٧٣ .

المُوفَّقَ على المَنَابِرِ بِمِصْرَ والشَّامِ ، كانَ أبو زُرْعَةَ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ القَاضِي مِمَّنْ خَلَعَ المُوفَّقَ - يَعْنِي من وِلايَةِ العَهْدِ - ولَعَنَهُ ، ووَقَّفَ عند المِنْبَرِ بِدِمَشقَ ، ولَعَنَهُ ، وقالَ : نَحْنُ أَهْلُ الشَّامِ ، نَحْنُ أَهْلُ صِفِّينَ ، وقد كانَ فينا مَنْ حَضَرَ الجَمَلَ ، ونَحْنُ القائِمُونَ بِمَنْ عانَدَ أَهْلَ الشَّامِ ، وأنا أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قد خَلَعْتُ أبا أَحْمَقَ - يَعْنِي أبا أَحْمَدَ - كما يُخَلَعُ الخَاتمُ مِنَ الإِصْبَعِ ، فَالْعَنُوهُ لَعَنَهُ اللهُ^(١) .

قالَ الرَّاظِيُّ : وحَدَّثني إبراهيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صالحِ ، قالَ : لَمَّا رَجَعَ أَحْمَدُ بْنُ المُوفَّقِ مِنَ مَوْقِعَةِ الطَّواحِينِ إلى دِمَشقَ ، من مُحارِبَةِ خُمَارَوِيهِ ابنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ - يَعْنِي بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ أَحْمَدَ ، وذلكَ في سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ - قالَ لأبي عبدِ اللهِ الواسِطِيِّ : انظُرْ ما انْتَهَى إِلَيْكَ مِمَّنْ كانَ يَبْغِضُنا فليُحْمَلْ فحُمِلَ يَزِيدُ بْنُ عبدِ الصَّمَدِ ، وأبو زُرْعَةَ الدَّمَشقِيِّ ، والقَاضِي أبو زُرْعَةَ بْنُ عُثْمَانَ ، حَتَّى صارُوا بِهِمْ مُقَيَّدِينَ إلى أنطاكيَةِ ، فبينما أَحْمَدُ بْنُ أَبِي المُوفَّقِ - وهو المُعْتَصِدُ - يَسِيرُ يَوماً ، إذ بَصُرَ بِمَحامِلِ هَؤُلاءِ ، فقالَ لِلوِاسِطِيِّ : مَنْ هَؤُلاءِ ؟ قالَ : أَهْلُ دِمَشقَ قالَ : وفي الأحياءِ هُمُ ؟! إذا نَزَلْتُ فاذكُرْني بِهِمْ .

قالَ ابنُ صالحِ : فحدَّثنا أبو زُرْعَةَ الدَّمَشقِيِّ ، قالَ : فلَمَّا نَزَلَ ، أُحْضِرْنا بَعْدَ أنْ فُكَّتِ القُيُودُ ، وأوَقِفْنا مَدْعُورِينَ ، فقالَ : أَيُّكُمْ القائِلُ : قد نَزَعْتُ أبا أَحْمَقَ ؟ قالَ : فَرَبَّتِ ألسِنُنا حَتَّى حُيِّلَ إِلَيْنا أَننا مَقْتُولُونَ ، فأما أنا : فأبْلِستُ^(٢) وأما ابنُ عبدِ الصَّمَدِ : فخرِسَ ، وكانَ تَمْتاماً ، وكانَ أبو زُرْعَةَ القَاضِي أَحَدِنا سِنّاً ، فقالَ : أَصْلَحَ اللهُ الأَميرَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الوِاسِطِيُّ ، فقالَ : أَمْسِكْ حَتَّى يَتَكَلَّمَ أَكْبَرُ مِنْكَ ثمَّ عَطَفَ عَلَينا ، وقالَ : ماذا عِندَكم ؟ فقلنا : أَصْلَحَكَ اللهُ ! هَلْذا رَجُلٌ مُتَكَلِّمٌ يَتَكَلَّمُ عَنّا ، قالَ : تَكَلَّمْ فقالَ : واللهِ ما فينا هاشِمِيٌّ ، ولا قُرَشيٌّ صَحيحٌ ، ولا عَرَبِيٌّ فَصيحٌ ، ولَكِنَّا قومٌ مُلْكنا حَتَّى قُهِرْنا وَروى أَحاديثَ كَثيرةً عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ في السَّمْعِ والطَّاعَةِ ، في

(١) انظر السير : (أبو زُرْعَةَ الدَّمَشقِيِّ) ١٣/٣١١-٣١٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٨٩ .

(٢) الإبلاس : الانكسار والحزن ، والمبلس : الياس المنقطع رجاؤه ، ولذلك قيل الذي يسكت عن انقطاع حُجَّتِهِ ولا يكون عنده جواب : قد أبلس .

الْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ ، وَأَحَادِيثَ فِي الْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ الَّتِي نَطَالَبُ بِخَزْيِهَا ، ثُمَّ قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، وَأَشْهَدُكَ أَنَّ نِسْوَاني طَوَالِقٌ ، وَعَبِيدِي أحرارٌ ، وَمالي حرامٌ إِنْ كانَ فِي هَؤُلاءِ القَوْمِ أَحَدٌ قالَ هذِهِ الكَلِمَةَ ، وَوراءَنا عِيالٌ وَحُرْمٌ ، وَقَدْ تَسامَعَ النَّاسُ بِهَلاكِنا ، وَقَدْ قَدَرْتُ ، وَإِنَّمَا العَفْوَ بَعْدَ المَقْدِرَةِ فَقالَ لِلوِاسِطِيِّ : يا أبا عبدِ اللَّهِ! أَطَلِقْهُم ، لا كَثُرَ اللَّهُ فِي النَّاسِ مِثْلَهُم فَأَطَلَقْنا ، فَاشْتَعَلْتُ أَنَا وَيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ عِنْدَ عِثْمانَ بْنِ حُرْزاذِ فِي نَزِهِ أَنْطاكِيَةَ وَطِيبِها وَحَماماتِها ، وَسَبَقَ أَبُو زُرْعَةَ القاضِي إِلى حِمصَ .

مات أبو زرعة النُّصْرِيُّ سَنَةَ إِحْدَى وَثِمانينَ وَمِئتينَ (١) .

وقالَ الحافِظُ عبدُ العَني : لَمَّا تَلَقَّى أَبُو الطَّاهِرِ الدَّهْلِيُّ المُعزَّ أبا تَميمَ بِالإسْكَندَرِيَّةِ سألَهُ المُعزَّ ، فَقالَ : يا قاضي ، كَمَ رَأيتَ مِنْ حَلِيفَةٍ ؟ قالَ : واحِدٌ : قالَ : مَنْ هُوَ ؟ قالَ : أَنْتَ ، وَالباقُونَ مُلوكٌ ، فأعجَبَهُ ذلكَ ، ثم قالَ له : أَحجَجْتَ ؟ قالَ : نَعَمْ ، قالَ : وَسَلِمْتَ عَلى الشَّيْخينَ ؟ قالَ : شَغَلَنِي عَنهُما النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا شَغَلَنِي أميرُ المُؤمِنينَ عَنَ وِليِّ عَهْدِهِ ، فَازْدادَ بِهِ المُعزُّ إِعجاباً ، وَتَخَلَّصَ مِنْ وِليِّ العَهْدِ إِذْ لَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ بِحَضْرَةِ المُعزِّ فَأجازَهُ يَوْمَئِذٍ بِعَشْرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ .

وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُهُ مُسْتَقِيمًا إِلى أَنْ لَحِقَتْهُ عِلَّةٌ عَطَلَتْ شَقَّهُ فِي سَنَةِ سِتِّ وَسِتِّينَ وَثِلاثِ مِئَةٍ ، فَقَلَّدَ العَزيزُ صاحِبُ مِصرَ القِضاءَ حينئِذٍ عَلَيَّ بْنِ النُّعْمانِ .

ماتَ سَنَةَ سَبْعِ وَسِتِّينَ وَثِلاثِ مِئَةٍ (٢) .

وقامَ إِلى ابنِ الجَوَزيِّ رَجُلٌ بَغِيضٌ ، فَقالَ : يا سَيِّدِي : نُريدُ كَلِمَةً نَنقُلُها عَنكَ ، أَيُّهُما أَفْضَلُ أَبُو بَكرَ أَوْ عَلِيٌّ ؟ فَقالَ : اجْلِسْ ، فَجَلَسَ ، ثم قامَ ، فأعادَ مَقالَهُ ، فأقعدَهُ ، ثم قامَ ، فَقالَ : اقْعُدْ ، فَأنتَ أَفْضَلُ (٣) . مِنْ كُلِّ أَحَدٍ (٤) .

(١) انظر السير : (أبو زُرْعَةَ الدَّمَشْقِي) ٣١١/١٣-٣١٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٨٩ .

(٢) انظر السير : (الدَّهْلِيُّ) ٢٠٤/١٦-٢١٠ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٨٨ .

(٣) يعني من الفضول . .

(٤) انظر السير : (أبو الفَرَجِ بْنِ الجَوَزي) ٣٦٥/٢١-٣٨٤ ، وانظر النزهة : ١/١٦٣٤ .

وقال القاضي ابن واصل : سئل ابن الجوزي والخليفة يسمع : « من أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم » ؟ قال : « أفضلهم بعده من كانت بنته تحته » وهذا جوابٌ جيّدٌ يصدق على أبي بكر وعلى عليّ^(١) .

٦- المعاريضُ صدقٌ :

قال مُغيرةٌ : كان إبراهيمُ النَّخعيُّ إذا طلبه إنسانٌ لا يُحبُّ لقاءه خرجت الجارية ، فقالت : اطلبوه في المسجد^(٢) .

وعن إبراهيم ، قال : أتى رجلٌ ، فقال : إنني ذكرتُ رجلاً بشيءٍ فبلغه عني ، فكيف اعتذرُ إليه ؟ قال : تقولُ : والله إنَّ اللهَ ليعلمُ ما قلتُ من ذلك من شيءٍ^(٣) .

وعن إسحاق بن هانئ قال : كُنَّا عندَ أحمدَ بنِ حنبلٍ في منزله ، ومعه المروذيُّ ، ومُهنيُّ ، فدقَّ داقُ البابِ ، وقال : المروذيُّ ها هنا ؟ فكانَ المروذيُّ كرهَ أن يُعلمَ موضِعُه ، فوضعَ مُهنيُّ أصبعه في راحته ، وقال : ليسَ المروذيُّ ها هنا ، وما يصنعُ المروذيُّ ها هنا ؟ فضحك أحمدُ ، ولم يُنكره^(٤) .

المُحاسبةُ

١- صوّرَ عليٌّ مُحاسبةَ النَّفسِ :

قال الإمامُ الذهبيُّ في ترجمَةِ الأحنفِ بنِ قيسٍ : عاشتْ بنو تميمٍ بحلمٍ الأحنفِ بنِ قيسٍ أربعينَ سنةً ، وقيلَ للأحنفِ : إنَّكَ كبيرٌ والصَّومُ يُضعفُكَ قالَ : إنني أَعِدُّهُ لِسَفَرٍ طَوِيلٍ وقيلَ : كانتَ عامَّةُ صلاةِ الأحنفِ بالليلِ ، وكانَ يضعُ أصبعه على المِصباحِ ، ثم يقولُ : حسَّ^(٥) ويقولُ : ما حملَكَ يا أحنفُ عليّ أنْ صنعتَ كذا يومَ كذا^(٦) .

- (١) انظر السير : (النَّاصِرِ لدينِ الله) ١٩٢-٢٢ / ٢٤٢ ، وانظر النزهة : ٥ / ١٦٨٥ .
- (٢) انظر السير : (إبراهيمُ النَّخعيُّ) ٥٢٠-٥٢٩ / ٤ ، وانظر النزهة : ٦ / ٥٤٩ .
- (٣) انظر السير : (إبراهيمُ النَّخعيُّ) ٥٢٠-٥٢٩ / ٤ ، وانظر النزهة : ٦ / ٥٤٩ .
- (٤) انظر السير : (أحمدُ بنِ حنبلٍ) ١٧٧-١١ / ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٥ / ٩٤٧ .
- (٥) كلمة تُقالُ عندَ الألمِ .
- (٦) انظر السير : (الأحنفُ بنِ قيسٍ) ٨٦-٩٧ / ٤ ، وانظر النزهة : ٢ / ٤٥١ .

٢- مُحَاسِبَةُ اللَّهِ دَقِيقَةً :

عن يَحْيَى بنِ مُعَاذٍ ، قَالَ : الدُّنْيَا لَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، وَهُوَ يَسْأَلُكَ عَنِ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ (١) .

المُراقِبَةُ

عن حَاتِمِ الْأَصَمِّ قَالَ : تَعَاهَدُ نَفْسَكَ فِي ثَلَاثٍ : إِذَا عَمَلْتَ ، فَإِذَا كُنْتَ تَنْظُرُ اللَّهَ إِلَيْكَ ، وَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَإِذَا كُنْتَ تَسْمَعُ اللَّهَ مِنْكَ ، وَإِذَا سَكَتَ فَإِذَا كُنْتَ تَعْلَمُ اللَّهَ فِيكَ (٢) .

حُسْنُ الخُلُقِ

١- حُسْنُ الخُلُقِ مَطْلُوبٌ :

قَالَ عَبْدُ الغَنِيِّ : وَسَمِعْتُ الوَازِرَ أبا الفَرَجِ يَعْقُوبَ بنَ يُوْسُفَ يَقُولُ : قَالَ لي الأُسْتَاذُ كَافُورٌ : اجْتَمَعَ بالقَاضِي أَبِي الطَّاهِرِ الدُّهْلِيِّ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقُلَّ لَهُ : إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَبَسِّطُ مَعَ جُلَسَائِكَ وَهَذَا الأَنْبِسَاطُ يُقَلُّ هَيَبَةَ الحُكْمِ ، فَأَعْلَمْتُهُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : قُلْ لِلأُسْتَاذِ : لَسْتُ ذَا مَالٍ أَفِيضُ بِهِ عَلَيَّ جُلَسَائِي ، فَلَا أَقَلَّ مِنْ خُلُقِي ، فَأُخْبِرْتُ الأُسْتَاذَ ، فَقَالَ : لَا تُعَاوِذُهُ (٣) .

٢- صَوَّرَ عَلَيَّ حُسْنَ الخُلُقِ :

قَالَ يَحْيَى بنُ مَنذَه : كَانَ عَمِّي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَنذَه سَيْفًا عَلَيَّ أَهْلِ البَدْعِ ، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عَلَيْهِ مِثْلِي ، كَانَ - وَاللَّهِ - أَمْرًا بِالمَعْرُوفِ ، نَاهِيًا عَنِ المُنْكَرِ ، كَثِيرَ الذِّكْرِ ، قَاهِرًا لِنَفْسِهِ ، عَظِيمَ الحِلْمِ ، كَثِيرَ العِلْمِ ، قَرَأْتُ عَلَيْهِ قَوْلَ شُعْبَةَ : مَنْ كَتَبْتُ عَنْهُ حَدِيثًا فَأَنَا لَهُ عَبْدٌ فَقَالَ عَمِّي : مَنْ كَتَبَ عَنِّي حَدِيثًا فَأَنَا لَهُ عَبْدٌ (٤) .

(١) انظر السير : (يَحْيَى بنِ مُعَاذٍ) ١٣/١٥-١٦ ، وانظر النزهة : ٤/١٠٤٧ .

(٢) انظر السير : (حَاتِمِ الْأَصَمِّ) ١١/٤٨٤-٤٨٧ ، وانظر النزهة : ٤/٩٦٠ .

(٣) انظر السير : (الدُّهْلِيُّ) ١٦/٢٠٤-٢١٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٨٨ .

(٤) انظر السير : (ابنُ مَنذَه) ١٨/٣٤٩-٣٥٤ ، وانظر النزهة : ٣/١٤١٩ .

وقال خَطِيبُ الْمَوْصِلِ أَبُو الْمُفَضَّلِ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : تَوَجَّهْتُ مِنَ الْمَوْصِلِ سَنَةَ
تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيرَازِي فَلَمَّا حَضَرْتُ عِنْدَهُ رَحَّبَ بِي ،
وَقَالَ : مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ : مِنَ الْمَوْصِلِ قَالَ : مَرْحَبًا أَنْتَ بِلَدِّي ، قُلْتُ :
يَا سَيِّدَنَا ! أَنْتَ مِنْ فَيْرُوزْآبَادِ قَالَ : أَمَا جَمَعْتَنَا سَفِينَةَ نُوحٍ ؟ فَشَاهَدْتُ مِنْ حُسْنِ أَخْلَاقِهِ
وَلَطَافَتِهِ وَزُهْدِهِ مَا حَبَّبَ إِلَيَّ لُزُومَهُ فَصَحَبْتُهُ إِلَى أَنْ مَاتَ .

تُوفِّيَ سَنَةَ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ بِبَغْدَادِ ، وَأَحْضَرَ إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقْتَدِي
بِاللَّهِ فَصَلَّى عَلَيْهِ (١) .

* * *

(١) انظر السير : (أبو إسحاق الشيرازي) ١٨/٤٥٢-٤٦٤ ، وانظر النزهة : ١/١٤٣١ .

مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ

الِاحْتِمَالِ

١- فَضْلُ الْإِحْتِمَالِ :

قَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الرَّبِيعِ : قَالَ أَبِي : رَبُّ كَلِمَةٍ ذُلٌّ احْتَمَلْتُهَا أَوْرَثَنِي عِزًّا طَوِيلًا^(١) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ الشَّجَرِيِّ : وَكَانَ فَصِيحًا حُلُوَ الْكَلَامِ ، وَقُورًا ذَا سَمْتٍ ، لَا يَكَادُ يَتَكَلَّمُ فِي مَجَلِسِهِ بِكَلِمَةٍ إِلَّا وَتَتَضَمَّنُ أَدَبَ نَفْسٍ أَوْ أَدَبَ دَرَسٍ ، وَلَقَدْ اخْتَصَمَ إِلَيْهِ عَلَوِيَّانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا : قَالَ لِي : كَذَا وَكَذَا قَالَ : يَا بُنَيَّ احْتِمِلْ ، فَإِنَّ الْإِحْتِمَالَ قَبْرُ الْمَعَايِبِ .

تُوفِّي سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَ مِئَةٍ ، وَدُفِنَ بِدَارِهِ^(٢) .

٢- صُورٌ عَلَى الْإِحْتِمَالِ :

جَاءَ فِي تَرْجَمَةِ الْمُؤَفَّقِ ابْنِ قُدَامَةَ الْمُقَدِّسِيِّ ، قَالَ الضُّيَاءُ : وَبَقِيَ الْمُؤَفَّقُ يَجْلِسُ زَمَانًا بَعْدَ الْجُمُعَةِ لِلْمُنَاطَرَةِ ، وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الْفُقَهَاءُ ، وَكَانَ يُشْغَلُ^(٣) إِلَى ارْتِفَاعِ النَّهَارِ ، وَمِنْ بَعْدِ الظُّهْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَلَا يَضْجَرُ ، وَيُسَمَّعُونَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ يُقْرَأُ فِي النَّحْوِ ، وَكَانَ لَا يَكَادُ يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا أَحَبَّهُ إِلَى أَنْ قَالَ الضُّيَاءُ : وَمَا عَلِمْتُ أَنَّهُ أَوْجَعَ قَلْبَ طَالِبٍ ، وَكَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ تُؤْذِيهِ بِخُلُقِهَا فَمَا يَقُولُ لَهَا شَيْئًا ، وَأَوْلَادُهُ يَتَضَارَبُونَ وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ ، وَسَمِعْتُ^(٤) الْبُهَاءَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ أَكْثَرَ احْتِمَالًا مِنْهُ^(٥) .

(١) انظر السير : (عُرْوَةَ بْنِ الرَّبِيعِ) ٤/٤٢١-٤٣٧ ، وانظر النزهة : ٥/٥٢٨ .

(٢) انظر السير : (ابنُ الشَّجَرِيِّ) ٢٠/١٩٤-١٩٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٤٠ .

(٣) الإشغال : التدريس وهو غير (الاشتغال) بمعنى الطلب وهذه اصطلاحات معروفة عند المتأخرين .

(٤) السماع للضياء ، هو الذي بعده من الحكايات .

(٥) انظر السير : (ابنُ قُدَامَةَ) ٢٢/١٦٥-١٧٣ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٨١ .

الإحسان

صَوْرٌ مِنَ الإِحْسَانِ :

عن عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ ، عن أبيه : أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَاتَبَ غُلاماً له بأَرْبَعِينَ أَلْفاً ، فَخَرَجَ إلى الكُوفَةِ ، فَكانَ يَعْمَلُ على حُمْرٍ له ، حتَّى أَدَّى خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفاً ، فجااءَ إنسانٌ ، فقالَ : أَمَجنونُ أنتَ ؟ أنتَ ها هُنا تُعَدُّبُ نَفْسَكَ وابنُ عُمَرَ يَشْتَرِي الرِّقِيقَ يَمِيناً وشِمالاً ، ثم يُعْتِقُهُم ، ارْجِعْ إليه ، فقلْ : عَجَزْتُ فجااءَ إليه بِصَحيفَةٍ ، فقالَ : يا أبا عبدِ الرَّحْمَنِ ! قد عَجَزْتُ وهذِهِ صَحيفَتِي ، فامْحُها فقالَ : لا ، ولكنْ امْحُها أنتَ إنْ شِئتَ فَمَحَّها ، ففاضَّتْ عينا عبدِ الله ، وقالَ : اذْهَبْ فانتَ حُرٌّ قالَ : أَصْلَحَكَ اللهُ ، أَحْسِنْ إلى ابْنِي قالَ : هُما حُرَّانِ قالَ : أَصْلَحَكَ اللهُ ، أَحْسِنْ إلى أُمِّي وَلَدَيَّ قالَ : قالَ : هُما حُرَّتَانِ^(١) .

وعن نافع ، قالَ : مَرَضَ ابنُ عُمَرَ ، فاشتَهَى عِنباً أولَ ما جااءَ ، فأرسلت امرأته بِدِرْهَمٍ ، فاشتَرَتْ به عُنُقوداً ، فاتَّبَعَ الرَّسولُ سائِلٌ ، فلَمَّا دَخَلَ قالَ : السَّائِلُ السَّائِلُ ، فقالَ ابنُ عُمَرَ : أعطوه إِيَّاه فأعطوه ثم بَعَثت بِدِرْهَمٍ آخَرَ قالَ : فاتَّبَعَهُ السَّائِلُ فلَمَّا دَخَلَ ، قالَ : السَّائِلُ السَّائِلُ فقالَ ابنُ عُمَرَ : أعطوه إِيَّاه فأعطوه ، وأرسلت صَفِيَّةً إلى السَّائِلِ تَقولُ : والله لئنْ عُدتْ لا تُصِيبُ مِنِّي خيراً ، ثم أرسلت بِدِرْهَمٍ آخَرَ ، فاشتَرَتْ به^(٢) .

وعن مُنذِرِ الثَّورِيِّ ، أَنَّ الرَّبِيعَ بْنَ خُثَيْمٍ أَخَذَ يُطِعمُ مُصاباً خَبيصاً ، فقيلَ له : ما يُدريه ما أكلَ ، قالَ : لكنَّ اللهَ يَدْرِي^(٣) .

وعن نافع - مَوْلَى ابنِ عُمَرَ - قالَ : دَخَلْتُ مع مَوْلَايَ عَلِيٍّ عبدِ اللهِ ابنِ جَعْفَرٍ ، فأعطاهُ فِيَّ اثْنِي عَشَرَ أَلْفاً ، فأبى وأعتقني ، أعتقه اللهُ^(٤) .

(١) انظر السير : (عبد الله بن عمر) ٢٠٣-٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٦/٣٦٨ .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن عمر) ٢٠٣-٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٦/٣٦٩ .

(٣) انظر السير : (الربيع بن خثيم) ٢٥٨/٤-٢٦٢ ، وانظر النزهة : ٤/٤٩٣ .

(٤) انظر السير : (نافع) ٩٥/٥-١٠١ ، وانظر النزهة : ٨/٥٨٤ .

وقيل لابن المُكَدِّر : أيُّ الدُّنيا أَحَبُّ إليك ؟ قَالَ : الإِفْضَالُ عَلَى الإِخْوَانِ (١) .

ونقل أبو بكر الخطيب حكايةً مُقتضاها أَنَّ رجُلًا صَلَّى الجُمُعَةَ فرأى رجُلًا مُتَسَكِّمًا لَمْ يُصَلِّ ، فكلَّمه ، فقال : اسْتُرْ عَلَيَّ ، لدَعْلَجِ عَلَيَّ خَمْسَةَ آلَافٍ ، فلمَّا رأته أُحَدِّثُ ، فبلغ ذلك دَعْلَجًا ، فطلبه إلى مَنْزِلِهِ ، وحلَّه من المال ، ووصله بمثلها لكَوْنِهِ رَوَّعَهُ (٢) .

وقال الإمام الذهبي في تَرْجَمَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ : وقيل : إنَّه في عيد نفَّذَ إلى النَّاسِ ضَحَايا لا تُعَدُّ كَثْرَةً ، فَبَعَثَ إلى اثني عَشَرَ أَلْفَ إنْسانٍ ، فكان أَكْثَرُ ما يَبْعَثُ إلى الكَثِيرِ مِنْهُمْ مِئَةَ رَأْسٍ (٣) .

وجاء في تَرْجَمَةِ عَبْدِ الغَنِيِّ المَقْدِسِيِّ ، قال الضَّيَاءُ : وَلَمَّا وَصَلَ إلى مِصْرَ كُنَّا بِهَا ، فَكان إِذا خَرَجَ لِلجُمُعَةِ لا تَقْدِرُ نَمْشِي مَعَهُ مِنْ كَثْرَةِ الخَلْقِ ، يَتَبَرَّكُونَ بِهِ وَيَجْتَمِعُونَ حَوْلَهُ ، وَكُنَّا أَحدائًا نَكْتُبُ الحَدِيثَ حَوْلَهُ ، فَضَحِكْنَا مِنْ شَيْءٍ وَطال الضَّحِكُ ، فَتَبَسَّمَ وَلَمْ يَخْرُدْ (٤) عَلَيْنَا وَكان سَخِيًّا جَوادًا لا يَدْخِرُ دِينَارًا ولا دِرْهَمًا مَهْمَا حَصَلَ أُخْرَجَهُ لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْهُ أَنَّهُ كان يَخْرُجُ في اللَّيْلِ بِقِفافِ الدَّقِيقِ إلى بُيُوتِ مُتَنَكِّرًا في الظُّلْمَةِ فيُعْطِيهِمْ ولا يُعْرَفُ ، وَكان يُفْتَحُ عَلَيْهِ بِالثَّيابِ فيُعْطِي النَّاسَ وَثوبَهُ مُرَقَّعٍ (٥) .

قال الضَّيَاءُ : سَمِعْتُ أبا مُحَمَّدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنَ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الجَبَّارِ ، سَمِعْتُ الحافظَ عَبْدِ الغَنِيِّ المَقْدِسِيِّ يَقولُ : سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنِي مِثْلَ حالِ الإمامِ أَحْمَدَ فَقَدْ رَزَقَنِي صَلاتِهِ ، قال : ثُمَّ ابْتُلِيَ بَعْدَ ذلكَ وَأُوذِيَ .

سَمِعْتُ الإمامَ عَبْدِ اللهِ بنَ أَبِي الحَسَنِ الجُبَّائِيَّ بأَصْبَهانَ يَقولُ : أبو نَعِيمٍ قد أَخَذَ على ابنِ مَنْدَةَ أَشياءَ في كتابِ « الصَّحَابَةِ » فكان الحافظُ أبو موسى يَشْتَهِي أَنْ يأخُذَ على

(١) انظر السير : (محمد بن المُكَدِّر) ٣٥٣/٥ - ٣٦١ ، وانظر النزاهة : ٢/٦٠٨ .

(٢) انظر السير : (دَعْلَج) ٣٠/١٦ - ٣٥ ، وانظر النزاهة : ٣/١٢٦٦ .

(٣) انظر السير : (سَيْفُ الدَّوْلَةِ) ١٦/١٨٧ - ١٨٩ ، وانظر النزاهة : ٧/١٢٨٢ .

(٤) الحرد : الغضب .

(٥) انظر السير : (عَبْدِ الغَنِيِّ) ٢١/٤٤٣ - ٤٧١ ، وانظر النزاهة : ١/١٦٤٧ .

أبي نعيم في كتابه الذي في الصحابة فما كان يجسر ، فلما قدم الحافظ عبد الغني أشار إليه بذلك ، قال : فأخذ على أبي نعيم نحواً من مئتين وتسعين موضعاً ، فلما سمع بذلك الصدر الحندي طلب عبد الغني وأراد هلاكه ، فاختفى .

وسمعت محمود بن سلامة يقول : ما أخرجنا الحافظ من أصفهان إلا في إزار وذلك أن بينت الحندي أشاعرة ، كانوا يتعصبون لأبي نعيم ، وكانوا رؤساء البلد .

وسمعت الحافظ يقول : كنا بالموصل نسبح « الضعفاء » للعقيلي ، فأخذني أهل الموصل وحبسوني ، وأرادوا قتلي من أجل ذكر شيء فيه ^(١) ، فجاءني رجل طويل ومعه سيف ، فقلت : يقتلني وأستريح ، قال : فلم يصنع شيئاً ، ثم أطلقوني ، وكان يسمع مع ابن البرني الواعظ فقلع الكراس الذي فيه ذلك الشيء فأرسلوا ، وقتلوا الكتاب ، فلم يجدوا شيئاً ، فهذا سبب خلاصه .

وقال : كان الحافظ يقرأ الحديث بدمشق ، ويجمع عليه الخلق ، فوقع الحسد ، فشرعوا عملوا لهم وقتاً لقراءة الحديث ، وجمعوا الناس ، فكان هذا ينام وهذا بلا قلب ^(٢) ، فما اشتقوا ، فأمروا الناصح ابن الحنبل بآن يعظ تحت النسر يوم الجمعة وقت جلوس الحافظ ، فأول ذلك أن الناصح والحافظ أرادا أن يختلفا في الوقت ، فاتفقا أن الناصح يجلس بعد الصلاة ، وأن يجلس الحافظ العصر ، فشدوا إلى الناصح رجلاً ناقص العقل من بني عساكر فقال للناصح في المجلس ما معناه : إنك تقول الكذب على المنبر ، فضرب وهرب ، فتمت مكيدتهم ، ومشوا إلى الوالي وقالوا : هؤلاء الحنابلة قصدتهم الفتنة ، واعتقادهم يخالف اعتقادنا ، ونحو هذا ، فبعث الأسرى ^(٣) فرفعوا ما في جامع دمشق من منبر وخرانة ، ودرابزين ، وقالوا : نريد أن لا تجعل في الجامع إلا صلاة الشافعية وكسروا منبر الحافظ ، ثم إن الحافظ ضاق

(١) يعني من أجل ذكر الإمام أبي حنيفة .

(٢) يعني أنهم كانوا يجمعون الناس من غير اختيارهم ، فكان بعضهم ينام ، وكان البعض يحضر وقلبه غير حاضر .

(٣) هكذا في السير وفي الدليل لابن رجب ، والظاهر أنه اسم لجماعة من أعوان الوالي من الشرطة أو الجيش .

صَدْرُهُ وَمَضَى إِلَى بَعْلَبَك ، فَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً ، فَقَالَ لَهُ أَهْلُهَا : إِنْ اشْتَهَيْتَ جُنُنًا مَعَكَ إِلَى دِمَشْقَ نُؤْذِي مَنْ أَدَاكَ ، فَقَالَ : لَا ، وَتَوَجَّهَ إِلَى مِصْرَ فَبَقِيَ بِبَنَابِلِسَ مُدَّةً يَقْرَأُ الْحَدِيثَ ، وَكُنْتُ أَنَا بِمِصْرَ ، فَجَاءَ شَابٌّ مِنْ دِمَشْقَ يَفْتَاوِ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ وَمَعَهُ كُتُبٌ أَنَّ الْحَنَابِلَةَ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا مِمَّا يُشْنَعُونَ بِهِ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ - وَكَانَ يَتَصَيَّدُ - : إِذَا رَجَعْنَا أَخْرَجْنَا مِنْ بِلَادِنَا مَنْ يَقُولُ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ عَدَا بِهِ الْفَرَسُ ، فَسَبَّ بِهِ فَسَقَطَ فَخَسِفَ صَدْرُهُ ، وَبَقِيَ الْحَافِظُ بِمِصْرَ ، وَهَمَّ يَنَالُونَ مِنْهُ ، حَتَّى عَزَمَ الْمَلِكُ الْكَامِلُ عَلَى إِخْرَاجِهِ ، وَاعْتَقَلَ فِي دَارِ أُسْبُوعَا ، فَسَمِعْتُ أَبَا مُوسَى يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : مَا وَجَدْتُ رَاحَةً فِي مِصْرَ مِثْلَ تِلْكَ اللَّيَالِي قَالَ : وَكَانَتْ امْرَأَةٌ فِي دَارِ إِلَى جَانِبِ تِلْكَ الدَّارِ ، فَسَمِعْتُهَا تَبْكِي وَتَقُولُ : « بِالسَّرِّ الَّذِي أُوذِعْتَهُ قَلْبَ مُوسَى حَتَّى قَوِيَ عَلَى حَمْلِ كَلَامِكَ » قَالَ : فَدَعَوْتُ بِهِ فَخَلَصْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ (١) .

الأدب

١- عِلَاقَةُ الْأَدَبِ بِالْعِلْمِ :

(أ) الْعِلْمُ بغيرِ أَدَبٍ ضَارٌّ :

قَالَ أَبُو النَّضْرِ الْفَقِيهُ : سَمِعْتُ الْبُوشَنجِيَّ يَقُولُ : مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ وَالْفِقْهَ بغيرِ أَدَبٍ ، فَقَدْ اقْتَحَمَ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

تُوفِّي سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُ خُزَيْمَةَ (٢) .

(ب) الْأَدَبُ طَرِيقٌ لِلْعِلْمِ :

عَنْ يُوسُفَ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ : بِالْأَدَبِ تَتَفَهَّمُ الْعِلْمَ ، وَبِالْعِلْمِ يَصِحُّ لَكَ الْعَمَلُ ، وَبِالْعَمَلِ تَنَالُ الْحِكْمَةَ ، وَبِالْحِكْمَةِ تَفْهَمُ الزُّهْدَ ، وَبِالزُّهْدِ تَتْرُكُ الدُّنْيَا ، وَتَرَعْبُ فِي الْآخِرَةِ ، وَبِذَلِكَ تَنَالُ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى .

(١) انظر السير : (الحافظ عبد الغني) ٢١/٤٤٣-٤٧١ ، وانظر النزاهة : ٤/١٦٤٧ .

(٢) انظر السير : (البوشنجي) ١٣/٥٨١-٥٨٩ ، وانظر النزاهة : ٤/١١١٨ .

مات سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة^(١) .

(ج) العلم لا يكفي لتزبيبة النفس إن لم يكن مقروناً بالأدب :

قال الإمام الذهبي في ترجمة الإمام الغزالي : ذكر هذا وأضعافه عبد الغافر في « السِّيَاقِ » ، إلى أن قال : ولقد زُرْتُهُ مراراً ، وما كنتُ أُحدِّسُ في نفسي مع ما عهدتُ عليه من الزَّعَاوَةِ^(٢) والنَّظَرِ إلى النَّاسِ بَعَيْنِ الاسْتِخْفَافِ كِبِراً وَخِيَلَاءَ ، واعتزازاً بما رَزَقَ من البَسْطَةِ والنُّطْقِ والذَّهْنِ ، أَنَّهُ صَارَ على الضَّدِّ ، وَتَصَفَّى عن تلك الكُدُورَاتِ ، وَكَنتُ أَظُنُّهُ مُتَلَفِّعاً بِجَلْبَابِ التَّكَلُّفِ مُتَمَسِّباً بما صَارَ إليه فَتَحَقَّقْتُ بعد السَّبْرِ والتَّنْقِيرِ أَنَّ الأَمْرَ على خِلَافِ المَظَنُونِ ، وَأَنَّ الرَّجُلَ أَفَاقَ بعدَ الجُنُونِ .

قال أبو بكر بن العربي : شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة ، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع .

ومن «مُعْجَمِ أَبِي عَلِيِّ الصَّدْفِيِّ» ، تأليف القاضي عياض له ، قال : والشَّيْخُ أبو حامد ذو الأنبياء الشنيعة ، والتصانيف العظيمة ، غلا في طريقة التصوف وتجرّد لنصر مذهبهم ، وصار داعية في ذلك ، وألف فيه تواليفه المشهورة ، وأخذ عليه فيها مواضع ، وساءت به ظنون أمة ، والله أعلم بسرّه ، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب وقتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها ، فامتثل ذلك .

قال الإمام الذهبي : ما زال العلماء يختلفون ، ويتكلم العالم في العالم باجتهاده وكلّ منهم معذورٌ مأجورٌ ، ومن عاند أو خرّق الإجماع ، فهو مأزورٌ ، وإلى الله ترجع الأمور^(٣) .

(د) تعليم الفتيان الأدب مع المعلم :

قال الإمام الذهبي في ترجمة العلامة أبي زكريا ، يحيى بن زياد ابن عبد الله الفراء : وكان المأمون قد وكلّ بالفراء ولديه يلقنهما النحو ، فأراد القيام ، فابتدرا إلى

(١) انظر السير : (يوسف بن الحسين) ٢٤٨-٢٥١ ، وانظر النزهة : ١/١١٤٨ .

(٢) شراسة وسوء خلق .

(٣) انظر السير : (الغزالي) ٣٢٢-٣٤٦ ، وانظر النزهة : ١/١٤٨٢ .

نَعْلِهِ فَقَدَّمَ كُلَّ وَاحِدٍ فَرْدَةً فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَأْمُونَ ، فَقَالَ : لَنْ يَكْبُرَ الرَّجُلُ عَنْ تَوَاضِعِهِ
لِسُلْطَانِهِ وَأَبِيهِ وَمُعَلِّمِهِ (١) .

٢- سُوءُ الْأَدَبِ مَعَ الْأُمَّةِ مَرْفُوضٌ :

قال العُقَيْلِيُّ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ الصَّنَعَانِيَّ يَقُولُ : كَانَ زَيْدُ بْنُ
الْمُبَارَكِ ، قَدْ لَزِمَ عَبْدَ الرَّزَّاقِ ، فَأَكْثَرَ عَنْهُ ، ثُمَّ خَرَقَ كُتْبَهُ ، وَلَزِمَ مُحَمَّدَ بْنَ ثَوْرٍ ، فَقِيلَ
لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثِ مَعْمَرٍ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنِ
مَالِكِ بْنِ أَوْسِ بْنِ الْحَدَثَانَ الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ ، فَلَمَّا قَرَأَ قَوْلَ عُمَرَ لَعَلِّي وَالْعَبَّاسِ :
فَجِئْتُ أَنْتَ تَطْلُبُ مِيرَاثَكَ مِنْ ابْنِ أُخِيكَ ، وَجَاءَ هَذَا يَطْلُبُ مِيرَاثَ امْرَأَتِهِ ، قَالَ عَبْدُ
الرَّزَّاقِ : انْظُرْ إِلَى الْأُنُوكِ ، يَقُولُ : تَطْلُبُ أَنْتَ مِيرَاثَكَ مِنْ ابْنِ أُخِيكَ ، وَيَطْلُبُ هَذَا
مِيرَاثَ زَوْجَتِهِ مِنْ أَبِيهَا ، لَا يَقُولُ : (رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ زَيْدُ بْنُ
الْمُبَارَكِ : فَلَمْ أَعُدْ إِلَيْهِ وَلَا أُرْوِي عَنْهُ (٢) .

قال الإمام الذهبيُّ مُعَقَّباً : هَذِهِ عَظِيمَةٌ ، وَمَا فَهَمَّ قَوْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ ، فَإِنَّكَ يَا هَذَا لَوْ سَكَتَ لَكَانَ أَوْلَى بِكَ ، فَإِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا كَانَ فِي مَقَامِ
تَبْيِينِ الْعُمُومَةِ وَالْبُنُوَّةِ ، وَإِلَّا فَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْلَمَ بِحَقِّ الْمَصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَبِتَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ مِنْ كُلِّ مُتَحَدِّقٍ مَتَنَطَّعٍ ، بَلْ الصَّوَابُ أَنْ نَقُولَ عَنْكَ : انْظُرُوا
إِلَى هَذَا الْأُنُوكِ الْفَاعِلِ - عَفَا اللَّهُ عَنْهُ - كَيْفَ يَقُولُ عَنْ عُمَرَ هَذَا ، وَلَا يَقُولُ : أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ الْفَارُوقُ؟! وَبِكُلِّ حَالٍ فَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَنَا وَلِعَبْدِ الرَّزَّاقِ ، فَإِنَّهُ مَأْمُونٌ عَلَى حَدِيثِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، صَادِقٌ (٣) .

وقال الحافظ ابنُ عَسَاكِرَ : كَانَ الْعَبْدَرِيُّ أَحْفَظَ شَيْخٍ لَقِيْتُهُ ، وَكَانَ فَقِيهًا دَاوُودِيًّا ،
ذَكَرَ أَنَّهُ دَخَلَ دِمَشْقَ فِي حَيَاةِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ وَسَمِعْتُهُ وَقَدْ ذُكِرَ مَالِكٌ ، فَقَالَ :
جِلْفٌ جَافٌ ، ضَرَبَ هِشَامَ بْنَ عَمَّارٍ بِالذَّرَّةِ ، وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ « الْأَمْوَالُ » لِأَبِي عُبَيْدٍ ،

(١) انظر السير : (الفرء) ١٠/١١٨-١٢١ ، وانظر النزهة : ٤/٨٥٧ .

(٢) انظر السير : (عبد الرزاق بن همام) ٩/٥٦٣-٥٨٠ ، وانظر النزهة : ١/٨٤٠ .

(٣) انظر السير : (عبد الرزاق بن همام) ٩/٥٦٣-٥٨٠ ، وانظر النزهة : ٢/٨٤٠ .

فَقَالَ ، وَقَدْ مَرَّ قَوْلٌ لِأَبِي عُبَيْدٍ : مَا كَانَ إِلَّا حِمَارًا مُغْفَلًا ، لَا يَعْرِفُ الْفِقْهَ ، وَقِيلَ لِي عَنْهُ : إِنَّهُ قَالَ فِي إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ : أَعْوَرُ سُوءٌ ، فَاجْتَمَعْنَا يَوْمًا عِنْدَ ابْنِ السَّمْرَقَنْدِيِّ فِي قِرَاءَةِ كِتَابِ « الْكَامِلِ » ، فَجَاءَ فِيهِ : وَقَالَ السَّعْدِيُّ كَذَا ، فَقَالَ : يَكْذِبُ ابْنُ عَدِيٍّ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْجَوْزْجَانِيُّ ، فَقُلْتُ لَهُ : فَهُوَ السَّعْدِيُّ ، فَإِلَى كَمْ نَحْتَمِلُ مِنْكَ سُوءَ الْأَدَبِ ، تَقُولُ فِي إِبْرَاهِيمَ كَذَا وَكَذَا ، وَتَقُولُ فِي مَالِكٍ جَافٌ ، وَتَقُولُ فِي أَبِي عُبَيْدٍ !؟ فَغَضِبَ وَأَخَذَتْهُ الرَّعْدَةُ ، وَقَالَ : كَانَ ابْنُ الْخَاضِبَةِ وَالْبِرْدَانِيُّ وَغَيْرُهُمَا يَخَافُونِي ، فَالْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَقُولَ فِيَّ هَذَا !؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ السَّمْرَقَنْدِيِّ : هَذَا بِذَاكَ ، فَقُلْتُ : إِنَّمَا نَحْتَرِمُكَ مَا احْتَرَمَتِ الْأَيْمَةُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ مِنْ عِلْمِ الْحَدِيثِ مَا لَمْ يَعْلَمَهُ غَيْرِي مِمَّنْ تَقَدَّمَ ، وَإِنِّي لِأَعْلَمُ مِنْ صَاحِبِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ مَا لَمْ يَعْلَمَاهُ ، فَقُلْتُ مُسْتَهْزَأًا : فَعِلْمُكَ إِلَهُامٌ إِذَا ، وَهَاجَرَتْهُ .

سَأَلْتُهُ يَوْمًا عَنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ ، فَقَالَ : اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهَا فَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَهَا وَمِنْهُمْ مَنْ أَمْسَكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ اعْتَقَدَ ظَاهِرَهَا ، وَمَذْهَبِي أَحَدُ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ الثَّلَاثَةِ ، وَكَانَ يُفْتِي عَلَى مَذْهَبِ دَاوُدَ ، فَبَلَغَنِي أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ وُجُوبِ الْعُسْلِ عَلَى مَنْ جَامَعَ وَلَمْ يُزَلِّ فَقَالَ : لَا غُسْلَ عَلَيْهِ ، الْآنَ فَعَلْتُ ذَا بَأَمِّ أَبِي بَكْرٍ إِلَى أَنْ قَالَ : وَكَانَ بَشَعَ الصُّورَةَ زَرِيًّا لِلْبَّاسِ .

مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : مَا ثَبَتَ عَنْهُ مَا قِيلَ مِنَ التَّشْبِيهِ ، وَإِنْ صَحَّ ، فَبُعْدًا لَهُ وَسُخْقًا^(١) .

٣- قِلَّةُ الْأَدَبِ مَعَ الصَّالِحِينَ تَسْتَوْجِبُ الْعُقُوبَةَ :

عَنْ أَبِي وَائِلٍ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَأَى رَجُلًا قَدْ أُسْبِلَ ، فَقَالَ : ارْفَعْ إِزَارَكَ ، فَقَالَ : وَأَنْتَ يَا ابْنَ مَسْعُودٍ فَارْفَعْ إِزَارَكَ ، قَالَ : إِنَّ بَسَاقِي حُمُوشَةٌ وَأَنَا أَوْمُ النَّاسِ فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ الرَّجُلَ ، وَيَقُولُ : أَتَرُدُّ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ !؟^(٢) .

(١) انظر السير : (العبدري) ١٩/٥٧٩-٥٨٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٥١٩ .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن مسعود) ١/٤٦١-٥٠٠ ، وانظر النزهة : ٤/١٩٦ .

٤- عاقبة التأدب مع العلماء حسنة :

ويروى أن أبا إسحاق الحزبي لما دخل على إسماعيل القاضي ، بادَرَ أبو عمر محمد بن يوسف القاضي إلى نَعْلِهِ ، فأخَذَهَا ، فَمَسَحَهَا مِنَ الْعَبَارِ ، فدَعَا لَهُ ، وَقَالَ : أَعَزَّكَ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَلَمَّا تُوِّفِيَ أَبُو عَمْرٍ ، رُؤِيَ فِي النَّوْمِ ، فَقِيلَ : مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ ؟ قَالَ : أَعَزَّنِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِدَعْوَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ^(١) .

٥- مِنَ الْأَدَبِ إِعْطَاءُ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ :

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ : جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ لِيَسْمَعَ مِنْهُ ، فَأَبَى أَنْ يُحَدِّثَهُ ، فَقَالَ الشَّرِيفُ لِعُلاَمِهِ : قُمْ فَإِنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَا يَرَى أَنْ يُحَدِّثَنَا ، فَلَمَّا قَامَ لِيَرْكَبَ ، جَاءَ ابْنُ الْمُبَارَكِ لِيُمْسِكَ بِرِكَابِهِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ تَفْعَلُ هَذَا وَلَا تَرَى أَنْ تُحَدِّثَنِي ! فَقَالَ : « أَذِلُّ لَكَ بَدَنِي ، وَلَا أَذِلُّ لَكَ الْحَدِيثَ » ^(٢) .

٦- تَعْظِيمُ شَعَائِرِ اللَّهِ مِنَ الْأَدَبِ :

عَنْ مُغِيرَةَ ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ الْحَجَّاجَ أَرَادَ أَنْ يَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى الْمَقَامِ ، فَزَجَرَهُ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ وَنَهَاهُ ^(٣) .

٧- الْمُبَالَغَةُ فِي أَمْرِ ظَنَنَهُ صَاحِبُهُ مِنْ وَاجِبَاتِ الْأَدَبِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْحَبُوشَانِيِّ : وَأَتَاهُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ لِرِيزَةِ الشَّافِعِيِّ ، فَرَأَاهُ يُلْقِي الدَّرْسَ ، فَجَلَسَ وَجَنِبَهُ إِلَى الْقَبْرِ ، فَصَاحَ : قُمْ قُمْ ، ظَهْرُكَ إِلَى الْإِمَامِ !؟ فَقَالَ : إِنْ كُنْتُ مُسْتَدْبِرُهُ بِقَالِبِي ، فَأَنَا مُسْتَقْبَلُهُ بِقَلْبِي فَصَاحَ فِيهِ ، وَقَالَ : مَا تُعْبِدُنَا بِهِذَا ، فَخَرَجَ وَهُوَ لَا يَعْقِلُ .

(١) انظر السير : (إبراهيم الحزبي) ١٣/٣٥٦-٣٧٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٩٤ .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٨/٣٧٨-٤٢١ ، وانظر النزهة : ٤/٧٦٩ .

(٣) انظر السير : (ابن الحنفية) ٤/١١٠-١٢٩ ، وانظر النزهة : ١/٤٦١ .

قال الإمام الذهبي: مات الخبوشاني سنة سبع وثمانين وخمسة مئة^(١).

٨- قولٌ بليغٌ في الحثِّ على الأدب :

قال أبو طالب بن عبد السميع: كان من أفاضل أمير المؤمنين، المُستظهر بالله: أدب السائل أنفع من الوسائل^(٢).

٩- أدب الخلفاء والأمراء مع العلماء :

قال الإمام الذهبي في ترجمة ابن الداعي: برع في الرأي على الإمام أبي الحسن الكرخي، وأخذ علم الكلام عن حسين بن علي البصري، وأفتى ودرّس، وولي نقابة الطالبين في دولة بني بويه، فعدل وحمد، وكان مُعز الدولة يُبالغ في تعظيمه، وتقديره، ولعبادته وهيبته، وكان فيه تشيعٌ بلا غلو^(٣).

وقال الإمام الذهبي في ترجمة أمير المؤمنين، المُستنصر بالله، صاحب الأندلس: وكان يتأدّب مع العلماء والعباد، التمس من زاهد الأندلس أبي بكر يحيى بن مجاهد الفزاري أن يأتي إليه، فامتنع، فمرّ في موكبه بيحيى وسلّم عليه، فردّ عليه ودعا له، وأقبل على تلاوته، ومرّ بحلقه شيخ القراء أبي الحسن الأنطاعي، فجلس ومنعهم من القيام، فما تحرك أحدٌ.

مات بقصر قرطبة سنة ست وستين وثلاث مئة.

ووبيع ابنه هشام وله تسع سنين أو أكثر، ولقب بالمؤيد بالله، فكان ذلك سبباً لتلاشي دولة المروانية، ولكن سدّد أمر المملّكة الحاجب الملقّب بالمنصور أبي عامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر القحطاني، وإليه كان العقد والحل، فساس أتم سياسة^(٤).

(١) انظر السير: (الخبوشاني) ٢١/٢٠٤-٢٠٧، وانظر النزهة: ٣/١٦١٣.

(٢) انظر السير: (المُستظهر بالله) ١٩/٣٩٦-٤١٢، وانظر النزهة: ٥/١٤٨٩.

(٣) انظر السير: (ابن الداعي) ١٦/١١٤-١١٦، وانظر النزهة: ١/١٢٧١.

(٤) انظر السير: (المُستنصر) ١٦/٢٣٠-٢٣١، وانظر النزهة: ٧/١٢٩٠.

وجاءَ في تَرْجَمَةِ المَنْبِيِّ ، وقيلَ : مرَّ السُّلْطَانُ بِبَابِ مَسْجِدِهِ ، فَتَزَلَّ مُرَاعَاةً ،
وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَمَنَاقِبُهُ جَمَّةً .

مات سنة ثلاثٍ وستينَ وأربعَ مئة^(١) .

وقالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ في تَرْجَمَةِ المَلِكِ الأَشْرَفِ أَبِي الفَتْحِ مُوسَى شاهِ أَرْمَنَ ، ابنِ
العادلِ : كانَ يُبَالِغُ في تَعْظِيمِ الشَّيْخِ الفَقِيهِ^(٢) ، تَوْضُحاً الفَقِيهُ يَوْمَاً فَوَثَبَ الأَشْرَفُ ،
وَحَلَّ من تَخْفِيفَتِهِ ورَماها على يَدَيِ الشَّيْخِ لِيُشْفَ بها ، رَأَى ذلكَ شَيْخَنَا أبو الحُسَيْنِ ،
وَحَكَاهُ لي .

ماتَ سَنَةَ خَمْسِ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ ، وكانَ آخِرَ كَلامِهِ « لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ » فيما قِيلَ^(٣) .

١٠- الأَدَبُ عِنْدَ العُلَماءِ :

قالَ جَعْفَرُ بنُ أَحْمَدَ بنِ نَصْرِ الحَافِظُ : ما رَأَيْتُ من المُحَدِّثِينَ أَهْيَبَ من مُحَمَّدِ بنِ
رافِعِ ، كانَ يَسْتَنِدُ إِلى الشَّجَرَةِ الصَّنوبِرِ في دارِهِ ، فيجَلِسُ العُلَماءُ بَينَ يَدَيْهِ على
مَراتِبِهِمْ ، وأولادُ الطَّاهِرِيَّةِ وَمَعَهُمُ الخَدَمُ ، كانَ على رُؤسِهِمُ الطَّيْرَ فيأخُذُ الكِتابَ ويقرأُ
بِنَفْسِهِ ولا يَنْطِقُ أَحَدٌ ، ولا يَتَبَسَّمُ إِجْلالاً لَه ، وإِذا تَبَسَّمَ واحِداً أو رَاطنَ صاحِبِهِ ،
قالَ : وصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ ويأخُذُ الكِتابَ ، فلا يَقْدِرُ أَحَدٌ إِراجِعَهُ أو يُشيرَ بِيَدِهِ ،
ولقد تَبَسَّمَ خادِمٌ من خَدَمِ الطَّاهِرِيَّةِ يَوْمَاً ، فَقَطَعَ ابنُ رَافِعِ مَجْلِسَهُ ، فانْتَهَى الخَبِرُ بِذلكَ
إِلى طَاهرِ بنِ عبدِ اللهِ ، فأمرَ بِقتْلِ الخادِمِ ، حتَّى احْتَلَنَّا لِخِلاصِهِ^(٤) .

١١- أمِثْلَةُ على أَدَبِ الصَّالِحِينَ :

عن جابِرِ ، قالَ عُمَرُ : أبو بَكْرٍ سَيِّدُنَا أَعْتَقَ بِلالاً سَيِّدَنَا^(٥) .

(١) انظر السير : (المَنْبِيُّ) ٢٦٢-٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٤١١ .

(٢) يعني : اليونيني .

(٣) انظر السير : (الأَشْرَفُ) ١٢٢/٢٢-١٢٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٧٤ .

(٤) انظر السير : (مُحَمَّدُ بنِ رَافِعِ) ٢١٤/١٢-٢٢١ ، وانظر النزهة : ٣/٩٩٥ .

(٥) انظر السير : (بِلالُ بنِ رَبِيعِ) ٣٤٧/١-٣٦٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٧٥ .

وعن يَحْيَى بنِ سَعْدٍ قَالَ : ذَكَرَ عُمَرُ فَضَلَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَجَعَلَ يَصِفُ مَنَاقِبَهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَهَذَا سَيِّدُنَا بِلَالٌ حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِهِ (١) .

وعن مُعَاذٍ قَالَ : مَا بَرَّقْتُ عَلَى يَمِينِي مِنْذُ أُسَلِمْتُ (٢) .

وعن أَبِي رَزِينٍ ، قَالَ : قِيلَ لِلْعَبَّاسِ : أَنْتَ أَكْبَرُ أَوْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : هُوَ أَكْبَرُ وَأَنَا وُلِدْتُ قَبْلَهُ (٣) .

وورد أن عمر عمد إلى ميزاب للعباس على ممر الناس ، فقلعه ، فقال له : أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي وضعه في مكانه ، فأقسم عمر : لتصعدن على ظهري ولتضعنه موضعه .

وقد عاش ابنُ عَبَّاسٍ ثمانياً وثمانين سنةً ، ومات سنةً اثنتين وثلاثين ، فصلَّى عليه عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ (٤) .

وعن أَبِي رُهِمٍ : أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ حَدَّثَهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ فِي بَيْتِنَا الْأَسْفَلَ وَكُنْتُ فِي الْغُرْفَةِ ، فَأَهْرَيْقَ مَاءً فِي الْغُرْفَةِ ، فَقُمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا نَتَّبِعُ الْمَاءَ ، وَنَزَلْتُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَكُونَ فَوْقَكَ ، انْتَقِلْ إِلَى الْغُرْفَةِ فَأَمَرَ بِمَتَاعِهِ فُنُقِلَ - وَمَتَاعُهُ قَلِيلٌ - قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كُنْتُ تُرْسِلُ بِالطَّعَامِ ، فَأَنْظُرُ فَإِذَا رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِكَ ، وَضَعْتُ فِيهِ يَدِي (٥) .

وعن أَبِي سَلْمَةَ ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَامَ إِلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، فَأَخَذَ لَهُ بَرَكَابَهُ ، فَقَالَ : تَنَحَّ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : هَلْ كَذَا نَفَعَلُ بِعِلْمَانَا وَكِبْرَانَا (٦) .

(١) انظر السير : (بلال بن رباح) ٣٤٧/١-٣٦٠ ، وانظر النزهة : ٤/١٧٦ .

(٢) انظر السير : (معاذ بن جبل) ٤٤٣/١-٤٦١ ، وانظر النزهة : ٣/١٩٢ .

(٣) انظر السير : (العباس) ٧٨/٢-١٠٣ ، وانظر النزهة : ٦/٢٢١ .

(٤) انظر السير : (العباس) ٧٨/٢-١٠٣ ، وانظر النزهة : ٤/٢٢٣ .

(٥) انظر السير : (أبو أيوب الأنصاري) ٤٠٢/٢-٤١٣ ، وانظر النزهة : ١/٢٨٣ .

(٦) انظر السير : (زيد بن ثابت) ٤٢٦/٢-٤٤١ ، وانظر النزهة : ٤/٢٨٧ .

ومن غير وجه ، عن عُمَرَ رضي الله عنه : أنه لم يلق أسامةَ بن زيد قط إلا قال : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله ! توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت عليّ أمير^(١) .

وعن عمران بن حصين قال : ما مَسَسْتُ ذَكَرِي بيمينِي منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) .

وعن مغيرة قال : خرج عدي بن حاتم ، وجريُّ البجلي وحظلة الكاتب من الكوفة ، فنزلوا قرقيسياء ، وقالوا : لا نُقيمُ ببلدٍ يُشتمُّ فيه عُثمانُ . ماتَ عديُّ سنةَ سَبْعِ وستين^(٣) .

عن عبد الرحمن بن رزين قال : أتينا سلمة بن الأكوع بالربذة ، فأخرج إلينا يداً ضخمَةً كأنها خُفُّ البعير ، فقال : بايعتُ بيدي هذه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقال : فأخذنا يده فقبَلناها^(٤) .

وعن ابن أبي الهذيل : قال : دعا عُمَرُ زَيْدَ بنِ صُوحان ، فضَفَّنَه على الرَّحْلِ^(٥) كما تُضَفُّونَ أمراءكم ، ثم التفت إلى الناس ، فقال : اصنعوا هذا بزید وأصحابِ زَيْد^(٦) .

وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم : كان أبو وائل عثمانياً وكان زُرُّ ابنِ حُبَيْشِ علوياً ، وما رأيتُ واحداً منهما قَطُّ تكلم في صاحبه حتَّى ماتا وكان زُرُّ أكبر من أبي وائل ، فكانا إذا جلسا جميعاً ، لم يُحدِّثْ أبو وائل مع زُرِّ - يعني يتأدَّبُ معه لِسِنِّهِ^(٧) .

-
- (١) انظر السير : (أسامة بن زيد) ٢/٤٩٦-٥٠٧ ، وانظر النزهة : ٢/٢٩٧ .
 - (٢) انظر السير : (عمران بن حصين) ٢/٥٠٨-٥١٢ ، وانظر النزهة : ٤/٢٩٨ .
 - (٣) انظر السير : (عدي بن حاتم) ٣/١٦٢-١٦٥ ، وانظر النزهة : ٤/٣٥٨ .
 - (٤) انظر السير : (سلمة بن الأكوع) ٣/٣٢٦-٣٣١ ، وانظر النزهة : ٤/٣٨٨ .
 - (٥) أي : حمَّله عليه .
 - (٦) انظر السير : (زيد بن صوحان) ٣/٥٢٥-٥٢٨ ، وانظر النزهة : ٣/٤١٩ .
 - (٧) انظر السير : (زُرُّ بن حُبَيْش) ٤/١٦٦-١٧٠ ، وانظر النزهة : ٥/٤٧٠ .

وعن أبي العالية ، رُفِعَ بْنِ مِهْرَانَ الْمُقْرِيءِ ، قَالَ : مَا مَسَسْتُ ذَكَرِي بِيَمِينِي مِنْذُ سِتِينَ أَوْ سَبْعِينَ سَنَةً (١) .

وَمِنْ كَلَامِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ : لَا تَقُولُوا مُصَيِّحِفَ ، وَلَا مُسَيِّجِدَ ، مَا كَانَ اللَّهُ فَهوَ عَظِيمٌ حَسَنٌ جَمِيلٌ (٢) .

وَقِيلَ : كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ إِذَا سَارَ فِي الْمَدِينَةِ عَلَى بَعْلَتِهِ ، لَمْ يَقُلْ لِأَحَدٍ : الطَّرِيقَ وَيَقُولُ : هُوَ مُشْتَرِكٌ لَيْسَ لِي أَنْ أُنْحِيَ عَنْهُ أَحَدًا .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : وَكَانَ لَهُ جَلَالَةٌ عَجِيبَةٌ ، وَحُقَّ لَهُ وَاللَّهُ ذَلِكَ ، فَقَدْ كَانَ أَهْلًا لِلْإِمَامَةِ الْعَظْمَى لِشَرَفِهِ وَسُؤْدُودِهِ وَعِلْمِهِ وَتَأَلُّهِهِ وَكَمَالِ عَقْلِهِ (٣) .

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ نَجِيحٍ بْنُ يَحْيَى - هُوَ ابْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ - أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَتَبَ أَنْ يُعْطَى خَارِجَةٌ مِنْ زَيْدٍ مَا قُطِعَ عَنْهُ مِنَ الدِّيَّوَانِ ، فَمَشَى خَارِجَةً إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَلْزَمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذَا مَقَالَةٌ ، وَلِي نُظْرَاءُ ، فَإِنَّ عَمَّهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِذَا ، فَعَلْتُ ، وَإِنْ هُوَ حَصَّنِي بِهِ ، فَإِنِّي أَكْرَهُ ذَلِكَ لَهُ ، فَكَتَبْتُ عُمَرَ : لَا يَسَعُ الْمَالُ لَذَلِكَ ، وَلَوْ وَسِعَهُ لَفَعَلْتُ (٤) .

وَعَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرِ قَالَ : رُبَّمَا أَخَذَ ابْنُ عُمَرَ لِي بِالرَّكَّابِ (٥) .

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : إِنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ لَمَّا مَاتَ مُسْلِمٌ بِنُ يَسَارٍ قَالَ : وَامْعَلَّمَاهُ (٦) .

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءَ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحَدِّثُنِي بِالْحَدِيثِ ، فَأُنْصِتُ لَهُ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ وَقَدْ سَمِعْتُهُ قَبْلَ أَنْ يُوَلَّدَ (٧) .

(١) انظر السير : (أبو العالية) ٢٠٧/٤-٢١٣ ، وانظر النزهة : ٦/٤٧٩ .

(٢) انظر السير : (سعيد بن المسيب) ٢١٧/٤-٢٤٦ ، وانظر النزهة : ٣/٤٨٧ .

(٣) انظر السير : (علي بن الحسين) ٣٨٦/٤-٤٠١ ، وانظر النزهة : ٣/٥٢٠ .

(٤) انظر السير : (خارجة بن زيد) ٤٣٧/٤-٤٤١ ، وانظر النزهة : ٣/٥٢٩ .

(٥) انظر السير : (مجاهد بن جبر) ٤٤٩/٤-٤٥٧ ، وانظر النزهة : ٤/٥٣٠ .

(٦) انظر السير : (مسلم بن يسار) ٥١٠/٤-٥١٤ ، وانظر النزهة : ٤/٥٤٨ .

(٧) انظر السير : (عطاء بن أبي رباح) ٧٨/٥-٨٨ ، وانظر النزهة : ٣/٥٨٣ .

وعن أيوب قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! لو أتيت المدينة ، فإن قضى الله موتاً في موضع القبر الرابع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : والله لأن يعذبني الله بغير النار أحب إلي من أن يعلم من قلبي أنني أراني لذلك أهلاً^(١) .

وعن عاصم بن أبي النجود ، قال : ما قدمت على أبي وائل من سفر إلا قبلت كفي .

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبي عن عاصم بن بهدلة ، فقال : رجل صالح خير ثقة ، قلت : أي القراءات أحب إليك ؟ قال : قراءة أهل المدينة ، فإن لم يكن ، فإقرأه عاصم^(٢) .

وعن قتادة ، قال : لقد كان يستحب أن لا تقرأ الأحاديث التي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة^(٣) .

وقال العباس بن الوليد : فما رأيت أبي يتعجب من شيء في الدنيا تعجبه من الأوزاعي فكان يقول : سبحانك فعل ما تشاء!! كان الأوزاعي يتيماً فقيراً في حجر أمه ، تنقله من بلد إلى بلد ، وقد جرى حكمك فيه أن بلغته حيث رأته ، يا بني! عجزت الملوكة أن تؤدب أنفسها وأولادها أدب الأوزاعي في نفسه ، ما سمعت منه كلمة قط فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه ، ولا رأته ضاحكاً قط حتى يفهقه ، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد أقول في نفسي : أترى في المجلس قلب لم يبك؟^(٤) .

وقال أبو زرعة : كنت عند أحمد بن حنبل ، فذكر إبراهيم بن طهمان ، وكان متكئاً من علة ، فجلس ، وقال : لا ينبغي أن يذكر الصالحون فيتكأ وقال أحمد : كان مرجئاً شديداً على الجهمية^(٥) .

(١) انظر السير : (عمر بن عبد العزيز) ١١٤-١٤٨/٥ ، وانظر النزاهة : ١/٥٩٢ .

(٢) انظر السير : (عاصم بن أبي النجود) ٢٥٦-٢٦١/٥ ، وانظر النزاهة : ٣/٥٩٩ .

(٣) انظر السير : (قتادة) ٢٦٩-٢٨٣/٥ ، وانظر النزاهة : ٣/٦٠٢ .

(٤) انظر السير : (الأوزاعي) ١٠٧-١٣٤/٧ ، وانظر النزاهة : ٢/٦٨١ .

(٥) انظر السير : (إبراهيم بن طهمان) ٣٧٨-٣٨٥/٧ ، وانظر النزاهة : ١/٧٠٦ .

وعن يَحْيَى بنِ يَمَان ، قَالَ : كَانَ سُفْيَانُ إِذَا قَعَدَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ ، تَحَرَّزَ مِنَ الْكَلَامِ ^(١) .

وقال أبو مُصْعَب : كَانَ الْإِمَامُ مَالِكُ لَا يُحَدِّثُ إِلَّا وَهُوَ عَلَى طَهَارَةِ إِجْلَالاً لِلْحَدِيثِ ^(٢) .

وقال أبو مُصْعَب : كَانُوا يَزِدُّونَ عَلَى بَابِ مَالِكٍ حَتَّى يَقْتَتِلُوا مِنَ الزُّحَامِ وَكُنَّا إِذَا كُنَّا عِنْدَهُ لَا يَلْتَفِتُ ذَا إِلَى ذَا ، قَائِلُونَ بَرُّوْسِهِمْ هَكَذَا وَكَانَتِ السَّلَاطِينُ تَهَابُهُ وَكَانَ يَقُولُ : لَا ، وَنَعَمْ وَلَا يُقَالُ لَهُ : مِنْ أَيْنَ قُلْتَ ذَا؟ ^(٣) .

وقال ابنُ وَهْبٍ : مَا نَقَلْنَا مِنْ أَدَبِ مَالِكٍ أَكْثَرَ مِمَّا تَعَلَّمْنَا مِنْ عِلْمِهِ ^(٤) .

عن يَحْيَى بنِ يَحْيَى اللَّيْثِيُّ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ مَالِكٍ ، فَاسْتُوذِنَ لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْمُبَارَكِ بِالذُّخُولِ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَرَأَيْنَا مَالِكاً تَزَحَّجَ لَهُ فِي مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ أَقْعَدَهُ بِلِصْقِهِ ، وَمَا رَأَيْتُ مَالِكاً تَزَحَّجَ لِأَحَدٍ فِي مَجْلِسِهِ غَيْرِهِ ، فَكَانَ الْقَارِئُ يَقْرَأُ عَلَى مَالِكٍ ، فَرُبَّمَا مَرَّ بِشَيْءٍ فَيَسْأَلُهُ مَالِكٌ : مَا مَذْهَبُكُمْ فِي هَذَا؟ أَوْ مَا عِنْدَكُمْ فِي هَذَا؟ فَرَأَيْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ يُجَاوِبُهُ ، ثُمَّ قَامَ ، فَخَرَجَ ، فَأَعْجَبَ مَالِكُ بِأَدَبِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَنَا مَالِكٌ : هَذَا ابْنُ الْمُبَارَكِ فَفِيهِ خُرَاسَانُ ^(٥) .

وسئِلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ بِحُضُورِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ مَسْأَلَةٍ ، فَقَالَ : إِنَّا نُهَيِّنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ عِنْدَ أَكَابِرِنَا ^(٦) .

وقال إبراهيمُ بنُ الْأَشْعَثِ : رَأَيْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يُقْبَلُ يَدَ الْفُضَيْلِ ابْنِ عِيَاضٍ مَرَّتَيْنِ ^(٧) .

(١) انظر السير : (إبراهيم بن أدهم) ٣٨٧/٧-٣٩٦ ، وانظر النزهة : ٤/٧٠٨ .

(٢) انظر السير : (مالك الإمام) ٤٨/٨-١٣٥ ، وانظر النزهة : ٤/٧٣٣ .

(٣) انظر السير : (مالك الإمام) ٤٨/٨-١٣٥ ، وانظر النزهة : ٥/٧٣٦ .

(٤) انظر السير : (مالك الإمام) ٤٨/٨-١٣٥ ، وانظر النزهة : ١/٧٣٧ .

(٥) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٣٧٨/٨-٤٢١ ، وانظر النزهة : ٢/٧٧٢ .

(٦) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٣٧٨/٨-٤٢١ ، وانظر النزهة : ٣/٧٧٢ .

(٧) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٤٢١/٨-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٥/٧٧٨ .

وقال عطاءُ الحَفَّافِ : كُنْتُ عند الأوزاعيِّ ، فأرادَ أنْ يكتُبَ إليَّ أبي إسحاقَ
الْفَزاري ، فقالَ لكَاتبِهِ ، ابدأ به ، فإنَّه والله خيرٌ مِنِّي ^(١) .

وقال سَلْمُ بْنُ جُنَادَةَ : جالستُ وكيعاً سَبْعَ سِنين ، فما رأيتُهُ بَرَقَ ، ولا مَسَّ
حِصاةً ، ولا جلسَ مَجْلِساً ، وما رأيتُهُ إلا مُسْتَقْبِلَ القِبلةِ ، وما رأيتُهُ يَحْلِفُ بالله ^(٢) .
وقال مُوسَى بْنُ داود : كُنْتُ عند ابنِ عُيَينةَ ، فجاءَ حُسينُ الجُعفيُّ فقامَ سُفيانُ ،
فَقَبَّلَ يَدَهُ ^(٣) .

وعن يَحْيَى بنِ يَحْيَى بنِ كثير ، قال : أخذتُ بِرِكابِ اللَّيْثِ ، فأرادَ غلامُهُ أنْ
يَمَنَعَنِي ، فقالَ اللَّيْثُ : دَعُهُ ثم قالَ لي : خَدَمَكَ العِلْمُ قالَ : فلمَ تَزَلُ بي الأيَّامُ حتَّى
رَأيتُ ذلكَ ^(٤) .

وقال المَرْوذي : رأيتُ أبا عبدِ اللهِ ، أحمدَ بنَ حَنْبَلٍ ، إذا كانَ في البَيْتِ عامَّةً
جُلوسِهِ مُتَرَبِّعاً خاشِعاً ، فإذا كانَ بَرّاً ، لَمْ يَتَيَّنْ مِنْهُ شِدَّةُ خُشوعٍ ، وكُنْتُ أَدْخُلُ ،
والجُزءُ في يَدِهِ يَقْرَأُ ^(٥) .

وقال مُحَمَّدُ بْنُ حَمْدُونَ بنِ رُسْتَمِ : سَمِعْتُ مُسْلِمَ بنَ الحَجَّاجِ ، وجاءَ إليَّ
البُخاريُّ فقالَ : دَعْنِي أَقْبَلُ رِجْلَيْكَ يا أستاذَ الأَسْتاذين ، وسَيِّدَ المُحَدِّثين ، وطَيِّبَ
الحديثِ في عِلْمِهِ .

وقال أبو عَلِيٍّ صالحُ بنُ مُحَمَّدِ جَزَرَةَ : كانَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْماعيلَ البُخاريُّ يَجْلِسُ
ببَغدادَ ، وكُنْتُ أَسْتَمْلِي له ، وَيَجْتَمِعُ في مَجْلِسِهِ أَكْثَرُ مِنْ عِشْرينَ أَلْفاً ^(٦) .

ويُروى أنْ أبا إسحاقَ الحَرَبِيِّ لَمَّا دَخَلَ عَلَيَّ إِسْماعيلَ القَاضي ، بادَرَ أبو عَمَرَ

-
- (١) انظر السير : (أبو إسحاقَ الفَزاري) ٥٣٩-٥٤٣ ، وانظر النزهة : ٥/٧٩٠ .
 - (٢) انظر السير : (وكيع بن الجراح) ١٤٠-١٦٨ ، وانظر النزهة : ٢/٨١١ .
 - (٣) انظر السير : (الحُسين بن عليِّ الجُعفي) ٣٩٧-٤٠١ ، وانظر النزهة : ٣/٨٣٣ .
 - (٤) انظر السير : (يَحْيَى بن يَحْيَى بن كثير) ٥١٩-٥٢٦ ، وانظر النزهة : ٤/٨٩٠ .
 - (٥) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَلٍ) ١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٢٤ .
 - (٦) انظر السير : (أبو عبد الله البُخاريُّ) ٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٠١٥ .

محمدُ بنُ يُوسُفَ القَاضِي إلى نَعْلِهِ ، فأخَذَهَا ، فمَسَحَهَا مِنَ العُبَارِ ، فدَعَا لَهُ ، وَقَالَ :
 أعَزَّكَ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَلَمَّا تُوَفِّي أَبُو عَمْرٍ ، رُؤْيِي فِي النُّومِ ، فَقِيلَ مَا فَعَلَ اللهُ
 بِكَ ؟ قَالَ : أعَزَّنِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِدَعْوَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ (١) .

وَقَالَ أَبُو زَكَرِيَّا العَنْبَرِيُّ : شَهِدْتُ جَنَازَةَ الحُسَيْنِ القَبَّانِيِّ ، فَصَلَّيْتُ بِنَا عَلَيْهِ
 أَبُو عَبْدِ اللهِ البُوشَنجِيِّ ، فَلَمَّا أَرَادُوا الانصِرَافَ ، قُدِّمَتْ دَابَّةُ أَبِي عَبْدِ اللهِ ، وَأَخَذَ
 أَبُو عَمْرٍو الحَخْفَافَ بِلِجَامِهِ ، وَأَخَذَ إِمَامَ الأئِمَّةِ بِرِكَابِهِ ، وَأَبُو بَكْرٍ الجَارُودِيُّ ،
 وَإِبْرَاهِيمُ بنُ أَبِي طَالِبٍ يُسَوِّيَانِ عَلَيْهِ ثِيَابُهُ ، فَلَمْ يَمْنَعْ وَاحِدًا مِنْهُمْ ، وَمَضَى (٢) .

وَعَنْ جَعْفَرِ الطُّسْتِيِّ : أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا مُسْلِمَ الكَمَّجِي يَقُولُ ، وَذِكْرَ عِنْدَهُ صَالِحُ بنُ مُحَمَّدٍ
 جَزْرَةَ فَقَالَ : مَا أَهْوَنَهُ عَلَيْكُمْ ، أَلَا تَقُولُونَ : سَيِّدُ المُسْلِمِينَ!! (٣) .

وَقَالَ عَبْدُ القَادِرِ الحَافِظُ : وَكَانَ أَبُو طَاهِرِ السَّلْفِيِّ لَا تَبْدُو مِنْهُ جَفْوَةٌ لِأَحَدٍ ، وَيَجْلِسُ
 لِلحَدِيثِ فَلَا يَشْرَبُ مَاءً ، وَلَا يَبْرُقُ ، وَلَا يَتَوَرَّكُ ، وَلَا تَبْدُو لَهُ قَدَمٌ وَقَدْ جَازَ المِئَةَ (٤) .

وَحَكَى الشَّيْخُ عَبْدُ الصَّمَدِ قَالَ : وَاللهُ مُذْ خَدَمْتُ الشَّيْخَ عَبْدَ اللهِ اليُونِنِي مَا رَأَيْتُهُ
 اسْتَنَدَ وَلَا سَعَلَ وَلَا بَصَقَ (٥) .

الإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ

١- الحَثُّ عَلَى الإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ :

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحُبْلِيِّ ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بنَ عَمْرٍو يَقُولُ : لِأَنِّ أَكُونُ عَاشِرَ
 عَشْرَةِ مَسَاكِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونُ عَاشِرَ عَشْرَةِ أَغْنِيَاءَ ، فَإِنَّ الأَكْثَرِينَ
 هُمُ الأَقْلُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، إِلاَّ مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا ، يَقُولُ : يَتَصَدَّقُ يَمِينًا وَشِمَالًا (٦) .

(١) انظر السير : (إبراهيم الحزبي) ٣٥٦-٣٧٢/١٣ ، وانظر النزعة : ٢/١٠٩٤ .

(٢) انظر السير : (البوشنجي) ٥٨١-٥٨٩/١٣ ، وانظر النزعة : ٤/١١١٧ .

(٣) انظر السير : (صالح بن محمد) ٢٣-٣٣/١٤ ، وانظر النزعة : ١/١١٢٤ .

(٤) انظر السير : (السلفي) ٢١/٥-٣٩ ، وانظر النزعة : ٢/١٥٩٢ .

(٥) انظر السير : (اليونيني) ١٠١-١٠٣/٢٢ ، وانظر النزعة : ١/١٦٦٩ .

(٦) انظر السير : (عبد الله بن عمرو بن العاص) ٣/٧٩-٩٤ ، وانظر النزعة : ١/٣٤٠ .

ومن محاسن الإمام ابن نُجَيْدٍ أَنَّ شَيْخَهُ الرَّاهِدَ أَبَا عَثْمَانَ الْحِيرِيَّ طَلَبَ فِي مَجْلِسِهِ مَالاً لِبَعْضِ الثُّغُورِ ، فَتَأَخَّرَ ، فَتَأَلَّمَ وَبَكَى عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ فَجَاءَهُ ابْنُ نُجَيْدٍ بِالْفِي دَرَاهِمٍ ، فَدَعَا لَهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ نَوَّهَ بِهِ ، وَقَالَ : قَدْ رَجَوْتُ لِأَبِي عَمْرٍو بِمَا فَعَلَ ، فَإِنَّهُ نَابَ عَنِ الْجَمَاعَةِ ، وَحَمَلَ كَذَا وَكَذَا ، فَقَامَ ابْنُ نُجَيْدٍ ، وَقَالَ : لَكِنْ إِنَّمَا حَمَلْتُ مِنْ مَالِ أُمِّي وَهِيَ كَارِهَةٌ ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَرُدَّهُ لِتَرْضَى ، فَأَمَرَ أَبُو عَثْمَانَ بِالْكَيْسِ فَرُدَّ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ جَاءَ بِالْكَيْسِ ، وَالتَّمَسَ مِنَ الشَّيْخِ سِتْرَ ذَلِكَ ، فَبَكَى ، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ : أَنَا أَحْشَى مِنْ هِمَّةِ أَبِي عَمْرٍو (١) .

٢- الإِنْفَاقُ مِنْ مَالِ حَرَامٍ لَا يُقْبَلُ :

عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُخَيْمِرَةَ ، قَالَ : مَنْ أَصَابَ مَالاً مِنْ مَأْتَمٍ ، فَوَصَلَ بِهِ ، أَوْ تَصَدَّقَ بِهِ ، أَوْ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَمَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ (٢) .

٣- صُورٌ مِنَ الإِنْفَاقِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَجَاءَ أَنَّهُ اتَّجَرَ إِلَى بُصْرَى غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَأَنَّهُ أَنْفَقَ أَمْوَالَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ (٣) .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا نَفَعَنِي مَالٌ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ » .

وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ : أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ يَوْمَ أُسْلِمَ وَلَهُ أَرْبَعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ .

وَقَالَ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الرَّجَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« أَبُو بَكْرٍ » (٤) .

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ : جَاءَ عَثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفِ

(١) انظر السير : (ابن نُجَيْدٍ) ١٦/١٤٦-١٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٧٥ .

(٢) انظر السير : (القاسم بن مُخَيْمِرَةَ) ٥/٢٠١-٢٠٤ ، وانظر النزهة : ٧/٥٩٥ .

(٣) انظر السير : (أبو بكر الصِّدِّيقِ) ، وانظر النزهة : ٢/٢٣ .

(٤) انظر السير : (أبو بكر الصِّدِّيقِ) ، وانظر النزهة : ٣/٢٣ .

دينار في ثوبه حين جهَّز جيشَ العُسرةِ فصَبَّها في حِجْرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فجَعَلَ يُقَلِّبُها بيده ويقولُ : « مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ » ، رواهُ أحمدُ في مُسنَدِه ، وفي مُسنَدِ أبي يَعْلَى من حَدِيثِ عبدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، أَنَّهُ جَهَّزَ جَيْشَ العُسرةِ بِسَبْعِمِائَةِ أوقيةٍ من ذَهَبٍ (١) .

وعن بِشْرِ بْنِ بِشِيرِ الأَسْلَمِيِّ ، عن أبيه قالَ : لَمَّا قَدِمَ المُهاجِرُونَ المُدِينَةَ اسْتَنَكَرُوا المَاءَ ، وكانت لِرَجُلٍ من بني غِفَارٍ عَيْنٌ يُقالُ لها « رومة » ، وكان يبيِعُ منها القِرْبَةَ بمُدٍّ ، فقالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « تَبِعُهَا بِعَيْنٍ في الجَنَّةِ ؟ » فقالَ : لَيْسَ لي يا رَسولَ اللهِ عَيْنٌ غيرُها ، لا أُسْتَطِيعُ ذلكَ ، فابْلَغَ عُثْمَانُ ، فاشْتَرَاها بِخَمْسَةِ وثلاثينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، ثم أتى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فقالَ : أَتَجْعَلُ لي مِثْلَ الذي جَعَلْتَ له عَيْنًا في الجَنَّةِ إِنْ اشْتَرَيْتُهَا ؟ قالَ صلى الله عليه وسلم : « نَعَمْ » ، قالَ : قد اشْتَرَيْتُهَا وجَعَلْتُها لِلْمُسْلِمِينَ (٢) .

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنه قالَ : اشْتَرَى عُثْمَانُ من رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الجَنَّةَ مَرَّتَيْنِ : يَوْمَ رومةَ ، ويَوْمَ جَيْشِ العُسرةِ (٣) .

وقالَ أَنَسُ : كانَ أبو طَلْحَةَ أَكثَرَ أنصارِيٍّ بالمُدِينَةِ مالاً من نَحْلِ ، فقالَ : يا رَسولَ اللهِ ، إِنْ أَحَبَّ أَمْوالِي إِلَيَّ يَبْرُحْأَ ، وإِنها صَدَقَةٌ لله ، أَرجوُ بِرَّها وذُخْرَها ، فضَعُها يا رَسولَ اللهِ حَيْثُ أَرَأكَ اللهُ ، فقالَ صلى الله عليه وسلم : « بَخِ ! ذَلِكُ مالٌ رابِحٌ ، وإِنِّي أَرى أَنْ تَجْعَلَهَا في الأَقْرَبِينَ » (٤) .

عن عُرْوَةَ ، عن عائِشَةَ ، أَنها تَصَدَّقَتْ بِسَبْعِينَ أَلْفًا ، وَأَنها لَتَرَفَعُ جانِبَ دِرْعِها ، رَضِيَ اللهُ عنها .

عن أم ذَرَّةَ ، قالتَ : بعَثَ ابنُ الزُّبَيْرِ إلى عائِشَةَ بِمالٍ في غِرارَتَيْنِ ، يَكُونُ مِئَةَ

(١) انظر السير : (عُثْمَانُ بن عَفَّانَ) ، وانظر النزهة : ١/٧٨ .

(٢) انظر السير : (عُثْمَانُ بن عَفَّانَ) ، وانظر النزهة : ٣/٧٨ .

(٣) انظر السير : (عُثْمَانُ بن عَفَّانَ) ، وانظر النزهة : ١/٧٩ .

(٤) انظر السير : (أبو طَلْحَةَ الأنصاريِّ) ٢/٢٧-٣٤ ، وانظر النزهة : ٢/٢١٤ .

أَلْفٍ ، فَدَعَتِ بَطْبِي ، فَجَعَلَتْ تَقْسِمُ فِي النَّاسِ ، فَلَمَّا أَمَسَتْ ، قَالَتْ : هَاتِي يَا جَارِيَةُ فُطُورِي فَقَالَتْ أُمُّ ذَرَّةٍ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا اسْتَطَعْتِ أَنْ تَشْتَرِي لَنَا لَحْمًا بِدِرْهَمٍ ؟ قَالَتْ : لَا تُعَنِّفِينِي ، لَوْ أَذْكَرْتِنِي لَفَعَلْتُ^(١) .

عن نافع قال : إِنْ كَانَ ابْنُ عُمَرَ لِيُفَرِّقُ فِي الْمَجْلِسِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَيْهِ شَهْرٌ مَا يَأْكُلُ مُرْعَةً^(٢) لَحْمٍ^(٣) .

وعن نافع قال : مَا مَاتَ ابْنُ عُمَرَ حَتَّى أَعْتَقَ أَلْفَ إِنْسَانٍ ، أَوْ زَادَ^(٤) .

وعن نافع قال : بَعَثَ مُعَاوِيَةُ إِلَى ابْنِ عُمَرَ بِمِئَةِ أَلْفٍ ، فَمَا حَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ^(٥) .

وعن منذر الثَّوْرِيِّ ، أَنَّ الرَّبِيعَ بْنَ خُثَيْمٍ كَانَ إِذَا أَخَذَ عَطَاءَهُ فَرَّقَهُ وَتَرَكَ قَدْرَ مَا يَكْفِيهِ^(٦) .

حَدَّثَنَا سُفْيَانُ أَنَّ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ اشْتَرَى نَفْسَهُ مِنَ اللَّهِ سِتِّ مَرَّاتٍ ، يَعْنِي يَتَصَدَّقُ كُلَّ مَرَّةٍ بِدِيَّتِهِ^(٧) .

وَبَلَّغْنَا أَنَّ حَمَّادَ بْنَ أَبِي سُلَيْمَانَ كَانَ ذَا دُنْيَا مُتَّسِعَةً ، وَأَنَّهُ كَانَ يُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ خَمْسَ مِئَةِ إِنْسَانٍ ، وَأَنَّهُ كَانَ يُعْطِيهِمْ بَعْدَ الْعِيدِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِئَةَ دِرْهَمٍ^(٨) .

جَاءَ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي جَعْفَرِ الْقَارِيِّ ، وَقِيلَ : كَانَ يَتَصَدَّقُ حَتَّى يَبْزُرَهُ ، وَكَانَ مِنَ الْعَبَادِ^(٩) .

-
- (١) انظر السير : (عائشة أم المؤمنين) ٢/١٣٥-٢٠١ ، وانظر النزهة : ٢/٢٤٤ .
 - (٢) المُرْعَةُ ، بضم الميم : القطعة اليسيرة من اللحم .
 - (٣) انظر السير : (عبد الله بن عمر) ٣/٢٠٣-٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٢/٣٦٩ .
 - (٤) انظر السير : (عبد الله بن عمر) ٣/٢٠٣-٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٣/٣٦٩ .
 - (٥) انظر السير : (عبد الله بن عمر) ٣/٢٠٣-٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٤/٣٦٩ .
 - (٦) انظر السير : (الربيع بن خثيم) ٤/٢٥٨-٢٦٢ ، وانظر النزهة : ٩/٤٩٣ .
 - (٧) انظر السير : (عامر بن عبد الله) ٥/٢١٩-٢٢٠ ، وانظر النزهة : ١/٥٩٦ .
 - (٨) انظر السير : (حماد بن أبي سليمان) ٥/٢٣١-٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٣/٥٩٨ .
 - (٩) انظر السير : (أبو جعفر القاري) ٥/٢٨٧-٢٨٨ ، وانظر النزهة : ٣/٦٠٤ .

وعن هَيَّاجِ بْنِ بَسْطَامٍ قَالَ : كَانَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ يُطْعِمُ حَتَّى لَا يَبْقَى لِعِيَالِهِ شَيْءٌ^(١) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي حَفْصِ النَّسَائِبُورِيِّ : بَلَغَنِي أَنَّهُ أَنْفَذَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ بَضْعَةَ عَشْرٍ أَلْفَ دِينَارٍ يَفْتَكُ بِهَا أُسْرَى ، فَلَمَّا أَمْسَى لَمْ يَكُنْ لَهُ عِشَاءٌ^(٢) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ : رَأَيْتُ يَوْمًا قَدْ أُهْدِيَ إِلَى بَيْتِ الْحَافِظِ مِشْمِشٌ فَكَانُوا يُفْرَقُونَ ، فَقَالَ مِنْ حِينِهِ : فَرَّقُوا ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾^(٣) .

وَقَدْ فَتَحَ لَهُ بِكَثِيرٍ مِنَ الذَّهَبِ وَغَيْرِهِ فَمَا يَتْرُكُ شَيْئًا حَتَّى قَالَ لِي ابْنُهُ أَبُو الْفَتْحِ : وَالِدِي يُعْطِي النَّاسَ الْكَثِيرَ وَنَحْنُ لَا يَبِيعُ إِلَّا شَيْئًا ، وَكُنَّا بَبْغَدَادَ^(٤) .

الإيثار

صُورٌ مِنَ الْإِيثَارِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَلَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقِيرًا لَا شَيْءَ لَهُ ، آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ أَحَدِ الثُّقَبَاءِ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُشَاطِرَهُ نِعْمَتَهُ ، وَأَنْ يُطَلِّقَ لَهُ أَحْسَنَ زَوْجَتَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَلَكِنْ دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ فَذَهَبَ فَبَاعَ وَاشْتَرَى ، وَرَبِحَ ، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ أَنْ صَارَ مَعَهُ دَرَاهِمٌ ، فَتَرَوَّجَ امْرَأَةً عَلَى زِنَةِ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ » ثُمَّ آلَ أَمْرُهُ فِي التَّجَارَةِ إِلَى مَا آلَ^(٥) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ : ابْنُ عَمْرِو الْأَنْصَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ

(١) انظر السير : (جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ) ٦/٢٥٥-٢٧٠ ، وانظر النزهة : ٤/٦٤٧ .

(٢) انظر السير : (أَبُو حَفْصِ النَّسَائِبُورِيِّ) ١٢/٥١٠-٥١٣ ، وانظر النزهة : ٦/١٠٢٥ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٩٢ .

(٤) انظر السير : (عَبْدِ الْغَنِيِّ) ٢١/٤٤٣-٤٧١ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٤٧ .

(٥) انظر السير : (عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ) ١/٦٨-٩٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٢ .

الحارثي البدري النقيب الشهيد الذي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ، فعزم على أن يعطي عبد الرحمن شطر ماله ، ويطلق إحدى زوجتيه ، ليتزوج بها ، فامتنع عبد الرحمن من ذلك ودعا له وكان أحد النقباء ليلة العقبة^(١) .

وعن علقمة بن مرثد في ذكر الثمانية من التابعين ، قال : وأما الحسن فما رأينا أحدا أطول حُزناً منه ، ما كنا نراه إلا حديث عهد بمصيبة ، ثم قال : نضحك ولا ندري لعل الله قد أطلع على بعض أعمالنا وقال : لا أقبل منكم شيئاً ، ويحك يا ابن آدم ، هل بمحاربة الله - يعني قوة - والله لقد رأيت أقواماً كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه ، ولقد رأيت أقواماً يمسي أحدهم ولا يجد عنده إلا قوتاً فيقول : لا أجعل هذا كله في بطني فيصدق ببعضه ولعله أجوع إليه ممن يتصدق به عليه^(٢) .

وجاء في ترجمة إبراهيم بن يزيد التيمي ، قال ابن سعد : أخبرنا علي بن محمد قال : طلب الحجاج إبراهيم النخعي ، فجاء الرسول فقال : أريد إبراهيم ، فقال إبراهيم التيمي : أنا إبراهيم ، ولم يستحل أن يده له على النخعي ، فأمر بحبسه في الديماس ، ولم يكن لهم ظل من الشمس ، ولا كبر من البرد ، وكان كل اثنين في سلسلة فتغير إبراهيم ، فعادته أمه ، فلم تعرفه ، حتى كلمها ، فمات ، فرأى الحجاج في نومه قائلاً يقول : مات في البلد الليلة رجل من أهل الجنة ، فسأل ، فقالوا : مات في السجن إبراهيم التيمي ، فقال : حلم نزعاً من نزغات الشيطان ، وأمر به فألقي على الكناس^(٣) .

قال يوسف بن البهلول الأزرق : حدثنا يعقوب بن شيبه ، قال : أظلل العيد رجلاً ، وعنده مئة دينار لا يملك سواها ، فكتب إليه صديق يسترعي منه نفقة فأنفذ إليه

(١) انظر السير : (سعد بن الربيع) ٣١٨/١ - ٣٢٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٩ .

(٢) انظر السير : (الحسن البصري) ٥٦٣/٤ - ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٤/٥٦٢ .

(٣) انظر السير : (إبراهيم بن يزيد) ٦٠/٥ - ٦٢ ، وانظر النزهة : ٧/٥٨٠ .

بالمئة دينار ، فلم يَنْشَبْ أَنْ وَرَدَ عَلَيْهِ رُفْعَةٌ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِهِ يَذْكُرُ أَنَّهُ أَيْضاً فِي هَذَا الْعِيدِ فِي إِضَافَةٍ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالصُّرَّةِ بَعَيْنَهَا قَالَ : فَبَقِيَ الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ عِنْدَهُ ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى الثَّالِثِ وَهُوَ صَدِيقُهُ يَذْكُرُ حَالَهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الصُّرَّةَ بِحَتْمِهَا قَالَ فَعَرَفَهَا ، وَرَكِبَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : خَبَّرَنِي مَا شَأُنُ هَذِهِ الصُّرَّةِ ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ ، فَرَكَبَا مَعاً إِلَى الَّذِي أَرْسَلَهَا ، وَشَرَحُوا الْقِصَّةَ ، ثُمَّ فَتَحُوهَا وَاقْتَسَمُوهَا .

قَالَ ابْنُ الْبُهْلُولِ : الثَّلَاثَةُ ، يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ ، وَأَبُو حَسَّانَ الزِّيَادِي ، وَآخَرُ نَسَبِهِ إِسْنَادُهَا صَاحِحٌ .

وَقِيلَ : عَاشَ الزِّيَادِيُّ تِسْعًا وَثَمَانِينَ سَنَةً ، مَاتَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ (١) .

وَقَالَ ابْنُ الْبَادِيَةِ الْحَافِظُ كَانَ بَقِيٌّ بْنُ مَخْلَدٍ مِنْ عُقَلَاءِ النَّاسِ وَأَفْضَلِهِمْ ، وَكَانَ أَسْلَمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يُقَدِّمُهُ عَلَى جَمِيعِ مَنْ لَقِيَهُ بِالْمَشْرِيقِ ، وَيَصِفُ زُهْدَهُ ، وَيَقُولُ : رَبِّمَا كُنْتُ أَمْشِي مَعَهُ فِي أَرْقَةٍ فُرْطَبَةٌ ، فَإِذَا نَظَرَ فِي مَوْضِعٍ خَالَ إِلَى ضَعِيفٍ مُحْتَاجٍ أَعْطَاهُ أَحَدَ ثَوْبَيْهِ (٢) .

وَقَالَ أَبُو الْبَرَكَاتِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي سَعْدِ الصُّوفِيِّ : كَانَ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ زَهْرَاءَ الصُّوفِيِّ بَرِبَاطِنَا ، قَدْ أَعَدَّ لِنَفْسِهِ قَبْرًا إِلَى جَانِبِ قَبْرِ بَشْرِ الْحَافِي ، وَكَانَ يَمْضِي إِلَيْهِ كُلَّ أُسْبُوعٍ مَرَّةً ، وَيَنَامُ فِيهِ ، وَيَتْلُو فِيهِ الْقُرْآنَ كُلَّهُ ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ ، كَانَ قَدْ أَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ إِلَى جَنْبِ قَبْرِ بَشْرِ ، فَجَاءَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ إِلَى ابْنِ زَهْرَاءَ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَدْفِنُوا الْخَطِيبَ فِي قَبْرِهِ ، وَأَنْ يُؤَثِّرَهُ بِهِ ، فَامْتَنَعَ ، وَقَالَ : مَوْضِعٌ قَدْ أَعَدَدْتُهُ لِنَفْسِي يُؤَخِّدُ مِنِّي ! فَجَاؤُوا إِلَى وَالِدِي ، وَذَكَرُوا لَهُ ذَلِكَ فَأَحْضَرَ ابْنَ زَهْرَاءَ وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ الطَّرَيْثِيِّ فَقَالَ : أَنَا لَا أَقُولُ لَكَ أَعْطِهِمُ الْقَبْرَ ، وَلَكِنْ أَقُولُ لَكَ : لَوْ أَنَّ بَشْرًا الْحَافِي فِي الْأَحْيَاءِ وَأَنْتَ إِلَى جَانِبِهِ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ لِيَقْعُدَ دُونَكَ ، أَكَانَ

(١) انظر السير : (أبو حَسَّانَ الزِّيَادِي) ١١/٤٩٦-٤٩٨ ، وانظر النزهة : ٤/٩٦٢ .

(٢) انظر السير : (بَقِيٌّ بْنُ مَخْلَدٍ) ١٣/٢٨٥-٢٩٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٨٦ .

يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَقْعُدَ أَعْلَى مِنْهُ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ كُنْتُ أُجْلِسُهُ مَكَانِي قَالَ : فَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ السَّاعَةَ قَالَ : فَطَابَ قَلْبُهُ ، وَأَذِنَ ^(١) .

وجاء في تَرْجَمَةِ الحَافِظِ عَبْدِ الغَنِيِّ ، قَالَ الضَّيَاءُ : وَسَمِعْتُ أَحْمَدَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ العِرَاقِي ، حَدَّثَنِي مَنْصُورُ الغَضَارِيِّ قَالَ : شَاهَدْتُ الحَافِظَ فِي الغَلَاءِ بِمِصْرَ وَهُوَ ثَلَاثُ لَيَالٍ يُؤَثِّرُ بِعَسَائِهِ وَيَطْوِي ^(٢) .

التَّعَفُّفُ

صُورٌ عَلَى التَّعَفُّفِ :

قَالَ ابْنُ يُونُسَ : شَهِدَ ثُوبَانَ النَّبَوِيِّ ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَحَ مِصْرَ ، وَاخْتَطَّ بِهَا .

وقَالَ عاصِمُ الأَحْوَلُ : عن أَبِي العَالِيَةِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ تَكْفَّلَ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا وَاتَّكْفَلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ ؟ » فَقَالَ ثُوبَانُ : أَنَا فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا ^(٣) .

وعن الزُّهْرِيِّ ، عن سَعِيدِ وَعُرْوَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى حَكِيمًا يَوْمَ حُنَيْنٍ فَاسْتَقَلَّهُ ، فزَادَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَيُّ عَطِيَّتِكَ خَيْرٌ ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الأُولَى » وَقَالَ : « يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا المَالُ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةٍ نَفْسٍ وَحُسْنِ أُكْلَةٍ ، بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَمَنْ أَخَذَهُ بِاسْتِشْرَافِ نَفْسٍ وَسَوْءِ أُكْلَةٍ ، لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ » قَالَ : وَمِنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَنِّي » قَالَ : فوالذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أُرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا قَالَ : فَلَمْ يَقْبَلْ دِيوانًا وَلَا عَطَاءً حَتَّى مَاتَ فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : اللّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَدْعُوهُ لِحَقِّهِ وَهُوَ يَأْتِي فَمَاتَ حِينَ مَاتَ ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَكْثَرِ قَرِيشٍ مَالًا ^(٤) .

(١) انظر السير : (الخطيب) ١٨/٢٧٠-٢٩٧ ، وانظر النزاهة : ٤/١٤١٤ .

(٢) انظر السير : (عبد الغني) ٢١/٤٤٣-٤٧١ ، وانظر النزاهة : ٢/١٦٤٧ .

(٣) انظر السير : (ثوبان النبوي) ٣/١٥-١٨ ، وانظر النزاهة : ٤/٣٢١ .

(٤) انظر السير : (حكيم بن حزام) ٣/٤٤-٥١ ، وانظر النزاهة : ٢/٣٣٠ .

وقال ابنُ عِيْنَةَ : دَخَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْكَعْبَةَ فَإِذَا هُوَ بِسَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ ، فَقَالَ : سَلَّنِي حَاجَةً ، قَالَ : إِنِّي أَسْتَحِي مِنْ اللَّهِ أَنْ أَسْأَلَ فِي بَيْتِهِ غَيْرَهُ ، فَلَمَّا خَرَجَا قَالَ : الْآنَ فَسَلَّنِي حَاجَةً فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ : مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا أَمْ مِنْ حَوَائِجِ الْآخِرَةِ ؟ فَقَالَ : مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا قَالَ : وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُ الدُّنْيَا مَنْ يَمْلِكُهَا ، فَكَيْفَ أَسْأَلُهَا مَنْ لَا يَمْلِكُهَا !!^(١) .

التَّوَاضُّعُ

١- فَضْلُهُ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ يُوْسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ : وَعَنْ يُوْسُفَ قَالَ : يُجْزَىءُ قَلِيلُ الْوَرَعِ وَالتَّوَاضُّعِ مِنْ كَثِيرِ الْاجْتِهَادِ فِي الْعَمَلِ وَثِقَةُ ابْنٍ مَعِينٍ^(٢) .

وعن الإمام الشافعي قال : التَّوَاضُّعُ مِنْ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ ، وَالتَّكَبُّرُ مِنْ شِيَمِ اللَّثَامِ ، وَالتَّوَاضُّعُ يُورِثُ الْمَحَبَّةَ ، وَالْقِنَاعَةُ تُورِثُ الرَّاحَةَ ، وَقَالَ : أَرْفَعُ النَّاسَ قَدْرًا مَنْ لَا يَرَى قَدْرَهُ ، وَأَكْثَرُهُمْ فَضْلًا مَنْ لَا يَرَى فَضْلَهُ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : لَا نَلَامُ وَاللَّهِ عَلَى حُبِّ هَذَا الْإِمَامِ ، لِأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الْكَمَالِ فِي زَمَانِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَإِنْ كُنَّا نَحْبُ غَيْرَهُ أَكْثَرَ^(٣) .

٢- غَايَتُهُ :

سُئِلَ يُوْسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ مَا غَايَةُ التَّوَاضُّعِ ؟ قَالَ : أَنْ لَا تَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَأَيْتَ لَهُ الْفَضْلَ عَلَيْكَ^(٤) .

(١) انظر السير : (سالم بن عبد الله) ٤/٤٥٧-٤٧٦ ، وانظر النزهة : ١/٥٣٣ .

(٢) انظر السير : (يوسف بن أسباط) ٩/١٦٩-١٧١ ، وانظر النزهة : ٧/٨١٤ .

(٣) انظر السير : (الإمام الشافعي) ١٠/٩٩-١٠٠ ، وانظر النزهة : ٤/٨٥٥ .

(٤) انظر السير : (يوسف بن أسباط) ٩/١٦٩-١٧١ ، وانظر النزهة : ٤/٨١٤ .

٣- صُورٌ عَلَى التَّوَاضُعِ :

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْهُدَيْلِ : رَأَيْتُ عَمَّارًا اشْتَرَى قَتًا^(١) بَدْرَهُمْ ، وَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ أَمِيرُ الْكُوفَةِ^(٢) .

عَنْ ابْنِ سِيرِينَ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ فِي عَهْدِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ عَلَى الْمَدَائِنِ : اسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا ، وَأَعْطُوهُ مَا سَأَلَكُمْ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ عُمَرَ عَلَى حِمَارٍ مُوَكَّفٍ^(٣) ، تَحْتَهُ زَادُهُ فَلَمَّا قَدِمَ اسْتَقْبَلَهُ الدَّهَاقِينُ^(٤) وَبِيَدِهِ رَغِيفٌ ، وَعَرَقٌ مِنْ لَحْمٍ .

وَلِي حُذَيْفَةَ إِمْرَةَ الْمَدَائِنِ لِعُمَرَ ، فَبَقِيَ عَلَيْهَا إِلَى بَعْدِ مَقْتَلِ عُثْمَانَ ، وَتُوفِّيَ بَعْدَ عُثْمَانَ بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً^(٥) .

عَنْ أَبِي رَافِعٍ ، قَالَ : كَانَ مَرْوَانَ رُبَّمَا اسْتَخْلَفَ أَبَا هُرَيْرَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَيَرْكَبُ حِمَارًا بَبْرُذَعَةً ، وَفِي رَأْسِهِ خُلْبَةٌ مِنْ لَيْفٍ ، فَيَسِيرُ ، فَيَلْقَى الرَّجُلَ ، فَيَقُولُ : الطَّرِيقَ ! قَدْ جَاءَ الْأَمِيرُ^(٦) .

وَقَالَ أَبُو كَعْبٍ صَاحِبُ الْحَرِيرِ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَصْفَرِ ، أَنَّ الْأَخْنَفَ بْنَ قَيْسٍ اسْتُعْمِلَ عَلَى خُرَاسَانَ ، فَأَجْنَبَ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ ، فَلَمْ يُوقِظْ غُلْمَانَهُ وَكَسَرَ ثَلْجًا وَاغْتَسَلَ^(٧) .

وَقَالَ ابْنُ جَابِرٍ : أَقْبَلَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى مَجْلِسِ مَكْحُولٍ ، فَهَمَمْنَا أَنْ نُوسِّعَ لَهُ ، فَقَالَ : دَعُوهُ يَتَعَلَّمُ التَّوَاضُعَ^(٨) .

(١) القَتُّ : الفِصْفِصَةُ ، وَهِيَ الرُّطْبَةُ مِنْ عَلْفِ الدَّوَابِّ .

(٢) انظر السير : (عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ) ٤٠٦-٤٢٨ ، وانظر النزهة : ٤/١٨٥ .

(٣) مُوَكَّفٌ : أَي قَدْ وُضِعَ عَلَيْهِ الْإِكَافُ ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ السَّرْحِ لِلْحِمَارِ .

(٤) الدَّهَاقِينُ : رُؤَسَاءُ الْقُرَى أَوْ التَّجَارِ .

(٥) انظر السير : (حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ) ٣٦١-٣٦٩ ، وانظر النزهة : ٢/٢٧٥ .

(٦) انظر السير : (أَبُو هُرَيْرَةَ) ٥٧٨-٦٣٢ ، وانظر النزهة : ٢/٣١٣ .

(٧) انظر السير : (الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ) ٨٦-٩٧ ، وانظر النزهة : ٣/٤٥١ .

(٨) انظر السير : (يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ) ١٥٠/٥-١٥٢ ، وانظر النزهة : ١/٥٩٣ .

وقال عبد الله بن زيد : كنا نجلسُ إلى مكحولٍ ومَعنا سَعِيدُ بنُ عبدِ العَزِيزِ ، فكانَ يَسْقِي المَاءَ في مَجْلِسِ مَكْحُولِ (١) .

وكانَ الإمامُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ رُبَّمَا خَرَجَ إلى البَقَالِ ، فيشْتَرِي الجُرْزَةَ الحَطْبِ والشَّيْءَ ، فيَحْمِلُهُ بيَدِهِ .

وكانَ يَتَنَوَّرُ في البَيْتِ فقالَ لي في يَوْمٍ شَتَوِيٍّ : أريدُ أَدْخُلَ الحَمَّامَ بعدَ المَغْرِبِ ، فقلُّ لصَاحِبِ الحَمَّامِ ثم بَعثَ إليَّ : إنِّي قد أَضْرَبْتُ عن الدُّخُولِ وتَنَوَّرَ في البَيْتِ (٢) .

وقالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ في تَرْجَمَةِ الرَّفَاعِيِّ : وقيلَ : أَحْضَرَ بينَ يَدَيْهِ طَبَقُ تَمْرٍ ، فبَقِيَ يُنْقِي لِنَفْسِهِ الحَشْفَ يأكلُهُ ، ويقولُ : أنا أَحَقُّ بالدُّونِ ، فإنِّي مثله دُونَ (٣) .

التَّوْقِيرُ والاحْتِرَامُ

١- رُؤْيَا فِيهَا حَثٌّ عَلَى تَوْقِيرِ العُلَمَاءِ :

قالَ الوَازِيرُ أبو الفَضْلِ مُحَمَّدُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ البَلْعَمِيِّ : سَمِعْتُ الأَمِيرَ إِسْمَاعِيلَ بنَ أَحْمَدَ يَقُولُ : كُنْتُ بِسَمَرْقَنْدَ ، فَجَلَسْتُ يَوْمًا لِلْمَظَالِمِ ، وَجَلَسَ أَخِي إِسْحَاقُ إلى جَنبِي ، إِذْ دَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ نَصْرِ ، فُقِمْتُ لَهُ إِجْلَالًا لِلْعِلْمِ ، فَلَمَّا خَرَجَ عَاتَبَنِي أَخِي وَقَالَ : أَنْتَ وَالِي خُرَاسَانَ تَقُومُ لِرَجُلٍ مِنَ الرِّعِيَّةِ ؟ هَذَا ذَهَابُ السِّيَاسَةِ ، قَالَ : فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَأَنَا مُتَقَسِّمُ القَلْبِ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المَنَامِ ، كَأَنِّي وَاقَفْتُ مَعَ أَخِي إِسْحَاقَ ، إِذْ أَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ بَعْضَدي فَقَالَ لي : ثَبَّتْ مُلْكُكَ وَمُلْكُ بَنِيكَ بِإِجْلَالِكَ مُحَمَّدَ بنَ نَصْرِ ، ثُمَّ التَّفَتَ إلى إِسْحَاقَ ، فَقَالَ : ذَهَبَ مُلْكُ إِسْحَاقَ وَمُلْكُ بَنِيهِ بِاسْتِخْفَافِهِ بِمُحَمَّدِ بنِ نَصْرِ .

(١) انظر السير : (سَعِيدُ بنِ عبدِ العَزِيزِ) ٣٢-٣٨ / ٨ ، وانظر النزهة : ٢ / ٧٢٣ .

(٢) انظر السير : (أَحْمَدُ بنِ حَنْبَلٍ) ١١ / ١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٤ / ٩٢٧ .

(٣) انظر السير : (الرَّفَاعِيُّ) ٧٧ / ٢١-٨٠ ، وانظر النزهة : ٦ / ١٦٠١ .

ومات بعد أيام قلائل من موت صالح بن محمد جرزة ، وذلك سنة أربع وتسعين
ومتين^(١) .

٢- صور من التوقير :

عن ثابت البُناني أن أبا بَرزَةَ الأَسلميَّ كان يلبسُ الصُّوفَ ، فقيلَ له : إنَّ أحمَاكَ
عائذَ بنَ عمرو يلبسُ الحَزَّ ، قالَ : وَيَحْكُ وَمَنْ مِثْلَ عائِذٍ ؟ فانصَرَفَ الرَّجُلُ ، فأخبرَ
عائِذًا ، فقالَ : وَمَنْ مِثْلُ أَبِي بَرزَةَ ! ؟

قالَ الإمامُ الذَّهبيُّ مُعقَّباً : هكَذا كانَ العُلَماءُ يُوقِّرونَ أقرانَهُمْ^(٢) .

وقالَ أبو المِنهالِ : سألْتُ البراءَ عن الصَّرْفِ ، فقالَ : سَلْ زَيْدَ بنَ أَرْقَمَ ، فَإِنَّه خَيْرُ
مَنِي وَأَعْلَمُ^(٣) .

قالَ مُحَمَّدُ بنُ سِيرينَ : جَلَسْتُ إلى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَبِي لَيْلى ، وَأَصْحابِهِ يُعظِّمونَهُ
كَأنَّهُ أميرٌ^(٤) .

عن مُجاهِدِ قالَ : قالَ ابنُ عَبَّاسٍ لَسَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ : حَدِّثْ قالَ : أَحَدْتُ وَأَنْتَ هَا
هُنا ؟ قالَ : أَوْلَيْسَ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكَ أَنْ تُحَدِّثَ وَأَنَا شَاهِدٌ ، فَإِنْ أَصَبْتَ فَذَاكَ ، وَإِنْ
أَخْطَأْتَ ، عَلَّمْتُكَ^(٥) .

وَرَوَى اللَّيْثُ عن عُبيدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ، قالَ : هو^(٦) صاحِبُ مُعْضِلاتِنَا ، وَعالمِنَا ،
وَأَفْضَلُنَا^(٧) .

وعن عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ ، قالَ : كانَ يَحْيَى بنُ سَعِيدِ يُجالِسُ رِبيعةَ بنَ

(١) انظر السير : (محمد بن نصر) ٣٣/١٤ - ٤٠ ، وانظر النزهة : ٥/١١٢٦ .

(٢) انظر السير : (أبو بَرزَةَ الأَسلمي) ٣/٤٠ - ٤٣ ، وانظر النزهة : ٣/٣٢٨ .

(٣) انظر السير : (زيد بن أرقم) ٣/١٦٥ - ١٦٨ ، وانظر النزهة : ٣/٣٥٩ .

(٤) انظر السير : (عبد الرحمن بن أبي ليلي) ٤/٢٦٢ - ٢٦٧ ، وانظر النزهة : ٣/٤٩٤ .

(٥) انظر السير : (سعيد بن جبير) ٤/٣٢١ - ٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٩/٥٠٦ .

(٦) الكلام عائذ على ربيعة بن أبي عبد الرحمن بن فروخ ، مفتي المدينة ، من موالى آل المنكدر .

(٧) انظر السير : (ربيعة) ٦/٨٩ - ٩٦ ، وانظر النزهة : ٥/٦٣٥ .

فَرُوخ ، فإذا غَابَ رَبِيعَةَ ، حَدَّثَهُمْ يَحْيَى أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْحَدِيثِ ، فَإِذَا حَضَرَ رَبِيعَةَ كَفَّ يَحْيَى إِجْلَالاً لِرَبِيعَةَ ، وَلَيْسَ رَبِيعَةُ أَسَنَ مِنْهُ ، وَهُوَ فِيمَا هُوَ فِيهِ ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُبْجَلًا لِصَاحِبِهِ (١) .

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْجَوَزَجَانِيُّ : سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ يَقُولُ : الَّذِي يُحَدِّثُ بِبَلَدِهِ بِهِ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِالتَّحْدِيثِ مِنْهُ أَحْمَقُ ، وَإِذَا رَأَيْتَنِي أُحَدِّثُ بِبَلَدِي فِيهَا مِثْلُ أَبِي مُسْهَرٍ فَيَنْبَغِي لِلْيَحْيَى أَنْ تُحَلَقَ (٢) .

قَالَ أَبُو حَاتِمِ الرَّازِيِّ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْظَمَ قَدْرًا مِنْ أَبِي مُسْهَرٍ ، كُنْتُ أَرَاهُ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ، اصْطَفَى النَّاسَ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ ، وَيُقَبِّلُونَ يَدَهُ (٣) .

وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّائِفِ : سَمِعْتُ الْمَرْوُذِيَّ ، يَقُولُ : دَخَلْتُ عَلَى ذِي النُّونِ السَّجْنِ ، وَنَحْنُ بِالْعَسْكَرِ ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ حَالُ سَيِّدِنَا ؟ يَعْنِي : أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ (٤) . وَعَنْ ابْنِ الْمَدِينِيِّ ، قَالَ : أَمَرَنِي سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَنْ لَا أُحَدِّثُ إِلَّا مِنْ كِتَابٍ (٥) .

قَالَ الْقَاضِي الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ السَّجْزِيِّ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ اللَّيْثِ قَاضِي بَلَدِنَا يَقُولُ : جَاءَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشُّسْتَرِيِّ إِلَى أَبِي دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيِّ ، فَقِيلَ : يَا أَبَا دَاوُدَ : هَذَا سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ جَاءَكَ زَائِرًا فَرَحَّبْ بِهِ ، وَأَجْلِسْهُ ، فَقَالَ سَهْلٌ : يَا أَبَا دَاوُدَ ! لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : حَتَّى تَقُولَ : قَدْ قَضَيْتُهَا مَعَ الْإِمْكَانِ قَالَ : نَعَمْ قَالَ : أَخْرِجْ إِلَيَّ لِسَانَكَ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَقْبَلَهُ فَأَخْرِجَ إِلَيْهِ لِسَانَهُ فَقَبَّلَهُ .

قَالَ ابْنُ دَاسَةَ : سَمِعْتُ أَبَا دَاوُدَ يَقُولُ : ذَكَرْتُ فِي « السُّنَنِ » الصَّحِيحِ وَمَا يُقَارِبُهُ ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ وَهْنٌ شَدِيدٌ يَبْتَنُّهُ .

-
- (١) انظر السير : (ربيعة) ٦/٨٩-٩٦ ، وانظر النزهة : ٧/٦٣٥ .
 - (٢) انظر السير : (أبو مسهر) ١٠/٢٢٨-٢٣٨ ، وانظر النزهة : ٥/٨٧١ .
 - (٣) انظر السير : (أبو مسهر) ١٠/٢٢٨-٢٣٨ ، وانظر النزهة : ٣/٨٧٢ .
 - (٤) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٩/٩٢٥ .
 - (٥) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١٠/٩٢٥ .

وقال الإمام الذهبي : فقد وَفَى - رَحِمَهُ اللهُ - بذلك بِحَسَبِ اجتهاده ، وَيَبِينُ مَا ضَعَفَهُ شَدِيدًا ، وَوَهْنَهُ غَيْرُ مُحْتَمَلٍ وَكَاسِرٌ^(١) عَمَّا ضَعَفَهُ خَفِيفٌ مُحْتَمَلٌ ، فَلَا يَلْزَمُ مِنْ سُكُوتِهِ - وَالْحَالَةُ هَذِهِ - عَنِ الْحَدِيثِ أَنْ يَكُونَ حَسَنًا عِنْدَهُ ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا حَكَمْنَا عَلَى حَدِّ الْحُسْنِ بِاصْطِلَاحِنَا الْمَوْلِدِ الْحَادِثِ ، الَّذِي هُوَ فِي عُرْفِ السَّلَفِ يَعُودُ إِلَى قِسْمٍ مِنْ أَقْسَامِ الصَّحِيحِ ، وَالَّذِي يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ ، أَوِ الَّذِي يَرَعِبُ عَنْهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيُّ ، وَيُؤْمِسِيهِ مُسْلِمٌ ، وَبِالْعَكْسِ ، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي أَدَانِي مَرَاتِبِ الصَّحَّةِ ، فَإِنَّهُ لَوْ انْحَطَّ عَنْ ذَلِكَ لَخَرَجَ عَنِ الْاِخْتِجَاجِ ، وَلِبَقِيٍّ مُتَجَادِبًا بَيْنَ الضَّعْفِ وَالْحُسْنِ ، فَكِتَابُ أَبِي دَاوُدَ أَعْلَى مَا فِيهِ مِنَ الثَّابِتِ مَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ ، وَذَلِكَ نَحْوًا مِنْ شَطْرِ الْكِتَابِ ، ثُمَّ يَلِيهِ مَا أَخْرَجَهُ أَحَدُ الشَّيْخَيْنِ ، وَرَعِبَ عَنْهُ الْآخَرُ ، ثُمَّ يَلِيهِ مَا رَغِبَا عَنْهُ ، وَكَانَ إِسْنَادُهُ جَيِّدًا ، سَالِمًا مِنْ عِلَّةٍ وَشُدُودٍ ، ثُمَّ يَلِيهِ مَا كَانَ إِسْنَادُهُ صَالِحًا ، وَقَبِلَهُ الْعُلَمَاءُ لِمَجْبِيئِهِ مِنْ وَجْهَيْنِ لَيْتَيْنِ فَصَاعِدًا ، يَعْضُدُ كُلُّ إِسْنَادٍ مِنْهُمَا الْآخَرَ ، ثُمَّ يَلِيهِ مَا ضَعُفَ إِسْنَادُهُ لِنَقْصِ حِفْظِ رَاوِيهِ ، فَمَثَلُ هَذَا يُؤْمِسِيهِ أَبُو دَاوُدَ ، وَيَسْكُتُ عَنْهُ غَالِبًا ، ثُمَّ يَلِيهِ مَا كَانَ يَبِينُ الضَّعْفَ مِنْ جِهَةِ رَاوِيهِ ، فَهَذَا لَا يَسْكُتُ عَنْهُ ، بَلْ يُوهَّنُهُ غَالِبًا ، وَقَدْ يَسْكُتُ عَنْهُ بِحَسَبِ شُهْرَتِهِ وَنِكَارَتِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قال الحافظ زكريا الساجي : كتابُ اللهِ أصلُ الإسلامِ ، وكتابُ أبي داوودَ عهدُ الإسلامِ .

قال الذهبي : كان أبو داودَ مع إمامته في الحديث وفنونه من كبار الفقهاء فكتابُه يدلُّ على ذلك ، وهو من نُجَبَاءِ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ، لِأَزَمَ مَجْلِسَهُ مُدَّةً ، وَسَأَلَهُ عَنْ دِقَاقِ الْمَسَائِلِ فِي الْفُرُوعِ وَالْأُصُولِ .

وكان على مذهبِ السَّلَفِ فِي اتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالتَّسْلِيمِ لَهَا ، وَتَرْكِ الْعَوَاضِ فِي مَضَائِقِ الْكَلَامِ^(٢) .

(١) كسر من طرفه : غَضٌّ .

(٢) انظر السير : (أبو داود) ٢٠٣-٢٢١ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٧٠ .

الحَسَاسِيَّة وَالشَّفَافِيَّة

صُورٌ عَلَى الحَسَاسِيَّة وَالشَّفَافِيَّة :

قَالَ زُبَيْدُ بْنُ الحَارِثِ : سَمِعْتُ كَلِمَةً فَنَفَعَنِي اللهُ بِهَا ثَلَاثِينَ سَنَةً^(١) .

وَقِيلَ : إِنَّ المَازِرِيَّ مَرَضَ مَرَضَةً ، فَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُعَالِجُهُ إِلَّا يَهُودِيٌّ ، فَلَمَّا عُوْفِي عَلَى يَدِهِ ، قَالَ : لَوْلَا التِّزَامِي بِحِفْظِ صِنَاعَتِي لِأَعْدَمْتُكَ المَسْلِمِينَ فَأَثَّرَ هَذَا عِنْد المَازِرِيَّ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ تَعَلَّمَ الطَّبَّ حَتَّى فَاقَ فِيهِ ، وَكَانَ مِمَّنْ يُفْتِي فِيهِ كَمَا يُفْتِي فِي الفِئَةِ^(٢) .

وَقَالَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ الحُطَيْثَةِ : وَقَدْ كَانَ حَصَلَ قَحْطٌ بِمِصْرَ ، فَبَدَّلَ لَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ عَطَاءً ، فَأَبَى وَقَنَعَ فَحَطَبَ الفِضْلُ بْنُ يَحْيَى الطَّوِيلُ إِلَيْهِ بِنْتَهُ ، فزَوَّجَهُ ، ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ أُمُّهَا لِتُؤَنِّسَهَا ، فَفَعَلَ ، فَمَا أَجْمَلَ تَلَطَّفَ هَذَا المَرءِ فِي بَرِّ أَبِي العَبَّاسِ ابْنِ الحُطَيْثَةِ^(٣) .

الحِلْمُ

١- صُورٌ عَلَى الحِلْمِ :

عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : أَغْلَظَ رَجُلٌ لِمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَقَالَ : أَنُهَاكَ عَنِ السُّلْطَانِ ، فَإِنَّ غَضَبَهُ غَضَبُ الصَّبِيِّ ، وَأَخَذَهُ أَخَذَ الأَسَدِ^(٤) .

وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ : حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِمُعَاوِيَةَ : وَاللهِ لَتَسْتَقِيمَنَّ بِنَا يَا مُعَاوِيَةَ ، أَوْ لَنُفُوقَمَنَّكَ ، فَيَقُولُ : بِمَاذَا؟ فَيَقُولُونَ : بِالأَخْشَبِ فَيَقُولُ : إِذَا أَسْتَقِيمَ^(٥) .

(١) انظر السير : (زُبَيْدُ بْنُ الحَارِثِ) ٢٩٦/٥-٢٩٨ ، وانظر النزهة : ٤/٦٠٥ .

(٢) انظر السير : (المَازِرِيَّ) ٢٠/١٠٤-١٠٧ ، وانظر النزهة : ١/٤٣٥١ .

(٣) انظر السير : (ابن الحُطَيْثَةِ) ٢٠/٣٤٤-٣٤٨ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٥٩ .

(٤) انظر السير : (مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ) ٣/١١٩-١٦٢ ، وانظر النزهة : ٣/٣٥٥ .

(٥) انظر السير : (مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ) ٣/١١٩-١٦٢ ، وانظر النزهة : ٤/٣٥٥ .

وقيلَ : إنَّ رَجُلًا خَاصَمَ الأَخَنَفَ قَالَ : لَئِن قُلْتَ وَاحِدَةً ، لَتَسْمَعَنَّ عَشْرًا ، فَقَالَ : لَكِنَّكَ إِن قُلْتَ عَشْرًا لَمْ تَسْمَعْ وَاحِدَةً^(١) .

وقالَ أبو بَكْرُ بنُ عَيَّاشٍ : كَانَ عاصِمُ بنُ أَبِي النُّجُودِ نَحْوِيًا فَصِيحًا إِذَا تَكَلَّمَ ، مَشْهُورُ الكَلَامِ ، وَكَانَ هُوَ والأَعْمَشُ وَأبو حُصَيْنِ والأَسَدِيُّ لا يُبْصِرُونَ جَاءَ رَجُلٌ يَوْمًا يَقُودُ عاصِمًا فَوَقَعَ وَقَعَةً شَدِيدَةً فَمَا نَهَرَهُ وَلا قَالَ لَهُ شَيْئًا^(٢) .

وعن يَحْيَى بنِ أَكْثَمٍ : كَانَ المَأْمُونُ يَحْلُمُ حَتَّى يُغِيظَنَا ، قِيلَ : مَرَّ مَلَأْحٌ ، فَقَالَ : أَتَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا يَنْبَلُ عِنْدِي وَقَدْ قَتَلَ إِخَاهُ الأَمِينُ ؟ ! فَسَمِعَهَا المَأْمُونُ ، فَتَبَسَّمَ ، وَقَالَ : مَا الحِيلَةُ حَتَّى أَنْبَلَ فِي عَيْنِ هَذَا السَّيِّدِ الجَلِيلِ^(٣) .

٢- مَنْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا فَلْيَتَحَالَمَ :

عن الأَخَنَفِ بنِ قَيْسٍ أَنَّهُ قَالَ : لَسْتُ بِحَلِيمٍ ، وَلَكِنِّي أَنَحَالَمُ^(٤) .

الرَّحْمَةُ

١- رَحْمَةُ اللهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ :

قَالَ ابنُ عُيَيْنَةَ : تَبَعَ ابنُ المُنْكَدِرِ جَنَازَةَ سَفِيهِ ، فَعُوتِبَ ، فَقَالَ : وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَحِي مِنَ اللهِ أَنْ أَرَى رَحْمَتَهُ عَجَزَتْ عَنْ أَحَدٍ^(٥) .

٢- اللهُ أَرْحَمُ مِنَ الوَالِدِينَ :

عن مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَابِنَا يَقُولُ : عَادَ حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ سُفْيَانَ الثَّورِيِّ ، فَقَالَ سُفْيَانُ : يَا أبا سَلَمَةَ ! أَتَرَى اللهُ يَغْفِرُ لِمِثْلِي ؟ فَقَالَ

(١) انظر السير : (الأخنف بن قيس) ٩٧-٨٦/٤ ، وانظر النزهة : ١/٤٥٢ .

(٢) انظر السير : (عاصم بن أبي النجود) ٢٥٦/٥-٢٦١ ، وانظر النزهة : ٥/٥٩٩ .

(٣) انظر السير : (المأمون) ٢٧٢/١٠-٢٩٠ ، وانظر النزهة : ٤/٨٧٦ .

(٤) انظر السير : (الأخنف بن قيس) ٩٧-٨٦/٤ ، وانظر النزهة : ١٠/٤٥١ .

(٥) انظر السير : (محمد بن المنكدر) ٣٥٣/٥-٣٦١ ، وانظر النزهة : ٢/٦٠٩ .

حَمَّادُ : والله لَوْ خُيِّرْتُ بَيْنَ مُحَاسَبَةِ اللَّهِ إِيَّايَ ، وَبَيْنَ مُحَاسَبَةِ أَبِييَ ، لاختَرْتُ مُحَاسَبَةَ اللَّهِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ أَرْحَمُ بِي مِنْ أَبِييَ^(١) .

٣- أَعْمَالٌ يَزْتَجِي بِهَا أَصْحَابُهَا رَحْمَةَ اللَّهِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْمَنِيِّ : قِيلَ : إِنَّ امْرَأَةً أَتَتْهُ بِشَوِّبٍ لِيُنْفِقَ ثَمَنَهُ فِي بِنَاءِ الْجَامِعِ ، يُسَاوِي نِصْفَ دِينَارٍ ، فَاشْتَرَاهُ مِنْهَا بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَسَلَّمَتِ الْمَالَ إِلَى الْخَازِنِ لِإِنْفَاقِهِ وَخَبَأَ الثَّوْبَ كَفْنًا لَهُ^(٢) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ ابْنِ الْعَادِلِ ، صَاحِبِ مِصْرَ : وَلَمَّا مَرِضَ قَالَ : لِي فِي قَضِيَّةٍ دِمْيَاطٌ مَا أَرْجُو بِهِ الرَّحْمَةَ^(٣) .

تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ وَكَانَ لَهُ دِمَشْقُ وَالكَرْكُ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَحَلَفُوا بَعْدَهُ لِابْنِهِ النَّاصِرِ دَاوُدَ^(٤) .

٤- رُؤْيَا يُعْظَمُ بِهَا الرَّجَاءُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ :

عَنْ إِسْحَاقَ الْحَرَبِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو حَسَّانَ الزِّيَادِيُّ ، أَنَّهُ رَأَى رَبَّ الْعِزَّةِ فِي الْمَنَامِ : فَقَالَ : رَأَيْتُ نُورًا عَظِيمًا لَا أَحْسِنُ أَصِفُهُ ، وَرَأَيْتُ فِيهِ رَجُلًا خَيْلَ إِلَيَّ أَنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَأَنَّهُ يَشْفَعُ إِلَيَّ رَبِّي فِي رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، وَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ : أَلَمْ يَكْفِكَ أَنِّي أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾^(٥) ثُمَّ انْتَبَهْتُ .

قَالَ الْخَطِيبُ : كَانَ أَبُو حَسَّانَ أَحَدَ الْعُلَمَاءِ الْأَفْضَلِ الثَّقَاتِ ، وَلِي قَضَاءَ الشَّرْقِيَّةِ ، وَكَانَ كَرِيمًا مِفْضَالًا^(٦) .

(١) انظر السير : (حمَّاد بن سلَّمة) ٧/٤٤٤-٤٥٦ ، وانظر النزهة : ٩/٧١٥ .

(٢) انظر السير : (المنيعي) ١٨/٢٦٢-٢٦٤ ، وانظر النزهة : ١/١٤١١ .

(٣) أبلى المعظم بلاءً حسناً وجاهد الصليبيين جهاداً عظيماً في نوبة دمياط التي كانت من أشد الحملات خطراً على الأمة ، فنسأل الله سبحانه أن يتجاوز عنه بعض ما أخطأ ، وهو مُحَقٌّ في مقالته هذه .

(٤) انظر السير : (المعظم) ٢٢/١٢٠-١٢٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٧٢ .

(٥) سورة الرعد ، الآية : ٦ .

(٦) انظر السير : (أبو حسان الزيادي) ١١/٤٩٦-٤٩٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٦٢ .

٥- الرَّحْمَةُ بِالْأَطْفَالِ :

قال أبو معمر المُقْعَدُ : نَظَرْتُ رَابِعَةً إِلَى رِيَّاحِ الْقَيْسِيِّ يَضُمُّ صَبِيًّا مِنْ أَهْلِهِ وَيُقْبِلُهُ فَقَالَتْ : أَنْجِبُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ قَالَتْ : مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ فِي قَلْبِكَ مَوْضِعًا فَارِغًا لِمَحَبَّةٍ غَيْرِهِ ، تَبَارَكَ اسْمُهُ فُغْشِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ ، وَقَالَ : رَحْمَةٌ مِنْهُ تَعَالَى أَلْقَاهَا فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ لِلْأَطْفَالِ^(١) .

٦- الرَّفْقُ بِالْحَيَوَانَ :

قال عبد الرحمن بن زَيْد بن أسلم عن أبيه ، عن جَدِّهِ ، قَالَ عُمَرُ : لَقَدْ خَطَرَ عَلَيَّ قَلْبِي شَهْوَةٌ السَّمَكِ الطَّرِيِّ ، قَالَ : وَرَحَلُ « يَرْفَأُ »^(٢) راحلته وسارَ أَرْبَعًا مُقْبِلًا وَمُدْبِرًا ، وَاشْتَرَيْتُ مِكَتَلًا فَجَاءَهُ بِهِ ، وَعَمَدَ إِلَى الرَّاحِلَةِ فَغَسَلَهَا ، فَأَتَى عُمَرَ فَقَالَ : انْطَلِقْ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الرَّاحِلَةِ ، فَنَظَرَ وَقَالَ : نَسِيتُ أَنْ تَغْسِلَ هَذَا الْعَرَقَ الَّذِي تَحْتَ أُذُنَيْهَا ، عَذَبَتْ بِهِيمَةً فِي شَهْوَةِ عُمَرَ ، لَا وَاللَّهِ لَا يَذُوقُ عُمَرُ مِكَتَلَكَ^(٣) .

٧- مَنْ كَانَ صَائِمًا فَأَفْطَرَ رَجَاءَ الرَّحْمَةِ :

قال عُبَيْدُ بْنُ مُحَمَّدِ الْوَرَّاقِ : مَرَّ مَعْرُوفُ الْكَرْخِيِّ وَهُوَ صَائِمٌ بِسَقَاءٍ يَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ مَنْ شَرِبَ ، فَشَرِبَ رَجَاءَ الرَّحْمَةِ^(٤) .

الرِّقَّةُ

صُورٌ عَلَى الرِّقَّةِ :

قال يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْأَنْصَارِيِّ : قَالَ أَبُو حُمَيْدِ السَّاعِدِيِّ - وَكَانَ بَدْرِيًّا - لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ : اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ أَنْ لَا أَضْحَكَ حَتَّى أَلْفَاكَ .

(١) انظر السير : (رياح القيسي) ١٧٤/٨-١٧٥ ، وانظر النزهة : ٥/٧٤١ .

(٢) هو غلام لعمر .

(٣) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ٤/٤٨ .

(٤) انظر السير : (معروف الكرخي) ٣٣٩/٩-٣٤٥ ، وانظر النزهة : ٢/٨٢٧ .

قَالَ قَتَادَةَ : وَلِيَّ عُثْمَانَ يُتِي عَشْرَةَ سَنَةً ، غَيْرَ اثْنِي عَشَرَ يَوْمًا .

وقال أبو معشر السندي : قُتِلَ لثَمَانِي عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، زَادَ غَيْرُهُ ، فَقَالَ : بَعْدَ الْعَصْرِ ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ ، وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَهُوَ الصَّحِيحُ .

وعن عبد الله بن فروخ قال : شَهِدْتُهُ وَدُفِنَ فِي ثِيَابِهِ بِدِمَائِهِ ، وَلَمْ يُغَسَّلْ رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي « زِيَادَاتِ الْمُسْنَدِ » ، وَقِيلَ : صَلَّى عَلَيْهِ مَرْوَانَ وَلَمْ يُغَسَّلْ (١) .

وقال إسحاق بن محمد ، سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ : كُنَّا نَدْخُلُ عَلَى أُيُوبَ السُّخْتِيَانِي ، فَإِذَا ذَكَرْنَا لَهُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَى حَتَّى نَرَحِمَهُ (٢) .

وقال يحيى القطان : كَانَ شُعْبَةَ مِنْ أَرْقِ النَّاسِ ، يُعْطِي السَّائِلَ مَا أَمْكَنَهُ (٣) .

وقال يحيى بن أبي بكير : قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ صَالِحٍ : صِفْ لَنَا غَسْلَ الْمَيِّتِ فَمَا قَدِرَ عَلَيْهِ مِنَ الْبُكَاءِ (٤) .

وقال نعيم بن حماد : كَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ إِذَا قرَأَ كِتَابَ الرَّقَاقِ ، يَصِيرُ كَأَنَّهُ ثَوْرٌ مَنْحُورٌ ، أَوْ بَقْرَةٌ مَنْحُورَةٌ ، مِنَ الْبُكَاءِ ، لَا يَجْتَرِيءُ أَحَدٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا دَفَعَهُ (٥) .

وقال إبراهيم بن الأشعث : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ اللَّهُ فِي صَدْرِهِ أَعْظَمَ مِنَ الْفُضَيْلِ ، كَانَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهَ ، أَوْ ذُكِرَ عِنْدَهُ ، أَوْ سَمِعَ الْقُرْآنَ ، ظَهَرَ بِهِ مِنَ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ ، وَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَبَكَى حَتَّى يَرَحِمَهُ مِنْ يَحْضُرُهُ ، وَكَانَ دَائِمَ الْحُزْنِ ، شَدِيدَ الْفِكْرَةِ ، مَا رَأَيْتُ رَجُلًا يَرِيدُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ وَعَمَلِهِ ، وَأَخْذِهِ وَعَطَائِهِ ، وَمَنْعِهِ وَبَدَلِهِ ، وَبُعْضِهِ وَحُبِّهِ ، وَخِصَالِهِ كُلِّهَا ، غَيْرَهُ كُنَّا إِذَا خَرَجْنَا مَعَهُ فِي جِنَازَةٍ لَا يَزَالُ يَعْطُ ، وَيُذَكِّرُ وَيَبْكِي كَأَنَّهُ

(١) انظر السير : (عثمان بن عفان) ، وانظر النزهة : ٥/٧٩ .

(٢) انظر السير : (أيوب السُّخْتِيَانِي) ٦/١٥-٢٦ ، وانظر النزهة : ١/٦٢٦ .

(٣) انظر السير : (شُعْبَةَ) ٧/٢٠٢-٢٢٨ ، وانظر النزهة : ٤/٦٩٣ .

(٤) انظر السير : (الحسن بن صالح) ٧/٣٦١-٣٧١ ، وانظر النزهة : ٢/٧٠٣ .

(٥) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٨/٣٧٨-٤٢١ ، وانظر النزهة : ٤/٧٦٧ .

مُودِعٌ أَصْحَابِهِ ، ذَاهِبٌ إِلَى الْآخِرَةِ ، حَتَّى يَبْلُغَ الْمَقَابِرَ ، فَيَجْلِسُ مَكَانَهُ بَيْنَ الْمَوْتَى مِنْ الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ حَتَّى يَقُومَ وَكَأَنَّهُ رَجَعَ مِنَ الْآخِرَةِ يُخْبِرُ عَنْهَا^(١) .

الزُّهْدُ

١- مِنْ تَعْرِيفَاتِ الزُّهْدِ :

من كَلَامِ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ : الزُّهْدُ : الصَّبْرُ ، وَارْتِقَابُ الْمَوْتِ^(٢) .
قَالَ الْمُسَيَّبُ : سَأَلْتُ يُوسُفَ بْنَ أَسْبَاطَ عَنِ الزُّهْدِ ، فَقَالَ : أَنْ تَزْهَدَ فِي الْحَلَالِ ، فَأَمَّا الْحَرَامُ ، فَإِنْ ارْتَكَبْتَهُ ، عَذَّبَكَ^(٣) .

٢- أَقْسَامُ الزُّهْدِ :

عن إبراهيم بن أدهم قَالَ : الزُّهْدُ فَرْضٌ ، وَهُوَ الزُّهْدُ فِي الْحَرَامِ ، وَزُهْدٌ سَلَامَةٌ ، وَهُوَ الزُّهْدُ فِي الشُّبُهَاتِ ، وَزُهْدٌ فَضْلٌ ، وَهُوَ : الزُّهْدُ فِي الْحَلَالِ^(٤) .

٣- الزُّهْدُ يُجَمَّلُ الزُّهَادُ :

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ، مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَطَرٍ ، سَمِعْتُ الرَّبِيعَ : قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ : عَلَيْكَ بِالزُّهْدِ فَإِنَّ الزُّهْدَ عَلَى الزَّاهِدِ أَحْسَنُ مِنَ الْحُلِيِّ عَلَى الْمَرْأَةِ النَّاهِدِ^(٥) .

٤- فَضْلُ الزُّهْدِ :

رَوَى مُعْتَمِرٌ عَنْ أَبِيهِ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَخْشَعَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ ، وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ : كُنْتُ إِذَا وَجَدْتُ مِنْ قَلْبِي قَسْوَةً ، عَدَوْتُ فَنَظَرْتُ إِلَى وَجْهِ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ كَانَ كَأَنَّهُ تُكَلِّئِي قَالَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ : قَالَ رَجُلٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ :

-
- (١) انظر السير : (الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ) ٨ / ٤٢١ - ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٣ / ٧٧٣ .
 - (٢) انظر السير : (سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ) ٨ / ٤٥٤ - ٤٧٥ ، وانظر النزهة : ٦ / ٧٨٣ .
 - (٣) انظر السير : (يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطَ) ٩ / ١٦٩ - ١٧١ ، وانظر النزهة : ٣ / ٨١٤ .
 - (٤) انظر السير : (إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمٍ) ٧ / ٣٨٧ - ٣٩٦ ، وانظر النزهة : ٢ / ٧٠٨ .
 - (٥) انظر السير : (الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ) ١٠ / ٩٩ - ١٠٠ ، وانظر النزهة : ٨ / ٨٤٨ .

أَوْصِنِي قَالَ : أَوْصِيكَ أَنْ تَكُونَ مَلِكاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَالَ : كَيْفَ ؟ قَالَ : ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا^(١) .

وعن الفضيل : حَرَامٌ عَلَى قُلُوبِكُمْ أَنْ تُصِيبَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى تَزْهَدُوا فِي الدُّنْيَا^(٢) .

٥- الزُّهْدُ لَا يُنَافِي الْمَلَابِسَ الْحَسَنَةَ وَالطَّعَامَ الْحَسَنَ :

قال أبو بكر البرقاني : قُلْتُ يَوْمًا لِابْنِ سَمْعُونَ : تَدْعُوا النَّاسَ إِلَى الزُّهْدِ وَتَلْبَسُ أَحْسَنَ الثِّيَابِ ، وَتَأْكُلُ أَطْيَبَ الطَّعَامِ ، كَيْفَ هَذَا ؟ فَقَالَ : كُلُّ مَا يُصْلِحُكَ اللَّهُ فَافْعَلْهُ إِذَا صَلَحَ حَالُكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى^(٣) .

وروي عن أفضى القضاة الماوردي قال : صَلَّيْتُ خَلْفَ أَبِي الْحَسَنِ الْقَزْوِينِيِّ ، فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ قَمِيصاً نَقِيّاً مُطَرَّزاً ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَيْنَ الطَّرْزُ مِنَ الزُّهْدِ ؟ فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! الطَّرْزُ لَا يَنْقُصُ حُكْمَ الزُّهْدِ^(٤) .

وذكر محمد بن حسين الفزاز قال : كان بيغداد زاهداً خشناً العيش ، وكان يبلغه أن ابن القزويني يأكل الطيب ، ويلبس الرقيق ، فقال : سبحان الله ! رجلٌ مُجْمَعٌ عَلَى زُهْدِهِ ، وهذا حاله ! أشتهي أن أراه فجاء إلى الحريّة ، فراه ، فقال الشيخ : سبحان الله ! رجلٌ يَوْمًا إِلَيْهِ فِي الزُّهْدِ يُعَارِضُ اللَّهُ فِي أَفْعَالِهِ ، وَمَا هُنَا مُحَرَّمٌ وَلَا مُنْكَرٌ فَشَهَقَ ذَلِكَ الرَّجُلُ ، وَبَكَى^(٥) .

وعن جعفر الهمداني ، أَخْبَرَنَا السَّلْفِيُّ : سَمِعْتُ جَعْفَرَ السَّرَّاجَ يَقُولُ : رَأَيْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الْقَزْوِينِيِّ ثَوْباً رَقِيقاً ، فَخَطَرَ لِي : كَيْفَ مَثَلُهُ فِي الزُّهْدِ يَلْبَسُ هَذَا ؟! فَنَظَرَ

(١) انظر السير : (محمد بن واسع) ١١٩-١٢٣ ، وانظر النزهة : ٣/٦٣٨ .

(٢) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٦/٧٧٧ .

(٣) انظر السير : (ابن سمعون) ٥٠٥-٥١١ ، وانظر النزهة : ١/١٣١٠ .

(٤) انظر السير : (القزويني) ٦٠٩-٦١٣ ، وانظر النزهة : ١/١٣٦٨ .

(٥) انظر السير : (القزويني) ٦٠٩-٦١٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٦٨ .

في الحال إليّ ، وقال : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ (١) ، (٢) .

٦- الزُّهُدُ فَضِيلَةٌ وَلَيْسَ وَسِيلَةٌ لِلتَّنْفِيرِ :

كان أَيُّوبُ السُّخْتِيَانِيُّ يَقُولُ : لِيَتَّقِ اللَّهَ رَجُلٌ فَإِنْ زَهَدَ ، فَلَا يَجْعَلَنَّ زُهْدَهُ عَذَاباً عَلَى النَّاسِ ، فَلَأَنْ يُخْفِيَ الرَّجُلُ زُهْدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُعْلِنَهُ (٣) .

٧- إِخْفَاءُ الزُّهُدِ :

كان أَيُّوبُ السُّخْتِيَانِيُّ يَقُولُ : لِيَتَّقِ اللَّهَ رَجُلٌ فَإِنْ زَهَدَ ، فَلَا يَجْعَلَنَّ زُهْدَهُ عَذَاباً عَلَى النَّاسِ ، فَلَأَنْ يُخْفِيَ الرَّجُلُ زُهْدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُعْلِنَهُ (٤) .

وكان أَيُّوبُ مِمَّنْ يُخْفِي زُهْدَهُ دَخَلْنَا عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ عَلَى فِرَاشٍ مُخَمَّسٍ أَحْمَرٍ ، فَرَفَعْتُهُ ، أَوْ رَفَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا ، فَإِذَا حَصَفَةٌ مَحْشُوءَةٌ بَلِيفٍ (٥) .

٨- مِنَ النَّاسِ مَنْ بَلَغَ بِهِ الزُّهُدُ مَبْلَغاً عَجِيباً :

عَدِيُّ بْنُ مُسَافِرٍ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ : الشَّيْخُ الْإِمَامُ الصَّالِحُ الْقُدْوَةُ ، زَاهِدٌ وَقْتَهُ ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَدِيُّ بْنُ صَخْرٍ الشَّامِيُّ ، وَقِيلَ : عَدِيُّ بْنُ مُسَافِرٍ - وَهَذَا أَشْهَرُ - ابْنِ إِسْمَاعِيلَ الشَّامِيِّ ، ثُمَّ الْهَكَارِيُّ .

قَالَ الْحَافِظُ عَبْدُ الْقَادِرِ : سَاحَ سِنِينَ كَثِيرَةً ، وَصَحَبَ الْمَشَايِخَ وَجَاهَدَ أَنْوَاعاً مِنَ الْمُجَاهِدَاتِ ، ثُمَّ إِنَّهُ سَكَنَ بَعْضَ جِبَالِ الْمُؤَصِّلِ فِي مَوْضِعٍ لَيْسَ بِهِ أُنَيْسٌ ، ثُمَّ أَنَسَ اللَّهُ تِلْكَ الْمَوَاضِعَ بِهِ ، وَعَمَّرَهَا بِبَرَكَاتِهِ ، حَتَّى صَارَ لَا يَخَافُ أَحَدٌ بِهَا بَعْدَ قَطْعِ السُّبُلِ ، وَازْتَدَّتْ جَمَاعَةٌ مِنْ مُفْسِدِي الْأَكْرَادِ بِبَرَكَاتِهِ ، وَعُمِّرَ حَتَّى انْتَفَعَ بِهِ خَلْقٌ ، وَأَنْتَشَرَ ذِكْرُهُ ،

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٣٢ .

(٢) انظر السير : (القزويني) ١٧/٦٠٩-٦١٣ ، وانظر النزهة : ٤/١٣٦٨ .

(٣) انظر السير : (أَيُّوبُ السُّخْتِيَانِيُّ) ٦/١٥-٢٦ ، وانظر النزهة : ٦/٦٢٦ .

(٤) انظر السير : (أَيُّوبُ السُّخْتِيَانِيُّ) ٦/١٥-٢٦ ، وانظر النزهة : ٦/٦٢٦ .

(٥) انظر السير : (أَيُّوبُ السُّخْتِيَانِيُّ) ٦/١٥-٢٦ ، وانظر النزهة : ٦/٦٢٦ .

وكان معلماً للخير ، ناصحاً مُشَرِّعاً ، شديداً في الله ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، عاش قريباً من ثمانين سنة ما بلغنا أنه باع شيئاً ولا اشترى ، ولا تلبس بشيء من أمر الدنيا كانت له غليظة يزرعها بالقدوم في الجبل ، ويحصدُها ، ويتقوت ، وكان يزرع القطن ، ويكتسي منه ، ولا يأكل من مال أحد شيئاً ، وكان له أوقات لا يرى فيها مُحَافِظَةً على أوزاده ، وقد طفت معه أياماً سواد الموصِل ، فكان يُصَلِّي معنا العشاء ، ثم لا نراه إلى الصبح ورأيتُه إذا أقبل إلى قرية يتلقاه أهلها من قبل أن يسمِعوا كلامه تائبين رجالهم ونسأؤهم إلا من شاء الله منهم ، ولقد أتينا معه على دير رهبان ، فتلقنا منهم رهبان ، فكشفا رأسيهما ، وقبلا رجليه ، وقالا : ادع لنا فما نحن إلا في بركاتك ، وأخرجنا طبخاً فيه خبز وعسل ، فأكل الجماعة ، وسمعتُ شخصاً يقول له : يا شيخ ، لا بأس بمُدَاراةِ الفاسق فقال : لا يا أخي ، دينٌ مكتومٌ دينٌ ميسومٌ ، وكان يُواصل الأيام الكثيرة على ما اشتهر عنه ، حتى إن بعض الناس كان يعتقد أنه لا يأكل شيئاً قط ، فلما بلغه ذلك أخذ شيئاً ، وأكله بحضرة الناس ، واشتهر عنه من الرياضات والسير والكرامات والانتفاع به ما لو كان في الزمان القديم لكان أحدوثه ، ورأيتُه قد جاء إلى الموصِل في السنة التي مات فيها ، فنزل في مشهد خارج الموصِل ، فخرج إليه السلطان وأصحاب الولايات والمشايخ والعوام حتى آذوه مما يُقبلون يده ، فأجلس في موضع بينه وبين الناس شباك بحيث لا يصل إليه أحد إلا رؤيته ، فكانوا يُسلمون عليه ، وينصرفون ، ثم رجع إلى زاويته .

وقال ابن خلكان : أصله من بلاد بعلبك ، وتوجه إلى جبل الهكارية ، وانقطع ، وبني له زاوية ، ومال إليه أهل البلاد ميلاً لم يُسمع بمثله ، وسار ذكره في الآفاق ، وتبعه خلقٌ جاوَزَ اعتقادهم فيه الحد ، حتى جعلوه قبلة لهم التي يصلون إليها وذخيرتهم في الآخرة ، عاش تسعين سنة .

توفي سنة سبع وخمسين وخمسة مئة^(١) .

(١) انظر السير : (عدي) ٢٠ / ٣٤٢ - ٣٤٤ ، وانظر النزهة : ١٥٥٧ / عدي .

٩- مِنْ زُهَادِ التَّابِعِينَ :

عن علقمة بن مرثد ، قال : انتهى الزُّهدُ إلى ثمانية : عامر بن عبد الله بن عبد قيس ، وأويس القرني ، وهريم بن حيان ، والربيع بن خثيم ، ومسروق بن الأجدع ، والأسود بن يزيد ، وأبي مسلم الخولاني ، والحسن ابن أبي الحسن (١) .

١٠- مِنْ زُهَادِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ :

قال الإمام الذهبي في ترجمة الجوعفي : كان زاهد الوقت هذا الجوعفي بدمشق ، والسري السقطي ببغداد ، وأحمد بن حرب بنيسابور ، وذو النون بمصر ، ومحمد بن أسلم بطوس وأين مثل هؤلاء السادة ؟ ما يملأ عيني إلا التراب ، أو من تحت التراب (٢) .

١١- الزُّهْدُ فِي الْخِلاَفَةِ :

جاء في ترجمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قال القاسم ابن محمد : قال عمر : « ليعلم من ولي هذا الأمر من بعدي أن سيريدُه عنه القريب والبعيد ، إنِّي لأقاتلُ النَّاسَ عَنْ نَفْسِي قِتَالًا ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا أَفْوَى عَلَيْهِ مِنِّي لَكُنْتُ أَنْ أُقَدِّمَ فَتَضْرِبُ عُنُقِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلِيَهُ » (٣) .

وقال حميد بن عبد الرحمن بن عوف : أخبرني المسور أن النفر الذين ولأهم عمر اجتمعوا فتشاوروا ، فقال عبد الرحمن بن عوف : لست بالذي أنافسكم هذا الأمر ، ولكن إن شئتم اخترت لكم منكم ، فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن ، قال : لا يخلو به رجل ذو رأي فيعدل بعثمان أحدا ، وذكر الحديث إلى أن قال : فتشهد وقال : أما بعد يا علي فإني قد نظرت في الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلن علي نفسك

(١) انظر السير : (أويس القرني) ١٩/٤-٣٣ ، وانظر النزهة : ٤/٤٣٥ .

(٢) انظر السير : (الجوعفي) ٧٧/١٢-٧٩ ، وانظر النزهة : ٦/٩٨٤ .

(٣) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ٥/٤٦ .

سبيلاً ، ثم أخذ بيد عثمان فقال : نُبأئُكَ على سُنَّةِ الله وسُنَّةِ رَسُوْلِهِ وسُنَّةِ الْخَلِيْفَتَيْنِ بعده ، فبأيعه عبد الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ وبأيعه الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ^(١) .

١٢- صُوْرٌ على الرَّهْد :

قال الإمامُ الذهبيُّ في تَرْجَمَةِ أمير المؤمنينَ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه : وقال عِكْرِمَةُ بنُ خالدٍ وغيره : إِنَّ حَفْصَةَ ، وَعَبْدَ اللهِ ، وَغَيْرَهُمَا كَلَّمُوا عُمَرَ فَقَالُوا : لَوْ أَكَلْتَ طَعَاماً طَيِّباً كَانَ أَقْوَى لَكَ عَلَى الْحَقِّ ، قَالَ : أَكَلْتُكُمْ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ نَصْحَكُمْ ، وَلَكِنِّي تَرَكْتُ صَاحِبِيَّ عَلَى جَادَّةٍ فَإِنْ تَرَكْتُ جَادَتَهُمَا لَمْ أُدْرِكُهُمَا فِي الْمَنْزِلِ^(٢) .

وقال ابنُ أبي مُلَيْكَةَ : كَلَّمَ عُبَيْدُ بنُ فَرَّقدِ عُمَرَ فِي طَعَامِهِ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ أَكَلْتُ طَيِّبَاتِي فِي حَيَاتِي الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتِعُ بِهَا^(٣) .

قال مُبَارَكٌ عَنِ الْحَسَنِ : دَخَلَ عُمَرُ رضي الله عنه على ابْنِهِ عَاصِمٍ وهو يَأْكُلُ لَحْماً ، فَقَالَ : مَا هَذَا !!؟ قَالَ : قَرِمْنَا^(٤) إِلَيْهِ ، قَالَ : أَوْكُلْمَا قَرِمْتَ إِلَيَّ شَيْءٍ أَكَلْتَهُ !!؟ ، كَفَى بِالْمَرْءِ سَرَفاً أَنْ يَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَى^(٥) .

قال عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ زَيْدٍ بنُ أَسْلَمٍ عَنِ أَبِيهِ ، عَنِ جَدِّهِ ، قَالَ عُمَرُ : لَقَدْ خَطَرَ عَلَى قَلْبِي شَهْوَةٌ السَّمَكِ الطَّرِيِّ ، قَالَ : وَرَحَّلَ «يَرْفَأُ»^(٦) رَاحِلَتَهُ وَسَارَ أَرْبَعاً مُقْبِلاً وَمُدْبِراً ، وَاشْتَرَى مِكَتَلاً فَجَاءَهُ بِهِ ، وَعَمَدَ إِلَى الرَّاحِلَةِ فَغَسَلَهَا ، فَأَتَى عُمَرَ فَقَالَ : انْطَلِقْ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الرَّاحِلَةِ ، فَنَظَرَ وَقَالَ : نَسِيتَ أَنْ تَغْسِلَ هَذَا الْعَرَقَ الَّذِي تَحْتَ أُذُنِهَا ، عَذَّبَتْ بَهِيمَةً فِي شَهْوَةِ عُمَرَ ، لَا وَاللَّهِ لَا يَذُوقُ عُمَرُ مِكَتَلَكَ^(٧) .

(١) انظر السير : (عثمان بن عفان) ، وانظر النزهة : ٨١ .

(٢) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ٥/٤٧ .

(٣) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ٢/٤٨ .

(٤) القرم : شدة الشهوة إلى اللحم .

(٥) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ٣/٤٨ .

(٦) هو غلام لعمر .

(٧) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ٤/٤٨ .

وقال قتادة : كان عمرُ يلبسُ ، وهو خليفة ، جبةً من صوف مرقوعاً بعضُها بآدم ،
ويطوفُ في الأسواقِ على عاتقه الدرّةُ يُؤدّبُ النَّاسَ بها ، ويمرُّ بالنكثِ^(١) والنوى
فيلقطه ويلقيه في منازلِ النَّاسِ لِيَسْتَفْعُوا به^(٢) .

قال أنسُ : رأيتُ بين كَتْفَيْ عُمَرَ أُرْبَعِ رِقَاعٍ فِي قَمِيصِهِ^(٣) .

وقال أبو عثمان النهدي : رأيتُ على عُمَرَ إِزَاراً مَرْقُوعاً بِأَدَمِ^(٤) .

وقال عبدُ الله بنُ عامرِ بنِ ربيعةَ : حَجَجْتُ مع عُمَرَ ، فما ضَرَبَ فُسْطَاطاً^(٥)
ولا خباءً ، كان يُلقِي الكِسَاءَ والنَّطْعَ على الشَّجَرَةِ وَيَسْتَطِلُّ تَحْتَهُ^(٦) .

عن أبي الغادية الشامي ، قال : قَدِمَ عُمَرَ الجابيةَ^(٧) على جَمَلٍ أَوْرَقٍ تَلَوْحُ صَلَعَتِهِ
لِلشَّمْسِ ، لیسَ عليه قَلَنْسُوءَةٌ ولا عَمَامَةٌ ، قد طَبَقَ رِجْلِيهِ بَين شُعْبَتِي الرَّحْلِ بِلا رِكابٍ ،
ووطاؤُهُ كِساءَ أنبجاني من صوف ، وهو فراشه إذا نَزَلَ ، وحَقِيبةٌ مَحْشُوءَةٌ لِيَفًا ، وهي إذا
نَزَلَ وسادُهُ ، وعليه قَمِيصٌ من كَرائيسَ^(٨) قد دَسَمَ وتَحَرَّقَ جِيبُهُ ، فقال : اذْعُوا لِي
رَأْسَ القَرِيَةِ ، فدَعَوهُ له ، فقال : اغْسِلُوا قَمِيصِي وخَيْطُوه ، وأعيروني قَمِيصاً ، فَأَتَيْ
بِقَمِيصِ كِثَّانٍ ، فقال : ما هذا ؟ قِيلَ كِثَّانٌ ، قال : وما الكِثَّانُ ؟ فأخْبَرُوهُ فَتَرَغَ قَمِيصَهُ
فغَسَلُوهُ ورَقَعُوهُ ولَبَسَهُ ، فقال له رَأْسُ القَرِيَةِ : أَنْتَ مَلِكُ العَرَبِ ، وهذِهِ بِلادٌ لا تَصْلُحُ
فيها الإِبِلُ ، فَأَتَيْ ببردون^(٩) فطَرَحَ عليه قَطيْفَةً بلا سِرَجٍ ولا رَحْلِ ، فلَمَّا سارَ هُنَيْهَةً
قال : احْسِبُوا ، ما كُنْتُ أَظُنُّ النَّاسَ يَرِكبُونَ الشَّيْطانَ ، هاتُوا جَمَلِي^(١٠) .

(١) النكث : الغزل المنقوض .

(٢) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ٥/٤٨ .

(٣) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ٦/٤٨ .

(٤) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ٧/٤٨ .

(٥) الفسطاط : الخيمة .

(٦) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ٨/٤٨ .

(٧) الجابية : قرية حوران .

(٨) أي قطن .

(٩) البردون : بين البغلة والحمار .

(١٠) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ١/٤٩ .

وعن خباب قال : هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نبتغي وجه الله ، فوقع أجرنا على الله ، فمنا من مضى لسبيله لم يأكل من أجره شيئاً ، منهم : مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَلَمْ يَتْرُكْ إِلَّا نَمْرَةَ^(١) ، كُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « غَطُّوا رَأْسَهُ ، وَاجْعَلُوا عَلَيَّ رِجْلَيْهِ مِنَ الْإِذْخَرِ »^(٢) ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدُبُهَا^(٣) . ،^(٤) .

عن سعد بن إبراهيم ، سمع أباه يقول : أتى عبد الرحمن بن عوف بطعام ، فجعل يبكي ، فقال : قُتِلَ حَمَزَةٌ ، فلم يوجد ما يكفن فيه إلا ثوباً واحداً ، وقُتِلَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، فلم يوجد ما يكفن فيه إلا ثوباً واحداً ، ولقد خشيت أن يكون عجلت لنا طياتنا في حياتنا الدنيا ، وجعل يبكي^(٥) .

وعن أنس قال : دخل سعدُ وابنُ مسعودٍ على سلمان عند الموت ، فبكى فقبل له : ما يبكيك ؟ قال : عهدٌ عهدته إلينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، لم نحفظه قال : « لِيَكُنْ بَلَاغٌ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاحِبِ » وَأَمَّا أَنْتَ يَا سَعْدُ فَاتَّقِ اللَّهَ فِي حُكْمِكَ إِذَا حَكَمْتَ ، وَفِي قَسَمِكَ إِذَا قَسَمْتَ ، وَعِنْدَ هَمِّكَ إِذَا هَمَمْتَ .

قال ثابت : فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهماً نفقة كانت عنده^(٦) .

وعن عمران بن مسلم ، قال : كان سويدُ بنُ غفلةٍ إذا قيل له : أعطِ فلانٌ وولِّي فلانٌ قال : حسبي كسرتي وملحي .

وعن علي بن المديني قال : دخلتُ منزلَ أحمد بن حنبل ، فما شبّهته إلا بما وُصِفَ من بيتِ سويدِ بنِ غفلةٍ ، من زُهدِهِ وتواضعِهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ^(٧) .

(١) النمرة : بُردة من صوف تلبسها الأعراب .

(٢) الإذخر : نبتٌ معروف ، طيب الرائحة يبيض إذا يبس .

(٣) يهدبها : يجتنبها .

(٤) انظر السير : (مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ) ١/١٤٥-١٤٨ ، وانظر النزهة : ٥/١٤٠ .

(٥) انظر السير : (مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ) ١/١٤٥-١٤٨ ، وانظر النزهة : ١/١٤١ .

(٦) انظر السير : (سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٢٠٥ .

(٧) انظر السير : (سُوَيْدُ بْنُ غَفَلَةَ) ٤/٦٩-٧٣ ، وانظر النزهة : ٦/٤٤٦ .

وعن الحسن البصري قال : رأيت عثمان نائماً في المسجد ، حتى جاءه المؤذن فقام فرأيت أثر الحصى على جنبه^(١) .

قال ميمون بن مهران : أقيمت عند عمر بن عبد العزيز ستة أشهر ، ما رأيته غير رداءه ، كان يغسل من الجمعة إلى الجمعة ، ويبيّن بشيء من زعفران^(٢) .

وعن مسلمة بن عبد الملك قال : دخلت على عمر وقميصه وسخ ، فقلت لامرأته - وهي أخت مسلمة : اغسلوه قالت : نفعل ، ثم عدت فإذا قميص على حاله ، فقلت لها ، فقالت : والله ما له قميص غيره^(٣) .

وعن القاسم بن مخيمرة ، قال : لم يجتمع على مائدتي لوان من طعام قط ، وما أغلقت بابي قط ولي خلفه هم^(٤) .

قال الإمام الذهبي في ترجمة الخليل بن أحمد الفراهيدي : وثقه ابن حبان وقيل : كان متشكفاً متعبداً قال النضر : أقام الخليل في خص^(٥) له بالبصرة ، لا يقدر على فلسين ، وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال ، وكان كثيراً ما يُنشد :

إِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الدَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الأَعْمَالِ

وكان - رحمه الله - مفرط الذكاء ، ولد سنة مئة ، ومات سنة بضع وستين ومئة .

وكان هو ويونس إمامي أهل البصرة في العربية ، ومات ولم يُيَمِّ كتاب « العين » ولا هذبه ، ولكن العلماء يعرفون من بحره .

قيل : كان يعرف علم الإيقاع والنغم ، ففتح له ذلك علم العروض وقيل : مرَّ

-
- (١) انظر السير : (الحسن البصري) ٤/٥٦٣-٥٨٨ ، وانظر النزهة : ١/٥٦٠ .
 - (٢) انظر السير : (عمر بن عبد العزيز) ٥/١١٤-١٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/٥٩٠ .
 - (٣) انظر السير : (عمر بن عبد العزيز) ٥/١١٤-١٤٨ ، وانظر النزهة : ٤/٥٩٠ .
 - (٤) انظر السير : (القاسم بن مخيمرة) ٥/٢٠١-٢٠٤ ، وانظر النزهة : ٦/٥٩٥ .
 - (٥) الحُصُّ : بيت من شجر أو قصب .

بالصَّفَّارين^(١) فأخذه من وَقَعِ مِطْرَقَةٍ عَلَى طَسْتٍ^(٢) .

وقال الإمام الذهبي في تَرْجَمَةِ أَبِي دَاوُدَ الْحَفَرِيِّ : حُكِيَ أَنَّهُ أَبْطَأَ يَوْمًا فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْجَمَاعَةِ ، ثُمَّ خَرَجَ ، فَقَالَ : أَعْتَدْتُ إِلَيْكُمْ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِي ثَوْبٌ غَيْرُ هَذَا ، صَلَّى فِيهِ ، ثُمَّ أَعْطَيْتُهُ بِنَاتِي حَتَّى صَلَّى فِيهِ ثُمَّ أَخَذْتُهُ ، وَخَرَجْتُ إِلَيْكُمْ^(٣) .
وَتَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ ، فَأَصْدَقَهَا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ ، وَكَانَ قُوْتُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ قُرْصَيْنِ ، وَبِفَلْسٍ فَجَلَّ أَوْ هَنْدَبًا .

قال أبو حَمْدُونِ الطَّيْبِيُّ الْمُقَرَّرِيُّ : دَفَنَّا أَبَا دَاوُدَ الْحَفَرِيَّ ، رَحِمَهُ اللهُ وَتَرَكْنَا بَابَهُ مَفْتُوحًا ، مَا كَانَ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ .
مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَمِئَتَيْنِ .

قال الإمام الذهبي : مات وقد شاخ ، أَحْسَبُهُ مِنْ أَبْنَاءِ السَّبْعِينَ^(٤) .

وقال ابنُ أَبِي حَاتِمٍ : حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ قَالَ : رُبَّمَا رَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ الْكِسَرَ ، يَنْفُضُ الْغُبَارَ عَنْهَا ، وَيُصَيِّرُهَا فِي قِصْعَةٍ ، وَيَصُبُّ عَلَيْهَا مَاءً ثُمَّ يَأْكُلُهَا بِالْمِلْحِ وَمَا رَأَيْتُهُ اشْتَرَى رُمَانًا وَلَا سَفْرَجَلًا وَلَا شَيْئًا مِنَ الْفَاكِهَةِ ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَطِيخَةً فَيَأْكُلُهَا بِحُبْزٍ ، وَعِنبًا وَتَمْرًا^(٥) .

وجاء في تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ : وَدَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ بِنِيسَابُورَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ، تَعَالَ أَبْشُرْكَ بِمَا صَنَعَ اللهُ بِأَخِيكَ مِنَ الْخَيْرِ ، قَدْ نَزَلَ بِي الْمَوْتُ ، وَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيَّ أَنَّهُ مَا لِي دِرْهَمٌ يُحَاسِبُنِي اللهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَغْلِقِ الْبَابَ وَلَا تَأْذَنَ لِأَحَدٍ حَتَّى أَمُوتَ وَتَدْفِنُونِ كُتْبِي وَأَعْلَمُ أَنِّي أَخْرَجْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَيْسَ أَدْعُ مِيرَاثًا غَيْرَ كِسَائِي وَلِبَدِي وَإِنَائِي الَّذِي أَتَوْضَأُ فِيهِ وَكُتْبِي هَذِهِ ، فَلَا

(١) الصَّفَّارون : جَمْعُ صَفَّارٍ : وَهُوَ صَانِعُ الصُّفْرِ وَالصُّفْرُ النُّحَاسُ الْجَيِّدُ أَوْ ضَرْبٌ مِنْهُ .

(٢) انظر السير : (الخليل بن أحمد الفراهيدي) ٧/٤٢٩-٤٣١ ، وانظر النزهة : ١٠/٧١٢ .

(٣) انظر السير : (الحفري) ٩/٤١٥-٤١٧ ، وانظر النزهة : ١/٨٣٤ .

(٤) انظر السير : (الحفري) ٩/٤١٥-٤١٧ ، وانظر النزهة : ٤/٨٣٤ .

(٥) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٥/٩٢٦ .

تُكَلِّفُوا النَّاسَ مُؤَنَّةً ، وكان معه صُرَّةٌ فيها نحو ثلاثين دِرْهَمًا ، فقال : هذا لابني أَهْدَاهُ قَرِيبٌ لهُ ، ولا أَعْلَمُ شَيْئًا أَحَلَّ لِي مِنْهُ ، لأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ » وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَطِيبُ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كُسْبِهِ ، وَإِنَّ وِلْدَهُ مِنْ كُسْبِهِ » فَكَفَّنُونِي مِنْهَا فَإِنْ أَصَبْتُمْ لِي بِعَشْرَةٍ مَا يَسْتُرُ عَوْرَتِي فلا تَشْتَرُوا بِخَمْسَةِ عَشْرٍ وَابْسُطُوا عَلَيَّ جِنَازَتِي لِيَدِي ، وَغَطُّوا عَلَيْهَا كِسَائِي وَأَعْطُوا إِنَائِي مِسْكِينًا^(١) .

ولا أَعْلَمُ مُنْذُ صَحْبَتِهِ وَصَلَ أَحَدًا بِأَقْلٍ مِنْ مِئَةِ دِرْهَمٍ إِلَّا أَنْ لا يُمْكِنَهُ ذَلِكَ وكان يَقُولُ لِي : اشْتَرِ لِي شَعِيرًا أَسْوَدَ ، فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِلَى الكَنِيفِ ، ولا تَشْتَرِ لِي إِلَّا ما يَكْفِينِي يَوْمًا بِيَوْمٍ ، واشْتَرَيْتُ لَهُ مَرَّةً شَعِيرًا أبيضَ ، ونَقَيْتُهُ ، وَطَحَنْتُهُ فَرَأَهُ ، فَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، وقال : إِنْ كُنْتُ تَنَوَّقْتُ فِيهِ ، فأطِعْمَهُ نَفْسَكَ ، لَعَلَّ لَكَ عِنْدَ اللهِ أَعْمَالًا تَحْتَمِلُ أَنْ تُطْعِمَ نَفْسَكَ النَّقِيَّ ، وأَمَّا أَنَا ، فَقد سِرْتُ فِي الأَرْضِ ، وَدُرْتُ فِيهَا ، فبالله ما رَأَيْتُ نَفْسًا تُصَلِّيَ أَشَرَّ عِنْدِي مِنْ نَفْسِي فِيمَ أَحْتَجُّ عِنْدَ اللهِ إِنْ أَطْعَمْتُهَا النَّقِيَّ ؟ خُذْ هَذَا الطَّعَامَ ، واشْتَرِ لِي كُلَّ يَوْمٍ بِقِطْعَةِ شَعِيرٍ رَدِيئًا ، واشْتَرِ لِي رَحِيَّ فَجِئْنِي بِهِ حَتَّى أَطْحَنَ بِيَدِي وَأَكَلَهُ ، لَعَلِّي أَبْلُغُ ما كان فِيهِ عَلَيَّ وَفاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا^(٢) .

وقال السُّلَمِيُّ : سَمِعْتُ أبا سَهْلَ الصُّعْلُوكِيَّ يَقُولُ : ما عَدَدْتُ عَلَيَّ شَيْءَ قَطُّ ، وما كانَ لِي قَفْلٌ ولا مِفْتَاحٌ ولا صَرْرَتٌ عَلَيَّ فِضَّةٌ ولا ذَهَبٌ قَطُّ^(٣) .

وقال ابنُ بَأكَوِيَه : سَمِعْتُ ابنَ خَفِيفٍ يَقُولُ : ما وَجَبْتُ عَلَيَّ زَكَاةَ الفِطْرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً^(٤) .

وقال الحافظُ أبو القاسمِ بنُ عَساکِر : قَدِمَ الفَقِيهُ نَصْرُ دِمَشْقَ سَنَةَ ثمانينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ ، فأقامَ بِها يُدَرِّسُ المَذْهَبَ إِلى أَنْ ماتَ ، وَيُرْوَى الحَدِيثَ ، وكانَ فَقِيهاً ، إماماً ، زَاهِداً ، عامِلاً ، لَمْ يَقْبَلْ صِلَةً مِنْ أَحَدٍ بِدِمَشْقَ ، بَلْ كانَ يَقْتاتُ مِنْ غَلَّةِ تُحْمَلُ إِليه مِنْ

(١) انظر السير : (محمد بن أسلم) ١٢/١٩٥-٢٠٧ ، وانظر النزهة : ٥/٩٩٢ .

(٢) انظر السير : (محمد بن أسلم) ١٢/١٩٥-٢٠٧ ، وانظر النزهة : ١/٩٩٣ .

(٣) انظر السير : (الصُّعْلُوكِيَّ) ١٦/٢٣٥-٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٩١ .

(٤) انظر السير : (ابنُ خَفِيفٍ) ١٦/٣٤٢-٣٤٧ ، وانظر النزهة : ٥/١٢٩٨ .

أَرْضٍ نَابِلَسَ ، فَيَخْبِزُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ قُرْصَةَ فِي جَانِبِ الْكَائُونِ حَكَى لَنَا نَاصِرُ النَّجَّارِ - وَكَانَ يَخْدُمُهُ - مِنْ زُهْدِهِ وَتَقَلُّلِهِ وَتَرْكِهِ الشَّهَوَاتِ أَشْيَاءَ عَجَبِيَّةٍ (١) .

وَكَانَ الرَّفَاعِيُّ لَا يَجْمَعُ بَيْنَ لِبْسٍ قَمِيصَيْنِ ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا بَعْدَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ أَكْلَةٍ ، وَإِذَا غَسَلَ ثَوْبَهُ ، يَنْزِلُ فِي الشَّطِّ كَمَا هُوَ قَائِمٌ يَفْرُكُهُ ، ثُمَّ يَقِفُ فِي الشَّمْسِ حَتَّى يَنْشَفَ ، وَإِذَا وَرَدَ ضَيْفٌ ، يَدُورُ عَلَى بَيْوتِ أَصْحَابِهِ يَجْمَعُ الطَّعَامَ فِي مِثْرٍ (٢) .

١٣- ضَابِطٌ لِلزُّهْدِ :

قَالَ أَبُو هِشَامٍ : حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ : لَيْسَ الزُّهْدُ بِأَكْلِ الْغَلِيظِ ، وَلبسِ الْخَشَنِ ، وَلَكِنَّهُ قِصْرُ الْأَمَلِ ، وَارْتِقَابُ الْمَوْتِ (٣) .

وَعَنْ شَقِيقٍ قَالَ : كُنْتُ شَاعِرًا ، فَرَزَقَنِي اللَّهُ التَّوْبَةَ ، وَخَرَجْتُ مِنْ ثَلَاثِ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَلبَسْتُ الصُّوفَ عَشْرِينَ سَنَةً ، وَلَا أَدْرِي أَنِّي مُرَاءٍ حَتَّى لَقِيتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ ، فَقَالَ : لَيْسَ الشَّانُ فِي أَكْلِ الشَّعِيرِ وَلبسِ الصُّوفِ ، الشَّانُ أَنْ تَعْرِفَ اللَّهَ بِقَلْبِكَ ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَرْضَى عَنْ اللَّهِ ، وَأَنْ تَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ (٤) .

١٤- كِرَاهَةُ بَعْضِ السَّلَفِ لِغَيْرِ الْأَثَرِ جَعَلْتَهُمْ يُغْلَوْنَ فِي ذَمِّ بَعْضِ كِتَابِ الزُّهْدِ :

قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْبَرْدَعِيُّ : شَهِدْتُ أَبَا زُرْعَةَ الرَّازِيَّ ، وَسُئِلَ عَنِ الْمُحَاسِبِيِّ وَكُتِبَهُ ، فَقَالَ : إِيَّاكَ وَهَذِهِ الْكُتُبُ ، هَذِهِ كُتُبُ بَدْعٍ وَضَلَالَاتٍ ، عَلَيْكَ بِالْأَثَرِ تَجِدُ غُنْيَةً ، هَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ مَالِكًا وَالثَّوْرِيَّ وَالْأَوْزَاعِيَّ صَنَّفُوا فِي الْخَطَرَاتِ وَالْوَسَاوِسِ ؟ وَمَا أَسْرَعَ النَّاسَ إِلَى الْبَدْعِ .

مَاتَ الْمُحَاسِبِيُّ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ (٥) .

(١) انظر السير : (الفقيه نصر) ١٩/١٣٦-١٤٣ ، وانظر النزهة : ١/١٤٧١ .

(٢) انظر السير : (الرفاعي) ٢١/٧٧-٨٠ ، وانظر النزهة : ٧/١٦٠١ .

(٣) انظر السير : (سفيان الثوري) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٧/٦٩٦ .

(٤) انظر السير : (شقيق) ٩/٣١٣-٣١٦ ، وانظر النزهة : ٤/٨٢٣ .

(٥) انظر السير : (المحاسبى) ١٢/١١٠-١١٢ ، وانظر النزهة : ٦/٩٨٨ .

سَلَامَةُ الصَّدْرِ لِلْمُسْلِمِينَ

قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ : دَخَلَ عَلَى أَبِي دُجَانَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَهُوَ مَرِيضٌ ، وَكَانَ وَجْهُهُ يَتَهَلَّلُ فَقِيلَ لَهُ : مَا لَوْجْهَكَ يَتَهَلَّلُ ؟ فَقَالَ : مَا مِنْ عَمَلٍ شَيْءٍ أُوثِقَ عِنْدِي مِنْ اثْنَتَيْنِ : كُنْتُ لَا أَتَكَلَّمُ فِيهَا لَا يَعْنِينِي ، وَالْأُخْرَى فَكَانَ قَلْبِي لِلْمُسْلِمِينَ سَلِيمًا^(١) .

وقيل : إِنَّ أبا إِسْحَاقَ الشُّيرَازِيَّ نَزَعَ عِمَامَتَهُ - وَكَانَتْ بِعِشْرِينَ دِينَارًا - وَتَوَضَّأَ فِي دِجْلَةِ ، فَجَاءَ لِيَصُّ فَأَخَذَهَا ، وَتَرَكَ عِمَامَةً رَدِيئَةً بَدَلَهَا ، فَطَلَعَ الشَّيْخُ فَلَبِسَهَا ، وَمَا شَعَرَ حَتَّى سَأَلُوهُ وَهُوَ يُدْرَسُ ، فَقَالَ : لَعَلَّ الَّذِي أَخَذَهَا مُحْتَاجٌ^(٢) .

شُكْرُ النَّعْمِ

١- تَعْرِيفُ الشُّكْرِ :

قَالَ أَبُو سَهْلٍ الصُّغْلُو كِيٌّ : سَمِعْتُ أبا مُحَمَّدَ الْمُزْتَعِشَ يَقُولُ : قَالَ الْجُنَيْدُ : كُنْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّرِيِّ الْأَعْبِ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ ، فَتَكَلَّمُوا فِي الشُّكْرِ ، فَقَالَ : يَا غُلَامُ مَا الشُّكْرُ ؟ قُلْتُ : أَنْ لَا يُعْصَى اللَّهَ بِنِعْمِهِ ، فَقَالَ : أَخْشَى أَنْ يَكُونَ حَظُّكَ مِنَ اللَّهِ لِسَانُكَ قَالَ الْجُنَيْدُ : فَلَا أزالُ أَبْكِي عَلَى قَوْلِهِ^(٣) .

٢- التَّحَدُّثُ بِنِعْمِ اللَّهِ مِنْ شُكْرِ النَّعْمِ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّهُ صَلَّى بِالنَّاسِ يَوْمًا ، فَلَمَّا سَلَّمَ ، رَفَعَ صَوْتَهُ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الدِّينَ قِوَامًا ، وَجَعَلَ أبا هُرَيْرَةَ إِمَامًا ، بَعْدَ أَنْ كَانَ أَجِيرًا لِابْنَةِ غَزْوَانَ عَلَى شِبَعِ بَطْنِهِ ، وَحَمُولَةَ رِجْلِهِ^(٤) .

وَعَنْ مُضَارِبِ بْنِ حَزْنٍ ، قَالَ : بَيْنَا أَنَا أُسِيرُ تَحْتَ اللَّيْلِ ، إِذَا رَجُلٌ يُكَبِّرُ ، فَأَلْحَقَهُ

-
- (١) انظر السير : (أبو دُجَانَةَ الْأَنْصَارِيِّ) ١/٢٤٣-٢٤٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٤ .
(٢) انظر السير : (أبو إِسْحَاقَ الشُّيرَازِيَّ) ١٨/٤٥٢-٤٦٤ ، وانظر النزهة : ٥/١٤٣٠ .
(٣) انظر السير : (الْجُنَيْدُ) ١٤/٦٦-٧٠ ، وانظر النزهة : ٢/١١٣٣ .
(٤) انظر السير : (أبو هُرَيْرَةَ) ٢/٥٧٨-٦٣٢ ، وانظر النزهة : ٣/٣١٢ .

بِعِيرِي فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قُلْتُ : وَمَا التَّكْبِيرُ ؟ قَالَ : شُكْرٌ قُلْتُ : عَلَى مَه ؟ قَالَ : كُنْتُ أَجِيرًا لِبَسْرَةَ بِنْتِ عَزْوَانَ بَعْقَبَةَ رِجْلِي^(١) ، وَطَعَامَ بَطْنِي ، وَكَانُوا إِذَا رَكِبُوا ، سُقْتُ بِهِمْ ، وَإِذَا نَزَلُوا خَدَمْتُهُمْ ، فَزَوَّجْنِيهَا اللَّهُ ! فَهِيَ امْرَأَتِي^(٢) .

٣- اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم :

قَالَ يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ : قَدِمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ الْمَدِينَةَ ، فَأَتَوْا بَابَ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَسَمِعُوا رُغَاءَ بَعِيرٍ فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ شَدِيدُ الْأَدَمَةِ ، مُتَزَرٌّ بِكِسَاءٍ صُوفٍ إِلَى ثُدُوتِهِ ، فَقَالُوا لَهُ : مَوْلَاكَ دَاخِلٌ ؟ قَالَ : مَنْ تُرِيدُونَ ؟ قَالُوا : سَالِمٌ قَالَ : فَلَمَّا كَلَّمَهُمْ ، جَاءَ شَيْءٌ غَيْرَ الْمَنْظَرِ ، قَالَ : مَنْ أَرَدْتُمْ ؟ قَالُوا : سَالِمٌ قَالَ : هَا أَنَا ذَا فَمَا جَاءَ بِكُمْ ؟

قَالُوا : أَرَدْنَا أَنْ نُسْأَلَكَ قَالَ : سَلُوا عَمَّا سِئْتُمْ وَجَلَسَ وَيَدُهُ مُلَطَّخَةٌ بِالْدَمِّ وَالْقَيْحِ الَّذِي أَصَابَهُ مِنَ الْبَعِيرِ ، فَسَأَلُوهُ^(٣) .

وَعَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ عُمَرَ ، فَقَوَّمتُ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَيْتِهِ ، فَمَا وَجَدْتُهُ يَسْوِي مِثَّةَ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ دَخَلْتُ مَرَّةً أُخْرَى ، فَمَا وَجَدْتُ مَا يَسْوِي ثَمَنَ طَيْلُسَانَ ، وَدَخَلْتُ عَلَى سَالِمٍ مِنْ بَعْدِهِ ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى مِثْلِ حَالِ أَبِيهِ^(٤) .

وَعَنْ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : كَانَ سَالِمٌ غَلِيظًا كَأَنَّهُ حَمَالٌ ، وَقِيلَ : كَانَ عَلَى سَمْتِ أَبِيهِ فِي عَدَمِ الرَّفَاهِيَةِ^(٥) .

٤- صُورٌ مِنْ شُكْرِ النَّعْمِ :

قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : لِأَنَّ أَعَافِيَّ فَأَشْكُرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبْتَلَى فَأَصْبِرُ^(٦) .

(١) أي : نوبة ركوبه .

(٢) انظر السير : (أبو هُرَيْرَةَ) ٢/٥٧٨-٦٣٢ ، وانظر النزاهة : ٤/٣١٢ .

(٣) انظر السير : (سَالِمٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) ٤/٤٥٧-٤٦٧ ، وانظر النزاهة : ٣/٥٣١ .

(٤) انظر السير : (سَالِمٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) ٤/٤٥٧-٤٦٧ ، وانظر النزاهة : ٦/٥٣١ .

(٥) انظر السير : (سَالِمٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) ٤/٤٥٧-٤٦٧ ، وانظر النزاهة : ٣/٥٣٣ .

(٦) انظر السير : (مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) ٤/١٨٧-١٩٥ ، وانظر النزاهة : ٨/٤٧٦ .

وعن محمد بن منصور ، أنه سُئِلَ : إذا أَكَلْتُ وشَبَعْتُ فما شُكِرْتُ تلك النُّعْمَة ؟ قال : أنْ تُصَلِّيَ حَتَّى لا يَبْقَى في جَوْفِكَ مِنْ شَيْءٍ^(١) .

وقال الإمام الذهبي : بلغنا أَنَّ الْمُزَنِّيَّ كانَ إذا فَرَّغَ من تَبْيِيضِ مَسْأَلَة ، وأودَعَهَا مُخْتَصِرَه ، صَلَّى اللهُ رَكَعَتَيْنِ^(٢) .

الصَّبْرُ

١- الصَّبْرُ مُفِيدٌ :

من أقوال أمير المؤمنين المُسْتَظْهَرِ باللهِ العَبَّاسِيِّ : « الصَّبْرُ عَلَى الشَّدَائِدِ يُنْتِجُ الْفَوَائِدَ »^(٣) .

٢- الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى :

قال الإمام الذهبي في تَرْجَمَةِ الإمامِ البُخاريِّ : قال له عبدُ المُجيدِ ابنُ إبراهيمَ : كَيْفَ لا تَدْعُو اللهُ عَلَى هؤُلاءِ الَّذِينَ يَظْلِمُونَكَ وَيَتَنَاولُونَكَ وَيَهْتُؤُونَكَ !! ؟ ، فقال : قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ »^(٤) .

٣- الصَّبْرُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ :

جاءَ في تَرْجَمَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ القَعْنَبِيِّ ، قال أبو حاتم : ثِقَّةٌ حُجَّةٌ لَمْ أَرِ أَحْشَعَ مِنْهُ ، سَأَلْتَاهُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْنَا « الْمُوطَّأَ » فَقَالَ : تَعَالَوْا بِالْغَدَاةِ ، فَقُلْنَا : لَنَا مَجْلِسٌ عِنْدَ حَجَّاجِ بْنِ مِنْهَالٍ ، قَالَ : فَإِذَا فَرَّغْتُمْ مِنْهُ قُلْنَا : نَأْتِي حِينَئِذٍ مُسْلِمَ بْنَ إِبراهيمَ قَالَ : فَإِذَا فَرَّغْتُمْ قُلْنَا : نَأْتِي أبا حُدَيْفَةَ النَّهْدِيِّ قَالَ : فَبَعْدَ العَصْرِ قُلْنَا : نَأْتِي عَارِماً أبا النُّعْمَانَ ، قَالَ : فَبَعْدَ المَغْرِبِ فَكانَ يَأْتِينا بِاللَّيْلِ ، فيَخْرُجُ عَلَيْنَا ، وَعَلَيْهِ كَبْلٌ^(٥) ما تَحْتَهُ شَيْءٌ في

(١) انظر السير : (محمد بن منصور) ١٢/٢١٢-٢١٤ ، وانظر النزاهة : ٤/٩٩٤ .

(٢) انظر السير : (الْمُزَنِّيُّ) ١٢/٤٩٢-٤٩٧ ، وانظر النزاهة : ١/١٠٢٤ .

(٣) انظر السير : (المُسْتَظْهَرُ باللهِ) ١٩/٣٩٦-٤١٢ ، وانظر النزاهة : ٤/١٤٨٩ .

(٤) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ١٢/٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزاهة : ٢/١٠١٩ .

(٥) الكَبْلُ : الفَرُّو الكَبِير .

الصَّيْفِ ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَيْنَا فِي الْحَرِّ الشَّدِيدِ حِينَئِذٍ .

قَالَ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْفَلَّاسِ : كَانَ الْقَعْنَبِيُّ مُجَابِبَ الدَّعْوَةِ (١) .

٤- الصَّبْرُ عَلَى قِسْوَةِ الْإِخْوَانِ :

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَيْضِ : قَدِمَ ابْنُ أَكْثَمٍ دِمَشْقَ مَعَ الْمَأْمُونِ ، فَبَعَثَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْحَوَارِيِّ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ وَجَالَسَهُ ، فَخَلَعَ يَخْبِي عَلَيْهِ طَوِيلَةً وَمَلْبُوساً ، وَأَعْطَاهُ خَمْسَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ ، وَقَالَ : فَرَّقْهَا يَا أَبَا الْحَسَنِ حَيْثُ تَرَى ، فَدَخَلَ بِهَا الْمَسْجِدَ وَصَلَّى صَلَوَاتِ بِالْخِلْعَةِ ، فَقَالَ قَاسِمُ الْجُوعِيِّ : أَحَذَّ دَرَاهِمَ اللَّصُوصِ ، وَلَبَسَ ثِيَابَهُمْ ، ثُمَّ أَتَى الْجَامِعَ وَمَرَّ بِهِ وَهُوَ فِي التَّحِيَّاتِ ، فَلَمَّا حَذَاهُ لَطَمَ الْقَلْنَسُوءَةَ ، فَسَلَّمَ أَحْمَدُ ، وَأَعْطَى الْقَلْنَسُوءَةَ ابْنَهُ إِبْرَاهِيمَ ، فَذَهَبَ بِهَا ، فَقَالَ لَهُ مَنْ رَأَاهُ : مَا رَأَيْتَ مَا فَعَلَ بِكَ هَذَا ؟ فَقَالَ : رَحِمَهُ اللَّهُ (٢) .

٥- صُورٌ عَلَى الصَّبْرِ :

قَالَ ثَابِتٌ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى صِلَةَ بْنِ أَشِيمٍ بَنِي أَخِيهِ ، فَقَالَ لَهُ : إِذْنُ فَكُلْ فَقَدْ نَعِيَ إِلَيَّ أَخِي مُنْذُ حِينٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِلَيْهِمْ مَبْتُتُونَ ﴾ (٣) ، (٤) .

عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، أَنَّ أَبَاهُ خَرَجَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بُوَادِي الْقُرَى ، وَجَدَ فِي رِجْلِهِ شَيْئاً فَظَهَرَتْ بِهِ قُرْحَةً ، ثُمَّ تَرَقَّى بِهِ الْوَجْعُ ، وَقَدِمَ عَلَى الْوَلِيدِ وَهُوَ فِي مَحْمِلٍ ، فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ اقْطَعْهَا ، قَالَ : دُونَكَ فَدَعَا لَهُ الطَّبِيبَ ، وَقَالَ : اشْرَبِ الْمُرْقِدَ فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَقَطَعَهَا مِنْ نِصْفِ السَّاقِ ، فَمَا زَادَ أَنْ يَقُولَ : حَسٌّ ، حَسٌّ ، فَقَالَ الْوَلِيدُ : مَا رَأَيْتَ شَيْخاً قَطُّ أَصْبَرَ مِنْ هَذَا ، وَأُصِيبَ عُرْوَةَ بَابِنِهِ مُحَمَّدٌ فِي ذَلِكَ السَّفَرِ ، رَكَضَتْهُ بَعْلَةٌ فِي إِصْطَبَلٍ لَمْ يُسْمَعْ مِنْهُ فِي ذَلِكَ كَلِمَةً فَلَمَّا كَانَ

(١) انظر السير : (القَعْنَبِيُّ) ١٠/٢٥٧-٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٢/٨٧٥ .

(٢) انظر السير : (الجُوعِيُّ) ١٢/٧٧-٧٩ ، وانظر النزهة : ٢/٩٨٤ .

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٣٠

(٤) انظر السير : (صِلَةُ بْنُ أَشِيمٍ) ٣/٤٩٧-٥٠٠ ، وانظر النزهة : ١/٤١٦ .

بِوَادِي الْقُرَى قَالَ : ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ ^(١) اللَّهُمَّ كَانَ لِي بَنُونَ سَبْعَةٌ ، فَأَخَذْتُ وَاحِدًا وَأَبْقَيْتُ لِي سِتَّةً ، وَكَانَ لِي أَطْرَافٌ أَرْبَعَةٌ ، فَأَخَذْتُ طَرَفًا ، وَأَبْقَيْتُ ثَلَاثَةً ، وَلَيْتَنِي ابْتَلَيْتُ ، لَقَدْ عَافَيْتُ ، وَلَيْتَنِي أَخَذْتُ لَقَدْ أَبْقَيْتُ ^(٢) .

٦- ضَابِطٌ فِي الصَّبْرِ :

عَنِ السَّفَّاحِ قَالَ : إِذَا عَظَمْتَ الْقُدْرَةَ ، قَلَّتِ الشَّهْوَةُ قَلَّ تَبَرُّعٌ إِلَّا وَمَعَهُ حَقٌّ مُضَاعٌ ، الصَّبْرُ حَسَنٌ إِلَّا عَلَى مَا أَوْفَعَ ^(٣) الدِّينَ وَأَوْهَنَ السُّلْطَانَ ^(٤) .

الصَّمْتُ

١- الصَّمْتُ يُتَعَلَّمُ :

قَالَ مُورِّقٌ : تَعَلَّمْتُ الصَّمْتَ فِي عَشْرِ سِنِينَ ، وَمَا قُلْتُ شَيْئًا قَطُّ إِذَا غَضِبْتُ أَنْدَمُ عَلَيْهِ إِذَا زَالَ غَضَبِي ^(٥) .

٢- فَضْلُ الصَّمْتِ :

عَنْ أَبِي بَكْرٍ بِنِ عِيَّاشٍ قَالَ : أَدْنَى نَفْعِ السُّكُوتِ السَّلَامَةُ ، وَكَفَى بِهِ عَافِيَةً ، وَأَدْنَى ضَرَرُ الْمَنْطِقِ الشُّهْرَةَ ، وَكَفَى بِهَا بَلِيَّةٌ ^(٦) .

٣- الصَّمْتُ حَسَنٌ إِلَّا فِي الْخَيْرِ :

عَنْ يَعْلَى بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ : دَخَلْنَا عَلَى ابْنِ سُوقَةَ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي! أَحَدْتُكُمْ بِحَدِيثٍ لَعَلَّهُ يَنْفَعُكُمْ ، فَقَدْ نَفَعَنِي قَالَ لَنَا عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبِيعٍ : إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَعُدُّونَ فَضُولَ الْكَلَامِ مَا عَدَا كِتَابَ اللَّهِ ، أَوْ أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ نَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ ، أَوْ أَنْ

(١) سورة الكهف ، الآية : ٦٢

(٢) انظر السير : (عُرْوَةَ) ٤/٤٢١-٤٣٧ ، وانظر النزهة : ٢/٥٢٧ .

(٣) أَوْفَعَ : أَفْسَدَ وَأَهْلَكَ .

(٤) انظر السير : (السَّفَّاحُ) ٦/٧٧-٨٠ ، وانظر النزهة : ٤/٦٣٢ .

(٥) انظر السير : (مُورِّقٌ) ٤/٣٥٣-٣٥٥ ، وانظر النزهة : ٢/٥٠٩ .

(٦) انظر السير : (أَبُو بَكْرٍ بِنِ عِيَّاشٍ) ٨/٤٩٥-٥٠٨ ، وانظر النزهة : ١/٧٨٧ .

تَنطِقَ فِي مَعِيشَتِكَ الَّتِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْهَا ، أَنْتَكِرُونَ أَنَّ عَلَيْكُمْ حَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ ، عَنِ الِیَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ، أَمَا يَسْتَحْيِ أَحَدُكُمْ لَوْ نُشِرَتْ صَحِيفَتُهُ الَّتِي أَمْلَى صَدْرَ نَهَارِهِ ، وَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِهِ (١) .

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ ، سَمِعْتُ أَبَا مُسْهَرٍ ، سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ : لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ إِلَّا لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ : صَمُوتٍ وَوَاعٍ ، وَنَاطِقٍ عَارِفٍ (٢) .

٤- الصَّمْتُ يُقَلِّلُ مِنَ الْأَخْطَاءِ :

قَالَ السَّمْعَانِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ الشَّهْرُزُورِيَّ بِالْمَوْصِلِ يَقُولُ : كَانَ شَيْخُنَا أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيَّ إِذَا أَخْطَأَ أَحَدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ : أَيُّ سَكْتَةٍ فَاتَتْكَ (٣) .

٥- ضَابِطٌ لِكِرَاهِيَةِ السَّلَفِ لِفُضُولِ الْكَلَامِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ الْمُعَافَى بْنِ عِمْرَانَ : قَالَ مَرَّةً رَجُلٌ : مَا أَشَدَّ الْبَرْدَ الْيَوْمَ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الْمُعَافَى ، وَقَالَ : اسْتَدْفَأْتَ الْآنَ !!؟ ، لَوْ سَكْتٌ ، لَكَانَ خَيْرًا لَكَ (٤) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّبًا : قَوْلٌ مِثْلُ هَذَا جَائِزٌ ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا يَكْرَهُونَ فَضُولَ الْكَلَامِ ، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْكَلَامِ الْمُبَاحِ ، هَلْ يَكْتُبُهُ الْمَلَكُانُ ، أَمْ لَا يَكْتُبَانِ إِلَّا الْمُسْتَحَبَّ الَّذِي فِيهِ أَجْرٌ ، وَالْمَذْمُومَ الَّذِي فِيهِ تَبِعَةٌ ، ؟ وَالصَّحِيحُ كِتَابَةُ الْجَمِيعِ لِعُمُومِ النَّصِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (٥) ، ثُمَّ لَيْسَ إِلَى الْمَلَكَيْنِ إِطْلَاعٌ عَلَى النَّيَّاتِ وَالْإِخْلَاصِ ، بَلْ يَكْتُبَانِ النَّطْقَ ، وَأَمَّا السَّرَائِرُ الْبَاطِنَةُ لِلنُّطْقِ ، فَاللَّهُ يَتَوَلَّاهَا (٦) .

(١) انظر السير : (عطاء بن أبي رباح) ٧٨-٨٨ ، وانظر النزهة : ٢/٥٨٣ .

(٢) انظر السير : (سعيد بن عبد العزيز) ٣٢٢/٨-٣٨ ، وانظر النزهة : ٢/٧٢٤ .

(٣) انظر السير : (أبو إسحاق الشيرازي) ١٨/٤٥٢-٤٦٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٣٠ .

(٤) انظر السير : (المُعافَى) ٨٠/٩-٨٦ ، وانظر النزهة : ٦/٨٠٠ .

(٥) سورة ق ، الآية : ١٨ .

(٦) انظر السير : (المُعافَى) ٨٠/٩-٨٦ ، وانظر النزهة : ٧/٨٠٠ .

العِفَّة

١- الحثُّ على عِفَّة اللِّسَان :

قال أبو جَعْفَرُ الباقِر : سِلاحُ اللُّثامِ قُبْحُ الكَلامِ (١) .

قال يَعقوبُ الفَسَوِيُّ حينما بلغه قولُ يَحْيَى : مَنْ فَضَّلَ عبدَ الرَّحْمَنِ على وَكيعٍ فعليه اللُّعْنَةُ ، فقال يَعقوبُ : كان غيرُ هذا أشبهَ بكلامِ أهلِ العِلْمِ ، ومَنْ حاسبَ نَفْسَهُ ، لم يَقُلْ مثلَ هذا ، وَكيعٌ خَيْرٌ فاضِلٌ حافظٌ (٢) .

٢- مَنْ كان مُبتعداً عن الفَواحِش في الجاهليَّة :

عن عُرْوَةَ ، عن عائِشَةَ أنَّها كانت تَدعو على مَنْ زَعَمَ أنْ أبَا بَكرٍ قالَ هذه الأبيات ، وقالت : والله ما قالَ أبو بَكرٍ شِعْراً في جاهليَّةٍ ولا في إسلام ، وقد تَرَكَ هو وَعُثمانُ شُرْبَ الحَمْرِ في الجاهليَّة (٣) .

٣- صُورٌ مِنْ عِفَّة اللِّسَان :

جاءَ في تَرْجَمَةِ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ ، قالَ عاصِمُ بْنُ أَبِي النُّجُودِ : ما سَمِعْتُ أبَا وائلٍ سَبَّ إنساناً قَطُّ ولا بهيمَةً (٤) .

وعن إبراهيم ، قال : قال فلانٌ : ما أرى الرِّبيعَ بنَ خُثَيْمٍ تكلَّم بكلامٍ منذُ عشرينَ سَنَةً إلاَّ بكَلِمَةٍ تَصعدُ ، وعن بَعْضِهِمْ قال : صَحِبْتُ الرِّبيعَ عِشرينَ عاماً ما سَمِعْتُ منه كَلِمَةً تُعابُ (٥) .

وعن عمرو بن مالك ، سَمِعَ أبَا الجَوْزَاءِ يَقولُ : ما لَعنتُ شيئاً قَطُّ ، ولا أَكلتُ شيئاً مَلعوناً قَطُّ ، ولا أَذيتُ أحداً قَطُّ .

(١) انظر السير : (أبو جَعْفَرُ الباقِر) ٤٠١/٤-٤٠٩ ، وانظر النزهة : ٧/٥٢٣ .

(٢) انظر السير : (وكيع) ٩/١٤٠-١٦٨ ، وانظر النزهة : ٣/٨١٠ .

(٣) انظر السير : (أبو بَكرٍ الصِّدِّيقِ) ، وانظر النزهة : ١/٢٦ .

(٤) انظر السير : (شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ) ٤/١٦١-١٦٦ ، وانظر النزهة : ٢/٤٦٩ .

(٥) انظر السير : (الرِّبيعُ بنُ خُثَيْمٍ) ٤/٢٥٨-٢٦٢ ، وانظر النزهة : ١/٤٩٣ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعْتَبَأً : انْظُرْ إِلَى هَذَا السَّيِّدِ ، وَاقْتَدِ بِهِ ^(١) .

وعن المُثَنَّى بنِ الصَّبَّاحِ قَالَ : لَبِثَ وَهْبُ بنِ مُنْبَهٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ يَسْبَبْ شَيْئاً فِيهِ الرُّوْحُ ، وَلَبِثَ عِشْرِينَ سَنَةً لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَ العِشَاءِ وَالصُّبْحِ وُضُوءاً ، قَالَ : وَقَالَ وَهْبٌ : لَقَدْ قَرَأْتُ ثَلَاثِينَ كِتَاباً نَزَلَتْ عَلَيَّ ثَلَاثِينَ نَبِيًّا ^(٢) .

قال أبو بكر بن عيَّاش : ما سمعتُ أبا إسحاق السَّبَّيعي يَعِيبُ أَحَدًا قَطُّ ، وَإِذَا ذَكَرَ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ ، فَكَأَنَّهُ أَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ .

تُوفِّيَ أَبُو إِسْحَاقَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَةَ يَوْمٍ دُخُولِ الضَّحَاكِ ابنِ قَيْسٍ غَالِباً عَلَى الكُوفَةِ عَاشَ ثَلَاثًا وَتِسْعِينَ سَنَةً ^(٣) .

قال الفَلَّاسُ : ما سمعتُ وَكَيْعاً ذَاكِرًا أَحَدًا بِسُوءٍ قَطُّ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعْتَبَأً : مع إمامته ، كَلَامُهُ نَزْرٌ جَدًّا فِي الرِّجَالِ ^(٤) .

٤- صُوْرٌ مِنْ عِفَّةِ الفَرَجِ :

عن إسماعيلَ القاضي ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى المُعْتَضِدِ باللهِ وَعَلَى رَأْسِهِ أَحْدَاثُ رُومٍ مِلاَحٍ ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِمْ ، فَرَأَيْتُ المُعْتَضِدُ أَتَمَّلُهُمْ ، فَلَمَّا أَرَدْتُ الانْصِرَافَ أَشَارَ إِلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا القاضي ! واللهِ ما حَلَلْتُ سِراويلي عَلَى حَرَامٍ قَطُّ ^(٥) .

وقال المُوفِّقُ عبدُ اللطيفِ : كانَ العَزِيزُ شاباً ، حَسَنَ الصُّورَةِ ، ظَرِيفَ الشَّمَائِلِ ، قَوِيًّا ، ذا بَطْشٍ ، وَأَيْدٍ ، وَخِفَّةِ حَرَكَةٍ ، حَيِّياً ، كَرِيماً ، عَفِيفاً عَنِ الأَمْوالِ والفُرُوجِ ، بَلَغَ مِنْ كَرَمِهِ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَهُ خِزَانَةٌ ، وَلَا خَاصٌّ ، وَلَا فَرَسٌ وَبُيُوتٌ أُمَّرَاتِهِ تَفِيضُ بِالخَيْرَاتِ ، وَكانَ شُجاعاً مِقْداماً ، بَلَغَ مِنْ عِفَّتِهِ أَنَّهُ كانَ لَهُ غُلامٌ تُرْكِيٌّ بِأَلْفِ دِينَارٍ يُقالُ لَهُ : أَبُو شامَةَ ، فَوَقَّفَ ، فَراعَهُ حُسْنُهُ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَنْزِعَ ثِيابَهُ ، وَجَلَسَ مِنْهُ مَجْلِسَ

(١) انظر السير : (أبو الجوزاء) ٣٧١-٣٧٢/٤ ، وانظر النزهة : ٣/٥١٢ .

(٢) انظر السير : (وهب بن منبه) ٥٤٤-٥٥٧/٤ ، وانظر النزهة : ١/٥٥٣ .

(٣) انظر السير : (أبو إسحاق السببي) ٣٩٢-٤٠١/٥ ، وانظر النزهة : ٣/٦١٦ .

(٤) انظر السير : (وكيع) ١٤٠-١٦٨/٩ ، وانظر النزهة : ٣/٨١١ .

(٥) انظر السير : (المعتضد بالله) ٤٦٣-٤٧٩/١٣ ، وانظر النزهة : ٢/١١٠٣ .

الْحَنَا ، فَأَدْرَكَهُ تَوَفِيقٌ ، فَأَسْرَعَ إِلَى سَرِيَّةٍ لَهُ ، فَقَضَى وَطْرَهُ (١) .

قَالَ سِبْطُ الْجَوْزِيِّ : كَانَ الْأَشْرَفُ يَحْضُرُ مَجَالِسِي بَحْرَانَ ، وَبِخِلَاطٍ ، وَدِمَشْقَ وَكَانَ مَلَكًا عَفِيفًا ، قَالَ لِي : مَا مَدَدْتُ عَيْنِي إِلَى حَرِيمٍ أَحَدٍ وَلَا ذَكَرَ وَلَا أَنْثَى جَاءَتْنِي عَجُوزٌ مِنْ عِنْدِ بِنْتِ صَاحِبِ خِلَاطِ شَاهِ أَرْمَنَ بِأَنَّ الْحَاجِبَ عَلِيًّا أَخَذَ لَهَا ضَيْعَةً فَكَتَبْتُ بِإِطْلَاقِهَا ، فَقَالَتْ الْعَجُوزُ : تُرِيدُ أَنْ تَحْضُرَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَقُلْتُ : بِاسْمِ اللَّهِ ، فَجَاءَتْ بِهَا فَلَمْ أَرِ أَحْسَنَ مِنْ قَوَامِهَا وَلَا أَحْسَنَ مِنْ شَكْلِهَا ، فَقُمْتُ لَهَا ، وَقُلْتُ : أَنْتِ فِي هَذَا الْبَلَدِ وَأَنَا لَا أُدْرِي ؟ فَسَفَرْتَ عَنْ وَجْهِ أَضَاءَتِ مِنْهُ الْغُرْفَةُ ، وَقُلْتُ : لَا ، اسْتَبْرِي فَقَالَتْ : مَاتَ أَبِي وَاسْتَوَلَى عَلَى الْمَدِينَةِ بَكْتَمِرٌ ، ثُمَّ أَخَذَ الْحَاجِبَ قَرِيْبِي وَبَقِيْتُ أَعِيشُ مِنْ عَمَلِ النَّقْشِ وَفِي دَارِ الْبِكْرَاءِ فَبَكَيْتُ لَهَا ، وَأَمَرْتُ لَهَا بَدَارَ وَقِمَاشٍ ، فَقَالَتْ الْعَجُوزُ : يَا خَوْنَدُ أَلَا تَحْطَى اللَّيْلَةَ بِكَ ؟ فَوَقَعَ فِي قَلْبِي تَغْيِيرُ الزَّمَانِ وَأَنَّ خِلَاطَ يَمْلِكُهَا غَيْرِي ، وَتَحْتَاجُ بِنْتِي أَنْ تَقْعُدَ هَذِهِ الْقَعْدَةَ ، فَقُلْتُ : مَعَاذَ اللَّهِ ، مَا هَذَا مِنْ شِيْمَتِي فَقَامَتِ الشَّابَّةُ بَاكِيَةً تَقُولُ : صَانَ اللَّهُ عَوَاقِبَكَ (٢) .

الْقِنَاعَةُ

١- أَقْوَالٌ تَحْتُ عَلَى الْقِنَاعَةِ :

قال عبدُ الله بنُ الْمُعْتَزِّ بالله : مَنْ تَجَاوَزَ الْكَفَافَ لَمْ يُغْنِهِ الْإِكْتَارُ (٣) .
وقال أيضاً : مَنْ ارْتَحَلَهُ الْحِرْصُ ، أَضْنَاهُ الطَّلْبُ (٤) .

نقل أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ فِي « مِحْنِ الصُّوفِيَّةِ » أَنَّ بُنَانًا الْحَمَّالَ قَامَ إِلَى وَزِيرِ خُمْارُويهِ - صَاحِبِ مِصْرَ - وَكَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَنْزَلَهُ عَنْ مَرْكُوبِهِ وَقَالَ : لَا تَرْكَبِ الْخَيْلَ وَعَيْرٌ ، كَمَا هُوَ مَأْخُوذٌ عَلَيْكُمْ فِي الدِّمَّةِ ، فَأَمَرَ خُمْارُويهِ بِأَنْ يُؤْخَذَ وَيُوضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ

(١) انظر السير : (العزیز) ٢١/٢٩١-٢٩٤ ، وانظر النزہة : ١/١٦٢٥ .

(٢) انظر السير : (الأشرف) ٢٢/١٢٢-١٢٧ ، وانظر النزہة : ٢/١٦٧٣ .

(٣) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الْمُعْتَزِّ بالله) ١٤/٤٢-٤٤ ، وانظر النزہة : ٢/١١٢٨ .

(٤) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الْمُعْتَزِّ بالله) ١٤/٤٢-٤٤ ، وانظر النزہة : ٥/١١٢٨ .

سَبْعَ ، فَطُرِحَ ، فَبَقِيَ لَيْلَةً ، ثُمَّ جَاءُوا وَالسَّبْعُ يَلْحَسُهُ وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةِ ، فَأَطْلَقَهُ
خُمَارِيهِ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ (١) .

وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : مَنْ قَنَعَ ، طَابَ عَيْشُهُ وَمَنْ طَمَعَ طَالَ طَيْشُهُ (٢) .

٢- صَوْرٌ عَلَى الْقِنَاعَةِ :

عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ : ذَهَبْتُ أَنَا وَصَاحِبِي لِي إِلَى سَلْمَانَ ، فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا عَنِ التَّكْلِيفِ ، لَتَكَلَّفْتُ لَكُمْ ، فَجَاءَنَا بِخُبْزٍ وَمِلْحٍ فَقُلْتُ
لِصَاحِبِي : لَوْ كَانَ فِي مِلْحِنَا صَعْتَرٌ فَبَعَثَ سَلْمَانُ بِمِطْهَرَتِهِ ، فَزَهَنَهَا ، فَجَاءَ بِصَعْتَرٍ ،
فَلَمَّا أَكَلْنَا قَالَ صَاحِبِي : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَتَّعَنَا بِمَا رَزَقَنَا ، فَقَالَ سَلْمَانُ : لَوْ فَتَّعْتَ لَمْ
تَكُنْ مِطْهَرَتِي مَرَهُونَةً (٣) .

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ : رُبَّمَا أَصْبَحْتُ وَمَا مَعِيَ دِرْهَمٌ وَكَأَنَّ الدُّنْيَا قَدْ حِيَزَتْ
لِي (٤) .

وَذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ الزَّجَّاجُ : أَنَّهُ كَانَ يُجْرِي عَلَى أَبِي جَعْفَرِ التِّرْمِذِيِّ فِي الشَّهْرِ
أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ ، يَتَقَوَّتُ بِهَا قَالَ : وَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا (٥) .

وَجَاءَ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ الطَّلَائِيَةِ ، قَالَ السَّمْعَانِيُّ : شَيْخٌ كَبِيرٌ أَفْنَى عُمَرَةَ فِي الْعِبَادَةِ
وَالْقِيَامِ وَالصِّيَامِ لَعَلَّهُ مَا صَرَفَ سَاعَةً مِنْ عُمَرِهِ إِلَّا فِي عِبَادَةٍ وَأَنْحَنَى حَتَّى لَا يَتَبَيَّنُ قِيَامُهُ
مِنْ رُكُوعِهِ إِلَّا بَيَّسِيرٍ ، وَكَانَ حَافِظًا لِلْقُرْآنِ ، لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا وَلَهُ كِفَايَةٌ يَتَقَنَّعُ
بِهَا (٦) .

-
- (١) انظر السير : (بُنَانُ الْحَمَّالِ) ٤٨٨/١٤-٤٩٠ ، وانظر النزهة : ١/١١٦٩ .
 - (٢) انظر السير : (أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ) ٣٦٥-٣٨٤/٢١ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٣٤ .
 - (٣) انظر السير : (سَلْمَانُ الْفَارَسِيُّ) ٥٠٥-٥٥٨/١ ، وانظر النزهة : ٣/٢٠٤ .
 - (٤) انظر السير : (الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ) ٣٦١-٣٧١/٧ ، وانظر النزهة : ٥/٧٠٣ .
 - (٥) انظر السير : (أَبُو جَعْفَرِ التِّرْمِذِيِّ) ٥٤٥-٥٤٧/١٣ ، وانظر النزهة : ٢/١١١٥ .
 - (٦) انظر السير : (ابْنُ الطَّلَائِيَةِ) ٢٦٠/٢٠-٢٦٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٤٩ .

الكرَم

١- أكرمُ النَّاسِ :

رَوَى العُتْبِيُّ عن رَجُلٍ قَالَ : خَطَبَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ القَسْرِيُّ بِوَاسِطٍ فَقَالَ : إِنَّ أكرمَ النَّاسِ مَنْ أُعْطِيَ مَنْ لَا يَرْجُوهُ ، وَأَعْظَمَ النَّاسِ عَفْوَاً مَنْ عَفَا عن قُدْرَةٍ ، وَأَوْصَلَ النَّاسِ مَنْ وَصَلَ عن قَطِيعَةٍ (١) .

٢- الكَرِيمُ حَبِيبٌ إلى اللَّهِ :

وعن بِشْرِ بْنِ الحَارِثِ ، قَالَ : شَاطِرٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إلى اللَّهِ من صُوفِيٍّ بَخِيلٍ (٢) .

٣- صُوْرٌ على الكَرَمِ :

حَكَى المَدائِنِيُّ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ المُهَلَّبِ كَانَ يَصِلُ نَدِيمًا لَهُ كُلَّ يَوْمٍ بِمِئَةِ دِينَارٍ فَلَمَّا عَزَمَ على السَّفَرِ أَعْطَاهُ ثَلَاثَةَ آلافِ دِينَارٍ (٣) .

وقيل : إِنَّهُ حَجَّ فَلَمَّا حَلَقَ رَأْسَهُ الحَلَّاقُ أَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَدُهَشَ بِهَا وَقَالَ : أَمْضِي أُبَشِّرُ أُمَّيْ قَالَ : أَعْطُوهُ أَلْفًا أُخْرَى فَقَالَ : امْرَأَتِي طَالِقٌ إِنْ حَلَقْتُ لِأَحَدٍ بَعْدَكَ قَالَ : أَعْطُوهُ أَلْفَيْنِ آخَرَيْنِ (٤) .

عن ابنِ نُوحٍ قَالَ : سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ القَسْرِيَّ يَقُولُ على المِنْبَرِ : إِنِّي لِأَطْعِمُ كُلَّ يَوْمٍ سِتَّةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنَ الأَعْرَابِ تَمْرًا وَسَوِيْقًا (٥) .

وقال مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ ، سَمِعْتُ أَبِي قَالَ : كَانَ ابنُ المُبَارَكِ إِذَا كَانَ وَقتُ الحَجِّ ، اجْتَمَعَ إلىهِ إِخْوَانُهُ مِنْ أَهْلِ مَرَوْ ، فيقولون : نَصَحْبُكَ ، فيقولُ : هَاتُوا نَفَقَاتِكُمْ ، فَيَأْخُذُ نَفَقَاتِهِمْ ، فيجعلُها في صُنْدُوقٍ ، وَيُقْفِلُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ يَكْتَرِي لَهَا ،

(١) انظر السير : (القَسْرِيُّ) ٥/٤٢٥-٤٣٢ ، وانظر النزهة : ٥/٦١٨ .

(٢) انظر السير : (بِشْرِ بْنِ الحَارِثِ) ١٠/٤٦٩-٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٩/٨٨٥ .

(٣) انظر السير : (يَزِيدُ بْنُ المُهَلَّبِ) ٤/٥٠٣-٥٠٦ ، وانظر النزهة : ٤/٥٤٤ .

(٤) انظر السير : (يَزِيدُ بْنُ المُهَلَّبِ) ٤/٥٠٣-٥٠٦ ، وانظر النزهة : ٢/٥٤٥ .

(٥) انظر السير : (القَسْرِيُّ) ٥/٤٢٥-٤٣٢ ، وانظر النزهة : ٣/٦١٩ .

ويُخرجُهم من مَرَوْ إلى بَغدادَ ، فلا يَزَالُ يُنْفِقُ عليهم وَيُطْعِمُهُم أَطْيَبَ الطَّعامِ ، وَأَطْيَبَ الحَلْوَى ، ثم يُخرجُهم من بَغدادَ بأحْسَنِ زِيٍّ وأكْمَلِ مَرُوءَةٍ ، حتَّى يَصِلُوا إلى مَدِينَةِ الرِّسُولِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، فيقولُ لِكُلِّ واحدٍ : ما أَمَرَكَ عِيالُكَ أَنْ تَشْتريَ لهم من المَدِينَةِ من طُرْفِها ؟ فيقولُ : كذا وكذا فيشْتريَ لهم ، ثم يُخرجُهم إلى مَكَّةَ ، فإذا قَضُوا حَجَّهم ، قال لِكُلِّ واحدٍ منهم : ما أَمَرَكَ عِيالُكَ أَنْ تَشْتريَ لهم من مَتاعِ مَكَّةَ ؟ فيقولُ : كذا وكذا ، فيشْتريَ لهم ، ثم يُخرجُهم من مَكَّةَ ، فلا يَزَالُ يُنْفِقُ عليهم إلى أَنْ يَصيروا إلى مَرَوْ ، فيجْصَصُ بُيوتَهُم وأَبوابَهُم ، فإذا كان بعد ثلاثة أَيامَ ، عَمَلَ لهم وَليمَةً وكَساهم ، فإذا أَكَلُوا وسُرُّوا ، دَعَا بالصُّندوقِ ، فَفَتَحَهُ ودَفَعَ إلى كُلِّ رَجُلٍ منهم صُرَّتهُ ، عليها اسْمُهُ .

وقال مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى : سَمِعْتُ عبدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ يَقولُ : ما رَأَتْ عَيْنايَ مِثْلَ أَرْبَعَةٍ : ما رَأَيْتُ أَحْفَظَ للحَدِيثِ مِنَ الثُّورِيِّ ، ولا أَشَدَّ تَقَشُّفاً مِنَ شُعْبَةَ ، ولا أَعْقَلَ مِنَ مالِكِ ، ولا أَنْصَحَ لِلأُمَّةِ مِنَ ابنِ المُبارَكِ^(١) .

٤- شِعْرٌ فِي الكَرَمِ :

جاءَ في تَرْجَمَةِ خالِدِ بْنِ الخَلِيفَةِ يَزِيدِ بْنِ مُعاوِيَةَ ، قال أبو زُرْعَةَ الدَّمَشْقِيُّ : هو وأَخِواه من صالحِ القَوْمِ .

وقال الإمامُ الذَّهَبِيُّ : أَجازَ شاعِراً بِمِثَّةِ ألفِ لِقَوْلِهِ فيه^(٢) :

سَأَلْتُ النَّدى وَالجُودَ حُرَّانِ أَنْتَما فَقالا جَميعاً إِنَّنا لَعَيِّد
فَقُلْتُ فَمَنْ مَولِا كَما فَتَطَاوَلَا عَلَيَّ وَقالا خالِدُ بْنُ يَزِيدَ

وقال الإمامُ الذَّهَبِيُّ في تَرْجَمَةِ القَسْرِيِّ ، وقيلَ أَنشَدَهُ أعرابيٌّ :

أَخالِدُ بَيْنَ الحَمْدِ والأَجْرِ حَاجَتِي فَأَيُّهُما يَأْتِي فَأَنْتَ عِمادُ
أَخالِدُ إِنِّي لَمْ أَزُرْكَ لِحَاجَةٍ سِوَى أَنَّنِي عَافٍ وَأَنْتَ جِوادُ

(١) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٣٧٨-٤٢١ ، وانظر النزهة : ٤/٧٦٦ .

(٢) انظر السير : (خالد بن الخليفة يزيد) ٣٨٢-٣٨٣ ، وانظر النزهة : ٢/٥١٥ .

فَقَالَ : سَلْ ، قَالَ : مِئَةُ أَلْفٍ ، قَالَ : أَسْرَفْتُ يَا أَعْرَابِيَّ ، قَالَ : فَأَحْطُ لِلأَمِيرِ ؟
قَالَ : نَعَمْ قَالَ : قَدْ حَطَطْتُكَ تِسْعِينَ أَلْفًا ، فَتَعَجَّبَ مِنْهُ ، فَقَالَ : سَأَلْتُكَ عَلَى قَدْرِكَ ،
وَحَطَطْتُكَ عَلَى قَدْرِي ، وَمَا أَسْتَاهِلُهُ فِي نَفْسِي ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا تَغْلُبُنِي ، يَا غَلَامَ
أَعْطِهِ مِئَةَ أَلْفٍ^(١) .

٥- مَنْ هُوَ الْكَرِيمُ ؟

عَنْ أَبِي حَفْصِ النَّيْسَابُورِيِّ ، قَالَ : مَا اسْتَحَقَّ اسْمَ السَّخَاءِ مِنْ ذَكَرَ الْعَطَاءَ
وَلَا لَمَحَهُ بِقَلْبِهِ^(٢) .

٦- الْكَرَمُ الْحَقِيقِيُّ :

عَنْ أَبِي حَفْصِ النَّيْسَابُورِيِّ ، قَالَ : الْكَرَمُ طَرْحُ الدُّنْيَا لِمَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا وَالْإِقْبَالُ
عَلَى اللَّهِ بِحَاجَتِكَ إِلَيْهِ^(٣) .

٧- صُورٌ مِنَ الْكَرَمِ وَالْجُودِ :

عَنْ ابْنِ سِيرِينَ : كَانَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ يَرْجِعُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى أَهْلِهِ بِثَمَانِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ
يُعَشِّيهِمْ^(٤) .

وَكَانَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَعِدَّةٌ آبَاءٍ لَهُ قَبْلَهُ يُنَادِي عَلَى أُطْمِهِمْ : مَنْ أَحَبَّ الشَّحْمَ وَاللَّحْمَ
فَلْيَأْتِ أُطْمَ دَلِيمِ بْنِ حَارِثَةَ^(٥) .

عَنْ عَطَاءٍ : أَنَّ مُعَاوِيَةَ بَعَثَ إِلَى عَائِشَةَ بِقِلَادَةٍ بِمِئَةِ أَلْفٍ فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ أُمَّهَاتِ
الْمُؤْمِنِينَ^(٦) .

-
- (١) انظر السير : (الْقَسْرِيِّ) ٤٢٥-٤٣٢ ، وانظر النزهة : ٤/٦١٩ .
 - (٢) انظر السير : (أَبُو حَفْصِ النَّيْسَابُورِيِّ) ١٢/٥١٠-٥١٣ ، وانظر النزهة : ١٠/١٠٢٥ .
 - (٣) انظر السير : (أَبُو حَفْصِ النَّيْسَابُورِيِّ) ١٢/٥١٠-٥١٣ ، وانظر النزهة : ١١/١٠٢٥ .
 - (٤) انظر السير : (سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ) ١/٢٧٠-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ١/١٦٢ .
 - (٥) انظر السير : (سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ) ١/٢٧٠-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٢ .
 - (٦) انظر السير : (عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ) ٢/١٣٥-٢٠١ ، وانظر النزهة : ١/٢٤٤ .

عن القاسم بن محمد : سمعت ابن الزبير يقول : ما رأيت امرأة أجود من عائشة وأسماء ، وجودهما مختلف : أمّا عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا اجتمع عندها وضعت مواضعه وأمّا أسماء فكانت لا تدخر شيئاً لغد^(١) .

وقال الواقدي : حدثنا داود بن قيس ، ومالك ، وطائفة قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة في سرية فيها المهاجرون والأنصار وهم ثلاث مئة إلى ساحل البحر إلى حي من جهينة فأصابهم جوع شديد فأمر أبو عبيدة بالزاد فجمع حتى كانوا يقتسمون التمرة فقال قيس بن سعد : من يشتري مني تمراً بجزر يوفيني الجزر ها هنا وأوفيه التمر بالمدينة فجعل عمر يقول : يا عجباً لهذا الغلام يدين في مال غيره فوجد رجلاً من جهينة فساومه فقال : ما أعرفك ! قال : أنا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم فقال : ما أعرفني بنسبك أما إن بيني وبين سعد حلة سيّد أهل يثرب فابتاع منه خمس جزائر كل جزور بوسق من تمر وأشهد له نقرأ فقال عمر : لا أشهد لهذا يدين ولا مال له إنما المال لأبيه فقال الجهني : والله ما سعد ليخني^(٢) بابنه في شقة من تمر وأرى وجهاً حسناً فحرها لهم في ثلاثة مواطن فلما كان في اليوم الرابع نهاه أميره ، وقال : تريد أن تحرب ذمتك ولا مال لك .

قال^(٣) : فحدثني محمد بن يحيى بن سهل ، عن أبيه عن رافع بن خديج قال : بلغ سعد ما أصاب القوم من المجاعة ، فقال : إن يك قيس كما أعرف فسوف ينحر للقوم ، فلما قدم ، قص على أبيه ، وكيف منعه آخر شيء من النحر ، فكتب له أربع حوائط^(٤) أدنى حائط منها يجذ^(٥) خمسين وسقاً ، فقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه ، قال : « أما إنه في بيت جود » .

(١) انظر السير : (أسماء بنت أبي بكر) ٢٨٧-٢٩٦ ، وانظر النزاهة : ٣/٢٦٢ .

(٢) قوله (ليخني) أي : يسلمه ويخفر ذمته ، من أخنى عليه الدهر ، وقوله (في شقة من تمر) أي : قطعة تُشق منه .

(٣) أي الواقدي .

(٤) الحوائط : جمع حائط ، وهو البستان من النخيل إذا كان عليه حائط ، وهو الجدار .

(٥) يجذ : من الجداد ، وهو قطع الثمر ، والمعنى : أقل بستان منها يعطي من الثمار خمسين وسقاً .

وقال أبو عاصم : حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَّةُ ، قَالَ : كَانَ قَيْسُ يَسْتَدِينُ وَيُطْعِمُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ : إِنَّ تَرَكْنَا هَذَا الْفَتَى ، أَهْلَكَ مَالَ أَبِيهِ ، فَمَشِيَ فِي النَّاسِ ، فَقَامَ سَعْدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ وَابْنِ الْخَطَّابِ ، يُيَخَّلَانِ عَلَيَّ ابْنِي (١) .

وقيل : وَقَفْتُ عَلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ عَجُوزٌ فَقَالَتْ : أَشْكُو إِلَيْكَ قِلَّةَ الْجُرْذَانِ فَقَالَ : مَا أَحْسَنَ هَذِهِ الْكِنَايَةَ ، اْمَلُّوْا وَبَيْتَهَا خُبْرًا وَلِخِمًا وَسَمْنَا وَتَمْرًا (٢) .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : باع قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ مَالًا مِنْ مُعَاوِيَةَ بِتِسْعِينَ أَلْفًا فَأَمَرَ مَنْ نَادَى فِي الْمَدِينَةِ مَنْ أَرَادَ الْقَرْضَ فَلِيَّاتٍ فَأَقْرَضَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا وَأَجَّازَ بِالْبَاقِي ، وَكَتَبَ عَلَيَّ مَنْ أَقْرَضَهُ فَمَرَضَ مَرَضًا قَلَّ عَوَادُهُ ، فَقَالَ لَزَوْجَتِهِ قُرَيْبَةَ أُخْتِ الصَّدِيقِ : لِمَ قَلَّ عَوَادِي ؟ قَالَتْ : لِلدَّيْنِ ، فَأَرْسَلْ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ بِصَكِّهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مَالًا وَفِعَالًا فَإِنَّهُ لَا تَصْلُحُ الْفِعَالُ إِلَّا بِالْمَالِ (٣) .

قال ابن سيرين : تزوج الحسنُ امرأةً فأرسلَ إليها مئةَ جاريةٍ مع كلِّ جاريةٍ ألفُ درهمٍ (٤) .

وكان الحسنُ يُعطي الرَّجُلَ الواحدَ مئةَ ألفٍ (٥) .

قيل : إِنَّ أَعْرَابِيًّا قَصَدَ مَرْوَانَ فَقَالَ : مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ ، فَعَلَيْكَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَاتَى الْأَعْرَابِيُّ عَبْدَ اللَّهِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَبُو جَعْفَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نُبُوَّةٍ	صَلَاتُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ طَهُورٌ
أَبَا جَعْفَرٍ ضَنَّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ	وَأَنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ أَمِيرٌ
أَبَا جَعْفَرٍ يَا ابْنَ الشَّهِيدِ الَّذِي لَهُ	جَنَاحَانِ فِي أَعْلَى الْجَنَانِ يَطِيرُ
أَبَا جَعْفَرٍ مَا مِثْلُكَ الْيَوْمَ أَرْتَجِي	فَلَا تَتْرَكْنِي بِالْفَلَاةِ أَدُورُ

(١) انظر السير : (قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ) ١٠٢/٣ - ١١٢ ، وانظر النزهة : ٤/٣٤٣ .

(٢) انظر السير : (قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ) ١٠٢/٣ - ١١٢ ، وانظر النزهة : ١/٣٤٤ .

(٣) انظر السير : (قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ) ١٠٢/٣ - ١١٢ ، وانظر النزهة : ٢/٣٤٤ .

(٤) انظر السير : (الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) ٢٤٥-٢٧٩/٣ ، وانظر النزهة : ٤/٣٧٩ .

(٥) انظر السير : (الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) ٢٤٥-٢٧٩/٣ ، وانظر النزهة : ٥/٣٧٩ .

فَقَالَ : يَا أَعْرَابِي سَارَ الثَّقَلُ فَعَلَيْكَ بِالرَّاحِلَةِ بِمَا عَلَيْهَا وَإِيَّاكَ أَنْ تُخَدَعَ عَنِ السَّيْفِ
فَإِنِّي أَخَذْتَهُ بِالْفِ دِينَارٍ (١) .

وَيُرْوَى أَنَّ شَاعِرًا جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَأَنْشَدَهُ :

رَأَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ فِي الْمَنَامِ كَسَانِي مِنَ الْخَزْرِ ذُرَاعَةً
شَكَوْتُ إِلَيَّ صَاحِبِي أَمْرَهَا فَقَالَ سَتُوتِي بِهَا السَّاعَةَ
سَيَكْسُوكَهَا الْمَاجِدُ الْجَعْفَرِيُّ وَمَنْ كَفَّهُ الدَّهْرُ نَفَاعَةً
وَمَنْ قَالَ لِلْجُودِ لَا تَعُدْنِي فَقَالَ لَهُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةَ

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِعَلَامِهِ : أَعْطَاهُ جُبَّتِي الْخَزْرَ ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ كَيْفَ لَمْ تَرَ جُبَّتِي
الْوَشْيَ ؟ اشْتَرَيْتُهَا بِثَلَاثِ مِئَةِ دِينَارٍ مَنْسُوجَةً بِالذَّهَبِ فَقَالَ : أَنَامُ فَلَعَلِّي أَرَاهَا فَضَحِكَ
عَبْدُ اللَّهِ وَقَالَ اذْفَعُوهَا لَهُ (٢) .

عَنِ الْأَضْمَعِيِّ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ بِدَجَاجَةٍ مَسْمُوطَةٍ فَقَالَتْ لِابْنِ جَعْفَرٍ : بِأَبِي أَنْتَ هَذِهِ
الدَّجَاجَةُ كَانَتْ مِثْلَ بِنْتِي فَأَلَيْتُ أَنْ لَا أَدْفِنَهَا إِلَّا فِي أَكْرَمِ مَوْضِعٍ أَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَا وَاللَّهِ مَا فِي
الْأَرْضِ أَكْرَمَ مِنْ بَطْنِكَ قَالَ : خُذْهَا مِنْهَا وَاحْمِلُوا إِلَيْهَا ، فَذَكَرَ أَنْوَاعًا مِنَ الْعَطَاءِ ، حَتَّى
قَالَتْ : بِأَبِي أَنْتَ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣) .

ذَكَرَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : دَخَلَ ابْنُ
أَبِي عَمَّارٍ وَهُوَ يَوْمئِذٍ فَفِيهِ أَهْلُ الْحِجَازِ عَلَى نَخَاسٍ فَعَرَضَ عَلَيْهِ جَارِيَةً فَعَلَّقَ بِهَا وَأَخَذَهُ
أَمْرٌ عَظِيمٌ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ مِقْدَارٌ ثَمَنِيهَا فَمَشَى إِلَيْهِ عَطَاءٌ وَطَاوُوسٌ وَمُجَاهِدٌ يَعْدُلُونَهُ وَيَبْلَغُ
خَبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ فَاشْتَرَاهَا بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا وَزَيْنَهَا وَحَلَّاهَا ثُمَّ طَلَبَ ابْنَ أَبِي عَمَّارٍ فَقَالَ :
مَا فَعَلَ حُبُّكَ فُلَانَةَ ؟ قَالَ : هِيَ الَّتِي هَامَ قَلْبِي بِذِكْرِهَا وَالنَّفْسُ مَشْغُولَةٌ بِهَا فَقَالَ :
يَا جَارِيَةَ أَخْرِجِيهَا فَأَخْرَجَتْهَا تَرَفُّلٌ فِي الْحُلِيِّ وَالْحُلْلِ ، فَقَالَ : شَأْنُكَ بِهَا بَارَكَ اللَّهُ لَكَ
فِيهَا فَقَالَ : تَفَضَّلْتُ بِشَيْءٍ مَا يَتَفَضَّلُ بِهِ إِلَّا اللَّهَ فَلَمَّا وَلَّى بِهَا قَالَ : يَا غُلَامُ احْمِلْ مَعَهُ

- (١) انظر السير : (عبدُ الله بن جَعْفَرٍ) ٤٥٦/٣-٤٦٢ ، وانظر النزهة : ٤/٤٠٨ .
(٢) انظر السير : (عبدُ الله بن جَعْفَرٍ) ٤٥٦/٣-٤٦٢ ، وانظر النزهة : ٥/٤٠٨ .
(٣) انظر السير : (عبدُ الله بن جَعْفَرٍ) ٤٥٦/٣-٤٦٢ ، وانظر النزهة : ٢/٤٠٩ .

مئة ألف درهم فقال : لئن والله وُعدنا نعيم الآخرة فقد عَجَلت نعيم الدنيا^(١) .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة القسري ، وقيل أنشده أعرابي :

أخالد بين الحمْد والأجرِ حاجتي فأيهما يأتي فأنت عماد
أخالد إنني لم أزرِك لحاجة سوى أنني عافٍ وأنت جواد

فقال : سل ، قال : مئة ألف ، قال : أسرقت يا أعرابي ، قال : فأحطُّ للأمير ؟
قال : نعم قال : قد حططتكَ تسعين ألفاً ، فتعجب منه ، فقال : سألتك على قدرك ،
وحططتكَ على قدري ، وما أستأهله في نفسي ، قال : لا والله لا تغلبي ، يا غلام
أعطه مئة ألف^(٢) .

عن يحيى الوحاظي : ما رأيت رجلاً كان أكبر نفساً من إسماعيل ابن عيَّاش ، كنَّا
إذا أتيناَه إلى مزرعة لا يرضى لنا إلا بالخروفِ والحبيصِ ، سمعته يقول : ورثت من
أبي أربعة آلاف دينار ، فأنفقتُها في طلب العلم^(٣) .

المُدَّاراة

١- رضا النَّاسِ غايةٌ لا تُدرَكُ :

قال يونسُ بنُ عبدِ الأعلى : قال الشَّافعيُّ لي : رضا النَّاسِ غايةٌ لا تُدرَكُ وليسَ إلى
وَالسَّلَامَةِ مِنْهُمْ سَبِيلٌ فَعَلَيْكَ بِمَا يَنْفَعُكَ فَالزَّمَهُ^(٤) .

٢- التَّعَاوُلُ نَوْعٌ مِنَ الْمُدَّارَةِ أَحْيَاناً :

عَنِ الشَّافِعِيِّ قَالَ : اللَّيِّبُ الْعَاقِلُ هُوَ الْفَطِنُ الْمُتَعَاوِلُ^(٥) .

-
- (١) انظر السير : (عبد الله بن جعفر) ٤٥٦-٤٦٢ ، وانظر النزهة : ٣/٤٠٩ .
 - (٢) انظر السير : (القسري) ٤٢٥-٤٣٢ ، وانظر النزهة : ٤/٦١٩ .
 - (٣) انظر السير : (إسماعيل بن عيَّاش) ٣١٢-٣٢٨ ، وانظر النزهة : ٤/٧٦٠ .
 - (٤) انظر السير : (الإمام الشافعي) ١٠/٩٩ ، وانظر النزهة : ٤/٨٥٣ .
 - (٥) انظر السير : (الإمام الشافعي) ١٠/٩٩ ، وانظر النزهة : ٦/٨٥٣ .

٣- صُوْرٌ مِنَ الْمُدَارَاةِ :

عن بلال بن يحيى قال : بلغني أنّ حذيفة بن اليمان كان يقول : ما أدرك هذا الأمر أحد من الصحابة إلا قد اشتري بعض دينه ببعض قالوا : وأنت ؟ قال : وأنا والله إنني لأدخل على أحدهم - وليس أحد إلا فيه محاسن ومساويء - فأذكر محاسنه وأعرض عما سوى ذلك ، وربّما دعاني أحدهم إلى الغداء ، فأقول : إنني صائم ولست بصائم^(١) .

وعن الأحنف بن قيس ، قال : ما نازعني أحد إلا أخذت أمري بأمر ، إن كان فوق عرفت له ، وإن كان دوني رفعت قدرتي عنه ، وإن كان مثلي تفضلت عليه^(٢) .

عن ابن الحنفية قال : ليس بحكيم من لم يعاشر بمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله من أمره فرجاً أو قال مخرجاً^(٣) .

قال هشام بن عروة بن الزبير : قال أبي : ربّ كلمة ذلّ احتملتها أورثتني عزاً طويلاً^(٤) .

عن مالك قال : كان في نافع حدة ثم حكى مالك أنّه كان يلاطفه ويُداريه^(٥) .

وعن إسماعيل بن أبي أويس ، عن أبيه : كنّا نختلف إلى نافع وكان سيء الخلق ، فقلت : ما أصنع بهلذا العبد ! فتركته ولزمه غيري فانتفع به^(٦) .

قال أبو الوليد الباجي : عبد الغني بن سعيد حافظ متقن ، قلت لأبي ذر الهروي : أخذت عن عبد الغني ؟ فقال : لا إن شاء الله على معني التأكيد ، وذلك أنّه كان لعبد الغني اتصال ببني عبّيد ، يعني أصحاب مصر .

(١) انظر السير : (حذيفة بن اليمان) ٢/٣٦١-٣٦٩ ، وانظر النزّهة : ٣/٢٧٦ .

(٢) انظر السير : (الأحنف بن قيس) ٤/٨٦-٩٧ ، وانظر النزّهة : ٩/٤٥١ .

(٣) انظر السير : (ابن الحنفية) ٤/١١٠-١٢٩ ، وانظر النزّهة : ٥/٤٥٨ .

(٤) انظر السير : (عروة بن الزبير) ٤/٤٢١-٤٣٧ ، وانظر النزّهة : ٥/٥٢٨ .

(٥) انظر السير : (نافع) ٥/٩٥-١٠١ ، وانظر النزّهة : ٢/٥٨٥ .

(٦) انظر السير : (نافع) ٥/٩٥-١٠١ ، وانظر النزّهة : ٣/٥٨٥ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : اتَّصَلَهُ بِالذَّوْلَةِ الْعَبِيدِيَّةِ كَانَ مُدَارَاةً لَهُمْ وَإِلَّا فَلَوْ جَمَحَ عَلَيْهِمْ لاسْتَأْصَلَهُ الْحَاكِمُ خَلِيفَةً مِصْرَ ، الَّذِي قِيلَ إِنَّهُ ادَّعَى الْإِلَهِيَّةَ .
 وَأَطْنَتْهُ وَلِيَّ وَظِيفَةً لَهُمْ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَتَمَّةِ الْأَثَرِ نَشَأَ فِي سُنَّةٍ وَاتَّبَاعَ قَبْلَ وُجُودِ الرَّفِضِ وَأَسْتَمَرَ هُوَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْحَدِيثِ وَلَكِنَّهُ دَارَى الْقَوْمَ وَدَاهَنَهُمْ فَلِذَلِكَ لَمْ يُحِبَّ الْحَافِظُ أَبُو ذَرِّ الْأَخْذَ عَنْهُ (١) .

الْمَرْوَةَ

صُورٌ عَلَى الْمَرْوَةِ :

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ : قِيلَ لِلْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ : بِمِ سَوْدُوكَ ؟ قَالَ : لَوْ عَبَّ النَّاسُ الْمَاءَ لَمْ أَشْرِبُهُ (٢) .

وَقَالَ الْأَخْنَفُ : مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَعَنْهُ سُئِلَ : مَا الْمَرْوَةُ ؟ قَالَ : كِتْمَانُ السَّرِّ وَالْبُعْدُ مِنَ الشَّرِّ وَعَنْهُ : الْكَامِلُ مَنْ عُدَّتْ سَقَطَاتُهُ (٣) .

وَقِيلَ : كَانَ الْأَخْنَفُ إِذَا أَتَاهُ رَجُلٌ وَسَّعَ لَهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سِعَةٌ أَرَاهُ كَأَنَّهُ يُوسِّعُ لَهُ (٤) .
 وَعَنْ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : جَنَّبُوا مَجَالِسَنَا ذِكْرَ النِّسَاءِ وَالطَّعَامِ إِنِّي أَبْغَضُ الرَّجُلَ يَكُونُ وَصَافًا لِفَرْجِهِ وَبَطْنِهِ (٥) .

عَنْ جَمِيلِ بْنِ مُرَّةٍ قَالَ : كَانَ مُورِقٌ رَحِمَهُ اللَّهُ يَجِيئُنَا فَيَقُولُ : أَمْسِكُوا لَنَا هَذِهِ الصُّرَّةَ فَإِنْ احْتَجْتُمْ فَأَنْفِقُوهَا فَيَكُونُ آخِرَ عَهْدِهِ بِهَا (٦) .

-
- (١) انظر السير : (عبد الغني بن سعيد) ١٧/٢٦٨-٢٧٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٤٠ .
 - (٢) انظر السير : (الأخنف بن قيس) ٤/٨٦-٩٧ ، وانظر النزهة : ١/٤٥١ .
 - (٣) انظر السير : (الأخنف بن قيس) ٤/٨٦-٩٧ ، وانظر النزهة : ٦/٤٥٢ .
 - (٤) انظر السير : (الأخنف بن قيس) ٤/٨٦-٩٧ ، وانظر النزهة : ١٠/٤٥٢ .
 - (٥) انظر السير : (الأخنف بن قيس) ٤/٨٦-٩٧ ، وانظر النزهة : ١/٤٥٣ .
 - (٦) انظر السير : (مورق) ٤/٣٥٣-٣٥٥ ، وانظر النزهة : ١/٥١٠ .

وعن عبد العزيز بن عمر : قال لي رجاء بن حيوة : ما أكمل مروءة أبيك ! سمرتُ عنده ، فعسبي السراج ، وإلى جانبه وصيفٌ نام ، قلتُ : ألا أنبئه ؟ قال : لا ، دعه ، قلتُ : أنا أقوم ، قال : لا ليس من مروءة الرجل استخداؤه ضيفه ، فقام إلى بطة^(١) الزيت وأصلح السراج ، ثم رجع ، وقال : قمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز ، ورجعتُ وأنا عمر بن عبد العزيز^(٢) .

وقال أيوب بن المونكل : كان الخليل بن أحمد الفراهيدي إذا أفاد إنساناً شيئاً لم يره بأنه أفاده ، وإن استفاد من أحد شيئاً أراه بأنه استفاد منه .
قال الإمام الذهبيُّ معقباً : صار طوائف في زماننا بالعكس^(٣) .

وقال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، سمعتُ أبي قال : كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج ، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو ، فيقولون : نصحبك ، فيقول : هاتوا نفقاتكم ، فيأخذ نفقاتهم ، فيجعلها في صندوق ، ويقفل عليها ، ثم يكتري له ، ويخرجهم من مرو إلى بغداد ، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام ، وأطيب الحلوى ، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زبي وأكمل مروءة ، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيقول لكل واحد : ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها ؟ فيقول : كذا وكذا فيشتري لهم ، ثم يخرجهم إلى مكة ، فإذا قضا حجاجهم ، قال لكل واحد منهم : ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة ؟ فيقول : كذا وكذا ، فيشتري لهم ، ثم يخرجهم من مكة ، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو ، فيجصصُ بيوتهم وأبوابهم ، فإذا كان بعد ثلاثة أيام ، عمل لهم وليمة وكساهم ، فإذا أكلوا وسرؤوا ، دعا بالصندوق ، ففتحَه ودفعَ إلى كل رجلٍ منهم صرته ، عليها اسمه .

وقال محمد بن المثنى : سمعتُ عبد الرحمن بن مهدي يقول : ما رأيتُ عيناى

(١) البطة : الدبة بلغة أهل مكة ، لأنها تعمل على شكل البطة من الحيوان ، وهي إناء كالقارورة .

(٢) انظر السير : (عمر بن عبد العزيز) ١١٤/٥ - ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٨/٥٩٠ .

(٣) انظر السير : (الخليل) ٤٢٩/٧ - ٤٣١ ، وانظر النزهة : ٤/٧١٣ .

مثل أُرْبَعَة : ما رأيتُ أَحْفَظَ لِلْحَدِيثِ مِنَ الثَّوْرِيِّ ، وَلَا أَشَدَّ تَقَشُّمًا مِنْ شُعْبَةَ ،
وَلَا أَعْقَلَ مِنْ مَالِكِ ، وَلَا أَنْصَحَ لِلْأُمَّةِ مِنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ (١) .

وقال الربيع : كان الشافعي ماراً بالحدائين فسقط سوطه فوثب غلامٌ ومسح به بكمه
وناوله فأعطاه سبعةً دنانير (٢) .

وعن الشافعي ، قال : لو أعلم أن الماء البارد يُنقصُ مروءتي ما شربته (٣) .

قال أحمد بن مهدي : جاءني امرأةٌ ببغداد ليلةً ، فذكرت أنها من بنات الناس وأنها
امتحت بمحنة ، وأسألك بالله أن تسترني فقد أكرهت على نفسي وأنا حُبلى ، وقلتُ :
إنك زوجي فلا تفضخني فكتبتُ عنها ومضيت فلم أشعر حتى جاء إمام المَحَلَّةِ
والجيران يُهتئوني بالولد الميمون فأظهرت التهليل ووزنت في اليوم الثاني للإمام
دينارين ، وقلتُ : أعطها نفقةً فقد فارقتها وكنتُ أعطيها في كل شهرٍ دينارين حتى أتى
على ذلك ستان فمات الطفلُ وجاءني الناسُ يعزوني فكنْتُ أظهر لهم التسليم والرضا
فجاءني بعد أيام بالدنانير فردتها ودعت لي ، فقلتُ : هذا الذهبُ كان صلةً للولد وقد
ورثته وهو لك (٤) .

وكان محمد بن جرير رُبما أهدى إليه بعضُ أصدقائه الشيءَ فيقبله ويكافئه أضعافاً
لِعَظَمِ مَرُوءَتِهِ (٥) .

قال يحيى بن منددة : سمعتُ أبي يقولُ : أفطرنا في رمضان ليلةً شديدةَ الحرِّ
فكنَّا نأكلُ ونشربُ وكان أخي عبد الرحمن يأكلُ ولا يشربُ فخرجتُ وقلتُ : إن من
عادةِ أخي أنه يأكلُ ليلةً ولا يشربُ ، ويشربُ ليلةً أخرى ولا يأكلُ قال : فما شربتُ تلكَ
الليلةَ واللييلةُ الآتيةُ كان يشربُ ولا يأكلُ البتةُ فلما كان في الليلةِ الثالثةِ قال :

(١) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٣٧٨-٤٢١ ، وانظر النزهة : ٤ / ٧٦٦ .

(٢) انظر السير : (الإمام الشافعي) ١٠ / ٥-٩٩ ، وانظر النزهة : ٩ / ٨٤٨ .

(٣) انظر السير : (الإمام الشافعي) ١٠ / ٥-٩٩ ، وانظر النزهة : ٧ / ٨٥٣ .

(٤) انظر السير : (أحمد بن مهدي) ١٢ / ٥٩٧-٥٩٨ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٠٣٨ .

(٥) انظر السير : (محمد بن جرير) ١٤ / ٢٦٧-٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٣ / ١١٥٠ .

يا أخي لا تلعب بعد هذا فإنني ما اشتييت أن أكذبك^(١) .

وكان الإمام الطُّرُوشِيّ يأتي إلى الفقهاء وهم نياماً ، فيضع في أفواههم الدنانير فيهبون فيرونها في أفواههم^(٢) .

المؤاساة

عن أبي هريرة قال : كنا نسمي جعفرأبا المساكين كان يذهب بنا إلى بيته فإذا لم يجد لنا شيئاً أخرج إلينا عكة^(٣) أثرها عسل ، فنشققها ونلغقها^(٤) .

وقيل : كانت لأبي بزرة جفنة من ثريد غدوة وجفنة عشيّة للأراميل واليتامى والمساكين^(٥) .

عن عراك بن مالك أن حكيم بن حزام قال : كان مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم أحبَّ النَّاسِ إليّ في الجاهليّة فلما نُبئَ وهاجرَ شهدَ حكيمُ الموسِمَ كافرأ ، فوجدَ حلّةً لذي يزنُ تباعُ ، فاشتراها بخمسين ديناراً ليُهدِيها إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقدمَ بها عليه المدينةَ ، فأرادَه على قبضِها هديّةً ، فأبى ، قال عبدُ الله حَسِبْتُهُ قال : « إِنَّا لَا نَقْبَلُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَيْئاً ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ بِالثَّمَنِ » ، قال : فأعطيته حينَ أبى عليّ الهدية^(٦) .

وفي رواية ابن صالح زيادة : « فلبسها ، فرأيتها عليه على المنبر ، فلم أر شيئاً أحسنَ منه يومئذٍ فيها ، ثم أعطهاها أسامةَ فرأها حكيمُ على أسامة ، فقال : يا أسامة!! أتلبسُ حلّةً ذي يزن ؟ قال : نعم والله لأنا خيرٌ منه ، ولأبي خيرٌ من أبيه فانطلقتُ إلى مكة فأعجبتهُم بقوله^(٧) .

(١) انظر السير : (ابن مندّه) ٣٤٩/١٨ - ٣٥٤ ، وانظر النزّهة : ٤/١٤١٩ .

(٢) انظر السير : (الطُّرُوشِيّ) ٤٩٠/١٩ - ٤٩٦ ، وانظر النزّهة : ٣/١٥٠٠ .

(٣) العكة : ظرف السمن .

(٤) انظر السير : (جعفر بن أبي طالب) ٢٠٦/١ - ٢١٧ ، وانظر النزّهة : ٤/١٥١ .

(٥) انظر السير : (أبو بزرة الأسلمي) ٤٠/٣ - ٤٣ ، وانظر النزّهة : ٤/٣٢٨ .

(٦) انظر السير : (حكيم بن حزام) ٤٤/٣ - ٥١ ، وانظر النزّهة : ٦/٣٢٩ .

(٧) انظر السير : (حكيم بن حزام) ٤٤/٣ - ٥١ ، وانظر النزّهة : ١/٣٣٠ .

وقال ابنُ عُيَيْنَةَ : كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ إِذَا قَصَدَهُ سَأَلُ وَلَيْسَ عِنْدَهُ شَيْءٌ قَالَ :
اَكْتُبْ عَلَيَّ سَجَلًا بِمَسْأَلَتِكَ إِلَى الْمَيْسِرَةِ (١) .

وَذَكَرَ عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ : أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ اسْتَسْقَى مِنْ بَيْتِ فَسَقَوْهُ وَاتَّفَقَ أَنَّ
صَاحِبَ الْمَنْزِلِ أَرَادَ بَيْعَهُ لَدَيْنِ عَلَيْهِ فَأَدَّى عَنْهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِينَارٍ (٢) .

وعن عبدِ اللهِ بنِ جَعْفَرٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَاهُمْ بَعْدَ مَا أُخْبِرَهُمْ بِقَتْلِ
جَعْفَرٍ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَقَالَ : « لَا تَبْكُوا أَحِيَّ بَعْدَ الْيَوْمِ » ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« ائْتُونِي بِبَنِي أَحِي » ، فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّنا أَفْرَاحٌ ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اذْعُوا لِي
الْحَلَّاقَ » ، فَأَمَرَهُ فَحَلَقَ رُؤُوسَنَا ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَّا مُحَمَّدٌ ، فَشَبُهْ
عَمَّنَا أَبِي طَالِبٍ ، وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ فَشَبُهْ خَلْقِي وَخُلُقِي » ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي ، فَأَشَالَهَا ، ثُمَّ
قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرَ فِي أَهْلِهِ ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللهِ فِي صَفْقَتِهِ »
قَالَ : فَجَاءَتْ أُمَّنَا ، فَذَكَرَتْ يُثْمَنَا ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْعَيْلَةُ تَخَافِينَ
عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » (٣) .

عن أبي حمزة الثماليِّ أنَّ عليَّ بنَ الحسينِ كانَ يَحْمِلُ الخُبْزَ بِاللَّيْلِ عَلَى ظَهْرِهِ يَتَّبِعُ بِهِ
المَساكينَ فِي الظُّلْمَةِ وَيَقُولُ : إِنَّ الصَّدَقَةَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ (٤) .

وعن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ : كَانَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ يَعِيشُونَ لَا يَدْرُونَ مَنْ أَيْنَ كَانَ
مَعاشُهُمْ فَلَمَّا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ فَقَدُوا ذَلِكَ الَّذِي كَانُوا يُؤْتُونَ بِاللَّيْلِ (٥) .

وعن عمرو بنِ ثابتٍ : لَمَّا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ وَجَدُوا بظَهْرِهِ أَثْرًا مِمَّا كَانَ يَنْقُلُ
الجُرْبَ بِاللَّيْلِ إِلَى مَنَازِلِ الأَرَامِلِ (٦) .

(١) انظر السير : (سعيد بن العاص) ٣/٤٤٤-٤٤٩ ، وانظر النزهة : ٤/٤٠٦ .

(٢) انظر السير : (سعيد بن العاص) ٣/٤٤٤-٤٤٩ ، وانظر النزهة : ٥/٤٠٦ .

(٣) انظر السير : (عبد الله بن جعفر) ٣/٤٥٦-٤٦٢ ، وانظر النزهة : ٤/٤٠٧ .

(٤) انظر السير : (علي بن الحسين) ٤/٣٨٦-٤٠١ ، وانظر النزهة : ٦/٥١٨ .

(٥) انظر السير : (علي بن الحسين) ٤/٣٨٦-٤٠١ ، وانظر النزهة : ٧/٥١٨ .

(٦) انظر السير : (علي بن الحسين) ٤/٣٨٦-٤٠١ ، وانظر النزهة : ٨/٥١٨ .

وقال شَيْبَةُ بْنُ نَعَمَةَ : لَمَّا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَجَدُوهُ يَعُولُ مِثَّةَ أَهْلِ بَيْتِ .
 قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : لِهَذَا كَانَ يُبْحَلُ فَإِنَّهُ يُنْفِقُ سِرّاً وَيَظُنُّ أَهْلَهُ أَنَّهُ يَجْمَعُ
 الدَّرَاهِمَ ^(١) .

عن عمرو بن دينار قال : دخل عليُّ بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد في
 مرضه فجعل محمد يبكي فقال : ما شأنك ؟ قال : علي دينٌ قال : وكم هو ؟ قال :
 بضعة عشر ألف دينار قال : فهي علي ^(٢) .

عن بكر بن عبد الله قال : إنني لأرجو أن أعيش عيش الأغنياء وأموت موت الفقراء
 فكان رحمه الله كذلك يلبس كسوته ، ثم يجيء إلى المساكين فيجلس معهم يحدثهم
 ويقول : لعلمهم يفرحون بذلك ^(٣) .

وكان لزيد بن أسلم حلقة للعلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال
 أبو الأعرج : لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيهاً أدنى خصلة فينا التواصي
 بما في أيدينا وما رأيت في مجلسه مماريين ولا متنازعين في حديث لا ينفعنا ^(٤) .

وقال عباس الدوري : كان أبو حمزة السكري من الثقات ، وكان إذا مرض عنده
 من قدر رحل إليه ، ينظر إلى ما يحتاج إليه من الكفاية فيأمر بالقيام به ، ولم يكن يبيع
 السكر ، وإنما سمي السكري لحلاوة كلامه ^(٥) .

وعن محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال : أراد جاز لأبي حمزة السكري أن
 يبيع داره فقيل له : بكم ؟ قال : بألفين ثمن الدار وبألفين جوار أبي حمزة ، فبلغ ذلك
 أبا حمزة فوجه إليه بأربعة آلاف وقال : لا تبع دارك ^(٦) .

-
- (١) انظر السير : (علي بن الحسين) ٤/٣٨٦-٤٠١ ، وانظر النزهة : ١/٥١٩ .
 - (٢) انظر السير : (علي بن الحسين) ٤/٣٨٦-٤٠١ ، وانظر النزهة : ٣/٥١٩ .
 - (٣) انظر السير : (بكر بن عبد الله) ٤/٥٣٢-٥٣٦ ، وانظر النزهة : ٤/٥٥٠ .
 - (٤) انظر السير : (زيد بن أسلم) ٥/٣١٦-٣١٧ ، وانظر النزهة : ٦/٦٠٥ .
 - (٥) انظر السير : (أبو حمزة السكري) ٧/٣٨٥-٣٨٧ ، وانظر النزهة : ٤/٧٠٦ .
 - (٦) انظر السير : (أبو حمزة السكري) ٧/٣٨٥-٣٨٧ ، وانظر النزهة : ٤/٧٠٦ .

قال الإمام الذهبي في ترجمته القاضي أبي يوسف : وكان أبوه فقيراً له حانوت ضعيف ، فكان أبو حنيفة يتعاهد أبا يوسف بالدرهم مئة بعد مئة^(١) .

وقال الإمام الذهبي في ترجمته بقي بن مخلد : قد مشى مع ضعيف في مظلمة إلى إشبيلية ، ومشى مع آخر إلى البيرة ، ومع امرأة ضعيفة إلى جيان^(٢) .

وقال الإمام الذهبي في ترجمته القاضي الحيات : عرف بالحياط لأنه كان يخيط على الأيتام والمساكين حسبة^(٣) .

وقال الحاكم : سمعت أبي يقول : كان القاضي محمد بن علي المروزي طول أيامه يسكن دار ابن حمدون بجذاء دارنا ، وكنت أعرفه يخيط بالليل وإذا تفرغ بالنهار للأيام والضعفاء ، ويعدها صدقة^(٤) .

وقال أحمد بن الحسين الواعظ : أودع أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي عشرة آلاف دينار ليتيم ، فضاقت يده فأنفقها وكبر الصبي ، وأذن له في قبض ماله ، قال ابن أبي موسى : فضاقت علي الأرض ، وتحيرت ، فبكرت علي بغلتي ، وقصدت الكرخ فانتهت بي البغلة إلى درب السلولي ووقفت بي علي باب مسجد دعلج ، فدخلت فصليت خلفه الفجر ، فلما انفتل رحب بي ، وقمنا فدخلنا داره ، فقدمت لنا هريسة ، فأكلت وقصرت ، فقال : أراك منقبضاً ، فأخبرته ، فقال : كل فإن حاجتك تقضى ، فلما فرغنا ، استدعى بالذهب والميزان ، فوزن لي عشرة آلاف دينار وقمت أطير فرحاً ، ثم سلمت المال إلى الصبي بحضرة قاضي القضاة ، وعظم الثناء علي ، فلما عدت إلى منزلي استدعاني أمير من أولاد الخليفة فقال : قد رغبت في معاملتك وتضمينك أملاك ، فضمنتها فربحت في سنتي ربحاً عظيماً وكسبت في ثلاث سنين ثلاثين ألف دينار ، وحملت لدعلج المال ، فقال : سبحان الله ، والله ما نويت

(١) انظر السير : (القاضي أبو يوسف) ٨ / ٥٣٥ - ٥٣٩ ، وانظر النزهة : ٢ / ٧٨٨ .

(٢) انظر السير : (بقي بن مخلد) ١٣ / ٢٨٥ - ٢٩٦ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٠٨٧ .

(٣) انظر السير : (القاضي الحيات) ١٤ / ٥٦٤ - ٥٦٥ ، وانظر النزهة : ٥ / ١١٧٣ .

(٤) انظر السير : (القاضي الحيات) ١٤ / ٥٦٤ - ٥٦٥ ، وانظر النزهة : ١ / ١١٧٤ .

أخذها ، حَلَّ بها الصَّيَّانَ ، فقلتُ : أَيُّها الشَّيْخُ ، أَيُّسُ أَصْلُ هَذَا الْمَالِ حَتَّى تَهَبَ لِي عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ ؟ فقال : نَشَأْتُ ، وَحَفِظْتُ الْقُرْآنَ ، وَطَلَبْتُ الْحَدِيثَ ، وَكُنْتُ أَتَبَرَّزُ ، فَوَافَانِي تَاجِرٌ مِنَ الْبَحْرِ فَقَالَ : أَنْتَ دَعَلَجٌ ؟ قلتُ : نَعَمْ قَالَ : قَدْ رَغِبْتُ فِي تَسْلِيمِ مَالِي إِلَيْكَ مُضَارَبَةً ، فَسَلِّمْ إِلَيَّ بِرِئَاسَةِ بَأَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ لِي : ابْسُطْ يَدَكَ فِيهِ وَلَا تَعْلَمْ مَكَانًا يُنْفَقُ فِيهِ الْمَتَاعُ إِلَّا حَمَلْتَهُ ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَرَدَّدُ إِلَيَّ سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ يَحْمِلُ إِلَيَّ مِثْلَ هَذَا وَالبُضَاعَةُ تَمْتَلِكُ ثُمَّ قَالَ : أَنَا كَثِيرُ الْأَسْفَارِ فِي الْبَحْرِ ، فَإِنْ هَلَكْتُ فَهَذَا الْمَالُ لَكَ عَلَيَّ أَنْ تَصَدَّقَ مِنْهُ ، وَتَبْنِي الْمَسَاجِدَ ، فَأَنَا أَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا ، وَقَدْ ثَمَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَالَ فِي يَدِي ، فَانْكُتُمْ عَلَيَّ مَا عِشْتُ .

قال الحاكمُ : كان السُّلْطَانُ لَا يَتَعَرَّضُ لِتَرْكَةِ ، ثُمَّ لَمْ يَصْبِرْ عَنْ أَمْوَالِ دَعَلَجٍ ، وَقِيلَ : لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا أَيْسَرُ مِنْهُ مِنَ الثُّجَّارِ ، وَتَرَكَوا أَوْقَافَهُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .
مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ وَمِئَةَ (١) .

وجاءَ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ أَبِي ذُهَلٍ ، قَالَ الْحَاكِمُ : صَحْبَتُهُ حَضْرًا وَسَفَرًا فَمَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ وَضُوءًا وَلَا صَلَاةً مِنْهُ وَلَا رَأَيْتُ فِي مَشَايِخِنَا أَحْسَنَ تَضَرُّعًا وَابْتِهَالًا مِنْهُ قِيلَ لِي : إِنَّ عُسْرَ غَلَّتِهِ تَبْلُغُ أَلْفَ حِمْلٍ وَحَدَّثَنِي أَبُو أَحْمَدَ الْكَاتِبُ أَنَّ النُّسْخَةَ بِأَسَامِي مَنْ يَمُونُهُمْ تَزِيدُ عَلَيَّ خَمْسَةَ آلَافِ بَيْتٍ وَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ وَلايَاتٌ جَلِيلَةٌ فَأَبَى .

قال الخَطِيبُ : كان ثِقَّةً نَبِيلاً مِنْ ذَوِي الْأَقْدَارِ الْعَالِيَةِ ، سَمِعْتُ الْبِرْقَانِيَّ يَقُولُ : كانَ مَلِكُ هِراةَ مِنْ تَحْتِ أَمْرِهِ لِقَدْرِهِ وَأَبْوَتَهُ .

اسْتَشْهَدَ ابْنُ أَبِي ذُهَلٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةَ (٢) .

وقيلَ : كانَ الرَّفَاعِيُّ شَافِعِيًّا يَعْرِفُ الْفِقْهَ ، وَقِيلَ : كانَ يَجْمَعُ الْحَطَبَ وَيَجِيءُ بِهِ إِلَى بَيْوتِ الْأَرَامِلِ وَيَمْلَأُ لَهُمُ بِالْجِرَّةِ (٣) .

(١) انظر السير : (دَعَلَجٌ) ١٦/٣٠-٣٥ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٦٦ .

(٢) انظر السير : (ابنُ أبي ذُهَلٍ) ١٦/٣٨٠-٣٨٢ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٩٩ .

(٣) انظر السير : (الرَّفَاعِيُّ) ٢١/٧٧-٨٠ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٠١ .

الوفاء

١- كلمة في الوفاء :

عن الأحنف بن قيس قال : رأس الأدب آله المنطق ، لا خير في قول بلا فعل ، ولا في منظر بلا مخبر ، ولا في مال بلا جود ، ولا في صديق بلا وفاء ، ولا في فقه بلا ورع ، ولا في صدقة إلا بنية ، ولا في حياة إلا بصحة وأمن^(١) .

٢- صورة على الوفاء :

قال السمعاني : كان عطاء بن أبي سعد ممن يضرب به المثل في إرادة شيخ الإسلام^(٢) والجد في خدمته ، وله حكايات ومقامات في خروج شيخه إلى بلخ في المحنة وجرى بينه وبين الوزير نظام الملك محاوراة ومراودة واحتمل له النظام^(٣) .

قال : وسمعت أن عطاء قدّم للخشبة ليصلب فنجأه الله لحسن نيته فلما أطلق عاد إلى التظلم ، وما فتر ، وخرج مع النظام ماشياً إلى الرّوم ، فما ركب ، وكان يخوض الأنهار مع الخيل ويقول : شيخي في المحنة ، فلا أستريح ، قال لي ابنه محمد عنه قال : كنت أعدو في موكب النظام ، فوق نعلي فما التفت ورميت الأخرى فأمسك النظام الدابة وقال : أين نعلك ؟ فقلت وقع أحدهما فخشيت أن تسبقني إن وقفت قال : فلم رميت الأخرى ؟ فقلت : لأن شيخي أخبرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يمشي الرجل في نعل واحد ، فما أردت أن أخالف السنة فأعجبه وقال : أكتب إن شاء الله حتى يرجع شيخك إلى هراة ، وقال لي اركب بعض الجنائب ، فأبيت ، وعرض عليّ مالاً ، فأبيت^(٤) .

(١) انظر السير : (الأحنف بن قيس) ٨٦/٤ - ٩٧ ، وانظر النزهة : ٧/٤٥٢ .

(٢) يعني : أبا إسماعيل الأنصاري .

(٣) انظر السير : (عطاء بن أبي سعد) ٥٤/٢٠ - ٥٦ ، وانظر النزهة : ١/١٥٣٠ .

(٤) انظر السير : (عطاء بن أبي سعد) ٥٤/٢٠ - ٥٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٣٠ .

٣- وَفَاءٌ وَاحِدٍ مِنَ الْكُفَّارِ :

قال الیسعُ بنُ حَزْمٍ : حَدَّثَنِي عَنْهُ أَبُو الْقَاسِمِ هِلَالٌ أَحَدُ وُجُوهِ الْعَرَبِ قَالَ : كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُرَابِطِينَ أَمْرُ الْأَجَانِي إِلَى الْوُفُودِ عَلَى ابْنِ رُذْمِيرٍ^(١) ، فَرَحَّبَ بِي ، وَأَمَرَ لِي بِرَاتِبٍ كَبِيرٍ فَحَضَرْتُ مَعَهُ حَرْبًا طُغِنَ عَنْهُ حِصَانُهُ ، فَوَقَفْتُ عَلَيْهِ ذَابِتًا عَنْ حَوَزَتِهِ فَلَمَّا انْصَرَفْنَا إِلَى رَشَقَةَ أَمَرَ الصَّوْأغِينَ بِعَمَلِ كَأْسٍ مِنْ ذَهَبٍ رَصَعَهُ بِالذَّرِّ ، وَكُتِبَ عَلَيْهِ : « لَا يَشْرَبُ مِنْهُ إِلَّا مَنْ وَقَفَ عَلَى سُلْطَانِهِ » فَحَضَرْتُ يَوْمًا فَأَخْرَجَ الْكَأْسَ ، وَمَلَأَهُ شَرَابًا ، وَنَاوَلَنِي بِحَضْرَةِ أَلْفِ فَارِسٍ ، وَرَأَيْتُ أَعْنَاقَهُمْ قَدْ اسْوَدَّتْ مِنْ صَدَأِ الدُّرُوعِ قَالَ : فَنَادَيْتُ ، وَقُلْتُ : غَيْرِي أَحَقُّ بِهِ ، فَقَالَ : لَا يَشْرَبُ هَذَا إِلَّا مَنْ عَمَلَ عَمَلَكَ وَكَانَ هِلَالٌ هَذَا مِنْ قَرِيَةِ هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ ، تَابَ بَعْدُ وَغَزَا مَعَنَا ، فَكَانَ إِذَا حَضَرَ فِي الصَّفِّ جَبَلًا رَاسِيًا يَمْنَعُ تَهَائِمَ الْجَبُوشِ أَنْ تَمِيدَ ، وَقَلْبًا فِي الْبَسَالَةِ قَاسِيًا ، يَقُولُ فِي مُقَارَعَةِ الْأَبْطَالِ : هَلْ مِنْ مَرِيدٍ ؟ أَبْصَرْتَهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أُمَّةً وَحْدَهُ ، يَتَحَامَاهُ الْفَوَارِسُ^(٢) .

فحدَّثني هِلَالٌ عن ابْنِ رُذْمِيرٍ وَإِنْصَافِهِ قَالَ : كُنْتُ مَعَهُ بظَاهِرِ رُوْطَةَ وَقَدْ وَجَّهَ إِلَيْهِ عِمَادُ الدَّوْلَةِ وَزَيْرَهُ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَمُّشِكِ الْأَمِيرِ رَسُولًا ، فَطَلَبَ فَارِسٌ مِنْ ابْنِ رُذْمِيرٍ أَنْ يُمَكِّنَ مِنْ مُبَارَزَةِ ابْنِ هَمُّشِكِ ، فَقَالَ : لَا ، هُوَ عِنْدَنَا ضَيْفٌ ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ ابْنُ هَمُّشِكِ ، وَأَمْضَى ابْنُ رُذْمِيرٍ حَاجَتَهُ ، وَصَرَفَهُ فَقَالَ : لَا بَدَ لِي مِنْ مُبَارَزَةِ هَذَا فَأَمَرَ الْمَلِكُ ذَاكَ الْفَارِسَ بِالْمُبَارَزَةِ وَقَالَ : هَذَا أَشْجَعُ الرُّومِ فِي زَمَانِهِ ، فَانْصَرَفَ عَبْدُ اللَّهِ يُرِيدُ رُوْطَةَ وَخَرَجَ وَرَاءَهُ الرُّومِيُّ شَاكًا فِي سِلَاحِهِ ، وَمَا مَعَ ابْنِ هَمُّشِكِ دِرْعٌ وَلَا بِيضَةٌ فَأَخَذَ رُمْحَهُ وَطَارِقَتَهُ مِنْ غُلَامِهِ ، وَقَصَدَ الرُّومِيَّ ، فَحَمَلَ كُلُّهُمَا عَلَى الْآخِرِ حَمَلَاتٍ ، ثُمَّ ضَرَبَهُ ابْنُ هَمُّشِكِ فِي الطَّارِقَةِ فَأَعَانَهُ اللَّهُ فَانْقَطَعَ حِزَامُ الْفَارِسِ ، فَوَقَعَ بِسَرِّجِهِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَطَعَنَهُ ابْنُ هَمُّشِكِ فَقَتَلَهُ وَالْمَلِكُ يُشَاهِدُهُ عَلَى بُعْدٍ ، فَهَمَّتِ الرُّومُ بِالْحَمْلَةِ عَلَى ابْنِ هَمُّشِكِ فَمَنَعَهُمُ الْمَلِكُ ، وَنَزَلَ غُلَامٌ ابْنِ هَمُّشِكِ ، فَجَرَدَ الْفَارِسَ ،

(١) هو ابنُ رُذْمِيرِ اللعين ، صاحب مملكة أرغونة من شرق الأندلس ، كان قسيساً مُجرباً داهية مُترهباً ، قوي على بلاد ابن هود وطواها .

(٢) انظر السير : (عماد الدولة بن هود) ٢٠/٣٧-٤١ ، وانظر النزعة : ٣/١٥٢٤ .

وسلبه ، وأخذَ فرسه ، وذهبَ لم يلتفتْ إلى ناحيتنا فما أدري ممَّ أعجبُ ، من إنصافِ
المَلِكِ ، أو من ابنِ همشك كيف مضى ولم يعرِّجْ إلينا ؟ ! .

وأقام ابنُ رُذَيمِرٍ محاصراً سرْقُسطَةَ زماناً ، وأخذ كثيراً من حُصُونِها فلَمَّا رَأَى
أبو عبدَ الله محمدُ بنُ غَلْبُونِ القائِدُ ما حلَّ بتلك البلادِ من الرُّومِ ، ثارَ بدورقةٍ وقلعةٍ
أَيُّوبَ وملينةَ ، وجمَعَ وحشدَ ، وكافَحَ ابنَ رُذَيمِرٍ واستولى أبو بكرُ بنُ تيفلوتِ على
سرْقُسطَةَ ، وأقامَ بقصرها في لذاته ، وأمَّا ابنُ غَلْبُونِ ، فأحسنَ السَّيرةَ ، وعدَلَ ،
وجاهدَ ورزقَ الجُندَ ، رأيتُه رجلاً طويلاً جداً ، واجتمعتُ به ، أقامَ مثاغراً لابنِ رُذَيمِرِ
شجىً في حلقةٍ ، التقيُّ مرَّةً في ألفِ فارسٍ لابنِ رُذَيمِرِ ، والآخِرُ في ألفِ ، فاشتدَّ
بينهما القتالُ ، وطالَ ، ثم حملَ ابنُ غَلْبُونِ على ابنِ رُذَيمِرِ ، فصرعه عن حصانه ،
فدفعَ عنه أصحابه فسَلِمَ ، ثم انهزَموا ، ونجا اللعينُ في نحوِ المئتين فقط ، وأمَّا ابنُ
تيفلوتِ فإنَّه راسَلَ ابنَ غَلْبُونِ ، وخدعه ، حتى حَسَنَ له زيارةَ أميرِ المسلمين عليِّ ابنِ
يوسفَ ، فاستخلفَ على بلادِهِ ولدهَ أبا المُطرفِ ، وكان من الأبطالِ الموصوفين
أيضاً ، فقدمَ محمدُ مرَّاكشَ ، فأمسكَ ، وألزمَ بأن يُخاطبَ بنيه في إخلاءِ بلادِهِ
للمرابطينِ ، فأخلوها طاعةً لأبيهم ، وترحلوا إلى غَربِ الأندلسِ ، ففرِحَ بذلك ابنُ
رُذَيمِرِ وحصرَ سرْقُسطَةَ ، وصنعَ عليها بُرجينَ عظيمين من حشَبِ ، وإنَّ أهلها لَمَّا يَسُّوا
من الغياثِ ، خرَّجوا وأحرقوا البُرجينِ ، واقتتلوا أشدَّ قتالِ ، وكتبوا إلى ابنِ تاشفينِ
يَسْتَصْرِخُونَ به ، وماتَ ابنُ تيفلوتِ ، وذلك في سنةِ إحدى عشرةٍ وخمسةِ مئةٍ ،
فأنجدهم بأخيه تميمِ ابنِ يوسفَ ، فقدمَ في جيشِ كبيرِ ، وعنى ابنُ رُذَيمِرِ جيوشه ،
ففرِحَ أهلُ سرْقُسطَةَ بتميمِ ، فكانَ عليهم لا لهم .

جاء مُواجهَ المدينةَ ، ثم نكَبَ عنها ، وكان طائفةً من خيلِها ورجلِها قد تلقَّوه ،
فحملَ عليهم حملةً قتلَ منهم جماعةً كثيرةً ، ثم نكَبَ عن لقاءِ العدوِّ ، وانصرفَ إلى
جهاتِ المورالةَ ، واشتدَّ البلاءُ على البلدِ ثم سلَّموه بالأمانِ ، على أنْ مَنْ شاءَ أقامَ
به (١) .

(١) انظر السير : (عمادُ الدولة بن هود) ٢٠ / ٣٧ - ٤١ ، وانظر النزهة : ١ / ١٥٢٥ .

وكان ابن رُذَيمٍ معروفًا بالوفاء ، حَدَّثَنِي مَنْ أُنْقُبَ بِهِ أَنَّ رَجُلًا كَانَتْ لَهُ بِنْتُ مِنْ أَجْمَلِ
النِّسَاءِ فَقَدَهَا ، فَأَخْبَرَ أَنَّ كَبِيرًا مِنْ رُؤُوسِ الرُّومِ خَرَجَ بِهَا إِلَى سَرَقُسْطَةَ ، فَتَبِعَهُ أَبَواهَا
وَأَقَارِبُهَا ، فَشَكَّوهُ إِلَى ابْنِ رُذَيمٍ ، فَأَحْضَرَهُ ، وَقَالَ : عَلَيَّ بِالنَّارِ ، كَيْفَ تَفْعَلُ هَذَا
بِمَنْ هُوَ فِي جِوَارِي ؟ فَقَالَ الرُّومِيُّ : لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ ، فَإِنَّهَا فَرَّتْ إِلَى دِينِنَا ، فَجِيءَ
بِهَا ، فَأَنْكَرَتْ أَبَويَهَا ، وَارْتَدَّتْ وَلَمَّا دَخَلَ سَرَقُسْطَةَ ، أَقْرَهُمْ عَلَى الصَّلَاةِ فِي جَامِعِهَا
سَبْعَةَ أَعْوَامٍ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَعْمَلُ مَا يَرَى ، وَحَاصِرَ قُنْتَدَةَ^(١) بَعْدَ سَرَقُسْطَةَ سَنَتَيْنِ ، فَلَمَّا
كَانَ فِي آخِرِ سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ ، قَصَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ حَيَوَةَ فِي جَيْشٍ فِيهِمْ قَاضِي الْمَرِيَّةِ ،
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَرَاءِ ، وَأَبُو عَلِيٍّ ابْنُ سَكْرَةَ ، فَبَرَزَ لَهُمُ اللَّعِينُ ، فَقَتَلَ خَلْقًا ، وَأَسْرَ
آخَرُونَ ، وَاسْتَشْهَدَ الْمَذْكَورَانَ ، فَبَنَى عَلَيْهِمُ ابْنُ رُذَيمٍ قُبُورًا ، ثُمَّ سَلَّمَ الْبَلَدَ إِلَيْهِ ،
وَأَخَذَ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ دُورِقَةَ ، وَقَلْعَةَ أُيُوبَ ، وَطَرَسُونَةَ ، وَأَكْثَرَ مِنْ مِثْلِي مَسُورَ ، وَلَمْ
يَبْقَ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ مِدَائِنَ لَمْ يَأْخُذْهَا ، وَبَقِيَ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي هُودٍ لَارِدَةٌ وَإِفْرَاغَةٌ ،
وَطُرْطُوشَةٌ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مَعَامِلَةٌ عَشْرَةَ أَيَّامٍ لَمْ يَظْفَرَ اللَّعِينُ بِهَا ، فَقَامَ بِلَارِدَةِ الْهُمَامِ الْبَطْلُ
أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَقَامَ بِإِفْرَاغَةِ الزَّاهِدِ الْمُجَاهِدِ مُحَمَّدِ مَرْدَنِيشِ الْجُدَامِيِّ جَدِّ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ
سَعْدِ^(٢) .

٤- صُورٌ مِنَ الْوَفَاءِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي جَنْدَلِ بْنِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو الْعَامِرِيِّ الْقُرَشِيِّ : كَانَ
مِنْ خِيَارِ الصَّحَابَةِ ، وَقَدْ أَسْلَمَ وَحَبَسَهُ أَبُوهُ وَقَيْدَهُ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ صَلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ ،
هَرَبَ يَحْجِلُ فِي قَيْودِهِ ، وَأَبُوهُ حَاضِرٌ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِكِتَابِ
الصُّلْحِ فَقَالَ : هَذَا أَوَّلُ مَنْ أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ : هَبْ لِي فَأَبَى فَرَدَّهُ وَهُوَ
يَصِيحُ وَيَقُولُ : يَا مُسْلِمُونَ! أَرُدُّ إِلَى الْكُفْرِ؟ ثُمَّ إِنَّهُ هَرَبَ وَلَهُ قِصَّةٌ مَشْهُورَةٌ مَذْكَورَةٌ فِي
الصَّحِيحِ ، ثُمَّ خَلَصَ وَهَاجَرَ ، وَجَاهَدَ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى جِهَادِ الشَّامِ ، فَتُوفِّيَ

(١) وهي نَغْرَ سَرَقُسْطَةَ مِنْ قُرَى مَرْسِيَّةِ .

(٢) انظر السير : (عماد الدولة بن هود) ٢٠/٣٧-٤١ ، وانظر النزهة : ١/١٥٢٦ .

شَهِيداً فِي طَاعُونِ عَمَّاسٍ بِالْأَرْدُنِّ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ^(١) .

وقال المِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ : أثنى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ فِي مُصَاهَرَتِهِ خَيْراً ، وَقَالَ : « حَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي ، وَوَعَدَنِي ، فَوَفَّى لِي » وَكَانَ قَدْ وَعَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَكَّةَ ، بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرَ ، فَيَبْعَثَ إِلَيْهِ بِزَيْنَبَ ابْنَتِهِ ، فَوَفَّى بِوَعْدِهِ ، وَفَارَقَهَا مَعَ شِدَّةِ حُبِّهِ لَهَا ، وَكَانَ مِنْ تُجَّارِ قُرَيْشٍ وَأُمَّتِهِمْ ، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ رِوَايَةً .

وَلَمَّا هَاجَرَ ، رَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، زَوْجَتَهُ زَيْنَبَ بَعْدَ سِتَّةِ أَعْوَامٍ عَلَى النِّكَاحِ الْأَوَّلِ ، وَقَدْ كَانَتْ زَوْجَتَهُ لَمَّا أُسِرَ نَوْبَةَ بَدْرَ ، بَعَثَتْ قِلَادَتَهَا لِتُفَكِّهَ بِهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا لِهَذِهِ أَسِيرَهَا » فَبَادَرَ الصَّحَابَةُ إِلَى ذَلِكَ^(٢) .

وعن عائشة : دَخَلَتْ امْرَأَةً سَوْدَاءَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَقْبَلْتَ عَلَى هَذِهِ السَّوْدَاءِ هَذَا الْإِقْبَالَ فَقَالَ : « إِنَّهَا كَانَتْ تَدْخُلُ عَلَيَّ خَدِيجَةَ ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ »^(٣) .

وقال حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانَ : مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي ، فَأَخَذْنَا كُفَّارَ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا : إِنَّكُمْ تَرِيدُونَ مُحَمَّدًا ! فَقُلْنَا : مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ ، فَأَخَذُوا الْعَهْدَ عَلَيْنَا : لِنَضْرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ فَأَخْبَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَفِي بَعْدَهُمْ ، وَنَسْتَعِينُ اللهُ عَلَيْهِمْ »^(٤) .

وعن حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ : أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ قَدِمَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسِ الْبَصْرَةَ ، فَفَرَّغَ لَهُ بَيْتَهُ ، وَقَالَ : لِأَصْنَعَنَّ بِكَ كَمَا صَنَعْتَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمْ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : عِشْرُونَ أَلْفًا فَأَعْطَاهُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، وَعِشْرِينَ مَمْلُوكًا ، وَمَتَاعَ الْبَيْتِ .

(١) انظر السير : (أبو جندل) ١/١٩٢-١٩٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٦ .

(٢) انظر السير : (أبو العاص بن الربيع) ١/٣٣٠-٣٣٤ ، وانظر النزهة : ٦/١٧٢ .

(٣) انظر السير : (عائشة أم المؤمنين) ٢/١٣٥-٢٠١ ، وانظر النزهة : ٢/٢٣٩ .

(٤) انظر السير : (حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانَ) ٢/٢٦١-٣٦٩ ، وانظر النزهة : ٣/٢٧٥ .

مات أبو أيوب سنة اثنتين وخمسين^(١) .

قال الإمام الذهبي في ترجمته المهري : وقد جال ابن عمّار في الأندلس أولاً ، ومدح المملوك الكبار والشوكة بحيث إنه مدح فلاحاً أعطاه مخلاة شعير لِحماره ، ثم آل بابن عمّار الحال إلى الإمرة ، فملاً للفلاح مخلاته دراهم ، وقال : لو ملأها بُراً لمألأناها تَبراً .

وقد سجنه المعتمد مدّة ، وتوسّل إليه بقصائد^(٢) تليّن الصخر ، فقتله في سنة تسع وسبعين وأربع مئة^(٣) .

* * *

-
- (١) انظر السير : (أبو أيوب الأنصاري) ٢/٤٠٢-٤١٣ ، وانظر النزهة : ٣/٢٨٣ .
(٢) انظر هذه القصائد في (الذخيرة) ، ٢/١٦٩ ، وما بعدها .
(٣) انظر السير : (المهري) ١٨/٥٨٢-٥٨٤ ، وانظر النزهة : ١/١٤٤٤ .

من صفات المؤمنين الإنصاف

١- البشرُ مَجْبُولُونَ عَلَى عَدَمِ الْإِنْصَافِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ :
قَالَ دَاوُدُ بْنُ يَزِيدَ ، سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَوْ أَصَبْتُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ مَرَّةً ،
وَأَخْطَأْتُ مَرَّةً لِأَعْدَاؤِ عَلِيِّ تِلْكَ الْوَاحِدَةِ (١) .

٢- قَالَ الذَّهَبِيُّ : صِرْنَا فِي وَقْتٍ لَا يَقْدِرُ الشَّخْصُ عَلَى النُّطْقِ بِالْإِنْصَافِ نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ
قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ : سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ : قَالَ لِي مُحَمَّدٌ : أَيُّهُمَا أَعْلَمُ صَاحِبُنَا
أَمْ صَاحِبِكُمْ ؟ يَعْنِي أَبَا حَنِيفَةَ وَمَالِكًا ، قُلْتُ : عَلَى الْإِنْصَافِ ؟ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ :
أَنْشُدُكَ اللَّهَ ، مَنْ أَعْلَمُ بِالْقُرْآنِ ؟ قَالَ : صَاحِبِكُمْ قُلْتُ : مَنْ أَعْلَمُ بِالسُّنَّةِ ؟ قَالَ :
صَاحِبِكُمْ قُلْتُ : فَمَنْ أَعْلَمُ بِأَقَاوِيلِ الصَّحَابَةِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ ؟ قَالَ : صَاحِبِكُمْ قُلْتُ : فَلَمْ
يَبْقَ إِلَّا الْقِيَاسُ ، وَالْقِيَاسُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْأُصُولَ ،
عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَقِيسُ ؟ (٢) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : وَعَلَى الْإِنْصَافِ ، لَوْ قَالَ قَائِلٌ : بَلِ هُمَا سَوَاءٌ فِي عِلْمِ
الْكِتَابِ ، وَالْأَوَّلُ ، أَعْلَمُ بِالْقِيَاسِ ، وَالثَّانِي : أَعْلَمُ بِالسُّنَّةِ ، وَعِنْدَهُ عِلْمٌ جَمٌّ مِنْ أَقْوَالِ
كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، كَمَا أَنَّ الْأَوَّلَ أَعْلَمُ بِأَقَاوِيلِ عَلِيٍّ ، وَابْنِ مَسْعُودٍ وَطَائِفَةٍ مِمَّنْ كَانَ
بِالْكُوفَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْإِمَامَيْنِ ، فَقَدْ
صِرْنَا فِي وَقْتٍ لَا يَقْدِرُ الشَّخْصُ عَلَى النُّطْقِ بِالْإِنْصَافِ نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ .

كَانَ خَاتَمُ مَالِكٍ ، الَّذِي مَاتَ وَهُوَ فِي يَدِهِ ، فَضَّهُ أَسْوَدُ حَجْرِيٍّ ، وَنَقَّشَهُ :

(١) انظر السير : (الشَّعْبِيَّ) ٤/٢٩٤-٣١٩ ، وانظر النزهة : ١/٥٠٤ .
(٢) انظر السير : (مَالِكُ الْإِمَامِ) ٨/٤٨-١٣٥ ، وانظر النزهة : ٧/٧٣٦ .

حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَكَانَ يَلْبَسُهُ فِي يَسَارِهِ ، وَرُبَّمَا لَبَسَهُ فِي يَمِينِهِ^(١) .

٣- تَصْرِيحُ الذَّهَبِيِّ أَنَّ بَعْضَ الْمُحَدِّثِينَ يَتَنَطَّعُ فِي الْحُكْمِ عَلَى الْأَشْخَاصِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ : قَدْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ يَتَنَطَّعُونَ فِيمَنْ لَهُ هَفْوَةٌ صَغِيرَةٌ تُخَالِفُ السُّنَّةَ ، وَالْأَفْعَلِيُّ إِمَامٌ كَبِيرٌ حُجَّةٌ ، يُقَالُ : مَكَثَ سِتِّينَ سَنَةً يَصُومُ يَوْمًا ، وَيُفِطِرُ يَوْمًا ، وَبِحَسْبِكَ أَنَّ ابْنَ عَدِي يَقُولُ فِي « كَامِلِهِ » لَمْ أَرِ فِي رِوَايَاتِهِ حَدِيثًا مُنْكَرًا إِذَا حَدَّثَ عَنْهُ ثِقَةٌ .

تُوفِّيَ عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَمِئَتَيْنِ ، وَقَدْ اسْتَكْمَلَ سِتًّا وَتِسْعِينَ سَنَةً^(٢) .

٤- وُجُوبُ التَّخْلُصِ مِمَّا فِي كِتَابِ التَّارِيخِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْقَدَحِ فِي الْعُلَمَاءِ بِالْهَوَى :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ : كَلَامُ الْأَقْرَانِ إِذَا تَبَرَّهَنَ لَنَا أَنَّهُ بِهِوَى وَعَصْبِيَّةٌ ، لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ ، بَلْ يُطَوَّى وَلَا يُرَوَّى ، كَمَا تَقَرَّرَ الْكَفُّ عَنِ الْكَثِيرِ مِمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَقِتَالِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، وَمَا زَالَ يَمُرُّ بِنَا ذَلِكَ فِي الدَّوَابِينِ وَالْكَتُبِ وَالْأَجْزَاءِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ذَلِكَ مُنْقَطِعٌ وَضَعِيفٌ ، وَبَعْضُهُ كَذِبٌ ، وَهَذَا فِيمَا بَأْيَدِنَا وَبَيْنَ عُلَمَائِنَا فَيَنْبَغِي طَيْبُهُ وَإِخْفَاؤُهُ ، بَلْ إِعْدَامُهُ لِتَصْنُفُوا الْقُلُوبَ وَتَتَوَفَّرَ عَلَى حُبِّ الصَّحَابَةِ ، وَالتَّرَضِيِّ عَنْهُمْ ، وَكِتْمَانُ ذَلِكَ مُتَعَيِّنٌ عَنِ الْعَامَّةِ وَأَحَادِ الْعُلَمَاءِ ، وَقَدْ يُرَخِّصُ فِي مُطَالَعَةِ ذَلِكَ خَلْوَةَ لِلْعَالِمِ الْمُنْصِيفِ الْعَرِيِّ مِنَ الْهَوَى ، بِشَرَطِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ ، كَمَا عَلَّمَنَا اللَّهُ تَعَالَى حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾^(٣) ، ^(٤) .

وقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : وَأَمَّا أَثْمَتْنَا الْيَوْمَ وَحِكَاؤُنَا ، فَإِذَا أَعْدَمُوا مَا وَجِدَ مِنْ

(١) انظر السير : (مالِكُ الْإِمَامِ) ٤٨/٨ - ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٨/٧٣٦ .

(٢) انظر السير : (عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ) ٤٥٩/١٠ - ٤٦٨ ، وانظر النزهة : ٣/٨٨٤ .

(٣) سورة الحشر ، الآية : ١٠ .

(٤) انظر السير : (الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ) ١٠/٥ - ٩٩ ، وانظر النزهة : ٩/٨٥٣ .

قَدْحَ بِهِرَى ، فقد يُقالُ : أَحَسَنُوا وَوَفَّقُوا وطاعتُهُم في ذلك مُفترضة لما قد رأوه من حَسَمِ مادَّةِ الباطِلِ والشَّرِّ .

ويكل حال فالجُهَّالُ والضُّلَّالُ قد تكلَّموا في خيارِ الصَّحابةِ ، وفي الحديثِ الثابتِ : « لا أَحَدَ أَصْبَرَ عَلَى أذى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلِذَلِكَ ، وَإِنَّهُ لَيَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ »^(١) .

٥- حَالُ الْأَقْرَانِ :

قالَ إبراهيمُ بنُ المُنذِرِ الحِزَامِيُّ : كانَ ابنُ الزُّنادِ سَبَّ جَدِّ رِبِيعَةَ الرَّأْيِ ، ثمَّ وَلِيَ بَعْدَ ذَلِكَ المَدِينَةَ فلانَ التيميِّ ، فأرسلَ إلى أبي الزُّنادِ ، فطَيَّنَ عليه بيتاً ، فشَفَّعَ فيه رِبِيعَةَ .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّباً : تَوَوَّلُ الشَّخْصَاءُ بَيْنَ القُرْنَاءِ إلى أَعْظَمَ من هَذَا^(٢) .

ولمَّا رَأَى رِبِيعَةُ أَنَّ أبا الزُّنادِ يَهْلِكُ بسبِّه ما وَسِعَهُ الشُّكُوتُ ، فأخْرَجُوا أبا الزُّنادِ ، وقد عَينَ المَوْتَ وَذَبَلْ ، ومالَتْ عُنُقُهُ ، نَسَأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ^(٣) .

وعن الإمامِ البُويْطِيِّ أَنَّهُ قالَ : بَرِءَ النَّاسُ من دَمِي إِلا ثَلَاثَةَ : حَرْمَلَةَ ، والمُزَنِيَّ ، وآخَرَ^(٤) .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّباً : اسْتَفَقَ ، وَيَحْكُ ، وَسَلَّ رَبِّكَ العَافِيَةَ ، فَكَلَامُ الْأَقْرَانِ بَعْضُهُم في بَعْضٍ أَمْرٌ عَجِيبٌ ، وَقَعَ فيه سَادَةٌ ، فَرَحِمَ اللهُ الجَمِيعَ .

وقد ماتَ الإمامُ البُويْطِيُّ في قَيدِهِ مَسْجُوناً بِالعِراقِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِئَتِينَ^(٥) .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ في تَرْجَمَةِ أَبِي عَمْرٍو الدَّانِي : قد كانَ بَيْنَ أَبِي عَمْرٍو ، وبينَ أَبِي مُحَمَّدِ بنِ حَزْمٍ وَحِشَّةٍ وَمُنافِرَةٍ شَدِيدَةٍ ، أَفْضَتَ بهما إلى التَّهَاجِي ، وهَذَا مَذْمُومٌ

(١) انظر السير : (الإمام الشافعي) ١٠/٥٠-٩٩ ، وانظر النزهة : ٢/٨٥٥ .

(٢) انظر السير : (أبو الزناد) ٥/٤٤٥-٤٥١ ، وانظر النزهة : ٦/٦٢٠ .

(٣) انظر السير : (أبو الزناد) ٥/٤٤٥-٤٥١ ، وانظر النزهة : ١/٦٢١ .

(٤) انظر السير : (البُويطي) ١٢/٥٨-٦١ ، وانظر النزهة : ٣/٩٨٢ .

(٥) انظر السير : (البُويطي) ١٢/٥٨-٦١ ، وانظر النزهة : ٤/٩٨٢ .

من الأقران ، مؤفورُ الوجود نَسألُ الله الصَّفحَ ، وأبو عمرو أفومُ قبلاً ، وأتبعُ للشئنة ولكنَّ أبا مُحَمَّدٍ أوسعَ دائرةً في العلوم بلغتْ تواليفُ أبي عمرو مئةً وعشرين كتاباً^(١) .

٦- كلامُ الأقرانِ في بعضهم لا يُسمعُ :

رَوَى اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ ، عن رِبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : أَمَا أَبُو الزُّنَادِ ، فَلَيْسَ بِثِقَةٍ وَلَا رَضِيٍّ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعْتَبَرًا : انْعَقَدَ الإجماعُ على أَنَّ أبا الزُّنَادِ ثِقَةٌ رَضِيٌّ^(٢) .

وقال مالكٌ حينما ذَكَرَ ابنَ إِسْحاقَ بنَ يَسارِ الإخباريِّ : دَجَّالٌ مِنَ الدَّجائِلَةِ^(٣) .

قال الخَطِيبُ : ذَكَرَ بَعْضُهُمْ : أَنَّ مالِكاَ عابَهُ جَماعَةٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي زَمانِهِ بِإِطلاقِ لِسانِهِ فِي قَوْمٍ مَعروفينَ بِالصَّلاحِ وَالذِّيانَةِ وَالثِّقَّةِ وَالأمانَةِ .

قال الإمامُ الذَّهَبِيُّ مُعْتَبَرًا : كَلَّما عابَهُمُ إِلاَّ وَهُمُ عِندَهُ بِخِلافِ ذلكِ وَهُوَ مُثابٌّ على ذلكِ وَإِنْ أَخْطأَ اجْتِهادُهُ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ^(٤) .

وعن عبدِ اللهِ بنِ نافعٍ قالَ : كانَ ابنُ أَبِي ذئبٍ وابنُ المَاجِشُونِ وابنُ حازِمِ وابنُ إِسْحاقَ يَتَكَلَّمونَ فِي مالِكاَ . وكانَ أَشدَّهُمُ فِيهِ كِلاماً مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحاقَ كانَ يَقولُ : أَثَنونِي بِبَعْضِ كُتُبِهِ حَتَّى أَبَيِّنَ عُيوبَهُ ، أَنَا بَيِّنُارُ كُتُبِهِ^(٥) .

وذكر البُخاريُّ هُنا فَصلاً حَسَناً عن رِجالِهِ ، وإِبراهيمِ بنِ سَعْدٍ ، وصالحِ بنِ كِيسانٍ فقد أَكثَرَ عن ابنِ إِسْحاقَ قالَ البُخاريُّ : وَلَوْ صَحَّ عن مالِكاَ تَناوُلُهُ مِنْ ابنِ إِسْحاقَ فَلَرُبَّما تَكَلَّمَ الإِنسانُ فِيرِمي صاحِبَهُ بِشيءٍ واحدٍ ولا يَتَّهَمُهُ فِي الأُمورِ كُلِّها قالَ : وقالَ إِبراهيمُ بنُ المُنذِرِ عن مُحَمَّدِ بنِ فُلَيْحٍ : نَهاني مالِكاَ عن شِيعِينَ مِنْ قُرَيشٍ وقد أَكثَرَ عَنهُما فِي « المَوطَّأِ » وهما مَمَّنَ يُحْتَجُّ بِهِما ، وَلَمْ يَنجُ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ كِلامِ بَعْضِ

(١) انظر السير : (أبو عمرو الدَّاني) ٧٧/١٨-٨٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٨٦ .

(٢) انظر السير : (أبو الزُّنَاد) ٤٤٥/٥-٤٥١ ، وانظر النزهة : ٢/٦٢١ .

(٣) انظر السير : (ابنُ إِسْحاقَ) ٣٣/٧-٥٥ ، وانظر النزهة : ١/٦٧٤ .

(٤) انظر السير : (ابنُ إِسْحاقَ) ٣٣/٧-٥٥ ، وانظر النزهة : ٢/٦٧٤ .

(٥) انظر السير : (ابنُ إِسْحاقَ) ٣٣/٧-٥٥ ، وانظر النزهة : ٣/٦٧٤ .

النَّاسِ فِيهِمْ نَحْوُ مَا يُذَكَّرُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ مِنْ كَلَامِهِ فِي الشَّعْبِيِّ وَكَلَامِ الشَّعْبِيِّ فِي عِكْرَمَةَ وَفِي مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ وَتَنَاوَلُ بَعْضُهُمْ فِي الْعَرِضِ وَالنَّفْسِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي هَذَا النَّحْوِ إِلَّا بَيَّانَ وَحُجَّةَ وَلَمْ تَسْقُطْ عَدَالَتُهُمْ إِلَّا بَيْرُهَانِ ثَابِتٍ وَحُجَّةَ ، وَالْكَلَامُ فِي هَذَا كَثِيرٌ (١) .

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : بَلَغَ ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ أَنَّ مَالِكاً لَمْ يَأْخُذْ بِحَدِيثِ « الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ » فَقَالَ : يُسْتَتَابُ ، فَإِنْ تَابَ ، وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ ثُمَّ قَالَ أَحْمَدُ : هُوَ أَوْرَعٌ وَأَقْوَلُ بِالْحَقِّ مِنْ مَالِكٍ (٢) .

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعْتَبِراً : لَوْ كَانَ وَرِعاً كَمَا يَتَّبِعُنِي ، لَمَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ الْقَبِيحَ فِي حَقِّ إِمَامٍ عَظِيمٍ فَمَا لِكُ إِنَّمَا لَمْ يَعْمَلْ بِظَاهِرِ الْحَدِيثِ ، لِأَنَّهُ رَأَاهُ مَنْسُوخاً (٣) .

وَقِيلَ : عَمِلَ بِهِ وَحَمَلَ قَوْلَهُ : « حَتَّى يَتَفَرَّقَا » عَلَى التَّلَفُّظِ بِالِإِيجَابِ وَالْقَبُولِ ، فَمَا لِكُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، وَفِي كُلِّ حَدِيثٍ لَهُ أَجْرٌ وَلَا بُدَّ ، فَإِنْ أَصَابَ ، أَزْدَادَ أَجْرًا آخَرَ ، وَإِنَّمَا يَرَى السَّيْفَ عَلَى مَنْ أخطأَ فِي اجْتِهَادِهِ الْحَرُورِيَّةِ (٤) وَبِكُلِّ حَالٍ فَكَلَامُ الْأُقْرَانِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ لَا يُعْوَلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُ ، فَلَا نَقَصَتْ جَلَالَةُ مَالِكٍ بِقَوْلِ ابْنِ أَبِي ذَنْبٍ فِيهِ ، وَلَا ضَعْفَ الْعُلَمَاءِ ابْنَ أَبِي ذَنْبٍ بِمَقَالَتِهِ هَذِهِ ، بَلْ هُمَا عَالِمَا الْمَدِينَةِ فِي زَمَانِهِمَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَلَمْ يُسْنِدْهَا الْإِمَامُ أَحْمَدٌ فَلَعَلَّهَا لَمْ تَصَحَّ (٥) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ زَكَرِيَّا بْنِ عَدِيٍّ : وَقَدْ نَالَ مِنْهُ أَبُو نَعِيمٍ الْكُوفِيُّ بِلَا حُجَّةَ ، وَقَالَ : مَا لَهُ وَلِلْحَدِيثِ ؟ هُوَ بِالتُّورَةِ أَعْلَمُ .

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : هُوَ مِنْ مَوَالِي تَيْمِ اللَّهِ ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا ثِقَةً ، قَالَ : وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ (٦) .

(١) انظر السير : (ابن إسحاق) ٧/٣٣-٥٥ ، وانظر النزهة : ٥/٦٧٤ .

(٢) انظر السير : (ابن أبي ذئب) ٧/١٣٩-١٤٩ ، وانظر النزهة : ٣/٦٨٦ .

(٣) انظر السير : (ابن أبي ذئب) ٧/١٣٩-١٤٩ ، وانظر النزهة : ٤/٦٨٦ .

(٤) الحرورية : هم الخوارج ، ونسبتهم إلى حروراء ، وهو موضع بظاهر الكوفة ، وبه كان أول اجتماعهم وتحكيمهم حين خالفوا علياً رضي الله عنه وخرجوا عليه .

(٥) انظر السير : (ابن أبي ذئب) ٧/١٣٩-١٤٩ ، وانظر النزهة : ٥/٦٨٦ .

(٦) انظر السير : (زكريا بن عدي) ١٠/٤٤٢-٤٤٥ ، وانظر النزهة : ٤/٨٨٢ .

وعن الإمام البُوَيْطِيُّ أَنَّهُ قَالَ : بَرَى النَّاسُ مِنْ دَمِي إِلَّا ثَلَاثَةً : حَزْمَلَةَ ، وَالْمُزَنِي ،
وَأَخْرَ (١) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : اسْتَفَقُ ، وَيَحْكُ ، وَسَلَّ رَبِّكَ الْعَافِيَةَ ، فَكَلَامُ الْأَقْرَانِ
بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ أَمْرٌ عَجِيبٌ ، وَقَعَ فِيهِ سَادَةٌ ، فَرَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ .

وَقَدْ مَاتَ الْإِمَامُ الْبُوَيْطِيُّ فِي قَيْدِهِ مَسْجُوناً بِالْعِرَاقِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ (٢) .

٧- ضَابِطٌ فِي كَلَامِ الْأَقْرَانِ :

قَالَ مَكْحُولٌ : مَا زِلْتُ مُضْطَلِعاً عَلَى مَنْ نَاوَأَنِي حَتَّى عَاوَنَهُمْ عَلَيَّ رَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ ،
وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ سَيِّدَ أَهْلِ الشَّامِ فِي أَنْفُسِهِمْ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : كَانَ مَا بَيْنَهُمَا فَاسِداً ، وَمَا زَالَ الْأَقْرَانُ يَنَالُ بَعْضُهُمْ مِنْ
بَعْضٍ ، وَمَكْحُولٌ وَرَجَاءُ إِمَامَانِ ، فَلَا يَلْتَفَتُ إِلَى قَوْلِ أَحَدٍ مِنْهُمَا فِي الْآخِرِ (٣) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ : وَقَدْ أَمْسَكَ عَنِ الْاِحْتِجَاجِ بِرِوَايَاتِ ابْنِ
إِسْحَاقَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِأَشْيَاءَ ، مِنْهَا : تَشْيُئُهُ ، وَنُسَبَ إِلَى الْقَدَرِ ، وَيُدَلَّسُ فِي
حَدِيثِهِ ، فَأَمَّا الصَّدْقُ فَلَيْسَ بِمَدْفُوعٍ عَنْهُ (٤) .

وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ هُنَا فَصْلاً حَسَناً عَنْ رِجَالِهِ ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ ، وَصَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ
فَقَدْ أَكْثَرَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ الْبُخَارِيُّ : وَلَوْ صَحَّ عَنْ مَالِكٍ تَنَاوُلُهُ مِنْ ابْنِ إِسْحَاقَ
فَلَرُبَّمَا تَكَلَّمَ الْإِنْسَانُ فَيَرْمِي صَاحِبَهُ بِشَيْءٍ وَاحِدٍ وَلَا يَتَّهَمُهُ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا قَالَ : وَقَالَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ فُلَيْحٍ : نَهَانِي مَالِكٌ عَنْ شَيْخَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ وَقَدْ أَكْثَرَ
عَنْهُمَا فِي « الْمَوْطَأِ » وَهُمَا مَمَّنْ يُحْتَجُّ بِهِمَا ، وَلَمْ يَنْجُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ
النَّاسِ فِيهِمْ نَحْوُ مَا يُذَكَّرُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ مِنْ كَلَامِهِ فِي الشَّعْبِيِّ وَكَلَامِ الشَّعْبِيِّ فِي عِكْرَمَةَ

(١) انظر السير : (البُوَيْطِيُّ) ١٢ / ٥٨ - ٦١ ، وانظر النزهة : ٣ / ٩٨٢ .

(٢) انظر السير : (البُوَيْطِيُّ) ١٢ / ٥٨ - ٦١ ، وانظر النزهة : ٤ / ٩٨٢ .

(٣) انظر السير : (رَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ) ٤ / ٥٥٧ - ٥٦١ ، وانظر النزهة : ١ / ٥٥٨ .

(٤) انظر السير : (ابن إسحاق) ٧ / ٣٣ - ٥٥ ، وانظر النزهة : ٤ / ٦٧٤ .

وفيمَن كان قبلهم وتناول بعضهم في العِرض والنَّفْس ولم يَلْتَفِتْ أهلُ العلم في هذا النَّحو إلاَّ ببيانٍ وحُجَّةٍ ولم تَسْقُطْ عَدَالَتُهُمْ إلاَّ بِبُرْهَانٍ ثابتٍ وحُجَّةٍ ، والكلامُ في هذا كثيرٌ (١) .

قال الإمامُ الذهبيُّ مُعقَّباً : لَسْنَا نَدَّعِي فِي أئِمَّةِ الْجَرْحِ والتَّعْدِيلِ العِصْمَةَ مِنَ العَلْطِ النادر ، ولا من الكلامِ بِنَفْسِ حادِّ فيمَن بينهم وبينه شَحْناءٌ وإِحْتةٌ (٢) وقد عُلِمَ أَنَّ كثيرًا من كلامِ الأقرانِ بعضهم في بعضٍ مُهدَرٌ لا عِبْرَةَ به ، ولا سِيِّما إذا وثَّقَ الرَّجُلَ جَماعَةً يَلوحُ على قولِهِم الإنصافُ ، وهذان الرَّجُلانِ كُلُّ منهما قد نالَ من صاحِبِهِ لكن أثَرَ كلامِ مالِكٍ في مُحَمَّدٍ بعضَ اللِّينِ ، ولم يُؤثِّرْ كلامُ مُحَمَّدٍ فيه ولا ذرَّةً ، وارتفعَ مالِكٌ ، وصارَ كالنَّجمِ ، والآخِرُ فَلَهُ ارتفاعٌ بحسبِهِ ، ولا سِيِّما في السَّيرِ ، وأمَّا في أحاديثِ الأحكامِ فَيَنحَطُّ حَدِيثُهُ فيها عن رُتْبَةِ الصَّحَّةِ إلى رُتْبَةِ الحَسَنِ إلاَّ فيما شَدَّ فيه فإنه يُعَدُّ مُنكَرًا ، وهذا الذي عندي في حالِهِ ، واللهُ أَعْلَمُ (٣) .

قال الإمامُ الذهبيُّ في تَرْجَمَةِ الإمامِ الشَّافِعِيِّ : كلامُ الأقرانِ إذا تَبَرَّهَنَ لنا أَنَّهُ بهَوَى وَعَصِيَّةٌ ، لا يَلْتَفِتُ إليه ، بل يُطَوَّى ولا يُروى ، كما تَقَرَّرَ الكَفُّ عن الكثيرِ ممَّا شَجَرَ بين الصَّحابةِ وقَتالِهِم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أَجمَعين ، وما زالَ يَمُرُّ بنا ذلك في الدَّواوين والكتبِ والأجزاءِ ، ولكنَّ أَكثَرَ ذلك مُنْقَطِعٌ وَضَعيفٌ ، وبَعْضُهُ كَذِبٌ ، وهذا فيما بأيدينا وبينَ عُلَمائِنَا فينبغي طَيُّهُ وإخفاؤُهُ ، بل إعدامُهُ لَتَصْفُو القلوبُ وتَوفَّرَ على حُبِّ الصَّحابةِ ، والتَّرضيِّ عنهم ، وكتِمَانُ ذلك مُتَعَيِّنٌ عن العامَّةِ وآحادِ العُلَماءِ ، وقد يُرَخِّصُ في مُطالعةِ ذلك خلوةٌ للعالمِ المُنصِبِ العَرِيِّ من الهوى ، بشرطِ أن يَسْتَغْفِرَ لَهُم ، كما عَلَّمَنَا اللهُ تَعَالَى حَيْثُ يَقولُ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤) ، (٥) .

(١) انظر السير : (ابن إسحاق) ٧/٣٣-٥٥ ، وانظر النزهة : ٥/٦٧٤ .

(٢) الإحتة : الحقد في الصدر .

(٣) انظر السير : (ابن إسحاق) ٧/٣٣-٥٥ ، وانظر النزهة : ١/٦٧٥ .

(٤) سورة الحشر ، الآية : ١٠ .

(٥) انظر السير : (الإمام الشَّافِعِيِّ) ١٠/٥٠-٩٩ ، وانظر النزهة : ٩/٨٥٣ .

قال أَبُو بَكْرٍ المَرُودِيّ : ذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ هِشَامَ بْنَ عَمَّارٍ ، فَقَالَ : طَيَّاشٌ حَفِيفٌ ^(١) .

قال الإمامُ الذهبيُّ مُعَقِّباً : أَمَا قَوْلُ الإمامِ أَحْمَدَ عَنِ هِشَامِ بْنِ عَمَّارٍ إِنَّهُ طَيَّاشٌ ، فَلَأَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَجَلَّى لِحَلْقِهِ بِخَلْقِهِ » ، فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ لَا يَنْبَغِي إِطْلَاقُهَا ، وَإِنْ كَانَ لَهَا مَعْنَى صَحِيحٌ ، لَكِنْ يَحْتَجُّ بِهَا الْحُلُولِيُّ وَالْإِتْحَادِيُّ وَمَا بَلَغْنَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَجَلَّى لَشَيْءٍ إِلَّا بِجَبَلِ الطُّورِ ، فَصَيَّرَهُ ذِكًّا ، وَفِي تَجَلِّيهِ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتِلَافٌ أَنْكَرْتَهُ عَائِشَةُ وَأُثْبَتَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ^(٢) .

وبكلِّ حالٍ كَلَامُ الأَقْرَانِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ يُحْتَمَلُ ، وَطَيْئُهُ أَوْلَى مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا أَنْ يَتَّقُوا الْمُعَاصِرُونَ عَلَى جَرَحِ شَيْخٍ ، فَيُعْتَمَدُ قَوْلُهُمْ ، وَاللهُ أَعْلَمُ ^(٣) .

وقال أبو نعيمٍ في « تاريخ أصبهان » : ابنُ مَنْدَةَ حَافِظٌ مِنْ أَوْلَادِ المُحَدِّثِينَ ، اخْتَلَطَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ ، وَتَخَبَّطَ فِي أَمَالِيهِ ، وَنَسَبَ إِلَى جَمَاعَةٍ أَقْوَالاً فِي المُعْتَقَدَاتِ لَمْ يُعْرِفُوا بِهَا ، نَسَأَلُ اللهُ السُّتْرَ وَالصَّبِيَانَةَ .

قال الإمامُ الذهبيُّ مُعَقِّباً : لَا نَعْبَأُ بِقَوْلِكَ فِي خَصْمِكَ لِلْعَدَاوَةِ السَّائِرَةِ ، كَمَا لَا نَسْمَعُ أَيْضاً قَوْلَهُ فِيكَ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ لِابْنِ مَنْدَةَ حَطًّا مُقَدَّعاً عَلَى أَبِي نُعَيْمٍ وَتَبْدِيعاً ، وَمَا لَا أَحَبُّ ذِكْرَهُ ، وَكُلُّ مِنْهُمَا فَصْدُوقٌ فِي نَفْسِهِ ، غَيْرُ مُتَّهَمٍ فِي نَقْلِهِ بِحَمْدِ اللهِ ^(٤) .

وقال الإمامُ الذهبيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي نُعَيْمٍ : قَدْ كَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنِ مَنْدَةَ يُقَدِّعُ فِي المَقَالِ فِي أَبِي نُعَيْمٍ لِمَكَانِ الاعتقادِ المُتَنَازِعِ فِيهِ بَيْنَ الحَنَابِلَةِ وَأَصْحَابِ أَبِي الحَسَنِ ، وَنَالَ أَبُو نُعَيْمٍ أَيْضاً مِنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ فِي « تَارِيخِهِ » وَقَدْ عُرِفَ وَهَنْ كَلَامِ الأَقْرَانِ المُتَنَافِسِينَ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ نَسَأَلُ اللهُ السَّمَّاحَ .

(١) انظر السير : (هشام بن عمار) ١١ / ٤٢٠ - ٤٣٥ ، وانظر النزهة : ١ / ٩٥٧ .

(٢) انظر السير : (هشام بن عمار) ١١ / ٤٢٠ - ٤٣٥ ، وانظر النزهة : ٥ / ٩٥٧ .

(٣) انظر السير : (هشام بن عمار) ١١ / ٤٢٠ - ٤٣٥ ، وانظر النزهة : ١ / ٩٥٨ .

(٤) انظر السير : (ابنُ مَنْدَةَ) ١٧ / ٢٨ - ٤٣ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٣٢١ .

مات أبو نعيم الحافظ ، سنة ثلاثين وأربع مئة وله أربع وتسعون سنة^(١) .
 وجاء في ترجمة سليمان بن إبراهيم : قال يحيى بن منده : في سماعه كلام ،
 سمعت من ثقات أن له أختاً يُسمى إسماعيل أكبر منه ، فحك اسمه ، وأثبت اسم
 نفسه ، وهو شيخ شرة لا يتورع ، لعان وقاح^(٢) .
 توفي سنة ست وثمانين ، وله تسعون عاماً غير أشهر^(٣) .
 قال الإمام الذهبي معقّباً : وينبغي التوقف في كلام يحيى ، فبين آل منده وأصحاب
 أبي نعيم عداوات وإح^(٤) .

٨- تعليل لدم الأقران بعضهم بعضاً :

قال الإمام الذهبي في ترجمة الإمام الشافعي : وصنف الكبار في مناقب هذا الإمام
 قديماً وحديثاً ، ونال بعض الناس منه غصاً ، فما زاده ذلك إلا رفعة وجلالة ، ولاح
 للمُنصفين أن كلام أقرانه فيه بهوى ، وقل من برز في الإمامة ، وردّ على من خالفه إلا
 وعودي ، نعوذ بالله من الهوى ، وهذه الأوراق تضيّق عن مناقب هذا السيّد .
 قال المُزني : ما رأيت أحسن وجهاً من الشافعي رحمه الله وكان ربّما قبض على
 لحيته فلا يفصل عن قبضته^(٥) .

وقال الإمام الذهبي : وقد كنت وفقت على بعض كلام المغاربة في الإمام الشافعي
 رحمه الله ، فكانت فائدتي من ذلك تضعيف حال من تعرّض إلى الإمام ، والله الحمد .
 ولا ريب أن الإمام لما سكن مصر ، وخالف أقرانه من المالكية ، وهى بعض
 فروعهم بدلائل السنة وخالف شيخه في مسائل ، تألّموا منه ، ونالوا منه ، وجرت
 بينهم وخشة ، غفر الله للكُل ، قد اعترف الإمام سُخُون ، وقال : لم يكن في الشافعي

(١) انظر السير : (أبو نعيم) ١٧/٤٥٣-٤٦٤ ، وانظر النزّهة : ٣/١٣٤٩ .

(٢) في اللسان : وقح الرجل : إذا صار قليل الحياء ، فهو وقح وقّاح .

(٣) انظر السير : (سليمان بن إبراهيم) ١٩/٢١-٢٥ ، وانظر النزّهة : ٢/١٤٥٣ .

(٤) انظر السير : (سليمان بن إبراهيم) ١٩/٢١-٢٥ ، وانظر النزّهة : ٣/١٤٥٣ .

(٥) انظر السير : (الإمام الشافعي) ١٠/٥-٩٩ ، وانظر النزّهة : ٣/٨٤٥ .

بدعةً ، فصدقَ اللهُ ، فرحِمَ اللهُ الشَّافِعِيَّ ، وأينَ مثلُ الشَّافِعِيَّ والله! في صدقِهِ ، وشرفِهِ ، ونبلِهِ ، وسِعَةِ عِلْمِهِ ، وفرطِ ذكائِهِ ، ونصْرِهِ للحَقِّ ، وكثْرَةِ مناقِبِهِ ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى^(١) .

٩- قَوَاعِدُ فِي الْإِنصَافِ :

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ في تَرْجَمَةِ السَّفَّاحِ : وكانَ إذا عَلِمَ بَيْنَ اثْنَيْنِ تَعادِيًّا لَمْ يَقْبَلْ شَهادَةَ ذَا عُلَى ذَا ، وَيَقُولُ : العَدَاوَةُ تُزِيلُ العَدَالََةَ^(٢) .

وعن عبدِ اللهِ بنِ المُبارِكِ قالَ : إذا غَلَبَتْ مَحاسِنُ الرَّجُلِ عُلَى مَساوئِهِ لَمْ تُذْكَرِ المَساوِئُ ، وإذا غَلَبَتْ المَساوِئُ عُلَى المَحاسِنِ لَمْ تُذْكَرِ المَحاسِنِ^(٣) .

وقالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ في تَرْجَمَةِ أَبِي بَكْرِ السَّجِسْتانِيِّ : لَيْسَ مِنْ شَرَطِ الثَّقَةِ أَنْ لا يُخْطِئَ ولا يَغْلَطُ ولا يَسْهُو ، والرَّجُلُ فَمِنْ كِبارِ عُلَماءِ الإسلامِ ، وَمَنْ أوثقَ الحُفَظاءُ ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى^(٤) .

وقالَ أبو الحَسَنِ الصَّفَّارُ : سَمِعْتُ أبا سَهْلَ الصُّعْلوكِيِّ ، وسُئِلَ عَنِ تَفْسيرِ أَبِي بَكْرِ القَفَّالِ فقالَ : قَدَّسَهُ مِنْ وَجْهِ ، ودَنَّسَهُ مِنْ وَجْهِ أَي : دَنَّسَهُ نَصْرُهُ لِلعَترِإِ .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّباً : الكَمالُ عَزِيزٌ ، وَإِنَّمَا يُمدَحُ العالِمُ بِكثْرَةِ ما لَه مِنْ الفَضائلِ ، فلا تُدْفَنُ المَحاسِنُ لورْطَةِ ، ولَعَلَّهُ رَجَعَ عَنها وَقَدْ يُغْفَرُ لَه بِاسْتِغْراغِهِ الوُسْعِ في طَلَبِ الحَقِّ ولا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ^(٥) .

١٠- ضَوابِطٌ جَمِيلَةٌ في إِعْذارِ مَنْ تَلَبَّسَ بِبِدْعَةٍ أَوْ خَطَأً :

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ في تَرْجَمَةِ قَتادَةَ بنِ دِعامَةَ قُدوةِ المُفَسِّرينِ : هُوَ حُجَّةٌ بِالإِجماعِ إِذا بَيَّنَّ السَّماعَ ، فَإِنَّهُ مُدَلِّسٌ مَعروفٌ بِذَلِكَ ، وكانَ يَرى القَدَرَ ، نَسأَلُ اللهُ العَفْوَ ، ومع

(١) ان-ر السير : (الإمام الشافعي) ١٠/٥-٩٩ ، وانظر النزهة : ٣/٨٥٥ .

(٢) انظر السير : (السفاح) ٦/٧٧-٨٠ ، وانظر النزهة : ٣/٦٣٢ .

(٣) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٣٧٨-٤٢١ ، وانظر النزهة : ٥/٧٦٨ .

(٤) انظر السير : (أبو بكر السجستاني) ١٣/٢٢١-٢٣٧ ، وانظر النزهة : ١/١٠٧٥ .

(٥) انظر السير : (القفال الشاشي) ١٦/٢٨٣-٢٨٥ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٩٥ .

هذا فما تَوَقَّفَ أَحَدٌ فِي صِدْقِهِ ، وَعَدَالَتِهِ ، وَحِفْظِهِ ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يَعْدُرُ أَمْثَالَهُ مِمَّنْ تَلَبَّسَ
بِبِدْعَةٍ يُرِيدُ بِهَا تَعْظِيمَ الْبَارِي وَتَزْيِيهَهُ ، وَبَدَلَ وَسْعَهُ ، وَاللَّهُ حَكَمٌ عَدْلٌ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ،
وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ، ثُمَّ إِنَّ الْكَبِيرَ مِنْ أُمَّةِ الْعِلْمِ إِذَا كَثُرَ صَوَابُهُ ، وَعُلِمَ تَحَرِّيهِ لِلْحَقِّ ،
وَاتَّسَعَ عِلْمُهُ ، وَظَهَرَ ذِكَاؤُهُ ، وَعُرِفَ صَلَاحُهُ وَوَرَعُهُ وَاتِّبَاعُهُ ، يُغْفَرُ لَهُ زَلَلُهُ ،
وَلَا نُضَلُّهُ وَنَطْرَحُهُ ، وَنَنْسَى مَحَاسِنَهُ ، نَعَمْ وَلَا نَقْتَدِي بِهِ فِي بِدْعَتِهِ وَخَطِيئَتِهِ وَنَزْجُو لَهُ
التَّوْبَةَ مِنْ ذَلِكَ (١) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ عَلِيِّ بْنِ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ : إِذَا كَانَ كِبْرَاءُ السَّابِقِينَ
الْأَوَّلِينَ قَدْ تَكَلَّمَ فِيهِمُ الرِّوَافِضُ وَالْحَوَارِجُ ، وَمِثْلُ الْفَضِيلِ يُتَكَلَّمُ فِيهِ ، فَمَنْ الَّذِي يَسَلِّمُ
مِنْ أَلْسِنَةِ النَّاسِ ، لَكِنْ إِذَا ثَبَّتَ إِمَامَةُ الرَّجُلِ وَفَضْلُهُ ، لَمْ يَضُرَّهُ مَا قِيلَ فِيهِ ، وَإِنَّمَا
الْكَلَامُ فِي الْعُلَمَاءِ مُفْتَقِرٌ إِلَى وَزْنٍ بِالْعَدْلِ وَالْوَرَعِ (٢) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ وَكَيْعٍ : وَكُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ ، فَلَا قُدْوَةَ
فِي خَطَا الْعَالِمِ ، نَعَمْ ، وَلَا يُؤَبَّخُ بِمَا فَعَلَهُ بِاجْتِهَادٍ ، نَسَأَلُ اللَّهَ لَهُ الْمُسَامَحَةَ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : وَكَيْعٌ فِي زَمَانِهِ كَالْأَوْزَاعِيِّ فِي زَمَانِهِ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : كَانَ أَحْمَدُ يُعْظَمُ وَكَيْعاً وَيُفَحِّمُهُ (٣) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي بَكْرِ السَّجِسْتَانِيِّ : لَيْسَ مِنْ شَرَطِ الثَّقَةِ أَنْ
لَا يُخْطِئَ وَلَا يَغْلَطَ وَلَا يَسْهَوَ ، وَالرَّجُلُ فَمِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ ، وَمَنْ أَوْثَقَ
الْحِفَاطِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (٤) .

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنَدَةَ فِي مَسْأَلَةِ الْإِيمَانِ : صَرَّحَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ فِي كِتَابِ
« الْإِيمَانِ » بِأَنَّ الْإِيمَانَ مَخْلُوقٌ ، وَأَنَّ الْإِقْرَارَ ، وَالشَّهَادَةَ ، وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ بِلَفْظِهِ
مَخْلُوقٌ ثُمَّ قَالَ : وَهَجَرَهُ عَلِيُّ ذَلِكَ عُلَمَاءُ وَقْتِهِ وَخَالَفَهُ أُمَّةٌ خُرَاسَانَ وَالْعِرَاقَ (٥) .

(١) انظر السير : (قناة) ٥/٢٦٩-٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٤/٦٠١ .

(٢) انظر السير : (علي بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٣/٧٨٢ .

(٣) انظر السير : (وكيع) ٩/١٤٠-١٦٨ ، وانظر النزهة : ١/٨٠٩ .

(٤) انظر السير : (أبو بكر السجستاني) ١٣/٢٢١-٢٣٧ ، وانظر النزهة : ١/١٠٧٥ .

(٥) انظر السير : (محمد بن نصر) ١٤/٣٣-٤٠ ، وانظر النزهة : ١/١١٢٧ .

قال الإمام الذهبيُّ معقَّباً : الخَوْضُ في ذلك لا يجوزُ ، وكذلك لا يجوزُ أن يُقالَ : الإيمانُ ، والإقرارُ ، والقراءةُ ، والتَلْفُظُ بالقرآنِ غيرُ مخلوق ، فإنَّ اللهَ خلقَ العبادَ وأعمالَهُم ، والإيمانُ : فقَوْلٌ وَعَمَلٌ ، والقراءةُ والتَلْفُظُ : من كَسَبَ القارىءُ ، والمَقْرَوءُ المَلْفُوظُ : هو كَلَامُ اللهِ وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ ، وهو غيرُ مخلوق ، وكذلك كَلِمَةُ الإيمانِ ، وهو قَوْلُ « لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ » داخِلَةٌ في القرآنِ ، وما كان من القرآنِ فليس بمخلوق ، والتكَلُّمُ بها من فِعْلِنَا ، وأفعالنا مخلوقةٌ ، ولو أننا كلُّما أخطأ إمامٌ في اجتِهاده في آحادِ المسائلِ خطأً مغفوراً له ، قُمنَا عليه ، ويَدَعُناه ، وهَجَرْنَاه ، لما سَلِمَ معنا لا ابنُ نَصْرٍ ، ولا ابنُ مَنَدَةَ ، ولا مَنْ هو أكبرُ منهما ، واللهُ هو هادي الخَلْقِ إلى الحَقِّ ، وهو أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فنَعوذُ باللهِ من الهَوَىِّ والْفِطَاظَةِ (١) .

وقال أبو الحسن الصَّفَّارُ : سَمِعْتُ أبا سَهْلَ الصُّعْلُوكِيَّ ، وسُئِلَ عن تَفْسِيرِ أبي بكرِ القَفَّالِ فقالَ : قَدَسَهُ من وَجْهٍ ، ودَسَسَهُ من وَجْهٍ أَي : دَسَسَهُ نَصْرَهُ للاعْتِزَالِ .

قال الإمام الذهبيُّ معقَّباً : الكَمالُ عَزِيزٌ ، وإنَّما يُمدَحُ العالِمُ بكثرةِ مالِهِ من الفضائلِ ، فلا تُدفنُ المَحاسِنُ لورُطَةِ ، ولعلَّه رَجَعَ عنها وقد يُغْفَرُ له باستفراغِهِ الوُسْعِ في طَلَبِ الحَقِّ ولا قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ (٢) .

قال الإمام الذهبيُّ في تَرْجَمَةِ ابنِ عبدِ البرِّ : كان إماماً دِيناً ثِقَةً ، مُتَقِناً ، عالِماً ، مُتَبَحِّراً ، صاحِبَ سُنَّةٍ واتباعٍ ، وكانَ أَوَّلاً ظاهرياً فيما قيلَ ، ثم تَحَوَّلَ مالِكياً مع مِيلِ بَيْنِ إلى فِقْهِ الشَّافِعِيِّ في مسائلٍ ، ولا يُنكَرُ له ذلك ، فإنَّه مِمَّنْ بَلَغَ رُتَبَةَ الأئِمَّةِ المُجْتَهِدِينَ ، وَمَنْ نَظَرَ في مُصَنَّفَاتِهِ ، بانَ له مَنزَلَتُهُ من سعةِ العِلْمِ ، وقُوَّةِ الفَهْمِ ، وسيلانِ الذَّهْنِ ، وكلُّ أَحَدٍ يُؤخَذُ من قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلاَّ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكنْ إِذا أخطأ إمامٌ في اجتِهاده ، لا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَنْسِيَ مَحاسِنَهُ ، ونُعْطِيَ مَعارِفَهُ بل نَسْتَغْفِرُ لَهُ ، ونَعْتَدِرُ عَنْهُ .

وقال أبو عليِّ العَسائِيُّ : أَلَفَ أبو عُمَرَ في « المُوَطَّأ » كُتُباً مفيدةً ، منها : كتاب

(١) انظر السير : (محمد بن نصر) ٣٣/١٤-٤٠ ، وانظر النزهة : ٢/١١٢٧ .

(٢) انظر السير : (القَفَّال الشَّاشِي) ١٦/٢٨٣-٢٨٥ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٩٥ .

« التَّمْهِيدُ لِمَا فِي الْمُوطَأِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَسَانِيدِ » ، فَرَّبَهُ عَلَى أَسْمَاءِ شَيْخِ مَالِكِ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ ، وَهُوَ كِتَابٌ لَمْ يَتَقَدَّمْهُ أَحَدٌ إِلَى مِثْلِهِ ، وَهُوَ سَبْعُونَ جُزْأً .
 قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : هِيَ أَجْزَاءٌ ضَخْمَةٌ جَدًّا .

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ لَا أَعْلَمُ فِي الْكَلَامِ عَلَى فِقْهِ الْحَدِيثِ مِثْلَهُ ، فَكَيْفَ أَحْسَنَ مِنْهُ !!؟

ثُمَّ صَنَعَ كِتَابَ « الْاسْتِذْكَارِ لِمَذْهَبِ عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ فِيمَا تَضَمَّنَهُ الْمُوطَأُ مِنْ مَعَانِي الرَّأْيِ وَالْآثَارِ » شَرَحَ فِيهِ « الْمُوطَأُ » عَلَى وَجْهِهِ ، وَجَمَعَ كِتَابًا جَلِيلًا مُفِيدًا ، وَهُوَ « الْاسْتِيعَابُ فِي أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ » ، وَلَهُ كِتَابٌ « جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ ، وَمَا يَنْبَغِي فِي رِوَايَتِهِ وَحَمَلِهِ » ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ تَوَالِيْفِهِ .

وَكَانَ مُوَفَّقًا فِي التَّأْلِيفِ ، مُعَانًا عَلَيْهِ ، وَنَفَعَ اللَّهُ بِتَوَالِيْفِهِ ، وَكَانَ مَعَ تَقَدُّمِهِ فِي عِلْمِ الْأَثَرِ وَبَصَرِهِ بِالْفِقْهِ وَمَعَانِي الْحَدِيثِ لَهُ بَسْطَةٌ كَبِيرَةٌ فِي عِلْمِ النَّسَبِ وَالْخَيْرِ .
 مَاتَ أَبُو عُمَرَ سَنَةَ ثَلَاثِ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ ، وَاسْتَكْمَلَ خَمْسًا وَتِسْعِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : وَكَانَ فِي أَصُولِ الدِّيَانَةِ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ ، لَمْ يَدْخُلْ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ ، بَلْ قَفَا آثَارَ مَشَايخِهِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ (١) .

١١- ضَابِطُ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ :

قَالَ عَبْدُ الْخَالِقِ بْنُ مَنْصُورٍ : سَمِعْتُ ابْنَ الرُّومِيِّ ، يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ يَقُولُ الْحَقَّ فِي الْمَشَايخِ غَيْرَ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ وَغَيْرِهِ كَانَ يَتَحَامَلُ بِالْقَوْلِ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّبًا : هَذَا الْقَوْلُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرُّومِيِّ غَيْرُ مَقْبُولٍ ، وَإِنَّمَا قَالَهُ بِاجْتِهَادِهِ ، وَنَحْنُ لَا نَدَّعِي الْعِصْمَةَ فِي أُمَّةِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ ، لَكِنْ هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ صَوَابًا ، وَأَنْدَرُهُمْ خَطَأً ، وَأَشَدُّهُمْ إِنْصَافًا ، وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ التَّحَامُلِ ، وَإِذَا اتَّفَقُوا عَلَى تَعْدِيلِ أَوْ جَرْحِ ، فَتَمَسَّكَ بِهِ ، وَاعْضُضْ عَلَيْهِ بِنَاجِذِيكَ ، وَلَا تَتَجَاوَزْهُ ، فَتَنْدَمَ وَمَنْ

(١) انظر السير : (ابن عبد البر) ١٨/١٥٣-١٦٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٩٢ .

شَدَّ مِنْهُمْ ، فَلَا عِبْرَةَ بِهِ فَخَلَّ عَنْكَ الْعَنَاءَ ، وَأَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيهَا ، فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحُقُفَاظُ
الْأَكْبَابُ ، لَحَطَبْتَ الزَّنَادِقَةَ عَلَى الْمَنَابِرِ ، وَلَتُنَّ حَطَبَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ فَإِنَّمَا هُوَ بِسَيْفِ
الْإِسْلَامِ وَبِلِسَانِ الشَّرِيعَةِ وَبِجَاهِ السُّنَّةِ وَبِإِظْهَارِ مُتَابَعَةٍ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُذْلَانِ (١) .

١٢- مَعْرِفَةٌ مَرَاتِبِ الرَّجَالِ :

(أ) مَعَالِمُ فِي تَقْوِيمِ الرَّجَالِ :

عَنِ الزُّهْرِيِّ ، حَدَّثَنِي عُرْوَةُ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ وَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ
أَبِي سُفْيَانَ فَقَضَى حَاجَتَهُ ، ثُمَّ خَلَا بِهِ ، فَقَالَ : يَا مِسْوَرُ! مَا فَعَلَ طَعْنُكَ عَلَى الْأَئِمَّةِ ؟
قَالَ : دَعْنَا مِنْ هَذَا وَأَحْسِنَ قَالَ : لَا وَاللَّهِ لَتُكَلِّمَنِي بِذَاتِ نَفْسِكَ بِالَّذِي تَعَيْبُ عَلَيَّ قَالَ
مِسْوَرُ : فَلَمْ أَتْرُكْ شَيْئًا أَعْيِبُهُ عَلَيْهِ إِلَّا بَيَّنْتُ لَهُ فَقَالَ : لَا أَتْرَأُ مِنَ الذَّنْبِ ، فَهَلْ تَعُدُّ لَنَا
يَا مِسْوَرُ مَا نَلِي مِنَ الْإِصْلَاحِ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعَشَرَ أَمْثَالِهَا ، أَمْ تَعُدُّ
الذُّنُوبَ ، وَتَتْرُكُ الْإِحْسَانَ ؟ قَالَ : مَا تُدَكِّرُ إِلَّا الذُّنُوبَ قَالَ مُعَاوِيَةُ : فَإِنَّا نَعْتَرِفُ لِلَّهِ
بِكُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْنَاهُ ، فَهَلْ لَكَ يَا مِسْوَرُ ذُنُوبٌ فِي خَاصَّتِكَ تَخْشَى أَنْ تَهْلِكَ إِنْ لَمْ تُغْفَرَ ؟
قَالَ : نَعَمْ قَالَ : فَمَا يَجْعَلُكَ اللَّهُ بِرَجَاءِ الْمَغْفِرَةِ أَحَقَّ مِنِّي ، فَوَاللَّهِ مَا أَلِي مِنَ الْإِصْلَاحِ
أَكثَرُ مِنِّي ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا أُخَيِّرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ غَيْرِهِ ، إِلَّا اخْتَرْتُ اللَّهَ عَلَى
مَا سِوَاهُ ، وَإِنِّي لَعَلِي دِينَ يُقْبَلُ فِيهِ الْعَمَلُ وَيُجْزَى فِيهِ بِالْحَسَنَاتِ ، وَيُجْزَى فِيهِ بِالذُّنُوبِ
إِلَّا أَنْ يَغْفُو اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَ : فَخَصَّمَنِي قَالَ عُرْوَةُ : فَلَمْ أَسْمَعْ الْمِسْوَرَ ذَكَرَ مُعَاوِيَةَ إِلَّا
صَلَّى عَلَيْهِ (٢) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : وَمُعَاوِيَةُ مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ غَلَبَ عَدْلُهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ ،
وَمَا هُوَ بِبَرِيءٍ مِنَ الْهَنَاتِ ، وَاللَّهُ يُغْفُو عَنْهُ (٣) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْحَلَّاجِ : فَإِذَا جَازَ عَلَى سَيِّدِ الْبَشَرِ أَنْ لَا يَعْلَمَ بَعْضُ

(١) انظر السير : (يَحْتَجِي بِنُ مَعِين) ٧١/١١-٩٦ ، وانظر النزهة : ٢/٩١٠ .

(٢) انظر السير : (مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ) ١١٩/٣-١٦٢ ، وانظر النزهة : ٣/٣٥٤ .

(٣) انظر السير : (مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ) ١١٩/٣-١٦٢ ، وانظر النزهة : ٣/٣٥٦ .

المُنافقين ، وهم معه في المدينة سنوات ، فالأولى أن يخفى حال جماعة من المنافقين الفارغين على دين الإسلام بعده عليه السلام على العلماء من أمته ، فما ينبغي لك يا فقيه أن تبادر إلى تكفير المسلم إلا ببرهان قطعي ، كما لا يسوغ لك أن تعتقد العرفان والولاية فيمن قد تبرهن زغله ، وانتهك باطنه وزندقته ، فلا هذا ولا هذا ، بل العدل أن من رآه المسلمون صالحاً مُحسناً ، فهو كذلك ، لأنهم شهداء الله في أرضه ، إذ الأمة لا تجتمع على ضلالة ، وأن من رآه المسلمون فاجراً أو منافقاً أو مُبطلاً ، فهو كذلك ، وأن من كان طائفة من الأمة تضلُّه ، وطائفة من الأمة تُثني عليه وتبجله ، وطائفة ثالثة تَفُ فيه وتورع من الحط عليه ، فهو ممن ينبغي أن يُعرض عنه ، وأن يُفوض أمره إلى الله ، وأن يُستغفر له في الجملة ، لأن إسلامه أصليّ بيّين ، وضلاله مشكوك فيه ، فبهذا تستريح ويصفو قلبك من الغل للمؤمنين .

ثم اعلم أن أهل القبلة كلهم ، مؤمنهم وفاسقهم وسنيهم ومبتدعهم - سوى الصحابة - لم يُجمعوا على مسلم بأنه سعيد ناجح ، ولم يُجمعوا على مسلم بأنه شقي هالك ، فهذا الصديق فرد الأمة ، قد علمت تفرقتهم فيه ، وكذلك عمر ، وكذلك عثمان ، وكذلك عليّ ، وكذلك ابن الزبير ، وكذلك الحجاج ، وكذلك المأمون ، وكذلك بشر المريسي ، وكذلك أحمد بن حنبل ، والشافعي ، والبخاري ، والنسائي ، وهلم جرأ من الأعيان في الخير والشر إلى يومك هذا ، فما من إمام كامل في الخير إلا وثم أناس من جهلة المسلمين ومبتدعيهم يذمونه ويحطون عليه ، وما من رأس في البدعة والتجهم والرفض إلا وله أناس ينتصرون له ، ويذبون عنه ، ويدينون بقوله بهوى وجهل ، وإنما العبرة بقول جمهور الأمة الخالين من الهوى والجهل المتصنين بالورع والعلم ، فتدبر - يا عبد الله - نخلة الحلاج الذي هو رأس من رؤوس القرامطة ودعاة الزندقة ، وأنصف وتورع واتق ذلك ، وحاسب نفسك ، فإن تبرهن لك أن شمائل هذا المرء شمائل عدو للإسلام ، مُحِبٌّ للرئاسة حريص على الظهور بباطل ويحوق ، فتبرأ من نخلته ، وإن تبرهن لك ، والعياذ بالله ، أنه كان - والحالة هذه - مُحِقّاً هادياً مهدياً ، فجدد إسلامك واستغث بربك أن يوفقك للحق وأن يُبِت قلبك على دينه ، فإنما الهدى نور يقذفه الله في قلب عبده المسلم ، ولا قوة إلا بالله ، وإن

شَكَكَتْ ولم تعرف حقيقته ، وتبرأت مما رُمي به ، أرحت نفسك ، ولم يسألك الله عنه أصلاً .

وقال أبو عمر بن حيوة : لما خرج الحلاج ليقتل ، مضيت وزاحمت حتى رأيته ، فقال لأصحابه : لا يهولنكم ، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوماً .

فهذه حكاية صحيحة توضح لك أن الحلاج مُمخَرَقٌ كذاب ، حتى عند قتله .

وقال الصولي : قيل إنه كان في أول أمره يدعو إلى الرضى من آل محمد ، وكان يري الجاهل أشياء من شعبدته ، فإذا وثق منه دعاه إلى أنه إله^(١) .

(ب) إنزال الرجال منازلهم :

جاء في ترجمة الأحنف بن قيس ، قيل : كان زياد مُعظماً للأحنف ابن قيس فلما ولي بعده ابنه عبید الله تغير أمر الأحنف ، وقدم عليه من هو دونه ، ثم وفد على معاوية في الأشراف فقال لِعبيد الله : أدخلهم عليّ على قدر مراتبهم فأخّر الأحنف ، فلما رآه معاوية أكرمه لمكان سيادته وقال : إليّ يا أبا بحر ، وأجلسه معه وأعرض عنهم ، فأخذوا في شكر عبید الله بن زياد ، وسكت الأحنف فقال له : لم لا تتكلم ؟ قال : إن تكلمت خالفتهم قال : اشهدوا أنني قد عزلت عبید الله فلما خرجوا كان فيهم من يروم الإمارة ثم أتوا معاوية بعد ثلاثة ، وذكر كل واحد شخصاً وتنازعا ، فقال معاوية : ما تقول يا أبا بحر ؟ قال : إن وليت أحداً من أهل بيتك لم تجد مثل عبید الله فقال : قد أعدته ، قال : فحلا معاوية بعبید الله وقال : كيف ضيعت مثل هذا الرجل الذي عزلك وأعادك وهو ساكت ! ؟ فلما رجع عبید الله جعل الأحنف صاحب سره^(٢) .

عن يحيى بن معين : سمعتُ قبيصة بن عتبة يقول : شهدت عند شريك ، فامتنحتني في شهادتي ، فذكرت ذلك لسفيان ، فأنكر عليّ شريك ، وقال : لم يكن له أن يمتحنه .

(١) انظر السير : (الحلاج) ١٤ / ٣١٣ - ٣٥٤ ، وانظر النزعة : ١ / ١١٥٨ .

(٢) انظر السير : (الأحنف بن قيس) ٤ / ٨٦ - ٩٧ ، وانظر النزعة : ٧ / ٤٥٣ .

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَةَ النَّيسَابُورِيُّ : سَمِعْتُ هَنَادًا يَقُولُ غَيْرَ مَرَّةٍ إِذَا ذَكَرَ قَبِيصَةَ :
الرَّجُلُ الصَّالِحُ وَتَدْمَعُ عَيْنَاهُ ، وَكَانَ هَنَادٌ كَثِيرَ الْبُكَاءِ ^(١) .

(ج) المَوَازِينُ الَّتِي يُوزَنُ بِهَا الرِّجَالُ :

عَنْ سَعْدِ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ نَفَرٍ ، فَقَالَ الْمَشْرُكُونَ :
اطْرُدْ هَؤُلَاءِ عَنْكَ فَلَا يَجْتَرُّونَ عَلَيْنَا ، وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلٌ مِنْ هَذَيْلٍ
وَأَخْرَانَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ . . . الْآيَتِينَ ^(٢) ، ^(٣) .

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ ، عَنِ الْقَاسِمِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَهُ قَالَ : زَارَنَا سَلْمَانُ
الْفَارِسِيُّ فَصَلَّى الْإِمَامَ الظُّهَرَ ، ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَ النَّاسُ ، يَتَلَقَّوْنَهُ كَمَا يَتَلَقَّى الْخَلِيفَةَ ،
فَلَقِينَاهُ وَقَدْ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ الْعَصْرَ ، وَهُوَ يَمْشِي فَوْقَنَا نُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَبْقَ فِينَا شَرِيفٌ
إِلَّا عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ ، فَقَالَ : جَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي مَرَّتِي هَذِهِ أَنْ أَنْزَلَ عَلَيَّ بِشِيرِ بْنِ
سَعْدٍ فَلَمَّا قَدِمَ ، سَأَلَ عَنِ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، فَقَالُوا : هُوَ مُرَابِطٌ ، فَقَالَ : أَيْنَ مُرَابِطُكُمْ ؟
قَالُوا : بَيْرُوتَ ، فَتَوَجَّهَ قِبَلَهُ ، قَالَ : فَقَالَ سَلْمَانُ : يَا أَهْلَ بَيْرُوتَ : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ
حَدِيثًا يُذْهِبُ اللَّهُ بِهِ عَنْكُمْ عَرَضَ الرِّبَاطِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
يَقُولُ : « رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ كَصِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا أُجِيرَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ ،
وَجَزِيَ لَهُ صَالِحُ عَمَلِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » ^(٤) .

عَنْ عَائِدِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ مَرَّ عَلَى سَلْمَانَ وَبِلَالَ وَصُهَيْبٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا :
مَا أَخَذْتَ سَيْوْفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَا أَخَذَهَا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : تَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ
وَسَيِّدِهَا ! ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا بَكْرٍ ! لَعَلَّكَ
أَغْضَبْتَهُمْ ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ » فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : يَا إِخْوَتَاهُ

(١) انظر السير : (قَبِيصَةُ بِنِ عَقْبَةَ) ١٠ / ١٣٠ - ١٣٥ ، وانظر النزاهة : ٢ / ٨٥٨ .

(٢) سورة الأنعام ، الآيتان : ٥٢ ، ٥٣ .

(٣) انظر السير : (بِلَالُ بْنُ رَبِيعِ) ١ / ٣٤٧ - ٣٦٠ ، وانظر النزاهة : ٤ / ١٧٥ .

(٤) انظر السير : (سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ) ١ / ٥٠٥ - ٥٥٨ ، وانظر النزاهة : ٣ / ١٩٨ .

أَغْضَبْتُمْ؟ قَالُوا: لَا يَا أَبَا بَكْرٍ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ (١).

وعن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَّرَ الْإِفَاضَةَ مِنْ عَرَفَةَ مِنْ أَجْلِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَنْتَظِرُهُ، فَجَاءَ غُلَامٌ أَسْوَدٌ أَفْطَسُ فَقَالَ أَهْلُ الْيَمَنِ: إِنَّمَا جَلَسْنَا لِهَذَا! فَلذَلِكَ ارْتَدُّوا يَعْنِي أَيَّامَ الرَّدَّةِ (٢).

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِيزَى الْخُزَاعِيِّ: هُوَ مَوْلَى نَافِعِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ، كَانَ نَافِعٌ مَوْلَاهُ اسْتَنَابَهُ عَلَى مَكَّةَ حِينَ تَلَقَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ إِلَى عُسْفَانَ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ اسْتَخْلَفْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟ يَعْنِي مَكَّةَ، قَالَ: ابْنُ أَبِيزَى، قَالَ: وَمَنْ ابْنُ أَبِيزَى؟ قَالَ: إِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ قَالَ أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»

وَيُرَوَّى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ: ابْنُ أَبِيزَى مَمَّنْ رَفَعَهُ اللَّهُ بِالْقُرْآنِ.

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ: عَاشَ إِلَى سَنَةِ نَيْفٍ وَسَبْعِينَ فِيمَا يَظْهَرُ لِي (٣).

عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسِ الْكُوفَةِ مَعَ مُضْعَبٍ، فَمَا رَأَيْتُ صِفَةً تَدُمُّ إِلَّا رَأَيْتُهَا فِيهِ كَانَ ضَعِيلاً، صَعَلَ الرَّأْسِ، مُتْرَاكِبَ الْأَسْنَانِ، مَائِلَ الذَّنْفِ، نَاتِيءَ الْوَجْنَةِ، بَاخِقَ الْعَيْنِ، خَفِيفَ الْعَارِضِينَ، أَحْنَفَ الرَّجْلَيْنِ فَكَانَ إِذَا تَكَلَّمَ جَلَا عَنْ نَفْسِهِ (٤).

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرْفَعُنِي عَلَى السَّرِيرِ وَقُرَيْشُ أَسْفَلَ مِنْ السَّرِيرِ، فَتَغَامَزَتْ بِي قُرَيْشُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَكَذَا الْعِلْمُ يَزِيدُ الشَّرِيفَ شَرَفًا، وَيُجْلِسُ الْمَمْلُوكَ عَلَى الْأَسْرَةِ.

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا: هَذَا كَانَ سَرِيرُ دَارِ الْإِمْرَةِ لَمَّا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ مُتَوَكِّلًا لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

-
- (١) انظر السير: (سلمان الفارسي) ١/٥٥٨-٥٥٥، وانظر النزهة: ٢/٢٠٢.
 - (٢) انظر السير: (أسامة بن زيد) ٢/٤٩٦-٥٠٧، وانظر النزهة: ٤/٢٩٦.
 - (٣) انظر السير: (عبد الرحمن بن أبيزى الخزاعي) ٣/٢٠١-٢٠٢، وانظر النزهة: ٢/٣٦٥.
 - (٤) انظر السير: (الأحنف بن قيس) ٤/٨٦-٩٧، وانظر النزهة: ٤/٤٥٣.

قال أبو بكر بن أبي داود : وليسَ أحدٌ بعدَ الصَّحابةِ أعلمَ بالقرآنِ من أبي العالِيَةِ
وبعدَه سَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ (١) .

وقالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ في تَرْجَمَةِ قُتَيْبَةَ بنِ مُسْلِمٍ : لَمْ يَنْلُ قُتَيْبَةُ أَعْلَى الرُّتَبِ بالنَّسَبِ ،
بلْ بِكَمالِ الحَزْمِ والعَزْمِ والإفْدَامِ ، والسَّعْدِ وكَثْرَةِ الفُتُوحاتِ ، ووُفُورِ الهَيْبَةِ ، ومن
أَحْفادِهِ الأميرُ سَعِيدُ بنُ مُسْلِمٍ بنِ قُتَيْبَةَ الذي وَلِيَ أَرْمِينِيَةَ ، والمَوْصِلَ ، والسَّنَدَ ،
وسِجِسْتَانَ ، وكانَ فارساً جَواداً ، وله أخبارٌ ومناقبٌ ، ماتَ زَمَنَ المَأمُونِ سَنَةَ سَبْعِ
عَشْرَةَ ومِئَتِينَ (٢) .

وعن عُثْمَانَ بنِ عَطَاءٍ قالَ : كانَ عَطَاءُ بنُ أَبِي رَبِاحٍ أسودَ شَدِيدَ السَّوادِ ، لیسَ في
رأسِهِ شَعراً إلاَّ شَعراتٍ ، فصیحٌ إذا تكَلَّمَ ، فما قالَ بالحِجازِ قُبَلَ منه (٣) .

(د) أمثلةٌ على تَفاوتِ مَراتِبِ الرِّجالِ :

عن ابنِ عَبَّاسٍ قالَ : جلسنا مع عُمرَ ، فقالَ : هل سَمِعْتَ عن رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عليه وسلم شيئاً أمرَ به المَرءُ المُسْلِمُ إذا سَها في صَلاتِهِ ، كَيْفَ يَصنَعُ ؟ فقلتُ :
لا والله ، أو سَمِعْتَ أنتَ يا أميرَ المؤمنينَ من رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم في ذلكَ
شيئاً ؟ فقالَ : لا والله فَبينا نَحْنُ في ذلكَ أتى عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ فقالَ : فيمَ أنتما ؟
فقالَ عُمرُ : سألتُهُ ، فأخبرَهُ فقالَ له عبدُ الرَّحْمَنِ : لكنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عليه وسلم يأمُرُ في ذلكَ فقالَ له عُمرُ : فأنتَ عندنا عدلٌ ، فما سَمِعْتَ ؟ قالَ : سَمِعْتُ
رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم يقولُ : « إِذَا سَهِى أَحَدُكُمْ في صَلاتِهِ حَتَّى لا يَدْرِي أَرادَ
أَمْ نَقَصَ ، فَإِنْ كانَ شَكٌّ في الواحِدَةِ والثُّنَيْنِ ، فَلْيَجْعَلْها واحِدَةً ، وَإِذا شَكَّ في الثُّلاثِ
والأَرْبَعِ ، فَلْيَجْعَلْها ثلاثاً حَتَّى يَكُونَ الوَهْمُ في الزِّيادَةِ ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جالِسٌ
قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ ، ثُمَّ يُسَلِّمُ » (٤) .

(١) انظر السير : (أبو العالِيَةِ) ٢٠٧-٢١٣ / ٤ ، وانظر النزهة : ٨ / ٤٧٨ .

(٢) انظر السير : (قُتَيْبَةَ بنِ مُسْلِمٍ) ٤١٠-٤١١ / ٤ ، وانظر النزهة : ٥ / ٥٢٤ .

(٣) انظر السير : (عَطَاءُ بنُ أَبِي رَبِاحٍ) ٧٨-٨٨ / ٥ ، وانظر النزهة : ٨ / ٥٨٢ .

(٤) انظر السير : (عبدُ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ) ٦٨-٩٢ / ١ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٢٩ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعَقَّباً : فأصحابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ كانوا عدولاً فبعضُهم أعدلُ من بعضٍ وأثبتُ ، فهنا عُمَرُ قَنَّعَ بَخْبِرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وفي قصة الاستئذان يقول (١) : ائتِ بَمَنْ يَشْهَدُ مَعَكَ ، وعليُّ بنُ أبي طالبٍ يَقُولُ : كَانَ إِذَا حَدَّثَنِي رَجُلٌ عَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، اسْتَحْلَفْتُهُ ، وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ ، وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَحْتَجْ عَلَيَّ أَنْ يَسْتَحْلَفَ الصُّدِّيقَ ، وَاللهُ أَعْلَمُ (٢) .

وعن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ : كَانَ بَيْنَ خَالِدٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « دَعُوا لِي أَصْحَابِي أَوْ أَصِحَابِي ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً لَمْ يُدْرِكْ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » (٣) .

وعن ابنِ الْمُثَنِّكِدِرِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَا بَنِي سَلَمَةَ! مَنْ سَيِّدُكُمْ ؟ » قَالُوا : الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ ، وَإِنَّا لَنُبَخِّلُهُ قَالَ : « وَأَيُّ دَاءٍ أَدَوَى مِنَ الْبُخْلِ ؟ بَلْ سَيِّدُكُمْ الْجَدُّ الْأَبْيَضُ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ » (٤) .

وكان البراءُ بنُ مَعْرُورٍ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ هُوَ أَجَلُ السَّبْعِينَ ، وَهُوَ أَوْلَهُمْ مُبَايَعَةٌ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) .

وكان سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَكْتُبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَيُحْسِنُ الْعَوْمَ وَالرَّمْيَ ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ ذَلِكَ ، سُمِّيَ الْكَامِلَ (٦) .

عن أبي وائلٍ قَالَ : كُنْتُ مَعَ حُذَيْفَةَ ، فَجَاءَ ابْنُ مَسْعُودٍ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ : إِنَّ أَشْبَهَ النَّاسِ هَدِيًّا وَدَلًّا وَقَضَاءً وَخُطْبَةً بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ ، إِلَى أَنْ يَرْجِعَ ، لَا أُدْرِي مَا يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ . . لَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَلَقَدْ عَلِمَ

(١) أي يقول عُمَرُ لِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا .

(٢) انظر السير : (عبدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ) ١/٦٨-٩٢ ، وانظر النزاهة : ١/١٣٠ .

(٣) انظر السير : (عبدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ) ١/٦٨-٩٢ ، وانظر النزاهة : ٢/١٣١ .

(٤) انظر السير : (عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ) ١/٢٥٢-٢٥٥ ، وانظر النزاهة : ٢/١٥٨ .

(٥) انظر السير : (البراءُ بنُ مَعْرُورٍ) ١/٢٦٧-٢٦٩ ، وانظر النزاهة : ١/١٦١ .

(٦) انظر السير : (سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ) ١/٢٧٠-٢٧٩ ، وانظر النزاهة : ٣/١٦٢ .

الْمُتَهَجِّدُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ مِنْ أَقْرَبِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ
وَسَيْلَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) .

وقال أبو جناب : سمعتُ عميرَ بنَ سعيدٍ يقولُ : صَلَّى عَلَيَّ عَلَى سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ،
فكَبَّرَ حَمْسًا فقالوا : ما هذا ؟ فقال : لأهلِ بَدْرِ فَضَّلْتُ عَلَى غَيْرِهِمْ ، فأردتُ أنْ
أَعْلِمَكُم فَضْلَهُ (٢) .

وعن أبي البخترى ، قال : أتينا علياً ، فسألناه عن أصحابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلم قال عن أيهم تسألوني ؟ قلنا : عن ابنِ مسعود قال : عَلِمَ الْقُرْآنَ وَالسنة ، ثم
انتهى ، وكفى به عالماً قلنا أبو موسى ؟ قال صبغ في العلم صبغةً ، ثم خرج منه قلنا :
حذيفة ؟ قال : أعلم أصحابِ مُحَمَّدٍ بِالْمُنَافِقِينَ قالوا : سلمان ؟ قال : أدرك العلم
الأول ، والعلم الآخر ، بخراً لا يدرك قعره ، وهو من أهل البيت قالوا : أبو ذر ؟
قال : وعى عالماً عجز عنه فُسِّلَ عن نفسه قال : كنتُ إذا سألتُ أُعطيْتُ ، وإذا سكتُ
ابتديتُ (٣) .

وقال قتادة ، عن أنس ، قال : افتخر الحَيَّان من الأنصار ، فقالت الأوس : مِنَّا
غَسِيلُ الْمَلَائِكَةِ : حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّاهِبِ ، وَمِنَّا مَنْ اهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ : سَعْدٌ ، وَمِنَّا مَنْ حَمَمَتْهُ
الدَّبْرُ (٤) : عاصمُ بْنُ أَبِي الْأَفْلَحِ ، وَمِنَّا مَنْ أُجِيزَتْ شَهَادَتُهُ بِشَهَادَتَيْنِ : خُزَيْمَةُ بْنُ
ثَابِتٍ (٥) .

وروى قيسُ بنُ أبي حازم ، أنَّ عديَّ بنَ حاتمٍ جاء إلى عمرَ ، فقال : أما تعرفني ؟
قال : أعرفك ، أقمْتَ (٦) إذ كفروا ، ووفيت إذ غدروا ، وأقبلت إذ أدبروا (٧) .

(١) انظر السير : (عبد الله بن مسعود) ١/٤٧١-٥٠٠ ، وانظر النزهة : ٧/١٩٣ .

(٢) انظر السير : (سهل بن حنيف) ٢/٣٢٥-٣٢٩ ، وانظر النزهة : ٤/٢٦٨ .

(٣) انظر السير : (أبو موسى الأشعري) ٢/٣٨٠-٤٠٢ ، وانظر النزهة : ٢/٢٨٠ .

(٤) الدبر : النحل والزنابير .

(٥) انظر السير : (خزيمة بن ثابت) ٢/٤٨٥-٤٨٧ ، وانظر النزهة : ٢/٢٩٤ .

(٦) أقمْتَ : أي ثبتت على الإسلام ولم ترتد ، فقد قدم على أبي بكر الصديق في وقت الردة بصدقة قومه .

(٧) انظر السير : (عدي بن حاتم) ٣/١٦٢-١٦٥ ، وانظر النزهة : ١/٣٥٨ .

وعن ابن سيرين ، قال : أذركتُ القومَ وهم يُقدِّمونَ خمسةَ من بدأ بالحارثِ الأَعورِ ثنَّى بعبيدةَ ، ومن بدأ بعبيدةَ ثنَّى بالحارثِ ثم علقمةُ الثالث ، لا شكَّ فيه ، ثم مسروقُ ، ثم شريحُ ، وإنَّ قوماً أحسُّهم شريحَ لقومٍ لهم شأنٌ .

وعنُ محمدٌ قالَ : كانَ أصحابُ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ خمسةَ كلِّهم فيه عيبٌ : عبيدةُ أعورُ ، ومسروقُ أحدبُ ، وعلقمةُ أعرجُ ، وشريحُ كوسجٌ^(١) ، والحارثُ أعورٌ^(٢) .

وقالَ رَوْحُ بنُ عبادةَ : حدَّثنا حجاجُ الأَسودُ ، قالَ : تمنَّى رجلٌ فقالَ : لَيتني بزُهْدِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ ، وورعِ ابنِ سيرينَ ، وعبادةِ عامِرِ بنِ عبدِ قيسَ ، وفقهِ سَعِيدِ بنِ المُسيَّبِ ، وذَكَرَ مُطَرِّفُ بنِ الشَّخِيرِ بشيءٍ ، قالَ : فنظروا في ذلك فوجدوه كلُّه كاملاً في الحَسَنِ^(٣) .

وعن أبي إسحاقَ الفَزاري : سمعتُ الأوزاعيَّ يقولُ : إذا ماتَ ابنُ عَوْنٍ والثورِيُّ استوى النَّاسُ^(٤) .

وقالَ أحمدُ بنُ حنبلٍ : الثَّقَةُ كَشُعْبَةَ وَمِسْعَرَ^(٥) .

وقالَ أبو وهبٍ محمدُ بنُ مُراحِمٍ : سمعتُ ابنَ المُباركِ يقولُ : رأيتُ أعبَدَ النَّاسِ عبدَ العزیزِ بنِ أبي رَوادٍ ، وأورَعَ النَّاسِ الفُضيلَ بنَ عِياضٍ ، وأعلمَ النَّاسِ سُفيانَ الثَّورِيَّ ، وأفقهَ النَّاسِ أبا حنيفةَ ، ما رأيتُ في الفِقهِ مثلهُ^(٦) .

وسُئِلَ أبو داودُ : أيُّما أَحفظُ وَكيعٌ أو عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَهدي ؟ قالَ : وَكيعٌ أَحفظُ وعبدُ الرَّحْمَنِ أَتقنُ ، وقد التَّقيا بعدَ العِشاءِ في المَسجِدِ الحَرَامِ ، فتَواقفا حتَّى سَمعا أذانَ الصُّبْحِ^(٧) .

(١) الكَوْسَجُ : الذي لا شَعْرَ على عارضِيه ، ويُقالُ : النَّقيُّ الخدينِ من الشعرِ .

(٢) انظر السير : (علقمة) ٤/٥٣-٦١ ، وانظر النزهة : ٢/٤٤٣ .

(٣) انظر السير : (الحسنُ البَصْرِيُّ) ٤/٥٦٣-٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٣/٥٦١ .

(٤) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عَوْنٍ) ٦/٣٦٤-٣٧٥ ، وانظر النزهة : ١/٦٥٧ .

(٥) انظر السير : (مسعرٌ) ٧/١٦٣-١٧٣ ، وانظر النزهة : ١/٦٨٩ .

(٦) انظر السير : (الفُضيلُ بنُ عِياضٍ) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ١/٧٧٣ .

(٧) انظر السير : (وكيعٌ) ٩/١٤٠-١٦٨ ، وانظر النزهة : ٢/٨١٠ .

وعن المأمون قال : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ مِنْهُمْ مِثْلُ الْغِدَاءِ لَا بُدَّ مِنْهُ ، وَمِنْهُمْ كَالدَّوَاءِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي حَالِ الْمَرَضِ ، وَمِنْهُمْ كَالدَّاءِ مَكْرُوهٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ .
وعنه قال : لَا نُزْهَةَ أَلَدٌ مِنَ النَّظْرِ فِي عُقُولِ الرِّجَالِ (١) .

قال عبد الله بن أبي زياد القطواني : سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدٍ يَقُولُ : انْتَهَى الْعِلْمُ إِلَى أَرْبَعَةٍ : أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ أَسْرَدَهُمْ لَهُ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَفْقَهُهُمْ فِيهِ ، وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ أَعْلَمَهُمْ بِهِ ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ أَكْتَبَهُمْ لَهُ (٢) .

وقال أبو زرعة : أَمَلَى عَلِيُّ أَحْمَدُ بْنُ عَاصِمٍ الْحَكِيمُ الْأَنْطَاكِيُّ : النَّاسُ ثَلَاثٌ طَبَقَاتٍ : مَطْبُوعٌ غَالِبٌ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ، فَإِذَا غَفَلُوا ذَكَرُوا ، وَمَطْبُوعٌ مَغْلُوبٌ فَإِذَا بُصِّرُوا أَبْصَرُوا وَرَجَعُوا بِقُوَّةِ الْعَقْلِ ، وَمَطْبُوعٌ مَغْلُوبٌ غَيْرُ ذِي طِبَاعٍ وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّ هَذَا بِالْمَوَاعِظِ (٣) .

(هـ) رُؤْيَا تَدُلُّ عَلَى تَفَاوُتِ مَرَاتِبِ الصَّالِحِينَ فِي الْجَنَّةِ :

قال أبو صالح كاتب الليث : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ أَنَّ رَجُلَيْنِ تَأَخَّيَا فِتْعَاهَدَا : إِنْ مَاتَ أَحَدُهُمَا قَبْلَ الْآخَرِ أَنْ يُخْبِرَهُ مَا وَجَدَ ، فَمَاتَ أَحَدُهُمَا ، فَرَأَاهُ الْآخَرُ فِي النَّوْمِ ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ؟ قَالَ : ذَاكَ مَلِكٌ فِي الْجَنَّةِ لَا يُعْصَى ، قَالَ : فابن سيرين ؟ قَالَ : ذَاكَ فِيمَا شَاءَ اسْتَهَى ، شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا ، قَالَ : فبأي شيءٍ أدرك الحسن ؟ قَالَ : بِشِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ (٤) .

وكان الحكم بن حجل صديقاً لابن سيرين ، فحزن على ابن سيرين حتى كان يُعَادُ ، ثُمَّ قَالَ : رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ فِي حَالِ كَذَا وَكَذَا ، فَسَأَلْتُهُ لِمَا سَرَّتَنِي : مَا فَعَلَ الْحَسَنُ ؟ قَالَ : رُفِعَ فَوْقِي سَبْعِينَ دَرَجَةً ، قُلْتُ : بِمَ ؟ فَقَدْ كُنَّا نَرَى أَنَّكَ فَوْقَهُ ! قَالَ : بِطَوْلِ الْحُزْنِ .

-
- (١) انظر السير : (المأمون) ٢٧٢/١٠-٢٩٠ ، وانظر النزاهة : ٢/٨٧٧ .
(٢) انظر السير : (علي بن المديني) ٤١/١١-٦٠ ، وانظر النزاهة : ١/٩٠٨ .
(٣) انظر السير : (الأنطاكي) ٤٠٩/١١-٤١٠ ، وانظر النزاهة : ٤/٩٥٥ .
(٤) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٦٠٦/٤-٦٢٢ ، وانظر النزاهة : ٣/٥٧١ .

وقد كان الأوزاعيُّ أشارَ عليه يحيى بنُ أبي كثير ، أن يَرْتَحِلَ إلى البَصْرَةِ لِلْقِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، فَاتَى فَوَجَدَهُ فِي مَرَضِ الْمَوْتِ ، فَعَادَهُ وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ، وَبَلَغَنِي أَنَّ اسْمَ أُمِّهِ صَفِيَّةُ ، مَوْلَاةُ لِأَبِي بَكْرِ الصَّدِّيقِ (١) .

١٣- دِفَاعُ السَّلَفِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ :

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ : وَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبُوكَ ذَكَرَنِي ، وَقَالَ : « مَا فَعَلَ كَعْبُ ؟ » فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي : خَلَفَهُ يَا نَبِيَّ اللهُ بُرْدَاهُ ، وَالتَّظَرُّ فِي عِطْفِيهِ ، فَقَالَ مُعَاذٌ : بِئْسَ مَا قُلْتَ : وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا .

إِلَى أَنْ قَالَ : فَلَمَّا رَأَيْتُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَسَّمَ تَبَسَّمَ الْمُغْضَبِ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَمْ تَكُنْ ابْتِغَيْتَ ظَهْرَكَ ؟ » قُلْتُ : بَلَى قَالَ : « فَمَا خَلَفَكَ ؟ » قُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ بَيْنَ يَدَيَّ أَحَدٍ غَيْرِكَ جَلَسْتُ لَخَرَجْتُ مِنْ سُخْطِهِ عَلَيَّ بَعْدُ ، لَقَدْ أُوتِيتُ جَدَلًا ، وَلَكِنْ قَدْ عَلِمْتُ يَا نَبِيَّ اللهُ أَنِّي أُخْبِرُكَ الْيَوْمَ بِقَوْلٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ وَهُوَ حَقٌّ فَإِنِّي أَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللهِ .

إِلَى أَنْ قَالَ : وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَيْسَرَ وَلَا أَخَفَّ حَاذًا (٢) مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَا هَذَا فَقَدْ صَدَقَكُمْ ، قُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ » فَقُمْتُ .

إِلَى أَنْ قَالَ : وَنَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ (٣) .

فَجَعَلْتُ أُخْرَجُ إِلَى السُّوقِ ، فَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ ، وَتَنَكَّرَ لَنَا النَّاسُ ، حَتَّى مَا هُمْ بِالَّذِينَ نَعْرِفُ ، وَتَنَكَّرَتْ لَنَا الْحَيْطَانُ وَالْأَرْضُ ، وَكُنْتُ أَطُوفُ وَأَتِي الْمَسْجِدَ ، فَأَدْخُلُ وَأَتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسَلُّمُ عَلَيْهِ ، فَأَقُولُ هَلْ حَرَّكَ شَفْتَيْهِ بِالسَّلَامِ !! ؟ (٤) .

(١) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٦٠٦/٤-٦٢٢ ، وانظر النزعة : ٤/٥٧١ .

(٢) الحاذ : الحال .

(٣) أيها الثلاثة : مبني على الضم في محل نصب على الاختصاص ، أي : مختصين بذلك دون بقية الناس .

(٤) انظر السير : (كعب بن مالك) ٥٢٣/٢-٥٣٠ ، وانظر النزعة : ٤/٣٠٠ .

وقال الإمام الذهبي في تَرْجَمَةِ خَالِدِ بْنِ مِهْرَانَ ، المَعْرُوفِ بِالْحَدَّاءِ : وَثَقَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، وَيُخْبِي بِنُ مَعِينٍ وَجَمَاعَةٌ وَحَدِيثُهُ فِي الصُّحُوحِ .

وقال عبادُ بنُ عَبَّادٍ : أَرَادَ شُعْبَةُ أَنْ يَضَعَ مِنْ خَالِدِ الْحَدَّاءِ فَأَتَيْتُهُ أَنَا وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا لَكَ : أَجِنْتِ؟ أَنْتَ أَعْلَمُ! قَالَ : وَتَهَدَّدَنَاهُ فَأَمْسَكَ^(١) .

وَرَوَى حَيَّانُ بْنُ مُوسَى المَرُوزِيُّ ، قَالَ : سُئِلَ ابْنُ المُبَارَكِ : مَا لَكَ أَفْقَهُ ، أَوْ أَبُو حَنِيفَةَ ؟ قَالَ : أَبُو حَنِيفَةَ وَقَالَ الخُرَيْبِيُّ : مَا يَقَعُ فِي أَبِي حَنِيفَةَ إِلَّا حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلٌ .

وقال يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ القَطَّانِ : لَا نَكْذِبُ اللهَ ، مَا سَمِعْنَا أَحْسَنَ مِنْ رَأْيِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَقَدْ أَخَذْنَا بِأَكْثَرِ أَقْوَالِهِ .

وقال الشَّافِعِيُّ : النَّاسُ فِي الفِيقِهِ عِيَالٌ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ .

قال الإمامُ الذهبيُّ مُعَقِّباً : الإِمَامَةُ فِي الفِيقِهِ وَدَقَائِقِهِ مُسَلِّمَةٌ إِلَى هَذَا الإِمَامِ ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا شَكَّ فِيهِ .

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا احتَاجَ النِّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

وَسِيرَتُهُ تَحْتَمِلُ أَنْ تُفَرَّدَ فِي مُجَلَّدَيْنِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَرَحِمَهُ^(٢) .

قال أبو زُرْعَةَ الدُّمَشْقِيُّ : ابْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ رَجُلٌ قَدْ اجْتَمَعَ الكُتُبَاءُ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ عَلَى الأَخْذِ عَنْهُ ، مِنْهُمْ سُفْيَانُ ، وَشُعْبَةُ ، وَابْنُ عُيَيْنَةَ ، وَالحَمَّادَانِ ، وَابْنُ المُبَارَكِ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ ، وَرَوَى عَنْهُ مِنَ القَدَمَاءِ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ وَقَدْ اخْتَبَرَهُ أَهْلُ الحَدِيثِ فَرَأَوْا صِدْقاً وَخَيْراً مَعَ مَدْحِ ابْنِ شِهَابٍ لَهُ وَقَدْ ذَكَرْتُ دُحَيْمًا قَوْلَ مَالِكٍ فَرَأَى أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ لِلحَدِيثِ إِنَّمَا هُوَ لِأَنَّهُ اتُّهِمَ بِالقَدَرِ^(٣) .

وقال ابنُ عَدِيٍّ : وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لابْنِ إِسْحَاقَ مِنَ الفِضْلِ إِلَّا أَنَّهُ صَرَفَ المُلُوكَ عَنْ

(١) انظر السير : (خَالِدُ بْنُ مِهْرَانَ) ١٩٥-١٩٣ ، وانظر النزهة : ٢/٦٤٠ .

(٢) انظر السير : (أَبُو حَنِيفَةَ) ٣٩٠-٤٠٤ ، وانظر النزهة : ٨/٦٦٣ .

(٣) انظر السير : (ابْنُ إِسْحَاقَ) ٣٣/٧-٥٥ ، وانظر النزهة : ٢/٦٧٥ .

الاشتغال بِكُتُبٍ لَا يَحْصُلُ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَى الْاِسْتِغَالِ بِمَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَبَعَثِهِ وَمُبْتَدَأِ الْخَلْقِ ، لَكَانَتْ هَذِهِ فَضِيلَةٌ سَبَقَ بِهَا ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ صَنَفَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ فَلَمْ يَبْلُغُوا مَبْلَغَ ابْنِ إِسْحَاقَ مِنْهَا ، وَقَدْ فَتَشْتُ أَحَادِيثَهُ كَثِيرًا فَلَمْ أَجِدْ مِنْ أَحَادِيثِهِ مَا يَتَهَيَّأُ أَنْ يَقْطَعَ عَلَيْهِ بِالضَّعْفِ وَرُبَّمَا أَخْطَأَ ، أَوْ يَهْمُ فِي الشَّيْءِ بَعْدَ الشَّيْءِ كَمَا يُخْطِئُ غَيْرُهُ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ فِي الرَّوَايَةِ عَنْهُ الثَّقَاتُ وَالْأَثْمَةُ وَهُوَ لَا بَأْسَ بِهِ .

مَاتَ ابْنُ إِسْحَاقَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِئَةَ (١) .

وَقَالَ حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ : سَمِعْتُ ابْنَ مَعِينٍ يَقُولُ : رَأَيْتُ عِنْدَ مَرْوَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ لَوْحًا فِيهِ أَسْمَاءُ شُيُوخٍ : فُلَانٌ رَافِضِيٌّ ، وَفُلَانٌ كَذَا ، وَوَكَيْعٌ رَافِضِيٌّ ، فَقُلْتُ لِمَرْوَانَ : وَكَيْعٌ خَيْرٌ مِنْكَ ، قَالَ : مَنِي ؟ قُلْتُ : نَعَمْ فَسَكَتَ ، وَلَوْ قَالَ لِي شَيْئًا ، لَوَثَّبَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ عَلَيْهِ قَالَ : فَبَلَغَ ذَلِكَ وَكَيْعًا ، فَقَالَ : يَحْيَى صَاحِبُنَا ، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَعْرِفُ لِي ، وَيُرْحَبُ (٢) .

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي مِخْنَةِ وَكَيْعٍ : مِخْنَةُ وَكَيْعٍ - وَهِيَ غَرِيبَةٌ - تَوَرَّطَ فِيهَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا خَيْرًا ، وَلَكِنْ فَاتَتْهُ سَكَنَةٌ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ، فَلْيَتَّقِ عَبْدٌ رَبَّهُ ، وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ » .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ : حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْبَهِيِّ ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ ، فَقَبَّلَهُ ، وَقَالَ : بِأَبِي وَأُمِّي ، مَا أَطْيَبَ حَيَاتِكَ وَمَيِّتَتِكَ ! ثُمَّ قَالَ الْبَهِيُّ : وَكَانَ تَرَكَ يَوْمًا وَلَيْلَةً حَتَّى رَبَا بَطْنُهُ ، وَانْتَنَتْ خِنْصْرَاهُ - قَالَ ابْنُ خَشْرَمٍ : فَلَمَّا حَدَّثَ وَكَيْعٌ بِهَذَا بِمَكَّةَ ، اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ ، وَأَرَادُوا صَلْبَ وَكَيْعٍ ، وَنَصَبُوا خَشْبَةً لِصَلْبِهِ ، فَجَاءَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، فَقَالَ لَهُمْ : اللَّهُ اللَّهُ ! ، هَذَا فَقِيهُ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَابْنُ فُقَيْهٍ ، وَهَذَا حَدِيثٌ مَعْرُوفٌ قَالَ سُفْيَانُ : وَلَمْ أَكُنْ سَمِعْتُهُ إِلَّا أَنِّي أَرَدْتُ تَخْلِيصَ وَكَيْعٍ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ : سَمِعْتُ الْحَدِيثَ مِنْ وَكَيْعٍ ، بَعْدَمَا أَرَادُوا صَلْبَهُ فَتَعَجَّبْتُ مِنْ

(١) انظر السير : (ابن إسحاق) ٧/٣٣-٥٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٧٥ .

(٢) انظر السير : (وكيع) ٩/١٤٠-١٦٨ ، وانظر النزهة : ٤/٨١٠ .

جَسَارَتِهِ ، وَأُخْبِرْتُ أَنْ وَكَيْعًا اِخْتَجَّ ، فَقَالَ : إِنَّ عِدَّةً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالُوا : لَمْ يَمُتْ رَسُولُ اللَّهِ فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةَ الْمَوْتِ .

فهذه زَلَّةٌ عَالِمٍ ، فما لَوَكَيْعٍ وَلِرِوَايَةِ هَذَا الْخَبَرِ الْمُنْكَرِ الْمُنْقَطِعِ الْإِسْنَادُ!! ، كَادَتْ نَفْسُهُ أَنْ تَذَهَبَ غَلْطًا ، وَالْقَائِمُونَ عَلَيْهِ مَعْدُورُونَ ، بَلْ مَا جُورُونَ ، فَإِنَّهُمْ تَخَيَّلُوا مِنْ إِشَاعَةِ هَذَا الْخَبَرِ الْمَرْدُودِ ، غَضًّا مَا لِمَنْصِبِ التُّبُّوَّةِ ، وَهُوَ فِي بَادِيِ الرَّأْيِ يُوهِمُ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ إِذَا تَأَمَّلْتُهُ ، فَلَا بَأْسَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِذَلِكَ ، فَإِنَّ الْحَيَّ قَدْ يَرُوبُو جَوْفُهُ ، وَتَسْتَرْخِي مَفَاصِلُهُ ، وَذَلِكَ تَفَرُّعٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ ، وَ« أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ » ، وَإِنَّمَا الْمَحْذُورُ أَنْ تَجُوزَ عَلَيْهِ تَغْيِيرَ سَائِرِ مَوْتَى الْأَدَمِيِّينَ وَرَائِحَتِهِمْ ، وَأَكَلَ الْأَرْضِ لِأَجْسَامِهِمْ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمُفَارِقٌ لِسَائِرِ أُمَّتِهِ فِي ذَلِكَ ، فَلَا يَنْلِي ، وَلَا تَأْكُلُ الْأَرْضُ جَسَدَهُ ، وَلَا يَتَغَيَّرُ رِيحُهُ ، بَلْ هُوَ الْآنَ ، وَمَا زَالَ أَطْيَبَ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ ، وَهُوَ حَيٌّ فِي لَحْدِهِ حَيَاةً مِثْلَهُ فِي الْبَرْزَخِ ، الَّتِي هِيَ أَكْمَلُ مِنْ حَيَاةِ سَائِرِ النَّبِيِّينَ ، وَحَيَاتِهِمْ بِلَا رَيْبٍ أْتَمُّ وَأَشْرَفُ مِنْ حَيَاةِ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ هُمْ بِنَصِّ الْكِتَابِ ﴿ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾^(١) ، وَهَوْلَاءِ حَيَاتِهِمْ الْآنَ الَّتِي فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ حَقٌّ ، وَلَكِنْ لَيْسَتْ هِيَ حَيَاةَ الدُّنْيَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، وَلَا حَيَاةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، وَلَهُمْ شِبْهُ بِحَيَاةِ أَهْلِ الْكَهْفِ ، وَمِنْ ذَلِكَ : اجْتِمَاعُ آدَمَ وَمُوسَى ، لَمَّا اِخْتَجَّ عَلَيْهِ مُوسَى ، وَحَاجَّهُ آدَمَ بِالْعِلْمِ السَّابِقِ كَانَ اجْتِمَاعُهُمَا حَقًّا ، وَهُمَا فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ ، وَكَذَلِكَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُخْبِرَ أَنَّهُ رَأَى فِي السَّمَاوَاتِ آدَمَ وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ وَإِدْرِيسَ وَعِيسَى ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، وَطَالَتْ مُحَاوَرَاتُهُ مَعَ مُوسَى ، هَذَا كُلُّهُ حَقٌّ وَالَّذِي مِنْهُمْ لَمْ يَذُقِ الْمَوْتَ بَعْدُ هُوَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَدْ تَبَرَّهَنْ لَكَ أَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا زَالَ طَيِّبًا مُطَيِّبًا ، وَأَنَّ الْأَرْضَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهَا أَكْلُ أَجْسَادِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَهَذَا شَيْءٌ سَبِيلُهُ التَّوْقِيفُ ، وَمَا عَنَّفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمَّا قَالُوا لَهُ بِلَا عِلْمٍ : وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ ؟ - يَعْنِي بَلَيْتَ - فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٩ .

« إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكَلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ » .

وهذا بحثٌ مُعْتَرِضٌ فِي الْإِعْتِذَارِ عَنْ إِمَامٍ مِنْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ قَامَ فِي الدَّفْعِ عَنْهُ مِثْلُ إِمَامِ الْحِجَازِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، وَلَوْلَا أَنَّ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ فِي عِدَّةِ كُتُبٍ ، وَفِي مِثْلِ « تَارِيخِ الْحَافِظِ بْنِ عَسَاكِرٍ » ، وَفِي « كَامِلِ الْحَافِظِ ابْنِ عَدِيٍّ » لِأَعْرَضَتْ عَنْهَا جُمْلَةً ، فَفِيهَا عِبْرَةٌ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَثَّامٍ : مَرِضَ وَكَيْعٌ ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنَّ سُفْيَانَ أَتَانِي ، فَبَشَّرَنِي بِجَوَارِهِ ، فَأَنَا مُبَادِرٌ إِلَيْهِ .

مَاتَ وَكَيْعٌ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةَ يَوْمٍ عَاشُورَاءَ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : عَاشَ وَكَيْعٌ ثَمَانِيًا وَسِتِّينَ سَنَةً سِوَى شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ ^(١) .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ النَّضْرِ الْأَزْدِيِّ ، سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ ، وَسُئِلَ عَنِ الشَّافِعِيِّ ، فَقَالَ : لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِهِ ، لَقَدْ كُنَّا تَعَلَّمْنَا كَلَامَ الْقَوْمِ ، وَكُتِبْنَا كُتُبَهُمْ ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْنَا ، فَلَمَّا سَمِعْنَا كَلَامَهُ ، عَلِمْنَا أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ جَالَسْنَاهُ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي ، فَمَا رَأَيْنَا مِنْهُ إِلَّا كُلَّ خَيْرٍ ، فَقِيلَ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، كَانَ يَحْيَى وَأَبُو عُبَيْدٍ لَا يَرْضِيَانِهِ - يُشِيرُ إِلَى التَّشْيِيعِ وَأَنْهُمَا نَسَبَاهُ إِلَى ذَلِكَ - فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : مَا نَدْرِي مَا يَقُولَانِ ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا ^(٢) .

وَقَالَ سَلْمَةُ بْنُ شَبِيبٍ : قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ : طَلَبْتُ عَفَّانَ بْنَ مُسْلِمٍ فِي مَنْزِلِهِ ، قَالُوا : خَرَجَ ، فَخَرَجْتُ أَسْأَلُ عَنْهُ ، فَقِيلَ : تَوَجَّهَ هَلْكَذَا ، فَجَعَلْتُ أَمْضِي أَسْأَلُ عَنْهُ ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مَقْبَرَةٍ ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ يَقْرَأُ عَلَى قَبْرِ بِنْتِ أَخِي ذِي الرِّيَاسَتَيْنِ ، فَبَزَقْتُ عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ : سَوْءَةٌ لَكَ قَالَ : يَا هَذَا ، الْخُبْزُ الْخُبْزُ! قُلْتُ : لَا أَشْبَعُ اللَّهَ بَطْنَكَ قَالَ : فَقَالَ لِي أَحْمَدُ : لَا تَذْكُرَنَّ هَذَا فَإِنَّهُ قَدْ قَامَ فِي الْمِحْنَةِ مَقَامًا مَحْمُودًا عَلَيْهِ ، وَنَحْوَ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ .

مَاتَ عَفَّانُ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ وَمِئَتَيْنِ أَوْ قَبْلَهَا .

(١) انظر السير : (وكيع) ٩/ ١٤٠-١٦٨ ، وانظر النزهة : ١/ ٢١٨ .

(٢) انظر السير : (الإمام الشافعي) ١٠/ ٥-٩٩ ، وانظر النزهة : ٦/ ٨٥٠ .

قال الإمام الذهبي : عاش خمساً وثمانين سنة رحمه الله (١) .

وقال الحسين بن إسماعيل الفارسي ، سألت عبدوس بن هانيء عن حال علي بن الجعد ، فقال : ما أعلم أنني لقيت أحفظ منه ، فقال : كان يُتهم بالجهم .

قال : قد قيل لهذا ، ولم يكن كما قالوا ، إلا أن ابنه الحسن بن علي كان على قضاء بغداد ، وكان يقول بقول جهم ، قال : كان عند علي بن الجعد عن شعبة نحو من ألف ومئتي حديث ، وكان قد لقي المشايخ فزهدت فيه بسبب هذا القول ، ثم ندمت بعد (٢) .

وقال محمد بن حماد المقرئ : سألت يحيى بن معين عن علي بن الجعد ، فقال : ثقة صدوق ، ثقة صدوق قلت : فهذا الذي كان منه ؟ فقال : أيش كان منه ؟ ثقة صدوق (٣) .

وجاء في ترجمة سعيد بن كثير بن عفير ، قال ابن عدي : هو عند الناس ثقة ، ثم ساق قول أبي إسحاق السعدي الجوزجاني في سعيد بن عفير : فيه غير لون من البدع ، وكان مخلطاً غير ثقة ، فهذا من مجازفات السعدي (٤) .

قال ابن عدي : هذا الذي قاله السعدي لا معنى له ، ولم أسمع أحداً ، ولا بلغني عن أحد كلام في سعيد بن عفير ، وقد حدث عنه الأئمة ، إلا أن يكون السعدي أراد به سعيد بن عفير آخر وقال يحيى بن معين : رأيت بمصر ثلاث عجائب : النيل ، والأهرام ، وسعيد بن عفير .

قال الإمام الذهبي معقباً : حسبك أن يحيى إمام المحدثين انبهر لابن عفير وقال أبو سعيد بن يونس : كان سعيد من أعلم الناس بالأنساب ، والأخبار الماضية ، وأيام العرب والتواريخ ، كان في ذلك كله شيئاً عجيباً ، وكان مع ذلك أديباً فصيحاً ، حسن

(١) انظر السير : (عفان) ٢٤٢/١٠ - ٢٥٥ ، وانظر النزاهة : ٣/٨٧٤ .

(٢) انظر السير : (علي بن الجعد) ٤٥٩/١٠ - ٤٦٨ ، وانظر النزاهة : ٣/٨٨٣ .

(٣) انظر السير : (علي بن الجعد) ٤٥٩/١٠ - ٤٦٨ ، وانظر النزاهة : ١/٨٨٤ .

(٤) انظر السير : (سعيد بن كثير بن عفير) ٥٨٣/١٠ - ٥٨٦ ، وانظر النزاهة : ١/٨٩٧ .

البيان ، حاضِرِ الحُجَّةِ ، لا تَمَلُّ مُجَالَسَتَهُ ، ولا يُنَزَفُ عِلْمُهُ (١) .

وذكرَ النَّسَائِيُّ أَحْمَدَ بْنَ صَالِحٍ يَوْمًا ، فرَمَاهُ ، وأَسَاءَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ (٢) .

قالَ ابنُ يُونُسَ : لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا - بِحَمْدِ اللَّهِ - كما قالَ النَّسَائِيُّ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ آفَةٌ غَيْرُ الكِبَرِ (٣) .

وقالَ عبدُ الكَرِيمِ بنُ النَّسَائِيِّ عن أبيه : أَحْمَدُ بنُ صَالِحٍ لَيْسَ بِثِقَّةٍ ولا مَأْمُونٍ ، تَرَكَه مُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى ، ورَمَاهُ يَحْيَى بنُ مَعِينٍ بالكَذِبِ (٤) .

قالَ ابنُ عَدِي : أَحْمَدُ بنُ صَالِحٍ من حُفَّازِ الحَدِيثِ ، وَخَاصَّةً لِحَدِيثِ الحِجَازِ ، ومن المَشْهُورِينَ بِمَعْرِفَتِهِ ، وَحَدَّثَ عَنْهُ البُخَارِيُّ مع شِدَّةِ اسْتِقْصَانِهِ ، ومُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى ، واعْتِمَادُهُما عَلَيْهِ في كَثِيرٍ من حَدِيثِ الحِجَازِ وَحَدَّثَ عَنْهُ مَنْ حَدَّثَ من الثَّقَاتِ ، واعْتَمَدُوهُ حِفْظًا وإِتْقَانًا وكلامُ ابنِ مَعِينٍ فِيهِ تَحَامُلٌ وَأَمَّا سُوءُ ثَنَاءِ النَّسَائِيِّ عَلَيْهِ ، فَسَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ هَارُونَ بنِ حَسَّانِ البَرَقِيِّ يَقُولُ : هَذَا الخُرَّاسَانِيُّ يَتَكَلَّمُ فِي أَحْمَدَ بنِ صَالِحٍ وَحَضَرْتُ مَجْلِسَ أَحْمَدَ بنِ صَالِحٍ ، وَطَرَدَهُ من مَجْلِسِهِ ، فَحَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَيَّ أَنْ تَكَلَّمْتُ فِيهِ قَالَ : وَهَذَا أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ قَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ ، فَالْقَوْلُ ما قاله أَحْمَدُ لا ما قاله غَيْرُهُ ، وَلَوْلَا أَنِّي شَرَطْتُ فِي كِتَابِي هَذَا أَنْ أَذْكَرَ فِيهِ كُلَّ من تَكَلَّمَ فِيهِ مُتَكَلِّمٌ لَكُنْتُ أَجِلُّ أَحْمَدَ بنَ صَالِحٍ أَنْ أَذْكَرَهُ (٥) .

وعن حمَّادِ الحَرَائِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ السَّلْفِيَّ يُنْكَرُ عَلَى الحَاكِمِ فِي قَوْلِهِ : لا تَجُوزُ الرِّوَايَةُ عن ابنِ قُتَيْبَةَ وَيَقُولُ : ابنُ قُتَيْبَةَ من الثَّقَاتِ ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ ثم قالَ : لَكِنَّ الحَاكِمَ قَصَدَهُ لِأَجْلِ المَذْهَبِ .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ مُعْتَبَأً : عَهْدِي بِالْحَاكِمِ يَمِيلُ إِلَى الكَرَامِيَّةِ ، ثم ما رَأَيْتُ لِأَبِي

- (١) انظر السير : (سَعِيدُ بنِ كَثِيرٍ بنِ عَفِيرٍ) ١٠/٥٨٣-٥٨٦ ، وانظر النزهة : ٢/٨٩٧ .
- (٢) انظر السير : (أَحْمَدُ بنُ صَالِحٍ) ١٢/١٦٠-١٧٧ ، وانظر النزهة : ٧/٩٨٩ .
- (٣) انظر السير : (أَحْمَدُ بنُ صَالِحٍ) ١٢/١٦٠-١٧٧ ، وانظر النزهة : ١/٩٩٠ .
- (٤) انظر السير : (أَحْمَدُ بنُ صَالِحٍ) ١٢/١٦٠-١٧٧ ، وانظر النزهة : ٢/٩٩٠ .
- (٥) انظر السير : (أَحْمَدُ بنُ صَالِحٍ) ١٢/١٦٠-١٧٧ ، وانظر النزهة : ٣/٩٩٠ .

محمد بن قتيبة في كتاب « مُسْكَلَ الْحَدِيثِ » ما يُخَالِفُ طَرِيقَةَ الْمُثَبِّتَةِ وَالْحَنَابِلَةَ ، وَمَنْ أَنْ أَخْبَارَ الصِّفَاتِ تَمَرُّ وَلَا تُتَأَوَّلُ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ (١) .

قَالَ السَّلْمِيُّ : سَأَلْتُ الدَّارِقُطَنِيَّ عَنْ أَبِي حَامِدِ ابْنِ الشَّرْقِيِّ فَقَالَ : ثِقَةٌ مَأْمُونٌ إِمَامٌ قُلْتُ : لِمَ تَكَلَّمَ فِيهِ ابْنُ عُقْدَةَ ؟ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ تَرَى يُؤَثِّرُ فِيهِ مِثْلُ كَلَامِهِ ، وَلَوْ كَانَ بَدَلَ ابْنِ عُقْدَةَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ فَقُلْتُ : وَأَبُو عَلِيٍّ ؟ قَالَ : وَمَنْ أَبُو عَلِيٍّ حَتَّى يُسْمَعَ كَلَامُهُ فِيهِ .

وَقَالَ الْخَلِيلِيُّ : هُوَ إِمَامٌ وَقْتَهُ بِلا مُدْفَعَةٍ .

مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ (٢) .

قَالَ أَبُو شَامَةَ : كَانَ الرَّفُّقُ بَابِنِ شَنْبُودِ أَوْلَى ، وَكَانَ اعْتِقَالُهُ وَإِغْلَاطُ الْقَوْلِ لَهُ كَافِيًا وَلَيْسَ كَانَ بِمُصِيبٍ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ، لَكِنْ أَخْطَاؤُهُ فِي وَاقِعَةٍ لَا تُسْقِطُ حَقَّهُ مِنْ حُرْمَةِ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ .

مَاتَ ابْنُ شَنْبُودِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ ، وَهُوَ فِي عَشْرِ الثَّمَانِينَ أَوْ جَاوَزَهُ (٣) .

قَالَ الْحَاكِمُ : قُلْتُ لِأَبِي عَلِيٍّ الْحَافِظِ : إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَقُولُ فِي أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ عُقْدَةَ ، قَالَ : فِي مَاذَا ؟ قُلْتُ : فِي تَفَرُّدِهِ بِهِذِهِ الْمُقَحَّمَاتِ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمَجْهُولِينَ فَقَالَ : لَا تَشْتَغَلْ بِمِثْلِ هَذَا ، أَبُو الْعَبَّاسِ إِمَامٌ حَافِظٌ مَحَلُّهُ مَحَلٌّ مَنْ يُسْأَلُ عَنِ التَّابِعِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ .

قَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ عَدِيٍّ : هُوَ صَاحِبُ مَعْرِفَةٍ وَحِفْظٍ وَتَقَدُّمٍ فِي الصَّنْعَةِ ، رَأَيْتُ مَشَايخَ بَغْدَادَ يُسَيِّئُونَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ إِنَّ ابْنَ عَدِيٍّ قَوَّى أَمْرَهُ ، وَمَشَّاهُ .
مَاتَ ابْنُ عُقْدَةَ ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ (٤) .

(١) انظر السير : (ابن قتيبة) ٢٩٦/١٣-٣٠٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٨٨ .

(٢) انظر السير : (ابن الشَّرْقِيِّ) ٣٧/١٥-٣٩ ، وانظر النزهة : ٢/١١٧٩ .

(٣) انظر السير : (ابن شَنْبُودِ) ٢٦٤/١٥-٢٦٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٢٥ .

(٤) انظر السير : (ابن عُقْدَةَ) ٣٤٠/١٥-٣٥٥ ، وانظر النزهة : ١/١٢٣٦ .

١٤- أمثلة على الإنصاف :

عن عاصم بن كليب ، عن أبيه : قال : انتهينا إلى علي رضي الله عنه ، فذكر عائشة ، فقال : خيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الإمام الذهبيُّ معقباً : هذا حديثٌ حسنٌ ومُصعبٌ فصالحٌ لا بأسَ به وهذا يقوله أمير المؤمنين في حقِّ عائشة مع ما وقعَ بينهما ، فرَضِيَ اللهُ عنهما ولا ريبَ أنَّ عائشةَ ندمتْ ندامةً كَلِيَّةً على مَسِيرِها إلى البَصْرَةِ وحُضُورِها يومَ الجَمَلِ ، وما ظنَّتْ أنَّ الأمرَ يبلُغُ ما بلُغَ (١) .

وقال زكريا بن أبي زائدة : سمعتُ عامراً يقولُ : تزوجَ عليُّ أسماءَ بنتَ عميسَ ، فتفاخرَ ابنُها : محمَّدُ بنُ أبي بكرٍ ، ومحمَّدُ بنُ جعفرٍ ، فقالَ كلُّ منهما : أنا أكرمُ منك ، وأبي خيرٌ من أبيك .

قال : فقالَ لها عليُّ : افضِ بينهما قالتَ : ما رأيتُ شاباً من العربِ خيراً من جعفرٍ ، ولا رأيتُ كهلاً خيراً من أبي بكرٍ .

فقالَ عليُّ : ما تركتِ لنا شيئاً ، ولو قلتِ غيرَ الذي قلتِ لمقتك .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ معقباً : إنَّ ثلاثةً أنتَ أحسُّهم خياراً (٢) .

وعن عبد الرحمن بن شماسة قال : دخلتُ على عائشة ، فقالت : ممَّن أنت ؟ قلتُ : من أهلِ مِصرَ قالت : كيفَ وجدتمُ ابنَ حُدَيْجٍ في غزاتِكُم هذه ؟ قلتُ : خيرٌ أمير ، ما يقفُ لرجلٍ منَّا فرسٌ ولا بعيرٌ إلاَّ أبدلَ مكانه بغيراً ، ولا غلامٌ إلاَّ أبدلَ مكانه غلاماً ، قالت : إنَّه لا يَمْنَعُنِي قتلُه أخي أحَدٌكم ما سمعتُ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، إنِّي سمعته يقولُ : « اللّهُمَّ مَنْ وَلِيَّ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ ، وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ » (٣) .

(١) انظر السير : (عائشة أم المؤمنين) ٢/١٣٥-٢٠١ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٢ .

(٢) انظر السير : (أسماء بنت عميس) ٢/٢٨٢-٢٨٧ ، وانظر النزهة : ٣/٢٦٠ .

(٣) انظر السير : (معاوية بن حديج) ٣/٣٧-٤٠ ، وانظر النزهة : ٢/٣٢٧ .

وقال حُصَيْنُ بْنُ الْمُنْدَرِ : صَلَّى الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بِالنَّاسِ الْفَجْرَ أَرْبَعًا وَهُوَ سَكْرَانٌ ثُمَّ التَّمَّتْ ، وَقَالَ : أَزِيدُكُمْ ؟ فَبَلَغَ عُثْمَانَ ، فَطَلَبَهُ ، وَحَدَّه .

وهذا مِمَّا نَقَمُوا عَلَى عُثْمَانَ أَنْ عَزَلَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ عَنِ الْكُوفَةِ وَوَلَّى هَذَا^(١) .

وكان الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ مع فِسْقِهِ - وَاللهُ يُسَامِحُهُ - شُجَاعًا قَائِمًا بِأَمْرِ الْجِهَادِ وَلَهُ أَخْبَارٌ طَوِيلَةٌ فِي « تَارِيخِ دِمَشْقَ » ، وَلَمْ يَذْكَرْ وَفَاتَهُ^(٢) .

وعن الْحَكَمِ ، أَنَّ الْأَسْوَدَ بْنَ يَزِيدِ بْنِ قَيْسِ كَانَ يَصُومُ الدَّهْرَ - هَذَا صَحِيحٌ عَنْهُ - وَكَأَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْهُ النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ ، أَوْ تَأَوَّلَ .

كَانَتْ وَفَاةُ الْأَسْوَدِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ ، وَاللهُ يَرْحَمُهُ^(٣) .

وَرَوَى يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ الْكِرْمَانِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ ، فَأَخَذَ خَرِيطةَ فِيهَا دَرَاهِمُ فَقِيلَ فِيهِ :

لَقَدْ بَاعَ شَهْرٌ دِينَهُ بِخَرِيطةٍ - فَمَنْ يَأْمَنُ الْقُرَاءَ بَعْدَكَ يَا شَهْرُ
أَخَذَتْ بِهَا شَيْئًا طَافِيئًا فَبِعْتَهُ مِنْ ابْنِ جَرِيرٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْغَدْرُ

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : إِسْنَادُهَا مُنْقَطِعٌ ، وَلَعَلَّهَا وَقَعَتْ ، وَتَابَ مِنْهَا ، أَوْ أَخَذَهَا مُتَأَوِّلًا أَنْ لَهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ حَقًّا ، نَسَأَلَ اللهُ الصَّنْفَحَ^(٤) .

وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ : شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ ثِقَةٌ ، طَعَنَ فِيهِ بَعْضُهُمْ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : الرَّجُلُ غَيْرٌ مَدْفُوعٍ عَنْ صِدْقٍ وَعِلْمٍ ، وَالِاخْتِجَاجُ بِهِ مُتَرَجِّحٌ^(٥) .

(١) انظر السير : (الوليد بن عقبة) ٣/٤١٢-٤١٦ ، وانظر النزاهة : ١/٤٠٤ .

(٢) انظر السير : (الوليد بن عقبة) ٣/٤١٢-٤١٦ ، وانظر النزاهة : ٢/٤٠٤ .

(٣) انظر السير : (الأسود بن يزيد) ٤/٥٠-٥٣ ، وانظر النزاهة : ١/٤٤٢ .

(٤) انظر السير : (شهر بن حوشب) ٤/٣٧٢-٣٧٨ ، وانظر النزاهة : ٣/٥١٣ .

(٥) انظر السير : (شهر بن حوشب) ٤/٣٧٢-٣٧٨ ، وانظر النزاهة : ٥/٥١٣ .

قال الإمام الذهبي: وشهر أبو جعفر بالباقر، من: بقّر العلم، أي شقّه فعرف أصله وخفيّه ولقد كان أبو جعفر إماماً، مُجتهداً تالياً لكتاب الله، كبير الشان ولكن لا يبلغ في القرآن درجة ابن كثير ونحوه، ولا في الفقه درجة أبي الزناد، وربيعة، ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة وابن شهاب، فلا نحايه، ولا نحيف عليه، ونحبه في الله لما تجمّع فيه من صفات الكمال^(١).

وقال علي بن أبي حملة: قدم علينا مسلم بن يسار دمشقي، فقلنا له: يا أبا عبد الله، لو علم الله أن بالعراق من هو أفضل منك، لجاءنا به، فقال: كيف لو رأيتم عبد الله بن زيد أبا قلابة الجرمي قال: فما ذهب الأيام والليالي حتى قدم علينا أبو قلابة^(٢).

قال ابن عون: لما وقعت الفتنه زمن ابن الأشعث، خف مسلم بن يسار فيها، وأبطأ الحسن، فارتفع الحسن، واتضع مسلم.

قال الإمام الذهبي معقباً: إنما يُعتبر ذلك في الآخرة، فقد يرتفعان معاً^(٣).

قال الإمام الذهبي في ترجمه قتادة بن دعامة قدوة المُفسرين: هو حجة بالإجماع إذا بين السماع، فإنه مُدلسٌ معروفٌ بذلك، وكان يرى القدر، نسأل الله العفو، ومع هذا فما توقّف أحد في صدقه، وعدالته، وحفظه، ولعلّ الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببذعة يريد بها تعظيم الباري وتزيهه، وبذل وسعه، والله حكّم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل، ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحرّيه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يُغفر له زلله، ولا نُضللُه ونظره، ونسى محاسنه، نعم ولا نُقتدي به في بدعته وخطئه ونرجو له التوبة من ذلك^(٤).

(١) انظر السير: (أبو جعفر الباقر) ٤/٤٠١-٤٠٩، وانظر النزاهة: ٣/٥٢١.

(٢) انظر السير: (أبو قلابة) ٤/٤٦٨-٤٧٥، وانظر النزاهة: ٥/٥٣٣.

(٣) انظر السير: (مسلم بن يسار) ٤/٥١٠-٥١٤، وانظر النزاهة: ٧/٥٤٧.

(٤) انظر السير: (قتادة) ٥/٢٦٩-٢٨٣، وانظر النزاهة: ٤/٦٠١.

وقال أبو شهاب ، عبد الله بن نافع القرشي : قال لي شعبة : عليك بحجاج بن أرطاة ، ومحمد بن إسحاق فإنهما حافظان ، واكثم علي عند البصريين في خالد الحذاء ، وهشام - يعني ابن حسان^(١) .

قال الإمام الذهبيُّ مُعقَّباً : هذا الاجتهادُ من شعبةٍ مردودٌ ، لا يُلتفتُ إليه بل خالدٌ وهشامٌ مُحتجٌّ بهما في « الصَّحِيحَيْنِ » ، وهما أوثقُ بكثيرٍ من حجاج ، وابنِ إسحاق ، بل ضعفُ هذينِ ظاهرٌ ولم يُتركا^(٢) .

قال الإمام أحمدُ بنُ حنبلٍ : بلغ ابنُ أبي ذئبٍ أن مالكاَ لم يأخذْ بِحَدِيثِ « اَلْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ » فقالَ : يُسْتَتَابُ ، فإن تاب ، وإلاَّ ضُربَتْ عُنُقُهُ ثم قالَ أحمدُ : هو أَوْرَعُ وَأَقْوَلُ بِالْحَقِّ مِنْ مَالِكٍ^(٣) .

ثم قال الإمام الذهبيُّ مُعقَّباً : لو كانَ ورعاً كما ينبغي ، لما قالَ هذا الكلامَ القبيحَ في حقِّ إمامٍ عظيمٍ فمالِكُ إنما لم يعملْ بظاهرِ الحديثِ ، لأنَّه رآه منسوخاً^(٤) .

وقيلَ : عملَ به وحملَ قوله : « حَتَّى يَتَفَرَّقَا » على التلَفُّظِ بالإيجابِ والقبولِ ، فمالِكُ في هذا الحديثِ ، وفي كُلِّ حديثٍ له أُجرٌ ولا بُدُّ ، فإن أصاب ، ازدادَ أُجراً آخرَ ، وإنما يرى السيفَ على مَنْ أخطأ في اجتهاده الحُروريَّة^(٥) وبكل حالٍ فكلامُ الأقرانِ بعضهم في بعضٍ لا يُعَوَّلُ على كثيرٍ منه ، فلا نُقصتْ جلالَةُ مالِكٍ بقولِ ابنِ أبي ذئبٍ فيه ، ولا ضعَّفَ العلماءُ ابنَ أبي ذئبٍ بمقالتهِ هذه ، بل هما عالِمَا المَدِينَةِ في زمانِهِما - رضيَ اللهُ عنهما - ولم يُسندِها الإمامُ أحمدُ فلعلَّها لم تصح^(٦) .

قال ضمرة : سمعتُ مالكاَ يقولُ : إنما كانت العراقُ تجيشُ علينا بالدراهم

(١) انظر السير : (خالد بن مهرا ن) ٦/١٩٠-١٩٣ ، وانظر النزهة : ٣/٦٤٠ .

(٢) انظر السير : (خالد بن مهرا ن) ٦/١٩٠-١٩٣ ، وانظر النزهة : ٤/٦٤٠ .

(٣) انظر السير : (ابن أبي ذئب) ٧/١٣٩-١٤٩ ، وانظر النزهة : ٣/٦٨٦ .

(٤) انظر السير : (ابن أبي ذئب) ٧/١٣٩-١٤٩ ، وانظر النزهة : ٤/٦٨٦ .

(٥) الحُروريَّة : هم الحوارج ، ونسبتهم إلى : حرواء ، وهو موضع بظاهر الكوفة ، وبه كان أوَّل اجتماعهم وتحكيمهم حين خالفوا علياً رضي الله عنه وخرجوا عليه .

(٦) انظر السير : (ابن أبي ذئب) ٧/١٣٩-١٤٩ ، وانظر النزهة : ٥/٦٨٦ .

والثياب ، ثم صارت تجيشُ علينا بسُفيانَ الثَّورِيِّ ، وكان سُفيانُ يقولُ : مالِكُ ليسَ له حِفْظٌ^(١) .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ مُعقَّباً : هذا يقولُهُ سُفيانُ لِقوَّةِ حافِظَتِهِ بكثرةِ حَدِيثِهِ وِرْحَلَتِهِ إلى الآفاقِ ، وأما مالِكُ ، فَلهُ إتقانٌ وفِقهُ ، لا يُدرِكُ شأوَهُ فيه ، وله حِفْظٌ تامٌّ ، فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُما^(٢) .

قالَ ابنُ سَعَدٍ : ماتَ زَفَرُ بْنُ الهُدَيْلِ سَنَةَ ثَمَانٍ وخَمْسِينَ ومِئَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ في الحَدِيثِ بشيءٍ .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ مُعقَّباً : قد حَكَمَ له إمامُ الصَّنْعَةِ^(٣) بأنَّهُ ثِقَةٌ مَأْمُونٌ^(٤) .

قالَ ابنُ عبدِ الحَكَمِ : سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ : قالَ لي مُحَمَّدٌ : أَيُّهُما أَعْلَمُ صاحِبُنَا أم صاحِبُكُمْ ؟ يَعْنِي أبا حَنِيفَةَ ومالِكاً ، قُلْتُ : على الإنصافِ ؟ قالَ نَعَمْ قُلْتُ : أنشدك اللهُ ، مَنْ أَعْلَمُ بالقرآنِ ؟ قالَ : صاحِبُكُمْ قُلْتُ : مَنْ أَعْلَمُ بالسُّنَّةِ ؟ قالَ : صاحِبُكُمْ قُلْتُ : فَمَنْ أَعْلَمُ بأقاويلِ الصَّحابةِ والمُتقدِّمينَ ؟ قالَ : صاحِبُكُمْ قُلْتُ : فلمَ يَبْقُ إلاَّ القِياسُ ، والقِياسُ لا يَكُونُ إلاَّ على هذه الأشياءِ ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الأُصولَ ، على أيِّ شيءٍ يقيسُ ؟^(٥) .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ مُعقَّباً : وعلى الإنصافِ ، لو قالَ قائلٌ : بل هما سواءٌ في عِلْمِ الكتابِ ، والأوَّلُ ، أَعْلَمُ بالقِياسِ ، والثاني : أَعْلَمُ بالسُّنَّةِ ، وعندهُ عِلْمٌ جَمٌّ من أقوالِ كثيرٍ من الصَّحابةِ ، كما أنَّ الأوَّلُ أَعْلَمُ بأقاويلِ عليٍّ ، وابنِ مسعودٍ وطائفةٍ ممَّن كان بالكُوفَةِ من أصحابِ رَسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَرَضِيَ اللهُ عن الإمامينِ ، فقد صرنا في وقتٍ لا يَقْدِرُ الشَّخصُ على النُّطقِ بالإنصافِ نَسألُ اللهُ السَّلَامَةَ .

(١) انظر السير : (سُفيانُ الثَّورِيِّ) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/٦٩٩ .

(٢) انظر السير : (سُفيانُ الثَّورِيِّ) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٥/٦٩٩ .

(٣) هو يحيى بن معين .

(٤) انظر السير : (زُفَرُ بْنُ الهُدَيْلِ) ٨/٣٨-٤١ ، وانظر النزهة : ٢/٧٢٥ .

(٥) انظر السير : (مالِكُ الإمامِ) ٨/٤٨-١٣٥ ، وانظر النزهة : ٧/٧٣٦ .

كان خاتم مالك ، الذي مات وهو في يده ، فضة أسود حجري ، ونقشه :
حسبي الله ونعم الوكيل وكان يلبسه في يساره ، وربما لبسه في يمينه (١) .

روى أبو عمر الضرير ، عن أبي عوانة قال : دخلت على همام بن يحيى وهو
مريض ، أعوده ، فقال لي : يا أبا عوانة أدع الله أن لا يميّني حتى يبلغ ولدي الصغار
فقلت : إن الأجل قد فرغ منه ، فقال لي : أنت بعد في ضلالك (٢) .

قال الإمام الذهبي معقباً : بنس المقال هذا ، بل كل شيء بقدر سابق ، ولكن وإن
كان الأجل قد فرغ منه ، فإن الدعاء بطول البقاء قد صح ، دعا الرسول صلى الله عليه
وسلم لخادمه أنس بطول العمر ، والله يمشو ما يشاء ويثبت فقد يكون طول العمر في
علم الله مشروطاً بدعاء مُجاب ، كما أن طيران العمر قد يكون بأسباب جعلها من جور
وعسف ، و « لا يرُدُّ القدر إلا الدعاء » والكتاب الأول فلا يتغير (٣) .

وقال أبو سعيد بن الأعرابي : أمّا رابعة العدوية فقد حمل الناس عنها حكمة
كثيرة ، وحكى عنها سفيان وشعبة وغيرهما ما يدل على بطلان ما قيل عنها ، وقد
تمثلت بهذا :

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي الْفَوَادِ مَحْدَثِي وَأُبْحَتُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي

فَنَسَبَهَا بَعْضُهُمْ إِلَى الْحُلُولِ بِنَصِّ الْبَيْتِ ، وَإِلَى الْإِبَاحَةِ بِتَمَامِهِ .

قال الإمام الذهبي معقباً : فهذا غلوٌ وجهلٌ ، ولعل من نسبها إلى ذلك مباحي
حلولي ليحتج بها على كفره كاحتجاجهم بخبر : « كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ » (٤) .

قال الإمام الذهبي في ترجمة علي بن الفضيل بن عياض : مات الفضيل سنة ست
وثمانين ومئة ، وله نيفٌ وثمانون سنة ، وهو حجة كبير القدر ، ولا عبرة بما نقله

(١) انظر السير : (مالك الإمام) ٨/٤٨-١٣٥ ، وانظر النزاهة : ٨/٧٣٦ .

(٢) انظر السير : (أبو عوانة) ٨/٢١٧-٢٢٢ ، وانظر النزاهة : ٤/٧٤٥ .

(٣) انظر السير : (أبو عوانة) ٨/٢١٧-٢٢٢ ، وانظر النزاهة : ٥/٧٤٥ .

(٤) انظر السير : (رابعة العدوية) ٨/٢٤١-٢٤٣ ، وانظر النزاهة : ٦/٧٤٧ .

أحمد بن أبي خيثمة ، سمعت قُطْبَةَ بنَ العلاء يقولُ : تركتُ حديثَ فضيلِ بنِ عياض لأنه روى أحاديثَ أُرزى على عثمان بن عفان^(١) .

قال الإمامُ الذهبيُّ مُعقَّباً : فلا نسمعُ قولَ قُطْبَةَ ، لَيْتَهُ اشْتَغَلَ بِحالِهِ ، فقد قال البُخاريُّ : فيه نظرٌ ، وقال النَّسائيُّ وغيرُهُ : ضَعِيفٌ وأيضاً فالرجلُ صاحبُ سنةٍ واتباع .

قال أحمد بن أبي خيثمة : حدَّثنا عبد الصَّمَد بنُ يزيد الصَّائغ ، قال : دُكِرَ عند الفضيل - وأنا أسمعُ - الصَّحابةَ ، فقال : اتَّبَعُوا فقد كُفِيتُم : أبو بكر وعمر وعُثمان وعليُّ ، رضي اللهُ عنهم^(٢) .

قال الإمامُ الذهبيُّ مُعقَّباً : إذا كان كُبراءُ السَّابِقينِ الأوَّلِينَ قد تكلَّم فيهم الرِّوافِضُ والخوارجُ ، ومثل الفضيل يُتكلَّم فيه ، فمن الذي يسلِّمُ من ألسنةِ النَّاسِ ، لكن إذا ثبتت إمامةُ الرجلِ وفضله ، لم يضره ما قيل فيه ، وإنما الكلامُ في العلماءِ مُفتقِرٍ إلى وزنٍ بالعدلِ والورع^(٣) .

وأما قولُ ابنِ مهدي : لم يكن بالحافظ ، فمعناه : لم يكن في علمِ الحديثِ كهؤلاء الحُفَاطِ البُحُور ، كشعبة ، ومالك وسفيان ، وحماد ، وابن المبارك ، ونُظرائِهِمْ ، لكنَّهُ ثبتَ قِيَمٌ بما نقلَ ، ما أخذَ عليه في حديثٍ فيما علمتُ وهل يُرادُ من العلمِ إلا ما انتهى إليه الفضيلُ رَحِمَهُ اللهُ عليه^(٤) .

وعن جريرِ بنِ عبد الحميد : وُلِدْتُ سَنَةَ ماتَ الحَسَنُ سَنَةَ عَشْرٍ ، وكان من مشايخ الإسلام ، وقال زُنيج : سمعتُ جريراً يقولُ : رأيتُ ابنَ أبي نَجِيجٍ ولم أكتبُ عنه شيئاً ، ورأيتُ جابراً الجعفيَّ ، فلم أكتبُ عنه شيئاً ، ورأيتُ ابنَ جُرَيجٍ ، ولم أكتبُ عنه فقال له رجلٌ : ضَيَّعتُ يا أبا عبدِ اللهِ ، قال : لا ، أمّا جابرٌ ، فكان يُؤمنُ بالرجعةِ ،

(١) انظر السير : (علي بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزاهة : ٨/٧٨١ .

(٢) انظر السير : (علي بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزاهة : ١/٧٨٢ .

(٣) انظر السير : (علي بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزاهة : ٢/٧٨٢ .

(٤) انظر السير : (علي بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزاهة : ٣/٧٨٢ .

وأما ابنُ أبي نَجِيحٍ ، فكانَ يرى القَدَرَ ، وأما ابنُ جُريجٍ ، فإنه أوصى بِنِيبِهِ بِسِتِّينَ امْرَأَةً ، وقالَ : لا تَزَوَّجُوا بِهِنَّ ، فَإِنَّهُنَّ أُمَّهَاتُكُمْ - كَانَ يَرَى الْمُتَعَةَ .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّباً : أَمَا امْتِناعُهُ مِنَ الجُفِيِّ ، فَمَعذُورٌ ، لِأَنَّهُ كَانَ مُبْتَدِعاً ، وَلَمْ يَكُنْ بِالثَّقَةِ وَأَمَّا الآخِرَانِ فَفَرَطَ فِيهِمَا ، وَهُمَا مِنْ أَئِمَّةِ العِلْمِ ، وَإِنْ غَلَطَا فِي اجْتِهَادِهِمَا^(١) .

قالَ حمَّادُ بنُ سَلَمَةَ : ما كُنَّا نُسَبِّهُ شَمائِلَ إِسْماعِيلَ بنِ عَلِيَّةٍ إِلَّا بِشَمائِلِ يُونسَ حَتَّى دَخَلَ فِيما دَخَلَ فِيهِ^(٢) .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّباً : يُرِيدُ وَلايَتَهُ الصَّدَقَةَ ، وَكَانَ مَوْصُوفاً بِالذِّينِ وَالرَّوعِ وَالتَّأَلُّهِ ، مَنْظُوراً إِلَيْهِ فِي الفَضْلِ وَالعِلْمِ ، وَبَدَّتْ مِنْهُ هَفَواتٌ خَفِيفَةٌ ، لَمْ تُغَيِّرْ رُتَبَتَهُ إِنْ شاءَ اللهُ^(٣) .

ودخلَ ابنُ عَلِيَّةٍ على الأَمِينِ مُحَمَّدِ بنِ هارُونَ ، فَسَتَمَهُ مُحَمَّدٌ ، فَقَالَ : أَخْطَأْتُ ، وَكَانَ حَدَّثَ بِهَذَا الحَدِيثِ : « تَجِيءُ البَقْرَةُ وَالْ عِمْرانَ كَأَنَّهُمَا غَمامَتانِ تُحاجَّانِ عَن صاحِبِهِما » فَقِيلَ لابنِ عَلِيَّةٍ : أَلَهُما لِسانٌ ؟ قالَ : نَعَمْ : فقالوا : إِنَّهُ يَقولُ : القُرْآنُ مَخْلُوقٌ ، وَإِنَّمَا غَلَطَ^(٤) .

وقالَ الإمامُ أَحْمَدُ : بَلَّغَنِي أَنَّهُ أُدْخِلَ على الأَمِينِ ، فَلَمَّا رآهُ ، زَحَفَ وَجَعَلَ يَقولُ : يا ابنَ الفاعِلَةِ تَتَكَلَّمُ فِي القُرْآنِ ؟ وَجَعَلَ إِسْماعِيلُ يَقولُ : جَعَلَنِي اللهُ فِدائِكَ ، زَلَّةٌ مِنْ عَالِمٍ ، ثُمَّ قالَ أَحْمَدُ : إِنَّ يَغْفِرُ اللهُ لَهُ - يَعْنِي الأَمِينِ - فِيها ثُمَّ قالَ أَحْمَدُ : وَإِسْماعِيلُ ثَبِتَ^(٥) .

قالَ الفَضْلُ بنُ زيادٍ : قُلْتُ : يا أبا عَبْدِ اللهِ ، إِنَّ عَبْدَ الوَهَّابِ قالَ : لا يُحِبُّ قَلْبِي

(١) انظر السير : (جَرِيرِ بنِ عَبْدِ الحَمِيدِ) ٩/٩-١٨ ، وانظر النزهة : ٢/٧٩٥ .

(٢) انظر السير : (ابنُ عَلِيَّةٍ) ٩/١٠٧-١٢٠ ، وانظر النزهة : ٦/٨٠٣ .

(٣) انظر السير : (ابنُ عَلِيَّةٍ) ٩/١٠٧-١٢٠ ، وانظر النزهة : ٧/٨٠٣ .

(٤) انظر السير : (ابنُ عَلِيَّةٍ) ٩/١٠٧-١٢٠ ، وانظر النزهة : ١/٨٠٤ .

(٥) انظر السير : (ابنُ عَلِيَّةٍ) ٩/١٠٧-١٢٠ ، وانظر النزهة : ٢/٨٠٤ .

إسماعيلَ أبداً ، لقد رأيتُهُ في المَنامِ كأنَّهُ وجهُهُ أسودَ فقالَ أحمدُ : عافَى اللهُ عبدَ الوَهَّابِ ، ثم قالَ : لَزِمْتُ إسماعيلَ عَشْرَ سِنِينَ إلى أن أُعِيبَ ، ثم جَعَلَ يُحَرِّكُ رأسَهُ كأنَّهُ يَتَلَهَّفُ ثم قالَ : وكانَ لا يُنصِفُ في التَّحَدُّثِ (١) .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ : تُوفِّيَ إسماعيلُ سَنَةَ ثَلاثٍ وَتَسعينَ ومِئةَ عن ثَلاثِةٍ وَثمانينَ سَنَةَ .
وعن شُعبَةَ قالَ : ابنُ عَلِيَّةَ رِيحانَةُ الفُقهَاءِ (٢) .

وقالَ سَهْلُ بنُ شاذويه ، سَمِعْتُ عَلِيَّ بنَ خَشْرَمٍ يَقولُ : قُلْتُ لوكيعَ : رأيتُ إسماعيلَ بنَ عَلِيَّةَ يَشْرَبُ النَّبِيذَ حتَّى يُحْمَلَ على الحِمَارِ ، يَحْتَاجُ مَنْ يَرُدُّهُ إلى مَنْزِلِهِ ! فقالَ وكيعُ : إذا رأيتَ البَصْرِيَّ يَشْرَبُ ، فَاتَّهِمُهُ . قُلْتُ : وَكَيْفَ ؟ قالَ : إنَّ الكُوفِيَّ يَشْرَبُهُ تَدْيُنًا ، والبَصْرِيَّ يَتْرُكُهُ تَدْيُنًا (٣) .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّباً : وهذِهِ حِكايةٌ غَرِيبَةٌ ، ما عَلِمنا أحداً غَمَزَ إسماعيلَ بِشُرْبِ المُسْكِرِ قَطُّ ، وقد انْحَرَفَ بَعْضُ الحُفَظاءِ عَنه بِلا حُجَّةٍ ، حتَّى إنَّ مَنْصُورَ بنَ سَلَمَةَ الخُزَاعِيَّ تَحَدَّثَ مَرَّةً ، فَسَبَّهَ لِسانَهُ ، فقالَ : حَدَّثنا إسماعيلُ ابنُ عَلِيَّةَ ، ثم قالَ : لا ، ولا كِرامَةَ ، بلُ أَرَدْتُ زُهَيْراً وقالَ : لَيْسَ مِنْ قارِفِ الذَّنْبِ كَمَنْ لَمْ يُقارِفِهِ ، أنا واللهِ اسْتَبْتَبْتُهُ (٤) .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّباً : يُشيرُ إلى تلكَ الهَفْوَةِ الصَّغِيرَةِ ، وهَلْذا مِنَ الجَرَحِ المَرْدُودِ ، وقد اتَّفَقَ عُلَماءُ الأُمَّةِ على الاحتِجاجِ بإسماعيلَ بنِ إبراهيمِ العَدَلِ المَأْمُونِ ، وقد قالَ عبدُ الصَّمَدِ ابنُ يَزِيدِ مَرْدُويهِ : سَمِعْتُ إسماعيلَ ابنَ عَلِيَّةَ يَقولُ : القُرْآنُ كَلامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ (٥) .

(١) ذكره الإمامُ الذَّهَبِيُّ في « المِيزانِ » وَتَعَقَّبَهُ بقولِهِ : إمامَةُ إسماعيلَ وَثِيقَةٌ لا نِزاعَ فيها ، وقد بَدَتِ مِنْهُ هَفْوَةٌ وَتابَ ، فَكانَ ماذا ؟ إنِّي أخافُ اللهُ لا يَكُونُ ذَكَرنا لَه مِنَ الغِيبَةِ ، وأما القُرْآنُ ، فَقد قالَ عبدُ الصَّمَدِ بنُ يَزِيدِ بنِ مَرْدُويهِ : سَمِعْتُ ابنَ عَلِيَّةَ يَقولُ : القُرْآنُ كَلامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ .

(٢) انظر السير : (ابنُ عَلِيَّةَ) ١٠٧/٩ - ١٢٠ ، وانظر النزاهة : ٣/٨٠٤ .

(٣) انظر السير : (ابنُ عَلِيَّةَ) ١٠٧/٩ - ١٢٠ ، وانظر النزاهة : ٤/٨٠٤ .

(٤) انظر السير : (ابنُ عَلِيَّةَ) ١٠٧/٩ - ١٢٠ ، وانظر النزاهة : ٥/٨٠٤ .

(٥) انظر السير : (ابنُ عَلِيَّةَ) ١٠٧/٩ - ١٢٠ ، وانظر النزاهة : ١/٨٠٥ .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة محمد بن فضيل بن غزوان : حدث عنه عددٌ كثيرٌ ،
وجمٌّ غفيرٌ على تشييع كان فيه ، إلا أنه كان من علماء الحديث ، والكمال عزيزٌ .

وقال أحمد بن حنبل : هو حسن الحديث شيعي^(١) .

وقال أبو داود السجستاني : كان شيعياً متحرِّقاً .

قال الإمام الذهبي مُعقِّباً : تحرَّقه على من حارب أو نازع الأمر علياً رضي الله عنه ،
وهو مُعظَّمٌ للشَّيخَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا .

مات في سنة خمسٍ وتسعين ومئة^(٢) .

وقال علي بن المديني : قال لي هشام بن يوسف : كان عبد الرزاق بن همام أعلمنا
وأحفظنا^(٣) .

قال الإمام الذهبي مُعقِّباً : هكذا كان النُّظراءُ يعترفون لأقرانهم بالحفظ .

وفي المُسند قال أحمد بن حنبل : ما كان في قرية عبد الرزاق بنرٌ فكُنَّا نذهبُ نُبكرُ
على ميلين نتوضأ ، ونحملُ معنا الماء^(٤) .

وللعقيلي في كتاب « الضعفاء » ، في ترجمة عبد الرزاق بن همام : حدثنا
محمد بن أحمد بن حماد ، سمعتُ مُحَمَّدَ بْنَ عُمَانَ الثَّقَفِيَّ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ
العبَّاسُ بنُ عبدِ العَظِيمِ من عندِ الرَّزَّاقِ من صَنعَاءَ ، قَالَ لَنَا - وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ - أَلَسْتُ
قد تَجَسَّمْتُ الحُرُوجَ إلى عبدِ الرَّزَّاقِ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ، وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ حَتَّى سَمِعْتُ مِنْهُ
مَا أَرَدْتُ ؟ وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِنَّ عبدَ الرَّزَّاقِ كَذَّابٌ ، وَالوَاقِدِيُّ أَصْدَقُ
منه^(٥) .

قال الإمام الذهبي مُعقِّباً : بل والله ما برَّ عبَّاسٌ في يمينه ، ولَبَّسَ ما قال ، يعمدُ

(١) انظر السير : (محمد بن فضيل) ١٧٣/٩ - ١٧٥ ، وانظر النزهة : ٩/٨١٤ .

(٢) انظر السير : (محمد بن فضيل) ١٧٣/٩ - ١٧٥ ، وانظر النزهة : ١/٨١٥ .

(٣) انظر السير : (عبد الرزاق بن همام) ٥٦٣/٩ - ٥٨٠ ، وانظر النزهة : ٤/٨٣٨ .

(٤) انظر السير : (عبد الرزاق بن همام) ٥٦٣/٩ - ٥٨٠ ، وانظر النزهة : ٥/٨٣٨ .

(٥) انظر السير : (عبد الرزاق بن همام) ٥٦٣/٩ - ٥٨٠ ، وانظر النزهة : ٤/٨٣٩ .

إلى شيخ الإسلام ، ومُحدِّث الوقت ، ومَنْ احتجَّ به كلُّ أرباب الصَّحاح - وإن كان له أوهام مغمورة ، وغيره أبرع في الحديث منه - فيرميه بالكذب ، ويُقدِّم عليه الواقدي الذي أجمعت الحُفَاطُ على تركه ، فهو في مقالته هذه خارقٌ للإجماع بيقين^(١) .

وقال عليُّ بنُ أحمد بنِ النَّضْر الأزدِي ، سمعتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ ، وسُئِلَ عن الشَّافِعِي ، فقالَ : لقد مرَّ اللهُ عَلَيْنَا به ، لقد كُنَّا تَعَلَّمْنَا كَلَامَ الْقَوْمِ ، وَكَتَبْنَا كُتُبَهُمْ ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْنَا ، فَلَمَّا سَمِعْنَا كَلَامَهُ ، عَلِمْنَا أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ جَالَسْنَا الْإِيَّامَ وَاللَّيَالِي ، فَمَا رَأَيْنَا مِنْهُ إِلَّا كُلَّ خَيْرٍ ، فَقِيلَ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، كَانَ يَحْيَى وَأَبُو عُبَيْدٍ لَا يَرْضِيَانِهِ - يُشِيرُ إِلَى التَّشْيِيعِ وَأَنْهُمَا نَسَبَاهُ إِلَى ذَلِكَ - فَقَالَ : أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : مَا نَدْرِي مَا يَقُولَانِ ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا^(٢) .

قال الإمام الذهبيُّ مُعَقَّباً : مَنْ زَعَمَ أَنَّ الشَّافِعِيَّ يَتَشْيَعُ فهو مُفْتَرٍ ، لا يَدْرِي مَا يَقُولُ^(٣) .

قال الإمام الذهبيُّ : لو كان الشافعي شيعياً - وحاشاه من ذلك - لَمَا قَالَ : الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ خَمْسَةٌ ، بدأ بالصِّدِّيقِ ، وَخَتَمَ بِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٤) . ، (٥) .

قال الإمام الذهبيُّ في تَرْجَمَةِ زَكَرِيَّا بْنِ عَدِيٍّ : وقد نالَ منه أبو نعيم الكوفيُّ بِلا حُجَّةٍ ، وقالَ : ما لَهُ وَلِلْحَدِيثِ ؟ هو بالتَّوَرَاةِ أَعْلَمُ .

قال ابنُ سَعْدٍ : هو من مَوَالِي تَيْمِ اللَّهِ ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا ثِقَةً ، قَالَ : وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ^(٦) .

(١) انظر السير : (عبد الرزاق بن همام) ٥٦٣/٩ - ٥٨٠ ، وانظر النزهة : ٥/٨٣٩ .

(٢) انظر السير : (الإمام الشافعي) ٩٩-٥/١٠ ، وانظر النزهة : ٦/٨٥٠ .

(٣) انظر السير : (الإمام الشافعي) ٩٩-٥/١٠ ، وانظر النزهة : ٧/٨٥٠ .

(٤) وللخير تنمة في غاية النفاسة عند البيهقي ، وهي : ثم قال أحمد بن حنبلٍ لِمَنْ حَوَّلَهُ : اعلموا رَحِمَكُمُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِذَا مَنَحَهُ اللهُ شَيْئاً مِنَ الْعِلْمِ ، وَحُرْمَةً قُرْنَاؤُهُ وَأَشْكَالَهُ ، حَسَدُوهُ فَرَمَوْهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، وَبَسَّتِ الْخِصَالُ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ .

(٥) انظر السير : (الإمام الشافعي) ٩٩-٥/١٠ ، وانظر النزهة : ١/٨٥١ .

(٦) انظر السير : (زكريا بن عدي) ٤٤٢-٤٤٥/١٠ ، وانظر النزهة : ٤/٨٨٢ .

وقال مُسلمُ في عليِّ بنِ الجَعْدِ : هو ثقةٌ لكنَّهُ جَهْمِيٌّ .

قال الإمامُ الذهبيُّ مُعقَّباً : ولهذا منعَ أحمدُ بنُ حنبلٍ ولديهِ من السَّماعِ منه^(١) .

وقد كان طائفةٌ من المُحدِّثينَ يَنتَظِعونَ فيمَنَ له هَفْوَةٌ صَغيرَةٌ تُخالِفُ السُّنَّةَ ، وإلَّا فَعَلِيٌّ إمامٌ كَثيرٌ حُجَّةٌ ، يُقالُ : مَكَثَ سِتِّينَ سَنَةً يَصُومُ يَوماً ، وَيُفِطِرُ يَوماً ، وَيَحْسِبُكَ أَنَّ ابنَ عَدِيٍّ يَقولُ في « كَامِلِهِ » لَمْ أَرِ فِي رِوايَاتِهِ حَدِيثاً مُنْكَراً إِذا حَدَّثَ عَنْهُ ثِقَةً .

تُوفِّيَ عَلِيُّ بنُ الجَعْدِ سَنَةَ ثَلاثٍ وَمِئَتينَ ، وَقَدِ اسْتَكَمَلَ سِتّاً وَتِسْعينَ سَنَةً^(٢) .

وقال أحمدُ بنُ سَلَمَةَ : سَمِعْتُ إِسحاقَ بنَ رَاهِويَةَ يَقولُ : الحَقُّ يُحِبُّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، أَبُو عُبَيْدِ القاسِمِ بنُ سَلامٍ أَفْقَهُ مِنِّي وَأَعْلَمُ مِنِّي^(٣) .

وانصَرَفَ القاسِمُ بنُ سَلامٍ يَوماً مِنَ الصَّلَاةِ ، فَمَرَّ بِدارِ إِسحاقَ المَوصِليِّ ، فَقالوا لَهُ : يا أبا عُبَيْدٍ ، صاحِبُ هَذهِ الدَّارِ يَقولُ : إِنَّ في كِتابِكَ « غَريبَ المُصنَّفِ » أَلْفَ حَرفٍ خَطَأً .

فقالَ : كِتابٌ فيهِ أَكثَرُ مِنَ مِئَةِ أَلْفِ يَقعُ فيهِ أَلْفٌ لَيسَ بِكَثيرٍ ؟ وَلَعَلَّ إِسحاقَ عِندَهُ رِوايَةٌ ، وَعِندَنا رِوايَةٌ ، فَلَمَّ يَعلَمُ ، فَخَطَّأنا ، وَالرَّوايَتانِ صِوابٌ ، وَلَعَلَّهُ أَخْطَأَ في حُرُوفٍ ، وَأَخْطَأنا في حُرُوفٍ ، فَبَقِيَ الخَطَأُ يَسيراً^(٤) .

قالَ أَبُو زُرْعَةَ الرِّازِي : كانَ أَحْمَدُ بنُ حَنبَلٍ لا يَرى الكِتابَةَ عَن أَبِي نَصْرِ التَّمَّارِ ، ولا ابنِ مَعينٍ ، ولا مِمَّنْ امْتَحَنَ فَأجابَ^(٥) .

وقالَ أَبُو الحَسَنِ المِيمُونِيُّ : صَحَّ عِندِي أَنَّهُ - يَعني أَحْمَدَ بنَ حَنبَلٍ - لَم يَحْضُرْ أبا نَصْرِ التَّمَّارِ حينَ ماتَ ، فَحَسِبْتُ أَنَّ ذَلِكَ لَمَّا كانَ أَجابَ في المِحنةِ^(٦) .

(١) انظر السير : (عليُّ بنُ الجَعْدِ) ١٠/٤٥٩-٤٦٨ ، وانظر النزهة : ٢/٨٨٤ .

(٢) انظر السير : (عليُّ بنُ الجَعْدِ) ١٠/٤٥٩-٤٦٨ ، وانظر النزهة : ٣/٨٨٤ .

(٣) انظر السير : (أبو عُبَيْدٍ) ١٠/٤٩٠-٥٠٩ ، وانظر النزهة : ٥/٨٨٧ .

(٤) انظر السير : (أبو عُبَيْدٍ) ١٠/٤٩٠-٥٠٩ ، وانظر النزهة : ١/٨٨٨ .

(٥) انظر السير : (أبو نَصْرِ التَّمَّارِ) ١٠/٥٧١-٥٧٤ ، وانظر النزهة : ٣/٨٩٤ .

(٦) انظر السير : (أبو نَصْرِ التَّمَّارِ) ١٠/٥٧١-٥٧٤ ، وانظر النزهة : ٤/٨٩٤ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعقَّباً : أَجَابَ تُقِيَّةً وَخَوْفًا مِنَ النَّكَالِ ، وَهُوَ ثِقَةٌ بِحَالِهِ وَهُوَ
الْحَمْدُ^(١) .

وقد شَدَّدَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ - رحمه الله - النُّكَيْرَ عَلَى الْعَقِيلِيِّ لِإِيرَادِهِ عَلِيَّ بْنَ الْمَدِينِيِّ
فِي كِتَابِهِ « الضُّعْفَاء » ، فَقَالَ فِي « مِيزَانِهِ » (٣ / ١٤٠ - ١٤١) : وَقَدْ بَدَتِ مِنْهُ هَفْوَةٌ ثُمَّ
تَابَ مِنْهَا ، وَهَذَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيُّ - وَنَاهَيْكَ بِهِ - قَدْ شَحَنَ صَاحِبِهِ بِحَدِيثِ
عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ ، وَلَوْ تَرَكْتَ حَدِيثَ عَلِيِّ ، وَصَاحِبَهُ مُحَمَّدًا ، وَشَيْخَهُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ،
وَعُثْمَانَ بْنَ أَبِي شَيْبَةَ لَغَلَقْنَا الْبَابَ ، وَانْقَطَعَ الْخَطَابُ ، وَلَمَاتَتِ الْآثَارُ ، وَاسْتَوْلَتْ
الرِّزْنَادِقَةُ ، وَلَخَرَجَ الدَّجَالُ أَفْمَا لَكَ عَقْلٌ يَا عَقِيلِي !!؟ أَتَدْرِي فِيمَنْ تَتَكَلَّمُ !!؟ وَإِنَّمَا
تَبْعُنَاكَ فِي ذِكْرِ هَذَا التَّمَطِّ لِنَذْبِ عَنْهُمْ ، وَلِنُزَيِّفَ مَا قِيلَ فِيهِمْ كَأَنَّكَ لَا تَدْرِي أَنَّ كُلَّ
وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ أَوْثَقُ مِنْكَ بِطَبَقَاتٍ ، بَلْ أَوْثَقُ مِنْ ثِقَاتٍ كَثِيرِينَ لَمْ تُورِدْهُمْ فِي
كِتَابِكَ ، فَهَذَا مِمَّا لَا يَرْتَابُ فِيهِ مُحَدِّثٌ وَأَنَا أَشْتَهِي أَنْ تُعَرِّفَنِي مَنْ هُوَ الثَّقَةُ الثَّبْتُ الَّذِي
مَا غَلَطَ وَلَا انْفَرَدَ بِمَا لَا يُتَابَعُ عَلَيْهِ بَلِ الثَّقَةُ الْحَافِظُ إِذَا انْفَرَدَ بِأَحَادِيثٍ ، كَانَ أَرْفَعُ لَهُ ،
وَأَكْمَلُ لِرُتْبَتِهِ وَأَدْلُّ عَلَى اعْتِنَائِهِ بِعِلْمِ الْأَثَرِ ، وَضَبَطِهِ دُونَ أَقْرَانِهِ لِأَشْيَاءَ مَا عَرَفُوهَا ،
اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَتَبَيَّنَ غَلْطُهُ وَوَهْمُهُ فِي الشَّيْءِ ، فَيُعْرَفَ ذَلِكَ ، فَانظُرْ أَوَّلَ شَيْءٍ إِلَى
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكِبَارِ وَالصُّغَارِ ، مَا فِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ انْفَرَدَ
بِسُنَّةٍ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا الْحَدِيثُ لَا يُتَابَعُ عَلَيْهِ !! وَكَذَلِكَ التَّابِعُونَ ، كُلُّ وَاحِدٍ عِنْدَهُ
مَا لَيْسَ عِنْدَ الْآخَرِ مِنَ الْعِلْمِ ، وَمَا الْغَرَضُ هَذَا ، فَإِنْ هَذَا مُقَرَّرٌ عَلَيَّ مَا يَنْبَغِي فِي عِلْمِ
الْحَدِيثِ^(٢) .

قال الإمامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ : وَمَنْ نَادَرَ مَا شَدَّ بِهِ ابْنُ مَعِينٍ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ ، كَلَامُهُ فِي أَحْمَدَ بْنِ صَالِحِ حَافِظِ مِصْرَ ، فَإِنَّهُ تَكَلَّمَ فِيهِ بِاجْتِهَادِهِ ، وَشَاهَدَ
مِنْهُ مَا يُلَيِّتُهُ بِاعْتِبَارِ عَدَالَتِهِ لَا بِاعْتِبَارِ إِتْقَانِهِ ، فَإِنَّهُ مُتَقِنٌ ثَبْتُ ، وَلَكِنْ عَلَيْهِ مَا خَذُ فِي تِيهِ
وَبَأَوْ كَانَ يَتَعَاظَاهُ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ، وَلَعَلَّهُ اطَّلَعَ مِنْهُ عَلَيَّ حَالٍ فِي أَيَّامِ

(١) انظر السير : (أبو نصر التَّمَار) ١٠ / ٥٧١ - ٥٧٤ ، وانظر النزهة : ٥ / ٨٩٤ .

(٢) انظر السير : (عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ) ١١ / ٤١١ - ٤٦٠ ، وانظر النزهة : ٩٠٦ / هامش (٢) .

شَبِيهَ ابْنِ صَالِحٍ ، فَتَابَ مِنْهُ أَوْ مِنْ بَعْضِهِ ، ثُمَّ شَاخَ ، وَلَزِمَ الْخَيْرَ ، فَلَقِيَهُ الْبُخَارِيُّ
وَالْكِبَارِيُّ ، وَاحْتَجُّوا بِهِ وَأَمَّا كَلَامُ النَّسَائِيِّ فِيهِ ، فَكَلَامٌ مَوْتُورٌ لِأَنَّهُ أَذَى النَّسَائِيِّ ، وَطَرَدَهُ
مِنْ مَجْلِسِهِ ، فَقَالَ فِيهِ : لَيْسَ بِثِقَةٍ^(١) .

قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْبَرْدَعِيُّ : سَمِعْتُ الْحَافِظَ أَبَا زُرْعَةَ الرَّازِي يَقُولُ : كَانَ
أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ لَا يَرَى الْكِتَابَةَ عَنْ أَبِي نَصْرِ التَّمَّارِ ، وَلَا عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ ، وَلَا عَنْ
أَيِّ أَحَدٍ مِمَّنْ امْتَحَنَ فَأَجَابَ^(٢) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : هَذَا أَمْرٌ ضَيِّقٌ ، وَلَا حَرَجَ عَلَيَّ مَنْ أَجَابَ فِي الْمِخْنَةِ ،
بَلْ وَعَلَى مَنْ أَكْرَهَ عَلَيَّ صَرِيحَ الْكُفْرِ عَمَلًا بِالْآيَةِ وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ وَكَانَ يَحْيَى رَحِمَهُ اللَّهُ
مِنْ أُمَّةِ السُّنَّةِ ، فَخَافَ مِنْ سَطْوَةِ الدَّوْلَةِ ، وَأَجَابَ تَقِيَّةً^(٣) .

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ : سَمِعْتُ هُدْبَةَ بْنَ خَالِدٍ ، يَقُولُ : صَلَّيْتُ عَلَيَّ شُعْبَةَ فَقِيلَ
لَهُ : رَأَيْتَهُ ؟ فَغَضِبَ ، وَقَالَ : رَأَيْتُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، وَكَانَ سُنِّيًّا ،
وَكَانَ شُعْبَةُ رَأْيَهُ رَأْيَ الْإِرْجَاءِ^(٤) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : كَلَّا لَمْ يَكُنْ شُعْبَةُ مُرْجِنًا وَلَعَلَّهُ شَيْءٌ يَسِيرٌ لَا يَضُرُّهُ^(٥) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ كَلَّابٍ : وَقَالَ بَعْضُ مَنْ لَا يَعْلَمُ : إِنَّهُ ابْتَدَعَ
مَا ابْتَدَعَهُ لَيْدَسٌ دِينَ النَّصَارَى فِي مِلَّتِنَا ، وَإِنَّهُ أَرْضَى أُخْتَهُ بِذَلِكَ ، وَهَذَا بَاطِلٌ ،
وَالرَّجُلُ أَقْرَبُ الْمُتَكَلِّمِينَ إِلَى السُّنَّةِ ، بَلْ هُوَ فِي مُنَاطِرِهِمْ^(٦) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ : كُنْتُ فِي مَجْلِسِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ
أَقْبَلْتُمْ ؟ قُلْنَا : مِنْ مَجْلِسِ أَبِي كَرِيبٍ ، فَقَالَ : اكْتُبُوا عَنْهُ ، فَإِنَّهُ شَيْخٌ صَالِحٌ ، فَقُلْنَا :

-
- (١) انظر السير : (يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ) ١١/٧١-٩٦ ، وانظر النزهة : ١/٩١١ .
 - (٢) انظر السير : (يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ) ١١/٧١-٩٦ ، وانظر النزهة : ٥/٩١١ .
 - (٣) انظر السير : (يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ) ١١/٧١-٩٦ ، وانظر النزهة : ١/٩١٢ .
 - (٤) انظر السير : (هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ) ١١/٩٧-١٠٠ ، وانظر النزهة : ٣/٩١٤ .
 - (٥) انظر السير : (هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ) ١١/٩٧-١٠٠ ، وانظر النزهة : ٤/٩١٤ .
 - (٦) انظر السير : (ابْنُ كَلَّابٍ) ١١/١٧٤-١٧٦ ، وانظر النزهة : ٣/٩٢٢ .

إِنَّهُ يَطْعَنُ عَلَيْكَ قَالَ : فَأَيُّ شَيْءٍ حِيلَتِي ، شَيْخٌ صَالِحٌ قَدْ بَلَّيَ بِي ^(١) .
 وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الرَّوَاجِنِيِّ : الشَّيْخُ الْعَالِمُ الصَّدُوقُ ، مُحَدِّثُ
 الشَّيْعَةِ ، أَبُو سَعِيدٍ عَبَّادُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَسَدِيِّ الرَّوَاجِنِيُّ الْكُوفِيُّ الْمُتَبَدِّعُ .
 وَقَالَ الْحَاكِمُ : كَانَ ابْنُ خُزَيْمَةَ يَقُولُ : حَدَّثَنَا الثَّقَةُ فِي رِوَايَتِهِ الْمُتَهَمُ فِي دِينِهِ ،
 عَبَّادُ بْنُ يَعْقُوبَ .

وَقَالَ ابْنُ عَدِي : فِيهِ غُلُوفٌ فِي الشَّيْعِ ^(٢) .
 وَقَالَ أَحْمَدُ السُّلَمِيُّ فِي « مِحْنِ الصُّوفِيَّةِ » : أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِئِ شَهِدَ عَلَيْهِ قَوْمٌ
 أَنَّهُ يُفْضِلُ الْأَوْلِيَاءَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَيَذَلُّوا الْخُطُوطَ عَلَيْهِ ، فَهَرَبَ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى مَكَّةَ وَجَاوَرَ
 حَتَّى كَتَبَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ ، يَسْأَلُهُ أَنْ يَرْجِعَ فَرَجَعَ .
 قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : إِنْ صَحَّتِ الْحِكَايَةُ فَهَذَا مِنْ كَذِبِهِمْ عَلَى أَحْمَدَ ، وَهُوَ
 كَانَ أَعْلَمَ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ تُوفِّي أَحْمَدُ سَنَةَ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتِينَ ^(٣) .
 وَجَاءَ فِي تَرْجَمَةِ الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَارَ ، وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ السُّلَيْمَانِيِّ الْحَافِظُ : مُنْكَرُ
 الْحَدِيثِ .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : كَذَا قَالَ وَلَا يَدْرِي مَا يَنْطِقُ بِهِ .
 تُوفِّيَ الزُّبَيْرُ سَنَةَ سِتِّ وَخَمْسِينَ وَمِئَتِينَ بِمَكَّةَ ، وَقَدْ بَلَغَ أَرْبَعًا وَثَمَانِينَ سَنَةً ^(٤) .
 وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي « الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ » قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ
 الرَّيِّ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِئَتِينَ ، وَسَمِعَ مِنْهُ أَبِي وَأَبُو زُرْعَةَ وَتَرَكَأ حَدِيثَهُ عِنْدَمَا كَتَبَ إِلَيْهِمَا
 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى أَنَّهُ أَظْهَرَ عِنْدَهُمْ بَيْنَسَابُورَ أَنَّ لَفْظَهُ بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ ^(٥) .

-
- (١) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٩٤٧ .
 (٢) انظر السير : (الرواجيني) ١١/٥٣٦-٥٣٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٦٩ .
 (٣) انظر السير : (أحمد بن أبي الخوارئ) ١٢/٨٥-٩٤ ، وانظر النزهة : ١/٩٨٨ .
 (٤) انظر السير : (الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَارَ) ١٢/٣١١-٣١٥ ، وانظر النزهة : ٤/١٠٠٤ .
 (٥) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ١٢/٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزهة : ٥/١٠١٩ .

قال الإمام الذهبي: إن تركاً حديثه، أو لم يتركاه، البخاري ثقة مأمون محتج به في العالم^(١).

وقال الإمام الذهبي في ترجمة داود بن علي: للعلماء قولان في الاعتداد بخلاف داود وأتباعه: فمن اعتد بخلافهم، قال: ما اعتدنا بخلافهم لأن مفرداتهم حجة، بل لتحكى في الجملة، وبعضها سائغ، وبعضها قوي وبعضها ساقط، ثم ما تفردوا به هو شيء من قبيل مخالفة الإجماع الظني، وتندر مخالفتهم لإجماع قطعي ومن أهدرهم، ولم يعتد بهم، لم يعدهم في مسائلهم المفردة خارجين بها من الدين، ولا كفرهم بها، بل يقول: هؤلاء في حيز العوام، أو هم كالشيعة في الفروع، ولا نلتفت إلى أقوالهم، ولا ننصب معهم الخلاف، ولا يعتنى بتحصيل كتبهم، ولاندك مستفتياً من العامة عليهم وإذا تظاهروا بمسألة معلومة البطلان، كمنح الرجلين، أذنبناهم، وعزناهم، وألزمناهم بالغسل جزماً.

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: قال الجمهور: إنهم - يعني نفاة القياس - لا يبلغون رتبة الاجتهاد، ولا يجوز تقليدهم القضاء.

وقال إمام الحرمين أبو المعالي: الذي ذهب إليه التحقيق: أن منكري القياس لا يعدون من علماء الأمة، ولا من حملة الشريعة، لأنهم معاندون، مباحثون فيما ثبت استفاضة وتواتراً، لأن معظم الشريعة صادر عن الاجتهاد، ولا تفي النصوص بعشر معشارها، وهؤلاء ملتحقون بالعوام.

قال الإمام الذهبي: هذا القول من أبي المعالي أداه إليه اجتهاده، وهم فأداهم اجتهادهم إلى نفي القول بالقياس، فكيف يرد الاجتهاد بمثله، ونذري بالضرورة أن داود كان يقرى مذهباً، ويُنظر عليه، ويُفتي به في مثل بغداد، وكثرة الأئمة بها وبغيرها، فلم نرهم قاموا عليه، ولا أنكروا فتاويه ولا تدريسه، ولا سعوا في منعه من بئ، وبالضرورة مثل إسماعيل القاضي، شيخ المالكية، وعثمان بن بشر

(١) انظر السير: (أبو عبد الله البخاري) ١٢/٣٩١-٤٧١، وانظر النزاهة: ٦/١٠١٩.

الأنماطيّ ، شَيْخِ الشَّافِعِيَّةِ ، والمَرْوُذِيّ شَيْخِ الحَنْبَلِيَّةِ ، وابْنِي الإمامِ أَحْمَدَ ،
 وأبي العَبَّاسِ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ البِرْتِي ، شَيْخِ الحَنْفِيَّةِ ، وَأَحْمَدَ ابنِ أَبِي عِمْرَانَ
 القَاضِي ، ومثْلُ عَالِمِ بَعْدَادَ إبراهيمَ الحَرْبِيّ بَلْ سَكْتُوا لَهُ ، حتَّى لَقِدَ قَالَ قَاسِمُ بنُ
 أَصْبَحَ : ذَاكَرْتُ الطَّبْرِيّ - يَعْنِي ابنَ جَرِير - وابنَ سُرَيْجَ ، فَقُلْتُ لَهُمَا : كِتَابُ ابنِ قُتَيْبَةَ
 فِي الفِقْهِ أَيْنَ هُوَ عِنْدَكُمَا ؟ قَالَا : لَيْسَ بِشَيْءٍ وَلَا كِتَابُ أَبِي عُبَيْدٍ ، فَإِذَا أَرَدْتَ الفِقْهَ
 فَكُتِبَ الشَّافِعِيُّ ، وَدَاوُدَ وَنُظَرَايَهُمَا .

ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَابْنُ المُغَلِّسِ ، وَعَدَّةٌ مِنْ تَلَامِيذَةِ دَاوُدَ وَعَلَى أَكْثَانِهِمْ
 مِثْلُ : ابنِ سُرَيْجَ ، شَيْخِ الشَّافِعِيَّةِ ، وَأبي بَكْرٍ الحَلَّالِ ، شَيْخِ الحَنْبَلِيَّةِ ، وَأبي الحَسَنِ
 الكَرْخِي شَيْخِ الحَنْفِيَّةِ ، وَكَانَ أَبُو جَعْفَرَ الطَّحَاوِيّ بِمِصْرَ بَلْ كَانُوا يَتَجَالَسُونَ
 وَيَتَنَظَّرُونَ ، وَيَبْرُرُّ كُلُّ مِنْهُمُ بِحُجَجِهِ ، وَلَا يَسْعَوْنَ بِالدَّوْدِيَّةِ إِلَى السُّلْطَانِ بَلْ أبلغُ مِنْ
 ذَلِكَ ، يَنْصَبُونَ مَعَهُمُ الخِلَافَ ، فِي تَصَانِيفِهِمْ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَبِكُلِّ الحَالِ ، فَلَهُمْ
 أَشْيَاءٌ أَحْسَنُوا فِيهَا ، وَلَهُمْ مَسَائِلُ مُسْتَهْجَنَةٌ ، يُشْغَبُ عَلَيْهِمْ بِهَا ، وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيرُ الإِمَامُ
 أَبُو عَمْرٍو ابنُ الصَّلَاحِ ، حَيْثُ يَقُولُ : الَّذِي اخْتَارَهُ الأَسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ
 الصَّحِيحُ مِنَ المَذْهَبِ ، أَنَّهُ يُعْتَبَرُ خِلَافَ دَاوُدَ ثُمَّ قَالَ ابنُ الصَّلَاحِ : وَهَذَا الَّذِي اسْتَقَرَّ
 عَلَيْهِ الأَمْرُ آخِرًا ، كَمَا هُوَ الأَغْلَبُ الأَعْرَفُ مِنْ صَفْوِ الأَئِمَّةِ المتَأَخِّرِينَ ، الَّذِينَ أوردوا
 مَذْهَبَ دَاوُدَ فِي مُصَنَّفَاتِهِمُ المَشْهُورَةَ ، كَالشَّيْخِ أَبِي حَامِدِ الإِسْفَرَايِينِي ، وَالمَاوَزْدِيّ ،
 وَالقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ فَلَوْلَا اعتدَادُهُمْ بِهِ لَمَا ذَكَرُوا مَذْهَبَهُ فِي مُصَنَّفَاتِهِمُ المَشْهُورَةَ .

قَالَ : وَارَى يُعْتَبَرُ قَوْلُهُ إِلاَّ فِيمَا خَالَفَ فِيهِ القِيَاسَ الجَلِيّ ، وَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ
 القِيَاسِيُّونَ مِنْ أَنوَاعِهِ ، أَوْ بَنَاهُ عَلَى أَصُولِهِ الَّتِي قَامَ الدَّلِيلُ القَاطِعُ عَلَى بُطْلَانِهَا ، فَاتَّفَاقُ
 مَنْ سِوَاهُ إِجْمَاعٌ مُنْعَقِدٌ ، كَقَوْلِهِ فِي التَّغْوِطِ فِي المَاءِ الرَّاكَدِ^(١) وَتِلْكَ المَسَائِلُ الشَّنِيعَةُ ،

(١) وَهُوَ قَوْلُ ابنِ حَزْمٍ ، وَنَصُّ كَلَامِهِ فِي « المَحَلِّيِّ » (١٣٥ / ١) : (إِلاَّ أَنَّ البَاطِلَ فِي المَاءِ الرَّاكَدِ الَّذِي
 لَا يَجْرِي حَرَامٌ عَلَيْهِ الوُضُوءُ بِذَلِكَ المَاءِ وَالاغْتِسَالُ بِهِ لِعَرَضٍ أَوْ لغيرِهِ ، وَحَكْمُهُ التَّيْمِيمُ إِنْ لَمْ يَجِدْ غَيرَهُ
 فَلَوْ أَحْدَثَ فِي المَاءِ أَوْ بِأَلٍ خَارِجًا مِنْهُ ثُمَّ جَرَى البَوْلُ فِيهِ فَهُوَ طَاهِرٌ يَجُوزُ الوُضُوءُ مِنْهُ وَالعَسَلُ لَهُ وَلِغَيرِهِ
 إِلاَّ أَنْ يَغْيِرَ ذَلِكَ البَوْلُ أَوْ الحَدَثُ شَيْئًا مِنْ أوصَافِ المَاءِ ، فَلَا يُجْزَىءُ حَيْثُذُ اسْتِعْمَالِهِ أَصْلًا لِأَنَّهُ
 وَلَا لغيرِهِ) .

وقوله : لا رِبَا إِلَّا فِي السَّنَةِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهَا ، فِخْلَافُهُ فِي هَذَا أَوْ نَحْوِهِ غَيْرُ مُعْتَدٍّ بِهِ ، لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى مَا يُقْطَعُ بِبُطْلَانِهِ .

قال الإمام الذهبي : لا رِبَ أَنْ كُلَّ مَسْأَلَةٍ انْفَرَدَ بِهَا ، وَقُطِعَ بِبُطْلَانِ قَوْلِهِ فِيهَا ، فَإِنَّهَا هَدْرٌ ، وَإِنَّمَا نَحْكِيهَا لِلتَّعْجُبِ ، وَكُلَّ مَسْأَلَةٍ لَهُ عَضْدُهَا نَصْرٌ ، وَسَبَقَهُ إِلَيْهَا صَاحِبٌ أَوْ تَابِعٌ ، فَهِيَ مِنْ مَسَائِلِ الْخِلَافِ ، فَلَا تُهْدَرُ .

وفي الجُمْلَةِ ، فداوُدُ بْنُ عَلِيٍّ بِصَيْرٍ بِالْفِقْهِ ، عَالِمٌ بِالْقُرْآنِ ، حَافِظٌ لِلأَثَرِ ، رَأْسٌ فِي مَعْرِفَةِ الْخِلَافِ ، مِنْ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ ، لَهُ ذَكَاءٌ خَارِقٌ ، وَفِيهِ دِينَ مَتِينٌ وَكَذَلِكَ فِي فُقَهَاءِ الظَّاهِرِيَّةِ جَمَاعَةٍ لَهُمْ عِلْمٌ بَاهِرٌ ، وَذَكَاءٌ قَوِيٌّ ، فَالْكَمَالُ عَزِيزٌ ، وَاللَّهُ الْمُؤَقِّقُ .

ونحن : فنحكي قولَ ابنِ عَبَّاسٍ فِي المَتَعَةِ ، وَفِي الصَّرْفِ^(١) ، وَفِي إِنْكَارِ العَوْلِ ، وَقَوْلِ طَائِفَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي تَرْكِ الغُسْلِ مِنَ الإِيلاجِ^(٢) ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ ، وَلَا نُجَوِّزُ لِأَحَدٍ تَقْلِيدَهُمْ فِي ذَلِكَ .

مات داوُدُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِئَتِينَ^(٣) .

وجاءَ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي بَكْرٍ ، عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي داوُدَ السَّجِسْتَانِيِّ ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ بْنِ الجُنَيْدِ : سَمِعْتُ أبا داوُدَ يَقُولُ : ابْنِي عَبْدُ اللَّهِ كَذَّابٌ قَالَ ابْنُ صَاعِدٍ : كَفَانَا مَا قَالَ فِيهِ أَبُوهُ .

قال الحافظُ ابنُ عدي : كانَ فِي الأَبْتداءِ يُنسَبُ إلى شَيْءٍ مِنَ النَّصَبِ^(٤) ، فَتَفاهُ ابنُ الفُراتِ مِنَ بَغدادَ إلى واسِطَ ، فَرَدَّهُ ابنُ عيسى ، فَحدَّثَ ، وَأَظْهَرَ فِضائِلَ عَلِيِّ ثَمَّ تَحَنُّبَ ، فَصارَ شَيْخاً فِيهِمْ .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّباً : كانَ شَهْماً ، قَوِيَّ النَّفْسِ ، وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابنِ جَرِيرٍ ، وَبَيْنَ ابنِ صَاعِدٍ^(٥) .

(١) انظر شرح صحيح مسلم رقم (٥٩٦) (١٠٢) ، وشرح السنَّة : ٦٠-٦١ / ٨ .

(٢) انظر شرح السنَّة : (٧-٥/٢) .

(٣) انظر السير : (داوُد بن علي) ٩٧-١٠٨ ، وانظر النزهة : ١٠٥٨-١/١٠٦٠ .

(٤) النَّصَبُ : أَي بَغْضَةُ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مِنْ نَصَبَ فُلانٌ لِفُلانٍ نَصَباً ، إِذا قَصَدَ لَهُ ، وَعاداهُ ، وَتَجَرَّدَ لَهُ .

(٥) انظر السير : (أبو بكر بن أبي داوُد السَّجِسْتَانِيِّ) ٢٢١-٢٣٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٧٣ .

وقال الإمام الذهبي أيضاً : ولعلَّ قولَ أبيه فيه - إن صحَّ - أرادَ الكَذِبَ في لهجَتِهِ ، لا في الحَدِيثِ ، فإنَّه حُجَّةٌ فيما يَنْقُلُهُ ، أو كان يَكْذِبُ وَيُورِّي في كلامِهِ ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لا يَكْذِبُ أبداً ، فهو أَرَعَنَ ، نَسَأُ اللهُ السَّلَامَةَ من عَثْرَةِ الشَّبَابِ ، ثم إنَّه شاخَ وازعَوَى ، وَلَزِمَ الصَّدَقَ والثَّقَى^(١) .

وقال أبو أحمد بن عدي : سمعتُ عليَّ بنَ عبدِ اللهِ الدَّاهِرِيَّ يقولُ : سألتُ ابنَ أبي داود عن حَدِيثِ الطَّيْرِ^(٢) ، فقال : إن صحَّ حَدِيثُ الطَّيْرِ فنبوَّةُ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم باطلٌ ، لأنَّه حكى عن حاجبِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم خيانةً - يَعْنِي أَسَأاً - وَحَاجِبُ النبيِّ لا يَكُونُ خائناً .

قال الإمام الذهبي : هذه عبارةٌ رديئةٌ ، وكلامٌ نحسُّ ، بل نبوَّةُ محمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم حقٌّ قطعيٌّ ، إن صحَّ خَبَرُ الطَّيْرِ ، وإن لم يَصِحَّ ، وما وَجَّهَ الارتباطُ؟! هذا أنسٌ قد خَدَمَ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَبْلَ أن يَخْتَلِمَ ، وَقَبْلَ جَرِيانِ القَلَمِ ، فيَجُوزُ أن تَكُونَ قِصَّةُ الطَّائِرِ في تلكَ المُدَّةِ فَرَضْنَا أَنَّهُ كان مُخْتَلِماً ، ما هو بِمَعْصُومٍ من الخيانةِ ، بل فَعَلَ هذه الجِنَايَةَ الخَفِيفَةَ مُتَأَوِّلاً ، ثمَّ إنَّه حَسِبَ عَلِيّاً من الدُّخُولِ كما قيلَ ، فكان ماذا؟ والدَّعْوَةُ النَّبَوِيَّةُ قد نَفَذَتْ واستُجِيبَتْ ، فَلَوْ حَسَبَسَهُ ، أو رَدَّ مَرَّاتٍ ، ما بَقِيَ يَتَصَوَّرُ أن يَدْخُلَ ويَأْكُلَ مع المُصْطَفَى سِوَاهُ ، اللَّهُمَّ إلاَّ أن يَكُونَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم قَصْدَ بقوله : « إِيْتِنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ ، يَأْكُلُ مَعِي » عَدداً من الخِيَارِ ،

(١) انظر السير : (أبو بكر بن أبي داود السجستاني) ١٣/٢٢١-٢٣٧ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٧٣ .
(٢) وأخرجه الحاكم من طريق سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، عن أنس قال : كنتُ أخذمُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فقدم له فرخ مشوي ، فقال صلى اللهُ عليه وسلم : « اللَّهُمَّ اتنني بأحبِّ خلقك إليَّ يأكلُ معي هذا الطير ، فقلتُ أجعله رجلاً من أهلي الأنصار ، فجاء عليٌّ ، فقلتُ إن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم على حاجة ، ثم جاء فقلتُ ذلك ، فقال : اللَّهُمَّ اتنني كذلك ، فقلتُ ذلك ، فقال لي رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « افتح ، فدخل فقال صلى اللهُ عليه وسلم : ما حبسك يا عليٌّ ؟ فقال : إنَّه هذه آخر ثلاثِ كِرَّاتٍ يرُدُّني أنسٌ ، فقال صلى اللهُ عليه وسلم : ما حَمَلَكُ عليَّ ما صَعَتَ ؟ قلتُ : أخبَّيتُ أن يكونَ رجلاً من قومي ، فقال صلى اللهُ عليه وسلم : إن الرجلَ محببٌ قومَه » ، وانظر أجوبة الحافظ ابن حجر على أحاديث وقعت في المصباح ٣/٣١٣ ، ٣١٤ و(الفوائد المجموعة) ص ٣٨٢ ، وسيذكر الإمام الذهبي رأيه بعد إيراده الخبر .

يَصْدُقُ عَلَى مَجْمُوعِهِمْ أَنَّهُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ، كَمَا يَصْحَحُ قَوْلُنَا : أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ الصَّالِحُونَ ، فَيُقَالُ : فَمَنْ أَحَبَّهُمْ إِلَى اللَّهِ ؟ فَنَقُولُ : الصَّادِقُونَ وَالْأَنْبِيَاءُ فَيُقَالُ : فَمَنْ أَحَبَّهُمْ إِلَى اللَّهِ ؟ فَنَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى ، وَالْحَطْبُ فِي ذَلِكَ يَسِيرٌ وَأَبُو لُبَابَةَ - مع جلالته - بدت منه خيائته ، حيث أشار لبي قُرَيْظَةَ إِلَى حَلْقِهِ ، وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَحَاطَبٌ بَدَتِ مِنْهُ خِيَانَتُهُ ، فَكَاتَبَ قُرَيْشًا بِأَمْرِ تَحَفُّيْ بِهِ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوِهِمْ ، وَغَفَرَ اللَّهُ لِحَاطِبٍ مَعَ عِظَمِ فِعْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَدِيثُ الطَّيْرِ - عَلَى ضَعْفِهِ - فَهُوَ طَرُقُ جَمَّةٍ ، وَقَدْ أَفْرَدَتْهَا فِي جُزْءٍ ، وَلَمْ يَثْبُتْ ، وَلَا أَنَا بِالْمُعْتَقِدِ بَطْلَانِهِ ، وَقَدْ أَخْطَأَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ فِي عِبَارَتِهِ وَقَوْلِهِ ، وَلَهُ عَلَى حَطْبِهِ أَجْرٌ وَاحِدٌ^(١) .

وَلَيْسَ مِنْ شَرَطِ الثَّقَةِ أَنْ لَا يُحْطَىءَ وَلَا يَغْلَطَ وَلَا يَسْهَوَ ، وَالرَّجُلُ فَمِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ ، وَمَنْ أَوْثَقَ الْحِفَاطُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(٢) .

وَقَالَ مَسْعُودُ السَّجَزِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمَ يَقُولُ : أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنْ الْقُتَيْبِيُّ كَذَّابٌ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : هَذِهِ مُجَازَفَةٌ وَقَلَّةٌ وَرَعٌ ، فَمَا عَلِمْتُ أَحَدًا اتَّهَمَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ هَذِهِ الْقَوْلَةِ ، بَلْ قَالَ الْحَطْبِيُّ : إِنَّهُ ثِقَةٌ^(٣) .

وَعَنْ حَمَّادِ الْحَرَّانِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ السَّلْفِيَّ يُنْكِرُ عَلَى الْحَاكِمِ فِي قَوْلِهِ : لَا تَجُوزُ الرَّوَايَةُ عَنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ وَيَقُولُ : ابْنُ قُتَيْبَةَ مِنَ الثَّقَاتِ ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ ثُمَّ قَالَ : لَكِنَّ الْحَاكِمَ قَصَدَهُ لِأَجْلِ الْمَذْهَبِ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : عَهْدِي بِالْحَاكِمِ يَمِيلُ إِلَى الْكِرَامِيَّةِ ، ثُمَّ مَا رَأَيْتُ لِأَبِي مُحَمَّدٍ ابْنِ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِ « مُشْكِلِ الْحَدِيثِ » مَا يُخَالِفُ طَرِيقَةَ الْمُثَبِّتَةِ وَالْحَنَابِلَةَ ، وَمَنْ أَنَّ أَخْبَارَ الصِّفَاتِ تَمَرٌّ وَلَا تُتَأَوَّلُ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٤) .

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِنُ مَنذَةَ فِي مَسْأَلَةِ الْإِيمَانِ : صَرَّحَ مُحَمَّدُ ابْنُ نَصْرِ فِي كِتَابِ

(١) انظر السير : (أبو بكر بن أبي داود السجستاني) ١٣ / ٢٢١ - ٢٣٧ ، وانظر النزاهة : ٥ / ١٠٧٣ .

(٢) انظر السير : (أبو بكر بن أبي داود السجستاني) ١٣ / ٢٢١ - ٢٣٧ ، وانظر النزاهة : ١ / ١٠٧٥ .

(٣) انظر السير : (ابن قتيبة) ١٣ / ٢٩٦ - ٣٠٢ ، وانظر النزاهة : ١ / ١٠٨٨ .

(٤) انظر السير : (ابن قتيبة) ١٣ / ٢٩٦ - ٣٠٢ ، وانظر النزاهة : ٢ / ١٠٨٨ .

« الإيمان » بأن الإيمان مخلوق ، وأن الإقرار ، والشهادة ، وقراءة القرآن بلفظ مخلوق ثم قال : وهجره على ذلك علماء وفته وخالفه أئمة خراسان والعراق^(١) .

قال الإمام الذهبيُّ مُعقَّباً : الخوضُ في ذلك لا يجوزُ ، وكذلك لا يجوزُ أن يُقالَ : الإيمانُ ، والإقرارُ ، والقراءةُ ، والتلقُّطُ بالقرآنِ غيرُ مخلوق ، فإنَّ اللهَ خلقَ العبادَ وأعمالَهُم ، والإيمانُ : فقوْلٌ وعَمَلٌ ، والقراءةُ والتلقُّطُ : من كَسَبَ القارئُ ، والمقروءُ المَلْفُوظُ : هو كلامُ اللهِ ووَحْيُهُ وتَنزِيلُهُ ، وهو غيرُ مخلوق ، وكذلك كَلِمَةُ الإيمانِ ، وهو قَوْلٌ : « لا إلهَ إلاَّ اللهُ ، مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ » داخِلَةٌ في القرآنِ ، وما كان من القرآنِ فليس بمخلوق ، والتكلمُ بها من فعلنا ، وأفعالنا مخلوقة ، ولو أنا كلما أخطأ إمامٌ في اجتِهاده في آحادِ المسائلِ خطأً مغفوراً له ، قُمنَّا عليه ، وبدَّعناه ، وهَجَرناهُ ، لما سَلِمَ معنا لا ابنُ نصرٍ ، ولا ابنُ مندَّة ، ولا مَنْ هو أكبرُ منهما ، واللهُ هو هادي الخلقِ إلى الحقِّ ، وهو أرحمُ الراحمين ، فنعوذُ باللهِ من الهوى والفِطَاظَةِ^(٢) .

قال الإمامُ الذهبيُّ في تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ : وكان ابنُ جريرٍ من رجال الكمال ، وشُنِعَ عليه بيسير تشيُّع ، وما رأينا إلاَّ الخَيْرَ ، وبعضُهُم ينقلُ عنه أنه كان يُجيزُ مسحَ الرَّجُلَيْنِ في الوُضوءِ ولمَ نَرَ ذلكَ في كُتُبِهِ^(٣) .

وقال الإمامُ الذهبيُّ في تَرْجَمَةِ ابْنِ خُزَيْمَةَ : وكتابُ ابنِ خُزَيْمَةَ في « التَّوْحِيدِ » مُجَدِّدٌ كَبِيرٌ ، وقد تَأَوَّلَ في ذلكَ حَدِيثَ الصُّورَةِ^(٤) ،^(٥) .

- (١) انظر السير : (محمد بن نصر) ٣٣-٤٠/١٤ ، وانظر النزهة : ٢/١١٢٧ .
- (٢) انظر السير : (محمد بن نصر) ٣٣-٤٠/١٤ ، وانظر النزهة : ٣/١١٢٧ .
- (٣) انظر السير : (محمد بن جرير) ٢٦٧-٢٨٢/١٤ ، وانظر النزهة : ٤/١١٥٢ .
- (٤) حديثُ الصورة ، أخرجه البخاري في « صحيحه » (٢/١١) أول الاستذنان ، ومسلم (٢٨٤١) في الجنة : باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير وأحمد : (٣١٥/٢) ، وابن خزيمة في « التوحيد » (٣٩-٤٠) من طريق معمر عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعاً ، فلما خلقه ، قال : أذهب ، فسلم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يُحْيُونَكَ ، فإنها تحييك وتحيي ذريتك ، فقال : السلام عليكم فقالوا : السلام عليك ورحمة الله فزادته : « ورحمة الله » فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن » وراجع ما كتبه الحافظ ابن حجر عن عود الضمير في (صورته) في « الفتح » : (١٣٣/٥) ، (٢٦٠/٦) ، (٣-٢/١١) .
- (٥) انظر السير : (ابن خزيمة) ٣٦٥-٣٨٢/١٤ ، وانظر النزهة : ١/٢٦١١ .

فليُعذَرَ من تَأَوَّلِ بَعْضِ الصِّفَاتِ ، وَأَمَّا السَّلَفُ فَمَا خَاضُوا فِي التَّأْوِيلِ ، بَلْ آمَنُوا وَكَفُّوا ، وَفَوَّضُوا عِلْمَ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ أخطَأَ فِي اجْتِنَاهِإِهِ - مع صِحَّةِ إِيْمَانِهِ وَتَوَخُّيهِ لِاتِّبَاعِ الْحَقِّ - أَهْدَرْنَاهُ وَبَدَّعْنَاهُ ، لَقَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنَ الْأَثْمَةِ مَعَنَا رَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ^(١) .

قَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَبَّانَ ، سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : أَنْكَرُوا عَلَيَّ أَبِي حَاتِمِ بْنِ حَبَّانَ قَوْلَهُ : النَّبُوَّةُ : « الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ » ، فَحَكَمُوا عَلَيْهِ بِالزَّنْدَقَةِ ، وَهَجَرَ ، وَكُتِبَ فِيهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَكَتَبَ بِقَتْلِهِ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : هَذِهِ حِكَايَةٌ غَرِيبَةٌ ، وَابْنُ حَبَّانَ فَمِنَ كِبَارِ الْأَثْمَةِ ، وَلَسْنَا نَدَّعِي فِيهِ الْعِصْمَةَ مِنَ الْخَطَا ، لَكِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الَّتِي أُطْلِقَهَا ، قَدْ يُطْلَقُهَا الْمُسْلِمُ ، وَيُطْلَقُهَا الزَّنْدِيقُ الْفَيْلَسُوفُ ، فإِطْلَاقُ الْمُسْلِمِ لَهَا لَا يَنْبَغِي ، لَكِنْ يُعْتَدَرُ عَنْهُ ، فَنَقُولُ : لَمْ يَرِدْ حَصْرُ الْمُبْتَدَأِ فِي الْخَبَرِ وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْحَجَّ عَرَفَةٌ » وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحَاجَّ لَا يَصِيرُ بِمُجَرَّدِ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ حَاجًّا ، بَلْ بَقِيَ عَلَيْهِ فُرُوضٌ وَوَأَجِبَاتٌ وَإِنَّمَا ذَكَرَ مُهِمَّ الْحَجِّ وَكَذَا هَذَا ذَكَرَ مُهِمَّ النَّبُوَّةِ ، إِذْ مِنْ أَكْمَلِ صِفَاتِ النَّبِيِّ كَمَالُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فَلَا يَكُونُ أَحَدٌ نَبِيًّا إِلَّا بِوُجُودِهِمَا ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ بَرَزَ فِيهِمَا نَبِيًّا ، لِأَنَّ النَّبُوَّةَ مَوْهَبَةٌ مِنَ الْحَقِّ تَعَالَى ، لَا حِيلَةَ لِلْعَبْدِ فِي اكْتِسَابِهَا ، بَلْ بِهَا يَتَوَلَّدُ الْعِلْمُ اللَّدُنِّيُّ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ .

وَأَمَّا الْفَيْلَسُوفُ فَيَقُولُ : النَّبُوَّةُ مُكْتَسَبَةٌ يَنْتَهِجُهَا الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ فَهَذَا كُفْرٌ ، وَلَا يُرِيدُهُ أَبُو حَاتِمٍ أَصْلًا ، وَحَاشَا ، وَإِنْ كَانَ فِي « تَقَاسِيمِهِ » مِنَ الْأَقْوَالِ ، وَالتَّأْوِيلَاتِ الْبَعِيدَةِ ، وَالأَحَادِيثِ الْمُنْكَرَةِ عَجَائِبَ وَقَدْ اعْتَرَفَ أَنَّ « صَحِيحَهُ » لَا يَقْدِرُ عَلَى الْكَشْفِ مِنْهُ إِلَّا مَنْ حَفِظَهُ ، كَمَنْ عِنْدَهُ مُصْحَفٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى مَوْضِعِ آيَةٍ يُرِيدُهَا مِنْهُ إِلَّا مَنْ يَحْفَظُهُ ^(٢) .

قَالَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْأَنْصَارِيُّ : سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ عَمَّارِ الْوَاعِظِ وَقَدْ سَأَلْتُهُ عَنْ ابْنِ حَبَّانَ ، فَقَالَ : نَحْنُ أَخْرَجْنَاهُ مِنْ سِجِسْتَانَ ، كَانَ لَهُ عِلْمٌ كَثِيرٌ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَبِيرٌ دِينٍ ، قَدِمَ عَلَيْنَا ، فَأَنْكَرَ الْحَدَّ اللَّهُ ، فَأَخْرَجْنَاهُ .

(١) انظر السير : (ابن خزيمة) ١٤ / ٣٦٥ - ٣٨٢ ، وانظر النزاهة : ٢ / ٢٦١١ .

(٢) انظر السير : (ابن حبان) ١٦ / ٩٢ - ١٠٤ ، وانظر النزاهة : ٣ / ١٢٦٩ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعَقَّباً : إنكارُكم عليه بدعةٌ أيضاً ، والخوضُ في ذلك ممَّا لم يأذن به اللهُ ، ولا أتى نصرٌ بإثبات ذلك ولا بنفيه ، و« من حُسِنَ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » وتعالى اللهُ أن يُحدِّد أو يُوصف إلا بما وصَفَ به نفسه ، أو علَّمَهُ رُسُلُهُ بالمعنى الذي أرادَ بلا مثلٍ ولا كيفٍ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١) .

توفِّي ابنُ حِبَّانٍ بِسَجِسْتَانَ بِمَدِينَةِ « بُسْت » في سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ وَهُوَ فِي عَشْرِ الثَّمَانِينَ (٢) .

وقال أبو الحسن الصَّفَّارُ : سَمِعْتُ أبا سَهْلَ الصُّعْلُوكِيَّ ، وسُئِلَ عن تَفْسِيرِ أَبِي بَكْرٍ الْقَفَّالِ فَقَالَ : قَدَّسَهُ مِنْ وَجْهِهِ ، وَدَنَّسَهُ مِنْ وَجْهِ أَيْ : دَنَّسَهُ نَصْرُهُ لِلْأَعْتِرَالِ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعَقَّباً : الكَمَالُ عَزِيزٌ ، وَإِنَّمَا يُمدَحُ الْعَالِمُ بِكَثْرَةِ مَا لَهُ مِنَ الْفَضَائِلِ ، فَلَا تُدْفَنُ الْمَحَاسِنُ لَوَرْطَةِ ، وَلَعَلَّهُ رَجَعَ عَنْهَا وَقَدْ يُغْفَرُ لَهُ بِاسْتِفْرَاغِهِ الْوُسْعَ فِي طَلْبِ الْحَقِّ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ (٣) .

رَوَى ابْنُ بَطَّةَ عن البَغَوِيِّ ، عن مُضْعَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عن مَالِكٍ ، عن الزُّهْرِيِّ عن أَنَسٍ ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ » . قَالَ الْخَطِيبُ : هَذَا بَاطِلٌ ، وَالْحَمْلُ فِيهِ عَلَى ابْنِ بَطَّةَ (٤) .

قال الإمام الذهبيُّ مُعَقَّباً : أَفْحَشَ الْعِبَارَةُ وَحَاشَى الرَّجُلَ مِنَ التَّعَمُّدِ ، لَكِنَّهُ غَلَطَ وَدَخَلَ عَلَيْهِ إِسْنَادٌ فِي إِسْنَادِ .

كان موته في سنة سبعٍ وثمانينٍ وثلاثٍ مئةٍ (٥) .

قال أبو الوليد الباجي : عبدُ الغني بنُ سعيدٍ حافظٌ مُتَقِنٌ ، قُلْتُ لأبي ذرِّ الهَرَوِيِّ :

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

(٢) انظر السير : (ابن حِبَّان) ١٦ / ٩٢ - ١٠٤ ، وانظر النزهة : ١ / ١٢٧٠ .

(٣) انظر السير : (الْقَفَّالُ الشَّاشِي) ١٦ / ٢٨٣ - ٢٨٥ ، وانظر النزهة : ٤ / ١٢٩٥ .

(٤) حديثٌ حَسَنٌ انظر « فيض القدير » ٤ / ٢٦٧ .

(٥) انظر السير : (ابنُ بَطَّةَ) ١٦ / ٥٢٩ - ٥٣٣ ، وانظر النزهة : ٤ / ١٣١٤ .

أَخَذَتْ عَنْ عَبْدِ الْغَنِيِّ؟ فَقَالَ: لَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى مَعْنَى التَّأَكِيدِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لِعَبْدِ الْغَنِيِّ اتِّصَالٌ بِنَبِيِّ عُبَيْدٍ، يَعْنِي أَصْحَابَ مِصْرَ.

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً: اتِّصَالُهُ بِالذَّوْلَةِ الْعُبَيْدِيَّةِ كَانَ مُدَارَاةً لَهُمْ وَإِلَّا فَلَوْ جَمَعَ عَلَيْهِمْ لاسْتَأْصَلَهُ الْحَاكِمُ خَلِيفَةُ مِصْرَ، الَّذِي قِيلَ إِنَّهُ ادَّعَى الْإِلَهِيَّةَ.

وَأَظَنُّهُ وَلِيَّ وَظِيفَةً لَهُمْ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أُمَّةِ الْأَثَرِ نَشْأً فِي سُنَّةٍ وَاتِّبَاعَ قَبْلَ وُجُودِ الرَّفْضِ وَاسْتَمْرَءَ هُوَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْحَدِيثِ وَلَكِنَّهُ دَارَى الْقَوْمَ وَدَاهَنَهُمْ فَلِذَلِكَ لَمْ يُحِبَّ الْحَافِظُ أَبُو ذَرِّ الْأَخْذَ عَنْهُ (١).

جَاءَ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ السَّمْسَارِ، وَقَالَ أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي: فِيهِ تَشْيِيعٌ يُفْضِي بِهِ إِلَى الرَّفْضِ، وَهُوَ قَلِيلُ الْمَعْرِفَةِ (٢).

مَاتَ ابْنُ السَّمْسَارِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ وَقَدْ كَمَلَ التَّسْعِينَ، وَلَعَلَّ تَشْيِيعَهُ كَانَ تَقِيَّةً لَا سَجِيَّةً، فَإِنَّهُ مِنْ بَيْتِ الْحَدِيثِ، وَلَكِنْ غَلَّتِ الشَّامُ فِي زَمَانِهِ بِالرَّفْضِ، بَلْ وَمِصْرُ وَالْمَغْرِبُ بِالذَّوْلَةِ الْعُبَيْدِيَّةِ، بَلْ وَالْعِرَاقُ، وَبَعْضُ الْعَجَمِ بِالذَّوْلَةِ الْبُؤَيْهِيَّةِ، وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ دَهْرًا، وَشَمَخَتْ الْعُلَاةُ بِأَنْفِهَا، وَتَوَاخَى الرَّفْضُ وَالْأَعْتِرَالُ حَيْثُ نَذِرَ، وَالنَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ، نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ فِي الدِّينِ (٣).

وَقَالَ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَبْيِينِ كَذِبِ الْمُفْتَرِي»: لَا يَسْتَبْعَدَنَّ جَاهِلٌ كَذِبَ الْأَهْوَازِيِّ فِيمَا أَوْزَدَهُ مِنْ تِلْكَ الْحِكَايَاتِ، فَقَدْ كَانَ مِنْ أَكْذَابِ النَّاسِ فِيمَا يَدَّعِي مِنَ الرِّوَايَاتِ فِي الْقِرَاءَاتِ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ السَّمْرَقَنْدِيِّ: قَالَ لَنَا أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ: أَبُو عَلِيٍّ الْأَهْوَازِيُّ كَذَّابٌ فِي الْقِرَاءَاتِ وَالْحَدِيثِ جَمِيعاً.

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً: يُرِيدُ تَرْكِيْبَ الْإِسْنَادِ، وَادِّعَاءَ اللَّقَاءِ، أَمَّا وَضْعُ حُرُوفِ أَوْ مُتُونٍ فَحَاشَا وَكَلًّا، مَا أَجَوَّزُ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَهُوَ بَحْرٌ فِي الْقِرَاءَاتِ، تَلَقَّى الْمُقْرَئُونَ

(١) انظر السير: (عبد الغني بن سعيد) ١٧/٢٦٨-٢٧٣، وانظر النزهة: ٣/١٣٤٠.

(٢) انظر السير: (ابن السمسار) ١٧/٥٠٦-٥٠٧، وانظر النزهة: ١/١٣٥٦.

(٣) انظر السير: (ابن السمسار) ١٧/٥٠٦-٥٠٧، وانظر النزهة: ٢/١٣٥٦.

توَالِفَهُ وَنَقَلَهُ لِلْفَرَنْ بِالْقَبُولِ ، وَلَمْ يَنْتَقِدُوا عَلَيْهِ انْتِقَادَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ كَمَا أَحْسَنُوا الظَّنَّ
بِالنَّقَاشِ ، وَبِالسَّامِرِيِّ ، وَطَائِفَةٍ رَاجُوا عَلَيْهِمْ .

تُوفِّي أَبُو عَلِيٍّ - سَامَحَهُ اللَّهُ - سَنَةَ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ (١) .

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الطُّيُورِيِّ : أَكْثَرَ كُتُبِ الْخَطِيبِ - سِوَى « تَارِيخِ بَغْدَادِ » -
مُسْتَفَادَةٌ مِنْ كُتُبِ الصُّورِيِّ ، كَانَ الصُّورِيُّ ابْتَدَأَ بِهَا وَكَانَتْ لَهُ أُخْتُ بِصُورَ ، وَخَلَفَ
عِنْدَهَا اثْنَيْ عَشَرَ عَدْلًا مِنَ الْكُتُبِ ، فَحَصَلَ الْخَطِيبُ مِنْ كُتُبِهِ أَشْيَاءٌ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : مَا الْخَطِيبُ بِمُفْتَقِرٍ إِلَى الصُّورِيِّ ، هُوَ أَحْفَظُ وَأَوْسَعُ
رِحْلَةً وَحَدِيثًا وَمَعْرِفَةً (٢) .

وَجَاءَ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي مُسْلِمٍ اللَّيْثِيِّ ، قَالَ أَبُو زَكَرِيَّا بْنُ مَنْدَةَ : هُوَ أَحَدٌ مَنْ يَدْعَى
الْحِفْظَ ، لِأَنَّهُ يُدَلِّسُ ، وَيَعْصَبُ لِأَهْلِ الْبِدْعِ ، أَحْوَلُ ، شَرُّهُ ، كَلِمَا هَاجَتْ رِيحٌ ،
قَامَ مَعَهَا ، صَنَّفَ « مُسْنَدَ الصَّحِيحِينَ » (٣) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : آَلَ مَنْدَةَ لَا يُعْبَأُ بِقَدْحِهِمْ فِي خُصُومِهِمْ ، كَمَا لَا نَلْتَفِتُ
إِلَى ذِمِّ خُصُومِهِمْ لَهُمْ ، وَأَبُو مُسْلِمٍ ثِقَةٌ فِي نَفْسِهِ .

مَاتَ بِخُوزِسْتَانَ سَنَةَ سِتِّ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ (٤) .

وَجَاءَ فِي تَرْجَمَةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ الْهَرَوِيِّ ، قَالَ الْمُؤْتَمَنُ : كَانَ يَدْخُلُ
عَلَى الْأُمَرَاءِ وَالْجَبَابِرَةِ فَمَا يُبَالِي ، وَيَرَى الْغَرِيبَ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ ، فَيُبَالِغُ فِي إِكْرَامِهِ
وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : تَرَكْتُ الْحِيرِيَّ لِلَّهِ قَالَ : وَإِنَّمَا تَرَكَهُ ، لِأَنَّهُ سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا يُخَالِفُ
السُّنَّةَ (٥) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : كَانَ يَدْرِي الْكَلَامَ عَلَى رَأْيِ الْأَشْعَرِيِّ ، وَكَانَ شَيْخُ

(١) انظر السير : (الأهوازي) ١٨/١٣-١٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٧٨ .

(٢) انظر السير : (الخطيب) ١٨/٢٧٠-٢٩٧ ، وانظر النزهة : ٤/١٤١٣ .

(٣) انظر السير : (أبو مسلم الليثي) ١٨/٤٠٧-٤٠٩ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٢٦ .

(٤) انظر السير : (أبو مسلم الليثي) ١٨/٤٠٧-٤٠٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٢٦ .

(٥) انظر السير : (شيخ الإسلام الهروي) ١٨/٥٠٣-٥١٨ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٣٦ .

الإسلام أثرياً قحاً ، ينال من المتكلمة ، فلهذا أعرَضَ عن الحِيرِيِّ ، والحِيرِيُّ : فِئْتَةٌ عالمٌ ، أَكْثَرَ عَنْهُ الْبَيْهَقِيُّ وَالنَّاسُ^(١) .

وجاء في ترجمة سليمان بن إبراهيم : قَالَ يَحْيَى بْنُ مَنْدَةَ : فِي سَمَاعِهِ كَلَامٌ ، سَمِعْتُ مِنْ ثِقَاتٍ أَنَّ لَهُ أَخاً يُسَمَّى إِسْمَاعِيلَ أَكْبَرَ مِنْهُ ، فَحَكَ اسْمَهُ ، وَأَثَبَتْ اسْمَ نَفْسِهِ ، وَهُوَ شَيْخٌ شَرِيهٌ لَا يَتَوَرَّعُ ، لَحَّانٌ وَقَاحٌ^(٢) .

تُوفِّيَ سَنَةَ سِتِّ وَثَمَانِينَ ، وَهُوَ تَسْعُونَ عَاماً غَيْرَ أَشْهُرٍ^(٣) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : وَيَنْبَغِي التَّوَقُّفُ فِي كَلَامِ يَحْيَى ، فَبَيْنَ آلِ مَنْدَةَ وَأَصْحَابِ أَبِي نَعِيمٍ عَدَاوَاتٌ وَإِحْنٌ^(٤) .

وقال أبو عامر العبدري : سَمِعْتُ أَبَا نَصْرٍ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْقَادِرِ الطُّوسِيِّ يَحْلِفُ بِاللَّهِ إِنَّهُ أَبْصَرَ فِي نَوْمِهِ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ فِي كُتُبِ الْغَزَالِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَإِذَا هِيَ كُلُّهَا تَصَاوِيرٌ . قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : الْغَزَالِيُّ إِمَامٌ كَبِيرٌ ، وَمَا مِنْ شَرِطِ الْعَالِمِ أَنَّهُ لَا يُخْطِئُ^(٥) .

ولأبي الحسن ابن سكرٍ رَدُّ عَلَى الْغَزَالِيِّ فِي مُجَلَّدِ سَمَاءِ : « إِخْيَاءُ مَيِّتِ الْأَحْيَاءِ فِي الرَّدِّ عَلَى كِتَابِ الْإِخْيَاءِ » .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : مَا زَالَ الْأَثَمَةُ يُخَالِفُ بَعْضَهُمْ بَعْضاً ، وَيَرُدُّ هَذَا عَلَى هَذَا وَلَسْنَا مِمَّنْ يَذُمُّ الْعَالِمَ بِالْهَوَى وَالْجَهْلِ^(٦) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الدَّقَّاقُ فِي رِسَالَتِهِ ، فَحَطَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : كَانَ صُوفِيًّا مَلَامَتِيًّا ، سَكَنَ الرَّيَّ ، ثُمَّ هَمْدَانَ ، لَهُ كِتَابٌ « صَفْوَةُ التَّصَوُّفِ » وَلَهُ أَدْنَى مَعْرِفَةٍ بِالْحَدِيثِ فِي بَابِ شَيْوِخِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمَا .

(١) انظر السير : (شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْهَرَوِيُّ) ١٨ / ٥٠٣ - ٥١٨ ، وانظر النزهة : ٤ / ١٤٣٦ .

(٢) فِي اللِّسَانِ : وَقَعَ الرَّجُلُ : إِذَا صَارَ قَلِيلَ الْحَيَاءِ ، فَهُوَ وَقَعَ وَقَاحٌ .

(٣) انظر السير : (سُلَيْمَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ) ١٩ / ٢١ - ٢٥ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٤٥٣ .

(٤) انظر السير : (سُلَيْمَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ) ١٩ / ٢١ - ٢٥ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٤٥٣ .

(٥) انظر السير : (الْغَزَالِيُّ) ١٩ / ٣٢٢ - ٣٤٦ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٤٨٤ .

(٦) انظر السير : (الْغَزَالِيُّ) ١٩ / ٣٢٢ - ٣٤٦ ، وانظر النزهة : ٤ / ١٤٨٥ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعقَّباً : يا ذا الرَّجُلُ ، أَفصِرُ ، فابنُ طاهرٍ أَحفظُ منك بكثيرٍ (١) .
ثم قال : وذكر لي عنه الإباحة .

قال الإمام الذهبيُّ : ما تعني بالإباحة ؟ إن أردتَ بها الإباحة المطلقة ، فحاشا ابنِ طاهرٍ ، هو - والله - مُسلمٌ أثريٌّ ، مُعظَّمٌ لحُرُماتِ الدِّينِ ، وإن أخطأ أو شدَّ ، وإن عَنيتَ إباحةً خاصَّةً ، كإباحةِ السَّماعِ ، وإباحةِ النَّظَرِ إلى المُردِ فهذه مَعْصِيَةٌ ، وقولٌ للظَّاهِرِيَّةِ بإباحَتِها مَرْجوحٌ .

قال أبو سعَد السَّمعانيُّ : سألتُ إِسْماعِيلَ بنَ مُحَمَّدَ الحافظِ عن ابنِ طاهرٍ ، فتوقَّفَ ، ثم أساءَ الثَّناءَ عليه ، وسمعتُ أبا القاسمِ بنَ عساکِرٍ يقولُ : جَمَعَ ابنُ طاهرٍ أطرافَ « الصَّحِيحِينَ » وأبي داوُدَ ، وأبي عيسى والنَّسائيَّ وابنِ ماجه ، فأخطأ في مواضعٍ خطأ فاحشاً (٢) .

وقال ابنُ ناصرٍ وجماعةٌ : كان أصحابُ القَيروانيِّ يَشْهَدُونَ عليه أَنَّهُ لا يُصَلِّي ولا يَغْتَسِلُ من جَنابَةِ في أَكثَرِ أحوالِهِ ، ويُرْمَى بالفِسْقِ مع المُردِ واشتُهرَ بذلك ، وادَّعى قِراءةَ القرآنِ على ابنِ نَفيَسِ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعقَّباً : هَذَا كَلَامٌ بِهِوَى (٣) .

قال الإمام الذهبيُّ في تَرْجَمَةِ ابنِ العَرَبِيِّ : قرأتُ بِحَظِّ ابنِ مَسْدي في « مُعْجَمِهِ » أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ مُفْرَجِ النَّبَاطِيِّ ، سَمِعْتُ ابنَ الجَدِّ الحافظِ وَغَيرَهُ يَقولونَ : حَضَرَ فُقهاءُ إِسْبيليَّةِ : أبو بَكرِ بنُ المُرْجِيِّ وفُلانٌ وفُلانٌ ، وحَضَرَ مَعَهُمُ ابنُ العَرَبِيِّ فَتَذَكَّرُوا حَدِيثَ المِغْفَرِ .

فقال ابنُ المُرْجِيِّ : لا يُعرَفُ إلاَّ من حَدِيثِ مالِكِ عن الزُّهريِّ ، فقال ابنُ العَرَبِيِّ : قد رَوِيتهُ من ثَلَاثَةِ عَشَرَ طَرِيقاً غَيرِ طَرِيقِ مالِكِ فقالوا : أَفِدْنَا ، فوَعَدَهُم ،

-
- (١) انظر السير : (محمَّد بنُ طاهرٍ) ٣٦١-٣٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٤٨٧ .
(٢) انظر السير : (محمَّد بنُ طاهرٍ) ٣٦١-٣٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٨٧ .
(٣) انظر السير : (القَيروانيُّ) ٤١٧-٤١٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٩٥ .

ولم يُخْرِجْ لَهُمْ شَيْئاً وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ خَلْفُ بْنُ خَيْرٍ الْأَدِيبُ^(١) :

يا أهلَ حمصَ^(٢) وَمَنْ بِهَا أَوْصِيكُمْ
فخذوا عن العربيِّ أسْمَارَ الدُّجَى
بالبِرِّ والتقوى وصيةً مُشْفِقِ
إنَّ الفتى حُلُوَ الكلامِ مَهْدَبٌ
وخذوا الرواية عن إمامٍ مُتَّقٍ
إنَّ لم يجدْ خبراً صحيحاً يَخْلُقِ

قال الإمام الذهبيُّ مُعَقَّباً : هذه حِكَايَةٌ ساذِجَةٌ لا تَدُلُّ على تَعَمُّدٍ ، ولعلَّ القاضي رَحِمَهُ اللهُ وَهَمَ ، وَسَرَى ذِهْنُهُ إلى حَدِيثِ آخَرَ ، والشَّاعِرُ يَخْلُقُ الإِفْكَ ، ولم أنقَمْ على القاضي رَحِمَهُ اللهُ إلاَّ إِفْذَاعَهُ في ذَمِّ ابنِ حَزْمٍ واسْتِحْجَالِهِ لَهُ ، وابنُ حَزْمٍ أَوْسَعُ دائِرَةٌ من أبي بكرٍ في العُلُومِ ، وأحْفَظُ بِكثِيرٍ ، وقد أصابَ في أشياء وأجَادَ ، وزَلَّتْ في مَضايِقَ كغِيَرِهِ من الأثْمَةِ ، والإنصافُ عَزِيزٌ .

تُوفِّيَ ابنُ العربيِّ بِفاسَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِينَ مِئَةً^(٣) .

وقال ابنُ النَّجَّارِ : سَمِعْتُ المُباركَ النَّحْوِيَّ يَقُولُ : كان ابنُ الحَشَّابِ إذا نُودِيَ على كتابٍ أَخَذَهُ وطالعه ، وغَلَّ ورَقَهُ ، ثم يقولُ : هو مَقْطُوعٌ ، فيشْتَرِيهِ بِرِخْصٍ^(٤) .

قال الإمام الذهبيُّ مُعَقَّباً : لَعَلَّهُ تابَ ، فَقَدَ قالَ عبدُ اللهِ بنُ أبي الفَرَجِ الجُبَّائِي : رأيتُ ابنَ الحَشَّابِ وعليه ثيابٌ بيضٌ ، وعلَى وَجْهِهِ نورٌ ، فقلتُ : ما فَعَلَ اللهُ بِكَ ؟ قال : غَفَرَ لي ، ودَخَلْتُ الجَنَّةَ ، إلاَّ أنَّ اللهُ أَعْرَضَ عَنِّي وعن كثيرٍ من العُلَماءِ مَمَّنْ لا يَعْمَلُ .

ماتَ سَنَةَ سَبْعِ وَسِتِّينَ وَخَمْسِينَ مِئَةً^(٥) .

وجاءَ في تَرْجَمَةِ أبي الفَرَجِ ابنِ الجَوْزِي : قالَ الحافظُ سَيْفُ الدِّينِ ابنُ المَجدِ : هو كثيرُ الوَهْمِ جِداً ، سَمِعْتُ ابنَ نُقْطَةَ يَقُولُ : قيلَ لابنِ الأَخْضَرِ : ألا تُجِيبُ عن

(١) انظر السير : (ابن العربي) ٢٠/١٩٧-٢٠٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٤١

(٢) ويقصد بـحمص هنا إشبيلية ، إذ كانت تُدعى حِمصَ أيضاً .

(٣) انظر السير : (ابن العربي) ٢٠/١٩٧-٢٠٤ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٤١ .

(٤) انظر السير : (ابن الحَشَّابِ) ٢٠/٥٢٣-٥٢٨ ، وانظر النزهة : ١/١٥٧٩ .

(٥) انظر السير : (ابن الحَشَّابِ) ٢٠/٥٢٣-٥٢٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٧٩ .

بعض أوهام ابن الجوزي؟ قال: إنما يتتبع على من قل غلظه، فأما هذا فأوهامه كثيرة^(١).

ثم قال السيف: ما رأيت أحداً يعتمد عليه في دينه وعلمه وعقله راضياً عنه^(٢).

قال الإمام الذهبي معقّباً: إذا رضي الله عنه، فلا اعتبار بهم^(٣).

وجاء في ترجمة ابن الأثير، قال ابن الشعار: كان من أشد الناس بخلاً.

قال الإمام الذهبي معقّباً: من وقف عقاره لله فليس ببخيل، فما هو ببخيل،

ولا بجواد، بل صاحب حزم واقتصاد، رحمه الله.

عاش ثلاثاً وستين سنة توفي في سنة ست وست مئة بالموصل^(٤).

وقال ابن النجار: كان ابن طبرزد يودب الصبيان، ويكتب خطأ حسناً، ولم يكن

يفهم شيئاً من العلم، وكان متهاوناً بأمور الدين، رأيت غير مرة يقول من قيام، فإذا فرغ من الإراقة أرسل توبه وقعد من غير استنجاء بماء ولا حجر.

قال الإمام الذهبي: لعله يرخص بمذهب من لا يوجب الاستنجاء.

قال: وكنا نسمع منه يوماً أجمع، فنصلي ولا يصلي معنا، ولا يقوم لصلاة،

وكان يطلب الأجر على رواية الحديث، إلى غير ذلك من سوء طريقته، وخلف ما جمعه من الحطام، لم يخرج منه حقاً لله عز وجل^(٥).

وقال القفطي: كان الكندي لينا في الرواية، معجباً بنفسه فيما يذكره ويرويه، وإذا

نوطر جبهه بالقيح، ولم يكن موفق القلم، رأيت له أشياء باردة، واشتهر عنه أنه لم يكن صحيح العقيدة^(٦).

قال الإمام الذهبي معقّباً: ما علمنا إلا خيراً، وكان يحب الله ورسوله وأهل

(١) انظر السير: (أبو الفرج ابن الجوزي) ٢١/٣٦٥-٣٨٤، وانظر النزاهة: ١/١٦٣٧.

(٢) انظر السير: (أبو الفرج ابن الجوزي) ٢١/٣٦٥-٣٨٤، وانظر النزاهة: ٢/١٦٣٧.

(٣) انظر السير: (أبو الفرج ابن الجوزي) ٢١/٣٦٥-٣٨٤، وانظر النزاهة: ٣/١٦٣٧.

(٤) انظر السير: (ابن الأثير) ٢٢/٣٥٣-٣٥٦، وانظر النزاهة: ٣/١٦٥٤.

(٥) انظر السير: (ابن طبرزد) ٢١/٥٠٧-٥١٢، وانظر النزاهة: ٢/١٦٥٧.

(٦) انظر السير: (الكندي) ٢٢/٣٤-٤١، وانظر النزاهة: ٣/١٦٦٣.

الخَيْرِ ، وشاهدتُ له فتياً في القرآنِ تدلُّ على خَيْرٍ وتقريرٍ جيِّدٍ ، لكنَّها تخالفُ طريقةَ أبي الحسن^(١) ، فلعلَّ القِطَبيَّ قصدَ أنَّه حنبليُّ العَقْدِ ، وهذا شيءٌ قد سمَّجَ القولُ فيه فكلُّ مَنْ قصدَ الحقَّ من هذه الأُمَّةِ فاللهُ يُغْفِرُ له ، أعاذنا اللهُ من الهوى والنفسِ .

وقال المَوْفَّقُ عبدُ اللطيفِ : اجتمعتُ بالكِنديِّ ، وجرتُ بيننا مباحثاتٍ وكانَ شيخاً بهيئاً ذكياً مثرياً ، له جانبٌ من السُّلطانِ ، لكنَّه كانَ مُعجَباً بنفسِه مُؤذياً لِجَلِيسِه .

قال الإمامُ الذهبيُّ مُعقَّباً : أذاهُ لهَذَا القائلِ أَنَّهُ لَقَّبَهُ بِالْمَطْحَنِ .
تُوفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةَ وَسِتِّ مِئَةٍ^(٢) .

التَّرْقِي

قال سُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ : قالَ مَعْنُ : ما رأيتُ مِسْعَراً في يَوْمٍ إِلاَّ وهو أَفْضَلُ من اليَوْمِ الذي كانَ بالأَمْسِ وقالَ مُحَمَّدُ بنُ سَعْدٍ : كانَ لِمِسْعَرِ أُمِّ عابِدَةَ ، فكانَ يَخْدُمُها وكانَ مُرْجئاً^(٣) ، فماتَ فلمْ يَشْهَدْهُ سُفيانُ الثَّورِيُّ والحَسَنُ بنُ صالحٍ .

قالَ شُعْبَةُ بنُ الحَجَّاجِ : كُنَّا نُسَمِّي مِسْعَراً - المِصْحَفَ - يَعْنِي من إِتْقانِه .

ورُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ داوُدَ الحُرَيْبِيِّ قالَ : ما من أَحَدٍ إِلاَّ وقد أُخِذَ عَلَيْهِ إِلاَّ مِسْعَرٌ^(٤) .

(١) الأَشعريُّ

(٢) انظر السير : (الكِنديُّ) ٢٢/٣٤-٤١ ، وانظر النزْهة : ١/١٦٦٤ .

(٣) قد يُطلقُ الإرجاءُ على أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ من مخالفيهم المعتزلة الذين يزعمون تخليد صاحبِ الكِبيرةِ في النارِ ، لأنهم لا يقطعون بعقابِ الفسَّاقِ الذين يرتكبون الكبائرَ ويفوضون أمرهم إلى الله ، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم ، ويطلقُ الإرجاءُ على من يقولُ بعدمِ دخولِ الأعمالِ في الإيمانِ ، وأن الإيمانَ لا يزيدُ ولا ينقصُ - وهو مذهبُ أبي حنيفةٍ وأصحابِه - من جانبِ المحدثينَ القائلينَ بدخولِ الأعمالِ في مسمى الإيمانِ ، وأنه يزيدُ وينقصُ ، ويطلقُ على من يقولُ الإيمانُ هو معرفةُ الله ، ويجعلُ ما سوى الإيمانِ من الطاعاتِ ، وما سوى الكفرِ من المعاصي غيرِ مضرَّةٍ ولا نافعةٍ ، وهذا القسمُ الأخيرُ من الإرجاءِ هو المذمومُ صاحبه ، المتهمُ في دينه وقد قال الإمامُ الذهبيُّ في «مِيزانِ الاعتدالِ» (٩٩/٤) : «مسعرٌ بنُ كدامٍ حُجَّةٌ إمامٌ ، ولا عبرةُ بقولِ السليمانِيِّ : كانَ من المرجئةِ ، مسعرٌ ، وحمامٌ بنُ أبي سليمانٍ ، والنعمانُ ، وعمرو بنُ مرَّةٍ ، وعبدُ العزيزِ ابنِ أبي رِوَادٍ ، وأبي معاويةٍ ، وعمرو بنُ دَرٍ ، وسردُ جماعةٍ قلتُ : الإرجاءُ مذهبٌ لعدةٍ من جلةِ العلماءِ ولا ينبغي التحاملُ على قائله .»

(٤) انظر السير : (مِسْعَرٌ) ٧/١٦٣-١٧٣ ، وانظر النزْهة : ٥/٦٨٩ .

التَّضْحِيَّة

صُورٌ مِنَ التَّضْحِيَّةِ :

قَالَ ابْنُ أَبِي خَالِدٍ عَنْ قَيْسٍ قَالَ : رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ الَّتِي وَفَى بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ شَلَاءً .

عَنْ جَابِرٍ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَوَلَّى النَّاسُ ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَاحِيَةٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ، مِنْهُمْ طَلْحَةُ ، فَأَدْرَكَهُمْ الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ لِلْقَوْمِ ؟ » قَالَ طَلْحَةُ : أَنَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَمَا أَنْتَ » ، فَقَالَ رَجُلٌ : أَنَا ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْتَ » فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، ثُمَّ أَلْتَمَتَ إِذَا الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ لَهُمْ ؟ » قَالَ طَلْحَةُ : أَنَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَمَا أَنْتَ » ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْتَ » فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى بَقِيَ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ طَلْحَةُ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ لِلْقَوْمِ ؟ » قَالَ طَلْحَةُ : أَنَا ، فَقَاتَلَ طَلْحَةُ ، قَتَلَ الْأَحَدَ عَشَرَ ، حَتَّى قُطِعَتْ أَصَابِعُهُ فَقَالَ : حَسْرَةً (١) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ قُلْتَ : بِسْمِ اللَّهِ لَرَفَعْنَاكَ الْمَلَائِكَةُ ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ » ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ (٢) .

وَعَنْ أَبِي عُمَانَ : أَنَّ صُهَيْبًا الرُّومِيَّ حِينَ أَرَادَ الْهَجْرَةَ ، قَالَ لَهُ أَهْلُ مَكَّةَ : أَتَيْنَا صُغْلُوكًا حَقِيرًا فَتَغَيَّرَ حَالُكَ ! قَالَ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ تَرَكْتُ مَالِي ، أُمُخِّلُونَ أَنْتُمْ سَيِّلِي ؟ قَالُوا : نَعَمْ فَخَلَعَ لَهُمْ مَالَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « رِبِحَ صُهَيْبٌ ! رِبِحَ صُهَيْبٌ » (٣) .

قِصَّةُ أُمِّ عُمَارَةَ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَتِهَا : هِيَ نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو الْفَاضِلَةَ الْمُجَاهِدَةَ

(١) كَلِمَةٌ تَقَالُ عِنْدَ الْأَلَمِ .

(٢) انْظُرِ السِّيْرَ : (طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ) ١/٢٣-٤٠ ، وَانْظُرِ النَّزْهَةَ : ٤/١٢٤ .

(٣) انْظُرِ السِّيْرَ : (صُهَيْبُ بْنُ سِنَانَ) ٢/١٧-٢٦ ، وَانْظُرِ النَّزْهَةَ : ٥/٢١٢ .

الأنصاريَّة الحَزْرَجِيَّة النَجَارِيَّة المَازِنِيَّة المَدَنِيَّة (١) .

كَانَ أَخُوها عبدُ الله بنُ كَعْبِ المَازِنِيِّ من البَدْرِيِّينَ وكانَ أَخُوها عبدُ الرَحْمَنِ ، من البَكَّائِينَ (٢) .

شَهِدَتْ أُمُّ عُمَارَةَ لَيْلَةَ العَقَبَةِ ، وشَهِدَتْ أُحْدَا ، والحُدَيْبِيَّة ، ويومَ حُنَيْنٍ ، ويومَ اليَمَّامَةِ وجَاهِدَتْ ، وفَعَلَتْ الأَفَاعِيلَ ، وقَطَعَتْ يَدَها في الجِهادِ .

وكانَ ضَمْرَةٌ بنُ سَعِيدِ المَازِنِيِّ يُحَدِّثُ عن جَدَّتِهِ ، وكانت قد شَهِدَتْ أُحْدَا ، قالت : سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم يقولُ : « لَمَقَامُ نَسِيبَةَ بنتِ كَعْبِ اليَوْمِ خَيْرٌ مِنْ مَقَامِ فُلانٍ وفُلانٍ » .

وكانت تَرَاهَا تُقاتِلُ أَشَدَّ ما يَكُونُ القِتالُ ، وأنها لِحَاجِزَةٌ ثَوْبُها على وَسَطِها حتى جَرِحَتْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ جُرْحاً ، وكانت تقولُ : إِنِّي لأَنْظُرُ إلى ابنِ قِمَّةَ وهو يَضْرِبُها على عَاتِقِها ، وكانَ أعْظَمَ جِراحِها ، فداوَتْهُ سَنَةً ثم نادَى مُنادِي رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم : إلى حَمراءِ الأَسَدِ فَشَدَّتْ عليها ثِيابِها ، فما اسْتَطَاعَتْ من نَزْفِ الدِّمِ رَضِيَ اللهُ عنها وأَرْضاها وراحَها .

وعن عُمَارَةَ بنِ غزِيَّة قال : قالتُ أُمُّ عُمَارَةَ : رأيتُني وانكشَفَ النَّاسُ عن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، فما بَقِيَ إلا نَفِيرٌ ما يُيْمُونُ عَشْرَةَ ، وأنا وابْنائِي ورُؤُوسُ بَيْنَ يَدَيْهِ نَدَبٌ عنه ، والنَّاسُ يُمْرُونَ به مُنْهَزمِينَ ، ورَأَيْني ولا تُرْسَ مَعِي ، فرَأَيْ رَجُلًا مُولِيًا ومعه تُرْسٌ ، فقال : أَلْقِ تُرْسَكَ إلى مَنْ يُقاتِلُ فألقاهُ فأخَذَتْهُ فَجَعَلَتْ أترْسُ به عن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، وإنَّما فَعَلَ بنا الأَفَاعِيلُ أَصْحابُ الحَيْلِ ، لو كانوا رَجالةً مِثْلنا أَصَبْنَاهم إن شاءَ اللهُ ، فيُقْبِلُ رَجُلٌ على فَرَسِهِ يَضْرِبُني ، وترَسْتُ له ، فلمَ يَصْنَعُ شَيْئاً ، فأضْرِبُ عُرْقوبَ فَرَسِهِ ، فوَقَعَ على ظَهْرِهِ فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم يَصيحُ : « يا ابنَ أُمِّ عُمَارَةَ ، أَمَكْ! أَمَكْ! » ، قالت : فعاوَنِي عليه ، حتى أوردَتْهُ شعوبَ (٣) .

(١) انظر السير : (أم عُمارة) ٢/٢٧٨-٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٢/٨٥٢ .

(٢) انظر السير : (أم عُمارة) ٢/٢٧٨-٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٣/٨٥٢ .

(٣) شعوب : من أسماء المنية .

وعن مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانٍ قَالَ : جُرِحَتْ أُمُّ عُمَارَةَ بِأَحَدِ اثْنَيْ عَشَرَ جُرْحًا ، وَقُطِعَتْ يَدُهَا يَوْمَ الْيَمَامَةِ ، وَجُرِحَتْ يَوْمَ الْيَمَامَةِ سِوَى يَدِهَا أَحَدَ عَشَرَ جُرْحًا ، فَقَدِمَتْ الْمَدِينَةَ وَبِهَا الْجِرَاحَةُ ، فَلَقِدَ رُئِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ خَلِيفَةٌ ، يَأْتِيهَا يَسْأَلُ عَنْهَا (١) .
وابنُهَا حَبِيبُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ هُوَ الَّذِي قَطَعَهُ مُسَيْلِمَةُ .

وابنُهَا الْآخِرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ الْمَازِنِيِّ ، الَّذِي حَكَى وَضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتْلَ يَوْمِ الْحَرَّةِ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ مُسَيْلِمَةَ الْكُذَّابَ بِسَيْفِهِ شَهِدَ أَحَدًا (٢) .

التَّنَافُسُ

عَنْ أَبِي نَوْفَلِ بْنِ أَبِي عَقْرِبَ ، قَالَ : خَرَجَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ فَجَزَعَ أَهْلَ مَكَّةَ وَخَرَجُوا يُشَيِّعُونَهُ ، فَوَقَفَ وَوَقَفُوا حَوْلَهُ يَبْكُونَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ رَغْبَةً بِنَفْسِي عَنْكُمْ ، وَلَا اخْتِيَارَ بَلَدٍ عَلَى بَلَدِكُمْ ، وَلَكِنَّ هَذَا الْأَمْرُ كَانَ ، فَخَرَجْتُ فِيهِ رَجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَا كَانُوا مِنْ ذَوِي أَسْنَانِهَا ، وَلَا فِي بِيوتِهَا وَأَصْبَحْنَا - وَاللَّهِ - لَوْ أَنَّ جِبَالَ مَكَّةَ ذَهَبًا فَأَنْفَقْنَاهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مَا أَدْرَكْنَا يَوْمًا مِنْ أَيَّامِهِمْ فَلْتَمَسُوا أَنْ نُشَارِكَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، فَاتَّقَى اللَّهُ أَمْرًا فَتَوَجَّهَ غَازِيًا إِلَى الشَّامِ ، وَاتَّبَعَهُ ثَقْلُهُ ، فَأُصِيبَ شَهِيدًا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣) .

وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ ، حَدَّثَنِي غَيْرٌ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ أَنَّهُ قَالَ : إِنِّي لِأَعْرِفُ رَجُلًا مِنْذُ عَشْرِينَ سَنَةً يَتَمَنَّى أَنْ يَسْلَمَ لَهُ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ ابْنِ عَوْنٍ ، فَمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ : مَا رَأَيْتُ مُصْلِيًا مِثْلَ ابْنِ عَوْنٍ (٤) .

وَقَالَ سُفْيَانُ : إِنِّي لِأَشْتَهِي مِنْ عُمْرِي كُلِّهِ أَنْ أَكُونَ سَنَةً مِثْلَ ابْنِ الْمُبَارَكِ ، فَمَا أَقْدِرُ أَنْ أَكُونَ وَلَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ (٥) .

-
- (١) انظر السير : (أم عمارة) ٢/٢٧٨-٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٤/٨٥٢ .
 - (٢) انظر السير : (أم عمارة) ٢/٢٧٨-٢٨٢ ، وانظر النزهة : ١/٢٥٩ .
 - (٣) انظر السير : (الحارث بن هشام) ٤/٤١٩-٤٢١ ، وانظر النزهة : ٤/٥٢٥ .
 - (٤) انظر السير : (عبد الله بن عون) ٦/٣٦٤-٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٤/٦٥٦ .
 - (٥) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٨/٣٧٨-٤٢١ ، وانظر النزهة : ١/٧٦٧ .

حُبُّ الْجَمَاعَةِ وَكَرَاهِيَةُ الْفُرْقَةِ

قَالَ مُوسَى بْنُ عُقَبَةَ فِي «مَغَازِيهِ» : غَزَوَةُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ هِيَ غَزَوَةُ ذَاتِ السَّلَاسِلِ مِنْ مَشَارِفِ الشَّامِ فَخَافَ عَمْرُو مِنْ جَانِبِهِ ذَلِكَ فَاسْتَمَدَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاثْتَدَبَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فِي سِرَاةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَأَمَرَ نَبِيُّ اللَّهِ عَلَيْهِمُ أَبُو عُبَيْدَةَ فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : أَنَا أَمِيرُكُمْ فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ : بَلْ أَنْتَ أَمِيرُ أَصْحَابِكَ وَأَمِيرُنَا أَبُو عُبَيْدَةَ فَقَالَ عَمْرُو : إِنَّمَا أَنْتُمْ مَدَدٌ أُمِدِدْتُ بِكُمْ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُو عُبَيْدَةَ بَنُ الْجَرَاحِ وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الْخُلُقِ ، لَيِّنَ الشِّيمَةَ ، مُتَّبِعًا لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَهْدِهِ ، فَسَلَّمَ الْإِمَارَةَ لِعَمْرُو^(١) .

وَلَمَّا تَفَرَّغَ الصَّدِيقُ مِنْ حَرْبِ أَهْلِ الرِّدَّةِ ، وَحَرْبِ مُسَيِّلِمَةَ الْكَذَّابِ جَهَّزَ أَمْرَاءَ الْأَجْنَادِ لِفَتْحِ الشَّامِ فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ ، وَيَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ، وَعَمْرُو بْنَ الْعَاصِ ، وَشُرْحُبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ ، فَتَمَّتْ وَقَعَةٌ أَجْنَادِينَ بِقُرْبِ الرَّمْلَةِ ، وَنَصَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَجَاءَتْ الْبُشْرَى وَالصَّدِيقُ فِي مَرَضِ الْمَوْتِ ، ثُمَّ كَانَتْ وَقَعَةٌ فِخْلٍ ، وَوَقَعَةٌ مَرْجِ الصُّفْرِ ، وَكَانَ قَدْ سَيَّرَ أَبُو بَكْرٍ خَالِدًا لِعَزْوِ الْعِرَاقِ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ لِيُنَجِدَ مَنْ بِالشَّامِ فَقَطَعَ الْمَفَاوِزَ عَلَى بَرِيَّةِ السَّمَاءِ ، فَأَمَرَهُ الصَّدِيقُ عَلَى الْأَمْرَاءِ كُلِّهِمْ ، وَحَاصَرُوا دِمَشْقَ ، وَتُوْفِّيَ أَبُو بَكْرٍ فَبَادَرَ عُمَرُ بِعَزْلِ خَالِدِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْكُلِّ أَبَا عُبَيْدَةَ ، فَجَاءَهُ التَّقْلِيدُ ، فَكَتَمَهُ مَدَّةً ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ دِينِهِ وَلِيْنِهِ وَحِلْمِهِ ، فَكَانَ فَتَحَ دِمَشْقَ عَلَى يَدِهِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَظْهَرَ التَّقْلِيدَ ، لِيَعْقِدَ الصُّلْحَ لِلرُّومِ ، فَفَتَحُوا لَهُ بَابَ الْجَابِيَةِ صُلْحًا ، وَإِذَا بِخَالِدٍ قَدْ افْتَتَحَ الْبَلَدَ عَنَوَةً مِنَ الْبَابِ الشَّرْقِيِّ ، فَأَمْضَى لَهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ الصُّلْحَ .

فَعَنِ الْمُنْغِيرَةِ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ صَالَحَهُمْ عَلَى أَنْصَافِ كَنَائِسِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ ، ثُمَّ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ رَأْسَ الْإِسْلَامِ يَوْمَ وَقَعَةِ الْيَرْمُوكِ ، الَّتِي اسْتَأْصَلَ اللَّهُ فِيهَا جُيُوشَ الرُّومِ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ عَظِيمٌ^(٢) .

(١) انظر السير : (أبو عُبَيْدَةَ بَنُ الْجَرَاحِ) ١/٥-٢٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٢ .

(٢) انظر السير : (أبو عُبَيْدَةَ بَنُ الْجَرَاحِ) ١/٥-٢٣ ، وانظر النزهة : ٥/١٢٣ .

ومن أفضل أعمال عبد الرحمن بن عوف عزله نفسه من الأمر وقت الشورى ، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد ، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان ، ولو كان مُحايياً فيها ، لأخذها لنفسه ، أو لولأها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص (١) .

الحفاظ على الوقت

١- الاستفادة من الأوقات وتزيتها :

عن الربيع بن سليمان ، قال : كان الشافعي قد جزأ الليل ، فثلثه الأول يكتب ، والثاني يصلي ، والثالث ينام .
قال الإمام الذهبي معقباً : أفعاله الثلاثة عبادة بالنية (٢) .

٢- جدول الأعمال اليومي لبقية بن مخلد :

نقل بعض العلماء من كتاب لحفيد بقية بن مخلد ، عبد الرحمن بن أحمد : كان جدِّي قد قسم أيامه على أعمال البر : فكان إذا صلى الصبح قرأ حزبه من القرآن في المصحف ، سُدسَ القرآن ، وكان أيضاً يختم القرآن في الصلاة في كل يوم وليلة ، ويخرج كل ليلة في الثلث الأخير إلى المسجد ، فيختم قرب انصداع الفجر ، وكان يصلي بعد حزبه من المصحف صلاة طويلة جداً ثم ينقلب إلى داره - وقد اجتمع في مسجده الطلبة - فيجدد الوضوء ، ويخرج إليهم ، فإذا انقضت الدُّول ، صار إلى صومعة المسجد ، فيصلي إلى الظهر ، ثم يكون المبتدئ بالأذان ، ثم يهبط ثم يسمع إلى العصر ، ويصلي ويسمع ، ورُبما خرج في بقية النهار ، فيقعد بين القبور يبكي ويعتبر ، فإذا غربت الشمس أتى مسجده ، ثم يصلي ويرجع إلى بيته فيفطر ، وكان يسرد الصوم إلا يوم الجمعة ، ويخرج إلى المسجد ، فيخرج إليه جيرانه ، فيتكلم

(١) انظر السير : (عبد الرحمن بن عوف) ٦٨/١-٩٢ ، وانظر النزعة : ٤/١٣١ .

(٢) انظر السير : (الإمام الشافعي) ١٠/٥-٩٩ ، وانظر النزعة : ٤/٨٤٨ .

معهم في دينهم وديانهم ، ثم يصلي العشاء ويدخل بيته ، فيحدث أهله ، ثم ينام نومة قد أخذتها نفسه ، ثم يقوم هذا دأبه إلى أن توفي وكان جلدًا ، قويا على المشي^(١) .

٣- شِعْرٌ فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْوَقْتِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِيِّ ، وَمَنْ نَظَمَ أَبِي الْوَلِيدِ :
إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا بِأَنْ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَةٌ
فَلِمَ لَا أَكُونُ ضَنِينًا بِهَا وَأَجْعَلُهَا فِي صِلَاحٍ وَطَاعَةٍ
مَاتَ أَبُو الْوَلِيدِ بِالْمَرِيَّةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ ، فَعُمُرُهُ إِحْدَى وَسَبْعُونَ سَنَةً ،
فَإِنَّ مَوْلَدَهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ^(٢) .

٤- صُورٌ فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْأَوْقَاتِ :

قَالَ مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ التَّبُوكِّي : لَوْ قُلْتُ لَكُمْ : إِنِّي مَا رَأَيْتُ حَمَادَ بْنَ سَلَمَةَ ضَاحِكًا لَصَدَقْتُ ، كَانَ مَشْغُولًا ، إِمَّا أَنْ يُحَدِّثَ ، أَوْ يَقْرَأَ أَوْ يُسَبِّحُ ، أَوْ يُصَلِّيَ ، قَدْ فَسَمَ النَّهَارَ عَلَى ذَلِكَ .

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعِجْلِيُّ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : كَانَ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ لَا يُحَدِّثُ حَتَّى يَقْرَأَ مِئَةَ آيَةٍ نَظْرًا فِي الْمُصْحَفِ^(٣) .

وَقَالَ الْحَاكِمُ : رَحَلْتُ إِلَيْهِ إِلَى طُوسَ مَرَّتَيْنِ ، وَسَأَلْتُ أَبَا النَّضْرِ الطُّوسِيَّ مَتَى تَتَفَرَّغُ لِلتَّصْنِيفِ مَعَ هَذِهِ الْفَتَاوَى الْكَثِيرَةِ ؟ فَقَالَ : جَزَأْتُ اللَّيْلَ أَثَلَاثًا : فِثْلُ أَصْنَفُ ، وَثُلُثُ أَنْامُ ، وَثُلُثُ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ^(٤) .

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ عَسَاكِرَ : قَرَأْتُ بِحَظِّ غَيْثِ الْأَرْمَنَازِيِّ : غَرَقَ سُلَيْمُ الْفَقِيهَ فِي بَحْرِ الْقَلْزَمِ ، عِنْدَ سَاحِلِ جُدَّةَ ، بَعْدَ أَنْ حَجَّ فِي صَفَرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ ،

-
- (١) انظر السير : (بقي بن مخلد) ١٣/٢٨٥-٢٩٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٨٧ .
(٢) انظر السير : (أبو الوليد الباجي) ١٨/٥٣٥-٥٤٥ ، وانظر النزهة : ١/١٤٤٠ .
(٣) انظر السير : (حماد بن سلمة) ٧/٤٤٤-٤٥٦ ، وانظر النزهة : ٣/٧١٥ .
(٤) انظر السير : (أبو النضر الطوسي) ١٥/٤٩٠-٤٩٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٥٢ .

وقد نَهَى عَلَى الثَّمَانِينَ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نَشَرَ هَذَا الْعِلْمَ بِصُورٍ ، وَانْتَفَعَ بِهِ جَمَاعَةٌ ، وَحَدَّثْتُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ فِي الْأَنْفَاسِ ، لَا يَدْعُ وَقْتًا يَمْضِي بغيرِ فائدةٍ ، إِمَّا يَنْسَخُ ، أَوْ يَدْرُسُ ، أَوْ يَقْرَأُ ، وَحَدَّثْتُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ إِلَى أَنْ يَقُطَّ الْقَلَمَ (١) .

وَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ : عَصَمَنِي اللَّهُ فِي شَبَابِي بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعِصْمَةِ وَقَصَرَ مَحَبَّتِي عَلَى الْعِلْمِ ، وَمَا خَالَطْتُ لَعَابًا قَطُّ ، وَلَا عَاشَرْتُ إِلَّا أَمْثَالِي مِنَ طَلَبَةِ الْعِلْمِ ، وَأَنَا فِي عَشْرِ الثَّمَانِينَ أَجِدُ مِنَ الْحِرْصِ عَلَى الْعِلْمِ أَشَدَّ مِمَّا كُنْتُ أَجِدُهُ وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ ، وَبَلَغْتُ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَأَنَا الْيَوْمَ لَا أَرَى نَقْصًا فِي الْخَاطِرِ وَالْفِكْرِ وَالْحِفْظِ ، وَحِدَّةِ النَّظَرِ بِالْعَيْنِ لِرُؤْيَةِ الْأَهْلِ الْخَفِيَّةِ إِلَّا أَنَّ الْقُوَّةَ ضَعِيفَةً .

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : كَانَ ابْنُ عَقِيلٍ دَيِّنًا ، حَافِظًا لِلْحُدُودِ ، تُوْفِّي لَهُ ابْنَانِ ، فَظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الصَّبْرِ مَا يَتَعَجَّبُ مِنْهُ ، وَكَانَ كَرِيمًا يُنْفِقُ مَا يَجِدُ وَمَا خَلَّفَ سِوَى كِتَابِهِ ، وَثِيَابِ بَدَنِهِ ، وَكَانَتْ بِمِقْدَارِ ، تُوْفِّي سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةَ وَخَمْسِ مِئَةٍ ، وَكَانَ الْجَمْعُ يَفُوتُ الْإِحْصَاءَ ، قَالَ ابْنُ نَاصِرٍ شَيْخُنَا : حَزَرْتَهُمْ بِثَلَاثِ مِئَةِ أَلْفٍ (٢) .

وَقَالَ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ : كَانَ أَبُو بَكْرٍ قَاضِي الْمَرَسْتَانَ إِمَامًا فِي فُنُونِ ، وَكَانَ يَقُولُ : حَفِظْتُ الْقُرْآنَ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ ، وَمَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَقَدْ نَظَرْتُ فِيهِ ، وَحَصَلَتْ مِنْهُ الْكُلُّ أَوْ الْبَعْضُ ، إِلَّا هَذَا النَّحْوِ ، فَإِنِّي قَلِيلُ الْبِضَاعَةِ فِيهِ وَمَا أَعْلَمُ أَنِّي ضَيَعْتُ سَاعَةً مِنْ عُمْرِي فِي لَهْوٍ أَوْ لَعِبٍ (٣) .

وَجَاءَ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ الطَّلَايَةِ ، قَالَ السَّمْعَانِيُّ : شَيْخٌ كَبِيرٌ أَفْنَى عُمَرَهُ فِي الْعِبَادَةِ وَالْقِيَامِ وَالصِّيَامِ لَعَلَّهُ مَا صَرَفَ سَاعَةً مِنْ عُمَرِهِ إِلَّا فِي عِبَادَةٍ وَأَنْحَنَى حَتَّى لَا يَتَبَيَّنُ قِيَامُهُ مِنْ رُكُوعِهِ إِلَّا بَيْسِيرٍ ، وَكَانَ حَافِظًا لِلْقُرْآنِ ، لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا وَلَهُ كِفَايَةٌ يَتَقَنَّعُ بِهَا (٤) .

(١) انظر السير : (سليم بن أيوب) ١٧/٦٤٥-٦٤٧ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٧١ .

(٢) انظر السير : (ابن عقيل) ١٩/٤٤٣-٤٥١ ، وانظر النزهة : ١/١٤٩٨ .

(٣) انظر السير : (قاضي المرستان) ٢٠/٢٣-٢٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٢٣ .

(٤) انظر السير : (ابن الطلاية) ٢٠/٢٦٠-٢٦٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٤٩ .

وقال القاسم بن الحافظ ابن عساكر : كان أبي مواظباً على صلاة الجماعة وتلاوة القرآن ، يختم كل جمعة ، ويختم في رمضان كل يوم ، ويعتكف في المنارة الشرقية وكان كثير التوافل والأذكار ، يحيي ليلة النصف والعيد بالصلاة والتسبيح ، ويحاسب نفسه على لحظة تذهب في غير طاعة ، قال لي : لما حملت بي أمي ، رأيت في منامها قائلاً يقول : تلدين غلاماً يكون له شأن ، وحدثني أن أباه رأى رؤيا معناه يولد لك ولد يحيي الله به السنة^(١) .

وقال لي أبو العلاء يوماً : أي شيء فتح له ، وكيف ترى الناس له ، قلت : هو بعيد من هذا كله ، لم يشغل منذ أربعين سنة إلا بالجمع والتصنيف والتسميع حتى في نزهة وخلواته ، فقال : الحمد لله ، هذا ثمرة العلم ، ألا إننا قد حصل لنا هذه الدار والكُتب والمسجد ، هذا يدل على قلة حظوظ أهل العلم في بلادكم ، ثم قال لي : ما كان يسمى أبو القاسم ببغداد إلا شعلة نار من توقده وذكائه وحسن إدراكه^(٢) .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة الإمام الحافظ عبد الغني المقدسي الجماعيلي : كان لا يضيع شيئاً من زمانه بلا فائدة ، فإنه كان يصلي الفجر ، ويُلَقِّن القرآن ، وربما أقرأ شيئاً من الحديث تلقيناً ، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي ثلاث مئة ركعة بالفاتحة والمُعَوِّذتين إلى قبل الظهر ، ويناوم نومة ثم يصلي الظهر ويشغل إما بالتسميع أو النسخ إلى المغرب ، فإذا كان صائماً أفطر ، وإلا صلى من المغرب إلى العشاء ويصلي العشاء ، ويناوم إلى نصف الليل أو بعده ، ثم قام كأن إنساناً يوقظه ، فيصلي لحظة ثم يتوضأ ويصلي إلى قرب الفجر ، ربما توضع سبع مرات أو ثمانياً في الليل ، وقال : ما تطيب لي الصلاة إلا ما دامت أعضائي رطبة ، ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر ، وهذا دأبه .

وعن موفق الدين قال : كان الحافظ عبد الغني جامعاً للعلم والعمل ، وكان رفيقي في الصبا ، وفي طلب العلم ، وما كنا نستبق إلى خير إلا سبقتني إليه إلا قليلاً ،

(١) انظر السير : (ابن عساكر) ٢٠/٥٥٤-٥٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٥٨٤ .

(٢) انظر السير : (ابن عساكر) ٢٠/٥٥٤-٥٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٨٤ .

وَكَمَّلَ اللهُ فَضِيلَتَهُ بِابْتِلَائِهِ بِأَذَى أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَعَدَاوَتِهِمْ ، وَرُزِقَ الْعِلْمَ وَتَحْصِيلَ الْكُتُبِ الْكَثِيرَةَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُعَمَّرَ .

قَالَ الضَّيَاءُ : وَكَانَ يَسْتَعْمَلُ السَّوَاكَ كَثِيرًا حَتَّى كَانَتْ أَسْنَانُهُ الْبَرْدَ .

سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سَلَامَةَ التَّاجِرَ الْحَرَّانِيَّ يَقُولُ : كَانَ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ نَازِلًا عِنْدِي بِأَصْبَهَانَ ، وَمَا كَانَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ، بَلْ يُصَلِّي وَيَقْرَأُ وَيَبْكِي .

وَسَمِعْتُ نَصْرَ بْنَ رِضْوَانَ الْمُقْرِيَّ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا عَلَى سِيرَةِ الْحَافِظِ ، كَانَ مُشْتَغَلًا طَوْلَ زَمَانِهِ (١) .

الْحِكْمَةُ

١- صُورٌ مِنَ الْحِكْمَةِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ الْبَحْرِيِّ : وَقَدْ كَانَ عَلِيٌّ لَمَّا بُوِيعَ ، قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ : أَذْهَبَ عَلِيٌّ إِمْرَةَ الشَّامِ ، فَقَالَ : كَلَّا ، أَقَلُّ مَا يَصْنَعُ بِي مُعَاوِيَةُ إِنْ لَمْ يَقْتُلْنِي الْحَبْسُ ، وَلَكِنْ اسْتَعْمَلَهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ عَزْلُهُ بَعْدُ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ، وَكَذَلِكَ أَشَارَ عَلِيٌّ عَلَيَّ أَنْ لَا يُؤَلِّيَ أَبَا مُوسَى يَوْمَ الْحَكَمَيْنِ وَقَالَ : وَلِيِّي ، أَوْ فَوَلِّ الْأُخْنَفَ ، فَأَرَادَ عَلِيٌّ ذَلِكَ ، فَغَلَبُوهُ عَلَيَّ رَأْيِهِ (٢) .

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُقْبَةَ أَخِي ذِي الرُّمَّةِ ، قَالَ : شَهِدْتُ الْأُخْنَفَ بْنَ قَيْسٍ وَقَدْ جَاءَ إِلَى قَوْمٍ فِي دَمٍ ، فَتَكَلَّمَ فِيهِ ، وَقَالَ : اخْتَكِمُوا قَالُوا : نَحْتَكِمُ دَيْتَيْنِ قَالَ : ذَاكَ لَكُمْ فَلَمَّا سَكَنُوا قَالَ : أَنَا أُعْطِيكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ، فَاسْمَعُوا : إِنَّ اللَّهَ قَضَى بَدِيَّةَ وَاحِدَةٍ ، وَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بَدِيَّةَ وَاحِدَةٍ ، وَإِنَّ الْعَرَبَ تُعَاطِي بَيْنَهَا دِيَّةَ وَاحِدَةٍ ، وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ تُطَالِبُونَ ، وَأَخْشَى أَنْ تَكُونُوا غَدًا مَطْلُوبِينَ ، فَلَا تَرْضَى النَّاسُ مِنْكُمْ إِلَّا بِمِثْلِ مَا سَنَنْتُمْ ، قَالُوا : رُدَّهَا إِلَيَّ دِيَّةَ (٣) .

(١) انظر السير : (عبد الغني) ٢١/٤٤٣-٤٧١ ، وانظر النزهة : ١٦٤٥/أوقاته .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن عباس البحر) ٣/٣٣١-٣٥٩ ، وانظر النزهة : ١/٣٩٢ .

(٣) انظر السير : (الأخنف بن قيس) ٤/٨٦-٩٧ ، وانظر النزهة : ٣/٤٥٢ .

قال عبد الله بن عبد الحَكَم ، سَمِعْتُ مالِكاً يَقُولُ : شَاوَرَنِي هَارُونُ الرَّشِيدُ فِي ثَلَاثَةِ : فِي أَنْ يُعَلِّقَ « الْمُوَطَّأَ » فِي الْكُعْبَةِ ، وَيَحْمِلَ النَّاسَ عَلَيَّ مَا فِيهِ ، وَفِي أَنْ يَنْقُضَ مَنْبَرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَجْعَلَهُ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَجَوْهَرٍ ، وَفِي أَنْ يُقَدِّمَ نَافِعاً إِمَاماً فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : أَمَّا تَعْلِيْقُ « الْمُوَطَّأَ » فَإِنَّ الصَّحَابَةَ اخْتَلَفُوا فِي الْفُرُوعِ ، وَتَفَرَّقُوا ، وَكُلُّ عِنْدَ نَفْسِهِ مُصِيبٌ وَأَمَّا نَقْضُ الْمَنْبَرِ ، فَلَا أَرَى أَنْ يُحْرَمَ النَّاسُ أَثَرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّا تَقْدِمَتُكَ نَافِعاً فَإِنَّهُ إِمَامٌ فِي الْقِرَاءَةِ ، لَا يُؤْمَنُ أَنْ تَبْدُو مِنْهُ بَادِرَةً فِي الْمِحْرَابِ ، فَتُحْفَظُ عَلَيْهِ فَقَالَ : وَفَقَّكَ اللَّهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعَقِّباً : هَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ ، لَكِنْ لَعَلَّ الرَّاوي وَهَمَ فِي قَوْلِهِ : هَارُونُ ، لِأَنَّ نَافِعاً قَبْلَ خِلَافَةِ هَارُونِ مَاتَ (١) .

٢- مِنْ حُكَمَاءِ الْإِسْلَامِ :

الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ :

عَنِ الْأَعْمَشِ ، قَالَ : مَا زَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَعِي الْحِكْمَةَ حَتَّى نَطَقَ بِهَا ، وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ الْحَسَنَ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرِ الْبَاقِرِ قَالَ : ذَلِكَ الَّذِي يُشْبِهُ كَلَامَهُ كَلَامَ الْأَنْبِيَاءِ (٢) .

٣- الْحُكَمَاءُ صِغَارُ السَّنِّ :

قال أبو سَهْلٍ الصُّغْلُوكِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدَ الْمُزْتَعِشَ يَقُولُ : قَالَ الْجُنَيْدُ : كُنْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّرِيِّ الْأَعْبُ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ ، فَتَكَلَّمُوا فِي الشُّكْرِ ، فَقَالَ : يَا غُلَامُ مَا الشُّكْرُ ؟ قُلْتُ : أَنْ لَا يُعْصَى اللَّهُ بِنِعْمِهِ ، فَقَالَ : أَخْشَى أَنْ يَكُونَ حَظُّكَ مِنَ اللَّهِ لِسَانُكَ قَالَ الْجُنَيْدُ : فَلَا أزالُ أَبْكِي عَلَيَّ قَوْلَهُ (٣) .

(١) انظر السير : (مالِكُ الْإِمَامُ) ٤٨/٨ - ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٢/٧٣٤ .

(٢) انظر السير : (الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ) ٤/٥٦٣ - ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ١/٥٦٣ .

(٣) انظر السير : (الْجُنَيْدُ) ١٤/٦٦ - ٧٠ ، وانظر النزهة : ٢/١١٣٣ .

٤- صُحْبَةُ الصَّالِحِينَ يَنْتُجُ عَنْهَا الْحِكْمَةُ :

قال شقيقٌ لحاتم : مُذْ صَحِبْتَنِي ، أَيُّ شَيْءٍ تَعَلَّمْتَ مِنِّي ؟ قال : سِتَّ كَلِمَاتٍ ؛ رَأَيْتُ النَّاسَ فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِ الرَّزْقِ ، فَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (١) .

ورأيتُ لكلَّ رجلٍ صديقاً يُفْشي إليه سِرَّهُ ، وَيَشْكُو إليه ، فَصَادَقْتُ الْخَيْرَ لِيَكُونَ مَعِيَ فِي الْحِسَابِ ، وَيَجُوزَ مَعِيَ الصَّرَاطَ .

ورأيتُ كلَّ أحدٍ له عدوٌّ ، فَمَنْ اغْتَابَنِي لَيْسَ بَعْدُوِّي ، وَمَنْ أَخَذَ مِنِّي شَيْئاً لَيْسَ بَعْدُوِّي ، بَلْ عَدُوِّي مَنْ إِذَا كُنْتُ فِي طَاعَةِ ، أَمَرَنِي بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ وَذَلِكَ إِبْلِيسُ وَجُنُودُهُ ، فَاتَّخَذْتُهُمْ عَدُوّاً وَحَارِبْتُهُمْ .

ورأيتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ لَهُمْ طَالِبٌ ، وَهُوَ مَلِكُ الْمَوْتِ ، فَفَرَّغْتُ لَهُ نَفْسِي .

وَنظَرْتُ فِي الْخَلْقِ ، فَأَحْبَبْتُ ذَا وَأَبْغَضْتُ ذَا ، فَالَّذِي أَحْبَبْتُهُ لَمْ يُعْطِنِي ، وَالَّذِي أَبْغَضْتُهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنِّي شَيْئاً ، فَقُلْتُ : مَنْ أَيْنَ أُتَيْتُ ؟ فَإِذَا هُوَ مِنَ الْحَسَدِ فَطَرَحْتُهُ وَأَحْبَبْتُ الْكُلَّ ، فَكُلُّ شَيْءٍ لَمْ أَرْضَهُ لِنَفْسِي لَمْ أَرْضَهُ لَهُمْ .

ورأيتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ لَهُمْ بَيْتٌ وَمَأْوَى ، وَرَأَيْتُ مَاوَايَ الْقَبْرِ ، فَكُلُّ شَيْءٍ قَدَرْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ قَدَّمْتُهُ لِنَفْسِي لِأَعْمَرَ قَبْرِي .

فقال شقيقٌ : عَلَيْكَ بِهَذِهِ الْخِصَالِ (٢) .

٥- أَقْوَالٌ حَكِيمَةٌ مِنَ التَّوْرَةِ :

قال قاسمُ الجوعِي : سَمِعْتُ مُسْلِمَ بْنَ زِيَادٍ يَقُولُ : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ : مَنْ سَأَلَ مِنْ سَلِمَ ، وَمَنْ شَاتَمَ شَتِمَ ، وَمَنْ طَلَبَ الْفَضْلَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ نَدِمَ .

(١) سورة هود ، الآية : ٦ .

(٢) انظر السير : (حاتم الأصم) ١١ / ٤٨٤ - ٤٨٧ ، وانظر النزاهة : ٦ / ٩٦٠ .

وقال : الشَّهَوَاتُ نَفْسُ الدُّنْيَا ، فَمَنْ تَرَكَ الشَّهَوَاتِ فَقَد تَرَكَ الدُّنْيَا^(١) .

٦- من أقوال حُكَمَاءِ الهِنْدِ :

قال إبراهيمُ الحَزْرِيُّ : وَسَمِعْتُ دَاوُدَ بْنَ رَشِيدٍ يَقُولُ : قَالَتْ حُكَمَاءُ الهِنْدِ : لَا ظَفَرَ
مَعَ بَغْيٍ ، وَلَا صِحَّةَ مَعَ نَهَمٍ ، وَلَا ثَنَاءَ مَعَ كِبَرٍ ، وَلَا صِدَاقَةَ مَعَ خِبِّ^(٢) ، وَلَا شَرَفَ مَعَ
سُوءِ أَدَبٍ ، وَلَا بَرٍّ مَعَ شُحٍّ ، وَلَا مَحَبَّةَ مَعَ هُزْءٍ ، وَلَا قَضَاءَ مَعَ عَدَمِ فِقْهِ ، وَلَا عُدْرَ مَعَ
إِضْرَارٍ ، وَلَا سِلْمَ قَلْبٍ مَعَ غَيْبَةٍ ، وَلَا رَاحَةَ مَعَ حَسَدٍ ، وَلَا سُودُدَ مَعَ انْتِقَامٍ ،
وَلَا رِئَاسَةَ مَعَ عِزَّةٍ نَفْسٍ وَعُجْبٍ ، وَلَا صَوَابَ مَعَ تَرِكِ مُشَاوَرَةٍ ، وَلَا ثَبَاتَ مُلْكٍ مَعَ
تَهَاوُنٍ .

تُوفِّي دَاوُدُ بْنُ رَشِيدٍ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِئَتِينَ ، وَهُوَ مِنْ أَبْنَاءِ الثَّمَانِينَ ، وَلَعَلَّ
بَعْضَ أَمْرَاءِ الزَّمَانِ يَحْوِي هَذِهِ الْخِلَالَ الرَّدِيَّةَ^(٣) .

٧- أقوالٌ حَكِيمَةٌ مُتَفَرِّقَةٌ :

عَنِ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ : ثَلَاثَةٌ لَا يَنْتَصِفُونَ مِنْ ثَلَاثَةٍ : شَرِيفٌ مِنْ دَنِيءٍ ، وَبَرٌّ مِنْ
فَاجِرٍ ، وَحَلِيمٌ مِنْ أَحْمَقٍ^(٤) .

وَقَالَ الْأَخْنَفُ : مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَعَنهُ
سُئِلَ : مَا الْمَرْوَةُ ؟ قَالَ : كَيْثَمَانُ السَّرِّ وَالْبُعْدُ مِنَ الشَّرِّ . وَعَنهُ : الْكَامِلُ مَنْ عُدَّتْ
سَقَطَاتُهُ^(٥) .

قَالَ الْأَضْمَعِيُّ : قِيلَ لَخَالِدِ بْنِ يَزِيدٍ : مَا أَقْرَبُ شَيْءٍ ؟ قَالَ : الْأَجَلُ ، قِيلَ : فَمَا
أَبْعَدُ شَيْءٍ ؟ قَالَ : الْأَمَلُ قِيلَ : فَمَا أَرْجَى شَيْءٍ ؟ قَالَ : الْعَمَلُ^(٦) .

(١) انظر السير : (المجوعِي) ١٢/٧٧-٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/٩٨٤ .

(٢) الخِبُّ ، بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ : الْخِدَاعُ وَالْخَيْبُ وَالْعَش .

(٣) انظر السير : (داوُدُ بْنُ رَشِيدٍ) ١١/١٣٣-١٣٥ ، وانظر النزهة : ٣/٩١٦ .

(٤) انظر السير : (الأخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ) ٤/٨٦-٩٧ ، وانظر النزهة : ٥/٤٥٢ .

(٥) انظر السير : (الأخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ) ٤/٨٦-٩٧ ، وانظر النزهة : ٦/٤٥٢ .

(٦) انظر السير : (خَالِدُ بْنُ يَزِيدٍ) ٤/٣٨٢-٣٨٣ ، وانظر النزهة : ٥/٥١٥ .

وعن حُسَيْنِ بْنِ شُفْيَى ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَأَقْبَلَ تَبِيعُ بْنُ عَامِرٍ فَقَالَ :
أَتَاكُمْ أَعْرَفُ مَنْ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا تَبِيعُ أَخْبِرْنَا عَنِ الْخَيْرَاتِ الثَّلَاثِ ؟ قَالَ : اللِّسَانُ
الصَّدُوقُ ، وَقَلْبٌ تَقِيٌّ ، وَامْرَأَةٌ صَالِحَةٌ (١) .

وعن بَحِيرِ بْنِ سَعْدٍ ، سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ مَعْدَانَ يَقُولُ : مَنْ التَّمَسَ الْمُحَامِدَ فِي
مُخَالَفَةِ الْحَقِّ ، رَدَّ اللَّهُ تِلْكَ الْمُحَامِدَ عَلَيْهِ ذِمًّا ، وَمَنْ اجْتَرَأَ عَلَى الْمَلَاوِمِ فِي مُوَافَقَةِ
الْحَقِّ ، رَدَّ اللَّهُ تِلْكَ الْمَلَاوِمَ عَلَيْهِ حَمْدًا .

قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ : مَاتَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ وَهُوَ صَائِمٌ .

مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَمِئَةٍ (٢) .

وعن وَهْبِ بْنِ مُنْبَهٍ قَالَ : أَحْفَظُوا عَنِّي ثَلَاثًا : إِيَّاكُمْ وَهَوَى مُتَّبِعًا ، وَقَرِينَ سُوءٍ ،
وَإِعْجَابَ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ (٣) .

وقَالَ جَامِعُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ : سَمِعْتُ مَيْمُونَ بْنَ مِهْرَانَ يَقُولُ : ثَلَاثَةٌ تُؤَدِّي إِلَى الْبِرِّ
وَالْفَاجِرِ : الْأَمَانَةُ ، وَالْعَهْدُ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ (٤) .

عن مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةٍ قَالَ : لَا تُجَالِسْ بِعِلْمِكَ الشُّفَهَاءَ ، وَلَا تُجَالِسْ بِسَفَهِكَ
الْعُلَمَاءَ .

مَاتَ مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةٍ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِئَةٍ ، وَهُوَ ابْنُ سِتِّ وَسَبْعِينَ سَنَةً (٥) .

وعن ابْنِ شِهَابٍ قَالَ : الْعَمَائِمُ تَيْجَانُ الْعَرَبِ ، وَالْحَبُوتُ حِيَطَانُ الْعَرَبِ ،
وَالْأَضْطِجَاعُ فِي الْمَسْجِدِ رِبَاطُ الْمُؤْمِنِينَ (٦) .

(١) انظر السير : (تَبِيعُ بْنُ عَامِرٍ) ٤/٤١٣-٤١٤ ، وانظر النزهة : ١/٥٢٥ .

(٢) انظر السير : (خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ) ٤/٥٣٦-٥٤١ ، وانظر النزهة : ٤/٥٥٢ .

(٣) انظر السير : (وَهْبُ بْنُ مُنْبَهٍ) ٤/٥٤٤-٥٥٧ ، وانظر النزهة : ١/٥٥٤ .

(٤) انظر السير : (مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ) ٥/٧١-٧٨ ، وانظر النزهة : ٦/٥٨١ .

(٥) انظر السير : (مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةٍ) ٥/١٥٣-١٥٥ ، وانظر النزهة : ٥/٥٩٤ .

(٦) انظر السير : (أَخْبَارُ الزُّهْرِيِّ) ٥/٣٢٦-٣٥٠ ، وانظر النزهة : ٤/٦٠٧ .

عن السَّفَّاحِ قَالَ : إِذَا عَظَّمْتَ الْقُدْرَةَ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ ، قَلَّ تَبَرُّعُ الْإِلَاءِ وَمَعَهُ حَقٌّ مُضَاعٌ ،
الصَّبْرُ حَسَنٌ إِلَّا عَلَى مَا أُوْتِعَ^(١) الدِّينَ وَأُوْهِنَ السُّلْطَانَ^(٢) .

وَرَوَى ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ : لَيْسَ لِلْمَلُوكِ صَدِيقٌ ، وَلَا لِلْحُسُودِ رَاحَةٌ ،
وَالنَّظْرُ فِي الْعَوَاقِبِ تَلْقِيحُ الْعُقُولِ^(٣) .

قَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : ثَلَاثَةٌ يُعْرَفُونَ عِنْدَ ثَلَاثَةِ : الْحَلِيمُ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَالشُّجَاعُ
عِنْدَ اللَّقَاءِ ، وَالصَّدِيقُ عِنْدَ النَّائِبَةِ^(٤) .

وَقَالَ ابْنُ شَوْذَبٍ : سَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ عُبَيْدٍ يَقُولُ : خَصَلْتَانِ إِذَا صَلَّحْتَا مِنَ الْعَبْدِ
صَلَّحَ مَا سِوَاهُمَا : صَلَاتُهُ وَلِسَانُهُ .

مَاتَ يُونُسُ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ^(٥) .

وَعَنْ ابْنِ شُبْرُمَةَ قَالَ : مَنْ بَالَعَ فِي الْخُصُومَةِ أَيْمًا ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهَا خَصِمًا وَلَا يُطِيقُ
الْحَقَّ مَنْ بَالَى عَلَى مَنْ دَارَ الْأَمْرُ .

وَرَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ ابْنِ شُبْرُمَةَ قَالَ : عَجِبْتُ لِلنَّاسِ يَخْتَمُونَ مِنَ الطَّعَامِ مَخَافَةَ
الدَّاءِ وَلَا يَخْتَمُونَ مِنَ الذُّنُوبِ مَخَافَةَ النَّارِ^(٦) .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قَالَ لِي أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ : كُنْ عَلَى حَذَرٍ مِنَ الْكَرِيمِ إِذَا
أَهْنَتْهُ ، وَمِنَ اللَّئِيمِ إِذَا أَكْرَمْتَهُ ، وَمِنَ الْعَاقِلِ إِذَا أَحْرَجْتَهُ ، وَمِنَ الْأَحْمَقِ إِذَا مَارَحْتَهُ ،
وَمِنَ الْفَاجِرِ إِذَا عَاشَرْتَهُ ، وَلَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ أَنْ تُجِيبَ مَنْ لَا يَسْأَلُكَ ، أَوْ تَسْأَلَ مَنْ
لَا يُجِيبُكَ ، أَوْ تُحَدِّثَ مَنْ لَا يُنْصِتُ لَكَ .

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : حَدَّثَنِي عِدَّةٌ : أَنَّ أَبَا عَمْرٍو قَرَأَ عَلَى مُجَاهِدٍ وَزَادَ بَعْضُهُمْ : وَعَلَى

(١) أُوْتِعَ : أَفْسَدَ وَأَهْلَكَ .

(٢) انظر السير : (السَّفَّاح) ٦/٧٧-٨٠ ، وانظر النزهة : ٤/٦٣٢ .

(٣) انظر السير : (أَبُو حَازِمٍ) ٦/٩٦-١٠٣ ، وانظر النزهة : ٤/٦٣٦ .

(٤) انظر السير : (خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ) ٦/٢٢٦ ، وانظر النزهة : ٣/٦٤٣ .

(٥) انظر السير : (يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ) ٦/٢٨٨-٢٩٦ ، وانظر النزهة : ٥/٦٥٢ .

(٦) انظر السير : (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شُبْرُمَةَ) ٦/٣٤٧-٣٤٩ ، وانظر النزهة : ١/٦٥٦ .

سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، وَرَوَيْنَا أَنَّ أَبَا عَمْرٍو وَأَبَاهُ هَرَبَا مِنَ الْحَجَّاجِ وَمِنْ عَسْفِهِ ، وَحَدِيثُهُ قَلِيلٌ .

ذَكَرَ غَيْرُهُ وَاحِدًا أَنَّ وَفَاتَهُ كَانَتْ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَةٍ .

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : عَاشَ أَبُو عَمْرٍو سِتًّا وَثَمَانِينَ سَنَةً^(١) .

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ ، قَالَ : كُلُّ مَلِكٍ لَا يَكُونُ عَادِلًا ، فَهُوَ وَاللَّصُّ سَوَاءٌ ، وَكُلُّ عَالِمٍ لَا يَكُونُ تَقِيًّا ، فَهُوَ وَالذُّثْبُ سَوَاءٌ ، وَكُلُّ مَنْ ذَلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ ، فَهُوَ وَالْكَلْبُ سَوَاءٌ^(٢) .

وَعَنْ دَاوُدَ الطَّائِيِّ قَالَ : كَفَى بِالْيَقِينِ زُهْدًا ، وَكَفَى بِالْعِلْمِ عِبَادَةً ، وَكَفَى بِالْعِبَادَةِ شُغْلًا^(٣) .

وَجَاءَ أَنَّ ابْنَ الْمُبَارَكِ سُئِلَ : مَنْ النَّاسُ ؟ فَقَالَ : الْعُلَمَاءُ قِيلَ : فَمَنْ الْمُلُوكُ : قَالَ : الزُّهَّادُ ، قِيلَ : فَمَنْ الْغَوَّاءُ ؟ قَالَ : خُزَيْمَةٌ وَأَصْحَابُهُ ، يَعْنِي مِنْ أُمَرَاءِ الظُّلْمَةِ ، قِيلَ : فَمَنْ السَّفَلَةُ ؟ ، قَالَ : الَّذِينَ يَعِيشُونَ بِدِينِهِمْ^(٤) .

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشْرٍ ، سَمِعْتُ ابْنَ عِيْنَةَ يَقُولُ : غَضِبَ اللَّهُ الدَّاءَ الَّذِي لَا دَوَاءَ لَهُ ، وَمَنْ اسْتَعْنَى بِاللَّهِ ، أَحْوَجَ اللَّهُ إِلَيْهِ النَّاسَ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : عَاشَ سُفْيَانُ بْنُ عِيْنَةَ إِحْدَى وَتَسْعِينَ سَنَةً^(٥) .

وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ : سَمِعْتُ أَبَا يُوسُفَ الْقَاضِيَّ : مَنْ طَلَبَ الْمَالَ بِالْكَيمِيَاءِ أَفْلَسَ وَمَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْكَلامِ تَزَنَّدَقَ ، وَمَنْ تَتَبَعَ غَرِيبَ الْحَدِيثِ ، كُذِّبَ .

(١) انظر السير : (أبو عمرو بن العلاء) ٦ / ٤٠٧ - ٤١٠ ، وانظر النزهة : ٢ / ٦٦٦ .

(٢) انظر السير : (إبراهيم بن أدهم) ٧ / ٣٨٧ - ٣٩٦ ، وانظر النزهة : ٨ / ٧٠٨ .

(٣) انظر السير : (داود الطائي) ٧ / ٤٢٢ - ٤٢٥ ، وانظر النزهة : ٢ / ٧١٢ .

(٤) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٣٧٨ - ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٨ / ٧٦٨ .

(٥) انظر السير : (سفیان بن عيينة) ٨ / ٤٥٤ - ٤٧٥ ، وانظر النزهة : ٧ / ٧٨٤ .

قال الإمام الذهبي: بلغ أبو يوسف من رئاسة العلم ما لا مزيد عليه، وكان الرشيد يُبالغ في إجلاله^(١).

وما أنبل قوله: العلم بالخصومة والكلام جهل، والجهل بالخصومة والكلام علم^(٢).

وقال شقيق البلخي: لو أن رجلاً عاش مني سنة لا يعرف هذه الأربعة، لم ينج: معرفة الله، ومعرفة النفس، ومعرفة أمر الله ونهيه، ومعرفة عدو الله وعدو النفس^(٣).

وعن الأنطاكلي قال: الخير كله أن تزوي عنك الدنيا، ويمن عليك بالقنوع، وتصرف عنك وجوه الناس.

وله من هذا النحو مواضع نافعة، ووقع في النفوس، رحمه الله^(٤).

وعن الحارث بن أسد المحاسبي قال: جوهر الإنسان الفضل، وجوهر العقل التوفيق^(٥).

وعن يحيى بن معاذ قال: لست أبكي على نفسي إن ماتت، إنما أبكي على حاجتي إن فاتت^(٦).

وقال الحكيم الترمذي: كفى بالمرء عيباً أن يسره ما يضره^(٧).

(١) انظر السير: (القاضي أبو يوسف) ٨/٥٣٥-٥٣٩، وانظر النزهة: ١/٧٨٩.

(٢) انظر السير: (القاضي أبو يوسف) ٨/٥٣٥-٥٣٩، وانظر النزهة: ٣/٧٨٩.

(٣) انظر السير: (شقيق البلخي) ٩/٣١٣-٣١٦، وانظر النزهة: ٥/٨٢٣.

(٤) انظر السير: (الأنطاكلي) ١١/٤٠٩-٤١٠، وانظر النزهة: ٦/٩٥٥.

(٥) انظر السير: (المحاسبي) ١٢/١١٠-١١٢، وانظر النزهة: ٥/٩٨٨.

(٦) انظر السير: (يحيى بن معاذ) ١٣/١٥-١٦، وانظر النزهة: ٥/١٠٤٦.

(٧) انظر السير: (الحكيم الترمذي) ١٣/٤٣٩-٤٤٢، وانظر النزهة: ٢/١١٠٠.

٨- شِعْرٌ فِي الْحِكْمَةِ :

كتب عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ (١) :

باسمِ الذي أنزلت من عنده السورُ
إن كنت تعلم ما تأتي وما تذرُ
واصبرْ على القَدَرِ المحتومِ وارضَ بهِ
فما صفا لامرءٍ عيشٌ يسرُّ بهِ
والحمدُ لله أمّا بعدُ يا عمر
فكنْ على حَذَرٍ قد ينفعُ الحذرُ
وإن أتاكَ بما لا تشتهي القَدَرُ
إلا سَتَبَعُ يوماً صَفْوَهُ الكَدَرُ

مدحَ أبو العتاهية المَهْدِيِّ ، والخلفاء بعده ، والوزراء ، وما أصدق قوله :

إن الشبابَ والفراغَ والجِدَّةَ
حسبُك مما تبتغيه القوتُ
هي المقاديرُ فلمني أو فذرُ
مفسدةٌ للمرءِ أيُّ مفسدةٍ
ما أكثرَ القوتَ لمن يموتُ
إن كنتُ أخطأتُ فما أخطأَ القدرُ

تُوفِّي أبو العتاهية في سنة إحدَى ومِئتين ، وله ثلاثٌ وثمانونَ سنةً ، أو نحوها ، ببغداد .

وتَحْتَمِلُ سيرةُ أبي العتاهية أنْ تَعْمَلَ في كراريس (٢) .

* * *

(١) انظر السير : (عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ) ٤/٤٧٥-٤٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/٥٣٥ .

(٢) انظر السير : (أبو العتاهية) ١٠/١٩٥-١٩٨ ، وانظر النزهة : ٥/٨٦٦ .

الذِّكَاؤُ وَالْفِطْنَةُ

عن عبد الله بن سلام ، قال : لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، انْجَفَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ ، وَكُنْتُ فِيمَنْ انْجَفَلَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ ، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ يَقُولُ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْسُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ »^(١) .

عن خارجة ، عن أبيه ، زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَ : أَتَيْتُ بِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْدَمَهُ الْمَدِينَةَ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ، وَقَدْ قَرَأَ مِمَّا أُنزِلَ عَلَيْكَ سَبْعَ عَشْرَةَ سُورَةَ فَقَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ ، وَقَالَ : « يَا زَيْدُ ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنْتُهُمْ عَلَى كِتَابِي » .

قال : فَتَعَلَّمْتُهُ ، فَمَا مَضَى لِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى حَدَّثْتُهُ ، وَكُنْتُ أَكْتُبُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَتَبَ إِلَيْهِمْ .

عن ثابت بن عبيد ، قال زيد بن ثابت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنْحَسِنُ الشُّرَيْبَانِيَّةَ ؟ » قُلْتُ : لَا ، قَالَ : « فَتَعَلَّمَهَا » فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةِ عَشَرَ يَوْمًا^(٢) .

قال إبراهيم بن هشام الغساني : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ جَدِّي ، قَالَ : وَقَعْتُ مِنْ رَجُلٍ مِئَةَ دِينَارٍ فَنَادَى : مَنْ وَجَدَهَا ، فَلَهُ عِشْرُونَ دِينَارًا ، فَأَقْبَلَ الَّذِي وَجَدَهَا فَقَالَ : هَذَا مَالِكٌ ، فَأَعْطَنِي الَّذِي جَعَلْتَنِي لِي فَقَالَ : كَانَ مَالِي عِشْرِينَ وَمِئَةَ دِينَارٍ ، فَأَخْتَصَمَا إِلَيَّ فَضَالَةَ بِنِ عُبَيْدٍ ، فَقَالَ لِصَاحِبِ الْمَالِ : أَلَيْسَ كَانَ مَالُكَ مِئَةَ وَعِشْرِينَ دِينَارًا كَمَا تَذَكَّرُ ؟ قَالَ : بَلَى وَقَالَ لِلْآخَرِ : أَنْتَ وَجَدْتَ مِئَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَحْبِسْهَا وَلَا تُعْطِهَا ، فَلَيْسَ هُوَ بِمَالِهِ حَتَّى يَجِيءَ صَاحِبُهُ^(٣) .

(١) انظر السير : (عبد الله بن سلام) ٢/٤١٣-٤٢٦ ، وانظر النزهة : ٢/٢٨٤ .

(٢) انظر السير : (زيد بن ثابت) ٢/٤٢٦-٤٤١ ، وانظر النزهة : ٢/٢٨٦ .

(٣) انظر السير : (فضالة بن عبيد) ٣/١١٣-١١٧ ، وانظر النزهة : ٤/٣٤٦ .

وقال ابن عائشة : وَجَّهَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الشَّعْبِيَّ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ - يَعْنِي رَسُولًا - فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ : يَا شَعْبِي ، أَتَدْرِي مَا كَتَبَ بِهِ إِلَيَّ مَلِكُ الرُّومِ ؟ قَالَ : وَمَا كَتَبَ بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أُنْعَجِبُ لِأَهْلِ دِيَانَتِكَ ، كَيْفَ لَمْ يَسْتَخْلِفُوا عَلَيْهِمْ رَسُولُكَ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُ رَأَى وَلَمْ يَرَكَ . أُوْرَدَهَا الْأَصْمَعِيُّ ، وَفِيهَا قَالَ : يَا شَعْبِي ، إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُغْرِبَنِي بِقَتْلِكَ فَبَلَغَ ذَلِكَ مَلِكَ الرُّومِ فَقَالَ : اللَّهُ أَبُوهُ ، وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ إِلَّا ذَلِكَ^(١) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانَ : وَابْنُهُ الْفَقِيهُ حَمَّادُ بْنُ أَبِي حَنِيفَةَ كَانَ ذَا عِلْمٍ وَدِينٍ وَصَلَاحٍ وَوَرَعَ تَامٌ ، لَمَّا تُوفِّيَ وَالِدُهُ ، كَانَ عِنْدَهُ وَدَائِعُ كَثِيرَةٌ ، وَأَهْلُهَا غَائِبُونَ فَنَقَلَهَا حَمَّادٌ إِلَى الْحَاكِمِ لِيَسَلِّمَهَا ، فَقَالَ : بَلْ دَعَاكَ عِنْدَكَ ، فَإِنَّكَ أَهْلٌ فَقَالَ : زَيْنُهَا وَأَقْبَضُهَا حَتَّى تَبْرَأَ مِنْهَا ذِمَّةُ الْوَالِدِ ، ثُمَّ أَفْعَلُ مَا تَرَى فَفَعَلَ الْقَاضِي ذَلِكَ وَبَقِيَ فِي وَرْزِنِهَا وَحِسَابِهَا أَيَّامًا وَاسْتَتَرَ حَمَّادٌ فَمَا ظَهَرَ حَتَّى أُوْدَعَهَا الْقَاضِي عِنْدَ أَمِينٍ .

تُوفِّيَ حَمَّادٌ سَنَةَ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَمِئَةَ كَهَلَا^(٢) .

وقال الحسن بن يوسف بن مليح : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الْخَادِمَ ، قَالَ : كُنْتُ غُلَامًا لَزُبَيْدَةَ ، وَأُتِيَ بِاللَيْثِ بْنِ سَعْدٍ تَسْتَفْتِيهِ فَكُنْتُ واقفًا على رَأْسِ سِتِّي زُبَيْدَةَ ، خَلَفَ السُّتَارَةَ ، فَسَأَلَهُ الرَّشِيدُ ، فَقَالَ لَهُ : حَلَفْتُ إِنَّ لِي جَنَّتَيْنِ ، فَاسْتَحَلَفَهُ اللَّيْثُ ثَلَاثًا : إِنَّكَ تَخَافُ اللَّهَ ؟ فَحَلَفَ لَهُ ، فَقَالَ : قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَلِمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾^(٣) قَالَ : فَأَقْطَعَهُ قَطَائِعَ كَثِيرَةً بِمِصْرَ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : إِنَّ صَحَّ هَذَا ، فَهَذَا كَانَ قَبْلَ خِلَافَةِ هَارُونَ .

وقال ابن بكير : كَانَ اللَّيْثُ فَقِيهُ الْبَدَنِ ، عَرَبِيَّ اللِّسَانِ ، يُحَسِّنُ الْقُرْآنَ وَالنَّحْوَ ،

(١) انظر السير : (الشَّعْبِيُّ) ٤/٢٩٤-٣١٩ ، وانظر النزهة : ٥/٥٠٢ .

(٢) انظر السير : (أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ) ٦/٣٩٠-٤٠٤ ، وانظر النزهة : ٢/٦٦٤ .

(٣) سورة الرحمن ، الآية : ٤٦ .

وَيَحْفَظُ الْحَدِيثَ ، حَسَنَ الْمَذَاكِرَةِ ، فَمَا زَالَ يَذْكُرُ حِصَالاً جَمِيلَةً ، وَيَعْقِدُ بِيَدِهِ ، حَتَّى عَقَدَ عَشْرَةَ : لَمْ أَرِ مِثْلَهُ .

وقال هارون بن سعيد : سمعت ابن وهب يقول : كل ما كان في كتب مالك : وأخبرني من أرضي من أهل العلم ، فهو الليث بن سعد^(١) .

وقال أبو سليمان الجوزجاني ، سمعت القاضي أبا يوسف يقول : دخلت على الرشيد وفي يده دُرَّتَانِ يُقَلِّبُهُمَا ، فقال : هل رأيت أحسن منهما ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين قال : وما هو ؟ قلت : الوعاء الذي هما فيه ، فرمى بهما إلي ، وقال : شأنك بهما^(٢) .

وقيل إن عبد الرحمن بن الحكم المرواني صاحب الأندلس نظر إلى جارية له في رمضان نهاراً ، فلم يملك نفسه أن واقعها ، ثم ندم ، وطلب الفقهاء ، وسألهم عن توبته ، فقال يحيى بن يحيى : صم شهرين متتابعين ، فسكت العلماء ، فلما خرجوا قالوا ليحيى : ما لك لم تفتيه بمذهبنا عن مالك أنه مخير بين العتق والصوم والإطعام ؟ قال : لو فتحنا له هذا الباب ، لسهل عليه أن يطأ كل يوم ، ويُعتق رقبة ، فحملته على أصعب الأمور لئلا يعود^(٣) .

وعن مكرم بن بكر ، قال : كنت في مجلس أبي حازم القاضي ، فتقدم شيخ معه غلام ، فادعى عليه بألف دينار ، فأقر الحدت ، فقال القاضي للشيخ : ما تشاء ؟ قال : حبسه فقال للحدت : قد سمعت فهل توفيه البعض ؟ قال : لا ففكر ساعة ، ثم قال : تلازما حتى أنظر فقلت : لم أختر القاضي الحبس ؟ قال : ويحك ! إني أعرف في أكثر الأحوال وجه المحق من المبطل ، وقد وقع لي أن سماحته بالإقرار شيء بعيد من الحق ، أما رأيت قلة تغاضبهما في المحاوراة مع عظم المال ؟ فبينما نحن كذلك ، إذ استبان الأمر ، فاستأذن تاجر مؤسر ، فأذن له القاضي ، فدخل ، وقال : قد بليت بابن

(١) انظر السير : (الليث بن سعد) ١٣٦-١٦٣ ، وانظر النزهة : ١/٧٣٩ .

(٢) انظر السير : (القاضي أبو يوسف) ٥٣٥-٥٣٩ ، وانظر النزهة : ٢/٧٨٩ .

(٣) انظر السير : (يحيى بن يحيى بن كثير) ١٠/٥١٩-٥٢٥ ، وانظر النزهة : ١/٨٩١ .

لي حَدَّثِ ، يُتْلِفُ مَالِي عِنْدَ فُلَانٍ الْمُقْبَنِ ، فَإِذَا مَنَعْتُهُ مَالِي اِحْتَالَ بِحِيلٍ يُلَجِّئُنِي إِلَى التَّزَامِ غُرْمَ ، وَأَقْرَبُهُ أَنَّهُ نَصَبَ الْمُقْبَنَ الْيَوْمَ لِمُطَالَبَتِهِ بِالْفِ دِينَارٍ وَأَقَعَ مَعَ أُمَّهُ - إِنْ حُبِسَ - فِي نَكَدٍ فَتَبَسَّمَ الْقَاضِي ، وَطَلَبَ الْغُلَامَ وَالشَّيْخَ ، فَأَدخِلَا ، فَوَعَطَ الْغُلَامَ ، فَأَقْرَأَ الشَّيْخَ ، وَأَخَذَ التَّاجِرُ بِيَدِ ابْنِهِ ، وَأَنْصَرَفَ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : قَدْ كَانَ الْمُعْتَصِدُ يَحْتَرِمُ أَبَا خَازِمٍ وَيُجَلِّهُ ، قِيلَ : إِنَّ أَبَا خَازِمٍ لَمَّا اخْتَضَرَ بَكَى ، وَجَعَلَ يَقُولُ : يَا رَبِّ! مِنَ الْقَضَاءِ إِلَى الْقَبْرِ . وَهَلْ شِعْرُ رَقِيقٍ .
مَاتَ بَعْدَ دَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِثْنَيْنِ (١) .

قَالَ الْقِفْطِيُّ : عَزَمَ الْمُعِزُّ عَلَى بَعْثِ جَيْشِهِ إِلَى مِصْرَ ، فَسَأَلَتْهُ أُمُّهُ أَنْ يُؤَخَّرَ ذَلِكَ لِتَحِجِّ خُفْيَةَ فَأَجَابَهَا ، وَحَجَّتْ ، فَأَحْسَّ بِقُدُومِهَا الْأُسْتَاذَ كَافُورَ - يَعْنِي صَاحِبَ مِصْرَ - فَحَضَرَ إِلَيْهَا وَخَدَمَهَا ، وَحَمَلَ إِلَيْهَا تُحَفًا ، وَبَعَثَ فِي خِدْمَتِهَا أَجْنَادًا ، فَلَمَّا رَجَعَتْ ، مَنَعَتْ ابْنَهَا مِنْ قَصْدِ مِصْرَ ، فَلَمَّا مَاتَ كَافُورُ بَعَثَ الْمُعِزُّ جَيْشَهُ ، فَأَخَذُوا مِصْرَ .
وَكَانَتْ مِصْرُ فِي الْقَحْطِ ، فَأَخَذَهَا جَوْهَرُ ، وَأَخَذَ الشَّامَ وَالْحِجَازَ وَنَفَذَ يُعْرِفُ مَوْلَاهُ بِانْتِظَامِ الْأَمْرِ .

وَضُرِبَتِ السِّكَّةُ عَلَى الدِّينَارِ بِمِصْرَ (وَهِيَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، عَلِيُّ خَيْرُ الْوَصِيِّينَ) وَالْوَجْهَ الْآخَرَ اسْمَ الْمُعِزِّ وَالتَّارِيخَ ، وَأُعْلِنَ الْأَذَانَ بِـ « حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ » ، وَنُودِيَ : مَنْ مَاتَ عَنْ بِنْتٍ وَأَخٍ أَوْ أُخْتٍ فَالْمَالُ كُلُّهُ لِلْبِنْتِ فَهَذَا رَأْيُ هَؤُلَاءِ (٢) .

وَقَدْ سَارَ الْقَاضِي ابْنُ الْبَاقِلَانِيِّ رَسُولًا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى طَاغِيَةِ الرُّومِ ، وَجَرَتْ لَهُ أُمُورٌ ، مِنْهَا أَنَّ الْمَلِكَ أَدخَلَهُ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ خَوْخَةَ (٣) لِيَدْخُلَ رَاكِعًا لِلْمَلِكِ فَفَطِنَ لَهَا الْقَاضِي ، وَدَخَلَ بظَهْرِهِ (٤) .

(١) انظر السير : (القاضي أبو خازم) ١٣/٥٣٩-٥٤١ ، وانظر النزهة : ٤/١١١٤ .

(٢) انظر السير : (المعز) ١٥/١٥٩-١٦٧ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٠٣ .

(٣) باب خوخة : هو باب صغير ضمن باب كبير لا يتمكن الإنسان من دخوله إلا أن يحيي رأسه .

(٤) انظر السير : (ابن الباقلاني) ١٧/١٩٠-١٩٣ ، وانظر النزهة : ٤/١٣٣٤ .

ومنها أَنَّهُ قَالَ لِرَاهِبِهِمْ : كَيْفَ الْأَهْلُ وَالْأَوْلَادُ ؟ !! ، فَقَالَ الْمَلِكُ : مَهْ !! ، أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ الرَّاهِبَ يَنْتَزِعُ عَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : تُنْزَهُونَهُ عَنْ هَذَا ، وَلَا تُتْرَهُونَ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ !! (١) .

وَقِيلَ : إِنَّ الطَّاعِيَةَ سَأَلَهُ : كَيْفَ جَرَى لَزُوجَةَ نَبِيِّكُمْ ؟ - يَفْصِدُ تَوْبِيخًا - فَقَالَ : كَمَا جَرَى لِمَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ ، وَبَرَّاهُمَا اللَّهُ ، لَكِنَّ عَائِشَةَ لَمْ تَأْتِ بِوَلَدٍ فَأَفْحَمَهُ .

قَالَ الْخَطِيبُ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيَّ يَقُولُ : كُلُّ مُصَنَّفٍ بَبْغَدَادَ إِنَّمَا يَنْقُلُ مِنْ كُتُبِ النَّاسِ سِوَى الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ ، فَإِنَّمَا صَدَّرَهُ يَحْوِي عِلْمَهُ وَعِلْمَ النَّاسِ (٢) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ : قَدْ كَانَ رَئِيسَ الرُّؤَسَاءِ تَقَدَّمَ إِلَى الْخُطَبَاءِ وَالرُّعَاظِ أَنْ لَا يَرُورُوا حَدِيثًا حَتَّى يَعْضُوهَ عَلَيْهِ ، فَمَا صَحَّحَهُ أَوْ رَدَّوهُ ، وَمَا رَدَّهُ لَمْ يَذْكُرُوهُ وَأَظْهَرَ بَعْضُ الْيَهُودِ كِتَابًا ادَّعَى أَنَّهُ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْقَاطِ الْجَزِيَّةِ عَنْ أَهْلِ خَيْبَرَ ، وَفِيهِ شَهَادَةُ الصَّحَابَةِ ، وَذَكَرُوا أَنَّ خَطَّ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِ وَحُمِلَ الْكِتَابُ إِلَى رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ فَعَرَضَهُ عَلَى الْخَطِيبِ ، فَتَأَمَّلَهُ ، وَقَالَ : هَذَا مُرَوَّرٌ ، قِيلَ : مِنْ أَيْنَ قُلْتَ ؟ قَالَ : فِيهِ شَهَادَةُ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ ، وَفُتِحَتْ خَيْبَرُ سَنَةَ سَبْعٍ ، وَفِيهِ شَهَادَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَمَاتَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ ، قَبْلَ خَيْبَرَ بِسِتِّينَ ، فَاسْتُحْسِنَ ذَلِكَ مِنْهُ (٣) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ خُوَارِزْمِشَاهِ : أَبَادَ مُلُوكًا ، وَاسْتَوْلَى عَلَى عِدَّةِ أَقَالِيمٍ ، وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَقَدْ حَارَبَ الْخَطَا غَيْرَ مَرَّةٍ ، فَانْهَزَمَ جَيْشُهُ فِي نَوْبَةٍ وَثَبَتَ هُوَ ، فَأَسْرَهُ هُوَ وَأَمِيرٌ ، أَسْرَهُمَا خَطَائِيٌّ ، فَصَيَّرَ نَفْسَهُ مَمْلُوكًا لِذَلِكَ الْأَمِيرِ ، وَبَقِيَ يَقِفُ فِي خِدْمَتِهِ ، فَقَالَ الْأَمِيرُ لِلْخَطَائِيِّ : ابْعَثْ رَسُولَكَ مَعَ غُلَامِي هَذَا إِلَى أَهْلِي لِئُرْسِلُوا مَالًا فِي فِكَاكِي ، فَفَعَلَ وَتَمَّتِ الْحِيلَةُ ، وَعَادَ خُوَارِزْمِشَاهُ إِلَى مُلْكِهِ .

قَالَ عِزُّ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ الْأَثِيرِ : كَانَ صَبُورًا عَلَى التَّعَبِ وَإِدْمَانِ السَّيْرِ غَيْرَ مُتَّعِمٍ

(١) انظر السير : (ابن الباقلائي) ١٧ / ١٩٠ - ١٩٣ ، وانظر النزهة : ١ / ١٣٣٥ .

(٢) انظر السير : (ابن الباقلائي) ١٧ / ١٩٠ - ١٩٣ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٣٣٥ .

(٣) انظر السير : (الخطيب البغدادي) ١٨ / ٢٧٠ - ٢٩٧ ، وانظر النزهة : ٤ / ١٤١٢ .

ولا مُتَلَذِّذٍ إِنَّمَا نِيْهُتُهُ الْمُلْكُ وَكَانَ فَاضِلاً ، عَالِماً بِالْفِقْهِ وَالْأُصُولِ ، مُكْرِماً لِلْعُلَمَاءِ يُحِبُّ مُنَاطَرَتَهُمْ ، وَيَتَبَرَّكُ بِأَهْلِ الدِّينِ ، قَالَ لِي خَادِمُ الْحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ : أَتَيْتُهُ فَأَعْتَقَنِي ، وَمَشَى لِي وَقَالَ : أَنْتَ تَخْدِمُ حُجْرَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَخَذَ يَدَيَّ وَأَمَرَهَا عَلَى وَجْهِهِ ، وَأَعْطَانِي جُمْلَةً .

كانت بلاد ما وراء النهر في طاعة الخطأ ، وملوك بخارى وسمرقند يؤدون الأتاوة إلى الخطأ ، وكانت هذه الأمم سداً بين ترك الصين وبيننا ففتح هذا السد الوثيق وظن أنه لم يبق من يقاومه ، فانقل إلى كزمان ثم العراق ، ثم أذربيجان ، وطمع في الشام ومصر ، وكان عليه سهلاً لو قدر بات صاحب حلب ليله مهموماً لما اتصل به من أخبار هذا وطمعه في الشام ، وقيل عنه : إنه يئتمى أربعة أيام على ظهر فرسه لا ينزل إنما يتقل من فرس إلى فرس ويطوي البلاد ويهجم المدينة في نفر يسير ثم يصبحه من عسكره عشرة آلاف ويؤمسه عشرون ألفاً قتل عدة ملوك وإنما أخذه البلاد بالرعب والهيبه وبعد موت الظاهر غازي جاء رسوله إلى حلب ، فقال : سلطان السلاطين يسلم عليكم ويعتب إذ لم تهنتوه بفتح العراق وأذربيجان ، وإن عدد جيشه سبع مئة ألف ، ثم توجه رسوله إلى العادل بدمشق يقول : تعال إلى الخدمة فقد ارتضيناك أن تكون مقدم الركاب ! فبقي الناس يهزؤون منه وسمعنا أنه جعل صاحب الروم أمير علم له والخليفة خطيباً ! وأما الملوك الذين كانوا في خدمته فكان يذلهم ويهينهم ، وجعلهم يضربون له طبول الذهب ولما أباد أممي الخطأ والتتر وهم أصحاب تركستان وجند وتنتك ظهرت أمة يسمن التتر أيضاً ، وهم صنفان وطمعوا في البلاد فجمع وعزم على لقاءهم فوق جنكيزخان رأس الطمغاجية على كمينه فطحنوه ، وانهمز جلال الدين ابنه إليه ، وخيل إليه تعس الجد^(١) أن في أمرائه مخامرين فمسكهم وضرب مع التتار مصافاً بعد آخر فططحطح ، ورد إلى بخارى منهزماً ثم جاء من بخارى ليجمع العساكر بنيسابور فأخذت التتار بخارى وهجموا خراسان ففر ، فما وصل إلى الري إلا وطلائعهم على رأسه ، فانهمز إلى قلعة برجين ، ومعه ثلاث مئة فارس عراة مضهم الجوع فاستطعموا من أكراد

(١) أي : سىء الحظ .

فَلَمْ يَحْتَفِلُوا بِهِمْ ، ثُمَّ أَعْطَوْهُمْ شَاتَيْنِ وَقَصَّعَتِي لَبَنٍ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى نَهَاوَنْدَ ، ثُمَّ إِلَى مازندران وَقَعَقَعَةُ سِلَاحِهِمْ قَدْ مَلَأَتْ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ ، فَتَزَلَّ بِبُحَيْرَةِ هُنَاكَ فَاَنْسَهَلَ وَطَلَبَ دَوَاءً فَأَعْوَزَهُ الْخُبْزُ وَمَاتَ .

وقيلَ : كَانَ عِدَّةُ جَيْشِهِ فِي الدِّيوانِ ثَلَاثَ مِئَةِ أَلْفِ فَارِسٍ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ اسْتَوْلَى عَلَى نَحْوِ أَرْبَعِ مِئَةِ مَدِينَةٍ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تُرْكَانَ فِي عِظْمَةٍ مَا سُمِعَ قَطُّ بِمِثْلِهَا ، وَفِي جَبْرُوتَ ، فَأَسْرَهَا جَنْكِيزْ خَانَ ، وَذَاقَتْ ذُلًّا وَجُوعًا .

مَاتَ فِي الْجَزِيرَةِ سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةِ وَسِتِّ مِئَةٍ وَكُفِّنَ فِي عِمَامَةٍ لِفَرَّاشِهِ (١) .

وَقَالَ الْقَاضِي ابْنُ وَاصِلٍ : وَبَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَرَى صِحَّةَ خِلَافَةِ يَزِيدَ ، فَأَحْضَرَهُ لِيُعَاقِبَهُ فَسَأَلَهُ : مَا تَقُولُ فِي خِلَافَةِ يَزِيدَ ؟ قَالَ : أَنَا أَقُولُ لَا يَنْعَزِلُ بِأَرْتِكَابِ الْفِسْقِ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ ، وَخَافَ مِنَ الْمُحَاقَقَةِ (٢) .

الشَّجَاعَةُ

١- صُورٌ مِنَ الشَّجَاعَةِ :

قِيلَ : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى أَمْرَاءِ الْجَيْشِ : لَا تَسْتَعْمِلُوا الْبِرَاءَ عَلَى جَيْشِ فَإِنَّهُ مُهْلِكَةٌ مِنَ الْمَهَالِكِ يَقْدُمُ بِهِمْ .

وَبَلَغَنَا أَنَّ الْبِرَاءَ يَوْمَ حَرْبِ مُسَيْلِمَةَ الْكُذَّابِ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَحْتَمِلُوهُ عَلَى تُرْسٍ ، عَلَى أَسِنَّةِ رِمَاحِهِمْ ، وَيُلْقُوا بِهِ فِي الْحَدِيدَةِ فَاقْتَحَمَ إِلَيْهِمْ ، وَشَدَّ عَلَيْهِمْ ، وَقَاتَلَ حَتَّى افْتَتَحَ بَابَ الْحَدِيدَةِ ، فَجُرِحَ يَوْمئِذٍ بَضْعَةً وَثَمَانِينَ جُرْحًا ، وَلِذَلِكَ أَقَامَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَيْهِ شَهْرًا يُدَاوِي جِرَاحَهُ ، وَقَدْ اشْتَهَرَ أَنَّ الْبِرَاءَ قَتَلَ فِي حُرُوبِهِ مِئَةَ نَفْسٍ مِنَ الشُّجْعَانِ مُبَارَرَةً (٣) .

(١) انظر السير : (خوارزمشاه) ٢٢ / ١٣٩ - ١٤٣ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٦٧٧ .

(٢) انظر السير : (النَّاصِرُ لِذَيْنِ اللَّهِ) ٢٢ / ١٩٢ - ٢٤٢ ، وانظر النزهة : ٤ / ١٦٨٥ .

(٣) انظر السير : (الْبِرَاءُ بْنُ مَالِكِ) ١ / ١٩٥ - ١٩٨ ، وانظر النزهة : ٢ / ٧٤١ .

وعن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن جدّه قال : إني لواقفٌ يومَ بدرٍ في الصّفِّ فنظرتُ ، فإذا أنا بينَ غلامين من الأنصارِ حديثُهُ أسنانُهُما ، فتمنّيتُ أن أكونَ بينَ أضلعَ منهما فغمزني أحدُهُما ، فقال : يا عمُّ! أتعرّفُ أبا جهلٍ ؟ قلتُ : نعم وما حاجتكُ ؟ قال : أخبرتُ أنّه يسُبُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، والذي نفسِي بيده إن رأيتُهُ لا يفارقُ سَوادي سَوادَهُ حتّى يموتَ الأَعجلُ منّا فتعجّبتُ لذلك ، فغمزني الآخرُ ، فقال مثلها ، فلم أنشب أن نظرتُ إلى أبي جهل وهو يجولُ في النَّاسِ ، فقلتُ : ألا تريان ؟ هذا صاحبُكما قال : فابتدراهُ سيفيهِما حتّى قتلاهُ ، ثم انصرفا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأخبراهُ فقال صلى الله عليه وسلم : « أَيْكَمَا قَتَلَهُ ؟ » فقال كلُّ منهما : أنا قتلتهُ فقال صلى الله عليه وسلم : « هَلْ مَسَخْتُمَا سَيْفَيْكُمَا ؟ » قالا : لا فنظَر في السَّيْفَيْنِ ، فقال : « كلاكُمَا قَتَلَهُ » وقضى بسلبه لمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو وَالْآخَرَ هُوَ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو .

وعن مُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : جَعَلْتُ أبا جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ شَأْنِي فَلَمَّا أَمَكَّنِي ، حَمَلْتُ عَلَيْهِ ، فَضَرَبْتُهُ ، فَطَعْتُ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ ، وَضَرَبْتِي ابْنَهُ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ عَلَى عَاتِقِي ، فَطَرَحَ يَدِي وَبَقِيَتْ مُعَلَّقَةً بِجِلْدَةِ بَجْنِي ، وَأَجْهَضَنِي عَنْهَا الْقِتَالُ ، فَقَاتَلْتُ عَامَّةَ يَوْمِي وَإِنِّي لَأَسْحَبُهَا خَلْفِي ، فَلَمَّا آذَنِي ، وَضَعْتُ قَدَمِي عَلَيْهَا ثُمَّ تَمَطَّاتُ عَلَيْهَا حَتَّى طَرَحْتُهَا .

قال الإمامُ الذهبيُّ مُعَقَّباً : هذه واللهِ الشَّجَاعَةُ ، لا كآخَرَ مِنْ خَدَشٍ بِسَهْمٍ يَنْقَطِعُ قَلْبُهُ ، وَتَخَوَّرُ قُورَاهُ ثُمَّ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى زَمَنِ عُثْمَانَ (١) .

وعن ابنِ أبي لَيْلَى ، أَنَّ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ قَالَ : أَي رَبِّي! أَنْزَلَ عُدْرِي فَأَنْزَلَتْ ﴿ عِدْرُ أُولَى الضَّرَرِ ﴾ (٢) فَكَانَ بَعْدَ يَغْزُو وَيَقُولُ : اذْفَعُوا إِلَيَّ اللَّوَاءَ فَإِنِّي أَعْمَى لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَفِرَّ ، وَأَقِيمُونِي بَيْنَ الصَّفَيْنِ (٣) .

(١) انظر السير : (مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ) ١/٢٤٩-٢٥٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٦ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٩٥ .

(٣) انظر السير : (ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ) ١/٣٦٠-٣٦٥ ، وانظر النزهة : ٦/١٧٧ .

قَالَ قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ : سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ يَقُولُ : مَنَعَنِي الْجِهَادُ كَثِيرًا مِنْ الْقِرَاءَةِ وَرَأَيْتُهُ أَتَى بِسْمٍ ، فَقَالُوا : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : سُمٌّ ، قَالَ : بِاسْمِ اللَّهِ وَشَرِبَهُ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : هَذِهِ وَاللَّهِ الْكِرَامَةُ ، وَهَذِهِ الشَّجَاعَةُ^(١) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾^(٢) قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَضْرَبَ عَلِيَّ بْنَ فِخْدِ سَلْمَانَ الْفَارَسِيَّ ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَذَا وَقَوْمُهُ ، وَلَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنَ الْفُرْسِ »^(٣) .

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ ، قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ لَا يُنَازِعُ فِي ثَلَاثَةٍ : شَجَاعَةٍ ، وَلَا عِبَادَةٍ ، وَلَا بِلَاغَةٍ^(٤) .

قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : هَجَمَ عَلَيْنَا جُرْجِيرٌ فِي عِشْرِينَ وَمِئَةَ أَلْفٍ ، فَأَحَاطُوا بِنَا وَنَحْنُ فِي عِشْرِينَ أَلْفًا - يَعْنِي : نَوْبَةَ إِفْرِيقِيَّةِ .

قَالَ : وَاخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَى ابْنِ أَبِي سَرْحٍ ، فَدَخَلَ فُسْطَاطَهُ ، فَرَأَيْتُ غِرَّةً مِنْ جُرْجِيرٍ ، بَصُرْتُ بِهِ خَلْفَ عَسَاكِرِهِ عَلَى بَرْدُونَ أَشْهَبَ ، مَعَهُ جَارِيتَانِ تُظَلِّلَانِ عَلَيْهِ بِرِيْشِ الطَّوَاوِيسِ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَيْشِهِ أَرْضٌ بَيْضَاءُ ، فَأَتَيْتُ أَمِيرَنَا ابْنَ أَبِي سَرْحٍ ، فَتَدَبَّ لِي النَّاسَ ، فَاخْتَرْتُ ثَلَاثِينَ فَارِسًا ، وَقُلْتُ لَسَائِرِهِمْ : الْبُتُوَا عَلَى مَصَافِكُمْ ، وَحَمَلْتُ : وَقُلْتُ لَهُمْ : ائْتُوا ظَهْرِي ، فَخَرَقْتُ الصَّفَّ إِلَى جُرْجِيرٍ وَخَرَجْتُ صَامِدًا ، وَمَا يَحْسِبُ هُوَ وَلَا أَصْحَابُهُ إِلَّا أَنِّي رَسُولٌ إِلَيْهِ ، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُ فَعَرَفَ الشَّرَّ فَتَابَرَ بِرِذْوَنِهِ مُوَلِّيًا ، فَأَدْرَكْتُهُ ، فَطَعَنْتُهُ ، فَسَقَطَ ، ثُمَّ احْتَرَزْتُ رَأْسَهُ فَنَصَبْتُهُ عَلَى رُمْحِي ، وَكَبَّرْتُ وَحَمَلَ الْمُسْلِمُونَ ، فَارْفَضَ الْعَدُوُّ وَمَنَحَ اللَّهُ أُكْتَاْفَهُمْ^(٥) .

(١) انظر السير : (خالد بن الوليد) ١/٣٦٦-٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٦/١٧٩ .

(٢) سورة محمد ، الآية : ٣٨ .

(٣) انظر السير : (سلمان الفارسي) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٢٠٣ .

(٤) انظر السير : (عبد الله بن الزبير) ٣/٣٦٣-٣٨٠ ، وانظر النزهة : ٤/٣٩٥ .

(٥) انظر السير : (عبد الله بن الزبير) ٣/٣٦٣-٣٨٠ ، وانظر النزهة : ٦/٣٩٥ .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب : الهاشمي ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمه عاتكة بنت أبي وهب المخزومي ، من مسلمة الفتح (١) .

لا نعلم له رواية كان موصوفاً بالشجاعة والفروسيّة .

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لهذا نحو من ثلاثين سنة .

عن أبي الحويرث قال : أول من قتل يوم أجنادين بطريق ، برز يدعو إلى البراز ، فبرز إليه عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، فاختلفا ضربات ، ثم قتله عبد الله ، ثم برز آخر ، فضربه عبد الله على عاتقه وقال : خذها وأنا ابن عبد المطلب ، فأثبته ، وقطع سيفه الدرع ، وأشرع في منكبه ، ثم ولّى الرومي منهزماً .

وعزم عليه عمرو بن العاص أن لا يبارز ، فقال : لا أصبر ، فلما اختلطت السيف ، وجد في روضة من الروم عشرة مقتولاً ، وهم حوله ، وقائم السيف في يده قد غري (٢) ، وإن في وجهه لثلاثين ضربة .

وأجنادين كانت سنة ثلاث عشرة (٣) .

وقال أبو عمران الجوني : قيل لعامر بن عبد قيس : إنك تبيت خارجاً ، أما تخاف الأسد ؟ قال : إنني لأستحي من ربي أن أخاف شيئاً دونه وهبط وادياً به عابداً حبشي ، فانفرد يصلي في ناحية ، والحبشي في ناحية أربعين يوماً لا يجتمعان إلا في فريضة (٤) .

وقال جعفر بن سليمان : كان الحسن البصري من أشد الناس ، وكان المهلب إذا قاتل المشركين يقدمه (٥) .

(١) انظر السير : (عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب) ٣/ ٣٨١-٣٨٣ ، وانظر النزاهة : ١/ ٣٩٨ .

(٢) غري : أي لرق .

(٣) انظر السير : (عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب) ٣/ ٣٨١-٣٨٣ ، وانظر النزاهة : ٢/ ٣٩٨ .

(٤) انظر السير : (عامر بن عبد قيس) ٤/ ١٥-١٩ ، وانظر النزاهة : ١/ ٤٣٤ .

(٥) انظر السير : (الحسن البصري) ٤/ ٥٦٣-٥٨٨ ، وانظر النزاهة : ٧/ ٥٦١ .

جاء في تَرْجَمَةِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ السُّرْمَارِيِّ قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : الْإِمَامُ الزَّاهِدُ ، الْعَابِدُ الْمُجَاهِدُ ، فَارِسُ الْإِسْلَامِ أَبُو إِسْحَاقَ ، مِنْ أَهْلِ سُرْمَارِي ، مِنْ قُرَى بُخَارَى وَكَانَ أَحَدَ الثَّقَاتِ ، وَبِشَجَاعَتِهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ^(١) .

وقال إبراهيم بن عَفَّانَ البَرَّارُ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيِّ فَجَرَى ذِكْرُ أَبِي إِسْحَاقَ السُّرْمَارِيِّ ، فَقَالَ : مَا نَعَلَمُ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلَهُ فَخَرَجْتُ إِذَا أَحْيَدُ رَيْسُ الْمُطَوَّعَةِ ، فَأَخْبَرْتَهُ ، فغَضِبَ وَدَخَلَ عَلَى الْبُخَارِيِّ ، وَسَأَلَهُ فَقَالَ مَا كَذَا قُلْتُ ، بَلْ : مَا بَلَّغْنَا أَنَّهُ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِثْلَهُ .

وقال ابنه أبو صَفْوَانَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي يَوْمًا ، وَهُوَ يَأْكُلُ وَحْدَهُ فَرَأَيْتُ فِي مَائِدَتِهِ عُصْفُورًا يَأْكُلُ مَعَهُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ طَارَ^(٢) .

وعن أحمد بن إسحاق قال : يَنْبَغِي لِقَائِدِ الْغَزَاةِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ : أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِ الْأَسَدِ لَا يَجْبُنُ ، وَفِي كِبْرِ النَّمْرِ لَا يَتَوَاضِعُ ، وَفِي شَجَاعَةِ الدَّبِّ يَقْتُلُ بِجَوَارِحِهِ كُلِّهَا ، وَفِي حَمَلَةِ الْخَنْزِيرِ لَا يُؤَلِّي دُبْرَهُ ، وَفِي غَارَةِ الذَّبِّ إِذَا أَيْسَ مِنْ وَجْهِ أَعَارَ مِنْ وَجْهِ ، وَفِي حَمَلِ السَّلَاحِ كَالنَّمَلَةِ تَحْمِلُ أَكْثَرَ مِنْ وَزْنِهَا ، وَفِي الثَّبَاتِ كَالصَّخْرِ ، وَفِي الصَّبْرِ كَالْحِمَارِ ، وَفِي الْوَفَاقَةِ كَالكَلْبِ لَوْ دَخَلَ صَيْدُهُ النَّارَ لَدَخَلَ خَلْفَهُ ، وَفِي التَّمَاسِ الْفُرْصَةِ كَالدَّبِّكَ .

وكان إبراهيم بن شِمَاسٍ يَقُولُ : كُنْتُ أَكَاتِبُ أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ السُّرْمَارِيِّ ، فَكَتَبَ إِلَيَّ : إِذَا أَرَدْتَ الْخُرُوجَ إِلَى بِلَادِ الْغَزَاةِ فِي شِرَاءِ الْأَسْرَى ، فَارْتَبِ إِلَيَّ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ ، فَقَدِمَ سَمَرْقَنْدَ ، فَخَرَجْنَا ، فَلَمَّا عَلِمَ جَعْبَوِيهِ ، اسْتَقْبَلَنَا فِي عِدَّةٍ مِنْ جُيُوشِهِ ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ ، فَعَرَضَ يَوْمًا جَيْشَهُ ، فَمَرَّ رَجُلٌ فَعَظَّمَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، فَسَأَلَنِي عَنْهُ السُّرْمَارِيُّ فَقُلْتُ : هَذَا رَجُلٌ مُبَارَرٌ ، يُعَدُّ بِأَلْفِ فَارِسٍ قَالَ : أَنَا أَبَارَرُهُ فَسَكَتُ فَقَالَ جَعْبَوِيهِ : مَا يَقُولُ هَذَا ؟ قُلْتُ يَقُولُ : كَذَا وَكَذَا قَالَ : لَعَلَّهُ سَكَرَانَ لَا يَشْعُرُ ، وَلَكِنْ غَدَا نَرَكُبُ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ رَكِبُوا ، فَارَكَبَ السُّرْمَارِيُّ مَعَهُ عَمُودٌ فِي كُمَّهُ فَقَامَ بِإِزَاءِ الْمُبَارِزِ فَقَصَدَهُ ،

(١) انظر السير : (أحمد بن إسحاق السُرْمَارِي) ٣٧/١٣-٤٠ ، وانظر النزعة : ١/١٠٤٨ .

(٢) انظر السير : (أحمد بن إسحاق السُرْمَارِي) ٣٧/١٣-٤٠ ، وانظر النزعة : ١/١٠٤٩ .

فَهَرَبَ أَحْمَدُ حَتَّى بَاعَدَهُ مِنَ الْجَيْشِ ، ثُمَّ كَرَّ وَضَرَبَهُ بِالْعَمُودِ فَقَتَلَهُ ، وَتَبَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ شِمَاسٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ سَبَقَهُ فَلَحِقَهُ ، وَعَلِمَ جَعْبَوِيَّهَ ، فَجَهَّزَ فِي طَلَبِهِ خَمْسِينَ فَارِسًا نَقَاوَةً ، فَأَذْرَكُوهُ ، فَثَبَّتَ تَحْتَ تَلٍّ مُخْتَفِيًا حَتَّى مَرُّوا كُلُّهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، وَجَعَلَ يَضْرِبُ بَعْمُودِهِ مِنْ وِرَاءِهِمْ إِلَى أَنْ قَتَلَ تِسْعَةً وَأَرْبَعِينَ ، وَأَمْسَكَ وَاحِدًا ، قَطَعَ أَنْفَهُ وَأُذُنَيْهِ ، وَأَطْلَقَهُ لِيُخْبِرَ ، ثُمَّ بَعَدَ عَامَيْنِ تُوُفِّيَ أَحْمَدُ ، وَذَهَبَ ابْنُ شِمَاسٍ فِي الْفِدَاءِ ، فَقَالَ لَهُ جَعْبَوِيَّهَ : مَنْ ذَلِكَ الَّذِي قَتَلَ فُرْسَانَنَا ؟ قَالَ : ذَلِكَ أَحْمَدُ الشُّرْمَارِيُّ قَالَ : فَلِمَ لَمْ تَحْمِلْهُ مَعَكَ ؟ قُلْتُ : تُوُفِّيَ ، فَصَكَ فِي وَجْهِهِ ، وَقَالَ : لَوْ أَعْلَمْتَنِي أَنَّهُ هُوَ لَكُنْتُ أُعْطِيهِ خَمْسَ مِئَةِ بَرْدُونَ^(١) وَعَشْرَةَ آلَافِ شَاةٍ .

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَطَّوْعِيِّ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : كَانَ عَمُودُ الْمَطَّوْعِيِّ الشُّرْمَارِيُّ وَزَنَهُ ثَمَانِيَةَ عَشْرَةَ مَنًا^(٢) ، فَلَمَّا شَاخَ جَعَلَهُ اثْنَيْ عَشَرَ مَنًا ، وَكَانَ بِهِ يُقَاتِلُ^(٣) .

وَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ وَاصِلٍ ، سَمِعْتُ أَحْمَدَ الشُّرْمَارِيَّ يَقُولُ ، وَأَخْرَجَ سَيْفَهُ ، فَقَالَ : أَعْلَمُ يَقِينًا أَنِّي قَتَلْتُ بِهِ أَلْفَ تُرْكِيٍّ ، وَإِنْ عِشْتُ قَتَلْتُ بِهِ أَلْفًا أُخْرَى ، وَلَوْلَا خَوْفِي أَنْ يَكُونَ بَدْعَةً لَأَمَرْتُ أَنْ يُدْفَنَ مَعِي .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ الْكَاتِبِ ، قَالَ : كَانُوا فِي بَعْضِ الْحُرُوبِ يَحَاصِرُونَ مَكَانًا ، وَرَئِيسُ الْعَدُوِّ قَاعِدٌ عَلَى صُفَّةٍ^(٤) ، فَرَمَى الشُّرْمَارِيُّ سَهْمًا ، فَغَرَزَهُ فِي الصُّفَّةِ ، فَأَوْمَأَ الرَّئِيسُ لِيَنْزِعَهُ ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ خَاطَ يَدَهُ ، فَتَطَاوَلَ الْكَافِرُ لِيَنْزِعَهُ مِنْ يَدِهِ ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ ثَالِثٍ فِي نَحْرِهِ ، فَانْهَزَمَ الْعَدُوُّ ، وَكَانَ الْفَتْحُ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : أَخْبَارُ هَذَا الْغَازِي تَسُرُّ قَلْبَ الْمُسْلِمِ .

-
- (١) الْبِرْدُونَ : ضَرْبٌ مِنَ الدَّوَابِّ ، يَخَالِفُ الْخَيْلَ الْعَرَابِ ، عَظِيمُ الْخِلْقَةِ ، غَلِيظُ الْأَعْضَاءِ .
(٢) الْمَنُّ : زِنَةُ رَطْلِينَ .
(٣) انْظُرِ السِّيرَ : (أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الشُّرْمَارِيَّ) ١٣/٣٧-٤٠ ، وَانْظُرِ النَّزْهَةَ : ٢/١٠٤٩ .
(٤) الصُّفَّةُ : الظُّلَّةُ ، وَالْبُهِوُ الْوَاسِعُ الْعَالِي السَّقْفِ .

تُوْفِي فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِثَّتَيْنِ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ كَانَ مَعَ فَرْطٍ شَجَاعَتِهِ
مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ الْعُبَادِ^(١) .

وَقَالَ ابْنُهُ أَبُو صَفْوَانَ : وَهَبَ الْمَامُونُ لِأَبِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَعَشْرَةَ أَفْرَاسٍ وَجَارِيَّةً ،
فَلَمْ يَقْبَلْهَا^(٢) .

وَعَنْ خَفِيفِ السَّمَرْقَنْدِيِّ : قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ لِلصَّيْدِ ، وَانْقَطَعَ عَنْهُ
الْعَسْكَرُ فَخَرَجَ عَلَيْنَا الْأَسَدُ ، فَقَالَ : يَا خَفِيفُ! أُمْسِكْ فَرَسِي وَنَزَلْ ، فَتَحَزَّمْ ، وَسَلِّ
سَيْفَهُ ، وَقَصِدْ الْأَسَدَ ، فَقَصَدَهُ الْأَسَدُ ، فَتَلَقَّاهُ الْمُعْتَصِدُ ، فَقَطَعَ يَدَهُ ، فَتَشَاغَلَ بِهَا
الْأَسَدُ ، فَضْرَبَهُ فَلَقَّ هَامَتَهُ ، وَمَسَحَ سَيْفَهُ فِي صُوفِهِ ، وَرَكِبَ ، وَصَحْبَتُهُ إِلَى أَنْ مَاتَ ،
فَمَا سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ الْأَسَدَ ، لِقَلَّةِ احْتِفَالِهِ بِهِ .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : كَانَ فِي الْمُعْتَصِدِ حِرْصٌ ، وَجَمْعٌ لِلْمَالِ ، حَارَبَ الزُّنْجَ ،
وَلَهُ مَوَاقِفٌ مَشْهُودَةٌ ، وَفِي دَوْلَتِهِ سَكَتُ الْفِتْنِ ، وَكَانَ فِتْنَاهُ بَدْرٌ عَلَى شَرِطَتِهِ ،
وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى وَزَارَتِهِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ شَاهٍ عَلَى حَرَسِهِ ، وَأَسْقَطَ الْمَكْسَ ،
وَنَشَرَ الْعَدْلَ ، وَقَلَّلَ مِنَ الظُّلْمِ ، وَكَانَ يُسَمَّى السَّفَّاحَ الثَّانِي ، أَحْيَا رَمِيمَ الْخِلَافَةِ الَّتِي
ضَعُفَتْ مِنْ مَقْتَلِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَأَنْشَأَ قَصْرًا غَرَمَ عَلَيْهِ أَرْبَعٌ مِائَةَ دِينَارٍ ، وَكَانَ مِزَاجُهُ قَدْ
تَغَيَّرَ مِنْ فَرْطِ الْجِمَاعِ وَعَدَمِ الْحِمِيَّةِ .

وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُعْتَصِدُ شَهْمًا ، جَلْدًا ، رَجُلًا بَازِلًا ، مَوْصُوفًا بِالرُّجُلَةِ
وَالجَزَالَةِ ، قَدْ لَقِيَ الحُرُوبَ ، وَعُرِفَ فَضْلُهُ ، فَقَامَ بِالْأَمْرِ أَحْسَنَ قِيَامٍ ، وَهَابَهُ النَّاسُ
وَرَهَبُوهُ ، ثُمَّ عَقَدَ لَهُ الْمُعْتَمِدُ مَكَانَ الْمُوَفَّقِ ، وَجَعَلَ أَوْلَادَهُ تَحْتَ يَدِهِ ، ثُمَّ إِنَّ الْمُعْتَمِدَ
جَلَسَ مَجْلِسًا عَامًّا ، أَشْهَدَ فِيهِ عَلَى نَفْسِهِ بَخْلَعٌ وَلَدَهُ الْمُفَوَّضُ إِلَى اللهِ جَعْفَرٌ مِنْ وِلَايَةِ
عَهْدِهِ ، وَإِفْرَادِ أَبِي الْعَبَّاسِ بِالْعَهْدِ فِي الْمُحَرَّمِ^(٣) .

وَقَالَ الْحَاكِمُ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ صَالِحِ بْنِ هَانِيءٍ يَقُولُ : لَمَّا قُتِلَ يَحْيَى بْنُ

(١) انظر السير : (أحمد بن إسحاق السمراري) ٣٧/١٣-٤٠ ، وانظر النزهة : ١/١٠٥٠ .

(٢) انظر السير : (أحمد بن إسحاق) ٣٧/١٣-٤٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٥٠ .

(٣) انظر السير : (المُعْتَصِدُ بِاللَّهِ) ٣٧/١٣-٤٦٣-٤٧٩ ، وانظر النزهة : ٢/١١٠٤ .

الذُّهْلِيُّ ، مُنِعَ النَّاسُ مِنْ حُضُورِ مَجَالِسِ الْحَدِيثِ مِنْ جِهَةِ أَحْمَدَ الْحُجُسْتَانِيِّ فَلَمْ يَجْسِرْ أَحَدٌ يَحْمِلُ مِخْبَرَةَ إِلَى أَنْ وَرَدَ السَّرِيُّ بْنُ خُزَيْمَةَ ، فَقَامَ الرَّاهِدُ أَبُو عُثْمَانَ الْحِيرِي ، وَجَمَعَ الْمُحَدِّثِينَ فِي مَسْجِدِهِ ، وَعَلَّقَ بِيَدِهِ مِخْبَرَةَ وَتَقَدَّمَ لَهُمْ إِلَى أَنْ جَاءَ خَانَ مَحْمَشَ ، فَأَخْرَجَ السَّرِيُّ وَأَجْلَسَ الْمُسْتَمْلِي ، فَحَزَزْنَا مَجْلِسَهُ زِيَادَةَ عَلَى أَلْفِ مِخْبَرَةَ ، فَلَمَّا فَرَّغَ قَامُوا وَقَبَّلُوا رَأْسَ أَبِي عُثْمَانَ وَنَثَرَ النَّاسُ عَلَيْهِمُ الدَّرَاهِمَ وَالشُّكْرَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَتِينَ (١) .

وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْعَبَّاسِيُّ الرَّاشِدُ بِاللَّهِ أَبْيَضَ مَلِيحاً ، تَامَ الشَّكْلُ ، شَدِيدَ الْأَيْدِ ، يُقَالُ : إِنَّهُ كَانَ بَدَارَ الْخِلَافَةِ أَيْلٌ عَظِيمٌ اغْتَرَضَهُ فِي الْبُسْتَانِ ، فَأَحْجَمَ الْخَدْمُ ، فَهَجَمَ عَلَى الْأَيْلِ ، وَأَمْسَكَ بِقَرْنِيهِ وَرَمَاهُ ، وَطَلَبَ مِنْشَاراً ، فَقَطَعَ قَرْنِيَهُ (٢) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ : ابْنُ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْدَنِيشِ الْجُدَامِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ ، الْمَلِكُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ صَاحِبُ مُرْسِيَّةَ وَبَلَنْسِيَّةَ (٣) .

كَانَ صِهْرًا لِلْمَلِكِ الْمُجَاهِدِ الْوَرِيعِ أَبِي مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَاضٍ فَلَمَّا تُوْفِيَ ابْنُ عِيَاضٍ ، اتَّفَقَ رَأْيُ أَجْنَادِهِ عَلَى تَقْدِيمِ ابْنِ مَرْدَنِيشِ هَذَا عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ صَغِيرَ السِّنِّ شَابًا ، لَكِنَّهُ كَانَ مِمَّنْ يُضْرَبُ بِشَجَاعَتِهِ الْمَثَلُ وَإِثْلِي بِجَيْشِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ يُحَارِبُونَهُ ، فَاضْطَرَّ إِلَى الْاسْتِعَانَةِ بِالْفَرَنْجِ فَلَمَّا تُوْفِيَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ تَمَكَّنَ ابْنُ مَرْدَنِيشِ ، وَقَوِيَ سُلْطَانُهُ وَجَرَتْ لَهُ حُرُوبٌ وَخُطُوبٌ .

ذَكَرَهُ الْيَسَعُ فِي « تَارِيخِهِ » وَقَالَ : نَازَلَتِ الرُّومُ الْمَرِيَّةَ عِنْدَ عِلْمِهِمْ بِمَوْتِ ابْنِ عِيَاضٍ ، وَلَكُونِ ابْنِ مَرْدَنِيشِ شَابًا ، لَكِنَّهُ عِنْدَهُ مِنَ الْإِقْدَامِ مَا لَا يُوجَدُ فِي أَحَدٍ حَتَّى أَضْرَبَ بِهِ فِي مَوَاضِعَ شَاهِدْنَاهَا مَعَهُ ، وَالرَّأْيُ قَبْلَ الشَّجَاعَةِ ، وَإِلَّا فَهُوَ فِي الْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ فِي مَحَلٍّ لَا يَتِمَّكُنُّ مِنْهُ أَحَدٌ فِي عَصْرِهِ ، مَا اسْتَمَّتْ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا حَتَّى ظَهَرَتْ شَجَاعَتُهُ ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ نَازَلَ إِفْرَاغَةَ ، فَقَرَّبَ فَارِسٌ مِنْهُمْ إِلَى السُّورِ ، فَخَرَجَ

(١) انظر السير : (أبو عثمان الحيري) ١٤/٦٢-٦٦ ، وانظر النزهة : ٤/١١٣١ .

(٢) انظر السير : (الراشد بالله) ١٩/٥٦٨-٥٧٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٥١٦ .

(٣) انظر السير : (محمد بن سعد) ٢٩/٢٤٠-٢٤٢ ، وانظر النزهة : ١/١٥٤٨ .

مُحَمَّدٌ ، وأبُوهُ سَعْدٌ لَا يَعْرِفُ ، فَالْتَقِيَ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ ، فَضْرَبَهُ مُحَمَّدٌ الْقَاهُ مَعَ حِصَانِهِ فِي الْمَاءِ ، فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ يَطْلُبُ فَارِسٌ مِنَ الرُّومِ مُبَارَزَتَهُ ، وَقَالَ : أَيْنَ قَاتِلُ فَارِسِنَا بِالْأُمْسِ ؟ فَامْتَنَعَ وَالِدُهُ مِنْ إِخْرَاجِهِ لَهُ ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْقَائِلَةِ وَقَدْ نَامَ أَبُوهُ رَكِبَ حِصَانَهُ ، وَخَرَجَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى خِيَامِ الْعَدُوِّ ، فِقِيلَ لِلْمَلِكِ : هَذَا ابْنُ سَعْدٍ فَأَحْضَرَهُ مَجْلِسَهُ ، وَأَكْرَمَهُ وَقَالَ : مَا تُرِيدُ ؟ قَالَ : مَنَعَنِي أَبِي مِنَ الْمُبَارَزَةِ ، فَأَيْنَ الَّذِي يُبَارِزُ ؟ فَقَالَ : لَا تَعْصِ أَبَاكَ فَقَالَ : لَا بُدَّ فَحَضَرَ الْمُبَارِزَ فَالْتَقِيَ ، فَضْرَبَ الْعِلْجُ مُحَمَّدًا فِي طَارِقَتِهِ ، وَضْرَبَ هُوَ الْعِلْجُ الْقَاهُ ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَيْهِ بِالرُّمْحِ لِيَقْتُلَهُ ، فَحَالَتِ الرُّومُ بَيْنَهُمَا ، وَأَعْطَاهُ الْمَلِكُ جَائِزَةً .

ومن شجاعته يومَ نُوَلَّةَ^(١) : كَانَ فِي مِئَةِ فَارِسٍ ، وَالرُّومُ فِي أَلْفٍ فَحَمَلَ بِنَفْسِهِ ، فَاجْتَمَعَتْ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ رُمْحًا ، فَمَا قَلْبُوهُ ، وَلَوْلَا حَصَانَةٌ عُدَّتْهُ لَهَلَكَ ، فَكَشَفَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَانْهَزَمَ الرُّومُ ، فَاتَّبَعَهُمْ مِنَ الظُّهْرِ إِلَى اللَّيْلِ ، ثُمَّ هَادَنَ الرُّومَ عَشْرَ سِنِينَ .

قَالَ : وَلَمْ تَزَلِ الْأَيَّامُ تَخْدُمُهُ ، وَقَدْ اهْتَمَّ بِجَمْعِ الصُّنَاعِ لِآلَاتِ الْحُرُوبِ وَلِلْبِنَاءِ وَالتَّرْخِيمِ ، وَاشْتَغَلَ بِبِنَاءِ الْقُصُورِ الْعَجِيبَةِ وَالتُّزْرِهِ وَالبَسَاتِينِ الْعَظِيمَةِ ، وَصَاهَرَ الرَّئِيسَ الْقَائِدَ أَبَا إِسْحَاقَ بْنَ هَمُّشِكٍ^(٢) .

وَقَالَ سِبْطُ الْجَوْزِيِّ : كَانَ الشَّيْخُ الْيُونِنِيُّ شُجَاعًا مَا يُبَالِي بِالرِّجَالِ قَلُّوا أَوْ كَثُرُوا وَكَانَ قَوْسُهُ ثَمَانِينَ رَطْلًا ، وَمَا فَاتَتْهُ غَزَاةٌ^(٣) .

٢- أَبْطَالُ الْإِسْلَامِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ سَيْفِ اللَّهِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ : هَاجَرَ مُسْلِمًا فِي صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ ، ثُمَّ سَارَ غَازِيًا ، فَشَهِدَ غَزْوَةَ مُؤْتَةَ ، وَاسْتَشْهَدَ أَمْرًا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الثَّلَاثَةَ : مَوْلَاهُ زَيْدٌ ، وَابْنُ عَمَّةٍ جَعْفَرُ ذُو الْجَنَاحَيْنِ ، وَابْنُ رَوَاحَةَ ، وَبَقِيَ

(١) بكسر أوله وفتح ثانيه : حصن من أعمال مرسية بالأندلس

(٢) انظر السير : (محمد بن سعد) ٢٩/٢٤٠-٢٤٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٤٨ .

(٣) انظر السير : (اليونيني) ٢٢/١٠١-١٠٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٦٩ .

الجيش بلا أمير ، فتأمرَ عليهم في الحالِ خالدٌ ، وأخذَ الرّايةَ ، وحملَ على العدوِّ ، فكانَ النَّصرُ ، وسَمَّاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، سيفَ الله ، فقالَ صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ خَالِدًا سَيْفٌ سَلَّهُ اللهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ » وشهدَ الفَتْحَ وَحِينًا ، وتأمرَ في أَيَّامِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، واحتبسَ أذراعَه ولأُمَّتَه في سَبِيلِ اللهِ ، وحاربَ أَهْلَ الرِّدَّةِ ، ومُسَيْلَمَةَ ، وغزَا العِراقَ ، واستظَهَرَ ، ثم اخترقَ البَرِّيَّةَ السَّمَاوِيَّةَ بِحَيْثُ إِنَّهُ قَطَعَ المَفَازَةَ من حَدِّ العِراقِ إلى أَوَّلِ الشَّامِ في خَمْسِ لَيَالٍ في عَسْكَرٍ مَعَهُ ، وشهدَ حُرُوبَ الشَّامِ ، ولم يَبْقَ في جَسَدِهِ قَيْدَ شِبْرٍ إِلَّا وَعَلِيهِ طَابَعُ الشُّهَدَاءِ (١) .

عن أَنَسٍ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحُدَ ، انْهَزَمَ نَاسٌ عَنِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وأبو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، مُحْرَبًا عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ (٢) ، وكانَ رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ ، كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الجُعبَةَ مِنَ النَّبْلِ ، فيَقُولُ صلى الله عليه وسلم : « انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ » ثم يُشْرِفُ إِلَى القَوْمِ ، فيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، يَا أَبِي أَنْتَ ، لَا تُشْرِفْ ، لَا يُصِيْبُكَ سَهْمٌ ، نَخْرِي دُونَ نَخْرِكَ .

قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشْمَرَاتٍ ، أَرَى خَدَمَ سَوْقِهِمَا (٣) ، تَنْقُرَانِ القِرْبَ عَلَى مُتُونِهِمَا (٤) ، وَتُفْرِغَانِيهَا فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ ، وَتَرْجِعَانِ ، فَتَمْلَأْنِيهَا فَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدِ أَبِي طَلْحَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا مِنَ التُّعَاسِ (٥) .

وقَالَ أَنَسٌ : كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لَلَّهِ ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : « بَخِ ! ذَلِكَ مَالٌ

(١) انظر السير : (خالد بن الوليد) ١/٣٦٦-٣٨٤ ، وانظر النزعة : ١/١٧٨ .

(٢) الحَجَفَةُ : الثُّرْسُ ومُجَوَّبًا عَلَيْهِ : أَي مُتْرَسًا عَلَيْهِ .

(٣) خَدَمَ سَوْقِهِمَا : أَي الخِلاخِيلَ ، جَمْعُ خَدَمَةٍ .

(٤) تَنْقُرَانِ : أَي تَثْبَانِ ، والنَّقْرُ : الوَثْبُ كناية عن سُرعة السير ، وجملة « القِرْبُ عَلَى مُتُونِهَا » في موضع نصب على الحال .

(٥) انظر السير : (أبو طَلْحَةَ الأنصاري) ٢/٢٧-٣٤ ، وانظر النزعة : ٧/٢١٣ .

رَابِعٌ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ » (١) .

عن أَنَسٍ : أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ قَرَأَ : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ (٢) فَقَالَ : اسْتَنْفَرَنَا اللَّهُ وَأَمَرَنَا ، شُيُوخَنَا وَشَبَابَنَا ، جَهُّزُونِي فَقَالَ بَنُوهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ! إِنَّكَ قَدْ غَزَوْتَ عَلَيَّ عَهْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَنَحْنُ نَغْزُو عَنْكَ الْآنَ قَالَ : فَغَزَا الْبَحْرَ ، فَمَاتَ ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ جَزِيرَةً يَدْفِنُونَهُ فِيهَا ، إِلَّا بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ ، فَلَمْ يَتَغَيَّرْ (٣) .

عن أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ حُنَيْنٍ ، فَلَمَّا التَّقَيْنَا ، رَأَيْتُ رَجُلًا قَدْ عَلَا الْمُسْلِمِينَ ، فَاسْتَدْرْتُ لَهُ مِنْ وَرَائِهِ ، فَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ (٤) ضَرْبَةً قَطَعَتْ مِنْهَا الدَّرْعَ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَضَمَّنِي ضَمَّةً وَجَدْتُ مِنْهَا رِيحَ الْمَوْتِ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، وَمَاتَ إِلَيَّ أَنْ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ بَيْتَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ » ، فَقُمْتُ ، فَقُلْتُ : مَنْ يَشْهَدُ لِي ؟ وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : صَدَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَسَلَبْتُ ذَلِكَ الْقَتِيلَ عِنْدِي فَأَرْضِيهِ مِنْهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا هَا اللَّهُ (٥) ، إِذَا لَا يَعْمَدُ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِ اللَّهِ يُقَاتِلُ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُعْطِيكَ سَلْبَهُ ! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَدَقَ » فَأَعْطَانِيهِ ، فَبِعْتُ الدَّرْعَ ، وَابْتَعْتُ بِهِ مَخْرَفًا (٦) فِي بَيْتِي سَلَمَةً ، فَإِنَّهُ لِأَوَّلِ مَالٍ تَأَثَّلْتُهِ (٧) فِي الْإِسْلَامِ (٨) .

وَقَالَ عِكْرَمَةُ بْنُ عَمَّارٍ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ : أَنَّ عُمَرَ بَعَثَ أَبَا قَتَادَةَ

(١) انظر السير : (أبو طلحة الأنصاري) ٢/٢٧-٣٤ ، وانظر النزاهة : ٢/٢١٤ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٤١ .

(٣) انظر السير : (أبو طلحة الأنصاري) ٢/٢٧-٣٤ ، وانظر النزاهة : ٣/٤١٢ .

(٤) « على حبل عاتقه » : حبل العاتق : عصبه ، والعاتق : موضع الرداء من المنكب .

(٥) لا هاهنا : أي لا والله ، فالهاء هنا بمتزلة الواو .

(٦) المخرف : البستان ، وسُمِّي بذلك لأنه يُخترَف منه الثمر ، أي : يُجْتَنَى .

(٧) تأثَّلْتُه : أي اقتنيته .

(٨) انظر السير : (أبو قتادة الأنصاري السلمي) ٢/٤٤٩-٤٥٦ ، وانظر النزاهة : ٤/٩٨٢ .

الأنصاري ، فقتلَ ملكَ فارسِ بيده ، وعليه مِنطَقَةٌ قيمَتُها خَمسةَ عَشَرَ ألفاً ، فنفلها إِياهُ عُمَرُ .

مات أبو قتادة سنة أربع وخمسين (١) .

قال ابنُ الزُّبَيْرِ : هَجَمَ عَلَيْنَا جُرْجِيرٌ فِي عِشْرِينَ وَمِئَةَ أَلْفٍ ، فَأَحَاطُوا بِنَا وَنَحْنُ فِي عِشْرِينَ أَلْفاً - يَعْنِي : نَوْبَةَ إِفْرِيقِيَّةِ .

قَالَ : وَاخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَى ابْنِ أَبِي سَرْحٍ ، فَدَخَلَ فُسْطَاطُهُ ، فَرَأَيْتُ غِرَّةً مِنْ جُرْجِيرٍ ، بَصُرْتُ بِهِ خَلْفَ عَسَاكِرِهِ عَلَى بَرْدُونَ أَشْهَبَ ، مَعَهُ جَارِيَتَانِ تُظَلِّلَانِ عَلَيْهِ بِرِيشِ الطَّوَاوِيسِ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَيْشِهِ أَرْضٌ بَيْضَاءُ ، فَأَتَيْتُ أَمِيرَنَا ابْنَ أَبِي سَرْحٍ ، فَدَدَبْتُ لِي النَّاسَ ، فَاخْتَرْتُ ثَلَاثِينَ فَارِسًا ، وَقُلْتُ لَسَائِرِهِمْ : الْبُكُوا عَلَى مَصَافِكُمْ ، وَحَمَلْتُ : وَقُلْتُ لَهُمْ : احْمُوا ظَهْرِي ، فَخَرَقْتُ الصَّفَّ إِلَى جُرْجِيرٍ وَخَرَجْتُ صَامِدًا ، وَمَا يَحْسِبُ هُوَ وَلَا أَصْحَابُهُ إِلَّا أَنِّي رَسُولٌ إِلَيْهِ ، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُ فَعَرَفَ الشَّرَّ فَنَابَرَ بَرْدُونَهُ مُوَلِّيًا ، فَأَدْرَكْتُهُ ، فَطَعَنْتُهُ ، فَسَقَطَ ، ثُمَّ اخْتَزَزْتُ رَأْسَهُ فَانصَبْتُهُ عَلَى رُمْحِي ، وَكَبَّرْتُ وَحَمَلْتُ الْمُسْلِمُونَ ، فَارْفَضَ الْعَدُوُّ وَمَنَحَ اللَّهُ أَكْتَانَهُمْ (٢) .

وقال الإمامُ الذهبيُّ في تَرْجَمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : الْهَاشِمِيُّ ، ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأُمُّهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ أَبِي وَهَبِ الْمَخْزُومِيَّةِ ، مِنْ مُسْلِمَةِ الْفَتْحِ (٣) .

لا نَعْلَمُ لَهُ رِوَايَةً كَانَتْ مَوْصُوفًا بِالشَّجَاعَةِ وَالْفُرُوسِيَّةِ .

وَلَمَّا تُوْفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ لِهَذَا نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً .

عن أبي الحُوَيْرِثِ قَالَ : أَوَّلَ مَنْ قُتِلَ يَوْمَ أَجْنَادِينَ بِطَرِيقِ ، بَرَزَ يَدْعُو إِلَى الْبِرَازِ ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَاتٍ ، ثُمَّ قَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ ، ثُمَّ بَرَزَ آخَرَ ، فَضَرَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى عَاتِقِهِ وَقَالَ : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَأُتْبِتَهُ ،

(١) انظر السير : (أبو قتادة الأنصاري السلمي) ٢/٤٤٩-٤٥٦ ، وانظر النزهة : ١/٢٩٠ .

(٢) انظر السير : (عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ) ٣/٣٦٣-٣٨٠ ، وانظر النزهة : ٦/٣٩٥ .

(٣) انظر السير : (عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ بنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ) ٣/٣٨١-٣٨٣ ، وانظر النزهة : ١/٣٩٨ .

وَقَطَعَ سَيْفَهُ الدَّرْعَ ، وَأَشْرَعَ فِي مَنْكِبِهِ ، ثُمَّ وَلَّى الرُّومِي مُنْهَزِمًا .

وَعَزَمَ عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَنْ لَا يُبَارِزَ ، فَقَالَ : لَا أَصْبِرُ ، فَلَمَّا اخْتَلَطَتْ السُّيُوفُ ، وَجَدَ فِي رِبْضَةِ مِنَ الرُّومِ عَشْرَةَ مَقْتُولًا ، وَهَمَّ حَوْلَهُ ، وَقَامَ السَّيْفِ فِي يَدِهِ قَدْ غَرِي (١) ، وَإِنَّ فِي وَجْهِهِ لثَلَاثِينَ ضَرْبَةً .
وَأَجْنَادِينَ كَانَتْ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ (٢) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْبَطَالِ : رَأَسُ الشُّجْعَانِ وَالْأَبْطَالِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ الْبَطَالِ ، وَقِيلَ : أَبُو يَحْيَى ، مِنْ أَعْيَانِ أُمَرَاءِ الشَّامِيِّينَ (٣) .

وَكَانَ شَالِيشَ الْأَمِيرِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ مَقْرَهُ بِأَنْطَاكِيَةِ ، أَوْطَأَ الرُّومَ خَوْفًا وَذُلًّا وَلَكِنْ كَذَبَ عَلَيْهِ أَشْيَاءٌ مُسْتَحِيلَةٌ فِي سِيرَتِهِ الْمَوْضُوعَةَ (٤) .

وَعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَنَّهُ أَوْصَى مَسْلَمَةَ أَنْ صَيَّرَ عَلَى طَلَائِعِكَ الْبَطَالَ وَمُرَّهُ فَلْيُعَسَّ بِاللَّيْلِ ، فَإِنَّهُ أَمِيرٌ شُجَاعٌ مَقْدَامٌ .

وَقَالَ رَجُلٌ : عَقَدَ مَسْلَمَةَ لِلْبَطَالِ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ ، وَجَعَلَهُمْ يَزُكَا (٥) . ، (٦) .

عَنْ الْبَطَالِ ، قَالَ : اتَّفَقَ لِي أَنَا أَتَيْنَا قَرْيَةً لِنُغِيرَ ، فَإِذَا بَيْتٌ فِيهِ سِرَاجٌ وَصَغِيرٌ يَبْكِي ، فَقَالَتْ أُمُّهُ : اسْكُتْ ، أَوْ لَأُدْفَعَنَّكَ إِلَى الْبَطَالِ فَبَكَى فَأَخَذَتْهُ مِنْ سَرِيرِهِ ، وَقَالَتْ : خُذْهُ يَا بَطَالُ فَقُلْتُ : هَاتِهِ (٧) .

وَجَرَتْ لَهُ أَعَاجِيبُ وَفِي الْآخِرِ أَصْبَحَ فِي مَعْرَكَةٍ مَثُخُونًا وَبِهِ رَمَقٌ فَجَاءَ الْمَلِكُ لِيُونُ ، فَقَالَ أَبُو يَحْيَى : كَيْفَ رَأَيْتَ ؟ قَالَ : وَمَا رَأَيْتُ ؟ كَذَلِكَ الْأَبْطَالُ تَقْتُلُ وَتُقْتَلُ ، فَقَالَ : عَلِيٌّ بِالْأَطْبَاءِ ، فَأَتَوْا فَوَجَدُوهُ قَدْ أَنْفَذَتْ مَقَاتِلُهُ ، فَقَالَ : هَلْ لَكَ حَاجَةٌ ؟

(١) غَرِي : أَي لَزِقَ .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن الرُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ) ٣/٣٨١-٣٨٣ ، وانظر النزهة : ٢/٣٩٨ .

(٣) انظر السير : (البطال) ٥/٢٦٨-٢٦٩ ، وانظر النزهة : ٦/٦٠٠ .

(٤) انظر السير : (البطال) ٥/٢٦٨-٢٦٩ ، وانظر النزهة : ٧/٦٠٠ .

(٥) اليَزْكُ : طلائع الجيش ، والكلمة فارسية .

(٦) انظر السير : (البطال) ٥/٢٦٨-٢٦٩ ، وانظر النزهة : ٨/٦٠٠ .

(٧) انظر السير : (البطال) ٥/٢٦٨-٢٦٩ ، وانظر النزهة : ١/٦٠١ .

قال : تَأْمُرُ مَنْ يَثْبُتُ مَعِيَ بِوِلَايَتِي وَكَفَنِي وَالصَّلَاةِ عَلَيَّ ثُمَّ تُطَلِّقُهُمْ ، فَفَعَلَ .
 قُتِلَ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ، وَقِيلَ : سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةَ وَمِئَةٍ (١) .

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ :

قال الإمام الذهبي في ترجمته : أميرُ العرب ، أبو الوليد الشيباني ، أحدُ أبطال الإسلام ، وعينُ الأجواد (٢) .

كان من أمراء مُتَوَلِّي العِراقين (٣) يزيدُ بنُ عُمَرَ بنِ هُبَيْرَةَ ، فَلَمَّا تَمَلَّكَ آلُ العَبَّاسِ اخْتَفَى مَعْنُ مِدَّةً ، وَالطَّلُبُ عَلَيْهِ حَثِيثٌ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ خُرُوجِ الرِّيُونْدِيَّةِ (٤) وَالخُرَاسَانِيَّةِ عَلَى المَنْصُورِ ، وَحَمِيَّ القِتَالِ ، وَحَارَ المَنْصُورُ فِي أَمْرِهِ ، ظَهَرَ مَعْنُ وَقَاتَلَ الرِّيُونْدِيَّةَ ، فَكَانَ النَّصْرُ عَلَى يَدِهِ ، وَهُوَ مُقَنَّعٌ فِي الحَدِيدِ ، فَقَالَ المَنْصُورُ : وَيَحْكُ مَنْ تَكُونُ؟ فَكَشَفَ لثَامَهُ وَقَالَ : أَنَا طَلِبْتُكَ مَعْنُ فَسَرَّ بِهِ ، وَقَدَّمَهُ وَعَظَّمَهُ ثُمَّ وَلَّاهُ اليَمَنَ وَغَيْرَهَا (٥) .

قال بعضهم : دَخَلَ مَعْنُ عَلَى المَنْصُورِ فَقَالَ : كَبُرَتْ سُنُّكَ يَا مَعْنُ قَالَ : فِي طَاعَتِكَ قَالَ : إِنَّكَ لَتَتَجَلَّدُ قَالَ : لِأَعْدَائِكَ قَالَ : وَإِنَّ فِيكَ لَبَقِيَّةً قَالَ : هِيَ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَلَمَعْنَ أَخْبَارٌ فِي السَّخَاءِ ، وَفِي البَأْسِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَلَهُ نَظْمٌ جَيِّدٌ .

ثُمَّ وَلِيَ سِجِسْتَانَ ، فَوُثِّبَتْ عَلَيْهِ خَوَارِجٌ وَهُوَ يَحْتَجِمُ ، فَقَتَلُوهُ ، فَقَتَلَهُمُ ابْنُ أَخِيهِ يَزِيدُ بْنُ مَرْيَدِ الأَمِيرِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَمِئَةٍ (٦) .

(١) انظر السير : (البطلان) ٢٦٨-٢٦٩ ، وانظر النزهة : ٢/٦٠١ .

(٢) انظر السير : (معنُ بنُ زائِدَةَ) ٩٧/٧-٩٨ ، وانظر النزهة : ٢/٦٨٠ .

(٣) العِراقان : الكوفة والبصرة .

(٤) في الطبري : (٥٠٥/٧) الرواندية ، وهم قوم من أهل خراسان ، كانوا على رأي أبي مسلم صاحب دعوة بني هاشم ، يقولون بتناسخ الأرواح ، ويزعمون أن روح آدم في عثمان بن نهيك ، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور ، وأن الهيثم بن معاوية جبريل ، وكان خروجهم سنة ١٤١هـ .

(٥) انظر السير : (معنُ بنُ زائِدَةَ) ٩٧/٧-٩٨ ، وانظر النزهة : ٣/٦٨٠ .

(٦) انظر السير : (معنُ بنُ زائِدَةَ) ٩٧/٧-٩٨ ، وانظر النزهة : ٤/٦٨٠ .

أحمد بن إسحاق السُّرماري :

قال الإمام الذهبي في ترجمته : الإمام الزاهد ، العابد المجاهد ، فارس الإسلام أبو إسحاق ، من أهل سُرماري ، من قرى بخارى وكان أحد الثقات ، وبشجاعته يُضرب المثل^(١) .

وقال إبراهيم بن عَفَّان البَرَّار : كُنْتُ عندَ أبي عبد الله البُخاريّ فجرى ذكرُ أبي إسحاق السُّرماريّ ، فقال : ما نَعَلِمُ في الإسلامِ مثله فخرَجْتُ فإذا أُحيدُ رئيسُ المُطوّعة ، فأخبرته ، فغضبَ ودخلَ على البُخاريّ ، وسأله فقال : ما كذا قلتُ ، بل : ما بلَغنا أَنه كان في الإسلامِ ولا في الجاهليّةِ مثله .

وقال ابنه أبو صفوان : دَخَلْتُ على أبي يوماً ، وهو يأكلُ وحده فرأيتُ في مائدته عُصفوراً يأكلُ معه ، فلَمَّا رأيتُ طارَ^(٢) .

وعن أحمد بن إسحاق قال : يَنْبَغِي لقائدِ الغزاةِ أَنْ يكونَ فيه عشرُ خصالٍ : أَنْ يكونَ في قلبِ الأسدِ لا يَجُبْنَ ، وفي كِبَرِ النمرِ لا يتواضع ، وفي شجاعةِ الدبِّ يُقتلُ بجوارحه كُلِّها ، وفي حملةِ الخنزيرِ لا يُولِّي دُبْرَه ، وفي غارةِ الذئبِ إذا أيسَ من وجهِ أَعَارَ من وجهه ، وفي حملِ السِّلَاحِ كالنملةِ تحمِلُ أكثرَ من وزنها ، وفي الثباتِ كالصَّخْرِ ، وفي الصبرِ كالحمارِ ، وفي الوقاحةِ كالكلبِ لو دَخَلَ صيدُه النارَ لدَخَلَ خَلْفَه ، وفي التماسِ الفرصةِ كالذئبِ .

وكان إبراهيم بن شماسٍ يقولُ : كُنْتُ أَكاتبُ أحمدَ بنِ إسحاقِ السُّرماريّ ، فكتبَ إليّ : إذا أَرَدتَ الخُروجَ إلى بلادِ الغزاةِ في شراءِ الأَسرى ، فاكْتُبْ إليّ فكتبْتُ إليه ، فقدمَ سَمْرَقَنْدَ ، فخرَجنا ، فلَمَّا عَلِمَ جَعبَوِيه ، استَقبلنا في عِدَّةٍ من جُيوشه ، فأقمنا عنده ، فعرضَ يوماً جيشه ، فمرَّ رجلٌ فعظَّمه وخلَعَ عليه ، فسألني عنه السُّرماريّ فقلتُ : هذا رجلٌ مُبارزٌ ، يُعدُّ بألفِ فارسٍ قال : أنا أبارزُه فسكَّتُ فقال جَعبَوِيه :

(١) انظر السير : (أحمد بن إسحاق السُّرماري) ٣٧/١٣ - ٤٠ ، وانظر النزهة : ١/١٠٤٨ .

(٢) انظر السير : (أحمد بن إسحاق السُّرماري) ٣٧/١٣ - ٤٠ ، وانظر النزهة : ١/١٠٤٩ .

ما يقول هذا؟ قُلْتُ يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا قَالَ: لَعَلَّهُ سَكْرَانٌ لَا يَشْعُرُ، وَلَكِنْ غَدَاً نَرَكَبُ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ رَكِبُوا، فَرَكِبَ الشُّرْمَارِيُّ مَعَهُ عَمُودٌ فِي كُمَّه فِقَامَ بِلِزَاءِ الْمُبَارِزِ فَقَصَدَهُ، فَهَرَبَ أَحْمَدُ حَتَّى بَاعَدَهُ مِنَ الْجَيْشِ، ثُمَّ كَرَّ وَضَرَبَهُ بِالْعَمُودِ فَقَتَلَهُ، وَتَبَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ شِمَاسٍ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ سَبَقَهُ فَلَحِقَهُ، وَعَلِمَ جَعْبَوِيَهُ، فَجَهَّزَ فِي طَلَبِهِ خَمْسِينَ فَارِسًا نِقَاوَةً، فَأَدْرَكُوهُ، فَثُبَّتْ تَحْتَ تَلٍ مُخْتَفِيًا حَتَّى مَرُّوا كُلُّهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، وَجَعَلَ يَضْرِبُ بَعْمُودِهِ مِنْ وِرَائِهِمْ إِلَى أَنْ قَتَلَ تِسْعَةً وَأَرْبَعِينَ، وَأَمْسَكَ وَاحِدًا، قَطَعَ أَنْفَهُ وَأُذُنَيْهِ، وَأَطْلَقَهُ لِيُخْبِرَ، ثُمَّ بَعَدَ عَامَيْنِ تُوَفِّيَ أَحْمَدُ، وَذَهَبَ ابْنُ شِمَاسٍ فِي الْفِدَاءِ، فَقَالَ لَهُ جَعْبَوِيَهُ: مَنْ ذَلِكَ الَّذِي قَتَلَ فُرْسَانَنَا؟ قَالَ: ذَلِكَ أَحْمَدُ الشُّرْمَارِيُّ قَالَ: فَلِمَ لَمْ تَحْمِلْهُ مَعَكَ؟ قُلْتُ: تُوَفِّيَ، فَصَكَّ فِي وَجْهِهِ، وَقَالَ: لَوْ أَعْلَمْتَنِي أَنَّهُ هُوَ لَكُنْتُ أُعْطِيهِ خَمْسَ مِائَةِ بَرْدُونَ^(١) وَعَشْرَةَ آلَافِ شَاةٍ.

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَطَّوْعِيِّ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: كَانَ عَمُودُ الْمَطَّوْعِيِّ الشُّرْمَارِيِّ وَزَنُّهُ ثَمَانِيَةَ عَشْرَةَ مَنًّا^(٢)، فَلَمَّا شَاخَ جَعَلَهُ اثْنَيْ عَشَرَ مَنًّا، وَكَانَ بِهِ يُقَاتِلُ^(٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَاصِلٍ، سَمِعْتُ أَحْمَدَ الشُّرْمَارِيَّ يَقُولُ، وَأَخْرَجَ سَيْفَهُ، فَقَالَ: أَعْلَمُ يَقِينًا أَنِّي قَتَلْتُ بِهِ أَلْفَ تُرْكِيٍّ، وَإِنْ عِشْتُ قَتَلْتُ بِهِ أَلْفًا أُخْرَى، وَلَوْلَا خَوْفِي أَنْ يَكُونَ بَدْعًا لَأَمَرْتُ أَنْ يُدْفَنَ مَعِي.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلِ الْكَاتِبِ، قَالَ: كَانُوا فِي بَعْضِ الْحُرُوبِ يَحَاصِرُونَ مَكَانًا، وَرَئِيسُ الْعَدُوِّ قَاعِدٌ عَلَى صُفَّةٍ^(٤)، فَرَمَى الشُّرْمَارِيُّ سَهْمًا، فَغَرَزَهُ فِي الصُّفَّةِ، فَأَوْمَأَ الرَّئِيسُ لِيَنْزِعَهُ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ خَاطَ يَدَهُ، فَتَطَاوَلَ الْكَافِرُ لِيَنْزِعَهُ مِنْ يَدِهِ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ ثَالِثٍ فِي نَحْرِهِ، فَانْهَزَمَ الْعَدُوُّ، وَكَانَ الْفَتْحُ.

(١) الْبَرْدُونَ: ضَرْبٌ مِنَ الدُّوَابِّ، يَخَالِفُ الْخَيْلَ الْعَرَابَ، عَظِيمُ الْخَلْقَةِ، غَلِيظُ الْأَعْضَاءِ.

(٢) الْمَنُّ: زِنَةُ رَطَلَيْنِ.

(٣) انْظُرِ السَّيْرَ: (أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ السُّرْمَارِيَّ) ١٣/٣٧-٤٠، وَانْظُرِ النَّزْهَةَ: ٢/١٠٤٩.

(٤) الصُّفَّةُ: الظِّلَّةُ، وَالْبَهُوُ الْوَاسِعُ الْعَالِي السَّقْفِ.

قال الإمام الذهبيُّ مُعَقَّباً : أَخْبَارُ هَذَا الْغَازِي تَسْرُّ قَلْبَ الْمُسْلِمِ .
تُوْفِّي فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِثَّتَيْنِ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ كَانَ مَعَ فَرْطِ شَجَاعَتِهِ
مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ الْعِبَادِ^(١) .

وقال ابنُه أَبُو صَفْوَانَ : وَهَبَ الْمَأْمُونُ لِأَبِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَعَشْرَةَ أَفْرَاسٍ وَجَارِيَةً ،
فَلَمْ يَقْبَلْهَا^(٢) .

أَبُو عَبْدِ اللهِ مَرْدَنِيَش :

قال الإمام الذهبيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ : الرَّاهِدُ الْمُجَاهِدُ ، أَبُو عَبْدِ اللهِ ، مُحَمَّدُ الْجُدَامِيُّ
الْمَغْرِبِيُّ .

كَانَ مَعَهُ عَدَّةٌ رِجَالٌ أُبْطَالٌ يُغَيِّرُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً ، وَكَانُوا يَحْرَثُونَ عَلَى خَيْلِهِمْ كَمَا يَحْرَثُ
أَهْلُ الثَّغْرِ ، وَكَانَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ ابْنُ تَاشَفِينَ يَمُدُّهُمْ بِالْمَالِ وَالْآلَاتِ ، وَيَبْرُهُمْ .
وَلِمَرْدَنِيَشٍ مَغَازِي وَمَوَاقِفٌ مَشْهُودَةٌ وَفَضَائِلُ^(٣) .

فَمِنْ عَجِيبٍ مَا صَحَّ عِنْدِي^(٤) مِنْ مَغَازِيهِ أَنَّهُ أَغَارَ يَوْمًا ، فَغَنِمَ غَنِيمَةً كَثِيرَةً ،
وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ الرُّومِ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِ فَارِسٍ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ وَكَانُوا ثَلَاثَ مِئَةِ فَارِسٍ :
مَا تَرَوْنَ ؟ فَقَالُوا : نَشْغَلُهُمْ بِتَرْكِ الْغَنِيمَةِ قَالَ : أَلَمْ يَقُلِ الْقَائِلُ : ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ
صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾^(٥) فَقَالَ لَهُ ابْنُ مُورِينَ : يَا رَأْسُ ، اللهُ قَالَ هَذَا ! فَقَالَ : اللهُ
يَقُولُ هَذَا وَتَقْعُدُونَ عَنْ لِقَائِهِمْ !؟ قَالَ : فَتَبْتُوَا ، فَهَزَمُوا الرُّومَ .

وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسَةِ مِئَةِ سَارَ ابْنُ رُذْمِيرٍ ، فَنَازَلَ مَدِينَةَ إِفْرَاغَةَ^(٦) وَبِهَا ابْنُ
مَرْدَنِيَشٍ ، وَطَالَ الْحِصَارُ ، فَكَتَبُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ابْنِ تَاشَفِينَ لِيُغِيثَهُمْ ، فَكَتَبَ إِلَى

(١) انظر السير : (أحمد بن إسحاق السمراري) ٣٧/١٣ - ٤٠ ، وانظر النزهة : ١/١٠٥٠ .

(٢) انظر السير : (أحمد بن إسحاق السمراري) ٣٧/١٣ - ٤٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٥٠ .

(٣) انظر السير : (أبو عبد الله مَرْدَنِيَش) ٢٣٢/٢٠ - ٢٣٤ ، وانظر النزهة : ٥/١٥٤٤ .

(٤) الكلام هنا لليسع بن حزم .

(٥) سورة الأنفال ، الآية : ٦٥ .

(٦) مدينة بالأندلس من أعمال ماردة ، كثيرة الزيتون .

إِنَّهُ تَأْسَفِينَ بِنِ عَالِيٍّ وَإِلَى الْأَمِيرِ يَحْيَى بْنِ غَانِيَةَ بِإِغَائِثِهِمْ ، وَإِدْخَالَ الْمِيرَةِ إِلَيْهِمْ ، فَهَيَّأَ لِنَجْدَتِهِمْ أَرْبَعَةَ أَلْفٍ ، فَمَا وَصَلُوا إِلَى إِفْرَاغَةِ إِلَّا وَقَدْ فَنِيَ مَا بَهَا ، وَلَمْ يَبْقَ لِابْنِ مَرْدَنِيَشِ سِوَى حِصَانٍ فذَبَحَهُ لَهُمْ ، فَحَصَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ أَوْقِيَةٌ أَوْقِيَةٌ .

قَالَ الْيَسَعُ : فَحَدَّثَنِي الْمَلِكُ الْمُجَاهِدُ ابْنُ عِيَاضٍ حَدِيثَ هَذِهِ الْغَزَاةِ قَالَ : لَمَّا وَصَلَ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ غَانِيَةَ مَدِينَةَ زَيْتُونَةَ ، خَرَجْتُ إِلَيْهِ مِنْ لَارِدَةَ مَعَ فُرْسَانِي ، فَقَالَ : أَشِيرُوا عَلَيَّ ، فَقُلْتُ : الصَّوَابُ جَمْعُ جُنْدِ الْأَنْدَلُسِ تَحْتَ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهَلَالٌ وَسُلَيْمٌ تَحْتَ رَايَةٍ أُخْرَى ، وَيَتَقَدَّمُ الزُّبَيْرُ بْنُ عُمَرَ بِأَهْلِ الْمَغْرِبِ وَبِالدَّوَابِّ الَّتِي تَحْمِلُ الْأَقْوَاتَ ، مَعَهُمُ الطُّبُولُ وَالرَّايَاتُ ، وَبَقِيَ نَحْنُ وَالْعَرَبُ كَمِينًا عَنْ يَمِينِ الْجَيْشِ وَيَسَارِهِ فَإِذَا أَبْصَرَ اللَّعِينُ الرَّايَاتِ وَالطُّبُولَ وَالزَّمْرَ حَمَلَ عَلَيْهِ ، فَانْكُرْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَتَيْنِ قَالَ : فَصَلَّيْنَا الصُّبْحَ فِي لَيْلَةٍ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ ، وَأَبْصَرَ اللَّعِينُ الْجَيْشَ وَقَدْ اسْتَرَاخَ مِنْ جِرَاحَاتِهِ وَكَانَ عَسْكَرُهُ إِذْ ذَاكَ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ فَارِسٍ سِوَى أَتْبَاعِهِمْ ، فَقَصَدُوا الطُّبُولَ ، فَانكسروا وَتَفَرَّقُوا - يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ - فَأَتَيْنَا الرُّومَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ ، وَنَزَلَ النَّصْرُ وَعَمَلَ السَّيْفُ فِي الرُّومِ حَتَّى بَقِيَ ابْنُ رُذَمِيرٍ فِي نَحْوِ أَرْبَعِ مِئَةٍ فَارِسٍ ، فَلَجَّؤْا إِلَى حِصْنٍ لَهُمْ ، وَبَاتَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ هَلَكَ غَمًّا ، وَأَصَابَهُ مَرَضٌ ؛ مَاتَ بَعْدَ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ هَزِيمَتِهِ فَلَا رَحْمَةَ اللَّهُ (١) .

محمد بن سعد بن مردنيش :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ : ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْدَنِيَشِ الْجُدَامِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ ، الْمَلِكُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ صَاحِبُ مُرْسِيَّةٍ وَبَلَنْسِيَّةٍ (٢) .

كَانَ صِهْرًا لِلْمَلِكِ الْمُجَاهِدِ الْوَرَعِ أَبِي مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَاضٍ فَلَمَّا تُوْفِيَ ابْنُ عِيَاضٍ ، اتَّفَقَ رَأْيُ أَجْنَادِهِ عَلَى تَقْدِيمِ ابْنِ مَرْدَنِيَشِ هَذَا عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ صَغِيرَ السِّنِّ شَابًّا ، لَكِنَّهُ كَانَ مِمَّنْ يُضْرَبُ بِشَجَاعَتِهِ الْمِثْلُ وَابْتُلِيَ بِجَيْشِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ يُحَارِبُونَهُ ،

(١) انظر السير : (أبو عبد الله مَرْدَنِيَشِ) ٢٠/٢٣٢-٢٣٤ ، وانظر النزهة : ١/١٥٤٥ .

(٢) انظر السير : (محمد بن سعد) ٢٩/٢٤٠-٢٤٢ ، وانظر النزهة : ١/١٥٤٨ .

فاضطراً إلى الاستعانة بالفِرْنَجِ فلَمَّا تُوِّفِيَ الخَلِيفَةُ عبدُ المؤمنِ تَمَكَّنَ ابنُ مَرْدَنِيشَ ،
وقَوِيَ سُلْطَانُهُ وَجَرَتْ لَهُ حُرُوبٌ وَخُطُوبٌ .

ذَكَرَهُ اليَسَعُ فِي « تَارِيخِهِ » وَقَالَ : نَازَلَتِ الرُّومُ المَرِيَّةَ عِنْدَ عِلْمِهِمْ بِمَوْتِ ابْنِ
عِيَاضَ ، وَلِكونِ ابْنِ مَرْدَنِيشَ شَاباً ، لَكِنَّهُ عِنْدَهُ مِنَ الإِقْدَامِ مَا لا يُوجَدُ فِي أَحَدٍ حَتَّى
أَضْرَبَ بِهِ فِي مَوَاضِعَ شَاهَدْنَاهَا مَعَهُ ، وَالرَّأْيُ قَبْلَ الشَّجَاعَةِ ، وَإِلَّا فَهُوَ فِي القُوَّةِ
وَالشَّجَاعَةِ فِي مَحَلٍّ لا يَتِمَكَّنُ مِنْهُ أَحَدٌ فِي عَصْرِهِ ، مَا اسْتَمَّتْ خَمْسَةَ عَشَرَ عَاماً حَتَّى
ظَهَرَتْ شَجَاعَتُهُ ، فَإِنَّ العَدُوَّ نَازَلَ إِفْرَاعَةَ ، فَقَرَّبَ فَارِسٌ مِنْهُمْ إِلَى السُّورِ ، فَخَرَجَ
مُحَمَّدٌ ، وَأَبُوهُ سَعْدٌ لا يَعْرِفُ ، فَالتَقِيَا عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ ، فَضْرَبَهُ مُحَمَّدٌ أَلْقَاهُ مَعَ حِصَانِهِ
فِي المَاءِ ، فَلَمَّا كَانَ العَدُوُّ طَلَبَ فَارِسٌ مِنَ الرُّومِ مُبَارَزَتَهُ ، وَقَالَ : أَيْنَ قَاتِلُ فَارِسِنَا
بِالْأَمْسِ ؟ فَامْتَنَعَ وَالِدُهُ مِنَ إِخْرَاجِهِ لَهُ ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ القَائِلَةِ وَقَدْ نَامَ أَبُوهُ رَكِبَ
حِصَانَهُ ، وَخَرَجَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى خِيَامِ العَدُوِّ ، فَقِيلَ لِلْمَلِكِ : هَذَا ابْنُ سَعْدٍ فَأَحْضَرَهُ
مَجْلِسَهُ ، وَأَكْرَمَهُ وَقَالَ : مَا تُرِيدُ ؟ قَالَ : مَنَعَنِي أَبِي مِنَ المُبَارَزَةِ ، فَأَيْنَ الَّذِي يُبَارِزُ ؟
فَقَالَ : لا تَعْصِ أَبَاكَ فَقَالَ : لا بُدَّ فَحَضَرَ المُبَارِزُ فَالتَقِيَا ، فَضْرَبَ العِلْجُ مُحَمَّدًا فِي
طَارِقَتِهِ ، وَضْرَبَ هُوَ العِلْجُ أَلْقَاهُ ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَيْهِ بِالرُّمْحِ لِيَقْتُلَهُ ، فَحَالَتِ الرُّومُ بَيْنَهُمَا ،
وَأَعْطَاهُ المَلِكُ جَائِزَةً .

وَمِنْ شَجَاعَتِهِ يَوْمَ نَوَالَةَ^(١) : كَانَ فِي مِئَةِ فَارِسٍ ، وَالرُّومُ فِي أَلْفٍ فَحَمَلَ بِنَفْسِهِ ،
فاجْتَمَعَتْ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ رُمْحاً ، فَمَا قَلْبُهُ ، وَلَوْلا حِصَانُهُ عُدَّتْهُ لَهَلَكَ ، فَكَشَفَ
عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَانْهَزَمَ الرُّومُ ، فَاتَّبَعَهُمْ مِنَ الظُّهْرِ إِلَى اللَّيْلِ ، ثُمَّ هَادَنَ الرُّومَ عَشْرَ
سِنِينَ .

قَالَ : وَلَمْ تَزَلِ الأَيَّامُ تَخْدُمُهُ ، وَقَدْ اهْتَمَّ بِجَمْعِ الصُّنَاعِ لآلَاتِ الحُرُوبِ وَالبِنَاءِ
والتَّرْخِيمِ ، وَاشْتَغَلَ بِبِنَاءِ القُصُورِ العَجِيبَةِ وَالتُّزَةِ وَالبَسَاتِينِ العَظِيمَةِ ، وَصَاهَرَ الرَّئِيسَ
القَائِدَ أَبَا إِسْحَاقَ بَنَ هَمُّشِكَ^(٢) .

(١) بكسر أوله وفتح ثانيه : حصن من أعمال مرسية بالأندلس .

(٢) انظر السير : (محمد بن سعد) ٢٩ / ٢٤٠ - ٢٤٢ ، وانظر النزاهة : ٢ / ١٥٤٨ .

من الأبطال الذين كانوا ضالين فتابوا :

أبو القاسم هلال :

قال اليسعُ بنُ حَزْمٍ : حَدَّثَنِي عَنْهُ^(١) أَبُو الْقَاسِمِ هِلَالٌ أَحَدُ وُجُوهِ الْعَرَبِ قَالَ : كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُرَابِطِينَ أَمْرَ الْجَانِي إِلَى الْوُفُودِ عَلَى ابْنِ رُذَمِيرٍ ، فَرَحَّبَ بِي ، وَأَمَرَ لِي بِرَاتِبٍ كَبِيرٍ فَحَضَرْتُ مَعَهُ حَرْبًا طُعِنَ عَنْهُ حِصَانُهُ ، فَوَقَفْتُ عَلَيْهِ ذَابًا عَنْ حَوْزَتِهِ فَلَمَّا انْصَرَفْنَا إِلَى رَشْقَةِ أَمْرِ الصَّوَاغِينَ بَعَمَلِ كَأْسٍ مِنْ ذَهَبٍ رَصَعَهُ بِالذُّرِّ ، وَكَتَبَ عَلَيهِ : « لَا يَشْرَبُ مِنْهُ إِلَّا مَنْ وَقَفَ عَلَى سُلْطَانِهِ » فَحَضَرْتُ يَوْمًا فَأَخْرَجَ الْكَأْسَ ، وَمَلَأَهُ شَرَابًا ، وَنَاوَلَنِي بِحَضْرَةِ أَلْفِ فَارِسٍ ، وَرَأَيْتُ أَعْنَاقَهُمْ قَدْ اسْوَدَّتْ مِنْ صَدَأِ الدَّرُوعِ قَالَ : فَنَادَيْتُ ، وَقُلْتُ : غَيْرِي أَحَقُّ بِهِ ، فَقَالَ : لَا يَشْرَبُ هَذَا إِلَّا مَنْ عَمَلَ عَمَلَكَ .

وكان هلالٌ هذا من قريّة هلالِ بنِ عامِرٍ ، تابَ بعدُ وغزاهُ مَعَنَا ، فَكَانَ إِذَا حَضَرَ فِي الصَّفِّ جَبَلًا رَاسِيًا يَمْنَعُ تَهَائِمَ الْجِيُوشِ أَنْ تَمِيدَ ، وَقَلْبًا فِي الْبَسَالَةِ قَاسِيًا ، يَقُولُ فِي مُقَارَعَةِ الْأَبْطَالِ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ أَبْصَرْتَهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أُمَّةً وَحْدَهُ ، يَتَحَامَاهُ الْفَوَارِسُ^(٢) .

٣- من الشجاعة القوّة في الحقّ :

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِيهَأُ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا^(٣) إِلَّا سَلَكَ غَيْرَ فَجِّكَ »^(٤) .

وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَفْرُقُ مِنْ عُمَرَ »^(٥) .

(١) الضمير عائد على ابن رُذَمِيرِ اللعين ، صاحب مملكة أرغونة من شرق الأندلس ، كان قسيساً مُجرباً داهية مُترهباً ، قوي على بلاد ابن هود وطواها .

(٢) انظر السير : (عماد الدولة بن هود) ٢٠/٣٧-٤١ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٢٤ .

(٣) الفجّ : الطريق .

(٤) انظر السير : (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) ، وانظر النزهة : ٤/٤٥ .

(٥) انظر السير : (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) ، وانظر النزهة : ٥/٤٥ .

وقال زُرٌّ : كان ابنُ مسعودٍ يخطبُ ويقولُ : إنِّي لأحسبُ الشيطانَ يفرُّقُ من عُمرَ أن يُحدثَ حدثاً فيردّه ، وإنِّي أحسبُ عُمرَ بينَ عينيهِ ملكٌ يسدُّهُ ويقومُه (١) .

وقال أنسُ بنُ مالكٍ : قالَ لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أرحمُ أمّتي أبو بكر ، وأشدُّها في دينِ الله عُمرُ » (٢) .

العَدْلُ

١- العَدْلُ شأنه عَظِيمٌ :

عن الشَّعْبِيِّ ، قالَ مسروقٌ : لأنَّ أفتيَ يوماً بعدلٍ وحقٍّ ، أحبُّ إليَّ من أن أغزو سنَّةً (٣) .

٢- صُورَةٌ على إقامَةِ العَدْلِ :

ذَكَرَ الإمامُ الذهبيُّ في تَرْجَمَةِ السُّلْطَانِ العَزِيزِ ، عُثْمَانَ بنِ السُّلْطَانِ صَلاحِ الدِّينِ بنِ أَيُّوبَ ، قالَ ابنُ واصلٍ : وحُكِيَ عنه أنَّ عبدَ الكَرِيمِ ابنَ البِيسانِيِّ أخوا القَاضِي الفاضِلِ كانَ يَتولَّى البَهِيرَةَ مُدَّةً ، ووَقعَ بَينَهُ وبيْنَ أخِيهِ ، فَعزَلَ ، وكانَ مُرَوِّجاً بَينَ ابنِ مِيسِرَ ، فأساءَ عِشْرَتَها لِسوءِ حُلُقِهِ ، فَتَوَجَّهَ أبوها ، وأثبَتَ عندَ قَاضِي الإسْكَندَرِيَّةِ ضَرَرِها ، وأنَّهُ قد حَصَرَها في بَيتٍ ، فَمَضَى القَاضِي بِنَفْسِهِ ، ورامَ أنْ يَفْتَحَ عَنها ، فلمْ يَقْدِرْ ، فأحْضَرَ نَقاباً ، فَنَقَبَ البَيتَ ، وأجْرَجَها ، ثم سَدَّ النَّقَبَ ، فَهَاجَ عبدُ الكَرِيمِ ، وَقصدَ الأَميرَ جَهارَكَسَ بِمِصْرَ ، وقالَ : هَذهَ حَمسَةُ آلافِ دِينارِ لكَ ، وأرْبَعُونَ ألفَ دِينارٍ لِلسُّلْطَانِ ، وأولَّى قِضاءَ الإسْكَندَرِيَّةِ فَأتى العَزِيزَ لَيلًا ، وأحْضَرَ الذَّهَبَ ، فَسَكَتَ ، ثم قالَ : رُدُّ عليه مالُهُ ، وَقُلْ له : إِيَّاكَ والعودُ إلى مِثلِها ، فَمَا كُلُّ مَلِكٍ يَكُونُ عادِلًا ، أنا ما أبيعُ أَهلَ الإسْكَندَرِيَّةِ بِهَذا المَالِ قالَ جَهارَكَسُ : فوجَمْتُ ، وظَهَرَ عَلَيَّ ، فقالَ :

(١) انظر السير : (عُمرُ بنُ الحَطَّابِ) ، وانظر النزهة : ٦/٤٥ .

(٢) انظر السير : (عُمرُ بنُ الحَطَّابِ) ، وانظر النزهة : ٢/٤٦ .

(٣) انظر السير : (مسروق) ٦٣/٤-٦٩ ، وانظر النزهة : ٣/٤٤٥ .

أراك أخذت شيئاً ، قلتُ : نعم خمسة آلاف دينار ، قال : أعطاك مالاً ينفعُ مرّةً ، وأنا أُعطيك ما تتنفعُ به مرّاتٍ ، ثم وقع لي بإطلاقِ طنبذة^(١) كنتُ أستغلُّها سبعة آلاف دينار^(٢) .

٣- العدلُ المشوبُ بالمبالغةِ والجهلِ والشدةِ :

قال الإمامُ الذهبيُّ في ترجمةِ باديسِ بنِ حبّوس ، ملكِ غزناتِبةَ : وقفت له امرأةٌ عندَ بابِ البيرةِ فقالتُ : يا مولانا! ابني يعقُني ، فطلبه ، ودعا بالسيفِ ، فقالتُ المرأةُ : إنّما أردتُ تهديدهَ فقال : ما أنا بمعلمٍ كُتابٍ وأمر به فضربتُ عنقه^(٣) .

واستعملَ بعضَ أقاربه على بلدٍ ، فخرجَ يتصيّدُ ، فمرَّ بشيخٍ قريةَ فرغبَ في تشريفه بالضيافةِ ، فأنزله في أرضٍ فيها دُولابٌ وفواكه ، فبادرَ له بثريدٍ في لبنٍ وسُكَّر ، وقال : نأتي بعدُ بما تحبُّ فرماه برجله وضربَ الشيخَ ، ففرَّ الشيخُ ، وأتى البيرةَ ، فعرفَ الملكُ بما جرى عليه فقال : ارجعْ واضبرْ وواعده ، ثم جاءه بعدَ أيّامٍ في كَبْكَبَةٍ منهم خصمه فقدمَ الشيخُ للملكِ مثلَ ذلكِ الثريدِ ، فتناولوه وأكله واستطابه ، ثم قال : خذْ بئارك من هذا فاضربه فاستعظمَ الشيخُ ذلكَ ، فقال الملكُ : لا بُدَّ فضربه حتّى اقتصرَ منه ، فقال الملكُ لهذا حقٌّ لهذا ، بقِيَ حقُّ الله في إهانتهِ نعمتهِ ، وحقِّي في اجترأ العثمّال فضربَ عنقه ، وطيفَ برأسه حكاها اليسعُ بنُ حزم^(٤) .

وحكى اليسعُ بنُ حزمٍ أيضاً أنّ بعضَ أهلِ الباديةِ كانت له بنتٌ عمٌ بديعةُ الحسنِ فافتقرَ ، ونزحَ بها فصادفه في الطريقِ أميرٌ صنهاجيٌّ ، فأركبها شفقةً عليها ، ثم أسرعَ بها ، فلما وصلَ البدويُّ ، أتى دارَ الأميرِ ، فطرّدوه ، فقصدَ الملكُ باديسَ بنَ حبّوس ، فقال لذلك الأميرِ : اذفعْ إليه زوجته فأنكرَ فقال : يا بدويُّ! هل لك من شهيدٍ ولو كلباً يعرفُها؟ قال : نعم فدخلَ بكلبٍ له إلى الدارِ ، وأخرجتِ الحرْمُ ، فلما رآها

(١) اسم مكان .

(٢) انظر السير : (العزير) ٢١/٢٩١-٢٩٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٢٥ .

(٣) انظر السير : (باديس بن حبّوس) ١٨/٥٩٠-٥٩٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٤٤ .

(٤) انظر السير : (باديس بن حبّوس) ١٨/٥٩٠-٥٩٢ ، وانظر النزهة : ٤/١٤٤٤ .

الْكَلْبُ ، عَرَفَهَا وَبَصَّبَصَ فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِدَفْعِهَا إِلَى الْبَدَوِيِّ ، وَضَرَبَ عُنُقَ الْأَمِيرِ ، فَقَالَ الْبَدَوِيُّ : هِيَ طَالِقٌ لَكُونِهَا سَكَتَتْ وَرَضِيَتْ ، فَقَالَ الْمَلِكُ : صَدَقْتَ ، وَلَوْ لَمْ تُطَلِّقْهَا لِأَلْحَقْتِكَ بِهِ ثُمَّ أَمَرَ بِالْمَرْأَةِ فُقْتِلَتْ .

وامتدت أيامه ثم تملك غرناطة ابن أخيه عبد الله بن بلكين بن حبوس وبقي حتى أخذها منه يوسف بن تاشفين ، سنة بضع وثمانين وأربع مئة^(١) .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة الكامل بن العادل ، صاحب مصر : وكان عدله مشوباً بعسف ، شنع جماعة من الجند في بطيحة شعير^(٢) .

العقل

١- مجالسة العقلاء ثورث العقل الصحيح :

ذكر الإمام الذهبي في ترجمة الحافظ محمد بن نصر ، قيل : إنه كان أعلم الأئمة باختلاف العلماء على الإطلاق وقال أبو بكر بن إسحاق الصبغي ، وقيل له : ألا تنظر إلى تمكّن أبي عليّ الثقفى في عقله ؟ فقال : ذاك عقل الصحابة والتابعين من أهل المدينة قيل : وكيف ذلك ؟ قال : إن مالكا كان من أعقل أهل زمانه وكان يقال : صار إليه عقل الذين جالسهم من التابعين ، فجالسه يحيى بن يحيى النيسابوري ، فأخذ من عقله وسمته ، ثم جالس يحيى بن يحيى محمد بن نصر سنين ، حتى أخذ من سمته وعقله ، فلم ير بعد يحيى من فقهاء خراسان أعقل من ابن نصر ، ثم إن أبا عليّ الثقفى جالسه أربع سنين فلم يكن بعده أعقل من أبي عليّ^(٣) .

٢- مثال على العقلاء :

قال الإمام الذهبي : بلغنا أنّ يحيى بن يحيى الليثي كان عند مالك بن أنس رحمه الله ، فمرّ على باب مالك الفيلى ، فخرج كلٌّ من كان في مجلسه لرؤية الفيلى ،

(١) انظر السير : (باديس بن حبوس) ١٨/٥٩٠-٥٩٢ ، وانظر النزهة : ١/١٤٤٥ .

(٢) انظر السير : (الكامل) ٢٢/١٢٧-١٣١ ، وانظر النزهة : ١/١٦٧٦ .

(٣) انظر السير : (محمد بن نصر) ١٤/٣٣-٤٠ ، وانظر النزهة : ٢/١١٢٥ .

سَوَى يَحْيَى بْنِ يَحْيَى ، فَلَمْ يَقُمْ ، فَأَعْجِبَ بِهِ مَالِكٌ وَسَأَلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ وَأَيْنَ بَلَدُكَ ؟ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ بَعْدُ مُكْرِمًا لَهُ (١) .

٣- قَلَّةُ الْعَقْلِ ضَيَاعُ :

عن الإمام الشافعي : ضَيَاعُ الْعَالِمِ أَنْ يَكُونَ بِلَا إِخْوَانَ ، وَضَيَاعُ الْجَاهِلِ قَلَّةُ عَقْلِهِ ، وَأَضْيَعُ مِنْهُمَا مَنْ وَاحَى مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ (٢) .

العَفْوُ

١- ضَابِطُ فِي الْعَفْوِ :

رَوَى رَوْحُ بْنُ قَبِيصَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ الْمُهَلَّبُ : مَا شَيْءٌ أَبْقَى لِلْمَلِكِ مِنَ الْعَفْوِ ، خَيْرٌ مِنْاقِبِ الْمَلِكِ الْعَفْوُ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْعَفْوُ مِنَ الْمَلِكِ عَنِ الْقَتْلِ ، إِلَّا فِي الْحُدُودِ ، وَأَنْ لَا يَعْفُوَ عَنِ وَالٍ ظَالِمٍ ، وَلَا عَنِ قَاضٍ مُرْتَشٍ بَلْ يُعَجَّلُ بِالْعَزْلِ ، وَيُعَاقَبُ الْمُتَمَهِّمُ بِالسَّجْنِ ، فَحِلْمُ الْمُلُوكِ مَحْمُودٌ إِذَا مَا اتَّقَوْا اللَّهَ ، وَعَمِلُوا بِطَاعَتِهِ .
قِيلَ : تُوَفِّيَ الْمُهَلَّبُ غَازِيَا بَمَرَوَ الرَّوْذِي فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ .

وَوَلِيَّ خُرَاسَانَ بَعْدَهُ ابْنُهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ (٣) .

٢- الْحَثُّ عَلَى الْعَفْوِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، قَالَ أَبُو زُرْعَةَ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : كُلُّ مَنْ ذَكَرَنِي فِي حِلٍّ إِلَّا مُتَدَعًا ، وَقَدْ جَعَلْتُ أَبَا إِسْحَاقَ - يَعْنِي الْمُعْتَصِمَ - فِي حِلٍّ ، وَرَأَيْتُ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (٤) ،

(١) انظر السير : (يَحْيَى بْنُ يَحْيَى بْنِ كَثِيرٍ) ١٠/٥١٩-٥٢٥ ، وانظر النزهة : ٣/٨٩٠ .

(٢) انظر السير : (الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ) ١٠/٥-٩٩ ، وانظر النزهة : ٤/٨٤٩ .

(٣) انظر السير : (الْمُهَلَّبُ) ٤/٣٨٣-٣٨٥ ، وانظر النزهة : ٦/٥١٦ .

(٤) سورة النور ، الآية : ٢٢ .

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر بالعفو في قصة مسطح قال أبو عبد الله :
وما ينفَعُكَ أن يُعذَّبَ اللهُ أخاكَ المسلمَ في سَبِّكَ !!؟^(١) .

٣- قولٌ جميلٌ في العفو :

من كلام المُنتَصِر بالله العباسي بعد أن عفا عن أبي العَمَرَد الشاري : لَذَّة العفو
أعذبُ من لَذَّة التَّشْفِي ، وأقْبَحُ فِعَالِ المُقْتَدِر الانتِقَامُ .

قال المَسعودي : كان المُنتَصِرُ أظهرَ الإنصافَ في الرَّعيَّة ، فمالوا إليه مع شدَّة
هيبته .

قال الإمام الذهبيُّ مُعقَّباً : قلَّ ما وَقَعَ في دولته من الحوادثِ لِقَصْرِ المُدَّة ، وعاش
سِتّاً وعشرين سنةً ، سامحه اللهُ ومات سنة ثمانٍ وأربعين ومئتين فكانت خِلافته سِتَّة
أشهر وأياماً^(٢) .

٤- صوَرٌ على العفو :

قال أبو عَمَر بنُ عبد البرِّ : رَوينا أنَّ جاريةً لأُمِّ المؤمنين صَفِيَّة أتت عُمَرَ بنَ
الخطَّاب ، فقالت : إنَّ صَفِيَّة تُحِبُّ السَّبِّ ، وتصلُّ اليهودَ فَبِعَثَ عُمَرُ يسألُها فقالت :
أمَّا السَّبِّ ، فلمُ أَحِبَّهُ منذُ أبدلني اللهُ به الجُمعة ، وأمَّا اليهودُ ، فإنَّ لي فيهم رَحِماً ،
فأنا أصِلُّها ، ثم قالت للجارية : ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ ؟ قالت : الشَّيْطانُ قالت :
فاذهبي فأنتِ حُرَّة .

قال الإمام الذهبيُّ : تُوِفِّيت سنةَ خَمسين .

وكانت أُمُّ المؤمنين صَفِيَّة ذاتِ حِلْم ، ووقارٍ ، وقبرها بالبقيع^(٣) .

قال مُصعبُ الزُّبيريُّ : كان لابن عجلان قَدْرٌ وفضلٌ بالمدينة وكان مِمَّنْ خَرَجَ مع
مُحمَّد بن عبد الله ، فأراد جَعْفَر بنُ سُلَيْمانَ قَطَعَ يده ، فَسَمِعَ ضَجَّةً ، وكان عنده

(١) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزعة : ٣/٩٤٠ .

(٢) انظر السير : (المُنْتَصِر بالله) ١٢/٤٢-٤٦ ، وانظر النزعة : ٦/٩٧٩ .

(٣) انظر السير : (صَفِيَّة أُمُّ المؤمنين) ٢/٢٣١-٢٣٨ ، وانظر النزعة : ١/٢٥٢ .

الأكابرُ فقالَ : ما هذا ؟ قالوا هذه ضَجَّةُ أهلِ المدينةِ يدْعُونَ لابنِ عَجَلانَ فلو عَفَوْتَ عنه ؟ وإِنَّمَا غُرٌّ ، وأخطأَ في الروايةِ ظَنُّ أَنَّهُ المَهْدِيُّ ، فأطلقه وعفا عنه (١) .

قالَ ثُمَامَةُ بنُ أُشْرَسَ : قالَ لي المأمونُ : قد عَزَمْتُ على تَقْرِيعِ عَمِّي ، فحَضَرْتُ ، فجيءَ بإبراهيمَ بنِ المَهْدِيِّ مَغْلُولاً قد تَهَدَّلَ شَعْرُهُ في عَيْنِهِ ، فَسَلَّمَ ، فقالَ : المأمونُ : لا سَلَّمَ اللهُ عَلَيْكَ ، أَكْفُرًا بالنِّعْمَةِ وخُرُوجًا عَلَيَّ ؟ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ، إِنَّ القُدْرَةَ تَذْهَبُ الحَفِيظَةَ ، وَمَنْ مَدَّ لَه في الاغْتِرارِ هَجَمَتْ به الأناةُ على التَّلْفِ ، وقد رَفَعَكَ اللهُ فوقَ كُلِّ ذَنْبٍ كما وَضَعَ كُلَّ ذِي ذَنْبٍ دُونَكَ ، فَإِنْ تُعاقِبَ ، فبِحَقِّكَ ، وَإِنْ تَعَفُ فبِفَضْلِكَ قالَ : إِنَّ هَذاينِ - يَعْنِي ابْنَيْهِ العَبَّاسَ والمُعْتَصِمَ - يُشيرانِ بِقَتْلِكَ قالَ : أشارا عَلَيْكَ بما يُشارُ به على مِثْلِكَ في مِثْلِي ، والأَمْلُكُ عَقِيمٌ ، ولكن تَأبَى لَكَ أَنْ تَسْتَجِلبَ نَصراً من حَيْثُ عَوَدَكَ اللهُ ، وأنا عَمُّكَ ، والعَمُّ صنو الأبِ ، ويكئى ، فَتَغْرَغَرَتْ عَيْنَا المأمونِ ، وقالَ : خَلُّوا عن عَمِّي ، ثم أَحْضَرَهُ ، وناذَمَهُ ، وما زالَ به حَتَّى ضَرَبَ لَه بالعودِ (٢) .

وقيلَ إِنَّ أحمدَ بنَ خالدِ الوَزيزَ قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ، إِنَّ قَتْلَتَهُ ، فَلكَ نُظْرًا ، وَإِنْ عَفَوْتَ ، لَمْ يَكُنْ لَكَ نُظيرُ .

تُوفِّي إبراهيمُ بنُ المَهْدِيِّ في سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَتَيْنِ (٣) .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ في تَرْجَمَةِ الإمامِ أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ ، قالَ أبو زُرْعَةَ : وَسَمِعْتُهُ يقولُ : كُلُّ مَنْ ذَكَرَنِي ففِي حِلِّ إِلا مُبْتَدِعاً ، وقد جَعَلْتُ أبا إِسْحاقَ - يَعْنِي المُعْتَصِمَ - في حِلِّ ، ورأيتُ اللهُ يقولُ : ﴿ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِكُفْرِهِ ﴾ (٤) ، وأمرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكرٍ بالعَفْوِ في قِصَّةِ مِسْطَحَ قالَ أبو عبدِ اللهِ : وما يَنْفَعُكَ أَنْ يُعَذِّبَ اللهُ أَحْباكَ المُسلمِ في سَبِّكَ !!؟ (٥) .

(١) انظر السير : (محمد بن عَجَلان) ٦/٣١٧-٣٢٢ ، وانظر النزهة : ١/٦٥٤ .

(٢) انظر السير : (إبراهيم بن المَهْدِيِّ) ١٠/٥٥٧-٥٦١ ، وانظر النزهة : ٤/٨٩٣ .

(٣) انظر السير : (إبراهيم بن المَهْدِيِّ) ١٠/٥٥٧-٥٦١ ، وانظر النزهة : ١/٨٩٤ .

(٤) سورة النور ، الآية : ٢٢ .

(٥) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَلٍ) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٤٠ .

٥- سُؤَالُ اللَّهِ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ مُوسَى الْكَاطِمِ : دَخَلَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَجَدَ سَجْدَةً فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ وَهُوَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ : عَظَّمَ الذَّنْبُ عِنْدِي فَلِيَحْسُنِ الْعَفْوُ مِنْ عِنْدِكَ يَا أَهْلَ التَّقْوَى وَيَا أَهْلَ الْمَغْفِرَةِ فَجَعَلَ يُرَدِّدُهَا حَتَّى أَصْبَحَ ^(١) .

وَفِي طَبَقَاتِ السُّبُكِيِّ ^(٢) ، نَقْلًا عَنْ شَهْدَةِ بِنْتِ أَحْمَدَ ابْنِ الْفَرَجِ الْإِبْرِي قَالَتْ : سَمِعْتُ الْقَاضِي الْإِمَامَ عَزِيزِي بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ لَفْظِهِ سَنَةَ تِسْعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ ، وَيَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ افْعَلْ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ ، إِلَهِي أَذْنَبْتُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، وَأَمَنْتُ بِكَ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ ، فَكَيْفَ يَغْلِبُ بَعْضُ عُمْرِي مُذْنِبًا جَمِيعَ عُمْرِي مُؤْمِنًا إِلَهِي لَوْ سَأَلْتَنِي حَسَنَاتِي لَجَعَلْتَهَا لَكَ مَعَ شِدَّةِ حَاجَتِي إِلَيْهَا وَأَنَا عَبْدٌ ، فَكَيْفَ لَا أَرْجُو أَنْ تَهَبَ لِي سَيِّئَاتِي مَعَ غِنَاكَ عَنْهَا وَأَنْتَ رَبٌّ ، فَيَا مَنْ أَعْطَانِي خَيْرَ مَا فِي خَزَائِنِهِ ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِهِ قَبْلَ السُّؤَالِ لَا تَمْنَعْنَا أَوْسَعَ مَا فِي خَزَائِنِكَ وَهُوَ الْعَفْوُ مَعَ السُّؤَالِ ، إِلَهِي حُجَّتِي حَاجَتِي ، وَعُدَّتِي فَاقَتِي فَارْحَمْنِي ، إِلَهِي كَيْفَ أَمْتَنُ بِالذَّنْبِ مِنَ الدُّعَاءِ وَلَا أَرَاكَ تَمْنَعُ مَعَ الذَّنْبِ مِنَ الْعَطَاءِ ، فَإِنْ غَفَرْتَ فَخَيْرٌ رَاحِمٌ أَنْتَ وَإِنْ عَذَّبْتَ فَغَيْرُ ظَالِمٍ أَنْتَ إِلَهِي أَسْأَلُكَ تَذَلُّلاً فَأَعْطِنِي تَفَضُّلاً ^(٣) .

٦- أَعْظَمُ النَّاسِ عَفْوًا :

رَوَى الْعُتْبِيُّ عَنْ رَجُلٍ قَالَ : خَطَبَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ بِوَسِيطِ فَقَالَ : إِنَّ أَكْرَمَ النَّاسِ مَنْ أَعْطَى مَنْ لَا يَرْجُوهُ ، وَأَعْظَمَ النَّاسِ عَفْوًا مَنْ عَفَا عَنْ قُدْرَةٍ ، وَأَوْصَلَ النَّاسِ مَنْ وَصَلَ عَنْ قَطِيعَةٍ ^(٤) .

(١) انظر السير : (موسى الكاظم) ٦/ ٢٧٠-٢٧٤ ، وانظر النزهة : ٢/ ٦٥٠ .

(٢) طبقات السُّبُكِيِّ : ٥/ ٢٣٧ .

(٣) انظر النزهة : ١٤٧٢/ هامش (٣) .

(٤) انظر السير : (القسري) ٥/ ٤٢٥-٤٣٢ ، وانظر النزهة : ٥/ ٦١٨ .

الفِراسَة

صُورٌ عَلَى الْفِرَاسَةِ :

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمَةَ الْمُرَادِيُّ : نَظَرَ عُمَرُ إِلَى الْأَشْتَرِ ، فَصَعَدَ فِيهِ النَّظَرَ وَصَوَّبَهُ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذَا يَوْمًا عَصِيْبًا^(١) .

وقيل : إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ نَظَرَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَهُوَ غُلَامٌ فَقَالَ : هَذَا يَمْلِكُ الْعَرَبَ^(٢) .

وعن ابنِ سِيرِينَ ، قَالَ : حَجَّ بِنَا الْوَلِيدُ فَمَرَّ بِبِنَا عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَدَخَلَنَا عَلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَنَحْنُ سَبْعَةٌ وَوَلَدُ سِيرِينَ ، فَقَالَ لَهُ : هَؤُلَاءِ بَنُو سِيرِينَ ، فَقَالَ زَيْدٌ : هَٰذَانِ لِأُمِّ ، وَهَٰذَانِ لِأُمِّ ، وَهَٰذَانِ لِأُمِّ ، وَهَٰذَا مِنْ أُمَّ قَالَ : فَمَا أَخْطَأَ .

وقَالَ عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ : حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ عَطِيَّةَ : رَأَيْتُ ابْنَ سِيرِينَ قَصِيْرًا ، عَظِيمَ الْبَطْنِ ، لَهُ وَفْرَةٌ ، يَفْرُقُ شَعْرَهُ ، كَثِيرَ الْمِزَاحِ وَالضَّحِكِ ، يَخْضِبُ بِالْحِنَاءِ .

وعن ابنِ عَوْنٍ قَالَ : ثَلَاثَةٌ لَمْ تَرَ عَيْنَايَ مِثْلَهُمْ : ابْنُ سِيرِينَ بِالْعِرَاقِ ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِالْحِجَازِ ، وَرَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ بِالشَّامِ كَأَنَّهُمْ التَّقَوَّا فَتَوَاصَوْا^(٣) .

جَاءَ فِي تَرْجَمَتِهِ الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ الْعَبَّاسِيِّ ، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْمُحْسِنُ التَّنُوخِيُّ : بَلَغَنِي عَنْ الْمُعْتَضِدِ أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا فِي بَيْتِ يُنَيْئِي لَهُ فَرَأَى فِيهِمْ أَسْوَدَ مُنْكَرَ الْخِلْقَةِ يَصْعَدُ السَّلَامَ دَرَجَتَيْنِ دَرَجَتَيْنِ ، وَيَحْمِلُ ضِعْفَ مَا يَحْمِلُهُ غَيْرُهُ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ ، وَطَلَبَهُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ ، فَتَلَجَّلَجَّ فَكَلَّمَهُ ابْنُ حَمْدُونَ فِيهِ ، وَقَالَ : مَنْ هَذَا حَتَّى صَرَفْتَ فِكْرَكَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ وَقَعَ فِي خَلْدِي أَمْرٌ مَا أَحْسَبُهُ بِاطِلًا ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ ، فَضْرَبَ مِثَّةً ، وَتَهَدَّدَهُ بِالْقَتْلِ وَدَعَا بِالنَّطْعِ^(٤) وَالسَّيْفِ ، فَقَالَ : الْأَمَانُ ، أَنَا أَعْمَلُ فِي أَتُونِ الْأَجْرُ ، فَدَخَلَ مِنْ

(١) انظر السير : (الأشتر) / ٣٤-٣٥ ، وانظر النزهة : ٤/٤٣٦ .

(٢) انظر السير : (عبد الملك بن مروان) / ٤-٢٤٦-٢٤٩ ، وانظر النزهة : ٦/٤٨٩ .

(٣) انظر السير : (محمد بن سيرين) / ٤-٦٠٦-٦٢٢ ، وانظر النزهة : ١/٥٦٨ .

(٤) النطع : بفتح النون وكسرها ، وفتح الطاء وكسرها وسكونها : بساط من جلد ، كثيراً ما كان يُقتلُ فوقه المحكوم عليه بالقتل .

شُهور رَجُلٍ فِي وَسْطِهِ هِمِّيَانٌ^(١) ، فَأَخْرَجَ دَنَابِرَ فَوَيْبَتْ عَلَيْهِ ، وَسَدَدَتْ فَاهُ ، وَكَتَفَتْهُ وَأَلْقَيْتَهُ فِي الْأُتُونِ ، وَالذَّهَبُ مَعِيَ يَقْوَىٰ بِهِ قَلْبِي ، فَاسْتَحْضَرَهَا ، فَإِذَا عَلَى الْهِمِّيَانِ اسْمُ صَاحِبِهِ ، فَنُودِي فِي الْبَلَدِ ، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ : هُوَ زَوْجِي وَلِي مِنْهُ طِفْلٌ ، فَسَلَّمْتُ الذَّهَبَ إِلَيْهَا ، وَقَتَلَهُ^(٢) .

قَضَاءُ الْحَوَائِجِ وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ

١- عَدُوٌّ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ عَدِمَ التَّجَاءَ النَّاسِ إِلَيْهِ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ مِنَ الْمَصَائِبِ :

قَالَ الْأَضْمَعِيُّ : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ صَاحِبُ الْمَحَامِلِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ حَكِيمُ بْنُ حِرَامٍ : مَا أَصْبَحْتُ وَلَيْسَ بِيَابِي صَاحِبُ حَاجَةٍ ، إِلَّا عَلِمْتُ أَنَّهَا مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي أَسْأَلُ اللَّهَ الْأَجْرَ عَلَيْهَا^(٣) .

٢- قَاضِي حَاجَاتِ النَّاسِ حَبِيبٌ إِلَيْهِمْ :

قَالَ عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنْدِيُّ : لَعَهْدِي بِالكَرْخِ ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : ابْنُ أَبِي دُوَادٍ مُسَلِّمٌ لَقُتِلَ ، ثُمَّ وَقَعَ الْحَرِيقُ فِي الْكَرْخِ ، فَلَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ قَطُّ فَكَلَّمَ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ الْمُعْتَصِمَ فِي النَّاسِ ، وَرَفَّقَهُ إِلَى أَنْ أُطْلِقَ لَهُ خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَتَسَمَّهَا عَلَى النَّاسِ ، وَغَرِمَ مِنْ مَالِهِ جُمْلَةً فَلَعَهْدِي بِالكَرْخِ وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا ، قَالَ : زُرُّ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادٍ وَسِخِّ لِقَتْلِهِ^(٤) .

٣- كَلَامٌ جَمِيلٌ فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ :

قَالَ عَبَّاسُ بْنُ عُمَرَ ، سَمِعْتُ أَبَا عُمَرَ الزَّاهِدَ ، يَقُولُ : تَرَكَ قَضَاءَ حُقُوقِ الْإِخْوَانِ مَذَلَّةً ، وَفِي قَضَاءِ حُقُوقِهِمْ رِفْعَةً^(٥) .

(١) الهميان : كيسٌ للنفقة يُشدُّ في الوسط .

(٢) انظر السير : (المعتضد بالله) ٤٦٣/١٣-٤٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/١١٠٣ .

(٣) انظر السير : (حكيم بن حرام) ٤٤/٣-٥١ ، وانظر النزهة : ٢/٣٣١ .

(٤) انظر السير : (أحمد بن أبي دواد) ١٦٩/١١-١٧١ ، وانظر النزهة : ٤/٩٢٠ .

(٥) انظر السير : (أبو عمر الزاهد) ٥٠٨/١٥-٥١٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٥٥ .

٤- صُوْرٌ عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ زُبَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ : بَلَّغْنَا عَنْ زُبَيْدٍ أَنَّهُ كَانَ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةٌ مَطِيرَةً طَافَ عَلَى عَجَائِزِ الْحَيِّ ، وَيَقُولُ : أَلَكُمُ فِي السُّوقِ حَاجَةٌ؟^(١)

قَالَ عَبَّاسُ بْنُ عُمَرَ ، سَمِعْتُ أَبَا عُمَرَ الرَّاهِدَ ، يَقُولُ : تَرَكَ قَضَاءَ حُقُوقِ الْإِخْوَانِ مَذَلَّةً ، وَفِي قَضَاءِ حُقُوقِهِمْ رِفْعَةً^(٢) .

دَعْلَجٌ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ : هُوَ دَعْلَجُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ دَعْلَجِ الْمُحَدِّثِ ، الْحُجَّةُ الْفَقِيهُ الْإِمَامُ ، أَبُو مُحَمَّدٍ السُّجِسْتَانِيُّ ، ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ النَّاجِرُ ، ذُو الْأَمْوَالِ الْعَظِيمَةِ .

وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ أَوْ قَبْلَهَا بِقَلِيلٍ وَسَمِعَ بَعْدَ الثَّمَانِينَ مَا لَا يُوصَفُ كَثْرَةً بِالْحَرَمَيْنِ ، وَالْعِرَاقِ ، وَخُرَاسَانَ ، وَالنَّوَاحِي حَالَ جَوْلَانِهِ فِي التِّجَارَةِ^(٣) .

قَالَ الْخَطِيبُ : كَانَ دَعْلَجٌ مِنْ ذَوِي الْيَسَارِ ، لَهُ وَقُوفٌ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ .

وَقَالَ الْخَطِيبُ : حَكَى لِي أَبُو الْعَلَاءِ الْوَاسِطِيُّ ، أَنَّ دَعْلَجًا سُئِلَ عَنْ مُفَارَقَتِهِ مَكَّةَ ، فَقَالَ : خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَتَقَدَّمَ ثَلَاثَةَ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَقَالُوا : أَخْ لَكَ مِنْ خُرَاسَانَ قَتْلَ أَخَانَا ، فَنَحْنُ نَقْتُلُكَ بِهِ ، فَقُلْتُ : اتَّقُوا اللَّهَ ، فَإِنَّ خُرَاسَانَ لَيْسَتْ بِمَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَلَمْ أَزَلْ بِهِمْ إِلَى أَنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ وَخَلُّوا عَنِّي فَهَذَا كَانَ سَبَبُ انْتِقَالِي إِلَى بَغْدَادٍ وَكَانَ يَقُولُ : لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُ دَارِي ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُ بَغْدَادَ ، وَلَا بِبَغْدَادَ مِثْلُ مَحَلَّةِ الْقَطِيعَةِ ، وَلَا فِي الْقَطِيعَةِ مِثْلُ دَرْبِ أَبِي خَلْفٍ ، وَلَيْسَ فِي الدَّرْبِ مِثْلُ دَارِي^(٤) .

وَنَقَلَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ حِكَايَةَ مُفْتَضَاهَا أَنَّ رَجُلًا صَلَّى الْجُمُعَةَ فَرَأَى رَجُلًا مَتَسِّكًا

(١) انظر السير : (زُبَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ) ٢٩٦/٥ - ٢٩٨ ، وانظر النزهة : ٣/٦٠٥ .

(٢) انظر السير : (أَبُو عُمَرَ الرَّاهِدِ) ٥٠٨/١٥ - ٥١٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٥٥ .

(٣) انظر السير : (دَعْلَجٌ) ٣٥ - ٣٠/١٦ ، وانظر النزهة : ١/١٢٦٦ .

(٤) انظر السير : (دَعْلَجٌ) ٣٥ - ٣٠/١٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٦٦ .

لم يُصلِّ ، فكَلَّمَهُ ، فقال : اسْتُرْ عَلِيَّ ، لدَعَلَجِ عَلِيٍّ خَمْسَةَ آلَافٍ ، فلَمَّا رَأَيْتَهُ أَحَدَتْ ، فبلغَ ذلكَ دَعَلَجًا ، فطلبَه إلى مَنزِلِهِ ، وحلَّه من المالِ ، ووصَلَه بمثلِها لكَوْنِهِ رَوَّعَهُ (١) .

وقال أحمدُ بنُ الحُسَيْنِ الوَاعِظُ : أودَعَ أبو عبد الله بنُ أبي موسى الهاشِمِيُّ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ لِيَتِيمٍ ، فضاقتَ يَدُهُ فَأُنْفَقَهَا وَكَبِرَ الصَّبِيُّ ، وأُذِنَ لَهُ فِي قَبْضِ مَالِهِ ، قال ابنُ أبي موسى : فضاقتَ عليَّ الأرضُ ، وتَحَيَّرْتُ ، فبَكَرْتُ عَلِيَّ بَغْلَتِي ، وقصدتُ الكَرْخَ فانتَهتُ بي البَغْلَةُ إلى دَرْبِ السُّلُولِيِّ ووقفتُ بي عليَّ بابِ مَسْجِدِ دَعَلَجٍ ، فدخلتُ فصَلَّيتُ خَلْفَهُ الفَجْرَ ، فلَمَّا انْفَتَلَ رَحَّبَ بي ، وقُمنَا فدخَلنا دَارَهُ ، فقدمتُ لنا هَرِيسَةً ، فأكلتُ وقصَّرتُ ، فقال : أراك مُتَقَبِّضًا ، فأخبرتُه ، فقال : كُلْ فَإِنَّ حَاجَتَكَ تُقْضَى ، فلَمَّا فرغنا ، استدعى بالذَّهَبِ والمِيزَانِ ، فوزنَ لي عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ وقمتُ أُطِيرُ فَرَحًا ، ثم سلَّمتُ المالَ إلى الصَّبِيِّ بحضرةِ قاضي القضاةِ ، وعظَّم الشُّنَاءَ عَلَيَّ ، فلَمَّا عدتُ إلى مَنزِلِي استدعاني أميرٌ من أولادِ الخَلِيفَةِ فقال : قد رَغبتُ في مُعامَلَتِكَ وتضمينِكَ أُملاكِي ، فضممتُها فربحتُ في سِتِّي ربحًا عَظِيمًا وكسبتُ في ثلاثِ سنينِ ثلاثين ألفَ دينارٍ ، وحملتُ لدَعَلَجِ المالَ ، فقال : سُبْحَانَ اللَّهِ ، والله ما نويتُ أخذها ، حلَّ بها الصَّبِيانَ ، فقلتُ : أيُّها الشَّيْخُ ، أيشُ أصلُ هذا المالِ حتى تهبَ لي عشرةَ آلَافِ دينارٍ ؟ فقال : نشأتُ ، وحفظتُ القرآنَ ، وطلبتُ الحديثَ ، وكنتُ أتَبزَّرُ ، فوفاني تاجرٌ من البَحْرِ فقال : أنتَ دَعَلَجٌ ؟ قلتُ : نَعَمْ قال : قد رَغبتُ في تسليمِ مالي إليك مُضارَبَةً ، فسَلَّم إليَّ برنامجاتٍ بألفِ درهمٍ ، وقال لي : ابسُطْ يَدَكَ فيه ولا تعلمَ مكانًا يُنْفَقُ فيه المَتاعُ إلا حَمَلتَه ، ولم يزلُ يتردَّدُ إليَّ سَنَةً بعدَ سَنَةٍ يَحْمِلُ إليَّ مثلَ هذا والبضاعةُ تَمَيُّ ثم قال : أنا كثيرُ الأسفارِ في البَحْرِ ، فإن هَلَكْتُ فهذا المالُ لكَ عليَّ أن تصدَّقَ منه ، وتبني المساجدَ ، فأنا أفعلُ مثلَ هذا ، وقد ثَمَّرَ اللهُ تعالى المالَ في يَدِي ، فاكْتُم عليَّ ما عِشتُ .

(١) انظر السير : (دَعَلَج) ١٦/٣٠-٣٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٦٦ .

قال الحاكمُ : كان السُّلطانُ لا يتعرَّضُ لتركَةِ ، ثم لم يصبرُ عن أموالِ دَعْلَجِ ،
وقيلَ : لم يكن في الدنيا أيسرُ منه من التُّجَّارِ ، وتركوا أوقافه ، رحمه الله .
مات سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة (١) .

المُنيعي :

قال الإمامُ الذهبيُّ في ترجمته : الشيخُ الجليلُ ، الحاجُّ الرئيسُ أبو عليِّ حَسَّانُ بنُ
سعيد بنِ حَسَّان بنِ محمَّد بنِ أحمد بنِ عبد الله بنِ محمَّد ابنِ مَنيع بنِ خالد بنِ
عبد الرحمن بنِ سيفِ الله خالد بنِ الوليد المَخزوميِّ ، الخالديِّ ، المُنيعيِّ
المَرورُوديِّ .

قال عبد الغافرِ : هو شيخُ الإسلامِ المحمودُ بالخصالِ السنيَّةِ ، عمُّ الآفاقِ بخيره
وبرِّه ، وكان في شبابه تاجراً ، ثم عَظُمَ حتَّى كان من المُخاطَبين من مجالسِ
السُّلَّاطين ، لم يستغنوا عن رأيه فرغِبَ إلى الخيراتِ ، وأنابَ إلى التَّقوى ، وبني
المساجِدَ والرِّباطاتِ وجامعَ مَرورِ الرُّوذِ ، يَكسُو في الشتاءِ نَحْواً من ألفِ نفسٍ ، وسعى
في إبطالِ الأعشارِ عن بلده ، ورفعَ الوظائفِ عن القرى ، واستدعى صدقةً عامَّةً على
أهلِ البلدِ غنيهم وفقيرهم ، فتدفعُ إلى كُلِّ واحدٍ خمسةَ دراهمٍ ، وكان ذا تهجدٍ وصيامٍ
واجتهادٍ (٢) .

قال الإمامُ الذهبيُّ في ترجمته المُنيعيِّ : قيلَ : إنَّ امرأةً أتتهُ بثوبٍ ليُنْفِقَ ثمنه في بناءِ
الجامعِ ، يُساوي نصفَ دينارٍ ، فاشتراه منها بألفِ دينارٍ ، وسلَّمتُ المَالَ إلى الخازنِ
لإنفاقه وخبأ الثوبَ كَفناً له (٣) .

وجاء في ترجمته المُنيعيِّ ، وقيلَ : مرَّ السُّلطانُ ببابِ مسجده ، فنزلَ مُراعاةً ،
وسلَّمَ عليه ومناقبةً جمَّةً .

(١) انظر السير : (دَعْلَج) ١٦/٣٠-٣٥ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٦٦ .

(٢) انظر السير : (المُنيعي) ١٨/٢٦٢-٢٦٤ ، وانظر النزهة : ١٤١٠/المُنيعي .

(٣) انظر السير : (المُنيعي) ١٨/٢٦٢-٢٦٤ ، وانظر النزهة : ١/١٤١١ .

مات سنة ثلاث وستين وأربع مئة (١) .

٥- واسطة الخير :

قال الإمام الذهبي في ترجمة الأحنف بن قيس : وقيل : إنه كَلَّمَ مُصْعَباً في محبوسين وقال : أضح الله الأمير ، إن كانوا حُبِسوا في باطل ، فالعدل يسعهم ، وإن كانوا حُبِسوا في حق ، فالعفو يسعهم (٢) .

وقيل : دخل ابن السمّك على رئيس في شفاعة لفقير فقال : إنني أتيتك في حاجة ، والطالب والمُعطي عزيزان إن قضيت الحاجة ، وذليلان إن لم تقض ، فاختر لنفسك عزّ البذل عن ذلّ المنع ، وعزّ النجح عن ذلّ الردّ (٣) .

وقال السيف أحمد بن المجد الحافظ : سمعت أحمد بن سلامة النجار يقول : أراد عبد الغني وعبد القادر الحافظان سماع كتاب اللالكائي ، يعني شرح السنة ، على السلفي ، فأخذ يتعلل عليهما مرة ، ويدافعهم عنه أخرى بأصل السماع ، حتى كَلَّمته امرأته في ذلك .

قال الإمام الذهبي مُعقّباً : ما أظنه حدّث بالكتاب بلّى حدّث منه بكرامات الأولياء .

وتوفي الحافظ السلفي في يوم الجمعة سنة ست وسبعين وخمس مئة ولم يزل يُقرأ عليه الحديث يوم الخميس إلى أن غربت الشمس من ليلة وفاته ، وهو يرُدُّ على القاريء اللحن الخفي ، وصلّى يوم الجمعة الصبح عند انفجار الفجر ، وتوفي بعدها فجأة وقبره معروف بظاهر الإسكندرية وكان يطأ أهله ويتمتع وإلى قريب وفاته ، وإنما تزوج وقد أسن بعد سنة خمسين وخمس مئة (٤) .

(١) انظر السير : (المتبعي) ١٨/٢٦٢-٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٤١١ .

(٢) انظر السير : (الأحنف بن قيس) ٤/٨٦-٩٧ ، وانظر النزهة : ٢/٤٥٣ .

(٣) انظر السير : (ابن السمّك) ٨/٣٢٨-٣٣٠ ، وانظر النزهة : ٦/٧٦١ .

(٤) انظر السير : (السلفي) ٢١/٥-٣٩ ، وانظر النزهة : ٥/١٥٩٣ .

٦- صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تُرَيْنُ مَنْ قُبِحَ :

قَالَ عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَنْدِيُّ : لَعَهْدِي بِالكَرْخِ ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : ابْنُ أَبِي دُوَادٍ مُسْلِمٌ لُقُتِلَ ، ثُمَّ وَقَعَ الْحَرِيقُ فِي الْكَرْخِ ، فَلَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ قَطُّ فَكَلَّمَ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ الْمُعْتَصِمَ فِي النَّاسِ ، وَرَفَّقَهُ إِلَى أَنْ أُطْلِقَ لَهُ خَمْسَةَ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَقَسَمَهَا عَلَى النَّاسِ ، وَغَرِمَ مِنْ مَالِهِ جُمْلَةً فَلَعَهْدِي بِالكَرْخِ وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا قَالَ : زُرُّ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادٍ وَسِخٌ لُقُتِلَ (١) .

٧- صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تُثْمَرُ حَتَّىٰ مَعَ الْبَهَائِمِ :

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، حَدَّثَنَا عَارِمٌ ، قَالَ : أَتَيْتُ أَبَا مَنْصُورٍ أَعُوذُهُ ، فَقَالَ لِي : بَاتَ سُفْيَانُ فِي هَذَا الْبَيْتِ ، وَكَانَ هُنَا بُلْبُلٌ لِابْنِي ، فَقَالَ : مَا بَالُ هَذَا مَحْبُوسًا ؟ لَوْ حُلِّيَ عَنْهُ قُلْتُ : هُوَ لِابْنِي ، وَهُوَ يَهْبُهُ لَكَ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أُعْطِيَهِ دِينَارًا قَالَ : فَأَخَذَهُ ، فَحَلَّىٰ عَنْهُ ، فَكَانَ يَذْهَبُ وَيَرْعَىٰ ، فَيَجِيءُ بِالْعَشِيِّ ، فَيَكُونُ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ ، فَلَمَّا مَاتَ سُفْيَانُ ، تَبَعَ جَنَازَتَهُ ، فَكَانَ يَضْطَرُّبُ عَلَىٰ قَبْرِهِ ، ثُمَّ اخْتَلَفَ بَعْدَ ذَلِكَ لِابْنِي إِلَىٰ قَبْرِهِ ، فَكَانَ رُبَّمَا بَاتَ عَلَيْهِ ، وَرُبَّمَا رَجَعَ إِلَىٰ الْبَيْتِ ، ثُمَّ وَجَدُوهُ مَيِّتًا عِنْدَ قَبْرِهِ ، فَدُفِنَ عِنْدَهُ (٢) .

٨- الْمَعْرُوفُ النَّامُ :

عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ الْفَرَاتِ أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ قَالَ : لَا يَتِيمٌ الْمَعْرُوفُ إِلَّا بِثَلَاثَةٍ : بِتَعْجِيلِهِ ، وَتَصْغِيرِهِ ، وَسِتْرِهِ (٣) .

(١) انظر السير : (أحمد بن أبي دواد) ١٦٩/١١-١٧١ ، وانظر النزهة : ٤/٩٢٠ .

(٢) انظر السير : (سفيان الثوري) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٧/٦٩٨ .

(٣) انظر السير : (جعفر بن محمد) ٦/٢٥٥-٢٧٠ ، وانظر النزهة : ٣/٦٤٨ .

كتمانُ الأعمالِ الصَّالحةِ

١- الحثُّ على كتمانِ الأعمالِ الصَّالحةِ :

كان أيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ يَقُولُ : لِيَتَّقِ اللهُ رَجُلٌ فَإِنْ زَهَدَ ، فَلَا يَجْعَلَنَّ زُهْدَهُ عَذَاباً عَلَى النَّاسِ ، فَلَأَنْ يُخْفِيَ الرَّجُلُ زُهْدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُعْلِنَهُ (١) .

وعن أبي حازمٍ قَالَ : اكْتُمُ حَسَنَاتِكَ ، كَمَا تَكْتُمُ سَيِّئَاتِكَ .

وقَالَ ابنُ سَعْدٍ : كَانَ أَبُو حَازِمٍ يَقْضُ بَعْدَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْعَصْرِ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ ، وَمَاتَ فِي خِلَافَةِ أَبِي جَعْفَرٍ ، بَعْدَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَمِئَةٍ ، قَالَ : وَكَانَ ثِقَةً كَثِيرَ الْحَدِيثِ (٢) .

وعن بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ : لَا تَعْمَلْ لِتُذَكَّرَ ، اكْتُمِ الْحَسَنَةَ كَمَا تَكْتُمُ السَّيِّئَةَ (٣) .

٢- صُوْرٌ عَلَى كتمانِ الأعمالِ الصَّالحةِ :

قَالَ مُغِيرَةُ : كَانَ لَشُرَيْحِ الْقَاضِي بَيْتٌ يَخْلُو فِيهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، لَا يَدْرِي النَّاسُ مَا يَصْنَعُ فِيهِ .

وقِيلَ : كَانَ شُرَيْحٌ قَائِماً عَائِفاً ، أَي : يَزْجُرُ الطَّيْرَ ، وَيُصِيبُ الْحَدْسَ (٤) .

وعن سلام قَالَ : كَانَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ يَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ فَيُخْفِي ذَلِكَ ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ رَفَعَ صَوْتَهُ كَأَنَّهُ قَامَ تِلْكَ السَّاعَةَ (٥) .

وَكَانَ أَيُّوبُ مِمَّنْ يُخْفِي زُهْدَهُ دَخَلْنَا عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ عَلَى فِرَاشٍ مُخَمَّسٍ أَحْمَرٍ ، فَرَفَعْتُهُ ، أَوْ رَفَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا ، فَإِذَا خَصَفَهُ مَحْشُوءَةً بَلِيْفٍ (٦) .

- (١) انظر السير : (أيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ) ٦/١٥-٢٦ ، وانظر النزهة : ٦٢٦/٦ .
- (٢) انظر السير : (أبو حازم) ٦/٩٦-١٠٣ ، وانظر النزهة : ٦٣٧/٩ .
- (٣) انظر السير : (بَشْرِ بْنُ الْحَارِثِ) ١٠/٤٦٩-٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٨٨٦/١١ .
- (٤) انظر السير : (شُرَيْحِ الْقَاضِي) ٤/١٠٠-١٠١ ، وانظر النزهة : ٤٥٧/٤ .
- (٥) انظر السير : (أيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ) ٦/١٥-٢٦ ، وانظر النزهة : ٦٢٦/٢ .
- (٦) انظر السير : (أيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ) ٦/١٥-٢٦ ، وانظر النزهة : ٦٢٦/٧ .

قَالَ الْفَلَّاسُ : سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي عَدِي يَقُولُ : صَامَ دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَعْلَمُ بِهِ أَهْلُهُ كَانَ خَزَّارًا يَحْمِلُ مَعَهُ غَدَاءَهُ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ فِي الطَّرِيقِ (١) .

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِي : قُلْتُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ : إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمٍ مِمَّنْ سَمِعَ ؟ قَالَ : قَدْ سَمِعَ مِنَ النَّاسِ ، وَلَهُ فَضْلٌ فِي نَفْسِهِ ، صَاحِبُ سَرَائِرٍ وَمَا رَأَيْتُهُ يُظْهِرُ تَسْبِيحًا ، وَلَا شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ ، وَلَا أَكَلَ مَعَ قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا كَانَ آخِرَ مَنْ يَرْفَعُ يَدَهُ (٢) .

وَقَالَ نَعِيمُ بْنُ حَمَّادٍ ، سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا ارْتَفَعَ مِثْلَ مَالِكٍ لَيْسَ لَهُ كَثِيرٌ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ سَرِيرَةٌ (٣) .

وَعَنِ الْخُرَيْبِيِّ ، قَالَ : كَانُوا يَسْتَحَبُّونَ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ خَبِيئَةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ لَا تَعْلَمُ بِهِ زَوْجَتُهُ وَلَا غَيْرُهَا (٤) .

النُّصْحُ

١- النُّصْحُ لِعَامَّةِ النَّاسِ :

قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الثَّقَفِيُّ ، سَمِعْتُ بَكْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ : لَوْ قِيلَ لِي : خُذْ بِيَدِ خَيْرِ أَهْلِ الْمَسْجِدِ ، لَقُلْتُ : دُلُّونِي عَلَى أَنْصَحِهِمْ لِعَامَّتِهِمْ ، فَإِذَا قِيلَ : هَذَا ، أَخَذْتُ بِيَدِهِ ، وَلَوْ قِيلَ لِي : خُذْ بِيَدِ شَرِّهِمْ ، لَقُلْتُ : دُلُّونِي عَلَى أَعْشَمِهِمْ لِعَامَّتِهِمْ ، وَلَوْ أَنْ مُنَادِيًا نَادَى مِنَ السَّمَاءِ : إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْكُمْ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، لَكَانَ يَنْبَغِي لِكُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَلْتَمِسَ أَنْ يَكُونَ هُوَ ، وَلَوْ أَنْ مُنَادِيًا نَادَى : إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ مِنْكُمْ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ لَكَانَ يَنْبَغِي لِكُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَفْرُقَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْوَاحِدَ (٥) .

- (١) انظر السير : (داؤد بن أبي هند) ٣٧٦-٣٧٩ ، وانظر النزهة : ٢ / ٩٥٦ .
- (٢) انظر السير : (إبراهيم بن أدّهم) ٣٨٧ / ٧ - ٣٩٦ ، وانظر النزهة : ٥ / ٧٠٧ .
- (٣) انظر السير : (مالك الإمام) ٤٨ / ٨ - ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٧ / ٧٣٣ .
- (٤) انظر السير : (الخُرَيْبِيُّ) ٣٤٦ / ٩ - ٣٥٢ ، وانظر النزهة : ٥ / ٨٢٧ .
- (٥) انظر السير : (بكر بن عبد الله) ٥٣٢ - ٥٣٦ ، وانظر النزهة : ٢ / ٥٥١ .

٢- طَلَبُ النَّصِيحَةِ :

عن جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ : قَالَ لِي مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : يَا جَعْفَرُ قُلْ لِي فِي وَجْهِهِ مَا أَكْرَهُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَنْصَحُ أَخَاهُ حَتَّى يَقُولَ لَهُ فِي وَجْهِهِ مَا يَكْرَهُ (١) .

قِيلَ : إِنَّ الْإِمَامَ الرَّفَاعِيَّ أَقْسَمَ عَلَى أَصْحَابِهِ إِنْ كَانَ فِيهِ عَيْبٌ يُنَبِّهُونَهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ الشَّيْخُ عُمَرُ الْفَارُوقِيُّ : يَا سَيِّدِي أَنَا أَعْلَمُ فَيْكَ عَيْبًا قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : يَا سَيِّدِي عَيْبُكَ أَنَّنَا مِنْ أَصْحَابِكَ فَبَكَى الشَّيْخُ وَالْفُقَرَاءُ ، وَقَالَ - أَيُّ عُمَرُ - : إِنْ سَلِمَ الْمَرْكَبُ ، حَمَلَ مَنْ فِيهِ (٢) .

٣- الاستجابة للنصيحة :

عن عَلْقَمَةَ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَجَاءَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا ، فِي يَدِهِ خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقَالَ : أَكُلُّ هَلْوَءٍ يَقْرَءُونَ كَمَا تَقْرَأُ ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنْ شِئْتَ أَمَرْتُ بَعْضَهُمْ يَقْرَأُ ، قَالَ : أَجَلٌ ، فَقَالَ : أَقْرَأُ يَا عَلْقَمَةَ ! فَقَالَ فَلَانٌ : أَتَأْمُرُهُ أَنْ يَقْرَأَ وَلَيْسَ بِأَقْرَبْنَا ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنْ شِئْتَ حَدِّثْتُكَ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْمِهِ وَقَوْمِكَ ، قَالَ عَلْقَمَةُ : فَقَرَأْتُ خَمْسِينَ آيَةً مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : مَا قَرَأَ إِلَّا كَمَا أَقْرَأْتُمْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَلَمْ يَأْنِ لِهَذَا الْخَاتَمِ أَنْ يُطْرَحَ ؟ فَتَزَعَهُ ، وَرَمَى بِهِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا تَرَاهُ عَلَيَّ أَبَدًا (٣) .

وعن أَبِي الْفَيْضِ ، سَمِعَ أَبَا حَفْصَ الْحَمْصِيَّ يَقُولُ : أَعْطَى مُعَاوِيَةَ الْمِقْدَادَ حِمَارًا مِنْ الْمَغْنَمِ ، فَقَالَ : الْعَرَبِيَّاتُ بِنُ سَارِيَةَ : مَا كَانَ لَكَ أَنْ تَأْخُذَهُ ، وَلَا لَهُ أَنْ يُعْطِيَكَ ، كَأَنِّي بَكَ فِي النَّارِ تَحْمِلُهُ فَرْدَهُ .

تُوفِّي الْعَرَبِيَّاتُ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ (٤) .

-
- (١) انظر السير : (مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ) ٧١/٥ - ٧٨ ، وانظر النزهة : ٤/٥٨٢ .
 - (٢) انظر السير : (الرَّفَاعِيَّ) ٧٧/٢١ - ٨٠ ، وانظر النزهة : ١/١٦٠١ .
 - (٣) انظر السير : (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ) ٤٦١/١ - ٥٠٠ ، وانظر النزهة : ١/١٩٤ .
 - (٤) انظر السير : (الْعَرَبِيَّاتُ بِنُ سَارِيَةَ) ٤١٩/٣ - ٤٢٢ ، وانظر النزهة : ٣/٤٠٥ .

الهمة

١- من نوع الهَمَم :

من كلام أحمد بن حُضْرَوَيْهِ : القلوبُ جِوَالَةٌ ، فإمَّا أن تَجُولَ حَوْلَ العَرْشِ ، وإمَّا أن تَجُولَ حَوْلَ العُشِّ .

قيل إنه توفِّي سنة أربعين ومثتين (١) .

٢- الهمةُ العالِيَةُ في طلبِ العِلْمِ :

قال سَعِيدُ بنُ المُسَيَّبِ : إن كُنْتُ لَأَسِيرُ الأَيَّامَ والليالي في طلبِ الحديثِ الواحدِ (٢) .

قال مَعْمَرُ : أقامَ قَتَادَةُ عندَ سَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ ثمانيةَ أَيَّامٍ ، فقالَ له في اليومِ الثالثِ : ازْتَحِلْ يا أعمى فقد أنزفتني (٣) ، (٤) .

وعن مطرِ الوَرَّاقِ ، قالَ : ما زالَ قَتَادَةُ مُتَعَلِّماً حتَّى مات .

قال أبو هلال : قالوا لقتادة : نكتبُ ما نسمعُ منك ؟ قالَ : وما يَمْنَعُكَ أن تَكْتُبَ ، وقد أَخْبَرَكَ اللطيفُ الخبيرُ أَنَّهُ يَكْتُبُ ، فقالَ : ﴿ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ﴾ (٥) ، (٦) .

وقال الإمامُ أحمدُ : كانَ قَتَادَةُ أَحْفَظَ أَهْلِ البَصْرَةِ ، لا يَسْمَعُ شَيْئاً إِلاَّ حَفَظَهُ ، فُرىَ عليه صحيفَةٌ جابرٍ مرَّةً واحدةً فحفظها (٧) .

وعن ابنِ جُرَيْجٍ قالَ : أقمْتُ على عطاءِ إحدَى وعشرينَ حجَّةً ، يَخْرُجُ أبواي إلى

(١) انظر السير : (أحمدُ بنُ حُضْرَوَيْهِ) ٤٨٧/١١ - ٤٨٩ ، وانظر النزهة : ١/٩٦٢ .

(٢) انظر السير : (سَعِيدُ بنُ المُسَيَّبِ) ٢١٧/٤ - ٢٤٦ ، وانظر النزهة : ٨/٤٨٢ .

(٣) أي : أخذت مني علمي كله ولم يبق منه شيءٌ ، يُقالُ : نزلت ماء البئر نزفاً : إذا نزحته كله .

(٤) انظر السير : (قَتَادَةُ) ٢٦٩/٥ - ٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٥/٦٠١ .

(٥) سورة طه ، الآية : ٥٢ .

(٦) انظر السير : (قَتَادَةُ) ٢٦٩/٥ - ٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٥/٦٠٢ .

(٧) انظر السير : (قَتَادَةُ) ٢٦٩/٥ - ٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٣/٦٠٣ .

الطَّائِفِ وَأَقِيمُ أَنَا تَخَوُّفًا أَنْ يَنْجَعَنِي عَطَاءٌ بِنَفْسِهِ قَالَ بَعْضُ الْحُقَاطِ : لِابْنِ جُرَيْجٍ نَحْوُ
مِنْ أَلْفِ حَدِيثٍ - يَعْنِي الْمَرْفُوعَ - وَأَمَّا الْأَثَارُ وَالْمَقَاتِيعُ وَالتَّفْسِيرُ ، فَشَيْءٌ كَثِيرٌ ^(١) .

وَقَالَ فَضَيْلُ بْنُ غَزْوَانَ : كُنَّا نَجْلِسُ أَنَا وَابْنُ شُبْرُمَةَ ، وَالْحَارِثُ بْنُ يَزِيدِ الْعَكْلِيُّ ،
وَالْمُعِيرَةُ ، وَالْقَعْقَاعُ بْنُ يَزِيدٍ بِاللَّيْلِ نَتَذَاكَرُ الْفِقْهَ ، فَرُبَّمَا لَمْ نَقُمْ حَتَّى نَسْمَعَ النَّدَاءَ ^(٢) .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ شَقِيقٍ : قُمتُ لِأَخْرَجَ مَعَ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ مِنْ
الْمَسْجِدِ ، فَذَاكَرَنِي عِنْدَ الْبَابِ بِحَدِيثٍ ، أَوْ ذَاكَرْتَهُ ، فَمَا زِلْنَا نَتَذَاكَرُ ، حَتَّى جَاءَ
الْمُؤَذِّنُ لِلصُّبْحِ ^(٣) .

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ : اخْتَلَفْتُ إِلَى عَاصِمِ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ ، فِي الْحَرِّ وَالشَّتَاءِ
وَالْمَطَرِ ، حَتَّى رُبَّمَا اسْتَحْيَيْتُ مِنْ أَهْلِ مَسْجِدِ بَنِي كَاهِلٍ .

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ قَالَ : الدُّخُولُ فِي الْعِلْمِ سَهْلٌ ، لَكِنَّ الْخُرُوجَ مِنْهُ إِلَى اللَّهِ
شَدِيدٌ ^(٤) .

وَسُئِلَ أَبُو دَاوُدَ : أَيُّمَا أَحْفَظُ وَكَيْعٌ أَوْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ؟ قَالَ : وَكَيْعٌ أَحْفَظُ
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ أَتَقَنُّ ، وَقَدْ التَّقِيَا بَعْدَ الْعِشَاءِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَتَوَاقَفَا حَتَّى سَمِعَا
أَذَانَ الصُّبْحِ ^(٥) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ : قَالَ أَبِي : كُنْتُ أَخْرَجُ مِنَ الْبَيْتِ أَطْلُبُ الْحَدِيثَ ،
فَلَا أَرْجِعُ إِلَّا بَعْدَ الْعَتَمَةِ ^(٦) .

جَاءَ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْقَعْنَبِيِّ ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : نِقَّةٌ حُجَّةٌ لَمْ أَرِ أَخْشَعَ مِنْهُ ،
سَأَلْنَاهُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْنَا « الْمَوْطَأَ » فَقَالَ : تَعَالَوْا بِالْعَدَاةِ ، فَقُلْنَا لَنَا مَجْلِسٌ عِنْدَ حَجَّاجِ بْنِ

(١) انظر السير : (ابن جريج) ٣٢٥-٣٣٦ ، وانظر النزهة : ٤/٦٥٥ .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن شبرمة) ٦/٣٤٧-٣٤٩ ، وانظر النزهة : ٦/٦٥٥ .

(٣) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٨/٣٧٨-٤٢١ ، وانظر النزهة : ٣/٧٦٩ .

(٤) انظر السير : (أبو بكر بن عياش) ٨/٤٨٩-٤٩٤ ، وانظر النزهة : ٣/٧٨٧ .

(٥) انظر السير : (وكيع) ٩/١٤٠-١٦٨ ، وانظر النزهة : ٢/٨١٠ .

(٦) انظر السير : (يحيى القطان) ٩/١٧٥-١٨٨ ، وانظر النزهة : ٢/٨١٦ .

منهال ، قال : فإذا فرغتم منه قلنا : نأتي حينئذ مسلم بن إبراهيم قال : فإذا فرغتم قلنا : نأتي أبا حذيفة النهدي قال : فبعد العصر قلنا : نأتي عارماً أبا النعمان ، قال : فبعد المغرب فكان يأتينا بالليل ، فيخرج علينا ، وعليه كبل^(١) ما تحته شيء في الصيف ، فكان يقرأ علينا في الحر الشديد حينئذ .

قال عمرو بن علي بن الفلاس : كان القعني مجاب الدعوة^(٢) .

وقال أبو أمية الطرسوسي : سمعت علي بن المديني ، يقول : ربما أذكر الحديث في الليل ، فأمر الجارية تسرج السراج فأنظر فيه^(٣) .

وكان أبو بكر السجستاني يقول : دخلت الكوفة ومعي درهم واحد ، فأخذت به ثلاثين مئد باقلاً^(٤) ، فكنت أكل منه ، وأكثب عن أبي سعيد الأشج ، فما فرغ الباقلاً حتى كتبت عنه ثلاثين ألف حديث ، ما بين مقطوع ومُرسل^(٥) .

وقال ابن أبي حاتم الرازي في أول كتاب « الجرح والتعديل » له : سمعت أبي يقول : أول سنة خرجت في طلب الحديث ، أقمت سبع سنين ، أحصيت ما مسيت على قديمي زيادة على ألف فرسخ .

قال الإمام الذهبي معقباً : مسافة ذلك نحو أربعة أشهر ، سير الجادة .

قال : ثم تركت العدد بعد ذلك ، وخرجت من البحرين إلى مصر ماشياً ، ثم إلى الرملة ماشياً ، ثم إلى دمشق ، ثم أنطاكية وطرسوس ، ثم رجعت إلى حمص ، ثم إلى الرقة ، ثم ركبت إلى العراق ، كل هذا في سفري الأول وأنا ابن عشرين سنة^(٦) .

وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول : بقيت في سنة أربع عشرة ثمانية أشهر

(١) الكبل : الفرو الكبير .

(٢) انظر السير : (القعني) ٢٥٧/١٠ - ٢٦٤ ، وانظر النزاهة : ٢/٨٧٥ .

(٣) انظر السير : (علي بن المديني) ٤١/١١ - ٦٠ ، وانظر النزاهة : ٢/٩٠٨ .

(٤) الباقلاء باللهجة العراقية : الفول .

(٥) انظر السير : (أبو بكر السجستاني) ٢٢١/١٣ - ٢٣٧ ، وانظر النزاهة : ٣/١٠٧٢ .

(٦) انظر السير : (أبو حاتم الرازي) ٢٤٧/١٣ - ٢٦٣ ، وانظر النزاهة : ٤/١٠٧٥ .

بالبصرة ، وكان في نفسي أن أقيم سنة ، فانقطعت نفقتي ، فجعلت أبيع ثيابي حتى نفذت ، وبقيت بلا نفقة ، ومضيت أطوف مع صديق لي إلى المشيخة ، وأسمع إلى المساء ، فانصرف رفيقي ، ورجعت إلى بيتي ، فجعلت أشرب الماء من الجوع ، ثم أصبحت ، فغدا علي رفيقي ، فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد ، وانصرفت جائعاً ، فلما كان من الغد ، غدا علي فقال : مر بنا إلى المشايخ .

قلت : أنا ضعيف لا يمكنني قال : ما ضعفك ؟ قلت : لا أكتمك أمري ، قد مضى يومان ما طعمت فيهما شيئاً ، فقال : قد بقي معي دينارٌ ، فيصفه لك ، ونجعل النصف الآخر في الكراء ، فخرجنا من البصرة ، وأخذت منه النصف ديناراً (١) .

وقال أبو العباس ثعلب : ما فقدت إبراهيم الحربي (٢) من مجلس لغة ولا نحو ، من خمسين سنة (٣) .

وقال أبو القاسم بن عقيل الوراق : إن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه : هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا ؟ قالوا : كم قدره ؟ فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة ، فقالوا : هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه ! فقال : إننا لله ! ماتت الهمم فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة ، ولما أن أراد أن يملئ التفسير قال لهم نحواً من ذلك ، ثم أملاه على نحو من قدر التاريخ (٤) .

وقال محمد بن علي السلمی : قمت ليلة سحراً لأخذ النبوة على ابن الأخرم ، فوجدت قد سبقني ثلاثون قارئاً ، وقال : لم تدركني النبوة إلى العصر .

توفي ابن الأخرم في سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة وعاش إحدى وثمانين سنة (٥) .

(١) انظر السير : (أبو حاتم الرازي) ١٣/٢٤٧-٢٦٣ ، وانظر النزهة : ٥/١٠٧٥ .

(٢) الحربي : نسبة إلى محلة غربي بغداد بها جامع وسوق « اللباب » .

(٣) انظر السير : (إبراهيم الحربي) ١٣/٣٥٦-٣٧٢ ، وانظر النزهة : ٥/١٠٩٤ .

(٤) انظر السير : (محمد بن جرير الطبري) ١٤/٢٦٧-٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٣/١١٥١ .

(٥) انظر السير : (ابن الأخرم) ١٥/٥٦٤-٥٦٦ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٥٩ .

وقال ابن حبان في أثناء كتاب « الأنواع » : لعلنا قد كتبنا عن أكثر من ألفي شيخ .
قال الإمام الذهبيُّ مُعقَّباً : كذا فلتكن الهممُ ، هذا مع ما كان عليه من الفقه
والعربيَّة ، والفضائل الباهرة ، وكثرة التصانيف^(١) .

وقال أبو مسعود عبد الرّحيم الحاجي : سمعتُ محمد بن طاهر يقول : بئس الدّم
في طلب الحديث مرتين ، مرّة ببغداد ، وأخرى بمكة ، كنتُ أمشي حافياً في الحرِّ ،
فلحقتني ذلك ، وما ركبتُ دابةً قطُّ في طلب الحديث وكنتُ أحملُ كُتبي على ظهري ،
وما سألتُ في حال الطلبِ أحداً ، كنتُ أعيشُ على ما يأتي^(٢) .

وقال يوسف بن أحمد الشيرازي في « أربعين البلدان » له : لَمَّا رَحَلْتُ إِلَى شَيْخِنَا
رُحَلَةَ الدُّنْيَا وَمُسْنِدِ العَصْرِ أَبِي الوَقْتِ ، قَدَّرَ اللهُ لِي الوُصُولَ إِلَيْهِ فِي آخِرِ بِلَادِ كِرْمَانَ ،
فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، وَقَبَّلْتُهُ ، وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لِي : مَا أَقَدَمَكَ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ ؟ قُلْتُ
كَانَ قَصْدِي إِلَيْكَ ، وَمُعَوَّلِي بَعْدَ اللهِ عَلَيْكَ ، وَقَدْ كَتَبْتُ مَا وَقَعَ إِلَيَّ مِنْ حَدِيثِكَ
بِقَلَمِي ، وَسَعَيْتُ إِلَيْكَ بِقَدَمِي ، لِأَذْرِكَ بَرَكَهَ أَنْفَاسِكَ ، وَأَحْطَى بَعْلُو إِسْنَادِكَ ، فَقَالَ :
وَقَفَكَ اللهُ وَإِنَّا لِمَرْضَاتِهِ ، وَجَعَلَ سَعِينَا لَهُ وَقَصَدْنَا إِلَيْهِ ، لَوْ كُنْتَ عَرَفْتَنِي حَقَّ مَعْرِفَتِي
لَمَّا سَلَّمْتَ عَلَيَّ ، وَلَا جَلَسْتَ بَيْنَ يَدَيَّ ، ثُمَّ بَكَى بَكَاءً طَوِيلًا ، وَأَبَكَى مَنْ حَضَرَهُ ، ثُمَّ
قَالَ : اللَّهُمَّ اسْتُرْنَا بِسِتْرِكَ الْجَمِيلِ ، وَاجْعَلْ تَحْتَ السِّتْرِ مَا تَرْضَى بِهِ عَنَّا ، يَا وَلَدِي
تَعَلَّمْ أَنِّي رَحَلْتُ أَيْضًا لِسَمَاعِ « الصَّحِيحِ » مَاشِيًا مَعَ وَالِدِي مِنْ هَرَاةَ إِلَى الدَّاءُودِيِّ
بِـ « بُوَشْنَجِ » وَلِي دُونَ عَشْرِ سِنِينَ ، فَكَانَ وَالِدِي يَضَعُ عَلَيَّ يَدَيَّ حَجْرَيْنِ وَيَقُولُ :
أَحْمِلُهُمَا ، فَكُنْتُ مِنْ خَوْفِهِ أَحْفَظُهُمَا بِيَدَيَّ ، وَأَمْشِي وَهُوَ يَتَأَمَّلُنِي ، فِإِذَا رَأَنِي قَدِ عَيَّيْتُ
أَمْرَنِي أَنْ أَلْقِيَ حَجْرًا وَاحِدًا ، فَأَلْقِي وَيَخْفُ عَنِّي ، فَأَمْشِي إِلَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ تَعَبِي ،
فَيَقُولُ لِي : هَلْ عَيَّيْتَ ؟ فَأَخَافُهُ ، وَأَقُولُ : لَا فَيَقُولُ : لِمَ تَقْصُرُ فِي الْمَشْيِ ؟ فَأَسْرَعُ
بَيْنَ يَدَيْهِ سَاعَةً ، ثُمَّ أَعْجَزُ ، فَيَأْخُذُ الْآخَرَ فَيُلْقِيهِ ، فَأَمْشِي حَتَّى أَعْطَبَ ، فَحِينَئِذٍ كَانَ
يَأْخُذُنِي وَيَحْمِلُنِي ، وَكُنَّا نَلْتَقِي جَمَاعَةً مِنَ الْفَلَاحِينِ وَغَيْرِهِمْ ، فَيَقُولُونَ : يَا شَيْخُ

(١) انظر السير : (ابن حبان) ٩٢-١٠٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٦٩ .

(٢) انظر السير : (محمد بن طاهر) ٣٦١-٣٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٨٦ .

عيسى ، اذْفَعْ إِلَيْنَا هَذَا الطِّفْلَ نُرَكِّبُهُ وَإِيَّاكَ إِلَى بُوشَنج ، فيقولُ : معاذَ الله أن نركبَ في طلبِ أحاديثِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، بل نَمشي ، وإذا عَجَزَ أُرَكِّبْتَهُ عَلَى رَأْسِي إِجْلَالاً لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجَاءَ ثَوَابِهِ فَكَانَ ثَمَرَةً ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ نِيَّتِهِ أَنِّي انْتَفَعْتُ بِسَمَاعِ هَذَا الْكِتَابِ وَغَيْرِهِ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَقْرَانِي أَحَدٌ سِوَايَ ، حَتَّى صَارَتْ الْوُفُودُ تَرَحَّلُ إِلَيَّ مِنَ الْأَمْصَارِ ثُمَّ أَشَارَ إِلَيَّ صَاحِبُنَا عَبْدُ الْبَاقِي بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْهَرَوِيُّ أَن يُقَدِّمَ لِي حَلْوَاءً ، فَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي ، قِرَاءَتِي لِحُزْنِ أَبِي الْجَهْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَكْلِ الْحَلْوَاءِ ، فَتَبَسَّمَ ، وَقَالَ : إِذَا دَخَلَ الطَّعَامُ خَرَجَ الْكَلَامُ ، وَقَدَّمَ لَنَا صَحْنًا فِيهِ حَلْوَاءُ الْفَانِيذِ ، فَأَكَلْنَا ، وَأَخْرَجْتُ الْحُزْنَ ، وَسَأَلْتُهُ إِحْضَارَ الْأَصْلِ ، فَأَحْضَرَهُ ، وَقَالَ : لَا تَحْفَ وَلَا تَحْرِصْ ، فَإِنِّي قَدْ قَبِرْتُ مِمَّنْ سَمِعَ عَلَيَّ خَلْقًا كَثِيرًا ، فَسَلَّ اللَّهُ السَّلَامَةَ ، فَقَرَأْتُ الْحُزْنَ ، وَسُرِرْتُ بِهِ ، وَيَسَّرَ اللَّهُ سَمَاعَ « الصَّحِيحِ » وَغَيْرِهِ مِرَارًا^(١) .

السَّمْعَانِيُّ :

قال الإمام الذهبي في ترجمته : الإمام الحافظ الكبير الأوحى الثقة ، محدث خراسان ، أبو سعد عبد الكريم بن الإمام الحافظ الناقد أبي بكر محمد بن العلامة مفتي خراسان أبي المظفر منصور ، التميمي السمعاني الخراساني المروزي ، صاحب المصنفات الكثيرة .

وُلِدَ بِمَرْوَ ، سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسٍ مِئَةَ^(٢) .

وَلَا يُوصَفُ كَثْرَةُ الْبِلَادِ وَالْمَشَايخِ الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُمْ .

فَسَمِعَ بِأَمَلِ طَبْرِسْتَانَ ، وَبِأَبِيوَرْدِ ، وَبِإِسْفَرَايِينَ ، وَبِالْأَنْبَارِ ، وَبِخَارَى ، وَبِبُرُوجِرْدِ ، وَبِبَسْطَامِ ، وَبِالْبَصْرَةِ ، وَبِبَغْشُورِ ، وَبِبَلْخِ ، وَبِتَرْمِذِ ، وَبِجُرْجَانَ ، وَبِحَلَبِ ، وَبِحِمَاةِ ، وَبِحَمَصِ ، وَبِخَرْتَنَكِ عِنْدَ قَبْرِ الْبُخَارِيِّ ، وَبِخُسْرَوِجِرْدِ ، وَبِالرِّيِّ ، وَبِسَرْخَسِ ، وَبِسَمَرْقَنْدِ ، وَبِهِمْدَانَ وَهَرَاةَ وَالْحَرَمِينَ ، وَالْكُوفَةَ ، وَطُوسَ ،

(١) انظر السير : (أبو الوقت) ٢٠ / ٣٠٣ - ٣١١ ، وانظر النزاهة : ١ / ١٥٥٣ .

(٢) انظر السير : (السمعاني) ٢٠ / ٤٥٦ - ٤٦٥ ، وانظر النزاهة : ١ / ١٥٧٧ .

والكرخ ، ونسا ، وواسط ، والموصل ، ونهاوند ، والطالقان ، وبوشنج ،
والمدائن ، وبقاع يطول ذكرها بحيث إنه زار القدس والخليل وهما بأيدي الفرنج ،
تحيل ، وخاطر في ذلك ، وما تهيأ ذلك للسلفي ولا لابن عساكر .

وكان ظريف الشمائل ، حلو المذاكرة ، سريع الفهم ، قوي الكتابة سريعها ،
درس وأفتى ووعظ ، وساد أهل بيته ، وكانوا يلقبونه بلقب والده تاج الإسلام ، وكان
أبوه يلقب أيضاً معين الدين^(١) .

قال ابن النجار : سمعت من يذكر أن عدد شيوخ أبي سعد سبعة آلاف شيخ قال :
وهذا شيء لم يبلغه أحد ، وكان مليح التصانيف كثير النشوار والأناسيد ، لطيف
المزاج ، ظريفاً ، حافظاً ، واسع الرحلة ، ثقة صدوقاً ديناً ، سمع منه مشايخه
وأقرانه .

مات الحافظ أبو سعد سنة اثنتين وستين وخمس مئة بمرو وله ست وخمسون
سنة^(٢) .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة السلفي : بقي ثمانية عشر عاماً ، يكتب الحديث
والفقه والأدب والشعر وقدم دمشق سنة تسع وخمس مئة ، فأقام بها سنتين ، يكتب
العلم مقيماً بالخانقاه ثم استوطن نجر الإسكندرية بضعاً وستين سنة وإلى أن مات ينشر
العلم ويحصل الكتب التي قل ما اجتمع لعالم مثلها في الدنيا .

ارتحل إليه خلق كثير جداً ، ولا سيما لما زالت دولة الرافض عن إقليم مصر
وتملكها عسكر الشام ، فازتحل إليه السلطان صلاح الدين ، وإخوته وأمرأؤه ،
فسمعوا منه .

وحدث عنه الأئمة وكان مكباً على الكتابة والاشتغال والرواية ، لا راحة له غالباً إلا
في ذلك وله تصانيف كثيرة ، وكان يستحسن الشعر ، وينظمه ، ويثيب من يمدحه^(٣) .

(١) انظر السير : (السمعاني) ٢٠/٤٥٦-٤٦٥ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٧٧ .

(٢) انظر السير : (السمعاني) ٢٠/٤٥٦-٤٦٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٧٧ .

(٣) انظر السير : (السلفي) ٢١/٥-٣٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٩١ .

٣- الهمة العالیه فی التصنیف والقراءة :

قال الإمام الذهبي في ترجمته الجاحظ : كان من بؤهور العلم ، وتصانيفه كثيرة جداً قيل : لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته ، حتى إنه كان يكتري دكاكين الكتبيين ، ويبيت فيها للمطالعة ، وكان باقعة^(١) في قوة الحفظ .

وله كتاب « الحيوان » سبع مجلدات ، وأضاف إليه كتاب « النساء » وهو فرق ما بين الذكر والأنثى ، وكتاب « البغال » وقد أضيف إليه كتاب سموه كتاب « الجمال » ليس من كلام الجاحظ ، ولا يقاربه .

قال رجل للجاحظ : ألك بالبصرة ضيعة ؟ قال : فبسم ، وقال : إنما إناء وجارية ومن يخدمها ، وحماراً ، وخادم أهديت كتاب « الحيوان » إلى ابن الزيات ، فأعطاني ألفي دينار ، وأهديت إلى فلان فذكر نحواً من ذلك ، يعني : أنه في خير وثروة^(٢) .

وقال الحاكم : سمعت أبا علي محمد بن أحمد بن زيد المعدل يقول : سمعت يحيى بن الدهلي يقول : دخلت على أبي في الصيف الصائف وقت القائلة وهو في بيت كتبه ، وبين يديه السراج ، وهو يصنف ، فقلت : يا أبت هذا وقت الصلاة ، ودخان هذا السراج بالنهار ، فلو نفست عن نفسك قال : يا بُني ، تقول لي هذا ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين!!^(٣) .

وقال محمد بن يوسف البخاري : كنت مع محمد بن إسماعيل البخاري بمنزله ذات ليلة ، فأحصيت عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يعلقها في ليلة ثمان عشرة مرة^(٤) .

(١) أي داهية ، يُقال : ما فلان إلا باقعة من البواقع ، سُمي باقعة لخلوله بقاع الأرض ، وكثرة تنقيبه في البلاد ، ومعرفته ما بها ، فشبه الرجل البصير بالأمور ، الكثير البحث عنها ، المجرب لها به ، والهاء دخلت في نعت الرجل للمبالغة في صفته ، كما قالوا : رجلٌ علامَةٌ ونسابة .

(٢) انظر السير : (الجاحظ) ١١/٥٢٦-٥٣٠ ، وانظر النزهة : ١/٩٦٦ .

(٣) انظر السير : (الدهلي وابنه) ١٢/٢٧٣-٢٨٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٠٠ .

(٤) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ١٢/٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٠١٢ .

وقال الخَطِيبُ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ اللَّغَوِيَّ يَحْكِي : أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جَرِيرٍ مَكَثَ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَكْتُبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا أَرْبَعِينَ وَرَقَةً .

قَالَ الْخَطِيبُ : وَبَلَغَنِي عَنْ أَبِي حَامِدٍ أَحْمَدِ بْنِ أَبِي طَاهِرِ الْإِسْفَرَايِينِيِّ الْفَقِيهِ أَنَّهُ قَالَ : لَوْ سَافَرَ رَجُلٌ إِلَى الصَّيْنِ حَتَّى يُحْصَلَ تَفْسِيرَ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ لَمْ يَكُنْ كَثِيرًا .

قَالَ الْحَاكِمُ : سَمِعْتُ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ : أَوَّلُ مَا سَأَلَنِي ابْنُ خُزَيْمَةَ فَقَالَ لِي : كَتَبْتَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : وَلِمَ ؟ قُلْتُ : لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَظْهَرُ ، وَكَانَتِ الْحَنَابِلَةُ تَمْنَعُ مِنَ الدُّخُولِ عَلَيْهِ ، قَالَ : بئْسَ مَا فَعَلْتَ ، لَيْتَكَ لَمْ تَكْتُبْ عَنْ كُلِّ مَنْ كَتَبْتَ عَنْهُمْ ، وَسَمِعْتَ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ .

قَالَ الْحَاكِمُ : وَسَمِعْتُ أَبَا بَكْرَ بْنَ بِالْوَيْهَ يَقُولُ : قَالَ لِي أَبُو بَكْرُ بْنُ خُزَيْمَةَ : بَلَغَنِي أَنَّكَ كَتَبْتَ التَّفْسِيرَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ ؟ قُلْتُ : بَلَى كَتَبْتُهُ عَنْهُ إِمْلَاءً ، قَالَ : كُلَّهُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ فِي أَيِّ سَنَةٍ ؟ قُلْتُ : مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ إِلَى سَنَةِ تِسْعِينَ وَمِثْنَيْنِ قَالَ : فَاسْتَعَارَهُ مِنِّي أَبُو بَكْرُ بْنُ خُزَيْمَةَ ، ثُمَّ رَدَّهُ بَعْدَ سِنِينَ ، ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ نَظَرْتُ فِيهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَمَا أَعْلَمُ عَلَى أَدِيمِ الْأَرْضِ أَعْلَمَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ وَلَقَدْ ظَلَمْتُهُ الْحَنَابِلَةُ^(١) .

وقال ابنُ الآبُتُوسِي : كَانَ الْحَافِظُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ يَمْشِي وَفِي يَدِهِ جُزْءٌ يُطَالِعُهُ^(٢) .

قَالَ يَحْيَى بْنُ الْبَنَاءِ : كَانَ الْحَمِيدِيُّ مِنَ اجْتِهَادِهِ يَنْسَخُ بِاللَّيْلِ فِي الْحَرِّ ، فَكَانَ يَجْلِسُ فِي إِجَانَةٍ فِي مَاءٍ يَتَبَرَّدُ بِهِ .

قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ خُسْرُو : جَاءَ أَبُو بَكْرُ بْنُ مَيْمُونٍ ، فَدَقَّ الْبَابَ عَلَى الْحَمِيدِيِّ ، وَظَنَّ أَنَّهُ أَذِنَ لَهُ ، فَدَخَلَ ، فَوَجَدَهُ مَكْشُوفَ الْفَخْذِ فَبَكَى الْحَمِيدِيُّ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى مَوْضِعٍ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَدٌ مِنْدُ عَقَلْتُ .

(١) انظر السير : (محمد بن جرير) ٢٦٧-٢٨٢ / ١٤ ، وانظر النزعة : ١ / ١١٥١ .

(٢) انظر السير : (الخطيب) ٢٧٠-٢٩٧ ، وانظر النزعة : ١ / ١٤١٣ .

قال القاضي عياض : محمد بن أبي نصر الأزدي الأندلسي ، سمع بميورقة من ابن حزم قديماً ، وكان يتعصب له ، ويميل إلى قوله وأصابته فيه فتنة ، ولما شدّد على ابن حزم ، خرج الحميدي إلى المشرق .

توفي الحميدي سنة ثمان وثمانين وأربع مئة عن بضع وستين سنة أو أكثر ، وصلى عليه أبو بكر الشاشي ، ودُفن بمقبرة باب أبرز ، ثم إنهم نقلوه بعد سنتين إلى مقبرة باب حرب ، فدُفن عند بشر الحافي^(١) .

قال الحافظ عبد القادر الرهاوي : وسمعت أبا الفضل بن بئيمان الأديب يقول : رأيت أبا العلاء العطار الهمداني في مسجد من مساجد بغداد يكتب وهو قائم ، لأن السراج كان عالياً ، إلى أن قال : فعظم شأنه في القلوب ، حتى إن كان ليمر في همدان فلا يتقى أحداً رآه إلا قام ودعا له ، حتى الصبيان واليهود ، وربما كان يمضي إلى بلدة مسكان يصلي بها الجمعة ، فيتلقاه أهلها خارج البلد ، المسلمون على حدة ، واليهود على حدة ، يدعون له ، إلى أن يدخل البلد .

وكان يفتح عليه من الدنيا جمل ، فلم يدخرها ، بل يُنفقها على تلاميذه ، وكان عليه رسوم لأقوام ، وما كان يبرح عليه ألف دينار همدانية أو أكثر من الدين ، مع كثرة ما كان يفتح عليه .

وكان يطلب لأصحابه من الناس ، ويعز أصحابه ومن يلوذ به ، ولا يحضر دعوة حتى يحضر جماعة أصحابه ، وكان لا يأكل من أموال الظلمة ، ولا قبل منهم مدرسة قط ولا رباطاً ، وإنما كان يقرئ في داره ، ونحن في مسجده سُكَّان .

وكان يقرئ نصف نهاره الحديث ، ونصفه القرآن والعلم ولا يغشى السلاطين ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يُمكن أحداً في محلته أن يفعل منكراً ، ولا سماعاً ، وكان يُنزّل كل إنسان منزلته ، حتى تألفت القلوب على محبته وحسن الذكر له في الآفاق البعيدة ، حتى أهل خوارزم الذين هم مُعزلة مع شدته في الحنبلة .

(١) انظر السير : (الحميدي) ١٢٠-١٢٧ ، وانظر النزهة : ١/١٤٦٩ .

وكانَ حَسَنَ الصَّلَاةِ لَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْ مَشَايخِنَا أَحْسَنَ صَلَاةً مِنْهُ ، وَكَانَ مُتَشَدِّدًا فِي أَمْرِ الطَّهَارَةِ ، لَا يَدْعُ أَحَدًا يَمَسُّ مَدَاسَهُ ، وَكَانَتْ ثِيَابُهُ قِصَارًا ، وَأَكْمَامُهُ قِصَارًا ، وَعِمَامَتُهُ نَحْوَ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ .

وَكَانَ السُّنَّةَ شِعَارَهُ وَدِثَارَهُ اعْتِقَادًا وَفِعْلًا ، بِحَيْثُ إِنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ مَجْلِسَهُ رَجُلٌ ، فَقَدَّمَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى كَلْفَهُ أَنْ يَرْجِعَ ، فَيُقَدِّمُ الْيُمْنَى ، وَلَا يَمَسُّ الْأَجْزَاءَ إِلَّا عَلَى وُضوءٍ ، وَلَا يَدْعُ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ تَعْظِيمًا لَهَا .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : هَذَا لَمْ يَرِدْ فِيهِ ثَوَابٌ .

وَسَمِعْتُ الْحَافِظَ أَبَا الْقَاسِمِ عَلِيَّ بْنَ الْحَسَنِ يَقُولُ وَذَكَرَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ رَحَلَ :
إِنْ رَجَعَ وَلَمْ يَلِقَ الْحَافِظَ أَبَا الْعَلَاءِ ضَاعَتْ رِحْلَتُهُ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : كَانَ أَبُو الْعَلَاءِ الْحَافِظُ فِي الْقِرَاءَاتِ أَكْبَرَ مِنْهُ فِي الْحَدِيثِ ، مَعَ كَوْنِهِ مِنْ أَعْيَانِ أُمَّةِ الْحَدِيثِ ، لَهُ عِدَّةٌ رِحَلَاتٍ إِلَى بَغْدَادٍ وَأَصْبَهَانَ وَنَيْسَابُورَ .

تُوفِّيَ أَبُو الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ بِهَا سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِينَ مِئَةً ، وَلَهُ نَيْفٌ وَثْمَانُونَ سَنَةً^(١) .

وَقَالَ ابْنُ النَّجَّارِ : سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الْمُقْرِيَّ جَارِنَا يَقُولُ ، وَكَانَ صَالِحًا : كَانَ الْحَازِمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي رِبَاطِ الْبَدِيعِ ، فَكَانَ يَدْخُلُ بَيْتَهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ، وَيُطَالِعُ ، وَيَكْتُبُ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ ، فَقَالَ الْبَدِيعُ لِلْخَادِمِ : لَا تَدْفَعْ إِلَيْهِ اللَّيْلَةَ بَزْرًا لِلسَّرَاجِ لَعَلَّهُ يَسْتَرِيحُ اللَّيْلَةَ قَالَ : فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ ، اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْخَادِمُ لِأَجْلِ انْقِطَاعِ الْبَزْرِ ، فَدَخَلَ بَيْتَهُ ، وَصَفَّ قَدَمَيْهِ يُصَلِّي ، وَيَتَلَوُّ ، إِلَى أَنْ طَلَعَ الْفَجْرُ ، وَكَانَ الشَّيْخُ قَدْ خَرَجَ لِيَعْرِفَ خَبْرَهُ ، فَوَجَدَهُ فِي الصَّلَاةِ .

مَاتَ أَبُو بَكْرٍ الْحَازِمِيُّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِينَ مِئَةً ، وَلَهُ سِتُّ وَثَلَاثُونَ سَنَةً^(٢) .

(١) انظر السير : (أبو العلاء الهمداني) ٢١/٤٠-٤٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٩٥ .

(٢) انظر السير : (الحازمي) ٢١/١٦٧-١٧٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٠٦ .

٤- صُورٌ مُتَنَوِّعَةٌ عَلَى الْهِمَّةِ الْعَالِيَةِ :

قِصَّةُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ : قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرٍ : وَهُوَ سَلْمَانُ ابْنُ الْإِسْلَامِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْفَارِسِيُّ سَابِقُ الْفُرْسِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَدَمَهُ وَحَدَّثَ عَنْهُ .

وَكَانَ لَبِيًّا حَازِمًا مِنْ عُقَلَاءِ الرَّجَالِ وَعُبَادِهِمْ وَنُبُلَائِهِمْ ^(١) .

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ ، عَنِ الْقَاسِمِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَهُ قَالَ : زَارَنَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ فَصَلَّى الْإِمَامَ الظُّهَرَ ، ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَ النَّاسُ ، يَتَلَقَّوْنَهُ كَمَا يُتَلَقَّى الْخَلِيفَةُ ، فَلَقِينَاهُ وَقَدْ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ الْعَصْرَ ، وَهُوَ يَمْشِي فَوْقْنَا نُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَبْقَ فِينَا شَرِيفٌ إِلَّا عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ ، فَقَالَ : جَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي مَرَّتِي هَذِهِ أَنْ أَنْزَلَ عَلَيَّ بِشِيرِ بْنِ سَعْدٍ فَلَمَّا قَدِمَ ، سَأَلَ عَنِ أَبِي الدُّدَاءِ ، فَقَالُوا : هُوَ مُرَابِطٌ ، فَقَالَ : أَيْنَ مُرَابِطُكُمْ ؟ قَالُوا : بَيْرُوتَ ، فَتَوَجَّهَ قِبَلَهُ ، قَالَ : فَقَالَ سَلْمَانُ : يَا أَهْلَ بَيْرُوتَ : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا يُذْهِبُ اللَّهُ بِهِ عَنْكُمْ عَرَضَ الرِّبَاطِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ كَصِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا أُجِيرَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ ، وَجَرَى لَهُ صَالِحُ عَمَلِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » ^(٢) .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قَالَ : كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ ، مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا : جَيٌّ ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَهَا وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِي حُبَّهُ إِتَابِي حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تَحْبَسُ الْجَارِيَةُ ، فَاجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَاطِنَ النَّارِ الَّذِي يُوقَدُهَا لَا يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً وَكَانَتْ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ ، فَشُغِلْتُ فِي بُنْيَانِ لَهُ يَوْمًا ، فَقَالَ لِي : يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانِي هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي ، فَادْهَبْ فَاطَّلَعَهَا ، وَأَمْرَنِي بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ فَخَرَجْتُ ، ثُمَّ قَالَ : لَا تَحْتَبَسْ

(١) انظر السير : (سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٩٨ .

(٢) انظر السير : (سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/١٩٨ .

عليّ ، فَإِنَّكَ إِنْ احْتَبَسْتَ عَلَيَّ كُنْتَ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ضَيْعَتِي ، وَشَغَلْتَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِي فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى ، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ بِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ ، وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ ، دَخَلْتُ إِلَيْهِمْ أَنْظَرُ مَا يَصْنَعُونَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلَوَاتُهُمْ ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ ، وَقُلْتُ : هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا ، فَقُلْتُ لَهُمْ : أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ ؟ قَالُوا : بِالشَّامِ .

قَالَ : ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلْبِي وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ ، فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ : أَيُّ بُنْيَ إِينَ كُنْتَ ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَاهَدْتُ إِلَيْكَ مَا عَاهَدْتُ ؟ قُلْتُ : يَا أَبَتِ مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ ، فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ ، فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ أَيُّ بُنْيَ لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ ، دِينِكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ قُلْتُ : كَلَّا وَاللَّهِ ! إِنَّهُ لَخَيْرٌ مِنْ دِينِنَا قَالَ : فَخَافَنِي ، فَجَعَلَ فِي رِجْلِي قِيدًا ، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ ، قَالَ : وَبَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى فَقُلْتُ : إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَارُّ مِنْ النَّصَارَى ، فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ قَالَ : فَفَعَلُوا فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلِي ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ فَلَمَّا قَدِمْتُهَا ، قُلْتُ : مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ ، قَالُوا : الْأُسْقُفُ فِي الْكَنِيسَةِ فَجِئْتُهُ ، فَقُلْتُ : إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ ، وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ ، وَأُصَلِّيَ مَعَكَ قَالَ : فَادْخُلْ ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ ، فَكَانَ رَجُلٌ سُوءٍ يَأْمُرُهُم بِالصَّدَقَةِ وَيُرْغَبُهُمْ فِيهَا ، إِذَا جَمَعُوا مِنْهَا شَيْئًا ، اكَتَرَهُ لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرَقٍ ، فَأَبْغَضْتُهُ بَغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ ثُمَّ مَاتَ ، فَاجْتَمَعْتُ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنَّ هَذَا رَجُلٌ سُوءٍ ، يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَيُرْغَبُكُمْ فِيهَا ، إِذَا جِئْتُمْ بِهَا ، كَنَزَهَا لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ ، وَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَ كَنَزِهِ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ، فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا : وَاللَّهِ لَا نَدْفِنُهُ أَبَدًا .

فصَلَبُوهُ ثُمَّ رَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ ثُمَّ جَاؤُوا بِرَجُلٍ جَعَلُوهُ مَكَانَهُ ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا - يَعْنِي

لا يُصَلِّيَ الحَمْسَ - أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلَ مِنْهُ ، أَرْهَدَ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا أَرْغَبَ فِي الْآخِرَةِ ،
وَلَا أَذَابَ لَيْلًا وَنَهَارًا ، مَا أَعْلَمُنِي أَحَبِّتُ شَيْئًا قَطُّ قَبْلَهُ حُبَّهُ ، فَلَمْ أَزَلْ مَعَهُ حَتَّى حَضَرْتُهُ
الْوَفَاةُ ، فَقُلْتُ : يَا فُلَانُ! قَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحَبِّتُ شَيْئًا قَطُّ
حُبِّكَ ، فَمَاذَا تَأْمُرُنِي وَإِلَى مَنْ تُوصِينِي ؟

قَالَ لِي : يَا بُنَيَّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ ، فَاتِّهِ ، فَإِنَّكَ سَتَجِدُهُ عَلَى مِثْلِ
حَالِي .

فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ ، لَحِقْتُ بِالْمَوْصِلِ ، فَاتَيْتُ صَاحِبَهَا ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ مِنْ
الاجْتِهَادِ وَالزُّهْدِ فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي إِلَيْكَ أَنْ آتِيكَ وَأَكُونَ مَعَكَ قَالَ : فَأَقِمِ أَيُّ
بُنَيَّ ، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ عَلَى مِثْلِ أَمْرِ صَاحِبِهِ حَتَّى حَضَرْتُهُ الْوَفَاةُ فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى
بِي إِلَيْكَ وَقَدْ حَضَرَكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا تَرَى ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي ؟ وَمَا تَأْمُرُنِي بِهِ ؟ قَالَ :
وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ ، أَيُّ بُنَيَّ ، إِلَّا رَجُلًا بِنَصِييْنِ .

فَلَمَّا دَفَنَاهُ ، لَحِقْتُ بِالْآخِرِ ، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِمْ حَتَّى حَضَرَهُ الْمَوْتُ ،
فَأَوْصَى بِي إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ عَمُورِيَّةَ بِالرُّومِ ، فَاتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ مِثْلَ حَالِهِمْ ، وَاكْتَسَبْتُ
حَتَّى كَانَ لِي غَنِيمَةٌ وَبَقِيرَاتٌ .

ثُمَّ احْتَضَرَ فَكَلَّمْتُهُ إِلَى مَنْ يُوصِي بِي ؟ قَالَ : أَيُّ بُنَيَّ! وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ بَقِي أَحَدٌ عَلَى
مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَمْرًا أَنْ تَأْتِيَهُ ، وَلَكِنْ قَدْ أَظْلَكَ زَمَانُ نَبِيِّ يُبْعَثُ مِنَ الْحَرَمِ ، مُهَاجِرُهُ
بَيْنَ حَرَّتَيْنِ إِلَى أَرْضِ سَبْحَةَ ذَاتِ نَخْلِ ، وَإِنَّ فِيهِ عِلَامَاتٌ لَا تَخْفَى ، بَيْنَ كَتْفَيْهِ خَاتَمُ
النُّبُوَّةِ ، يَأْكُلُ الْهَدْيَةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَخْلُصَ إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ
فَأَفْعَلْ ، فَإِنَّهُ قَدْ أَظْلَكَ زَمَانُهُ .

فَلَمَّا وَارَيْنَاهُ ، أَقَمْتُ حَتَّى مَرَّ بِي رَجُلًا مِنْ تِجَارِ الْعَرَبِ مِنْ كَلْبٍ ، فَقُلْتُ لَهُمْ :
تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ ، وَأَعْطِيكُمْ غَنِيمَتِي وَبَقْرَاتِي هَذِهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ
إِيَّاهَا وَحَمَلُونِي ، حَتَّى إِذَا جَاؤُوا بِي وَوَادِي الْقُرَى ، ظَلَمُونِي ، فَبَاعُونِي عَبْدًا مِنْ رَجُلٍ
يَهُودِيٍّ بِوَادِي الْقُرَى فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ النَّخْلَ ، وَطَمِعْتُ أَنْ يَكُونَ الْبَلَدُ الَّذِي نَعْتُ لِي
صَاحِبِي .

وما حَقَّتْ عِنْدِي حَتَّى قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ وادي القُرَى ، فابْتَعَانِي مِنْ صَاحِبِي ، فَخَرَجَ بِي حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَوَالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتَهَا ، فَعَرَفْتُ نَعْتَهَا .

فَأَقَمْتُ فِي رَقِي ، وَبَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ لَا يُذَكِّرُ لِي شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الرِّقِّ ، حَتَّى قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبَاءً ، وَأَنَا أَعْمَلُ لِصَاحِبِي فِي نَخْلَةٍ لَهُ ، فَوَالله إِنِّي لَفِيهَا إِذْ جَاءَهُ ابْنُ عَمِّ لَه ، فَقَالَ : يَا فُلَانُ قَاتَلَ اللهُ بَنِي قَيْلَةَ ، وَالله إِنَّهُمْ الْآنَ لَفِي قُبَاءٍ مُجْتَمِعُونَ عَلَى رَجُلٍ جَاءَ مِنْ مَكَّةَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ .

فَوَالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُهَا فَأَخَذْتَنِي الْعُرَوَاءُ - يَقُولُ الرَّعْدَةَ - حَتَّى ظَنَنْتُ لَأَسْقَطَنَّ عَلَى صَاحِبِي وَنَزَلْتُ أَقُولُ : مَا هَذَا الْخَبْرُ ؟

فَرَفَعَ مَوْلَايَ يَدَهُ فَلَكَمَنِي لَكَمَةً شَدِيدَةً ، وَقَالَ : مَا لَكَ وَلِهَذَا ؟! أَقْبَلُ عَلَى عَمَلِكَ فَقُلْتُ : لَا شَيْءَ ، إِنَّمَا سَمِعْتُ خَبْرًا ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْلَمَهُ .

فَلَمَّا أُمْسَيْتُ ، وَكَانَ عِنْدِي شَيْءٌ مِنْ طَعَامٍ ، فَحَمَلْتُهُ وَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ بِقُبَاءٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : بَلَّغْنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ ، وَأَنَّ مَعَكَ أَصْحَابًا لَكَ غُرَبَاءَ ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ مِنَ الصَّدَقَةِ فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ مَنْ بِهِذِهِ الْبِلَادِ ، فَهَآكَ هَذَا ، فَكُلْ مِنْهُ .

قَالَ : فَأُمْسِكَ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : « كُلُوا » فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذِهِ خَلَّةٌ مِمَّا وَصَفَ لِي صَاحِبِي .

ثُمَّ رَجَعْتُ ، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَجَمَعْتُ شَيْئًا كَانَ عِنْدِي ثُمَّ جِئْتُهُ بِهِ فَقُلْتُ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ فَأَكَلِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَكَلَ أَصْحَابُهُ ، فَقُلْتُ هَذِهِ خَلَّتَانِ .

ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَتَّبِعُ جِنَازَةَ وَعَلِيٍّ شَمْلَتَانِ لِي وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ ، فَاسْتَدْرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِمَا رَأَيْتُ اسْتَدْبَرْتُهُ عَرَفَ أَنِّي أَنْتَبْتُ فِي شَيْءٍ وَوَصَفَ لِي ، فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ ، فَاذْكَبْتُ عَلَيْهِ أُقْبَلُهُ وَأُبْكِي .

فَقَالَ لِي : تَحَوَّلَ : فَتَحَوَّلْتُ ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسَ ، فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابِهِ ^(١) .

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأُحد ثم قال رسول الله : « كَاتِبُ يَا سَلْمَانَ » فكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِ مِئَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : « أَعِينُوا أَخَاكُمْ » فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ ، الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً ^(٢) ، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسِ عَشْرَةَ ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ ثَلَاثُ مِئَةِ وَدِيَّةٍ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَذْهَبَ يَا سَلْمَانَ فَفَقَّرَ لَهَا ، فَإِذَا فَرَعْتَ فَائْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضْعُفًا بِيَدَيْ » فَفَقَّرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي ، حَتَّى إِذَا فَرَعْتُ مِنْهَا ، جِئْتُهُ وَأَخْبَرْتُهُ ، فَخَرَجَ مَعِي إِلَيْهَا تُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّةَ ، وَيَضَعُهُ بِيَدِهِ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ فَأَدَيْتُ النَّخْلَ ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ بَيْضَةِ دَجَاجَةٍ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتِبُ ؟ » فَدُعِيتُ لَهُ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خُذْهَا فَأَدِّبِهَا مَا عَلَيْكَ » قُلْتُ : وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَيَّ ؟ قَالَ : خُذْهَا فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً ، وَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ وَعَتَقْتُ ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَنْدَقَ حُرًّا ، ثُمَّ لَمْ يَفْتُنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ ^(٣) .

عن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان مرَّ على سلمان وبلال وصهيب في نفر فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها فقال أبو بكر : تقولون لهذا الشيخ قريش وسيدها ! ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فقال : « يَا أَبَا بَكْرٍ ! لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبِّكَ » فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : يَا إِخْوَتَاهُ أَغْضَبْتُمْكُمْ ؟ قَالُوا : لَا يَا أَبَا بَكْرٍ ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ ^(٤) .

(١) انظر السير : (سلمان الفارسي) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٤/١٩٨ .

(٢) الودية : جمع ودي : صغار الفسيل .

(٣) انظر السير : (سلمان الفارسي) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٢٠٢ .

(٤) انظر السير : (سلمان الفارسي) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٢٠٢ .

عن أبي البَخْتَرِيِّ قَالَ : قِيلَ لَعَلِّي : أَخْبَرْنَا عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : عَنْ أَيُّهِمْ تَسْأَلُونَ ؟ قِيلَ : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : عَلِمَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ ، ثُمَّ انْتَهَى وَكَفَى بِهِ عِلْمًا قَالُوا : عَمَّارٌ ؟ قَالَ : مُؤْمِنٌ نَسِيٌّ فَإِنْ ذَكَرْتَهُ ذَكَرَ ، قَالُوا : أَبُو ذَرٍّ ؟ قَالَ : وَعَى عِلْمًا عَجَزَ عَنْهُ قَالُوا : أَبُو مُوسَى ؟ قَالَ : صُبِغَ فِي الْعِلْمِ صِبْغَةً ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهُ قَالُوا : حُذَيْفَةَ ؟ قَالَ : أَعْلَمُ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ بِالْمُنَافِقِينَ قَالُوا : سَلْمَانَ ؟ قَالَ : أَدْرَكَ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ ، وَالْعِلْمَ الْآخِرَ ، بَحْرٌ لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ ، وَهُوَ مَنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ قَالُوا : فَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : كُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ أُعْطِيتُ ، وَإِذَا سَكَتُ ابْتَدَيْتُ^(١) .

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾^(٢) قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ رضي الله عنه : فَضْرَبَ عَلِيٌّ فِخْذَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَذَا وَقَوْمُهُ ، وَلَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنَ الْفُرْسِ »^(٣) .

عن أبي البَخْتَرِيِّ قَالَ : جَاءَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَدَخَلَا عَلِيَّ سَلْمَانَ فِي خُصِّ فَسَلَّمَا وَحَيَّيَاهُ ، ثُمَّ قَالَا : أَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا أَدْرِي فَارْتَابَا قَالَ : إِنَّمَا صَاحِبُهُ مَنْ دَخَلَ مَعَهُ الْجَنَّةَ قَالَا : جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : فَأَيْنَ هَدَيْتُهُ ؟ قَالَا : مَا مَعَنَا هَدْيَةٌ قَالَ : اتَّقِيَا اللَّهَ ، وَأَدِّيا الْأَمَانَةَ ، مَا أَتَانِي أَحَدٌ مِنْ عِنْدِهِ إِلَّا بِهَدْيَةٍ ، قَالَا : لَا تَرْفَعْ عَلَيْنَا هَذَا ، إِنَّ لَنَا أَمْوَالًا فَاحْتَكِمْ ، قَالَ : مَا أُرِيدُ إِلَّا الْهَدْيَةَ ، قَالَا : وَاللَّهِ مَا بَعَثَ مَعَنَا بِشَيْءٍ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ فِيكُمْ رَجُلًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَلَا بِهِ لَمْ يَبِغْ غَيْرَهُ ، فَإِذَا أَتَيْتُمَاهُ ، فَأَقْرَبَاهُ مِنِّي السَّلَامَ قَالَ : فَأَيُّ هَدْيَةٍ كُنْتُ أُرِيدُ مِنْكُمْ غَيْرَ هَذِهِ ؟ وَأَيُّ هَدْيَةٍ أَفْضَلُ مِنْهَا ؟^(٤) .

عن طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ عَنْ سَلْمَانَ قَالَ : إِذَا كَانَ اللَّيْلُ ، كَانَ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى ثَلَاثِ

(١) انظر السير : (سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٢٠٣ .

(٢) سورة محمد ، الآية : ٣٨ .

(٣) انظر السير : (سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٢٠٣ .

(٤) انظر السير : (سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٢٠٣ .

مَنَازِلَ : فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ وَلَا عَلَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَلَيْهِ وَلَا لَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا عَلَيْهِ وَلَا لَهُ !
 قُلْتُ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ : أَمَّا مَنْ لَهُ وَلَا عَلَيْهِ ، فَرَجُلٌ اغْتَنَّمَ غَفْلَةَ النَّاسِ وَظُلْمَةَ
 اللَّيْلِ ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ، فَذَاكَ لَهُ وَلَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ اغْتَنَّمَ غَفْلَةَ النَّاسِ وَظُلْمَةَ اللَّيْلِ
 فَمَشَى فِي مَعَاصِي اللَّهِ ، فَذَاكَ عَلَيْهِ وَلَا لَهُ ، وَرَجُلٌ نَامَ حَتَّى أَصْبَحَ ، فَذَاكَ لَا لَهُ
 وَلَا عَلَيْهِ ^(١) .

قَالَ طَارِقٌ : قُلْتُ : لِأَصْحَبِنَا هَذَا فَضْرَبَ عَلَى النَّاسِ بَعَثُ ، فَخَرَجَ فِيهِمْ ،
 فَصَحْبَتُهُ وَكُنْتُ لَا أَفْضَلُهُ فِي عَمَلٍ ، إِنَّ أَنَا عَجَنْتُ خَبَزَ وَإِنْ خَبَزْتُ طَبَخَ ، فَتَزَلْنَا مَنَزِلًا
 فَبَيْنَا فِيهِ ، وَكَانَتْ لِطَارِقٍ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ يَقُومُهَا ، فَكُنْتُ أَتَيْقِظُ لَهَا فَأَجِدُهُ نَائِمًا ،
 فَأَقُولُ : صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خَيْرٌ مِنِّي نَائِمٌ ، فَأَنَامُ ثُمَّ أَقُومُ فَأَجِدُهُ
 نَائِمًا فَأَنَامُ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَعَارَى مِنَ اللَّيْلِ قَالَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ
 لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ
 الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ حَتَّى إِذَا كَانَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ قَامَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَكَعَ أَرْبَعَ
 رَكَعَاتٍ فَلَمَّا صَلَّى الْفَجْرَ قُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! كَانَتْ لِي سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ أَقُومُهَا وَكُنْتُ
 أَتَيْقِظُ لَهَا فَأَجِدُكَ نَائِمًا ، قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ! فَيَأْشُرُ كُنْتُ تَسْمَعُنِي أَقُولُ ؟ فَأَخْبَرْتَهُ ،
 فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي تِلْكَ الصَّلَاةُ ، إِنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ كَفَّارَاتٍ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتْ
 الْمُقَاتَلَةَ ، يَا ابْنَ أَخِي عَلَيْكَ بِالْقَصْدِ فَإِنَّهُ أَبْلَغُ ^(٢) .

عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ : ذَهَبْتُ أَنَا وَصَاحِبِي لِي إِلَى سَلْمَانَ ، فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا عَنِ التَّكْلِيفِ ، لَتَكَلَّفْتُ لَكُمْ ، فَجَاءَنَا بِخُبْزٍ وَمِلْحٍ فَقُلْتُ
 لِصَاحِبِي : لَوْ كَانَ فِي مِلْحِنَا صَعْتَرٌ فَبَعَثَ سَلْمَانُ بِمَطْهَرَتِهِ ، فَرَهْنَهَا ، فَجَاءَ بِصَعْتَرٍ ،
 فَلَمَّا أَكَلْنَا قَالَ صَاحِبِي : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَتَعَّنَا بِمَا رَزَقَنَا ، فَقَالَ سَلْمَانُ : لَوْ فَتَعَّتْ لَمْ
 تَكُنْ مَطْهَرَتِي مَرْهُونَةً ^(٣) .

(١) انظر السير : (سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٢٠٤ .

(٢) انظر السير : (سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٢٠٤ .

(٣) انظر السير : (سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٢٠٤ .

وعن أَنَسٍ قَالَ : دَخَلَ سَعْدٌ وَابْنُ مَسْعُودٍ عَلَى سَلْمَانَ عِنْدَ الْمَوْتِ ، فَبَكَى فَقِيلَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : عَهْدٌ عَاهَدَهُ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمْ نَحْفَظْهُ قَالَ : « لِيَكُنْ بِلَاغٌ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّكَّابِ » وَأَمَّا أَنْتَ يَا سَعْدُ فَاتَّقِ اللَّهَ فِي حُكْمِكَ إِذَا حَكَمْتَ ، وَفِي قَسْمِكَ إِذَا قَسَمْتَ ، وَعِنْدَ هَمِّكَ إِذَا هَمَمْتَ .

قَالَ ثَابِتٌ : فَبَلَغَنِي أَنَّهُ مَا تَرَكَ إِلَّا بَضْعَةً وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا نَفِيقَةً كَانَتْ عِنْدَهُ (١) .

عَنْ سَلْمَانَ ، قَالَ : فَتَرَةً مَا بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتُّ مِئَةِ سَنَةٍ (٢) .

مَاتَ سَلْمَانٌ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بِالْمَدَائِنِ .

قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ يَزِيدِ الْبَحْرَانِي : يَقُولُ أَهْلُ الْعِلْمِ : عَاشَ سَلْمَانٌ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، فَأَمَّا مِثْنَانِ وَخَمْسُونَ ، فَلَا يَشْكُونُ فِيهِ .

وَمَجْمُوعُ أَمْرِهِ وَأَحْوَالِهِ ، وَغَزْوِهِ ، وَهَيْمَتِهِ ، وَتَصَرُّفِهِ ، وَسَفَهُهُ لِلجَرِيدِ ، وَأَشْيَاءَ مِمَّا تَقَدَّمَ يُنْبِئُ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِمُعَمَّرٍ وَلَا هَرِمٍ فَقَدْ فَارَقَ وَطَنَهُ وَهُوَ حَدِيثٌ ، وَلَعَلَّهُ قَدِمَ الْحِجَازَ وَلَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً أَوْ أَقْلُ ، فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ سَمِعَ بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ هَاجَرَ ، فَلَعَلَّهُ عَاشَ بِبُضْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً وَمَا أَرَاهُ بَلَغَ الْمِئَةَ فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ ، فَلْيُقَدِّنَا .

وَقَدْ نَقَلَ طُولَ عُمُرِهِ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ وَغَيْرُهُ وَمَا عَلِمْتُ فِي ذَلِكَ شَيْئًا يُرْكَنُ إِلَيْهِ (٣) .

عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ قَالَ : لَمَّا مَرَضَ سَلْمَانٌ ، خَرَجَ سَعْدٌ مِنَ الْكُوفَةِ يَعْوُدُهُ ، فَقَدِمَ ، فَوَافَقَهُ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ يَبْكِي ، فَسَلَّمَ وَجَلَسَ ، وَقَالَ : مَا يُبْكِيكَ يَا أَخِي ؟ أَلَا تَذْكُرُ صُحْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ أَلَا تَذْكُرُ الْمَشَاهِدَ الصَّالِحَةَ ؟

(١) انظر السير : (سَلْمَانُ الْفَارَسِيُّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٢٠٥ .

(٢) انظر السير : (سَلْمَانُ الْفَارَسِيُّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٢٠٥ .

(٣) انظر السير : (سَلْمَانُ الْفَارَسِيُّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٢٠٥ .

قَالَ : وَاللَّهِ مَا يُبْكِينِي وَاحِدَةً مِنْ اثْنَتَيْنِ : مَا أَبْكِي حُبًّا بِالدُّنْيَا وَلَا كَرَاهِيَةً لِلِقَاءِ اللَّهِ قَالَ سَعْدٌ : فَمَا يُبْكِيكَ بَعْدَ ثَمَانِينَ ؟ قَالَ : يُبْكِينِي أَنْ خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدًا إِلَيَّ عَهْدًا قَالَ : « لِيَكُنْ بِلَاغٌ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كِرَادِ الرَّاكِبِ » وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنَّا قَدْ تَعَدَّيْنَا .

رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنْ ثَابِتٍ ، فَقَالَ : عَنْ أَبِي عُثْمَانَ ، وَإِرْسَالَهُ أَشْبَهَ قَالَهُ أَبُو حَاتِمٍ ، وَهَذَا يُوضِّحُ لَكَ أَنَّهُ مِنْ أَبْنَاءِ الثَّمَانِينَ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي تَارِيخِي الْكَبِيرِ أَنَّهُ عَاشَرَ مِثْمِينَ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَأَنَا السَّاعَةَ لَا أُرْتَضِي ذَلِكَ وَلَا أَصَحِّحُهُ (١) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَلَا تَسْأَلُنِي مِنْ هَذِهِ الْغَنَائِمِ الَّتِي يَسْأَلُنِي أَصْحَابُكَ ؟ » قُلْتُ : أَسْأَلُكَ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ فَتَرَعَ نَمْرَةَ كَانَتْ عَلَى ظَهْرِي ، فَبَسَطَهَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّمْلِ يَدُبُّ عَلَيْهَا ، فَحَدَّثَنِي ، حَتَّى إِذَا اسْتَوْعَبْتُ حَدِيثَهُ ، قَالَ : « اجْمَعَهَا فَصُرِّهَا إِلَيْكَ » فَأَصْبَحْتُ لَا أَسْقِطُ حَرْفًا مِمَّا حَدَّثَنِي .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : تَزَعُمُونَ أَنِّي أَكْثَرُ الرُّوَايَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مِسْكِينًا ، أَصْحَبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِلءِ بَطْنِي ، وَإِنَّهُ حَدَّثَنَا يَوْمًا ، وَقَالَ : « مَنْ يَنْسِطُ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي ، ثُمَّ قَبِضَهُ إِلَيْهِ ، لَمْ يَنْسَ شَيْئًا سَمِعَ مِنِّي أَبَدًا » فَفَعَلْتُ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ ، مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ (٢) .

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : كَانَ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ قَدِ وَّجَدُوا عَلَى عُمَرَ فِي إِذْنَائِهِ ابْنَ عَبَّاسٍ دُونَهِمْ قَالَ : وَكَانَ يَسْأَلُهُ فَقَالَ عُمَرُ : أَمَا سَأَرِيكُمْ الْيَوْمَ مِنْهُ مَا تَعْرِفُونَ فَضَلَّهُ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ هَذِهِ السُّورَةِ ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ (٣) ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَمَرَ اللَّهُ

(١) انظر السير : (سلمان الفارسي) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزعة : ٤/٢٠٥ .

(٢) انظر السير : (أبو هريرة) ٢/٥٧٨-٦٣٢ ، وانظر النزعة : ١/٣٠٩ .

(٣) سورة النصر ، الآية : ١ .

نَبِيَّهَ إِذَا رَأَى النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا أَنْ يَحْمَدَهُ وَيَسْتَغْفِرَهُ فَقَالَ عُمَرُ : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ تَكَلَّمْ فَقَالَ : أَعْلَمَهُ مَتَى يَمُوتُ ، أَي : فِيهِ آيَتُكَ مِنَ الْمَوْتِ ، فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرَهُ (١) .

وعن الحسن ، أَنَّ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ قَيْسٍ كَانَ يَقُولُ : مَنْ أَقْرَىءُ ؟ فَيَأْتِيهِ نَاسٌ ، فَيُقْرَأُ لَهُمُ الْقُرْآنَ ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّيُ إِلَى الظُّهْرِ ، ثُمَّ يُصَلِّيُ الْعَصْرَ ، ثُمَّ يُقْرَأُ النَّاسَ إِلَى الْمَغْرِبِ ، ثُمَّ يُصَلِّيُ مَا بَيْنَ الْعِشَاءِ يَنْصَرِفُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَيَأْكُلُ رَغِيْفًا ، وَيَنَامُ نَوْمَةً خَفِيْفَةً ، ثُمَّ يَقُومُ لصلَاتِهِ ثُمَّ يَتَسَحَّرُ رَغِيْفًا وَيَخْرُجُ (٢) .

عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لَنَا وَنَحْنُ شَبَابٌ : مَا لَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ ، إِنْ تَكُونُوا صِغَارًا قَوْمٌ يُوشِكُ أَنْ تَكُونُوا كِبَارًا قَوْمٌ ، وَمَا خَيْرُ الشَّيْخِ أَنْ يَكُونَ شَيْخًا وَهُوَ جَاهِلٌ ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي قَبْلَ مَوْتِ عَائِشَةَ بِأَرْبَعِ حِجَجٍ وَأَنَا أَقُولُ لَوْ مَاتَتِ الْيَوْمَ مَا نَدَمْتُ عَلَى حَدِيثِ عِنْدَهَا إِلَّا وَقَدْ وَعَيْتُهُ ، وَلَقَدْ كَانَ يَبْلُغُنِي عَنِ الصَّحَابِيِّ الْحَدِيثُ فَأَتِيهِ فَأَجِدُهُ قَدْ قَالَ ، فَأَجْلِسُ عَلَى بَابِهِ ، ثُمَّ أَسْأَلُ عَنْهُ (٣) .

وقال أبو مسهر : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ التَّنُوخِيُّ قَالَ : كُنْتُ أَجْلِسُ بِالْغَدَوَاتِ إِلَى ابْنِ أَبِي مَالِكٍ ، وَأُجَالِسُ بَعْدَ الظُّهْرِ إِسْمَاعِيلَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَبَعْدَ الْعَصْرِ مَكْحُولًا .

قال أبو حاتم الرازي : كَانَ أَبُو مُسْهَرٍ يُقَدِّمُ سَعِيدًا عَلَى الْأَوْزَاعِيِّ .

وقال أبو عبد الله الحاكم : سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِأَهْلِ الشَّامِ كَمَا لِكِ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي التَّقَدُّمِ وَالْفِقْهِ وَالْأَمَانَةِ (٤) .

وروي عن سليم الرازي قال : كَانَ أَبُو حَامِدِ الْإِسْفَرَايِينِيِّ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ يَحْرُسُ فِي دَرَبٍ ، وَكَانَ يُطَالِعُ عَلَى زَيْتِ الْحَرَسِ ، وَإِنَّهُ أَفْتَى وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً .

(١) انظر السير : (عبد الله بن عباس البحر) ٣/٣٣١-٣٥٩ ، وانظر النزهة : ٣/٣٩٠ .

(٢) انظر السير : (عامر بن عبد قيس) ٤/١٥-١٩ ، وانظر النزهة : ١/٤٣٣ .

(٣) انظر السير : (عروة بن الزبير) ٤/٤٢١-٤٣٧ ، وانظر النزهة : ٢/٥٢٦ .

(٤) انظر السير : (سعيد بن عبد العزيز) ٨/٣٢-٣٨ ، وانظر النزهة : ٣/٧٢٣ .

قال الخطيبُ : مات أبو حامد في سنة ست وأربع مئة ، كان يوماً مشهوداً ، ودُفنَ في داره ، ثم نُقلَ بعد أربع سنين ، ودُفنَ ببابِ حربٍ ، رَحِمَهُ اللهُ (١) .

وعن أبي إسحاق الشيرازي : أنه اشتَهَى ثريداً بماءٍ باقلاءً ، قال : فما صحَّ لي أكله لاشتغالي بالدرسِ وأخذي النوبة (٢) .

السَّمْعَانِيُّ :

قال الإمامُ الذهبيُّ في ترجمته : الإمامُ الحافظُ الكبيرُ الأُوحدُ الثقةُ ، مُحدِّثُ خُرَاسَانَ ، أبو سَعْدِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ الْإِمَامِ الْحَافِظِ النَّاقِدِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَلَامَةِ مُفْتِي خُرَاسَانَ أَبِي الْمُظَفَّرِ مَنْصُورٍ ، التَّمِيمِيُّ السَّمْعَانِيُّ الْخُرَاسَانِيُّ الْمَرْوَزِيُّ ، صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ الْكَثِيرَةِ .

وُلِدَ بِمَرْوَ ، سَنَةَ سِتِّ وَخَمْسِ مِئَةٍ (٣) .

وَلَا يُوصَفُ كَثْرَةُ الْبِلَادِ وَالْمَشَايخِ الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُمْ .

فَسَمِعَ بِأَمْلٍ طَبْرِسْتَانَ ، وَبَابِيُورِدَ ، وَبِاسْفَرَايِينَ ، وَبِالْأَنْبَارِ ، وَبِخَارِيٍّ ، وَبِبروجردَ ، وَبِسِنطامَ ، وَبِالْبَصْرَةِ ، وَبِغَشُورَ ، وَبِبَلْخَ ، وَبِتَرْمِذَ ، وَبِجُرْجَانَ ، وَبِحَلَبَ ، وَبِحَمَاةَ ، وَبِحَمَصَ ، وَبِخَرْتَنكَ عِنْدَ قَبْرِ الْبُخَارِيِّ ، وَبِخُسْرُوجِرْدَ ، وَبِالريِّ ، وَبِسَرْخَسَ ، وَبِسَمَرْقَنْدَ ، وَبِهِمْدَانَ وَهَرَاةَ وَالْحَرَمِينَ ، وَالْكُوفَةَ ، وَطُوسَ ، وَالكَرْخَ ، وَنَسَا ، وَوَأَسِطَ ، وَالْمَوْصِلَ ، وَنَهَاوَنْدَ ، وَالطَّلَقَانَ ، وَبِوشَنجَ ، وَالْمَدَائِنَ ، وَبِقَاعَ يَطُولُ ذِكْرُهَا بَحِيثَ إِنَّهُ زَارَ الْقُدْسَ وَالْحَلِيلَ وَهَمَا بِأَيْدِي الْفَرَنْجِ ، تَحِيَّلَ ، وَخَاطَرَ فِي ذَلِكَ ، وَمَا تَهَيَّأَ ذَلِكَ لِلْسَّلْفِيِّ وَلَا لَابِنِ عَسَاكِرَ .

وَكَانَ ظَرِيفَ السَّمَائِلِ ، حُلُوَ الْمُدَاكِرَةِ ، سَرِيعَ الْفَهْمِ ، قَوِيَّ الْكِتَابَةِ سَرِيعَهَا ،

(١) انظر السير : (أبو حامد الإسفراييني) ١٧/١٩٣-١٩٧ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٣٦ .

(٢) انظر السير : (أبو إسحاق الشيرازي) ١٨/٤٥٢-٤٦٤ ، وانظر النزهة : ٤/١٤٢٩ .

(٣) انظر السير : (السَّمْعَانِيُّ) ٢٠/٤٥٦-٤٦٥ ، وانظر النزهة : ١/١٥٧٧ .

دَرَسَ وَأُفْتِيَ وَوَعَّظَ ، وَسَادَ أَهْلَ بَيْتِهِ ، وَكَانُوا يُلقَبُونَهُ بِلِقَبِ وَالِدِهِ تاج الإسلام ، وَكَانَ أَبُوهُ يُلقَبُ أَيْضاً مُعِينِ الدِّينِ (١) .

قَالَ ابْنُ النَّجَّارِ : سَمِعْتُ مَنْ يَذْكُرُ أَنَّ عَدَدَ شُيُوخِ أَبِي سَعْدٍ سَبْعَةُ آلَافٍ شَيْخٍ قَالَ : وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ ، وَكَانَ مَلِيحَ التَّصَانِيفِ كَثِيرَ النُّشُورِ وَالْأَنَاشِيدِ ، لَطِيفَ الْمِرْزَاجِ ، ظَرِيفاً ، حَافِظاً ، وَاسِعَ الرَّحْلَةَ ، ثِقَةً صَدُوقاً دَيِّناً ، سَمِعَ مِنْهُ مَشَايِخُهُ وَأَقْرَانُهُ . مَاتَ الْحَافِظُ أَبُو سَعْدٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ بِمَرُوءِهِ سِتًّا وَخَمْسُونَ سَنَةً (٢) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ السَّلَفِيِّ : بَقِيَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَاماً ، يَكْتُبُ الْحَدِيثَ وَالْفِقْهَ وَالْأَدَبَ وَالشُّعْرَ وَقَدِمَ دِمَشْقَ سَنَةَ تِسْعِ وَخَمْسِ مِئَةٍ ، فَأَقَامَ بِهَا سِتِّينَ ، يَكْتُبُ الْعِلْمَ مُقِيماً بِالْخَانِقَاهِ ثُمَّ اسْتَوَطَنَ نَعْرَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ بَضْعاً وَسِتِّينَ سَنَةً وَإِلَى أَنْ مَاتَ يَنْشُرُ الْعِلْمَ وَيُحْصِلُ الْكُتُبَ الَّتِي قَلَّ مَا اجْتَمَعَ لِعَالِمٍ مِثْلَهَا فِي الدُّنْيَا .

ارْتَحَلَ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ جَدّاً ، وَلَا سِيَّماً لَمَّا زَالَتْ دَوْلَةُ الرَّفِضِ عَنْ إِقْلِيمِ مِصْرَ وَتَمَلَّكَهَا عَسْكَرُ الشَّامِ ، فَارْتَحَلَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ صَلاحُ الدِّينِ ، وَإِخْوَتُهُ وَأَمْرَأُوهُ ، فَسَمِعُوا مِنْهُ .

وَحَدَّثَ عَنْهُ الْأَثَمَةُ وَكَانَ مُكْتَباً عَلَى الْكِتَابَةِ وَالِاسْتِغْالِ وَالرِّوَايَةِ ، لَا رَاحَةَ لَهُ غَالِباً إِلَّا فِي ذَلِكَ وَلَهُ تَصَانِيفٌ كَثِيرَةٌ ، وَكَانَ يَسْتَحْسِنُ الشُّعْرَ ، وَيَنْظُمُهُ ، وَيُثِيبُ مَنْ يَمْدَحُهُ (٣) .

٥- أُبَيَّاتٌ فِي الْهِمَّةِ :

قال ابن فارس (٤) :

إِذَا كُنْتَ تُؤْذِي بِحَرِّ الْمَصِيفِ وَيُبْسِ الْخَرِيفِ وَبِرْدِ الشُّتَا
وَيُلْهِيكَ حَسَنُ زَمَانِ الرَّبِيعِ فَأَخْذَكَ لِلْعِلْمِ قَلَّ لِي مَتَى!؟

* * *

(١) انظر السير : (السَّمْعَانِيُّ) ٢٠/٤٥٦-٤٦٥ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٧٧ .

(٢) انظر السير : (السَّمْعَانِيُّ) ٢٠/٤٥٦-٤٦٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٧٧ .

(٣) انظر السير : (السَّلَفِيُّ) ٢١/٥-٣٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٩١ .

(٤) انظر السير : (ابنُ فَارِسٍ) ١٧/١٠٣-١٠٦ ، وانظر النزهة : ١/١٣٢٥ .

الْوَرَعُ

١- الْوَرَعُ لَا يَكُونُ عَلَى النَّاسِ وَإِنَّمَا عَلَى النَّفْسِ خَاصَّةً :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْمُزْنِيِّ : وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَضَيِّقًا عَلَى نَفْسِهِ فِي الْوَرَعِ ، وَأَوْسَعَهُ فِي ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ ، وَكَانَ يَقُولُ : أَنَا خُلِقْتُ مِنْ أَخْلَاقِ الشَّافِعِيِّ .
قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : وَبَلَّغْنَا أَنَّ الْمُزْنِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ مُجَابِبَ الدَّعْوَةِ ، ذَا زُهْدٍ وَتَأَلَّهُ ، أَخَذَ عَنْهُ خَلْقٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَبِهِ انْتَشَرَ مَذْهَبُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ فِي الْآفَاقِ ^(١) .

٢- أَقْوَالٌ تَحْتُ عَلَى الْوَرَعِ :

عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : فَضَّلَ الْعِلْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ ، وَخَيْرٌ دِينِكُمُ الْوَرَعُ ^(٢) .

وَعَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ ، قَالَ : أَدْرَكْتُهُمْ وَمَا يَتَعَلَّمُونَ إِلَّا الْوَرَعَ ^(٣) .

٣- صُورٌ مِنَ الْوَرَعِ :

قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاتِكَةِ : أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ مَرَّ بِقَرْيَةِ دُمَّرَ ^(٤) ، فَأَمَرَ غَلَامَهُ أَنْ يَقَطَعَ لَهُ سِوَاكَأَ مِنْ صِفْصَافٍ عَلَى نَهْرِ بَرْدَى ، فَمَضَى لِيَفْعَلَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : ارْجِعْ ، فَإِنَّهُ إِنْ لَا يَكُنْ بِثَمَنٍ ، فَإِنَّهُ يَبْسُ ، فَيَعُودُ حَطْبًا بِثَمَنٍ ^(٥) .

وَعَنْ أَنَسٍ : أَنَّ أَبَا مُوسَى كَانَ لَهُ سَرَاوِيلٌ يَلْبَسُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَتَكَشَّفَ ^(٦) .

وَعَنْ الْحَكَمِ بْنِ الْأَعْرَجِ ، قَالَ : جَلَبَ رَجُلٌ خَشْبًا ، فَطَلَبَهُ زِيَادٌ ، فَأَبَى أَنْ يَبِيعَهُ ،

(١) انظر السير : (المُزْنِيُّ) ١٢/٤٩٢-٤٩٧ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٢٤ .

(٢) انظر السير : (مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) ٤/١٨٧-١٩٥ ، وانظر النزهة : ٣/٤٧٥ .

(٣) انظر السير : (الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ) ٤/٥٩٨-٦٠٠ ، وانظر النزهة : ٤/٥٦٦ .

(٤) قرية من غوطة دمشق الغربية تبعد عنها ستة أميال .

(٥) انظر السير : (عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ) ٢/٥-١١ ، وانظر النزهة : ١/٢١٠ .

(٦) انظر السير : (أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ) ٢/٣٨٠-٤٠٢ ، وانظر النزهة : ٢/٢٨١ .

فَغَضِبَهُ إِيَّاهُ ، وَبَنَى صُفَّةَ مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ ، قَالَ : فَلَمْ يُصَلِّ أَبُو بَكْرَةَ فِيهَا حَتَّى قَلِعَتْ (١) .
 وَعَنْ قَزَعَةَ ، قَالَ : رَأَيْتُ عَلَى ابْنِ عُمَرَ ثِيَابًا خَشِنَةً أَوْ جَشِبَةً (٢) فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّي قَدْ
 أَتَيْتَكَ بِثَوْبٍ لَيْتِنِ مِمَّا يُصْنَعُ بِخُرَّاسَانَ ، وَتَقَرُّ عَيْنَايَ أَنْ أَرَاهُ عَلَيْكَ قَالَ : أَرْنِيهِ ،
 فَلَمَسَهُ ، وَقَالَ : أَحْرِيْرٌ هَذَا ؟ قُلْتُ : لَا ، إِنَّهُ مِنْ قَطْنٍ قَالَ : إِنَّي أَخَافُ أَنْ أَلْبَسَهُ ،
 أَخَافُ أَكُونُ مُخْتَالًا فَخُورًا ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّبًا : كُلُّ لِبَاسٍ أَوْجَدَ فِي الْمَرْءِ خُيْلَاءً وَفَخْرًا فَتَرَكَهُ مُتَعَيِّنٌ وَلَوْ
 كَانَ مِنْ غَيْرِ ذَهَبٍ وَلَا حَرِيرٍ فَإِنَّا نَرَى الشَّابَّ يَلْبَسُ الْفَرَجِيَّةَ (٣) الصُّوفَ بَقَرُو مِنْ أُنْمَانَ
 أَرْبَعِ مِئَةِ دِرْهَمٍ وَنَحْوَهَا ، وَالْكِبْرُ وَالْخُيْلَاءُ عَلَى مِشِيَّتِهِ ظَاهِرٌ ، فَإِنْ نَصَحْتَهُ وَلَمْتَهُ بَرَفِي
 كَابِرٌ ، وَقَالَ : مَا فِيَّ خُيْلَاءٌ وَلَا فَخْرٌ وَهَذَا السَّيِّدُ ابْنُ عُمَرَ يَخَافُ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ
 وَكَذَلِكَ تَرَى الْفَقِيهَ الْمُتَرَفَّ إِذَا لِيمَ فِي تَفْصِيلِ فَرَجِيَّةٍ تَحْتَ كَعْبِيهِ ، وَقِيلَ لَهُ : قَدْ قَالَ
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكُعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِيهِ النَّارُ » ، يَقُولُ :
 إِنَّمَا قَالَ هَذَا فِيمَنْ جَرَّ إِزَارَهُ خُيْلَاءً ، وَأَنَا لَا أَفْعَلُ خُيْلَاءً ، فَتَرَاهُ يُكَابِرُ ، وَيُبْرِيءُ نَفْسَهُ
 الْحَمَقَاءَ ، وَيَعْمَدُ إِلَى نَصٍّ مُسْتَقْلٍ عَامٍّ فَيَخْضُهُ بِحَدِيثِ آخَرَ مُسْتَقْلٍ بِمَعْنَى الْخُيْلَاءِ ،
 وَيَتَرَخَّصُ بِقَوْلِ الصُّدِّيقِ : إِنَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَسْتَرْخِي إِزَارِي ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ : « لَسْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خُيْلَاءً » فَقُلْنَا : أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَكُنْ يَشُدُّ
 إِزَارَهُ مَسْدُولًا عَلَى كَعْبِيهِ أَوْلًا ، بَلْ كَانَ يَشُدُّهُ فَوْقَ الْكَعْبِ ، ثُمَّ فِيمَا بَعْدَ يَسْتَرْخِي وَقَدْ
 قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ ، لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَ
 ذَلِكَ وَبَيْنَ الْكُعْبَيْنِ » وَمِثْلُ هَذَا فِي النَّهْيِ لِمَنْ فَصَّلَ سَرَاوِيلَ مُعْطِيًا لِكِعَابِهِ وَمِنْهُ طَوْلُ
 الْأَكْمَامِ زَائِدًا ، وَتَطْوِيلُ الْعَدْبَةِ وَكُلُّ هَذَا مِنْ خُيْلَاءٍ كَامِنٍ فِي النَّفْسِ وَقَدْ يُعْذَرُ الْوَاحِدُ
 مِنْهُمْ بِالْجَهْلِ ، وَالْعَالِمُ لَا عُذْرَ لَهُ فِي تَرْكِه الْإِنْكَارَ عَلَى الْجَهْلَةِ فَإِنْ خُلِعَ عَلَى رَأْسِهِ
 خِلْعَةٌ سِيرَاءً (٤) مِنْ ذَهَبٍ وَحَرِيرٍ ، وَقُنْدُسٍ ، يُحَرِّمُهُ مَا وَرَدَ فِي النَّهْيِ عَنْ جُلُودِ

(١) انظر السير : (أبو بكرَةَ الثَّقَفِيُّ الطَّائِفِيُّ) ٣/ ٥- ١٠ ، وانظر النزهة : ١/ ٣٢٠ .

(٢) الجَشِبُ مِنَ الثِّيَابِ : الْخَشْنُ الْغَلِيظُ .

(٣) الفرجية : ثوب واسع طويل الأكمام ، يُتَخَذُ مِنْ قَطْنٍ أَوْ حَرِيرٍ أَوْ صُوفٍ .

(٤) السِّيرَاءُ : نَوْعٌ مِنَ الْبُرُودِ تُتَخَذُ مِنَ الْحَرِيرِ .

السَّبَاعِ ، وَلَبَسَهَا الشَّخْصُ يَسْحَبُهَا وَيَخْتَالُ فِيهَا ، وَيَخْطُرُ بِيَدِهِ وَيَغْضَبُ مِمَّنْ لَا يُهْنِيهِ
 بهلذه الْمُحْرَمَاتِ ، وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَتْ خِلْعَةً وَزَارَةً وَظُلْمًا وَنَظَرٍ مَكْسٍ^(١) ، أَوْ وِلَايَةِ
 شُرْطَةٍ فَلْيَهْتِمَا لِلْمَقْتِ وَاللَّعْزَلِ وَالْإِهَانَةِ وَالضَّرْبِ ، وَفِي الْآخِرَةِ أَشَدُّ عَذَابًا وَتَنَكِيلًا
 فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَأَبِيهِ وَأَيْنَ مِثْلُ ابْنِ عُمَرَ فِي دِينِهِ ، وَوَرَعِهِ وَعِلْمِهِ ، وَتَأْلُهُ
 وَخَوْفِهِ ، مِنْ رَجُلٍ تُعْرَضُ عَلَيْهِ الْخِلَافَةُ ، فَيَأْبَاهَا ، وَالْقَضَاءُ مِنْ مِثْلِ عُثْمَانَ ، فَيَرُدُّهُ ،
 وَنِيَابَةَ الشَّامِ لِعَلِيِّ فَيَهْرَبُ مِنْهُ فَاللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ^(٢) .

قال جَعْفَرُ بْنُ بَرْقَانَ : حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَانَ ، أَنَّ عَامَرَ بْنَ عَبْدِ قَيْسٍ ، بَعَثَ إِلَيْهِ
 أَمِيرُ الْبَصْرَةِ : مَا لَكَ لَا تَأْكُلُ الْجُبْنَ ؟ قَالَ : إِنَّا بَارِضِينَ فِيهَا مَجُوسٌ ، فَمَا شَهِدَ مُسْلِمَانِ
 أَنْ لَيْسَ فِيهِ مَيْتَةٌ أَكَلْتُهُ ، قَالَ : وَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَأْتِيَ الْأُمْرَاءَ ؟ قَالَ : إِنَّ لَدَيْ أَبْوَابِكُمْ
 طُلَّابُ الْحَاجَاتِ ، فَادْعُوهُمْ واقضُوا حَاجَاتِهِمْ ، وَدَعُوا مَنْ لَا حَاجَةَ لَهُ إِلَيْكُمْ^(٣) .

وعن عبيدة بن عمرو قال : اختلف الناس في الأشربة فما لي شرابٌ منذ ثلاثين سنة
 إلا العسلُ واللبنُ والماءُ^(٤) .

وجاء في ترجمته شقيق بن سلمة ، قال عاصمُ بنُ بهدلة : كان أبو وائل يقول
 لجاريته : إذا جاء يحيى - يعني ابنه - بشيء فلا تقبله ، وإذا جاء أصحابي بشيء ،
 فخذيه ، وكان ابنه قاضياً على الكناساة^(٥) ، قال : وكان لأبي وائل رحمه الله خُصٌّ من
 قَصَبٍ ، يَكُونُ فِيهِ هُوَ وَفَرَسُهُ ، فَإِذَا غَزَا ، نَقَضَهُ وَتَصَدَّقَ بِهِ ، فَإِذَا رَجَعَ ، أَنْشَأَ بِنَاءَهُ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعَقَّباً : قد كان هذا السَّيِّدُ رَأْساً فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ مَاتَ سَنَةَ
 اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ^(٦) .

وقال عيسى بنُ يونس ، سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ يَقُولُ : لَمَّا جِيَءَ بِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ،

(١) الْمَكْسُ : الضريبة التي يأخذها الماكس ، وهو العشار .

(٢) انظر السير : (عبد الله بنُ عمر) ٢٠٣/٣ - ٢٣٩ ، وانظر النزاهة : ٢/٣٧٢ .

(٣) انظر السير : (عامرُ بنُ عبد قيس) ١٥/٤ - ١٩ ، وانظر النزاهة : ٢/٤٣٤ .

(٤) انظر السير : (عبيدة بنُ عمرو) ٤٠/٤ - ٤٤ ، وانظر النزاهة : ٣/٤٣٩ .

(٥) الكناساة : محل بالكوفة .

(٦) انظر السير : (شقيقُ بنُ سلمة) ١٦١/٤ - ١٦٦ ، وانظر النزاهة : ٩/٤٦٩ .

وطلّق بن حبيب ، وأصحابهما دخلت عليهم السّجن فقلت : جاء بكم شرطيّ أو جليويّ من مكة إلى القتلِ أفلا كتفتموه وألقيتموه في البريّة ؟ فقال سعيدٌ : فمن كان يسقيه الماء إذا عطش^(١) .

وقد وقف على ابن سيرين دينٌ كثيرٌ من أجل زيت كثير أراقه ، لكونه وجد في بعض الظروف فارة^(٢) .

وقال النضر بن شميل : غلا الخزّ في موضع كان إذا غلا هناك غلا بالبصرة ، وكان يونس بن عبّيد خزازاً فعلم بذلك فاشترى من رجلٍ متاعاً بثلاثين ألفاً فلما كان بعد ذلك قال لصاحبه : هل كنت علمت أنّ المتاع غلا بأرض كذا وكذا ؟ قال : لا ولو علمت لم أبع قال : هلّم إليّ مالي ، وخذ مالك فردّ عليه الثلاثين الألف^(٣) .

وقيل : إنّ كهمساً سقط منه دينارٌ ففتش ، فلقيه ، فلم يأخذه ، وقال : لعله غيره^(٤) .

قال الإمام الذهبي في ترجمة الإمام أبي حنيفة النعمان : وابنه الفقيه حماد بن أبي حنيفة كان ذا علمٍ ودينٍ وصلاحٍ وورعٍ تامٍّ ، لمّا توفّي والده ، كان عنده ودائعٌ كثيرة ، وأهلها غائبون فنقلها حماد إلى الحاكم ليَسلمها ، فقال : بل دَعها عندك ، فإنك أهلٌ فقال : زنها واقبضها حتّى تبرأ منها ذمّة الوالد ، ثم افعَل ما ترى ففعل القاضي ذلك وبقي في وزنها وحسابها أيّاماً واستتر حماد فما ظهر حتّى أودعها القاضي عند أمين .

توفّي حماد سنة ست وسبعين ومئة كهلاً^(٥) .

وقال حسين الجعفي : ربّما عطش حمزة بن حبيب ، فلا يسّقي كراهية أن يُصادف من قرأ عليه^(٦) .

(١) انظر السير : (سعيد بن جبّير) ٤/٣٢١-٣٤٣ ، وانظر النزّهة : ٧/٥٠٧ .

(٢) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٤/٦٠٦-٦٢٢ ، وانظر النزّهة : ٢/٥٦٨ .

(٣) انظر السير : (يونس بن عبّيد) ٦/٢٨٨-٢٩٦ ، وانظر النزّهة : ٤/٦٥٢ .

(٤) انظر السير : (كهمس) ٦/٣١٦-٣١٧ ، وانظر النزّهة : ٣/٦٥٣ .

(٥) انظر السير : (أبو حنيفة) ٦/٣٩٠-٤٠٤ ، وانظر النزّهة : ٢/٦٦٤ .

(٦) انظر السير : (حمزة بن حبيب) ٧/٩٠-٩٢ ، وانظر النزّهة : ٧/٦٧٩ .

وقال الإمام الذهبي في ترجمته يزيد بن زريع : مات أبوه ، وكان والياً على الأبلّة ، فخلّف خمس مئة ألف ، فما أخذ منها حبةً ، رحمه الله^(١) .

وقال أبو حسان عيسى بن عبد الله البصري : سمعت الحسن بن عرفة يقول : قال لي ابن المبارك : استعرت قلماً بأرض الشام ، فذهبت على أن أرده ، فلما قدمت مرو ، نظرت فإذا هو معي ، فرجعت إلى الشام حتى رددته على صاحبه^(٢) .

وقال الحسن بن الربيع : لما احتضر ابن المبارك في السفر قال : أشتي سويقاً ، فلم نجدّه إلا عند رجلٍ كان يعمل للسلطان ، وكان معنا في السفينة فذكرنا ذلك لعبد الله ، فقال : دعوهُ ، فمات ولم يشربه^(٣) .

وبالإسناد عن فضيل : كانت لنا شاة بالكوفة ، أكلت شيئاً يسيراً من علف أمير ، فما شرب لها عليّ ابني لبناً بعد^(٤) .

وعن الفضيل قال : أهدى لنا ابن المبارك شاة فكان ابني لا يشرب منها ، فقلت له في ذلك فقال : إنها قد رعت بالعراق^(٥) .

وقال ابن أبي شيخ : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : زاملت أبا بكر ابن عيَّاش إلى مكة ، فما رأيت أوزع منه ، لقد أهدى له رجل رطباً ، فبلغه أنه من بُستانٍ أخذ من خالد بن سلمة المخزومي ، فأتى آل خالد ، فاستحلهم ، وتصدق بئمه^(٦) .

وكان الحفري إذا أراد أن ينتثر ، خرج من المسجد ، وكان مسجدهم محصباً ، فقيل : أليس كفارتها دفنها ؟ فيقول : لعليّ أؤخذ قبل أن أكفر^(٧) .

وقال أبو يحيى صاعقة : قدم زكريا بن عدي ، فكلّموا له من يستعمله على قرية في

-
- (١) انظر السير : (يزيد بن زريع) ٢٩٦-٢٩٩ ، وانظر النزهة : ١/٧٦٠ .
 - (٢) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٣٧٨-٤٢١ ، وانظر النزهة : ١/٧٦٨ .
 - (٣) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٣٧٨-٤٢١ ، وانظر النزهة : ٣/٧٧٠ .
 - (٤) انظر السير : (علي بن الفضيل) ٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٥/٧٨١ .
 - (٥) انظر السير : (علي بن الفضيل) ٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٦/٧٨١ .
 - (٦) انظر السير : (أبو بكر بن عيَّاش) ٤٩٥-٥٠٨ ، وانظر النزهة : ٥/٧٨٦ .
 - (٧) انظر السير : (الحفري) ٤١٥-٤١٧ ، وانظر النزهة : ٣/٨٣٤ .

الشَّهْرِ بَثْلَاثَيْنِ دِرْهَمًا ، فَرَجَعَ بَعْدَ شَهْرٍ ، وَقَالَ : لَيْسَ أَجْدُنِي أَعْمَلُ بِقَدْرِ الْأَجْرَةِ (١) .
وَأَشْتَكْتُ عَيْنَهُ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ بِكُخْلٍ ، فَقَالَ : أَنْتَ مِمَّنْ يَسْمَعُ الْحَدِيثَ مِنِّي ؟ قَالَ :
نَعَمْ ، فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَهُ (٢) .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عُمَانَ : سَمِعْتُ بِشْرَ بْنَ الْحَارِثِ يَقُولُ : إِنِّي لِأَشْتَهِي سُوءًا مِنْدُ
أَرْبَعِينَ سَنَةً ، مَا صَفَا لِي دِرْهَمُهُ (٣) .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ عَثَمٍ ، قَالَ : أَقَامَ بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ بَعْبَادَانَ يَشْرِبُ مَاءَ الْبَحْرِ ،
وَلَا يَشْرِبُ مِنْ حِيَاضِ السُّلْطَانِ ، حَتَّى أَضْرَبَ بِجَوْفِهِ ، وَرَجَعَ إِلَى أُخْتِهِ وَجِعًا ، وَكَانَ
يَعْمَلُ الْمَغَازِلَ وَيَبِيعُهَا ، فَذَاكَ كَسْبُهُ (٤) .

وَقَالَ خَلْفُ بْنُ هِشَامٍ : أَعَدْتُ الصَّلَاةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً كُنْتُ أَتَنَاوَلُ فِيهَا الشَّرَابَ عَلَى
مَذْهَبِ الْكُوفِيِّينَ (٥) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ شَيْخِ الْحَنَابِلَةِ ، الْحَسَنِ الْبَرْبَهَارِيِّ : وَقِيلَ : إِنَّهُ تَرَكَ
مِيرَاثَ أَبِيهِ تَوَرُّعًا ، وَكَانَ سَبْعِينَ أَلْفًا (٦) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ النَّجَّارِ : حَكَى لَنَا أَبُو عَلِيٍّ النَّقَّارُ قَالَ : سَقَطَتْ مِنْ ابْنِ
عُقْدَةَ دَنَانِيرٌ ، فَجَاءَ بِنَحَالٍ لِيَطْلُبَهَا ، قَالَ ابْنُ عُقْدَةَ : فَوَجَدْتُهَا ثُمَّ فَكَّرْتُ فَقُلْتُ : لَيْسَ
فِي الدُّنْيَا غَيْرُ دَنَانِيرِكَ ؟ فَقُلْتُ لِلنَّحَالِ : هِيَ فِي ذِمَّتِكَ ، وَذَهَبْتُ وَتَرَكْتُهُ (٧) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الدَّأُوودِيِّ : وَسَمِعْتُ أَسْعَدَ بْنَ زِيَادٍ يَقُولُ : كَانَ
شَيْخُنَا الدَّأُوودِيُّ بَقِيَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَأْكُلُ لَحْمًا ، وَقَتَ تَشْوِيشِ التُّرْكُمَانَ ، وَاخْتِلَاطِ
النَّهْبِ فَأَضْرَبَ بِهِ فَكَانَ يَأْكُلُ السَّمَكَ ، وَيُصْطَادُ لَهُ مِنْ نَهْرٍ كَبِيرٍ ، فَحُكِيَ لَهُ أَنَّ بَعْضَ

(١) انظر السير : (زكريا بن عدي) ١٠/٤٤٢-٤٤٥ ، وانظر النزهة : ٢/٨٨٢ .

(٢) انظر السير : (زكريا بن عدي) ١٠/٤٤٢-٤٤٥ ، وانظر النزهة : ٣/٨٨٢ .

(٣) انظر السير : (بشر بن الحارث) ١٠/٤٦٩-٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٤/٨٨٥ .

(٤) انظر السير : (بشر بن الحارث) ١٠/٤٦٩-٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٥/٨٨٥ .

(٥) انظر السير : (خلف بن هشام) ١٠/٥٧٦-٥٨٠ ، وانظر النزهة : ١/٨٩٦ .

(٦) انظر السير : (البربهاري) ١٥/٩٠-٩٣ ، وانظر النزهة : ٢/١١٨٦ .

(٧) انظر السير : (ابن عقدة) ١٥/٣٤٠-٣٥٥ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٣٤ .

الأمراء أكل على حافة ذلك النهر ونفضت سفرته وما فضل في النهر ، فما أكل السمك بعد .

نفقه بسهل الصعلوكي ، وبأبي حامد الإسفراييني (١) .

وقال السمعاني : دخل أبو إسحاق الشيرازي يوماً مسجداً ليتعدى ، فنسي ديناراً ، ثم ذكر ، فرجع فوجده ، ففكر وقال : لعله وقع من غيري ، فتركه (٢) .

قال السمعاني : سمعتُ عبد الخالق بن زياد يقول : أمر بعض الأمراء أن يضرب عطاء الفقاعي (٣) ، في محنة الشهيد عبد الهادي بن شيخ الإسلام ، مئة ، فبطح على وجهه ، فكان يضرب إلى أن ضرب ستين ، فشكوا كم ضرب خمسين أو ستين ؟ فقال عطاء : أخذوا بالأقل احتياطاً ، وحبس مع نساء ، وكان في الموضع أترسة ، فقام بجهد من الضرب ، وأقام الأترسة بينه وبينهن ، وقال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخلوة بالأجنبية .

توفي تقديراً سنة خمس وثلاثين وخمس مئة (٤) .

وقال ابن الأثير : طالعت السير ، فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته ، ولا أكثر تحريماً منه للعدل ، وكان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف إلا من ملوك له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ، لقد طلبت زوجته منه ، فأعطاه ثلاثة دكاكين فاستقبلتها ، فقال : ليس لي إلا هذا ، وجميع ما بيدي أنا فيه خازن للمسلمين ، وكان يتهجّد كثيراً ، وكان عارفاً بمذهب أبي حنيفة (٥) .

قال سبط الجوزي : كان له عجائز ، فكان يخيط الكوافي ، ويعمل السكاكر فيعنها له سراً ، ويفطر على ثمنها (٦) .

(١) انظر السير : (الداودي) ١٨/٢٢٢-٢٢٦ ، وانظر النزهة : ١/١٤٠٦ .

(٢) انظر السير : (أبو إسحاق الشيرازي) ١٨/٤٥٢-٤٦٤ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٣٠ .

(٣) نسبة إلى الفقاع وعمله ، وهو شراب يتخذ من الشعير ، سمي به لما يعلوه من الزبد .

(٤) انظر السير : (عطاء بن سعد) ٢٠/٥٤-٥٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٣٠ .

(٥) انظر السير : (نور الدين) ٢٠/٥٣١-٥٣٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٨١ .

(٦) انظر السير : (نور الدين) ٢٠/٥٣١-٥٣٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٨٢ .

وجاء في تَرْجَمَةِ ابْنِ عَسَاكِر ، قال أَبُو شَامَةَ : وكان يَتَوَرَّعُ من المُرُورِ في زُقَاقِ الحَنَابِلَةِ لِئَلَّا يَأْتِمُوا بِالوَقِيعَةِ فيه ، وذلك لِأَنَّ عَوَامَهُم يَبْغِضُونَ بَنِي عَسَاكِرٍ لِلتَّمَشُّعِ^(١) ، وَلَمْ يُؤَلِّهِ المُعَظَّمُ تَدْرِيسَ العَادِلِيَّةِ لِأَنَّهُ أَنْكَرَ عَلَيْهِ تَضَمِينَ الخَمْرِ والمَكْسِ .
تُوفِّيَ ابْنُ عَسَاكِرٍ في سَنَةِ عَشْرِينَ ومِئَةٍ ، وَقَلَّ مَنْ تَخَلَّفَ عَن جَنَازَتِهِ^(٢) .

اليَقِينِ

١- فَائِدَةُ اليَقِينِ :

عَنِ الأَنْطَاكِيِّ قَالَ : يَسِيرُ اليَقِينُ يُخْرِجُ كُلَّ الشَّكِّ مِنَ القَلْبِ^(٣) .

٢- رُؤْيَا تَحُثُّ عَلَى اليَقِينِ :

قَالَ الحُسَيْنُ بْنُ مُصْعَبٍ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورِ الطُّوسِيِّ ، قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَقُلْتُ : مُرْنِي بِشَيْءٍ حَتَّى أَلْزِمَهُ قَالَ : عَلَيْكَ بِاليَقِينِ^(٤) .

٣- صُورٌ عَلَى اليَقِينِ :

وقال ابنُ وَهْبٍ : كان حَيَوةً يأخُذُ عَطَاءَهُ في السَّنَةِ سَتِينَ دِينَاراً ، فَلَمْ يَطَّلِعْ إلى مَنزِلِهِ حَتَّى يَتَصَدَّقَ بِهَا ، ثُمَّ يَجِيءُ إلى مَنزِلِهِ ، فيَجِدُهَا تَحْتَ فِرَاشِهِ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَمِّ لَهُ ، فَأَخَذَ عَطَاءَهُ ، فَتَصَدَّقَ بِهِ كُلَّهُ ، وَجاءَ إلى تَحْتَ فِرَاشِهِ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئاً ، فَشَكَا إلى حَيَوةً ، فَقَالَ : أَنَا أُعْطِيتُ رَبِّي بِيقِينٍ ، وَأَنْتَ أُعْطِيتَهُ تَجَرِبَةً وَكُنَّا نَجْلِسُ إلى حَيَوةً في الفِيقَةِ فيقولُ : أْبَدَلْنِي اللهُ بِكُمْ عَموداً أقومُ وِراءَهُ أَصْلِي ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ^(٥) .

(١) أي بسبب كونهم أشاعرة ، وهذا من اصطلاح الإمام الذَّهَبِيِّ ، وإلَّا فَإِنَّ أبا شَامَةَ قال : لأنَّهم كانوا أَعْيَانُ الشَّافِعِيَّةِ الأَشْعَرِيَّةِ .

(٢) انظر السير : (ابنُ عَسَاكِر) ٢٢/١٨٧-١٩٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٨٤ .

(٣) انظر السير : (الأَنْطَاكِيُّ) ١١/٤٠٩-٤١٠ ، وانظر النزهة : ٢/٩٥٥ .

(٤) انظر السير : (مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ) ١٢/٢١٢-٢١٤ ، وانظر النزهة : ٥/٩٩٤ .

(٥) انظر السير : (حَيَوةُ بِنِ شَرِيحٍ) ٦/٤٠٤-٤٠٦ ، وانظر النزهة : ٦/٦٦٤ .

وَذَكَرَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْذَنْشٍ ، قَالَ الْيَسَعُ بْنُ حَزْمٍ : فَمِنْ عَجِيبِ مَا صَحَّ عِنْدِي مِنْ مَغَازِيهِ أَنَّهُ أَغَارَ يَوْمًا ، فَغَنِمَ غَنِيمَةً كَثِيرَةً ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ الرُّومِ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ فَارِسٍ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ وَكَانُوا ثَلَاثَ مِئَةِ فَارِسٍ : مَا تَرَوْنَ ؟ فَقَالُوا : نَشْغَلُهُمْ بِتَرْكِ الْغَنِيمَةِ قَالَ : أَلَمْ يَقُلْ الْقَائِلُ : ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَكْرِيُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ ^(١) فَقَالَ لَهُ ابْنُ مُورِينَ : يَا رَتِيسُ ، اللَّهُ قَالَ هَذَا ! فَقَالَ : اللَّهُ يَقُولُ هَذَا وَتَقْعُدُونَ عَنْ لِقَائِهِمْ ؟ ! قَالَ : فَتَبْتُوَا ، فَهَزَمُوا الرُّومَ .

وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسَةَ مِئَةِ سَارَ ابْنُ رُذَمِيرٍ ، فَنَازَلَ مَدِينَةَ إِفْرَاغَةَ ^(٢) وَبِهَا ابْنُ مَرْذَنْشٍ ، وَطَالَ الْحِصَارُ ، فَكَتَبُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ابْنِ تَاشَفِينَ لِيُغِيثَهُمْ ، فَكَتَبَ إِلَى ابْنِهِ تَاشَفِينَ بْنِ عَلِيٍّ وَإِلَى الْأَمِيرِ يَحْيَى ابْنِ غَانِيَةَ بِإِغَائِثِهِمْ ، وَإِدْخَالَ الْمِيرَةِ إِلَيْهِمْ ، فَتَهَيَّأَ لِنَجْدَتِهِمْ أَرْبَعَةَ أَلْفٍ ، فَمَا وَصَلُوا إِلَى إِفْرَاغَةَ إِلَّا وَقَدْ فَنِيَ مَا بِهَا ، وَلَمْ يَبْقَ لِابْنِ مَرْذَنْشٍ سِوَى حِصَانٍ فَذَبَحَهُ لَهُمْ ، فَحَصَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ أَوْقِيَّةٌ أَوْقِيَّةٌ .

قَالَ الْيَسَعُ : فَحَدَّثَنِي الْمَلِكُ الْمُجَاهِدُ ابْنُ عِيَاضٍ حَدِيثَ هَذِهِ الْعَزَاةِ قَالَ : لَمَّا وَصَلَ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ غَانِيَةَ مَدِينَةَ زَيْتُونَةَ ، خَرَجْتُ إِلَيْهِ مِنْ لَارِدَةَ مَعَ فُرْسَانِي ، فَقَالَ : أَشِيرُوا عَلَيَّ ، فَقُلْتُ : الصَّوَابُ جَمْعُ جُنْدِ الْأَنْدَلُسِ تَحْتَ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهَلَالٌ وَسُلَيْمٌ تَحْتَ رَايَةٍ أُخْرَى ، وَيَتَقَدَّمُ الزُّبَيْرُ بْنُ عُمَرَ بِأَهْلِ الْمَغْرِبِ بِالدَّوَابِّ الَّتِي تَحْمِلُ الْأَقْوَاتَ ، مَعَهُمُ الطُّبُولُ وَالرَّيَاثُ ، وَنَبَقَى نَحْنُ وَالْعَرَبُ كَمِينًا عَنِ يَمِينِ الْجَيْشِ وَيَسَارِهِ فَإِذَا أَبْصَرَ اللَّعِينُ الرَّيَاثَ وَالطُّبُولَ وَالزَّمْرَ حَمَلَ عَلَيْهِ ، فَفَكَرْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَتَيْنِ قَالَ : فَصَلَّيْنَا الصُّبْحَ فِي لَيْلَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِ مِئَةِ ، وَأَبْصَرَ اللَّعِينُ الْجَيْشَ وَقَدْ اسْتَرَاخَ مِنْ جِرَاحَاتِهِ وَكَانَ عَسْكَرُهُ إِذْ ذَاكَ أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ أَلْفَ فَارِسٍ سِوَى أَنْبَاعِهِمْ ، فَقَصَدُوا الطُّبُولَ ، فَانْكَسَرُوا وَتَفَرَّقُوا - يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ - فَأَتَيْنَا الرُّومَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ ، وَنَزَلَ النَّصْرُ وَعَمَلَ السَّيْفُ فِي الرُّومِ حَتَّى بَقِيَ ابْنُ رُذَمِيرٍ فِي نَحْوِ أَرْبَعِ مِئَةِ فَارِسٍ ، فَلَجَّؤُوا إِلَى حِصْنٍ لَهُمْ ، وَبَاتَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ هَلَكَ غَمًّا ، وَأَصَابَهُ

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٦٥ .

(٢) مدينة بالأندلس من أعمال ماردة ، كثيرة الزيتون .

مَرَضٌ ؛ مَاتَ بَعْدَ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ هَزِيمَتِهِ فَلَا رَحْمَةَ لِلَّهِ (١) .

وَجَاءَ فِي تَرْجَمَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ ، قَالَ الْجُبَّائِيُّ ، قَالَ لِي الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ : وَتَرَدُّ عَلَيَّ الْأَثْقَالُ الَّتِي لَوْ وُضِعَتْ عَلَى الْجِبَالِ تَفَسَّحَتْ فَأَضَعُ جَنْبِي عَلَى الْأَرْضِ ، وَأَقُولُ : إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، ثُمَّ أَرْفَعُ رَأْسِي وَقَدْ انْفَرَجَتْ عَنِّي (٢) .

* * *

-
- (١) انظر السير : (أبو عبد الله بن مَرْدَنِيَش) ٢٠/٢٣٢-٢٣٤ ، وانظر النزهة : ١/١٥٤٥ .
(٢) انظر السير : (الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ) ٢٠/٤٣٩-٤٥١ ، وانظر النزهة : ٤/١٥٧٥ .

صِفَاتٌ تُطَلَّبُ بِقَدْرِ

الْحَذَرِ

الْحَذَرُ لَا يَمْنَعُ الْقَدْرَ :

قال الإمام الذهبي في ترجمة الإمام الناصر لدين الله العباسي : نقل العدل شمس الدين الجزري في « تاريخه » ، عن أبيه قال : سمعتُ المؤيدَ ابنَ العلقميّ الوزير يقولُ : إنَّ الماءَ الذي يشربه الإمامُ الناصرُ كانَ تجيءُ به الدَّوابُّ من فوقِ بعدادٍ بسبعةِ فراسخٍ ويُغلى سَبْعَ غلواتٍ ثم يُحبسُ في الأوعيةِ أسبوعاً ثم يشربُ منه ، وما مات حتَّى سقيَ المُرَقَّدَ ثلاثَ مرارٍ وشُقَّ ذَكَرُه ، وأُخرجَ منه الحصى .

وقال ابنُ الأثير : بقيَ الناصرُ ثلاثَ سنينَ عاطلاً عن الحَرَكةِ بالكليةِ وقد ذهبتِ إحدَى عينيهِ ، وفي الآخرِ أصابه دُوسنطاريا عشرينَ يوماً ومات^(١) .

الْحُزْنُ

١- حُزْنُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ :

قال إبراهيمُ بنُ عيسى الشُّكريّ : ما رأيتُ أحداً أطولَ حُزناً من الحسنِ البصريّ ، ما رأيتُهُ إلاَّ حَسِبْتُهُ حديثَ عهدٍ بمُصيبةٍ^(٢) .

وقال مُسلمُ بنُ إبراهيمٍ : حدَّثنا إياسُ بنُ أبي تميمَةَ : شهدتُ الحسنَ في جنازةِ أبي رَجاءَ على بَغْلَةَ ، والفرزدقُ إلى جنبه على بعيرٍ ، فقال له الفرزدقُ : قد استشرَفنا النَّاسُ ، يقولونَ : خيرُ النَّاسِ وشرُّ النَّاسِ ، قالَ : يا أبا فراس ، كم من أشعثٍ أغبرٍ ، ذي طمرينٍ ، خيرٌ منِّي ، وكم من شيخٍ مُشركٍ أنتَ خيرٌ منه ، ما أعددتُ للموتِ ؟

(١) انظر السير : (الناصر لدين الله العباسي) ٢٢/١٩٢-٢٤٢ ، وانظر النزهة : ١/١٦٨٦ .

(٢) انظر السير : (الحسن البصري) ٤/٥٦٣-٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٧/٥٦٠ .

قَالَ : شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ : إِنَّ مَعَهَا شُرُوطًا ، فَإِيَّاكَ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ ، قَالَ : هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ قَالَ : نَعَمْ (١) .

وعن علقمة بن مرثد في ذكر الثمانية من التابعين ، قَالَ : وَأَمَّا الْحَسَنُ فَمَا رَأَيْنا أَحَدًا أَطْوَلَ حُزْنًا مِنْهُ ، مَا كُنَّا نَرَاهُ إِلَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِمُصِيبَةٍ ، ثُمَّ قَالَ : نَضْحَكَ وَلَا نَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَيَّ بَعْضَ أَعْمَالِنَا وَقَالَ : لَا أَقْبَلُ مِنْكُمْ شَيْئًا ، وَيَحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ بِمُحَارَبَةِ اللَّهِ - يَعْنِي قُوَّةَ - وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ أَقْوَامًا كَانَتْ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ أَحَدِهِمْ مِنَ الثَّرَابِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَقْوَامًا يُمْسِي أَحَدُهُمْ وَلَا يَجِدُ عِنْدَهُ إِلَّا قُوتًا فَيَقُولُ : لَا أَجْعَلُ هَذَا كُلَّهُ فِي بَطْنِي فَيَتَصَدَّقُ بِبَعْضِهِ وَلَعَلَّهُ أَجْوَعُ إِلَيْهِ مِمَّنْ يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْهِ (٢) .

قَالَ أَبُو صَالِحٍ كَاتِبُ اللَّيْثِ : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ أَنَّ رَجُلَيْنِ تَأَخَّيَا فِتْعَاهَدَا : إِنْ مَاتَ أَحَدُهُمَا قَبْلَ الْآخَرِ أَنْ يُخْبِرَهُ مَا وَجَدَ ، فَمَاتَ أَحَدُهُمَا ، فَرَأَاهُ الْآخَرُ فِي النَّوْمِ ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ؟ قَالَ : ذَاكَ مَلَكٌ فِي الْجَنَّةِ لَا يُعْصَى ، قَالَ : فابن سيرين ؟ قَالَ : ذَاكَ فِيمَا شَاءَ اشْتَهَى ، شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا ، قَالَ : فبأيِّ شَيْءٍ أَدْرَكَ الْحَسَنُ ؟ قَالَ : بِشِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ (٣) .

وَكَانَ الْحَكَمُ بْنُ حَجَلٍ ، صَدِيقًا لِابْنِ سِيرِينَ ، فَحَزَنَ عَلَى ابْنِ سِيرِينَ حَتَّى كَانَ يُعَادُ ، ثُمَّ قَالَ : رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ فِي حَالِ كَذَا وَكَذَا ، فَسَأَلْتُهُ لِمَا سَرَّنِي : مَا فَعَلَ الْحَسَنُ ؟ قَالَ : رُفِعَ فَوْقِي سَبْعِينَ دَرَجَةً ، قُلْتُ : بَمَ ؟ فَقَدْ كُنَّا نَرَى أَنَّكَ فَوْقَهُ قَالَ ؟ بِطُولِ الْحُزْنِ .

وَقَدْ كَانَ الْأَوْزَاعِيُّ أَشَارَ عَلَيْهِ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ ، أَنْ يَرْتَحِلَ إِلَى الْبَصْرَةِ لِلْقِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، فَأَتَى فَوَجَدَهُ فِي مَرَضِ الْمَوْتِ ، فَعَادَهُ وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ

(١) انظر السير : (الحسن البصري) ٤/٥٦٣-٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٣/٥٦٢ .

(٢) انظر السير : (الحسن البصري) ٤/٥٦٣-٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٤/٥٦٢ .

(٣) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٤/٦٠٦-٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٣/٥٧١ .

تعالَى ، وبلغني أَنَّ اسمَ أمِّه صَفِيَّةٌ ، مَوْلَاةُ أَبِي بكرِ الصِّدِّيقِ (١) .

وعن حُصَيْنِ الوَرَّانِ قَالَ : لَوْ قُسِّمَ بَيْتُ (٢) عِدِّ الوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ عَلَى أَهْلِ البَصْرَةِ لَوَسِعَهُمْ وَكَانَ يَقُومُ إِلَى مِخْرَابِهِ كَأَنَّهُ رَجُلٌ مُخَاطَبٌ (٣) .

٢- الحُزْنُ الرَّائِدُ المُبَالِغُ فِيهِ مَنَهِيٌّ عَنْهُ :

قَالَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ إِمَامِ الحَرَمَيْنِ : تُوِّفِيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ ، وَدُفِنَ فِي دَارِهِ ، ثُمَّ نُقِلَ بَعْدَ سِنِينَ إِلَى مَقْبَرَةِ الحُسَيْنِ فَدُفِنَ بِجَنْبِ والدِهِ ، وَكَسَرُوا مَنِيرَهُ ، وَغُلِّقَتِ الأَسْوَاقُ ، وَرُثِيَ بِقِصَائِدَ وَكَانَ لَهُ نَحْوُ مِنْ أَرْبَعِ مِئَةٍ تَلْمِيذٍ ، كَسَرُوا مَحَابِرَهُمْ وَأَقْلَامَهُمْ ، وَأَقَامُوا حَوْلًا ، وَوَضَعَتِ المَنَادِيلُ عَنِ الرُّؤُوسِ عَامًا ، بِحَيْثُ مَا اجْتَرَأَ أَحَدٌ عَلَى سَتْرِ رَأْسِهِ ، وَكَانَتِ الطَّلَبَةُ يَطُوفُونَ فِي البَلَدِ نَائِحِينَ عَلَيْهِ ، مُبَالِغِينَ فِي الصِّيَاحِ وَالجَزَعِ .

قَالَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّبًا : هَذَا كَانَ مِنْ زِيَّيِ الأَعَاجِمِ لِأَنَّ فِعْلَ العُلَمَاءِ المُتَّبِعِينَ (٤) .

٣- تَصْحِيحُ الذَّهَبِيِّ لِمُبَالِغَةِ أَحَدِ السَّلَفِ :

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى النِّسَابُورِيُّ ، حِينَ بَلَغَهُ وَفَاةُ أَحْمَدَ ، يَقُولُ : يَنْبَغِي لِكُلِّ أَهْلِ دَارٍ بَبْغَدَادَ أَنْ يُقِيمُوا عَلَيْهِ النِّيَاحَةَ فِي دُورِهِمْ .

قَالَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّبًا : تَكَلَّمَ الذَّهَلِيُّ بِمُقْتَضَى الحُزْنِ لِأَنَّ بِمُقْتَضَى الشَّرْعِ .

لَمَّا مَاتَ سَعِيدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، جَاءَ إِبرَاهِيمُ الحَرَبِيُّ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَحْمَدَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ ، فَقَالَ : تَقُومُ إِلَيَّ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ رَأَى أَبِي ، لَقَامَ إِلَيْكَ ، فَقَالَ

(١) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٦٠٦/٤ - ٦٢٢ ، وانظر النزاهة : ٤/٥٧١ .

(٢) البَيْتُ : الحُزْنُ والغَمُّ الذي تفضي به إلى صاحبك ، قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ : البَيْتُ فِي الأَصْلِ شِدَّةُ الحُزْنِ ، وَالمَرَضُ الشَّدِيدُ ، كَأَنَّهُ مِنْ شِدَّتِهِ يَبِئُهُ صَاحِبُهُ .

(٣) انظر السير : (عبد الواحد بن زيد) ١٧٨/٧ - ١٨٠ ، وانظر النزاهة : ٥/٦٩١ .

(٤) انظر السير : (إمام الحرمين) ٤٦٨/١٨ - ٤٧٧ ، وانظر النزاهة : ١/١٤٣٤ .

إبراهيم : والله لَوَرَأَى ابْنُ عُبَيْنَةَ أَبَاكَ ، لَقَامَ إِلَيْهِ .

وقد أثنى على أبي عبد الله جماعةً من أولياء الله ، وتبرَّكوا به رَوَى ذلك ابنُ الجوزيِّ ، وشيخُ الإسلام ولم يصحَّ سندُ بعضِ ذلك^(١) .

٤- حُزْنُ الْبَهَائِمِ عَلَى الصَّالِحِينَ :

قالَ الْمُؤَيَّدُ في « تاريخه » أَهْدِي لِلشَّيخِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْكَرِيمِ القُشَيْرِيِّ فَرسٌ ، فَرَكَبَهُ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً ، فَلَمَّا مَاتَ الشَّيخُ لَمْ يَأْكُلِ الْفَرَسُ شَيْئًا ، وَمَاتَ بَعْدَ أُسْبُوعٍ^(٢) .

الدَّهَاءُ وَالْمَكْرُ

١- دُهَاءُ الْعَرَبِ :

عن الشعبي قال : دهاة العرب أربعة : معاوية ، وعمرو ، والمغيرة ، وزيد ، فأما معاوية فلأنه والحلم ، وأما عمرو فللمعضلات ، والمغيرة للمبادهة ، وأما زيد فللصغير والكبير^(٣) .

٢- صُورٌ عَلَى الدَّهَاءِ وَالْمَكْرِ :

قالَ الإمامُ الذهبيُّ في تَرْجَمَةِ أميرِ المؤمنينِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، بَعْدَ فَتْحِ تُسْتَرٍ ، فَقَالَ عُمَرُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذَلَّ هَذَا وَشِيعَتَهُ بِالْإِسْلَامِ ، ثُمَّ قَالَ لِلْوَفْدِ تَكَلَّمُوا ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْجَزَ وَعَدَهُ وَأَعَزَّ دِينَهُ وَخَدَلَ مَنْ حَادَّهُ ، وَأَوْرَثَنَا أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ ، وَأَفَاءَ عَلَيْنَا أَبْنَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، فَبَكَى عُمَرُ ثُمَّ قَالَ لِلْهَرْمُزَانِ : كَيْفَ رَأَيْتَ صَنِيعَ اللَّهِ بِكُمْ ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ ، قَالَ : مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمُ ؟ قَالَ : أَكَلَامُ حَيٍّ أَمْ كَلَامُ مَيِّتٍ ؟ قَالَ : أَوْلَسْتُ حَيًّا ؟ فَاسْتَسْقَى الْهَرْمُزَانُ ، فَقَالَ عُمَرُ : لَا يُجْمَعُ عَلَيْكَ الْقَتْلُ

(١) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٩٢٧ .

(٢) انظر السير : (القشيري) ١٨/٢٢٧-٢٣٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٠٨ .

(٣) انظر السير : (عمرو بن العاص) ٣/٥٤-٧٧ ، وانظر النزهة : ٥/٣٣٣ .

والعَطَشُ ، فَأَتَوْهُ بِمَاءٍ فَأَمْسَكَه ، فَقَالَ عُمَرُ : اشْرَبْ لَا بِأَسَ عَلَيْكَ ، فَرَمَى بِالْإِنَاءِ وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيَّ غَيْرِ دِينٍ نَسْتَعْبُدُكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ وَكُنْتُمْ أَسْوَأَ الْأُمَمِ عِنْدَنَا حَالاً ، فَلَمَّا كَانَ اللَّهُ مَعَكُمْ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ بِاللَّهِ طَاقَةٌ ، فَأَمَرَ عُمَرُ بِقَتْلِهِ ، فَقَالَ : أَوْلَمْ تُؤْمِنِي؟! قَالَ : وَكَيْفَ؟ قَالَ : قُلْتُ لِي : تَكَلِّمْ لَا بِأَسَ عَلَيْكَ ، وَقُلْتُ : اشْرَبْ لَا أَقْتُلُكَ حَتَّى تَشْرَبَهُ ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ وَأَنْسُ : صَدَقَ ، فَقَالَ عُمَرُ : قَاتَلَهُ اللَّهُ أَخَذَ أَمَاناً وَأَنَا لَا أَشْعُرُ ، فَزَرَغَ مَا كَانَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ عُمَرُ لِسُرَّاقَةَ بِنِ مَالِكِ بْنِ جَعْشَمٍ - وَكَانَ أَسْوَدَ نَحِيفاً - : إِبْلِيسُ سَوَارِي الْهَرْمُزَانَ ، فَلَبِسَهُمَا وَلَبِسَ كِسْوَتَهُ^(١) .

فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ - يَعْنِي إِلَى عُمَرَ بِالْهَرْمُزَانَ - قَالَ : تَكَلَّمْ ، قَالَ : كَلَامٌ حَيٌّ أَوْ كَلَامٌ مَيِّتٌ؟ قَالَ : تَكَلَّمْ فَلَا بِأَسَ ، قَالَ : إِنَّا وَإِيَّاكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ مَا خَلَى اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، كُنَّا نَعْصِبُكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ وَنَفْعَلُ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّهُ مَعَكُمْ لَمْ يَكُنْ لَنَا بِكُمْ يَدَانِ ، قَالَ : يَا أَنْسُ مَا تَقُولُ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَرَكْتُ بَعْدِي عَدَدًا كَثِيرًا وَشَوْكَةً شَدِيدَةً فَإِنْ تَقَتَّلَهُ يِنَاسُ الْقَوْمِ مِنَ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ أَشَدَّ لَشَوْكَتِهِمْ ، قَالَ : فَأَنَا أَسْتَحْيِي قَاتِلَ الْبِرَاءِ وَمَجْزَأَةَ بَنِ ثُورٍ!! فَلَمَّا أَحْسَسْتُ بِقَتْلِهِ قُلْتُ : لَيْسَ إِلَيَّ قَتْلُهُ سَبِيلٌ ، قَدْ قُلْتُ لَهُ : تَكَلَّمْ بِلَا بِأَسَ ، قَالَ : لِنَاتِيَّتِي بَمَنْ يَشْهَدُ بِهِ غَيْرُكَ ، فَلَقِيْتُ الزُّبَيْرَ فَشَهِدَ مَعِي ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ عُمَرُ ، وَأَسْلَمَ الْهَرْمُزَانُ ، وَفَرَضَ لَهُ عُمَرُ ، وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ^(٢) .

وقال ابن جرير في وقعة نهاوند : لَمَّا انْتَهَى التُّعْمَانُ إِلَى نَهَاوَنْدَ فِي جَيْشِهِ طَرَحُوا لَهُ حَسَكًا^(٣) الْحَدِيدِ ، فَبَعَثَ عِيُونًا فَسَارُوا لَا يَعْلَمُونَ بِالْحَسَكِ فَزَجَرَ بَعْضُهُمْ فَرَسَهُ وَقَدْ دَخَلَ فِي حَافِرِهِ حَسَكَةٌ ، فَلَمْ يَبْرَحْ ، فَانزَلَ فَإِذَا الْحَسَكُ ، فَأَقْبَلَ بِهَا ، وَأَخْبَرَ التُّعْمَانَ ، فَقَالَ التُّعْمَانُ : مَا تَرَوْنَ؟ فَقَالُوا : تَقَهَّقِرْ حَتَّى يَرَوْا أَنَّكَ هَارِبٌ فَيَخْرُجُوا فِي طَلْبِكَ ، فَتَأَخَّرَ التُّعْمَانُ ، وَكُنَسَتْ الْأَعَاجِمُ الْحَسَكَ وَخَرَجُوا فِي طَلْبِهِ فَعَطَفَ عَلَيْهِمُ التُّعْمَانُ وَعَبَأَ كِتَابَهُ وَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ : إِنْ أُصِيبَتْ فَعَلَيْكُمْ حُدَيْفَةٌ ، فَإِنْ أُصِيبَ فَعَلَيْكُمْ جَرِيرٌ

(١) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزاهة : ١/٥٨ .

(٢) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزاهة : ١/٧٢ .

(٣) قال صاحب النزاهة : الحسك ، هو الشرك .

البحلي ، وإن أُصِيبَ فعليكم قيسُ بنُ مكشوح ، فوجدَ المُغيرةَ في نفسه إذ لم يستخلفه ، قال : وخرجت الأعاجمُ وقد شدوا أنفسهم في السلاسل لئلا يفروا ، وحملَ عليهم المسلمون ، فرمى النعمانُ بسهمٍ فقتل ، ولقنه أخوه سويدُ بنُ مقرنٍ في ثوبه وكتفاه حتى فتح اللهُ تعالى عليهم ، ودفعَ الرأيةَ إلى حذيفة .
 وقَتَلَ اللهُ ذا الحَاجِبِ^(١) يعني مقدمهم ، وافتتحت نهاوندُ ، ولم يكن للأعاجمِ بعد ذلك جماعة^(٢) .

عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، أن عمرَ استعملَ المُغيرةَ بنَ شعبةَ على البحرين ، فكرهوه ، فعزله عمرُ ، فخافوا أن يرده فقال دهقأنهم : إن فعلتم ما أمركم لم يرده علينا قالوا : مرنا قال : تجمعون مئة ألفٍ حتى أذهب بها إلى عمر ، فأقول : إن المُغيرةَ اختان هذا ، فدفعه إلي قال : فجمعوا له مئة ألفٍ ، وأتى عمرَ ، فقال ذلك فدعا المُغيرةَ فسأله ، قال : كذب أصلحك اللهُ ، إنما كانت مئتي ألفٍ ، قال : فما حملك على هذا ؟ قال : العيالُ والحاجة قال عمرُ للعلاج : ما تقول ؟ قال : لا والله لأصدقتك ما دفع إلي قليلاً ولا كثيراً فقال عمرُ للمُغيرةَ : ما أردت إلى هذا ؟ قال : الخبيثُ كذب علي فأحببتُ أن أخزيه^(٣) .

وعن الشعبي : سمعتُ قبيصةَ بنَ جابرٍ يقولُ : صحبتُ المُغيرةَ بنَ شعبةَ فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب ، لا يُخرجُ من باب منها إلا بمكرٍ لخرجَ من أبوابها كلها^(٤) .
 قال الإمامُ الذهبيُّ في ترجمة قيسِ بنِ سعدٍ : وجود قيسٍ يُضربُ به المثل ، وكذلك دهاؤه .

عن قيسِ بنِ سعدٍ قال : لولا أنني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ :
 « المَكْرُ والخَدِيعَةُ فِي النَّارِ » لَكُنْتُ مِنْ أَمْكِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ .

(١) ذا الحَاجِبِ : هو مردانِشاه المُلقب ببهمن ، وسمي ذا الحَاجِبِ لأنه كان يعضب حاجبيه ليرفعهما عن عينيه كبراً ، ويُقال إن اسمه رُستَم .

(٢) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ٣/٧٤ .

(٣) انظر السير : (المُغيرةُ بنُ شعبة) ٣/٢١-٣٢ ، وانظر النزهة : ٢/٣٢٤ .

(٤) انظر السير : (المُغيرةُ بنُ شعبة) ٣/٢١-٣٢ ، وانظر النزهة : ٢/٣٢٥ .

وقال ابنُ عُيَيْنَةَ : حَدَّثَنِي عَمْرُو قَالَ : قَالَ قَيْسٌ : لَوْلَا الْإِسْلَامُ لَمَكَرْتُ مَكَرًا لَا تُطِيقُهُ الْعَرَبُ .

وقال عَوْفٌ عن مُحَمَّدٍ : كَانَ مُحَمَّدٌ بِنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَمُحَمَّدُ بِنُ أَبِي حُدَيْفَةَ بِنِ عْتَبَةَ مِنْ أَشَدِّهِمْ عَلَى عُثْمَانَ ، فَأَمَرَ عَلِيُّ قَيْسَ بِنِ سَعْدِ عَلَى مِصْرَ ، وَكَانَ حَازِمًا فَنُبِّئْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَوْلَا أَنَّ الْمَكَرَ فُجُورٌ ، لَمَكَرْتُ مَكَرًا تَضْطَرُّ مِنْهُ أَهْلُ الشَّامِ بَيْنَهُمْ فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ وَعَمْرُو إِلَيْهِ يَدْعُوَانِهِ إِلَى مُبَايَعَتِهِمَا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمَا كِتَابًا فِيهِ غِلْظٌ ، فَكَتَبَا إِلَيْهِ بِكِتَابٍ فِيهِ عُنْفٌ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمَا بِكِتَابٍ فِيهِ لِينٌ ، فَلَمَّا قَرَأَهُ ، عَلِمَا أَنَّهُمَا لَا يَدَانِ لِهِمَا بِمَكَرِهِ ، فَأَذَاعَا بِالشَّامِ أَنَّهُ قَدْ تَابَعَنَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : أَذْرُكَ مِصْرَ فَإِنَّ قَيْسًا قَدْ بَايَعَ مُعَاوِيَةَ ، فَبَعَثَ مُحَمَّدُ بِنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَمُحَمَّدُ بِنُ أَبِي حُدَيْفَةَ إِلَى مِصْرَ ، وَأَمَرَ ابْنَ أَبِي بَكْرٍ ، فَلَمَّا قَدِمَا عَلَى قَيْسٍ بَنَزَعَهُ ، عَلِمَ أَنَّ عَلِيًّا قَدْ خُدِعَ فَقَالَ لِمُحَمَّدٍ : يَا ابْنَ أَخِي احْذَرْ ، يَعْنِي أَهْلَ مِصْرَ ، فَإِنَّهُ سَيُسَلِّمُونُكَمَا ، فَتُقْتَلَانِ ، فَكَانَ كَمَا قَالَ .
تُوفِّيَ قَيْسٌ فِي آخِرِ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ (١) .

العِتَابُ

تَرَكَ الْعِتَابُ أَوْلَى :

عن الأَخْنَفِ بِنِ قَيْسٍ ، قَالَ : الْعِتَابُ مُفْتَاخُ الثَّقَالِي ، وَالْعِتَابُ خَيْرٌ مِنَ الْحِقْدِ (٢) .

وعن أَبِي يَعْقُوبَ الْمَدَنِيِّ ، قَالَ : كَانَ بَيْنَ حَسَنِ بِنِ حَسَنِ وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّهِ عَلِيِّ بِنِ الْحُسَيْنِ شَيْءٌ ، فَمَا تَرَكَ حَسَنٌ شَيْئًا إِلَّا قَالَهُ ، وَعَلِيُّ سَاكِتٌ ، فَذَهَبَ حَسَنٌ ، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلِ ، أَتَاهُ عَلِيُّ ، فَخَرَجَ ، فَقَالَ عَلِيُّ : يَا ابْنَ عَمِّي إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَعَفَّرَ اللَّهُ لِي وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا ، فَعَفَّرَ اللَّهُ لَكَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ قَالَ : فَالْتَزَمَهُ حَسَنٌ ، وَبَكَى حَتَّى رَأَى لَهُ (٣) .

(١) انظر السير : (قَيْسُ بِنُ سَعْدِ) ٣/١٠٢-١١٢ النزهة : ٣/٣٤٥ .

(٢) انظر السير : (الأَخْنَفُ بِنُ قَيْسِ) ٤/٨٦-٩٧ ، وانظر النزهة : ٨/٤٥٢ .

(٣) انظر السير : (عَلِيُّ بِنُ الْحُسَيْنِ) ٤/٣٨٦-٤٠١ ، وانظر النزهة : ٨/٥١٩ .

الغضب

١- صورةٌ على ترك الغضب لله :

عن سماك بن الفضل ، قال : كنا عند عروة بن محمد الأمير ، وإلى جنبه وهب بن مُنبّه ، فجاء قومٌ فشكوا عاملهم وذكروا منه شيئاً قبيحاً ، فتناول وهب عصاً كانت في يد عروة فضرب بها رأس العامل حتى سال الدم ، فضحك عروة واستلقى وقال : يعيب علينا وهب الغضب وهو يغضب قال : وما لي لا أغضب وقد غضب الذي خلق الأحمال ، يقول تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْنَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ (١) ، (٢) .

٢- من كان لا يغضب :

رؤي عن القعبي ، قال : كان ابن عون لا يغضب فإذا أغضبه رجلٌ قال : بارك الله فيك (٣) .

وكان - فيما حدثني بعض أصحابنا - لابن عون ناقةٌ يغزو عليها ويحج ، وكان بها مُعجياً قال : فأمر غلاماً له يستقي عليها ، فجاء بها وقد ضربها على وجهها ، فسالت عينها على خدّها ، فقلنا : إن كان من ابن عون شيءٌ فاليوم! قال : فلم يلبث أن نزل ، فلما نظر إلى الناقة قال : سبحان الله ، أفلا غير الوجه ، بارك الله فيك اخرج عني ، أشهدوا أنه حر (٤) .

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٥٥

(٢) انظر السير : (وهب بن مُنبّه) ٤/٥٤٤-٥٥٧ ، وانظر النزهة : ٤/٥٥٣ .

(٣) انظر السير : (عبد الله بن عون) ٦/٣٦٤-٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٥/٦٥٦ .

(٤) انظر السير : (عبد الله بن عون) ٦/٣٦٤-٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٢/٦٥٨ .

الفخر

١- الفخرُ في غير موضعه :

قال أبو العباس بنُ عُقْدَةَ : دق ابن وَاَرَةَ على ابنِ كُرَيْبٍ ، فقال : مَنْ ؟ قال : ابنُ وَاَرَةَ ، أبو الحديثِ وأُمُّه^(١) .

وقال الإمامُ الذهبيُّ في ترجمَةِ الأبيورديِّ^(٢) : هو رِيَّانٌ من العلوم ، موصوفٌ بالدينِ والورعِ ، إلا أنه تَيَّأَهُ مُعَجَّبٌ بنفسِه ، قد قَتَلَهُ حُبُّ السُّودِّ وكان جَمِيلاً لَبَّاساً له هَيْئَةٌ ورُوءَاءٌ ، وكان يَفْتَخِرُ ، ويكتبُ اسمَه : العَبَسَمِيُّ المُعاوي ، يُقالُ : إِنَّه كَتَبَ رُقْعَةً إلى الخليفةِ المُسْتَظْهِرِ بالله ، وكتبَ : المَمْلُوكُ المُعاوي ، فحكَّ المُسْتَظْهِرُ الميمَ ، فصارَ : العاوي ، وردَّ الرُقْعَةَ إليه .

قالَ حمَّادُ الحرَّانيُّ : سَمِعْتُ السَّلْفِيَّ يَقُولُ : كان الأبيورديُّ - والله - من أهلِ الدينِ والخيرِ والصَّلاحِ والثِّقَّةِ ، قالَ لي : والله ما نمتُ في بَيْتٍ فيه كتابُ الله ، ولا حَدِيثُ رَسُولِ الله احتراماً لهما أن يبدؤا مِنِّي شيءٌ لا يجوزُ .

قالَ عبدُ الغافرِ في « السِّياق » : ظَهَرَ أمرُهُ ، وَعَلَا قَدْرُهُ ، وَحَصَلَ له من السُّلطانِ مَكَانَةٌ وَنِعْمَةٌ ، ثم كان يَرْتَشِحُ من كَلامِهِ نوعٌ تَشَبَّهَ بالخِلافةِ ودَعَوَةَ إلى اتِّباعِ فَضْلِهِ ، وأدَّعَاءِ اسْتِحْقاكِ الإِمَامَةِ ، تَبَيُّضُ وَسَاوِسُ الشَّيْطَانِ في رأسِهِ وتُفْرُخُ ، فاضْطَرَّ الحالُ إلى مُفارَقَةِ بَغدادَ ، وَرَجَعَ إلى هَمْدانَ ، فأقامَ بها يُدْرِّسُ ويُفِيدُ ويُصَنِّفُ مُدَّةً .

تُوفِّيَ الأبيورديُّ بأصْبَهانَ مَسْموماً سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِ مِئَةٍ ، كَهَلًا^(٣) .

(١) انظر السير : (ابنُ وَاَرَةَ) ٢٨-٣٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٤٨ .

(٢) نسبة إلى أبيورِدٍ ، ويقال لها : أبورِد ، وباورِد ، وهي من بلاد خراسان بين سرخس ونسا ، وقد فتحها المسلمون سنة إحدى وثلاثين بقيادة عبد الله بن عامر بن كريب ، ويُقال : الأُحْفَ بن قيس .

(٣) انظر السير : (الأبيورديُّ) ١٩/٢٨٣-٢٩٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٧٧ .

٢- شِعْرٌ فِي الْفَخْرِ :

قَالَ الصُّوْلِيُّ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى أَنَّ الشَّعْبِيَّ قَالَ : أَفْخَرُ بَيْتٍ قِيلَ قَوْلُ الْأَنْصَارِ
يَوْمَ بَدْرٍ^(١) :

وَبَيْتِ بَدْرٍ إِذْ يَرُدُّ وَجُوهُهُمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا وَمَحْمَدُ
ثُمَّ قَالَ الصُّوْلِيُّ : أَفْخَرُ مِنْهُ قَوْلُ الْحَسَنِ بْنِ هَانِيءٍ فِي عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرَّضِيِّ^(٢) :

قِيلَ لِي أَنْتَ وَاحِدُ النَّاسِ فِي كُ
لِكَ فِي جَوْهَرِ الْكَلَامِ بَدِيعٌ لَّ كَلَامٍ مِنَ الْمَقَالِ بَدِيهِ
فِعْلَامٌ تَرَكْتَ مَدْحَ ابْنِ مُوسَى يُثْمِرُ الدَّرُّ فِي يَدَيَّ مَجْتَنِيهِ
قَلْتُ لَا أَهْتَدِي لِمَدْحِ إِمَامٍ بِالْخِصَالِ الَّتِي تَجَمَّعْنَ فِيهِ
كَانَ جَبْرِيلُ خَادِمًا لِأَبِيهِ

٣- عَدَمُ الْفَخْرِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ :

قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : مَا رَأَيْتُ مِثْلَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، صَحْبِنَاهُ خَمْسِينَ سَنَةً مَا افْتَخَرَ
عَلَيْنَا بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ^(٣) .

٤- الْفَخْرُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْعِبَادِ :

وَقَالَ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : افْتَخَرَ الْحَيَّانُ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَتْ الْأَوْسُ : مِمَّا
عَسَيْلُ الْمَلَائِكَةِ : حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّاهِبِ ، وَمِمَّا مَنْ اهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ : سَعْدٌ ، وَمِمَّا مَنْ حَمَمَتْهُ
الدَّبْرُ^(٤) : عَاصِمُ بْنُ أَبِي الْأَفْلَحِ ، وَمِمَّا مَنْ أُجِيزَتْ شَهَادَتُهُ بِشَهَادَتَيْنِ : خُزَيْمَةُ بْنُ
ثَابِتٍ^(٥) .

(١) انظر السير : (عَلِيُّ الرَّضِيِّ) ٣٨٧/٩-٣٩٣ ، وانظر النزهة : ٢/٨٣١

(٢) انظر السير : (عَلِيُّ الرَّضِيِّ) ٣٨٧/٩-٣٩٣ ، وانظر النزهة : ٣/٨٣١

(٣) انظر السير : (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٤/٩٢٩ .

(٤) الدَّبْرُ : النَّحْلُ وَالزَّنَابِيرُ .

(٥) انظر السير : (خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ) ٢/٤٨٥-٤٨٧ ، وانظر النزهة : ٢/٢٩٤ .

وقال رجاء بن حيوة : إن يفخر علينا أهل المدينة بعابدهم ابن عمر ، فإننا نفخر عليهم بعابدين ابن مُحَيْرِيز^(١) .

قال ضمرة : سمعت مالكا يقول : إنما كانت العراق تجيش علينا بالدرهم والثياب ، ثم صارت تجيش علينا بسفيان الثوري ، وكان سفيان يقول : مالك ليس له حفظ^(٢) .

وكان الليث بن سعد رحمه الله فقيه مصر ، ومحدثها ، ومختشمها ، ورئيسها ، ومن يفخر بوجوده الإقليم ، بحيث إن متولي مصر وقاضيتها وناظرها ، من تحت أوامره ، ويرجعون إلى رأيه ومشورته ، ولقد أراد المنصور على أن ينوب له على الإقليم ، فاستعفى من ذلك^(٣) .

المزاح والضحك

١- المزاح بقصد الاستهزاء لا خير فيه :

عن عبد الجليل بن الحسن ، قال : كان أحمد بن المعدل في مجلس أبي عاصم فمزح أبو عاصم يُخجل أحمد ، فقال : يا أبا عاصم ، إن الله خلقك جداً فلا تهزلن ، فإن المستهزيء جاهل قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَنَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٤) .

فخجل أبو عاصم ثم كان يُقعد أحمد بن المعدل إلى جنبه^(٥) .

(١) انظر السير : (عبد الله بن مُحَيْرِيز) ٤/٤٩٤-٤٩٦ ، وانظر النزهة : ٢/٥٣٩ .

(٢) انظر السير : (سفيان الثوري) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/٦٩٩ .

(٣) انظر السير : (الليث بن سعد) ٨/١٣٦-١٦٣ ، وانظر النزهة : ٧/٧٣٨ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٦٧ .

(٥) انظر السير : (أحمد بن المعدل) ١١/٥١٩-٥٢١ ، وانظر النزهة : ٤/٩٦٤ .

٢- المِزَاحُ وَالضَّحِكُ الْجِبَلِيَّانِ لَا يُنْقَدَانِ :

عن عيسى بن محمد : أَنَّ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ كَانَ يَضْحَكُ حَتَّى يَسْتَلْقِيَ وَيَمُدُّ رِجْلَيْهِ (١) .

وَذَكَرَ أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي فِي كِتَابِ « فِرْقَ الْفُقَهَاءِ » لَهُ : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ الْوَرَّاقِ - وَكَانَ ثِقَةً مُتَّقِيًّا - أَنَّهُ شَاهَدَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الصُّورِيَّ ، وَكَانَ فِيهِ حُسْنُ خُلُقٍ وَمِزَاحٌ وَضَحْكٌ ، لَمْ يَكُنْ وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرُ وَالذِّينُ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ شَيْئًا جَبَلًا عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ بِالْخَارِقِ لِلْعَادَةِ ، فَقَرَأَ يَوْمًا جُزْءًا عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ الرَّازِي ، وَعَنَّ لَهُ أَمْرٌ ضَحَّكَهُ ، وَكَانَ بِالْحَضْرَةِ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ ، فَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : هَذَا لَا يَصْلُحُ ، وَلَا يَلِيقُ بِعِلْمِكَ وَتَقَدُّمِكَ أَنْ تَقْرَأَ حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتَ تَضْحَكُ وَكَثَرُوا عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : شَيْخُ بَلَدِنَا لَا يَرْضُونَ بِهَذَا فَقَالَ : مَا فِي بَلَدِكُمْ شَيْخٌ إِلَّا يَجِبُ أَنْ يَقْعُدَ بَيْنَ يَدَيَّ وَيَقْتَدِيَ بِي ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ أَنِّي قَدْ صِرْتُ مَعَكُمْ عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ ، فَاَنْظُرُوا إِلَيَّ أَيُّ حَدِيثٍ سِتُّمْ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَقْرَأُوا إِسْنَادَهُ لِأَقْرَأَ مَتْنَهُ أَوْ أَقْرَأُوا مَتْنَهُ حَتَّى أُخْبِرَكُمْ بِإِسْنَادِهِ ، ثُمَّ قَالَ الْبَاجِيُّ : لَزِمْتُ الصُّورِيَّ ثَلَاثَةَ أَعوَامٍ ، فَمَا رَأَيْتُهُ تَعَرَّضَ لِفِتْوَى .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : كَانَ مِنْ أئِمَّةِ السُّنَّةِ وَلَهُ شِعْرٌ رَائِعٌ .

مَاتَ الصُّورِيُّ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ (٢) .

٣- مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ كَانَ يَكْرَهُ الْمِزَاحَ :

رَوَى الْمَرْوُذِيُّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مَيْمُونٍ حِكَايَةً تَدُلُّ عَلَى أَنَّ يَزِيدَ بْنَ هَارُونَ كَانَ صَاحِبَ مِزَاحٍ ، وَكَانَ يَتَأَدَّبُ بِحُضُورِ الْإِمَامِ (٣) ، وَلَا يَمَازُحُهُ (٤) .

(١) انظر السير : (سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزاهة : ١/٧٠٠ .

(٢) انظر السير : (الصُّورِيُّ) ١٧/٦٢٧-٦٣١ ، وانظر النزاهة : ٣/١٣٦٩ .

(٣) يقصد أحمد بن حنبل .

(٤) انظر السير : (يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ) ٩/٣٥٨-٣٧١ ، وانظر النزاهة : ٢/٨٣٠ .

وقال الطبراني : حَدَّثَنَا الْمُعَمَّرِيُّ ، سَمِعْتُ خَلْفَ بْنَ سَالِمٍ يَقُولُ : كُنَّا فِي مَجْلِسٍ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، فَمَزَحَ مَعِ مُسْتَمْلِيهِ ، فَتَنَخَّحَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، فَقَالَ يَزِيدُ : مَنْ الْمُتَنَخِّحُ ؟ فَقِيلَ لَهُ : أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، فَضَرَبَ يَزِيدُ عَلَى جَبِينِهِ وَقَالَ : أَلَا أَعْلَمْتُمُونِي أَنَّ أَحْمَدَ هَا هُنَا حَتَّى لَا أَمْزَحَ (١) .

وقال المرزوقي : سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مَيْمُونَةَ بْنِ الْأَصْبَغِ ، سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : كُنَّا عِنْدَ يَزِيدِ بْنِ هَارُونَ ، وَكَانَ عِنْدَهُ الْمُعَيْطِيُّ ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، وَكَانَتْ فِي يَزِيدِ رَحْمَةٌ لِلَّهِ ، مُدَاعَبَةٌ ، فَذَكَرَهُ الْمُعَيْطِيُّ بِشَيْءٍ فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : فَقَدْتُكَ ، فَتَنَخَّحَ أَحْمَدُ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : مَنْ ذَا ؟ قَالُوا : أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، فَقَالَ : أَلَا أَعْلَمْتُمُونِي أَنَّهُ هَا هُنَا ؟ (٢) .

وقال أحمد بن سنان القطان : مَا رَأَيْتُ يَزِيدَ لِأَحَدٍ أَشَدَّ تَعْظِيمًا مِنْهُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَلَا أَكْرَمَ أَحَدًا مِثْلَهُ ، كَانَ يُقْعِدُهُ إِلَى جَنْبِهِ وَيُوقِّرُهُ ، وَلَا يُمَارِحُهُ (٣) .

٤- مَنْ كَرِهَ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِأَجْلِ الْمِزَاحِ :

قَالَ الْخَطِيبُ : وَكَانَ فِي أَبِي سَهْلٍ الْقَطَّانِ مِزَاحٌ وَدُعَابَةٌ ، سَمِعْتُ الْبَرْقَانِيَّ يَقُولُ : كَرِهُوهُ لِـمِزَاحٍ فِيهِ ، وَهُوَ صَدُوقٌ .

وقال محمد بن الصوري : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ نَضْرٍ بِمِصْرَ يَقُولُ : كُنَّا يَوْمًا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي سَهْلٍ بْنِ زِيَادٍ ، فَأَخَذَ شَخْصٌ سَكِينًا كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ فِيهَا ، فَقَالَ : مَا لَكَ وَلَهَا ؟ أَتُرِيدُ أَنْ تَسْرِقَهَا كَمَا سَرَقْتَهَا أَنَا ؟ هَذِهِ سَكِينُ الْبَغَوِيِّ سَرَقْتَهَا مِنْهُ .

تُوفِّيَ أَبُو سَهْلٍ سَنَةَ خَمْسِينَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ ، وَكَانَ مَوْلَدُهُ فِي سَنَةِ تِسْعِ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ (٤) .

(١) انظر السير : (يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ) ٣٥٨/٩ - ٣٧١ ، وانظر النزهة : ٣/٨٣٠ .

(٢) انظر السير : (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) ١١/١٧٧ - ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٩٢٥ .

(٣) انظر السير : (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) ١١/١٧٧ - ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٢٥ .

(٤) انظر السير : (أَبُو سَهْلٍ الْقَطَّانِ) ١٥/٥٢١ - ٥٢٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٥٧ .

٥- شِعْرٌ فِي البُعْدِ عَنِ المِزَاحِ الزَّائِدِ :

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ : سَمِعْتُ مِسْعَرًا يُوصِي وَلَدَهُ كِدَامًا^(١) :

إني منحتك يا كدام نصيحتي فاسمع مقال أب عليك شفيق
أما المزاحة والمراء فدعهما خلقتان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحمدهما لمجاور جاراً ولا لرفيق
والجهل يُزري بالفتى في قومه وعروقه في الناس أي عروق

قَالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ : وَهَذَا مِنَ البَيْتَانِ أَظْنُهُمَا لِابْنِ المُبَارَكِ :

مَنْ كَانَ مُلْتَمِسًا جَلِيسًا صَالِحًا فليأت حَلَقَةَ مِسْعَرِ بْنِ كِدَامِ
فِيهَا السَّكِينَةُ وَالوَقَارُ وَأَهْلُهَا أَهْلُ العِفَافِ وَعِليَّةُ الأَقْوَامِ

٦- صُورَتَانِ لِلْمِزَاحِ :

قَالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ أَبِي رَافِعٍ قَالَ : وَرَبَّمَا
أَتَى أَبُو هُرَيْرَةَ الصَّبِيَّانَ ، وَهَمَّ يَلْعَبُونَ بِاللَّيْلِ لُعبَةَ الأَعْرَابِ فَلَا يَشْعُرُونَ ، حَتَّى يُلْقِي
نَفْسَهُ بَيْنَهُمْ ، وَيَضْرِبُ بِرِجْلَيْهِ ، فَيَفْرَعُ الصَّبِيَّانَ ، فَيَقْرُونَ وَرَبَّمَا دَعَانِي إِلَى عَشَائِهِ ،
فَيَقُولُ : دَعِ العِرَاقَ^(٢) لِلأَمِيرِ فَأَنْظِرْ فَإِذَا هُوَ ثَرِيدَةٌ بَزَيْتٍ^(٣) .

وَقَالَ قَبِيصَةُ : كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ مَزَاحًا ، كُنْتُ أَتَأَخَّرُ خَلْفَهُ ، مَخَافَةَ أَنْ يُحَيِّرَنِي
بِمِزَاحِهِ^(٤) .

٧- ضَابِطٌ فِي الضَّحِكِ وَالتَّبَسُّمِ :

قَالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ يَحْيَى بْنِ حَمَّادٍ : الضَّحِكُ اليَسِيرُ وَالتَّبَسُّمُ أَفْضَلُ وَعَدَمُ
ذَلِكَ مِنْ مَشَايِخِ العِلْمِ عَلَى قِسْمَيْنِ :

- (١) انظر السير : (مِسْعَر) ١٦٣/٧-١٧٣ ، وانظر النزاهة : ٤/٦٩٠ .
- (٢) العِرَاقُ : العَظْمُ الَّذِي أُخِذَ عَنْهُ مَعْظَمُ اللَّحْمِ ، أَوْ الغِدْرَةُ مِنَ اللَّحْمِ .
- (٣) انظر السير : (أَبُو هُرَيْرَةَ) ٥٧٨/٢-٦٣٢ ، وانظر النزاهة : ٣/٣١٣ .
- (٤) انظر السير : (سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ) ٢٢٩/٧-٢٧٩ ، وانظر النزاهة : ١١/٦٩٩ .

أحدهما : يَكُونُ فَاضِلاً لِمَنْ تَرَكَهَ أَدَباً وَخَوْفاً مِنَ اللَّهِ ، وَحُزْناً عَلَى نَفْسِهِ الْمَسْكِينَةَ .

والثاني : مَذْمُومٌ لِمَنْ فَعَلَهُ حُمْقاً وَكِبْراً وَتَصَنُّعاً ، كَمَا أَنَّ مِنْ أَكْثَرِ الضَّحِكِ اسْتِخْفَاءٌ بِهِ ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الضَّحِكَ فِي الشَّبَابِ أَخَفُّ مِنْهُ وَأَعْدَرُ فِي الشُّيُوخِ (١) .

أما التَّبَسُّمُ وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ فَأَرْفَعُ مِنْ ذَلِكَ كُلَّهُ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَحِيكَ صَدَقَةٌ » ، وَقَالَ جَرِيرٌ : مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا تَبَسَّمَ فَهَذَا هُوَ خُلُقُ الْإِسْلَامِ ، فَأَعْلَى الْمَقَامَاتِ مَنْ كَانَ بَكَاءً بِاللَّيْلِ ، بَسَّاماً بِالنَّهَارِ (٢) .

بَقِيَ هُنَا شَيْءٌ : يَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ ضَحُوكاً بَسَّاماً أَنْ يُقْصَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَيَلُومُ نَفْسَهُ حَتَّى لَا تَمَجَّهَ الْأَنْفُسُ ، وَيَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ عَبُوساً مُنْقَبِضاً أَنْ يَتَبَسَّمَ ، وَيُحَسِّنَ خُلُقَهُ ، وَيَمَقِّتُ نَفْسَهُ عَلَى رَدَاءَةِ خُلُقِهِ ، وَكُلُّ انْحِرَافٍ عَنِ الْأَعْتِدَالِ فَمَذْمُومٌ ، وَلَا بُدَّ لِلنَّفْسِ مِنْ مُجَاهَدَةٍ وَتَأْدِيبٍ (٣) .

النَّدَم

قَالَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ : جَاءَ ابْنُ جُرْمُوزٍ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ - يَعْنِي لَمَّا وَلِيَ امْرَأَةَ الْعِرَاقِ لِأَخِيهِ الْخَلِيفَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - فَقَالَ : أَقْدِنِي بِالزُّبَيْرِ ، فَكَتَبَ فِي ذَلِكَ يُشَاوِرُ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، فَجَاءَهُ الْخَبِيرُ : أَنَا أَقْتُلُ ابْنَ جُرْمُوزٍ بِالزُّبَيْرِ ؟ وَلَا بِشَيْءٍ نَعْلَهُ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّباً : أَكَلَ الْمُعْتَرُ يَدَيْهِ نَدماً عَلَى قَتْلِهِ ، وَاسْتَغْفَرَ ، لَا كَقَاتِلِ طَلْحَةَ ، وَقَاتِلِ عُثْمَانَ ، وَقَاتِلِ عَلِيٍّ (٤) .

(١) انظر السير : (يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ) ١٠/١٣٩-١٤١ ، وانظر النزهة : ٧/٨٥٨ .

(٢) انظر السير : (يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ) ١٠/١٣٩-١٤١ ، وانظر النزهة : ١/٨٥٩ .

(٣) انظر السير : (يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ) ١٠/١٣٩-١٤١ ، وانظر النزهة : ٢/٨٥٩ .

(٤) انظر السير : (الزُّبَيْرِيُّ بْنُ الْعَوَّامِ) ١/٤١-٦٧ ، وانظر النزهة : ١/١٢٩ .

وعن علقمة بن وائل بن حُجْرِ بْنِ سَعْدِ الْحَضْرَمِيِّ ، عن أبيه : أَنَّهُ وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقَطَعَهُ أَرْضاً ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ لِيَعْرِفَهُ بِهَا .

قَالَ : فَقَالَ لِي مُعَاوِيَةُ : أَرَدْتَنِي خَلْفَكَ قُلْتُ : إِنَّكَ لَا تَكُونُ مِنْ أَرْدَافِ الْمُلُوكِ قَالَ : أَعْطَيْتَنِي نَعْلَكَ فَقُلْتُ : انْتَعِلْ ظِلَّ النَّاقَةِ .

قَالَ : فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ ، أَتَيْتُهُ ، فَأَقْعَدَنِي مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ ، فَذَكَرْتَنِي الْحَدِيثَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَيْتَنِي كُنْتُ حَمَلْتُهُ بَيْنَ يَدَيْ^(١) .

عن أبي قلابة : قَالَ لِي مُسْلِمُ بْنُ يُسَارَ : إِنِّي أَحْمَدُ اللَّهِ إِلَيْكَ ، أَنِّي لَمْ أُرْمِ بِسَهْمٍ وَلَمْ أَضْرِبْ فِيهَا بِسَيْفٍ ، قُلْتُ لَهُ : فَكَيْفَ بَمَنْ رَأَى بَيْنَ الصَّفَيْنِ فَقَالَ : هَذَا مُسْلِمُ بْنُ يُسَارَ لَنْ يُقَاتَلَ إِلَّا عَلَى حَقٍّ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ؟ فَبِكَيْ وَاللَّهِ حَتَّى وَدِدْتُ أَنَّ الْأَرْضَ انشَقَّتْ فَدَخَلْتُ فِيهَا^(٢) .

وقال أيوب السُّخْتِيَانِيُّ : وَفِي الْقُرَاءِ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، لَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْهُمْ قُتِلَ ، إِلَّا رُغِبَ لَهُ عَنْ مَضْرَعِهِ أَوْ نَجَا إِلَّا نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ^(٣) .

التزكية والمدح

١- ضوابط للتزكية والمدح :

عن أنس بن مالك ، قَالَ : بَعَثَنِي أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ إِلَى عُمَرَ ، فَقَالَ لِي : كَيْفَ تَرَكْتَ الْأَشْعَرِيَّ ؟ قُلْتُ : تَرَكْتُهُ يُعَلِّمُ النَّاسَ الْقُرْآنَ فَقَالَ : أَمَا إِنَّهُ كَيْسٌ ! وَلَا تُسْمِعْهَا إِثَاهُ^(٤) .

وعن سعيد بن العاص قال : الْقُلُوبُ تَتَغَيَّرُ ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مَادِحًا الْيَوْمَ ذَائِمًا غَدًا .

(١) انظر السير : (وائل بن حُجْرِ بْنِ سَعْدِ) ٥٧٢/٢ - ٥٧٤ ، وانظر النزهة : ٢/٣٠٦ .

(٢) انظر السير : (مُسْلِمُ بْنُ يُسَارَ) ٥١٠/٥ - ٥١٤ ، وانظر النزهة : ٢/٥٤٨ .

(٣) انظر السير : (مُسْلِمُ بْنُ يُسَارَ) ٥١٠/٥ - ٥١٤ ، وانظر النزهة : ٣/٥٤٨ .

(٤) انظر السير : (أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ) ٣٨٠/٢ - ٤٠٢ ، وانظر النزهة : ٥/٢٨٠ .

قالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ : تُوَفِّيَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ بِقَصْرِهِ بِالْعَرَصَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أُمِّيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَحُمِلَ إِلَى الْبَقِيعِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ^(١) .

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفَرِيَابِيِّ : كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ الْأَوْزَاعِيُّ وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَسُلَيْمَانَ الْخَوَّاصُ ، فَذَكَرَ الْأَوْزَاعِيُّ الرَّهَادَ ، فَقَالَ : مَا نَزِيدُ أَنْ نُزِيدَ مِثْلَ هَؤُلَاءِ ، فَقَالَ سَعِيدٌ : مَا رَأَيْتُ أَزْهَدَ مِنْ سُلَيْمَانَ الْخَوَّاصِ ، وَمَا شَعَرَ أَنَّهُ فِي الْمَجْلِسِ ، فَقَنَّعَ سُلَيْمَانَ رَأْسَهُ ، وَقَامَ ، فَأَقْبَلَ الْأَوْزَاعِيَّ عَلَى سَعِيدٍ ، وَقَالَ : وَيْحَكَ لَا تَعْقِلُ مَا يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِكَ ! تُوذِي جَلِيسَنَا تَزْكِيهِ فِي وَجْهِهِ^(٢) .

٢- كراهية الصالحين للمدح :

عن نافع أو غيره ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِابْنِ عُمَرَ : يَا خَيْرَ النَّاسِ وَابْنَ خَيْرِ النَّاسِ فَقَالَ : مَا أَنَا بِخَيْرِ النَّاسِ ، وَلَا ابْنِ خَيْرِ النَّاسِ ، وَلَكِنِّي عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، أَرْجُو اللَّهَ ، وَأَخَافُهُ ، وَاللَّهِ لَنْ تَزَالُوا بِالرَّجُلِ حَتَّى تُتْهِلِكُوهُ^(٣) .

٣- الاعتدال في المدح والذم واجب :

قالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : مُذْ عَرَفْتُ النَّاسَ لَمْ أَفْرَحْ بِمَدْحِهِمْ ، وَلَمْ أَكْرَهْ ذَمَّهُمْ لِأَنَّ حَامِدَهُمْ مُفَرِّطٌ ، وَذَامَهُمْ مُفَرِّطٌ ، إِذَا تَعَلَّمَ الْعَالِمُ الْعِلْمَ لِلْعَمَلِ كَسَرَهُ ، وَإِذَا تَعَلَّمَهُ لغيرِ الْعِلْمِ ، زَادَهُ فَخْرًا^(٤) .

٤- التحذير من مدح النفس :

عن الإمامِ مَالِكٍ قَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَهَبَ يَمْدَحُ نَفْسَهُ ، ذَهَبَ بِهَاؤُهُ^(٥) .

(١) انظر السير : (سعيد بن العاص) ٣/٤٤٤-٤٤٩ ، وانظر النزهة : ٦/٤٠٦ .

(٢) انظر السير : (سليمان الخواص) ٨/١٧٨-١٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/٧٤٢ .

(٣) انظر السير : (عبد الله بن عمر) ٣/٢٠٣-٢٣٩ ، وانظر النزهة : ١/٣٧٣ .

(٤) انظر السير : (مالك بن دينار) ٥/٣٦٢-٣٦٤ ، وانظر النزهة : ٥/٦٠٩ .

(٥) انظر السير : (مالك الإمام) ٨/٤٨-١٣٥ ، وانظر النزهة : ٣/٧٣٦ .

٥- خَوْفُ السَّلَفِ مِنْ كَوْنِ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ اسْتِدْرَاجاً :

قَالَ الْمَرْوُذِيُّ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ : مَا أَكْثَرَ الدَّاعِي لَكَ ! قَالَ : أَخَافُ أَنْ يَكُونَ هَذَا اسْتِدْرَاجاً بِأَيِّ شَيْءٍ هَذَا ؟ وَقُلْتُ لَهُ : قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ طَرْسُوسَ ، فَقَالَ : كُنَّا فِي بِلَادِ الرُّومِ فِي الْغَزْوِ إِذَا هَذَا اللَّيْلُ ، رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالذُّعَاءِ ، ادْعُوا لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَكُنَّا نَمُدُّ الْمُنْجَبِقَ وَنَرْمِي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَلَقَدْ رُمِيَ عَنْهُ بِحَجَرٍ ، وَالْعَلِجُ عَلَى الْحِصْنِ مُتَرَسِّسٌ بِدَرَقَةٍ فَذَهَبَ بِرَأْسِهِ وَبِالدَّرَقَةِ ، قَالَ : فَتَغَيَّرَ وَجْهُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَقَالَ : لَيْتَهُ لَا يَكُونُ اسْتِدْرَاجاً قُلْتُ : كَلَّا^(١) .

وَقَالَ خُرْسَانِيُّ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَأَيْتُكَ ، قَالَ : اقْعُدْ ، أَيُّ شَيْءٍ ذَا ؟ مَنْ أَنَا ؟^(٢) .

وَعَنْ رَجُلٍ قَالَ : رَأَيْتُ أَثَرَ الْغَمِّ فِي وَجْهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَقَدْ أَتْنِي عَلَيْهِ شَخْصٌ ، وَقِيلَ لَهُ : جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْراً ، قَالَ : بَلْ جَزَى اللَّهُ الْإِسْلَامَ عَنِّي خَيْراً مَنْ أَنَا وَمَا أَنَا !! ؟ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ : كَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يُجِيبُ فِي الْعُرْسِ وَالخِتَانِ ، وَيَأْكُلُ وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّ أَحْمَدَ رَبُّمَا اسْتَعْفَى مِنَ الْإِجَابَةِ ، وَكَانَ إِذَا رَأَى إِنَاءً فَضَّةً أَوْ مُنْكَرَأَ خَرَجَ ، وَكَانَ يُحِبُّ الْحُمُولَ وَالْأَنْزِوَاءَ عَنِ النَّاسِ ، وَيَعُودُ الْمَرِيضَ وَكَانَ يَكْرَهُ الْمَشْيَ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَيُؤَثِّرُ الْوَحْدَةَ^(٣) .

٦- لَوْ سَأَلْتُكَ إِنْسَانٌ هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ نَفْسِكَ ؟ فَمَاذَا تُجِيبُ ؟

قَالَ رَجَاءُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُعَدَّلِ : قُلْتُ لِلدَّارِقُطْنِيِّ : رَأَيْتَ مِثْلَ نَفْسِكَ ؟ فَقَالَ : قَالَ اللَّهُ : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾^(٤) فَالْحَحْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ : لَمْ أَرِ أَحَداً جَمَعَ مَا جَمَعْتُ ،

(١) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر ٦/٩٢٧ .

(٢) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر ٤/٩٣٠ .

(٣) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر ٥/٩٣٠ .

(٤) سورة النجم ، الآية : ٣٢ .

وقال أبو ذرّ : قُلْتُ لأبي عبدِ الله الحَاكِمِ : هل رَأَيْتَ مِثْلَ الدَّارِقُطْنِيِّ ؟ فقال : هو ما رَأَى مِثْلَ نَفْسِهِ ، فكيفَ أنا ؟^(١) .

وجاءَ في تَرْجَمَةِ الحَافِظِ بنِ عَسَاكِرِ ، قالَ عنه أبو المَوَاهِبِ : وأنا كُنْتُ أَذَاكِرُهُ في خَلَوَاتِهِ عن الحُقَافِظِ الذين لَقِيَهُم فقالَ : أمَّا بِيغْدَادَ ، فأبو عامِرِ العَبْدَرِيُّ ، وأمَّا بأصْبَهَانَ ، فأبو نَصْرِ اليُونانَرِيِّ ، لكنَّ إسماعيلَ الحَافِظَ كانَ أشْهَرَ منه ، فقُلْتُ له : فعَلَى هَذَا ما رَأَى سَيِّدُنَا مِثْلَ نَفْسِهِ فقالَ : لا تَقُلْ هَذَا ، قالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ ﴾^(٢) قُلْتُ : فقد قالَ : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾^(٣) فقالَ : نَعَمْ لَوْ قالَ قائلٌ : إِنْ عَيْنِي لَمْ تَرَ مِثْلِي لَصَدَقَ^(٤) .

٧- ثناءُ العُلَماءِ على البُخاري :

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ في تَرْجَمَةِ أبي عبدِ الله البُخاريّ : قالَ أبو جَعْفَرٍ : سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ جَعْفَرٍ يَقُولُ : لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَزِيدَ في عُمْرِ مُحَمَّدِ بنِ إسماعيلَ من عُمُرِي لَفَعَلْتُ ، فَإِنَّ مَوْتِي يَكُونُ مَوْتَ رَجُلٍ واحِدٍ ومَوْتُهُ ذَهَابُ العِلْمِ .

وقالَ مُحَمَّدٌ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ إسماعيلَ ، قالَ : كُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ على سُلَيْمَانَ بنِ حَرْبٍ يَقُولُ : بَيِّنْ لَنَا غَلَطَ شُعْبَةَ .

قالَ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : اجْتَمَعَ أَصْحَابُ الحَدِيثِ ، فَسألُونِي أَنْ أَكَلِّمَ إسماعيلَ بنَ أبي أُوَيْسٍ لِيَرِيدَهُمْ في القِرَاءَةِ ، ففَعَلْتُ ، فدَعَا إسماعيلُ الجارِيَةَ ، وأَمَرَهَا أَنْ تُخْرِجَ صِرَّةَ دَنانيرَ ، وقالَ : يا أبا عبدِ الله ، فرَقَّها عَلَيْهِم قُلْتُ : إِنَّمَا أَرادُوا الحَدِيثَ قالَ : قد أَجَبْتُكَ إلى ما طَلَبْتَ من الزِّيادَةِ ، غَيْرَ أَنِّي أَحِبُّ أَنْ يُضَمَّ هَذَا إلى ذَاكَ لِيُظَهَرَ أَثَرُكَ فِيهِمْ .

وقالَ مُحَمَّدُ بنُ أبي حاتمٍ : سَمِعْتُ حاشِدَ بنَ عبدِ الله يَقُولُ : قالَ لي أبو مُصْعَبٍ

(١) انظر السير : (الدَّارِقُطْنِيُّ) ١٦ / ٤٤٩ - ٤٦١ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٣٠٤ .

(٢) سورة النجم ، الآية : ٣٢ .

(٣) سورة الضحى ، الآية : ١١ .

(٤) انظر السير : (ابنُ عَسَاكِرِ) ٢٠ / ٥٥٤ - ٥٧١ ، وانظر النزهة : ٤ / ١٥٨٤ .

الرُّهْرِيُّ : مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَفْقَهُ عِنْدَنَا وَأَبْصَرُ بِالْحَدِيثِ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فَقِيلَ لَهُ :
جَاوَزْتَ الْحَدَّ فَقَالَ لِلرَّجُلِ : لَوْ أَدْرَكَتَ مَالِكًا وَنَظَرْتَ إِلَيَّ وَجْهَهُ وَوَجْهَهُ مُحَمَّدِ بْنِ
إِسْمَاعِيلَ ، لَقُلْتُ : كِلَاهُمَا وَاحِدٌ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ .

قَالَ : وَسَمِعْتُ حَاشِدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ يَقُولُ : سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوَيْه يَقُولُ :
اَكْتُبُوا عَنِ هَذَا الشَّابِّ - يَعْنِي الْبُخَارِيَّ - فَلَوْ كَانَ فِي زَمَنِ الْحَسَنِ لَأَحْتَجَّ إِلَيْهِ النَّاسُ
لِمَعْرِفَتِهِ بِالْحَدِيثِ وَفِقْهِه .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : انْتَهَى الْحِفْظُ إِلَى أَرْبَعَةٍ مِنْ
أَهْلِ خُرَاسَانَ : أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِي ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِي ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ السَّمَرْقَنْدِي ، وَالْحَسَنُ بْنُ شُجَاعِ الْبَلْخِي .

قَالَ ابْنُ الْأَشْعَثِ : فَحَكَيْتُ هَذَا لِمُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلِ الْبَلْخِي ، فَأَطْرَى ذِكْرَ ابْنِ
شُجَاعٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : لِمَ لَمْ يَشْتَهَرْ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ لَمْ يُمَتَّعْ بِالْعُمْرِ .

وَقَالَ مُحَمَّدٌ : حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْزِي قَالَ : خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُنِيرٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى بُخَارَى فِي حَاجَةٍ لَهُ فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ لَهُ ابْنُ مُنِيرٍ : لَقَيْتَ
أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ؟ قَالَ : لَا ، فَطَرَدَهُ وَقَالَ : مَا فِيكَ بَعْدَ هَذَا خَيْرٌ ، إِذْ قَدِمْتَ بُخَارَى وَلَمْ
تَصِرْ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ .

عَنْ قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ قَالَ : رُحِلَ إِلَيَّ مِنْ شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرِبِهَا ، فَمَا رَحَلَ إِلَيَّ مِثْلُ
مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، فَقَالَ مَهْيَاؤُ : صَدَقَ أَنَا رَأَيْتُهُ مَعَ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ ، وَهُمَا يَخْتَلِفَانِ
جَمِيعاً إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، فَرَأَيْتُ يَحْيَى يَنْقَادُ لَهُ فِي الْمَعْرِفَةِ .

وَعَنْ قُتَيْبَةَ قَالَ : لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِي الصَّحَابَةِ لَكَانَ آيَةً .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْهَمْدَانِي : كُنَّا عِنْدَ قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ ، فَجَاءَ رَجُلٌ شِعْرَانِيٌّ
يُقَالُ لَهُ : أَبُو يَعْقُوبَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، فَكَسَّ رَأْسَهُ ، ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَى
السَّمَاءِ ، فَقَالَ : يَا هَوْلَاءَ ، نَظَرْتُ فِي الْحَدِيثِ وَنَظَرْتُ فِي الرَّأْيِ ، وَجَالَسْتُ الْفُقَهَاءَ
وَالرُّهَّادَ وَالْعَبَّادَ ، مَا رَأَيْتُ مِنْذُ عَقَلْتُ مِثْلَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ .

قَالَ الْحَاكِمُ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ يَعْقُوبَ الْحَافِظَ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : رَأَيْتُ

مُسْلِمَ بْنِ الْحَجَّاجِ بَيْنَ يَدَيْ الْبُخَارِيِّ يَسْأَلُهُ سُؤَالَ الصَّبِيِّ^(١) .

ثم قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ أَحْمَدَ الشَّيْبَانِي الْمَعْدَلِ ، سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَمْدُونَ يَقُولُ : رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ فِي جِنَازَةِ سَعِيدِ بْنِ مَرْوَانَ وَمُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى الذُّهْلِيِّ يَسْأَلُهُ عَنِ الْأَسَامِيِّ وَالْكُنِيِّ وَالْعِلَلِ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ يَمُرُّ فِيهِ مِثْلَ السَّهْمِ ، كَأَنَّهُ يَقْرَأُ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^(٢) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَمْدُونَ بْنِ رُسْتَمٍ : سَمِعْتُ مُسْلِمَ بْنَ الْحَجَّاجِ ، وَجَاءَ إِلَى الْبُخَارِيِّ فَقَالَ : دَعْنِي أَقْبَلُ رِجْلَيْكَ يَا أَسْتَاذَ الْأُسْتَاذِينَ ، وَسَيِّدَ الْمُحَدِّثِينَ ، وَطَبِيبَ الْحَدِيثِ فِي عِلَلِهِ .

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ جَزْرَةَ : كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ يَجْلِسُ بِبَغْدَادَ ، وَكُنْتُ أُسْتَمَلِي لَهُ ، وَيَجْتَمِعُ فِي مَجْلِسِهِ أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا^(٣) .

قَالَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْوَزِيُّ ، سَمِعْتُ أَبَا سَهْلٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ الْمَرْوَزِيَّ ، سَمِعْتُ أَبَا زَيْدَ الْمَرْوَزِيَّ الْفَقِيهَ يَقُولُ : كُنْتُ نَائِمًا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا زَيْدَ ، إِلَى مَتَى تَدْرُسُ كِتَابَ الشَّافِعِيِّ ، وَلَا تَدْرُسُ كِتَابِي ؟ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا كِتَابُكَ ؟ قَالَ : « جَامِعُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ »^(٤) .

٨- ثناء عالم على آخر مع تدابرهما :

قيلَ : إِنَّ أَبَا نَعِيمٍ الْحَافِظَ ذَكَرَ لَهُ ابْنُ مَنْدَةَ ، فَقَالَ : كَانَ جَبَلًا مِنَ الْجِبَالِ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : فَهَذَا يَقُولُهُ أَبُو نَعِيمٍ مَعَ الْوَحْشَةِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ^(٥) ،^(٦) .

-
- (١) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ١٢/٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزهة : ١٠١٣/ثناء العلماء عليه .
 - (٢) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ١٢/٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٠١٥ .
 - (٣) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ١٢/٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٠١٥ .
 - (٤) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ١٢/٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزهة : ٣/١٠١٥ .
 - (٥) وهي بسبب الخلاف المتأجج بين العلماء وقتئذ حول قضية اللفظ بالقرآن ، أهو مخلوق أو غير مخلوق .
 - (٦) انظر السير : (ابن مندة) ١٧/٢٨-٤٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٢١ .

٩- تَوْجِيهُ الشَّانِ وَجْهَةً صَحِيحَةً :

قال أبو المليح : قال رجلٌ لمَيْمُونُ بنِ مِهْرَانَ : يا أبا أيوب! ما يزالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ ما أبْقَاكَ اللهُ لهم ، قال : أَقْبِلْ على شَأْنِكَ ، ما يزالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ ما اتَّقَوْا رَبَّهُمْ ^(١) .

قال ابنُ عُيَيْنَةَ : قالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ : جَزَاكَ اللهُ عن الإسلامِ خَيْراً ، قالَ : بَلْ جَزَى اللهُ الإسلامَ عَنِّي خَيْراً .

ماتَ سَنَةَ إِحْدَى ومِئَةٍ ^(٢) .

وعن فَضِيلِ بنِ عِيَاضٍ قالَ : قيلَ لِسُلَيْمَانَ التَّمِيمِيِّ : أَنْتَ أَنْتَ وَمَنْ مِثْلُكَ؟! قالَ : لا تَقُولُوا هَكَذَا لا أَذْرِي ما يَبْدُو لي من رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ سَمِعْتُ اللهُ يَقُولُ : ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللهُ ما لَهُمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ ^(٣) ، ^(٤) .

١٠- نَمَاجٍ من تَرْكِيَةِ السَّلَفِ بَعْضُهُم بَعْضاً :

قالَ الشَّعْبِيُّ : أَهْلُ بَيْتِ خُلُقُوا لِلجَنَّةِ عِلْقَمَةً وَالأسودُ وَعبدُ الرَّحْمَنِ ^(٥) .

روى عطاءُ بنُ أَبِي رَبِيعٍ عن ابنِ عَبَّاسٍ قالَ : إِنِّي لأَظُنُّ طَاوُوساً من أَهْلِ الجَنَّةِ ^(٦) .

وعن سُفْيَانَ الثَّورِيِّ ، قالَ : وَهَلْ كانَ في الدُّنْيا مِثْلُ قَتَادَةَ ^(٧) .

وقالَ سُلَيْمَانُ التَّمِيمِيُّ : ما أَحَدٌ أَحَبُّ أنْ ألقى اللهُ بِمِثْلِ صَحيفَتِهِ مِثْلَ مُحَمَّدِ بنِ واسِعٍ ^(٨) .

وقالَ وَكَيْعٌ : شَكُّ مِسْعَرَ كَيْقِينَ غَيْرِهِ .

-
- (١) انظر السير : (مَيْمُونُ بنِ مِهْرَانَ) ٧١/٥ - ٧٨ ، وانظر النزهة : ٢/٥٨٢ .
 - (٢) انظر السير : (عُمَرُ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ) ١١٤/٥ - ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٤/٥٩٢ .
 - (٣) سورة الزمر ، الآية : ٤٧ .
 - (٤) انظر السير : (سُلَيْمَانُ بنُ طَرْحَانَ) ١٩٥/٦ - ٢٠٢ ، وانظر النزهة : ١٠/٦٤١ .
 - (٥) انظر السير : (عبدُ الرَّحْمَنِ بنِ الأَسودِ) ١١/٥ - ١٢ ، وانظر النزهة : ٨/٥٧٥ .
 - (٦) انظر السير : (طَاوُوسُ) ٣٨/٥ - ٤٩ ، وانظر النزهة : ٤/٥٧٧ .
 - (٧) انظر السير : (قَتَادَةَ) ٢٦٩/٥ - ٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٢/٦٠٣ .
 - (٨) انظر السير : (محمد بنِ واسِعٍ) ١١٩/٦ - ١٢٣ ، وانظر النزهة : ٢/٦٣٨ .

وروي عن الحسن بن عمارة قال : إن لم يدخل الجنة إلا مثل مسعر ، إن أهل الجنة لقليل^(١) .

وقال يحيى بن معين : شعبة إمام المتقين ، وقال أبو زيد الأنصاري : هل العلماء إلا شعبة من شعبة^(٢) .

وقال البراء بن رميم : سمعت يونس بن عبيد يقول : ما رأيت أفضل من سفيان فقيل له : فقد رأيت سعيد بن جبير ، وإبراهيم ، وعطاء ، ومجاهداً ، وتقول هذا؟! قال : هو ما أقول ، ما رأيت أفضل من سفيان .

وقال عباس الدوري : رأيت يحيى بن معين ، لا يقدم على سفيان أحداً في زمانه ، في الفقه والحديث والزهد وكل شيء^(٣) .

وعن ابن المبارك قال : ما نعت لي أحداً ، فرأيتُه إلا وجدته دون نعته ، إلا سفيان الثوري .

وقال ابن عزة : سمعت يحيى بن سعيد يقول : سفيان أثبت من شعبة ، وأعلم بالرجال^(٤) .

وقال بشر الحافي : كان الثوري عندنا إمام الناس وعنه قال : سفيان في زمانه كأبي بكر وعمر في زمانهما^(٥) .

وعن شعيب بن حرب قال : إنني لأحسب أنه يجاء عدداً بسفيان حجة من الله على خلقه يقول لهم : لم تدرِكوا نبيكم ، قد رأيتم سفيان .

قال شعبة : إن سفيان ساد الناس بالورع والعلم^(٦) .

(١) انظر السير : (مسعر) ١٦٣-١٧٣ / ٧ ، وانظر النزاهة : ٢ / ٦٨٩ .

(٢) انظر السير : (شعبة) ٢٠٢-٢٢٨ / ٧ ، وانظر النزاهة : ٦ / ٦٩٣ .

(٣) انظر السير : (سفيان الثوري) ٢٢٩-٢٧٩ / ٧ ، وانظر النزاهة : ٤ / ٦٩٥ .

(٤) انظر السير : (سفيان الثوري) ٢٢٩-٢٧٩ / ٧ ، وانظر النزاهة : ٦ / ٦٩٥ .

(٥) انظر السير : (سفيان الثوري) ٢٢٩-٢٧٩ / ٧ ، وانظر النزاهة : ٧ / ٦٩٥ .

(٦) انظر السير : (سفيان الثوري) ٢٢٩-٢٧٩ / ٧ ، وانظر النزاهة : ٨ / ٦٩٥ .

وقال أبو نعيم : سمعت سُفيانَ يقولُ : كان إبراهيمُ بنُ أدهمَ يُشبهُ إبراهيمَ الخليلَ ولو كان في الصحابة ، لكان رجلاً فاضلاً^(١) .

وقال ابنُ عيينةَ : نظرتُ في أمرِ الصحابة ، وأمرِ عبدِ الله بنِ المباركِ فما رأيتُ لهم عليه فضلاً إلا بصُحبَتِهِم النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وغزوهم معه^(٢) .

وروى أحمدُ بنُ أبي الحوارِيِّ عن الهيثمِ بنِ جميل ، سمعتُ شريكاً يقولُ : لم يزل لكلِّ قومٍ حجةٌ في أهلِ زمانِهِم ، وإنَّ فضيلَ بنَ عياضٍ حجةٌ لأهلِ زمانِهِ ، فقام فتى من مجلسِ الهيثمِ ، فلما توارى ، قال الهيثمُ : إن عاش هذا الفتى يكونُ حجةً لأهلِ زمانِهِ قيل : من كان الفتى ؟ قال : أحمدُ بنُ حنبلٍ^(٣) .

قال الإمامُ الشافعيُّ : لولا مالِكُ وسُفيانُ بنُ عيينةَ ، لذهبَ علمُ الحجازِ .
وارتحلَ سُفيانُ ولقيَ خلقاً كثيراً ما لقيهم مالِكُ ، وهما نظيرانِ في الإلتقانِ ، ولكنَّ مالكاَ أجلاً وأعلى ، فعنده نافعٌ ، وسعيدُ المقبريِّ .

قال حرملهُ : سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : ما رأيتُ أحداً فيه من آلةِ العلمِ ما في سُفيانِ بنِ عيينةَ ، وما رأيتُ أكفَّ عن الفتيا منه قال : وما رأيتُ أحداً أحسنَ تفسيراً للحديثِ منه .

قال عبدُ الله بنُ وهبٍ : لا أعلمُ أحداً أعلمَ بتفسيرِ القرآنِ من ابنِ عيينةَ .
وقال : أحمدُ بنُ حنبلٍ أعلمُ بالسننِ من سُفيانَ .
وعن البويطيِّ ، سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : أصولُ الأحكامِ نيفٌ وخمس مئة حديث ، كلها عندَ مالِكٍ إلا ثلاثينَ حديثاً ، وكلُّها عندَ ابنِ عيينةَ إلا ستَّةَ أحاديثٍ .

وقال ابنُ المديني : قال لي يحيى القطانُ ما بقي من معلِّمي أحدٌ غيرُ سُفيانِ بنِ عيينةَ ، وهو إمامٌ منذُ أربعينَ سنةً^(٤) .

(١) انظر السير : (إبراهيمُ بنُ أدهم) ٣٨٧-٣٩٦/٧ ، وانظر النزهة : ١/٧٠٨ .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٣٧٨-٤٢١/٨ ، وانظر النزهة : ٢/٧٦٧ .

(٣) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٤٢١-٤٤٢/٨ ، وانظر النزهة : ٢/٧٧٣ .

(٤) انظر السير : (سُفيانُ بنِ عيينةَ) ٤٥٤-٤٧٥/٨ ، وانظر النزهة : ١/٧٨٣ .

وقال نعيم بن حماد : ما رأيتُ أحداً أجمعَ لِمُتَّفَرِّقٍ من سُفَيانَ بنِ عُيَيْنَةَ^(١) .
وقال أبو داود الطيالسي : توفي أبو إسحاق الفزاري وليسَ علي وجه الأرضِ أحدٌ
أفضلَ منه^(٢) .

وعن سُفَيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، قال : والله ما رأيتُ أحداً أقدّمه علي أبي إسحاق
الفزاري^(٣) .

وعن مالك : أنه ذُكرَ عنده عبدُ الرحمن بنُ القاسم ، فقال : عافاه الله ، مثله
كمثلِ جرابٍ مملوءٍ مسكاً^(٤) .

وقال بشر بن موسى : سمعتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ يقولُ : ما رأيتُ قطُّ مثلَ وكيعٍ في
العلمِ والحِفْظِ والإسنادِ والأبوابِ مع خُشوعٍ وورَعٍ .

قال الإمامُ الذهبيُّ مُعقِّباً : يقولُ لهذا أحمدُ مع تحرّيه وورَعِهِ وقد شاهدَ الكبارَ مثلَ
هُشيمٍ ، وابنِ عُيَيْنَةَ ، ويحيى القطان ، وأبي يوسفَ القاضي وأمثالِهِم^(٥) .

وقال مروان بن محمد الطاطري : ما رأيتُ فيمنَ رأيتُ أخشعَ من وكيعٍ ،
وما وُصِفَ لي أحدٌ قطُّ إلا رأيتُهُ دونَ الصِّفةِ إلا وكيعاً ، رأيتُهُ فوقَ ما وُصِفَ لي^(٦) .

وقال إسماعيلُ بنُ شدّاد : قال لنا سُفَيانُ بنُ عُيَيْنَةَ : ما فعلَ ذلكَ الحبرُ الذي فيكم
ببغدادَ؟ قلنا : من هو؟ قال : أبو محفوظٍ معروفٌ قلنا : بخيرٍ ، قال : لا يزالُ أهلُ
تلكَ المدينةَ بخيرٍ ما بقيَ فيهم^(٧) .

قال أحمدُ بنُ حنبلٍ : ما رأيتُ أفضلَ من حُسَيْنِ الجعفي .

-
- (١) انظر السير : (سُفَيانُ بنِ عُيَيْنَةَ) ٤٥٤/٨ - ٤٧٥ ، وانظر النزهة : ٢/٧٨٤ .
 - (٢) انظر السير : (أبو إسحاق الفزاري) ٥٣٩/٨ - ٥٤٣ ، وانظر النزهة : ٣/٧٩٠ .
 - (٣) انظر السير : (أبو إسحاق الفزاري) ٥٣٩/٨ - ٥٤٣ ، وانظر النزهة : ٤/٧٩٠ .
 - (٤) انظر السير : (عبد الرحمن بن القاسم) ١٢٠/٩ - ١٢٥ ، وانظر النزهة : ٤/٨٠٥ .
 - (٥) انظر السير : (وكيع) ١٤٠/٩ - ١٦٨ ، وانظر النزهة : ٤/٨٠٩ .
 - (٦) انظر السير : (وكيع) ١٤٠/٩ - ١٦٨ ، وانظر النزهة : ٤/٨١١ .
 - (٧) انظر السير : (معروف الكرخي) ٣٣٩/٩ - ٣٤٥ ، وانظر النزهة : ٣/٨٢٦ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعقَّباً : يُريدُ بِالْفَضْلِ التَّقْوَى والتَّأَلَّهُ ، هَذَا عُرِفَ الْمُتَقَدِّمِينَ ^(١) .
وقال قُتَيْبَةُ : قِيلَ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ : قَدِمَ حُسَيْنُ الْجَعْفِيُّ ، فَوَثَبَ قَائِماً ، وقال :
قَدِمَ أَفْضَلُ رَجُلٍ يَكُونُ قَطُّ ^(٢) .

وقال وَكَيْعُ بْنُ الْجَرَّاحِ : إِنْ كَانَ يُدْفَعُ بِأَحَدٍ فِي زَمَانِنَا ، فَبِأَبِي دَاوُدَ الْحَفْرِيِّ .
وقال عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ : لَا أَعْلَمُنِي رَأَيْتُ بِالْكُوفَةِ أَعْبَدَ مِنْهُ ^(٣) .
وعن الْحُسَيْنِيِّ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ مَالِكٍ ، فَقَدِمَ ابْنُ قَعْنَبَ مِنْ سَفَرٍ ، فَقَالَ مَالِكُ : قُومُوا
بِنَا إِلَى خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ ^(٤) .

قال إبراهيمُ الحَرَبِيُّ : مَا أَخْرَجَتْ بَغْدَادُ أُمَّمَ عَقْلًا مِنْ بَشَرٍ بِنِ الْحَارِثِ ، وَلَا أَحْفَظَ
لِللِّسَانِ ، كَانَ فِي كُلِّ شَعْرَةٍ مِنْهُ عَقْلٌ ، وَطِىءَ النَّاسُ عَقِبَهُ خَمْسِينَ سَنَةً ، مَا عُرِفَ لَهُ غِيْبَةٌ
لِمُسْلِمٍ ، مَا رَأَيْتُ أَفْضَلَ مِنْهُ ^(٥) .

وقيل لأحمدَ : ماتَ بِشَرُّ بْنُ الْحَارِثِ : قَالَ : مَاتَ وَاللهُ وَمَا لَهُ نَظِيرٌ إِلَّا عَامِرُ بْنُ
عَبْدِ قَيْسٍ ، فَإِنَّ عَامِرًا مَاتَ وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ أَحْمَدُ : لَوْ تَزَوَّجَ ^(٦) .
وقال إبراهيمُ الحَرَبِيُّ : لَوْ قَسَمَ عَقْلُ بَشَرٍ عَلَى أَهْلِ بَغْدَادَ ، صَارُوا عُقْلَاءَ ^(٧) .
وقال أبو العَبَّاسِ ثَعْلَبُ : لَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، لَكَانَ عَجَبًا ^(٨) .

وقال إبراهيمُ بْنُ مُحَمَّدِ النَّسَّاجِ : سَمِعْتُ إِبرَاهِيمَ الحَرَبِيَّ يَقُولُ : أَدْرَكْتُ ثَلَاثَةَ
تَعَجَزُ النِّسَاءُ أَنْ يَلِدْنَ مِثْلَهُمْ : رَأَيْتُ أَبَا عُبَيْدٍ ، مَا مِثْلُهُ إِلَّا بِجَبَلٍ نَفَخَ فِيهِ رُوحٌ ، وَرَأَيْتُ
بَشَرَ بْنَ الْحَارِثِ ، مَا شَبَّهْتُهُ إِلَّا بِرَجُلٍ عُجِنَ مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ عَقْلًا ، وَرَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ

-
- (١) انظر السير : (الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الجَعْفِيُّ) ٣٩٧/٩ - ٤٠١ ، وانظر النزهة : ١/٨٣٣ .
 - (٢) انظر السير : (الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الجَعْفِيُّ) ٣٩٧/٩ - ٤٠١ ، وانظر النزهة : ٢/٨٣٣ .
 - (٣) انظر السير : (الحَفْرِيُّ) ٤١٥-٤١٧ ، وانظر النزهة : ٢/٨٣٤ .
 - (٤) انظر السير : (القُتَيْبِيُّ) ٢٥٧/١٠ - ٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٥/٨٧٥ .
 - (٥) انظر السير : (بِشَرُّ بْنُ الْحَارِثِ) ٤٦٩/١٠ - ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٨/٨٨٥ .
 - (٦) انظر السير : (بِشَرُّ بْنُ الْحَارِثِ) ٤٦٩/١٠ - ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٧/٨٨٦ .
 - (٧) انظر السير : (بِشَرُّ بْنُ الْحَارِثِ) ٤٦٩/١٠ - ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٨/٨٨٦ .
 - (٨) انظر السير : (أَبُو عُبَيْدٍ) ٤٩٠/١٠ - ٥٠٩ ، وانظر النزهة : ٦/٨٨٧ .

حَنْبَلٌ ، فَرَأَيْتُ كَأَنَّ اللَّهَ قَدْ جَمَعَ لَهُ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ ، فَمِنْ كُلِّ صِنْفٍ يَقُولُ مَا يَشَاءُ ،
وَيُمْسِكُ مَا يَشَاءُ^(١) .

وعن يَحْيَى بْنِ يَحْيَى التَّمِيمِيِّ ، قَالَ : إِنْ لَمْ يَكُنْ أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ مِنَ الْأَبْدَالِ ، فَلَا
أُدْرِي مَنْ هُمْ !!؟^(٢) .

قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْقَهَ وَلَا أَوْرَعَ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : قَالَ هَذَا وَقَدْ رَأَى مِثْلَ الثُّورِيِّ وَمَالِكِ وَابْنِ جُرَيْجٍ^(٣) .

وَقَالَ قَتَيْبَةُ : خَيْرُ أَهْلِ زَمَانِنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، ثُمَّ هَذَا الشَّابُّ ، يَعْنِي : أَحْمَدَ بْنَ
حَنْبَلٍ ، وَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يُحِبُّ أَحْمَدَ ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ وَلَوْ أَدْرَكَ عَصْرَ الثُّورِيِّ ،
وَالأَوْزَاعِيِّ ، وَاللَّيْثِ ، لَكَانَ هُوَ الْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ فَقِيلَ لِقَتَيْبَةَ : يُضَمُّ أَحْمَدُ إِلَى التَّابِعِينَ ؟
قَالَ : إِلَى كِبَارِ التَّابِعِينَ^(٤) .

وَقَالَ حَرَمَلَةُ : سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ : خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ فَمَا خَلَفْتُ بِهَا رَجُلًا
أَفْضَلَ ، وَلَا أَعْلَمَ ، وَلَا أَفْقَهَ ، وَلَا أَنْقَى مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ^(٥) .

وَرُوِيَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ ، قَالَ : أَحْمَدُ حُجَّةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ^(٦) .

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الصَّفَّارِ ، قَالَ : لَوْ كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي الْأَحْيَاءِ لاحتِجَّ إِلَى
إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ^(٧) .

وَقَالَ حَنْبَلٌ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَسُئِلَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ ، قَالَ : مِثْلُ
إِسْحَاقَ يُسْأَلُ عَنْهُ !؟ إِسْحَاقُ عِنْدَنَا إِمَامٌ^(٨) .

-
- (١) انظر السير : (أبو عبيد) ١٠/٤٩٠-٥٠٩ ، وانظر النزهة : ٧/٨٨٧ .
 - (٢) انظر السير : (أحمد بن حرب) ١١/٣٢-٣٥ ، وانظر النزهة : ٣/٩٠٦ .
 - (٣) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٤/٩٢٥ .
 - (٤) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٥/٩٢٥ .
 - (٥) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٦/٩٢٥ .
 - (٦) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٧/٩٢٥ .
 - (٧) انظر السير : (إسحاق بن راهويه) ١١/٣٥٨-٣٨٣ ، وانظر النزهة : ٢/٩٥٢ .
 - (٨) انظر السير : (إسحاق بن راهويه) ١١/٣٥٨-٣٨٣ ، وانظر النزهة : ١/٩٥٣ .

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة : والله لو كان إسحاق في التَّابِعِينَ لأقرُّوا له بحِفْظِهِ وَعِلْمِهِ وَفِقْهِهِ^(١) .

قال أبو عبد الله الحاكم : كان محمد بن أسلم من الأبدالِ المُتَّبِعِينَ لِلْأَثَرِ^(٢) .
وقال فيه محمد بن رافع : دخلتُ على محمد بن أسلم ، فما شَبَّهْتُهُ إِلَّا بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣) .

وقال الحاكم : قام محمد بن أسلم مقامَ وكيع ، وأفضلَ من مقامِهِ لِزُهْدِهِ وَوَرَعِهِ وَتَبْتُّعِهِ لِلْأَثَرِ^(٤) .

قال محمد بن القاسم : وَسَمِعْتُ أَبَا يَعْقُوبَ الْمَرْزُوقِيَّ بَبْغَدَادَ ، وَقُلْتُ لَهُ : قَدْ صَحِبْتَ مُحَمَّدَ بْنَ أَسْلَمَ ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ ، أَيُّهُمَا كَانَ أَرْجَحَ وَأَكْبَرَ وَأَبْصَرَ بِالْدِّينِ ؟ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ : لِمَ تَقُولُ هَذَا ؟ إِذَا ذَكَرْتَ مُحَمَّدًا فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ ، فَلَا تَقْرُنْ مَعَهُ أَحَدًا : الْبَصْرَ بِالْدِّينِ ، وَاتِّبَاعَ الْأَثَرِ ، وَالزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا ، وَفَصَاحَتَهُ بِالْقُرْآنِ وَالنَّحْوِ ، ثُمَّ قَالَ لِي : نَظَرَ أَحْمَدُ فِي كِتَابِ « الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ » لِابْنِ أَسْلَمَ ، فَتَعَجَّبَ مِنْهُ^(٥) .

عن أحمد بن حنبل ، قال : ما كان بالشَّامِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِثْلُ مُحَمَّدِ بْنِ عَوْفٍ .
مات ابن عوف في سنة اثنتين وسبعين ومئتين ، رَحِمَهُ اللَّهُ^(٦) .

قال إبراهيم بن عَقَّانَ الْبِرَّارِ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَّارِيِّ فَجَرَى ذِكْرُ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّرْمَارِيِّ ، فَقَالَ : مَا نَعَلِمُ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلَهُ فَخَرَجْتُ فَإِذَا أَحِيدُ رَئِيسُ الْمُطَوَّعَةِ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَغَضِبَ وَدَخَلَ عَلَى الْبُخَّارِيِّ ، وَسَأَلَهُ فَقَالَ مَا كَذَا قُلْتُ ، بَلْ : مَا بَلَّغْنَا أَنَّهُ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِثْلَهُ .

-
- (١) انظر السير : (إسحاق بن راهويه) ١١/٣٥٨-٣٨٣ ، وانظر النزهة : ٢/٩٥٣ .
 - (٢) انظر السير : (محمد بن أسلم) ١٢/١٩٥-٢٠٧ ، وانظر النزهة : ١/٩٩٢ .
 - (٣) انظر السير : (محمد بن أسلم) ١٢/١٩٥-٢٠٧ ، وانظر النزهة : ٢/٩٩٢ .
 - (٤) انظر السير : (محمد بن أسلم) ١٢/١٩٥-٢٠٧ ، وانظر النزهة : ٣/٩٩٢ .
 - (٥) انظر السير : (محمد بن أسلم) ١٢/١٩٥-٢٠٧ ، وانظر النزهة : ٤/٩٩٢ .
 - (٦) انظر السير : (محمد بن عوف) ١٢/٦١٣-٦١٦ ، وانظر النزهة : ٤/١٠٤٠ .

وقال ابنه أبو صفوان : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي يَوْمًا وَهُوَ يَأْكُلُ وَحْدَهُ ، فَرَأَيْتُ فِي مَائِدَتِهِ
عُصْفُورًا يَأْكُلُ مَعَهُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ طَارَ^(١) .

عن مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُقْرِيءِ ، سَمِعْتُ فَضْلَكَ الصَّائِغَ يَقُولُ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّبِيعِ
بِمِصْرَ ، فَقَالَ : مَنْ أَيْنَ ؟ قُلْتُ : مِنَ الرَّبِيِّ قَالَ : تَرَكْتَ أَبَا زُرْعَةَ الرَّازِيَّ وَجِئْتَ ؟ إِنَّ
أَبَا زُرْعَةَ آيَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا جَعَلَ إِنْسَانًا آيَةً ، أَبَانَهُ مِنْ شَكْلِهِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ ثَانٍ^(٢) .

وقال الحافظُ موسى بنُ هارونَ : خُلِقَ أَبُو دَاوُدَ فِي الدُّنْيَا لِلْحَدِيثِ ، وَفِي الآخِرَةِ
لِللَّحْنَةِ^(٣) .

وعن عَلْقَمَةَ ، قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يُشَبَّهُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
هَدْيِهِ وَدَلِّهِ وَكَانَ عَلْقَمَةُ يُشَبَّهُ بِعَبْدِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ .

قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ : وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ يُشَبَّهُ بِعَلْقَمَةَ فِي ذَلِكَ ، وَكَانَ
مَنْصُورٌ يُشَبَّهُ بِإِبْرَاهِيمَ .

وقيلَ : كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يُشَبَّهُ بِمَنْصُورٍ ، وَكَانَ وَكَيْعٌ يُشَبَّهُ بِسُفْيَانَ ، وَكَانَ أَحْمَدُ
يُشَبَّهُ بِوَكَيْعٍ ، وَكَانَ أَبُو دَاوُدَ يُشَبَّهُ بِأَحْمَدَ^(٤) .

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الرَّازِيَّ الْخَطِيبُ فِي تَرْجَمَةِ عَمَلِهَا لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ :
وَكَانَ بَحْرًا لَا تُكْدِرُهُ الدَّلَاءُ .

وقال عنه أبو يعلى الخليلي : أَخَذَ أَبُو مُحَمَّدٍ عِلْمَ أَبِيهِ ، وَأَبِي زُرْعَةَ ، وَكَانَ بَحْرًا
فِي الْعُلُومِ وَمَعْرِفَةِ الرِّجَالِ صَنَّفَ فِي الْفِقْهِ ، وَفِي اخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَعُلَمَاءِ
الْأَمْصَارِ قَالَ : وَكَانَ زَاهِدًا ، يُعَدُّ مِنَ الْأَبْدَالِ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : لَهُ كِتَابٌ نَفِيسٌ فِي « الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ » ، أَرْبَعُ
مُجَلَّدَاتٍ ، وَكِتَابٌ « الرَّدُّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ » ، مُجَلَّدٌ ضَخْمٌ ، انْتخِبَ مِنْهُ ، وَلَهُ « تَفْسِيرٌ »

(١) انظر السير : (أحمد بن إسحاق السمراري) ١٣/٣٧-٤٠ ، وانظر النزاهة : ١/١٠٤٩ .

(٢) انظر السير : (أبو زُرْعَةَ الرَّازِيَّ) ١٣/٦٥-٨٥ ، وانظر النزاهة : ٢/١٠٥٢ .

(٣) انظر السير : (أبو داوُدَ) ١٣/٢٠٣-٢٢١ ، وانظر النزاهة : ١/١٠٧٠ .

(٤) انظر السير : (أبو داوُدَ) ١٣/٢٠٣-٢٢١ ، وانظر النزاهة : ١/١٠٧١ .

كَبِيرٌ فِي عِدَّةِ مُجَلَّدَاتٍ ، عَامَّتُهُ آثَارٌ بِأَسَانِيدِهِ ، مِنْ أَحْسَنِ التَّفَاسِيرِ ، وَلَهُ كِتَابُ
« الْعِلَلِ » ، مُجَلَّدٌ كَبِيرٌ ^(١) .

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ الْجَارُودِي : كَانَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ الدَّارِمِيِّ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ
وَبَعْدَ مَمَاتِهِ ^(٢) .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلِ الطُّوسِيِّ : سَمِعْتُ الرَّبِيعَ بْنَ سُلَيْمَانَ وَقَالَ لَنَا : هَلْ تَعْرِفُونَ ابْنَ
خُزَيْمَةَ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ قَالَ : اسْتَفَدْنَا مِنْهُ أَكْثَرَ مِمَّا اسْتَفَادَ مِنَّا ^(٣) .

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو عَلِيٍّ النَّيْسَابُورِيُّ : لَمْ أَرِ أَحَدًا مِثْلَ ابْنِ خُزَيْمَةَ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : يَقُولُ مِثْلَ هَذَا وَقَدْ رَأَى النَّسَائِيَّ ^(٤) .

وَسُئِلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خُزَيْمَةَ ، فَقَالَ : وَيَحْكُمُ ! هُوَ
يُسْأَلُ عَنَّا وَلَا نُسْأَلُ عَنْهُ ! هُوَ إِمَامٌ يُقْتَدَى بِهِ ^(٥) .

وَقَالَ الصَّبْغِيُّ : شَمَائِلُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، أَخَذَهَا مَالِكُ الْإِمَامِ عَنْهُمْ ، وَأَخَذَهَا
عَنْ مَالِكِ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى التَّمِيمِيِّ ، وَأَخَذَهَا عَنْ يَحْيَى مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمَرُوزِيِّ ،
وَأَخَذَهَا عَنْ ابْنِ نَصْرِ أَبُو عَلِيٍّ الثَّقَفِيُّ .

قَالَ الْحَاكِمُ : وَسَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ الرَّاهِدَ يَقُولُ : كَانَ أَبُو عَلِيٍّ فِي عَصْرِهِ حُجَّةَ اللَّهِ
عَلَى خَلْقِهِ ^(٦) .

سُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَنَازِلِ الرَّاهِدُ عَنِ الْقَرْمِيسِنِيِّ فَقَالَ : هُوَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَأَهْلِ
الْمُعَامَلَاتِ وَالْآدَابِ ^(٧) .

-
- (١) انظر السير : (عبد الرحمن بن أبي حاتم) ١٣/٢٦٣-٢٦٩ ، وانظر النزاهة : ٤/١٠٧٨ .
 - (٢) انظر السير : (الدارمي) ١٣/٣١٩-٣٢٦ ، وانظر النزاهة : ٣/١٠٩٢ .
 - (٣) انظر السير : (ابن خزيمة) ١٤/٣٦٥-٣٨٢ ، وانظر النزاهة : ٤/١١٦٠ .
 - (٤) انظر السير : (ابن خزيمة) ١٤/٣٦٥-٣٨٢ ، وانظر النزاهة : ١/١١٦١ .
 - (٥) انظر السير : (ابن خزيمة) ١٤/٣٦٥-٣٨٢ ، وانظر النزاهة : ٣/١١٦٢ .
 - (٦) انظر السير : (أبو علي الثَّقَفِيُّ) ١٥/٢٨٠-٢٨٣ ، وانظر النزاهة : ٢/١٢٢٧ .
 - (٧) انظر السير : (القَرْمِيسِنِيُّ) ١٥/٣٩٢-٣٩٤ ، وانظر النزاهة : ٢/١٢٣٩ .

وقال أبو بكر بن إسحاق : صَحِبْتُ عَلِيَّ بْنَ حَمَّشَادٍ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ ، فَمَا أَعْلَمُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَتَبَتْ عَلَيْهِ خَطِيئَةَ (١) .

وقال عبدُ الْمُحْسِنِ الشَّيْخِيُّ التَّاجِرُ : مَا رَأَيْتُ مِثْلَ الصُّورِيِّ ! كَانَ كَأَنَّهُ شُعْلَةٌ نَارٍ ، بِلِسَانٍ كَالْحُسَامِ الْقَاطِعِ (٢) .

وقال أبو سَعْدِ السَّمْعَانِيُّ : كَانَ الدَّأُوْدِيُّ وَجْهَ مَشَايخِ خُرَاسَانَ فَضْلاً عَنْ نَاحِيَتِهِ وَالْمَعْرُوفَ فِي أَصْلِهِ وَفَضْلِهِ وَطَرِيقَتِهِ ، لَهُ قَدَمٌ فِي التَّقْوَى رَاسِخٌ ، يَسْتَحِقُّ أَنْ يُطَوَّى لِلتَّبَرُّكِ بِهِ فَرَايِخُ فَضْلِهِ فِي الْفُنُونِ مَشْهُورٌ ، وَذِكْرُهُ فِي الْكُتُبِ مَسْطُورٌ ، وَأَيَّامُهُ غُرَرٌ ، وَكَلَامُهُ دُرَرٌ (٣) .

وقال أبو الحَسَنِ البَاخَرَزِيُّ فِي « الدَّمِيَّةِ » فِي حَقِّ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ أَبِي الْمَعَالِيِّ الْجُوَيْنِيِّ : الْفَقْهُ فَفَهُ الشَّافِعِيُّ ، وَالْأَدَبُ أَدَبُ الْأَصْمَعِيِّ ، وَفِي الْوَعْظِ الْحَسَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، وَكَيْفَ مَا هُوَ فَهُوَ إِمَامٌ كُلِّ إِمَامٍ ، وَالْمُسْتَعْلِي بِهَمَّتِهِ عَلَى كُلِّ هَامٍ ، وَالْفَائِزُ بِالظَّفَرِ عَلَى إِرْغَامِ كُلِّ ضِرْغَامٍ ، وَإِنْ تَصَدَّرَ لِلْفِقْهِ ، فَالْمُزْنِيُّ مِنْ مُزْنَتِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ فَالْأَشْعَرِيُّ شَعْرَةٌ مِنْ وَفْرَتِهِ (٤) .

١١- شِعْرٌ فِي الْمَدْحِ :

قال الإمامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : قَدْ اشْتَهَرَتْ قَصِيدَةُ الْفَرَزْدَقِ - وَهِيَ سَمَاعِنَا - أَنَّ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ حَجَّ قُبَيْلَ وَلايَتِهِ الْخِلَافَةَ ، فَكَانَ إِذَا أَرَادَ اسْتِلامَ الْحَجَرِ زُوِجِمَ عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ مِنَ الْحَجَرِ تَفَرَّقُوا عَنْهُ إِجْلَالاً لَهُ ، فَوَجِمَ لَهَا هِشَامٌ وَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَمَا أَعْرِفُهُ ، فَأَنْشَأَ الْفَرَزْدَقُ يَقُولُ :

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَأْتَهُ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ

(١) انظر السير : (عليُّ بنُ حَمَّشَادٍ) ٣٩٨/١٥ - ٤٠٠ ، وانظر النزعة : ٣/١٢٤١ .

(٢) انظر السير : (الصُّورِيُّ) ٦٢٧/١٧ - ٦٣١ ، وانظر النزعة : ٢/١٣٦٩ .

(٣) انظر السير : (الدَّأُوْدِيُّ) ٢٢٢/١٨ - ٢٢٦ ، وانظر النزعة : ٢/١٤٠٥ .

(٤) انظر السير : (إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ) ٤٦٨/١٨ - ٤٧٧ ، وانظر النزعة : ٢/١٤٣٤ .

إذا رأتَهُ قريشٌ قالَ قائلُها
 يكادُ يمسيكُهُ عرفانُ راحتِهِ
 إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ
 رُكنُ الحطيمِ إذا ما جاءَ يستلِمُ
 بهذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلُهُ
 بجدهِ أنبياءِ اللهِ قد ختموا

وهي قصيدةٌ طويلةٌ قالَ : فأمرَ هشامُ بحبسِ الفرزدقِ ، فحبسَ بعُسفانَ ، وبعثَ إليه عليُّ بنُ الحسينِ باثني عشرَ ألفَ درهمٍ وقالَ : أعذِرُ أبا فراسٍ فردَّها وقالَ : ما قلتُ إلاَّ غضباً لله ولرسولِهِ ، فردَّها إليه ، وقالَ : بحقِّي عليكِ لما قبلتها ، فقد علمَ اللهُ نيتكِ ورأى مكانك فقبلها .

ماتَ عليُّ بنُ الحسينِ سنةَ أربعٍ وتسعين .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ : قبرُهُ بالبقيعِ ، ولا بقيَّةٌ للحسينِ إلاَّ من قبلِ ابنِهِ زينِ العابدين^(١) .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ في ترجمةِ يعقوبِ الحضرميِّ ، أحدِ القراءِ العشرةِ : قالَ أحمدُ بنُ حنبلٍ : هو صدوقٌ .

وقالَ محمدُ بنُ أحمدَ العجليُّ يمدحُ يعقوبَ^(٢) :

أبوه من القراءِ كانَ وجدهُ
 تفرَّدهُ محضُ الصَّوابِ ووجهُهُ
 ويَعقوبُ في القراءِ كالكوكبِ الدُّرِّيِّ
 فَمَنْ مثلهُ في وقتهِ وإلى الحشرِ
 وقالَ أبو تمامٍ في المُعتصمِ أو ابنِهِ :

إقدامُ عمرو في سَمَاحَةِ حاتمِ
 في حِلْمِ أَحَنَفِ في ذكاءِ إِياسِ^(٣)

وروى محمدُ بنُ عبدِ المَلِكِ التَّاريخيُّ ، قالَ : أنشدني ابنُ أبي طاهرٍ لِنَفْسِهِ في الزُّبيرِ بنِ بكارِ^(٤) :

(١) انظر السير : (عليُّ بنُ الحسينِ) ٤/٣٨٦-٤٠١ ، وانظر النزهة : ٤/٥٢٠ .

(٢) انظر السير : (يعقوبُ الحضرميِّ) ١٠/١٦٩-١٧٤ ، وانظر النزهة : ١/٨٦٣ .

(٣) انظر السير : (أبو تمامٍ) ١١/٦٣-٦٩ ، وانظر النزهة : ٤/٩٠٩ .

(٤) انظر السير : (الزُّبيرِ بنِ بكارِ) ١٢/٣٠٨-٣١١ ، وانظر النزهة : ١/١٠٠٤ .

مَا قَالَ « لا » إِلَّا فِي تَشْهُدِهِ وَلَا جَرَى لَفْظُهُ إِلَّا عَلَى « نَعَمْ »
بَيْنَ الْحَوَارِيِّ وَالصَّدِيقِ نِسْبَتُهُ وَقَدْ جَرَى وَرَسُولُ اللَّهِ فِي رَحِمِ

وَابْنِ الرُّومِيِّ النَّظْمِ الْعَجِيبِ ، وَالتَّوَلِيدِ الْغَرِيبِ ، رَبَّ شِعْرِهِ الصُّوْلِيِّ ، وَكَانَ
رَأْسًا فِي الْهَجَاءِ وَفِي الْمَدِيحِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ^(١) :

أَرَأَيْكُمْ وَوُجُوهُكُمْ وَسُيُوفُكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نُجُومَ
مِنْهَا مَعَالِمٌ لِلْهُدَى وَمَصَابِحُ تَجْلُو الدُّجَى وَالْأَخْرِيَاتُ رُجُومُ

وَاللِّشْكْرِيِّ فِي أَبِي عُمَرَ الرَّاهِدِ قَصِيدَةً مِنْهَا :

فَلَوْ أَنِّي أَقْسَمْتُ مَا كُنْتُ كَاذِبًا بِأَنْ لَمْ يَرَ الرَّأْوُونَ حَبْرًا يُعَادِلُهُ
إِذَا قُلْتَ شَارَفْنَا أَوْ أَحْرَعَ عِلْمِهِ تَفَجَّرَ حَتَّى قُلْتَ هَذَا أَوْ أَثْلُهُ

مَاتَ أَبُو عُمَرَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ^(٢) .

وَجَاءَ فِي تَرْجَمَةِ « كَافُور » صَاحِبِ مِصْرَ ، يَقُولُ الْمُتَنَبِّي :

قَوَاصِدُ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِقِيَا
فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بِيَاضًا خَلْفَهَا وَمَاقِيَا

فَأَقَامَ عِنْدَهُ أَرْبَعِ سِنِينَ ، وَنَالَ مَالًا جَزِيلًا ، ثُمَّ هَجَاهُ لَامَةً وَكُفَّرَ لِنِعْمَتِهِ وَهَرَبَ عَلَى
الْبَرِّيَّةِ^(٣) .

وَقَالَ الْعِمَادُ فِي مَدْحِ صَلاَحِ الدِّينِ^(٤) :

وَلِلنَّاسِ بِالْمَلِكِ النَّاصِرِ الصَّلَا حِ صَلاَحٍ وَنَصْرٍ كَبِيرِ
هُوَ الشَّمْسُ أَفْلَاكُهُ فِي الْبَلَا د وَمَطْلَعُهُ سَرْجُهُ وَالسَّرِيرِ
إِذْ مَا سَطَا أَوْ حَبَا وَاحْتَبَى فَمَا اللَّيْثُ مَنْ حَاتِمٌ مَا ثَبِيرِ

(١) انظر السير : (ابن الرُّومِيِّ) ١٣/٤٩٥-٤٩٦ ، وانظر النزهة : ٤/١١١١ .

(٢) انظر السير : (أبو عُمَرَ الرَّاهِدِ) ١٥/٥٠٨-٥١٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٥٦ .

(٣) انظر السير : (كافُور) ١٦/١٩٠-١٩٣ ، وانظر النزهة : ١/١٢٨٤ .

(٤) انظر السير : (صَلاَحُ الدِّينِ وَبَنُوهُ) ٢١/٢٧٨-٢٩١ ، وانظر النزهة : ١/١٦٢٢ .

١٢- نموذجان من تزكية السلف بعضهم بعضاً في وجوههم :

عن عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ لِقَتَادَةَ : مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِثْلَكَ ^(١) .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفَرِيَابِيِّ : كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ الْأَوْزَاعِيُّ وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَسُلَيْمَانُ الْخَوَّاصُ ، فَذَكَرَ الْأَوْزَاعِيُّ الزُّهَادَ ، فَقَالَ : مَا نَزِيدُ أَنْ نُزِيدَ مِثْلَ هَؤُلَاءِ ، فَقَالَ سَعِيدُ : مَا رَأَيْتُ أَرْهَدَ مِنْ سُلَيْمَانَ الْخَوَّاصِ ، وَمَا شَعَرَ أَنَّهُ فِي الْمَجْلِسِ ، فَفَتَعَ سُلَيْمَانُ رَأْسَهُ ، وَقَامَ ، فَأَقْبَلَ الْأَوْزَاعِيَّ عَلَى سَعِيدٍ ، وَقَالَ : وَيْحَكَ لَا تَعْقِلُ مَا يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِكَ ! تُوذِي جَلِيسَنَا تَرْكِيهِ فِي وَجْهِهِ ^(٢) .

١٣- رُوِيَ فِيهَا تَرْكِيَةٌ لَعَدَدٍ مِنَ الْفَضَلَاءِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ مَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ : وَحِكَايَةُ أَبِي بَكْرٍ الْبَاغِنْدِيِّ الْحَافِظِ مَشْهُورَةٌ ، سَمِعْنَاهَا فِي مُعْجَمِ الْغَسَّانِيِّ ، أَنَّهُ كَانَ يَتَخَبُّ عَلَى شَيْخٍ ، فَكَانَ يَقُولُ لَهُ : كَمْ تُضَجِّرُنِي ؟ أَنْتَ أَكْثَرُ حَدِيثًا مِنِّي وَأَحْفَظُ ، فَقَالَ : إِنِّي قَدْ جِئْتُ إِلَى الْحَدِيثِ ، بِحَسْبِكَ أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَلَمْ أَسْأَلْهُ الدُّعَاءَ ، وَإِنَّمَا قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّمَا أَثَبْتُ فِي الْحَدِيثِ مَنْصُورٌ أَوْ الْأَعْمَشُ فَقَالَ : مَنْصُورٌ ^(٣) .

وعن محمد بن فضال ، قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ : زُورُوا ابْنَ عَوْنٍ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ وَرَسُولَهُ ^(٤) .

وقال الحكم بن موسى : حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ : مَا كُنْتُ أَحْرِصُ عَلَى السَّمَاعِ مِنَ الْأَوْزَاعِيِّ حَتَّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ وَالْأَوْزَاعِيَّ إِلَى جَنْبِهِ

(١) انظر السير : (قَتَادَةَ) ٢٦٩/٥ - ٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٩/٦٠٢ .

(٢) انظر السير : (سُلَيْمَانُ الْخَوَّاصُ) ١٧٨/٨ - ١٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/٧٤٢ .

(٣) انظر السير : (منصور بن المعتمر) ٤٠٢/٥ - ٤١٢ ، وانظر النزهة : ١/٦١٨ .

(٤) انظر السير : (عبد الله بن عون) ٣٦٤/٦ - ٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٢/٦٥٨ .

فُقلتُ : يا رَسُولَ اللهِ! عَمَّنْ أُحْمِلُ الْعِلْمَ ؟ قَالَ : عن هَذَا وَأشارَ إلى الأَوْزاعيِّ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعقَّباً : كان الأَوْزاعيُّ كَبيرَ الشَّانِ (١) .

وقال مُحَمَّدُ بنُ رُمح : رَأيتُ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، فُقلتُ : يا رَسُولَ اللهِ ،
إنَّ مالِكََ والليثَ يَخْتَلِفانِ ، فبأيِّهما أَخُذُ ؟ قَالَ : مالِكَُ ، مالِكَُ (٢) .

وقال أبو العَبَّاسِ السَّرَّاجُ : سَمِعْتُ الحُسَيْنَ بنَ عبدش وكان ثَقَّةً ، سَمِعْتُ
مُحمَّدَ بنَ أسلم يَقُولُ : رَأيتُ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم في المَنامِ ، فُقلتُ : عَمَّنْ
أُكْتُبُ ؟ فقال : عن يَحْيَى بنِ يَحْيَى .

قال خُشْنامُ بنُ سَعيد : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ : كانَ يَحْيَى بنُ يَحْيَى عِندي
إماماً ، ولو كانت عِندي نَفَقَةٌ ، لَرَحَلْتُ إليه (٣) .

قال الإمامُ الذهبيُّ في تَرْجَمَةِ الإمامِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ : وَذَكَرَ شَيْخُ الإِسْلامِ بِإِسنادِ
طَوِيلٍ عن مُحَمَّدِ بنِ يَحْيَى الرَّملي قاضي دِمَشقُ قَالَ : دَخَلْتُ العِراقَ والحِجازَ ،
وَكَتَبْتُ ، فَمِنَ كَثْرَةِ الاختِلافِ لَمْ أَدْرِ بِأَيِّها أَخُذُ ، فُقلتُ : اللَّهُمَّ اهْدِنِي ، فَنِمْتُ ،
فَرَأيتُ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم وقد أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إلى الكَعْبَةِ ، وعن يَمينِهِ الشَّافِعِيُّ ،
وأَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ ، وهو يَتَبَسَّمُ إِلَيْهِما فُقلتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، بِمِ أَخُذُ ؟ فأوَمَأَ إلى
الشَّافِعِيِّ وأَحْمَدَ وقال : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ (٤) ، (٥) .

وعن مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بنِ الهَيْثَمِ الفَسَوِيِّ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ حَمْدُونُ البَرْدَعِيُّ عَلَيَّ
أَبِي زُرْعَةَ ، لِكِتابَةِ الحَدِيثِ ، دَخَلَ ، فَرَأى في دارِهِ أوانيَ وفُرُشاً كَثيرةً ، وكانَ ذلكَ
لأَخيهِ ، قَالَ : فَهَمَّ أَنْ يَرِجِعَ ولا يَكْتُبُ ، فَلَمَّا كانَ مِنَ اللَّيْلِ ، رَأى كَأَنَّهُ عَلَيَّ شَطْطُ
بِرْكَةٍ ، وَرَأى ظِلَّ شَخْصٍ في المَاءِ ، فقالَ : أنتَ الذي زَهَدتَ في أَبِي زُرْعَةَ ؟ أما

(١) انظر السير : (الأَوْزاعيُّ) ٧/١٠٧-١٣٤ ، وانظر النزهة : ١/٦٨٣ .

(٢) انظر السير : (مالك الإمام) ٨/٤٨-١٣٥ ، وانظر النزهة : ٦/٧٢٩ .

(٣) انظر السير : (يَحْيَى بنِ يَحْيَى) ١٠/٥١٢-٥١٩ ، وانظر النزهة : ٢/٨٨٩ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٨٩ .

(٥) انظر السير : (أَحْمَدُ بنِ حَنْبَلٍ) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٤/٩٥١ .

عَلِمْتَ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ كَانَ مِنَ الْأَبْدَالِ ، فَلَمَّا مَاتَ أَبَدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ أَبَا زُرْعَةَ^(١) .

ورُوِيَ عن مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ الْمَرْوزِيِّ أَنَّهُ قَالَ : لَمْ يَكُنْ لِي حُسْنُ رَأْيٍ فِي الشَّافِعِيِّ ، فَبَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَغْفَيْتُ ، فَرَأَيْتُ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَكْتُبُ رَأْيَ الشَّافِعِيِّ ؟ فَطَاطَأَ رَأْسَهُ شِبْهَ الْغَضْبَانِ وَقَالَ : تَقُولُ رَأْيِي ؟ لَيْسَ هُوَ بِالرَّأْيِ ، هُوَ رَدُّ عَلَيَّ مِنْ خَالَفَ سُنَّتِي فَخَرَجْتُ فِي آثَرِ هَذِهِ الرُّؤْيَا إِلَى مِصْرَ ، فَكُتِبَتْ كُتُبُ الشَّافِعِيِّ^(٢) .

وقِيلَ لِلصَّاحِبِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ عَبَّادٍ : أَنْتَ رَجُلٌ مُعْتَزَلِيٌّ وَابْنُ الْمُقْرِيِّ مُحَدِّثٌ ، وَأَنْتَ تُحِبُّهُ ! قَالَ : لِأَنَّهُ كَانَ صَدِيقَ وَالِدِي ، وَقَدْ قِيلَ : مَوَدَّةُ الْأَبَاءِ قَرَابَةُ الْأَبْنَاءِ ، وَلَأَنِّي كُنْتُ نَائِمًا فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ يَقُولُ لِي : أَنْتَ نَائِمٌ وَوَلِيِّي مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَلَيَّ بِأَبِكِ ؟ ! فَانْتَبَهْتُ وَدَعَوْتُ وَقُلْتُ : مَنْ بِالْبَابِ ؟ فَقَالَ : أَبُو بَكْرُ بْنُ الْمُقْرِيِّ^(٣) .

وقَالَ أَبُو نَصْرِ عَلِيُّ بْنُ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ مَأْكُولَا ، قَالَ : رَأَيْتُ كَأَنِّي أَسْأَلُ عَنْ حَالِ الدَّارِقُطْنِيِّ فِي الْآخِرَةِ ، فَقِيلَ لِي : ذَاكَ يُدْعَى فِي الْجَنَّةِ : الْإِمَامُ^(٤) .

وقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيُّ : سَمِعْتُ أُخِي الْحُسَيْنَ يَقُولُ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ اخْتَلَفَتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ ، فَقَالَ : عَلَيْكَ بَابِنِ بَطَّةٍ فَأَصْبَحْتُ وَلَبِسْتُ ثِيَابِي ، ثُمَّ أَصْعَدْتُ إِلَى عُكْبَرَا ، فَدَخَلْتُ وَابْنُ بَطَّةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَلَمَّا رَأَنِي قَالَ لِي : صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وكان مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ .

(١) انظر السير : (أبو زُرْعَةَ الرَّازِي) ١٣/٦٥-٨٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٥٣ .

(٢) انظر السير : (محمد بن نصر) ١٤/٣٣-٤٠ ، وانظر النزهة : ٤/١١٢٦ .

(٣) انظر السير : (ابنُ الْمُقْرِيِّ) ١٦/٣٩٨-٤٠٢ ، وانظر النزهة : ١/١٣٠١ .

(٤) انظر السير : (الدَّارِقُطْنِيُّ) ١٦/٤٤٩-٤٦١ ، وانظر النزهة : ١/١٣٠٥ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : لَابِنِ بَطَّةَ مَعَ فَضْلِهِ أَوْهَامٌ وَغَلَطٌ^(١) .

وقال السَّمْعَانِيُّ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّضَا الْعَلَوِيِّ يَقُولُ : سَمِعْتُ خَالِي أَبَا طَالِبِ بْنِ طَبَاطِبَا يَقُولُ : كُنْتُ أَشْتُمُّ أِبْدَأَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَنَدَةَ ، فَسَافَرْتُ إِلَى جَرْبَاذْقَانَ^(٢) ، فَرَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ فِي النَّوْمِ وَيَدُهُ فِي يَدِ رَجُلٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ زَرْقَاءُ ، وَفِي عَيْنَيْهِ نَكْتَةٌ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يُرِدَّ عَلَيَّ ، وَقَالَ : تَشْتُمُّ هَذَا ؟ ! فَقِيلَ لِي فِي الْمَنَامِ : هَذَا عُمَرُ وَهَذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَنَدَةَ فَانْتَبَهْتُ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَقَصَدْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ ، صَادَفْتُهُ كَمَا رَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ قَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَبَا طَالِبٍ وَقَبْلَهَا مَا رَأَيْتُ ، وَلَا رَأَيْتُهُ ، فَقَالَ لِي قَبْلَ أَنْ أَكَلِّمَهُ : شَيْءٌ حَرَمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نُحِلَّهُ ؟ فَقُلْتُ : اجْعَلْنِي فِي حِلٍّ ، وَنَاشِدْتُهُ اللَّهُ وَقَبَّلْتُ عَيْنَيْهِ ، فَقَالَ : جَعَلْتُكَ فِي حِلٍّ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَيَّ .

وعن صاعد بن سيار ، سَمِعْتُ الْإِمَامَ أَبَا إِسْمَاعِيلَ الْأَنْصَارِيَّ يَقُولُ فِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَنَدَةَ : كَانَتْ مَضْرَبَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَنَفَعَتِهِ فِي الْإِسْلَامِ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : أَطْلَقَ عِبَارَاتٍ بَدَّعَهُ بَعْضُهُمْ بِهَا ، اللَّهُ يُسَامِعُهُ ، وَكَانَ زَاعِراً عَلَى مَنْ خَالَفَهُ ، فِيهِ خَارِجِيَّةٌ ، وَهُوَ فِي تَوَالِفِهِ حَاطِبٌ لَيْلٍ ، يَزُورِي الْغَتَّ وَالسَّمِينَ ، وَيَنْظِمُ رَدِيءَ الْخَرَزِيِّ مَعَ الدُّرِّ الثَّمِينِ .
مَاتَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ ، وَشَيَعَهُ عَالَمٌ لَا يُحْصَوْنَ^(٣) .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة ابن ناصر : أنبؤونا عن ابن النجار قال : قرأت بخط ابن ناصر السلامي وأخبرني عنه سماعاً يحيى بن الحسين قال : بقيت سنين لا أدخل مسجد أبي منصور الحياطي ، واشتغلت بالأدب على الثبريزي ، فجيئت يوماً لأقرأ الحديث على الحياطي ، فقال : يا بُنيَّ ، تركت قراءة القرآن ، واشتغلت بغيره !؟ عد ،

(١) انظر السير : (ابن بطّة) ١٦ / ٥٢٩ - ٥٣٣ ، وانظر النزعة : ٣ / ١٣١٤ .

(٢) بلدة قريبة من همدان .

(٣) انظر السير : (ابن مندّه) ١٨ / ٣٤٩ - ٣٥٤ ، وانظر النزعة : ١ / ١٤٢٠ .

واقراً عليّ ليَكُونَ لَكَ إِسْنَادٌ ، فَصَعِدْتُ إِلَيْهِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتَسْعِينَ ، وَكُنْتُ أَقُولُ كَثِيرًا : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لِي أَيُّ الْمَذَاهِبِ خَيْرٌ ، وَكُنْتُ مِرَارًا قَدْ مَضَيْتُ إِلَى الْقَبْرِ وَأَنَا الْمُتَكَلِّمُ فِي كِتَابِ « التَّمْهِيدِ » لِلْبَاقِلَانِيِّ وَكَأَنَّ مَنْ يَرِدُنِي عَنْ ذَلِكَ قَالَ : فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي قَدْ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي مَنْصُورٍ ، وَبَجَنِبِهِ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ وَرِدَاءٌ عَلَى عِمَامَتِهِ يُشْبِهُ الثِّيَابَ الرَّيْفِيَّةَ ، دُرِيُّ اللَّوْنِ ، عَلَيْهِ نُورٌ وَبِهَاءٌ ، فَسَلَّمْتُ وَجَلَسْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي لِلرَّجُلِ هَيْبَةٌ وَأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا جَلَسْتُ انْتَفَتَ إِلَيَّ ، فَقَالَ لِي : عَلَيْكَ بِمَذْهَبِ هَذَا الشَّيْخِ ، عَلَيْكَ بِمَذْهَبِ هَذَا الشَّيْخِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَانْتَبَهْتُ مَرْعُوبًا ، وَجِسْمِي يَرْجُفُ ، فَقَصَصْتُ ذَلِكَ عَلَى وَالِدَتِي ، وَبَكَرْتُ إِلَى الشَّيْخِ لِأَقْرَأَ عَلَيْهِ ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا ، فَقَالَ : يَا وَلَدِي ، مَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ إِلَّا حَسَنٌ ، وَلَا أَقُولُ لَكَ : اتْرُكْهُ ، وَلَكِنْ لَا تَعْتَقِدْ اعْتِقَادَ الْأَشْعَرِيِّ فَقُلْتُ : مَا أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ نِصْفَيْنِ ، وَأَنَا أُشْهِدُكَ ، وَأُشْهِدُ الْجَمَاعَةَ أَنَّي مِنْذُ الْيَوْمِ عَلَى مَذْهَبِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ فَقَالَ لِي : وَفَقَّكَ اللَّهُ ثُمَّ أَخَذْتُ فِي سَمَاعِ كُتُبِ أَحْمَدَ وَمَسَائِلِهِ وَالتَّفَقُّهُ عَلَى مَذْهَبِهِ .

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ وَغَيْرُهُ : تُوُفِّيَ ابْنُ نَاصِرٍ سَنَةَ خَمْسِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ (١) .

ثُمَّ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : حَدَّثَنِي الْفَقِيهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْحُصْرِيِّ ، قَالَ : رَأَيْتُ ابْنَ نَاصِرٍ فِي النَّوْمِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟ قَالَ : غَفَرَ لِي ، وَقَالَ لِي : قَدْ غَفَرْتُ لِعَشْرَةِ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ فِي زَمَانِكَ لِأَنَّكَ رَأَيْتَهُمْ وَسَيِّدُهُمْ (٢) .

(١) انظر السير : (ابن ناصر) ٢٠/٢٦٥-٢٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٥٥١ .

(٢) انظر السير : (ابن ناصر) ٢٠/٢٦٥-٢٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٥١ .

الأخلاق السيئة

١- وَصَفُ الْإِنْسَانِ ذِي الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ :

عن أبي حازم المَخْزُومِيِّ الزَّاهِدِ ، قَالَ : السَّيِّءُ الْخُلُقِ أَشَقَى النَّاسِ بِهِ نَفْسُهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ ، هِيَ مِنْهُ فِي بَلَاءٍ ، ثُمَّ زَوَّجَتْهُ ، ثُمَّ وَلَدَتْهُ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَدْخُلُ بَيْتَهُ ، وَإِنَّهُمْ لَفِي سُرُورٍ ، فَيَسْمَعُونَ صَوْتَهُ فَيَنْفِرُونَ عَنْهُ ، فَرَقًا مِنْهُ ، وَحَتَّى إِنَّ دَابَّتَهُ تَحِيدُ مِمَّا يَرْمِيهَا بِالْحِجَارَةِ ، وَإِنَّ كَلْبَهُ لَيَرَاهُ فَيَنْزُو عَلَى الْجِدَارِ ، حَتَّى إِنَّ قَطْعَهُ لَيَفِرُّ مِنْهُ ^(١) .

٢- جُمْلَةٌ مِنَ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ :

عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُيَيْدٍ قَالَ : ثَلَاثٌ مِنَ الْفَوَاقِرِ ، إِمَامٌ إِنْ أَحْسَنَتْ لَمْ يَشْكُرْ ، وَإِنْ أَسَأَتْ لَمْ يَغْفِرْ ، وَجَارٌ إِنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَهَا ، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَفْشَاهَا ، وَزَوْجَةٌ إِنْ حَضَرَتْ أَذْتُكَ ، وَإِنْ غَبَتْ خَانَتْكَ فِي نَفْسِهَا وَفِي مَالِكَ ^(٢) .

٣- الِاسْتِخْفَافُ وَعَاقِبَتُهُ :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ : مَنْ اسْتَخَفَّ بِالْعُلَمَاءِ ، ذَهَبَتْ آخِرَتُهُ ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْأَمْرَاءِ ، ذَهَبَتْ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْإِخْوَانِ ذَهَبَتْ مَرْوَتُهُ ^(٣) .

٤- الْبُخْلُ :

قَالَ أَبُو طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ السَّمِيعِ كَانَ مِنْ أَلْفَاظِ الْمُسْتَظْهِرِ بِاللَّهِ الْعَبَّاسِيِّ : شُحُّ الْمَرْءِ يَفْلِسِيهِ مِنْ دَنَاءَةِ نَفْسِهِ ^(٤) .

(١) انظر السير : (أبو حازم) ٩٦/٦-١٠٣ ، وانظر النزهة : ٤/٦٣٧ .

(٢) انظر السير : (فضالة بن عبيد) ١١٣/٣-١١٧ ، وانظر النزهة : ٣/٣٤٧ .

(٣) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٣٧٨/٨-٤٢١ ، وانظر النزهة : ٩/٧٦٩ .

(٤) انظر السير : (المستظهر بالله) ٣٩٦/١٩-٤١٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٨٩ .

٥- الثَّلب والعَيْب :

قال السَّمْعانيُّ : سمعتُ عليَّ بنَ طرادٍ يَقولُ : ضاعَ حِمَارٌ لِسَوادِيَّ بِبابِ الأَزجِ ، فَتَطَلَّبَهُ ، فقالَ له عَزِيزِيٌّ : خُذِ المِقوَدَ ، وشُدَّهُ في رَقَبَةِ مَنْ أَرَدْتَ من أَهْلِ المَحِلَّةِ ، فَإِنَّهُم مِثْلُ ما تَطَلَّبُهُ .

قالَ ابنُ سَكْرَةَ : كانَ شَيْدَلَةُ شَيْخُ الوُعَاطِ وكانَ مُتَزَهِّداً مُتَقَلِّلاً لَمْ يَكُنْ يَدْرِي ما الحَدِيثُ ، وكانَ شافِعياً .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ : ماتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتَسْعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ (١) .

وفي « المُنتَظِمِ » (١٢٦/٩) : وقالَ يوماً بِحَضْرَةِ نَقِيبِ النُّبَلاءِ طَرادٍ : لَوْ حَلَفَ إنسانٌ أَنَّهُ لا يَرى إنساناً ، فرأى أَهْلَ بابِ الأَزجِ لَمْ يَحْنُثْ ، فقالَ النُّقِيبُ : أَيُّها الثَّالِبُ ، مَنْ عاشَرَ قَوْماً أَرْبَعِينَ يَوْماً كانَ مِنْهُم (٢) .

وفي طبقاتِ السُّبُكيِّ (٧٣٢/٥) نقلاً عن شَهِدَةِ بنتِ أَحْمَدِ بنِ الفَرَجِ الإِبريِّ قالتَ : سمعتُ القاضيَ الإمامَ عَزِيزِيَّ بنَ عبدِ المَلِكِ من لَفْظِهِ سَنَةَ تَسْعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ يَقولُ : اللَّهُمَّ يا واسِعَ المَغْفِرَةِ ، ويا باسِطَ اليَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ افْعَلْ بي ما أَنْتَ أَهْلُهُ ، إِلَهِي أَذْنِبْتُ في بَعْضِ الأَوْقاتِ ، وَأَمَنْتُ بِكَ في كُلِّ الأَوْقاتِ ، فَكَيْفَ يَغْلِبُ بَعْضُ عُمْرِي مُذْنِباً جَمِيعَ عُمْرِي مُؤمِناً إِلَهِي لو سَأَلْتَنِي حَسَنَاتِي لَجَعَلْتَنِي لَكَ مَعَ شِدَّةِ حاجَتِي إِلَيْها وَأنا عَبْدٌ ، فَكَيْفَ لا أَرْجُو أَنْ تَهَبَ لي سَيِّئَاتِي مَعَ غِنَاكَ عَنها وَأَنْتَ رَبٌّ ، فِيا مَنْ أَعْطاني خَيْرَ ما في خَزائِنِهِ ، وَهُوَ الإِيمانُ بِهِ قَبْلَ السُّؤالِ لا تَمْنَعُنَا أَوْسَعَ ما في خَزائِنِكَ وَهُوَ العَفْوَ مَعَ السُّؤالِ ، إِلَهِي حُجَّتِي حاجَتِي ، وَعُدَّتِي فاقَتِي فارْحَمْنِي إِلَهِي كِيفَ أَمْتَنِعُ بِالدُّنْبِ مِنَ الدُّعاءِ ولا أراكَ تَمْنَعُ مَعَ الدُّنْبِ مِنَ العَطَاءِ ، فَإِنْ غَفَرْتَ فَخَيْرٌ راحِمٍ أَنْتَ وَإِنْ عَذَّبْتَ فَغَيْرُ ظالِمٍ أَنْتَ إِلَهِي أَسأَلُكَ تَذلُّلاً فَأَعْطِنِي تَفَضُّلاً (٣) .

(١) انظر السير : (شَيْدَلَةُ) ١٧٤/١٩ - ١٧٥ ، وانظر النزعة : ٢/١٤٧٢ .

(٢) انظر السير : (شَيْدَلَةُ) ١٧٤/١٩ - ١٧٥ ، وانظر النزعة : ١٤٧٢/هامش (٢) .

(٣) انظر السير : (شَيْدَلَةُ) ١٧٤/١٩ - ١٧٥ ، وانظر النزعة : ١٤٧٢/هامش (٣) .

٦- الحُمق :

عن وَهَبِ بْنِ مُنْبَهٍ ، قَالَ : الْأَحْمَقُ إِذَا تَكَلَّمَ فَضَحَهُ حُمَقُهُ ، وَإِذَا سَكَتَ فَضَحَهُ عَيْتُهُ ، وَإِذَا عَمَلَ أَفْسَدَ ، وَإِذَا تَرَكَ أَضَاعَ ، وَلَا عِلْمُهُ يُعِينُهُ ، وَلَا عِلْمٌ غَيْرُهُ يَنْفَعُهُ ، تَوَدُّ أُمُّهُ أَنَّهَا تُكَلِّمُهُ ، وَأَمْرَاتُهُ لَوْ عَدِمَتْهُ ، وَيَتَمَنَّى جَارُهُ مِنْهُ الْوَحْدَةَ ، وَيَجِدُ جَلِيسَهُ مِنْهُ الْوَحْشَةَ^(١) .

٧- الشُّخْرِيَّة :

قال عبد الله بن مسعود : لَوْ سَخِرْتُ مِنْ كَلْبٍ ، لَخَشِيتُ أَنْ أَكُونَ كَلْبًا ، وَإِنِّي لِأَكْرَهُ أَنْ أَرَى الرَّجُلَ فَارِعًا لَيْسَ فِي عَمَلٍ آخِرَةٍ وَلَا دُنْيَا^(٢) .

٨- السَّعَايَةِ وَالْوَشَايَةِ :

قال الإمام الذهبي في تَرْجَمَةِ فَخْرِ الْمُلْكِ : رُفِعَتْ إِلَيْهِ سَعَايَةُ بَرَجُلٍ ، فَوَقَّعَ فِيهَا : السَّعَايَةُ قَبِيحَةٌ ، وَلَوْ كَانَتْ صَاحِبَةً وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَقْبَلَ مِنْ مَهْتُوكٍ فِي مَسْتُورٍ ، وَلَوْ لَا أَنَّكَ فِي خُفَّارَةِ شَيْبِكَ ، لَعَامَلْنَاكَ بِمَا يُشْبِهُ مَقَالَكَ ، وَيَرْدَعُ أَمْثَالَكَ ، فَانْكُتْمْ هَذَا الْعَيْبَ ، وَاتَّقِ مَنْ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَأَخَذَهَا فُقُهَاءُ الْمَكَاتِبِ ، وَعَلَّمُوهَا الصَّغَارَ^(٣) .

٩- الشَّتْمُ وَالسَّبُّ :

قال علي بن المديني ، سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عِيْنَةَ يَقُولُ : كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْمَتُوفَ يَقَعُ فِي عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ وَيَشْتُمُهُ ، فَلَقِيَهُ عُمَرُ ، فَقَالَ : يَا هَذَا لَا تُفْرِطْ فِي شَتْمِنَا ، وَأَبْقِ لِلصُّلْحِ مَوْضِعًا ، فَإِنَّا لَا نَكْفِيءُ مَنْ عَصَى اللَّهَ فِينَا بِأَكْثَرِ مِنْ أَنْ نَطِيعَ اللَّهَ فِيهِ^(٤) .

(١) انظر السير : (وَهَبِ بْنِ مُنْبَهٍ) ٤/٥٤٤-٥٥٧ ، وانظر النزهة : ٢/٥٥٥ .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن مسعود) ١/٤٦١-٥٠٠ ، وانظر النزهة : ٦/١٩٧ .

(٣) انظر السير : (فَخْرُ الْمُلْكِ) ١٧/٢٨٢-٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٤٢ .

(٤) انظر السير : (عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ) ٦/٣٨٥-٣٩٠ ، وانظر النزهة : ٢/٦٦١ .

١٠- الطَّمَعُ :

قال عبد الله بن المُعْتَزِّ بالله العباسي : رُبَّمَا أوردَ الطَّمَعُ وَلَمْ يُصِدِرْ^(١) .

وقال الزُّبَيْرُ بنُ عبدِ الواحدِ : سَمِعْتُ بُنَاناً الحَمَّالَ يَقُولُ :

الحُرُّ عَبْدٌ مَا طَمِعَ والعَبْدُ حُرٌّ مَا قَنِعَ^(٢)

١١- الطَّيِّشُ :

قال الإمام الذهبيُّ في تَرْجَمَةِ عبدِ الله بنِ المُقَفَّعِ : وكان ابنُ المُقَفَّعِ مع سِعةِ فَضْلِهِ ، وَفَرَطِ ذِكَاثِهِ فِيهِ طَيِّشٌ فكان يَقُولُ عن سُفْيَانَ المُهَلَّبِيِّ : ابنُ المُعْتَلَمَةِ فَأَمَرَ لَهُ بِتَنْوِيرِ فَسْجِرِ ثُمَّ قَطَعَ أَرْبَعَتَهُ وَرَمَاهَا فِي التَّنُّورِ وَهُوَ يَنْظُرُ وَعَاشَ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَهْلَكَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ وَقِيلَ بَعْدَ الأَرْبَعِينَ وَاسمُ أَبِيهِ ذَادُوَيْهِ ، قَدِ وَلِيَ خِراجَ فَارِسَ لِلحَجَّاجِ ، فَخَانَ ، فَعَذَّبَهُ الحَجَّاجُ : فَتَقَفَّعَتْ يَدُهُ وَقِيلَ : بَلْ كَانَ يَعْمَلُ قِفاعَ الخُوصِ وَهِيَ كَالقَفَّةِ^(٣) .

وقيلَ : إِنَّ واليَ البَصْرَةَ سُفْيَانَ بنَ مُعاوِيَةَ بنِ يَزِيدِ بنِ المُهَلَّبِ قالَ يوماً : ما نَدِمْتُ على سُكوتِ قَطُ فَقَالَ ابنُ المُقَفَّعِ : فَالْحَرَسُ زَيْنٌ لَكَ وَقَالَ لَهُ مَرَّةً : ما تَقُولُ فِي رَجُلٍ ماتَ عن زَوْجٍ وَزَوْجَتِهِ ؟ فَأَحَنَّهُ .

قال الأَصْمَعِيُّ : صَنَّفَ ابنُ المُقَفَّعِ « الدَّرَّةَ اليَتِيْمَةَ » التي ما صُنِّفَ مِثْلُها^(٤) .

١٢- ظَنُّ المُسِيءِ نَفْسَهُ مُحْسِنًا :

عن الفُضَيْلِ بنِ عِياضِ قالَ : يا مُسْكِينُ أَنْتَ مُسِيءٌ وَتَرَى أَنَّكَ مُحْسِنٌ ، وَأَنْتَ جَاهِلٌ وَتَرَى أَنَّكَ عَالِمٌ ، وَتَبْخُلُ وَتَرَى أَنَّكَ كَرِيمٌ ، وَأَحْمَقُ وَتَرَى أَنَّكَ عَاقِلٌ ، أَجْلُكَ قَصِيرٌ ، وَأَمْلُكَ طَوِيلٌ .

(١) انظر السير : (عبد الله بن المُعْتَزِّ بالله) ٤٤-٤٢/١٤ ، وانظر النزهة : ٤/١١٢٨ .

(٢) انظر السير : (بُنَانُ الحَمَّالِ) ٤٨٨-٤٩٠ ، وانظر النزهة : ٢/١١٦٩ .

(٣) انظر السير : (عبد الله بن المُقَفَّعِ) ٢٠٨-٢٠٩ ، وانظر النزهة : ٤/٦٤٢ .

(٤) انظر السير : (عبد الله بن المُقَفَّعِ) ٢٠٨-٢٠٩ ، وانظر النزهة : ١/٦٤٣ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : إِي وَاللَّهِ ، صَدَقَ ، وَأَنْتَ ظَالِمٌ وَتَرَى أَنَّكَ مَظْلُومٌ ،
وَأَكِلٌ لِلْحَرَامِ وَتَرَى أَنَّكَ مُتَوَرِّعٌ ، وَفَاسِقٌ وَتَعْتَقِدُ أَنَّكَ عَدْلٌ ، وَطَالِبُ الْعِلْمِ لِلدُّنْيَا وَتَرَى
أَنَّكَ تَطْلُبُهُ لِلَّهِ (١) .

١٣- الْمَلَل :

رَوَى مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ ، سَمِعَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ يَقُولُ : لَا أَمَلٌ تُؤْبِي مَا
وَسَعَنِي ، وَلَا أَمَلٌ زَوَّجَتِي مَا أَحْسَنْتَ عِشْرَتِي ، وَلَا أَمَلٌ دَابَّتِي مَا حَمَلْتَنِي ، إِنَّ الْمِلَالَ
مِنْ سَيِّءِ الْأَخْلَاقِ (٢) .

١٤- تَعْلِيلُ الذَّهَبِيِّ لِمَا يُمْكِنُ أَنْ يُوصَفَ بِسُوءِ الْخُلُقِ :

قَالَ عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ النَّسَابُورِيُّ : صَحِبْتُ ابْنَ عَلِيَّةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، فَمَا رَأَيْتُهُ
تَبَسَّمَ فِيهَا (٣) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : مَا فِي هَذَا مَدْحٌ ، وَلَكِنَّهُ مُؤْذِنٌ بِخَشِيَّةٍ وَحُزْنٍ (٤) .

١٥- رَدُّ الذَّهَبِيِّ عَلَى بَعْضِ السَّلَفِ أَخْلَاقاً سَيِّئَةً :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ عَلِيَّةَ : وَكَانَ فَقِيْهًا ، إِمَامًا ، مُفْتِيًّا ، مِنْ أُمَّةِ
الْحَدِيثِ ، وَكَانَ يَقُولُ : مَنْ قَالَ ابْنَ عَلِيَّةَ ، فَقَدْ اغْتَابَنِي (٥) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : هَذَا سُوءُ خُلُقٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - شَيْءٌ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ ، فَمَا
الْحِيلَةُ ؟ قَدْ دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بِأَسْمَائِهِمْ مُضَافًا إِلَى
الْأُمَّ ، الزُّبَيْرُ بْنُ صَفِيَّةَ ، وَعَمَّارُ بْنُ سُمَيْةَ (٦) .

(١) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٤/٧٧٩ .

(٢) انظر السير : (عمر بن العاص) ٣/٥٤-٧٧ ، وانظر النزهة : ٤/٣٣٣ .

(٣) انظر السير : (ابن عليّة) ٩/١٠٧-١٢٠ ، وانظر النزهة : ٤/٨٠٣ .

(٤) انظر السير : (ابن عليّة) ٩/١٠٧-١٢٠ ، وانظر النزهة : ٥/٨٠٣ .

(٥) انظر السير : (ابن عليّة) ٩/١٠٧-١٢٠ ، وانظر النزهة : ٢/٨٠٣ .

(٦) انظر السير : (ابن عليّة) ٩/١٠٧-١٢٠ ، وانظر النزهة : ٣/٨٠٣ .

وقال داودُ بنُ الحُسينِ البيهقيُّ : كُنَّا نَخْتَلِفُ إِلَى عَمْرِو بْنِ زُرَّارَةَ فَخَرَجَ عَلَيْنَا يَوْمًا
فَضَحِكَ رَجُلٌ ، فَقَالَ عَمْرٌو : هَبِ التَّحْرُجَ ، أَلَيْسَ التُّقَى ؟ هَبِ التُّقَى ، أَلَيْسَ الْحَيَاءُ ؟
ثُمَّ قَامَ وَدَخَلَ .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ مُعَقَّباً : قد يُقالُ لِلزَّعْرِ الْأَخْلَاقِ : هَبِ حُسْنَ الْخُلُقِ ذَهَبَ ،
أَلَيْسَ الْحِلْمُ ؟ وَهَبِ الْحِلْمَ ذَهَبَ ، أَلَيْسَ الْعَفْوُ؟^(١) .

* * *

(١) انظر السير : (عمرو بن زُرارة) ١١/٤٠٦-٤٠٧ ، وانظر النزهة : ٣/٩٥٤ .

آفاتٌ مُتنوّعةٌ في القلبِ واللِّسانِ

(١) الأذية

(أ) مَنْ قَتَلَهُ اللهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْذِيَ النَّاسَ :

قال الإمامُ الذهبيُّ في تَرْجَمَةِ العَزيزِ ، عَثمانِ بنِ السُّلطانِ صَلاحِ الدِّينِ يُوُسُفِ بنِ أيُّوبَ : نَقَلْتُ مِنْ حَظِّ الضُّيَاءِ الحَافِظِ ، قالَ : خَرَجَ إِلى الصَّيْدِ ، فِجاءَته كُتِبَ مِنْ دِمَشقَ في أذِيَّةِ أَصْحابِنا الحَنابِلَةَ - يَعْنِي في فِئْتَةِ الحَافِظِ عَبدِ العَنيِّ - فَقالَ : إِذا رَجَعنا مِنْ هَذِهِ السَّفَرَةِ ، كُلُّ مَنْ كانَ يَقولُ بِمَقالَتِهِمْ أَخْرَجناه مِنْ بِلَدِنا ، قالَ : فرَماهُ فَرَسٌ ، ووَقَعَ عَلَيْهِ ، فَخَسَفَ صَدْرَهُ ، كذا حَدَّثني يُوُسُفُ بنُ الطُّفَيْلِ ، وَهُوَ الَّذِي غَسَلَهُ .

وقال المُنذِرِيُّ : عاشَ ثَمانِياً وَعِشرينَ سَنَةً ماتَ سَنَةَ خَمسِ وَتَسعِينَ وَخَمسِ

مئَةٍ (١) .

(ب) قَوْلٌ يَحُثُّ عَلى البُعْدِ عَنِ الأذِيَّةِ :

قالَ فيضُ بنُ إِسحاقَ : قالَ الفُضَيْلُ بنُ عِياضَ : وَاللهِ ما يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُؤْذِيَ كَلِباً وَلا حَنْزِيراً بِغَيرِ حَقٍّ ، فَكَيْفَ تُؤْذِي مُسْلِماً (٢) .

* * *

(١) انظر السير : (العزیز) ٢١ / ٢٩١ - ٢٩٤ ، وانظر النزہة : ٢ / ١٦٢٤ .

(٢) انظر السير : (الفضیل بن عیاض) ٨ / ٤٢١ - ٤٤٢ ، وانظر النزہة : ٥ / ٧٧٤ .

(٢) الجِدَالُ والمِرَاءُ

(أ) شِعْرٌ فِي الْحَثِّ عَلَى الْبُعْدِ عَنِ الْمِرَاءِ :

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ : سَمِعْتُ مِسْعَرًا يُوصِي وَلَدَهُ كِدَامًا^(١) :

إِنِّي مَنَحْتُكَ يَا كِدَامُ نَصِيحَتِي فَاَسْمَعْ مَقَالَ أَبِي عَلَيْكَ شَفِيقِي
أَمَّا الْمُزَاحَةُ وَالْمِرَاءُ فَدَعُهُمَا خُلُقَانٍ لَا أَرْضَاهُمَا لِصَدِيقِي
إِنِّي بَلَوْتُهُمَا فَلَمْ أَحْمَدُهُمَا لِمَجَاوِرٍ جَارًا وَلَا لِرَفِيقِي
وَالْجَهْلُ يُزْرِي بِالْفَتَى فِي قَوْمِهِ وَعُرُوقُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ عُرُوقِي

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : وَهَذَا الْبَيْتَانِ أَظْنُهُمَا لِابْنِ الْمُبَارَكِ :

مَنْ كَانَ مُلْتَمِسًا جَلِيسًا صَالِحًا فَلَيَأْتِ حَلَقَةَ مِسْعَرِ بْنِ كِدَامِ
فِيهَا السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ وَأَهْلُهَا أَهْلُ الْعَفَافِ وَعَلِيَّةُ الْأَقْوَامِ

(ب) أَقْوَالٌ بَلِيغَةٌ تَحْتُ عَلَى الْبُعْدِ عَنِ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ :

عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ لَجُوجًا ، مُمَارِيًا ، مُعْجَبًا بِرَأْيِهِ ، فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ .

قِيلَ : تُوفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ أَوْ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ^(٢) .

وَعَنْ وَهَبِ بْنِ مُنْبَهٍ قَالَ : دَعِ الْمِرَاءَ وَالْجِدَالَ ، فَإِنَّهُ لَنْ يُعْجِزَ أَحَدَ رَجُلَيْنِ : رَجُلٌ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ ، فَكَيْفَ تُعَادِي وَتُجَادِلُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ ؟ وَرَجُلٌ أَنْتَ أَعْلَمُ مِنْهُ ، فَكَيْفَ تُعَادِي وَتُجَادِلُ مَنْ أَنْتَ أَعْلَمُ مِنْهُ وَلَا يُطِيعُكَ ؟^(٣) .

(١) انظر السير : (مسعر) ١٦٣-١٧٣ ، وانظر النزهة : ٤/٦٩٠ .

(٢) انظر السير : (خالد ابن الخليفة يزيد) ٣٨٢-٣٨٣/٤ ، وانظر النزهة : ٦/٥١٥ .

(٣) انظر السير : (وهب بن منبه) ٥٤٤-٥٥٧/٤ ، وانظر النزهة : ٢/٤٥٤ .

وَرَوَى الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ عَبْدِ بْنِ أَبِي لُبَابَةَ قَالَ : إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ لَجُوجًا مُمَارِيًا مُعْجَبًا بِرَأْيِهِ ، فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ (١) .

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ : قَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا بُيَّيْ إِيَّاكَ وَالْمِرَاءَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ مَنَفَعَةٌ ، وَهُوَ يُورِثُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ (٢) .

وَعَنْ مَنصُورِ بْنِ أَبِي مُزَاحِمٍ ، حَدَّثَنَا عَنبَسَةُ الْخَثْعَمِيُّ ، وَكَانَ مِنَ الْأَخْيَارِ ، سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : إِيَّاكُمْ وَالْخُصُومَةَ فِي الدِّينِ ، فَإِنَّهَا تَشْغُلُ الْقَلْبَ ، وَتُورِثُ النِّفَاقَ (٣) .

وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ مَزَيْدٍ : سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ يَقُولُ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ شَرًّا فَتَحَ عَلَيْهِمُ الْجِدَالَ وَمَنَعَهُمُ الْعَمَلَ (٤) .

وَعَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ قَالَ : الْجِدَالُ فِي الدِّينِ يُنْشِئُ الْمِرَاءَ ، وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْعِلْمِ مِنَ الْقَلْبِ وَيُقَسِّي ، وَيُورِثُ الضَّغْنَ (٥) .

وَعَنْ مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ قَالَ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ شَرِّ ، أَغْلَقَ عَنْهُ بَابَ الْعَمَلِ ، وَفَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ الْجِدَالِ (٦) .

وَقَالَ الرَّبِيعُ : سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ : الْمِرَاءُ فِي الدِّينِ يُقَسِّي الْقَلْبَ ، وَيُورِثُ الضَّغَائِنَ (٧) .

(ج) الصَّالِحُونَ بَعِيدُونَ عَنِ الْمِرَاءِ :

عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ أَنَّهُ قَالَ : مَا مَارَيْتُ أَحَدًا قَطُّ (٨) .

- (١) انظر السير : (عبد بن أبي لُبَابَةَ) ٢٢٩/٥ - ٢٣٠ ، وانظر النزهة : ٦/٥٩٧ .
- (٢) انظر السير : (يحيى بن أبي كثير) ٣٢٧/٦ - ٣٣١ ، وانظر النزهة : ٤/٦٢٧ .
- (٣) انظر السير : (جعفر بن محمد) ٢٥٥/٦ - ٢٧٠ ، وانظر النزهة : ٤/٦٤٨ .
- (٤) انظر السير : (الأوزاعي) ١٠٧/٧ - ١٣٤ ، وانظر النزهة : ٨/٦٨٣ .
- (٥) انظر السير : (مالك الإمام) ٤٨/٨ - ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٥/٧٣٥ .
- (٦) انظر السير : (معروف الكرخي) ٣٣٩/٩ - ٣٤٥ ، وانظر النزهة : ٤/٨٢٦ .
- (٧) انظر السير : (الإمام الشافعي) ١٠/٥ - ٩٩ ، وانظر النزهة : ٦/٨٤٦ .
- (٨) انظر السير : (أبو الجوزاء) ٣٧٢/٤ - ٣٧٨ ، وانظر النزهة : ٤/٥١٢ .

٣- الجَهْل

(أ) مِنْ صِفَاتِ الْجَاهِلِ :

عن مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ قَالَ : يُعْرَفُ الْجَاهِلُ بِالْغَضَبِ فِي غَيْرِ شَيْءٍ ، وَإِفْشَاءِ السِّرِّ ،
وَالثِّقَةِ بِكُلِّ أَحَدٍ ، وَالْعِظَةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا .

مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ ، وَعَاشَ ثَمَانِيًا وَثَمَانِينَ سَنَةً^(١) .

(ب) جَهْلُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ :

قَالَ حَجَّاجُ بْنُ أَبِي زَيْنَبٍ ، سَمِعْتُ أَبَا عُمَانَ النَّهْدِيَّ يَقُولُ : كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ نَعْبُدُ
حَجْرًا ، فَسَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي : يَا أَهْلَ الرَّحَالِ ، إِنَّ رَبِّكُمْ قَدْ هَلَكَ ، فَالْتَمِسُوا رَبًّا ،
فَخَرَجْنَا عَلَى كُلِّ صَعْبٍ وَذَلُولٍ ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي : إِنَّا قَدْ وَجَدْنَا
رَبِّكُمْ أَوْ شَبَّهَهُ ، فَجِئْنَا فَإِذَا حَجْرٌ فَنَحَرْنَا عَلَيْهِ الْجُزْرَ^(٢) .

وعن أَبِي عُمَانَ النَّهْدِيَّ قَالَ : رَأَيْتُ يَغُوثَ صَنَمًا مِنْ رِصَاصٍ يُحْمَلُ عَلَى جَمَلٍ
أَجْرَدٍ ، فَإِذَا بَلَغَ وَادِيًا ، بَرَكَ فِيهِ ، وَقَالُوا : قَدْ رَضِيَ لَكُمْ رَبِّكُمْ هَذَا الْوَادِي .

وقال أبو حبيب المَرُوزِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا عُمَانَ النَّهْدِيَّ يَقُولُ : حَجَجْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
حَجَّتَيْنِ^(٣) .

وجاء في تَرْجَمَةِ أَبِي رَجَاءِ الْعُطَارِدِيِّ ، قَالَ أَبُو الْحَارِثِ الْكَرْمَانِيُّ ، وَكَانَ ثِقَةً ،
قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا رَجَاءٍ يَقُولُ : أَدْرَكْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَا شَابٌّ أَمْرَدٌ ،
وَلَمْ أَرْ نَاسًا كَانُوا أَضَلَّ مِنَ الْعَرَبِ ، كَانُوا يَجِيئُونَ بِالشَّاةِ الْبَيْضَاءِ فَيَعْبُدُونَهَا ، فَيَخْتَلِسُهَا
الدُّنْبُ ، فَيَأْخُذُونَ أُخْرَى مَكَانَهَا يَعْبُدُونَهَا ، وَإِذَا رَأَوْا صَخْرَةً حَسَنَةً ، جَاؤُوا بِهَا ،

(١) انظر السير : (محمد بن منصور) ١٢/٢١٢-٢١٤ ، وانظر النزعة : ٦/٩٩٤ .

(٢) انظر السير : (أبو عثمان النهدي) ٤/١٧٥-١٧٨ ، وانظر النزعة : ٢/٤٧١ .

(٣) انظر السير : (أبو عثمان النهدي) ٤/١٧٥-١٧٨ ، وانظر النزعة : ٣/٤٧١ .

وَصَلُّوا إِلَيْهَا ، فَإِذَا رَأَوْا أَحْسَنَ مِنْهَا رَمَوْهَا ، فَبُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَأَنَا أُرْعَى الْإِبِلَ عَلَى أَهْلِي ، فَلَمَّا سَمِعْنَا بِخُرُوجِهِ لَحِقْنَا بِمُسَيْلِمَةَ^(١) .

وعن وَهْبِ بْنِ جَرِيرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، سَمِعْتُ أَبَا رَجَاءَ يَقُولُ : بَلَّغْنَا أَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ عَلَى مَاءٍ لَنَا يُقَالُ لَهُ سِنْدٌ فَانْطَلَقْنَا نَحْوَ الشَّجَرَةِ هَارِبِينَ بَعِيالِنَا ، فَبَيْنَا أَنَا
أَسُوقُ الْقَوْمِ ، إِذْ وَجَدْتُ كُرَاعَ ظَبْيٍ ، فَأَخَذْتُهُ فَأَتَيْتُ الْمَرَأَةَ فَقُلْتُ : هَلْ عِنْدَكَ شَعِيرٌ ؟
فَقَالَتْ : قَدْ كَانَ فِي وَعَاءٍ لَنَا عَامَ أَوَّلِ شَيْءٍ مِنْ شَعِيرٍ ، فَمَا أَذْرِي بِقِيٍّ مِنْهُ شَيْءٌ أَمْ
لَا فَأَخَذْتُهُ فَنَفَضْتُهُ فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهُ مِلءَ كَفِّ مِنْ شَعِيرٍ ، وَرَضَخْتُهُ بَيْنَ حَجْرَيْنِ ، وَالْقَيْتُهُ
وَالْكُرَاعَ فِي بُرْمَةٍ لَنَا ، ثُمَّ قُمْتُ إِلَى بَعِيرٍ ، فَفَصَدْتُه إِنَاءً مِنْ دَمٍ ، وَأَوْقَدْتُ تَحْتَهُ ، ثُمَّ
أَخَذْتُ عُوداً فَلَبَكْتُهُ بِهِ لَبْكَاً شَدِيداً حَتَّى أَنْضَجْتُهُ ، ثُمَّ أَكَلْنَا .

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : وَكَيْفَ طَعَمَ الدَّمُ ؟ قَالَ : حُلُوٌّ^(٢) .

* * *

(١) انظر السير : (أبو رجاء العطاردي) ٤/٢٥٣-٢٥٧ ، وانظر النزاهة : ٢/٤٩١ .

(٢) انظر السير : (أبو رجاء العطاردي) ٤/٢٥٣-٢٥٧ ، وانظر النزاهة : ٤/٤٩١ .

٤- الحسد

(أ) صَوْرٌ مِنَ الْحَسَدِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَرْبٍ : رَغِبَ النَّاسُ فِي سَمَاعِ كُتُبِهِ ، ثُمَّ إِنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ سَنَةَ عَشْرِينَ وَمِثْتِينَ فَحَجَّ ، وَعَاوَدَ الْغَزْوَ ، وَخَرَجَ إِلَى بِلَادِ الثُّرُكِ ، وَافْتَتَحَ فَتْحًا عَظِيمًا غُبَطَ بِهِ ، فَسَعَى بِهِ الْأَعْدَاءُ إِلَى ابْنِ طَاهِرٍ ، فَأَحْضَرَهُ ، وَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ فِي الْجُلُوسِ وَقَالَ : أَتَخْرُجُ وَتَجْمَعُ إِلَى نَفْسِكَ هَذَا الْجَمْعَ ، وَتُخَالِفُ أَعْوَانَ السُّلْطَانِ ؟ ثُمَّ إِنَّ ابْنَ طَاهِرٍ عَرَفَ صِدْقَهُ ، فَتَرَكَهُ ، فَسَارَ ، وَجَاوَرَ بِمَكَّةَ وَكَانَ تَتَجَلَّهَ الْكِرَامِيَّةُ ، وَتُعَظَّمُهُ لِأَنَّهُ أَسْتَاذُ مُحَمَّدِ بْنِ كِرَامٍ ، وَلَكِنَّهُ سَلِمَ الْإِعْتِقَادِ بِحَمْدِ اللَّهِ (١) .

قَالَ الْخَلَّالُ : بُلِينَا بِقَوْمِ جُهَّالٍ ، يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ عُلَمَاءٌ فَإِذَا ذَكَرْنَا فَضَائِلَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، يُخْرِجُهُمُ الْحَسَدُ ، إِلَى أَنْ قَالَ بَعْضُهُمْ فِيمَا أَخْبَرَنِي ثِقَةٌ عَنْهُ : أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ نَبِيَّهُمْ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : رُبَّمَا أَرَدْتُ الْبُكُورَ فِي الْحَدِيثِ ، فَتَأْخُذُ أُمَّيْ بِنُوبِي وَتَقُولُ : حَتَّى يُؤَدِّنَ الْمُؤَدِّنُ (٢) .

(ب) صَوْرٌ مِنَ الْحَسَدِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ :

عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ : كَانَ الْبُؤَيْطِيُّ حِينَ مَرَضَ الشَّافِعِيُّ بِمِصْرَ هُوَ وَابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ وَالْمُزْنِيُّ ، فَتَنَازَعُوا الْحَلْقَةَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الشَّافِعِيَّ ، فَقَالَ : الْحَلْقَةُ لِلْبُؤَيْطِيِّ فَلِهَذَا اعْتَزَلَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ الشَّافِعِيَّ وَأَصْحَابَهُ ، وَكَانَتْ أَعْظَمَ حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ ، فَكَانَ الْبُؤَيْطِيُّ يَصُومُ ، وَيَتَلَوُّ غَالِبًا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَتَمَةً مَعَ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ إِلَى النَّاسِ (٣) .

(١) انظر السير : (أحمد بن حرب) ٣٢/١١-٣٥ ، وانظر النزهة : ٢/٩٠٦ .

(٢) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٤٥ .

(٣) انظر السير : (البؤيطي) ١٢/٥٨-٦١ ، وانظر النزهة : ٤/٩٨١ .

فُسْعِي بِالْبُوَيْطِيِّ حَتَّى كَتَبَ فِيهِ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ إِلَى وَالِي مِصْرَ ، فَاَمْتَحَنَهُ ، فَلَمْ يُجِبْ ،
وَكَانَ الْوَالِي حَسَنَ الرَّأْيِ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ : قُلْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، قَالَ : إِنَّهُ يَقْتَدِي بِي مِثَّةَ
أَلْفٍ ، وَلَا يَذْرُؤُونَ الْمَعْنَى ، قَالَ : وَقَدْ كَانَ أَمْرٌ أَنْ يُحْمَلَ إِلَى بَعْدَادٍ فِي أَرْبَعِينَ رَطْلٍ
حَدِيدٍ (١) .

قَالَ الرَّبِيعُ : وَكَانَ الْمُزَنِيُّ مِمَّنْ سَعَى بِالْبُوَيْطِيِّ وَحَزَمَلَهُ (٢) .

قَالَ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ حَامِدِ الْبَزَّازَ قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ
مُحَمَّدَ بْنِ جَابِرٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى قَالَ لَنَا لَمَّا وَرَدَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ
الْبُخَارِيُّ نَيْسَابُورَ : اذْهَبُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ فَاسْمَعُوا مِنْهُ ، فَذَهَبَ النَّاسُ إِلَيْهِ ،
وَأَقْبَلُوا عَلَى السَّمَاعِ مِنْهُ ، حَتَّى ظَهَرَ الْخَلَلُ فِي مَجْلِسِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى ، فَحَسَدَهُ بَعْدَ
ذَلِكَ وَتَكَلَّمَ فِيهِ (٣) .

وَقَالَ الْحَاكِمُ : حَدَّثَنَا طَاهِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ شاذِلٍ يَقُولُ :
لَمَّا وَقَعَ بَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى وَالْبُخَارِيِّ ، دَخَلْتُ عَلَى الْبُخَارِيِّ فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ
أَيْشَ الْحِيَلَةَ لَنَا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى كُلُّ مَنْ يَخْتَلِفُ إِلَيْكَ يُطْرَدُ ؟ ، فَقَالَ :
كَمْ يَعْتَرِي مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى الْحَسَدُ فِي الْعِلْمِ وَالْعِلْمُ رِزْقُ اللَّهِ يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ فَقُلْتُ :
هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ الَّتِي تُحَكِّي عَنْكَ ؟ قَالَ : يَا بُنَيَّ ، هَذِهِ مَسْأَلَةٌ مَشْهُومَةٌ ، رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ
حَنْبَلٍ وَمَا نَالَهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، وَجَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَتَكَلَّمَ فِيهَا (٤) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمَرْوزِيُّ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ صَالِحِ بْنِ هَانِيءَ : سَمِعْتُ
أَحْمَدَ بْنَ سَلَمَةَ يَقُولُ : دَخَلْتُ عَلَى الْبُخَارِيِّ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، هَذَا رَجُلٌ
مَقْبُولٌ بِخُرَاسَانَ خُصُوصاً فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ لَجَّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ حَتَّى لَا يَقْدِرُ
أَحَدٌ مَنَا أَنْ يُكَلِّمَهُ فِيهِ ، فَمَا تَرَى ؟ فَقَبِضَ عَلَيَّ لِحْيَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾

(١) انظر السير : (البُوَيْطِيُّ) ١٢/٥٨-٦١ ، وانظر النزهة : ١/٩٨٢ .

(٢) انظر السير : (البُوَيْطِيُّ) ١٢/٥٨-٦١ ، وانظر النزهة : ٢/٩٨٢ .

(٣) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ١٢/٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٠١٧ .

(٤) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ١٢/٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزهة : ٣/١٠١٧ .

إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١﴾ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أُرِدِ الْمَقَامَ بِنِسَابُورٍ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا ،
وَلَا طَلَبًا لِلرَّئِيسَةِ ، وَإِنَّمَا أَبْتُ عَلَيَّ نَفْسِي فِي الرَّجُوعِ إِلَى وَطَنِي لِغَلْبَةِ الْمُخَالِفِينَ وَقَدْ
قَصَدَنِي هَذَا الرَّجُلُ حَسَدًا لَمَا آتَانِي اللَّهُ لَا غَيْرَ ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا أَحْمَدُ إِنِّي خَارِجٌ غَدًا
لِتَتَخَلَّصُوا مِنْ حَدِيثِهِ لِأَجْلِي .

قال : فَأُخْبِرْتُ جَمَاعَةَ أَصْحَابِنَا ، فَوَاللَّهِ مَا شَبَّعَهُ غَيْرِي كُنْتُ مَعَهُ حِينَ خَرَجَ مِنَ
الْبَلَدِ ، وَأَقَامَ عَلَيَّ بَابَ الْبَلَدِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لِإِصْلَاحِ أَمْرِهِ (٢) .

(ج) سَبَبُ الْحَسَدِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ :

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدٌ لِمَنْ حَوْلَهُ : اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الرَّجُلَ
مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِذَا مَنَحَهُ اللَّهُ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ ، وَحَرَمَهُ قُرْآنَهُ وَأَشْكَالَهُ ، حَسَدُوهُ فَرَمَوْهُ بِمَا
لَيْسَ فِيهِ ، وَبَثَّتِ الْخَصْلَةُ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ (٣) .

(د) مَنْ نَصِحَ فَلَمْ يَنْتَصَحْ ظَانًّا أَنَّ نَاصِحَهُ حَاسِدٌ :

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ : شَاوَرَنِي يَعْقُوبُ بْنُ السَّكِّيتِ (٤) فِي مُنَادِمَةِ الْمُتَوَكَّلِ ، فَهَيَّئْهُ
فَحَمَلَ قَوْلِي عَلَى الْحَسَدِ ، وَلَمْ يَنْتَه (٥) .

وَيُرْوَى أَنَّ الْمُتَوَكَّلَ نَظَرَ إِلَى ابْنَيْهِ الْمُعْتَزِّ وَالْمُؤَيَّدِ ، فَقَالَ لِابْنِ السَّكِّيتِ : مَنْ أَحَبَّ
إِلَيْكَ : هُمَا أَوْ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ؟ (٦) فَقَالَ : بَلْ قَنْبَرٌ ، فَأَمَرَ الْأَثْرَاقَ فَدَاسُوا بَطْنَهُ فَمَاتَ

(١) سورة غافر ، الآية : ٤٤ .

(٢) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ١٢ / ٣٩١ - ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٠١٨ .

(٣) انظر السير : (الإمام الشافعي) ١٠ / ٩٩ - ٥ ، وانظر النزهة : ٨٥١ / هامش (١) .

(٤) قَالَ ابْنُ خُلِّكَانَ : عُرِفَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الشُّكُوتِ ، طَوِيلَ الصَّمْتِ ، وَكُلَّ مَا كَانَ عَلَى وَزْنِ
« فَعِيلٌ » أَوْ « فَعْلِيلٌ » فَإِنَّهُ مَكْسُورُ الْأَوَّلِ .

(٥) انظر السير : (ابنُ السَّكِّيتِ) ١٢ / ١٦ - ١٩ ، وانظر النزهة : ٢ / ٩٧٥ .

(٦) الْخَبْرُ بِالْفِظَائِظِ مُخْتَلَفَةٌ فِي « وَقِيَّاتِ الْأَعْيَانِ » ٦ / ٣٩٧ - ٣٩٨ ، وَفِي « النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ » ٢ / ٣١٨ ،
وَاللَّفْظُ فِيهِ : مَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ ، أَنَا وَوَلَدَايَ الْمُؤَيَّدُ وَالْمُعْتَزُّ أَمْ عَلَيَّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ؟ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ
إِنَّ شَعْرَةَ مَنْ قَنْبَرٍ خَادِمٍ عَلَيَّ خَيْرٌ مِنْكَ وَمِنْ وَلَدَيْكَ .

بعدَ يومٍ وقيلَ : حُمِلَ ميتاً في بساطٍ ، وكانَ في المَتَوَكِّلِ نَصَبٌ^(١) ، نَسَأُ اللهُ العَفْوَ ،
ماتَ سَنَةً أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ^(٢) .

(هـ) العَسَدُ المُفْضِي إلى القَتْلِ :

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ في تَرْجَمَةِ ابنِ الأَبَّارِ ، أبي عبدِ اللهِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الأَنْدَلُسِيِّ :
انْتَقَلَ مِنَ الأَنْدَلُسِ عِنْدَ اسْتِيلاءِ النَّصَارَى ، فَنَزَلَ تُونُسَ مُدَّةً ، فَبَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ أَعْدَائِهِ
شَغِبَ عَلَيْهِ عِنْدَ مَلِكِ تُونُسَ ، بِأَنَّهُ عَمِلَ تَارِيخاً وَتَكَلَّمَ في جَماعَةٍ ، وَقَالُوا : هُوَ فُضُولِيٌّ
يَتَكَلَّمُ في الكِبَارِ ، فَأُخِذَ ، فَلَمَّا أَحسَّ بِالثَّلَفِ قالَ لِغُلامِهِ : خُذِ البَغْلَةَ لَكَ ، وَاَمْضِ
حَيْثُ شِئْتَ ، فَلَمَّا أُدخِلَ ، أَمَرَ المَلِكُ بِقَتْلِهِ ، فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ^(٣) .

* * *

(١) أهل النصب هم المتدينون ببعضة علي رضي الله عنه ، لأنهم نصبوا له : أي عادوه .

(٢) انظر السير : (ابنُ السُّكَيْتِ) ١٢/١٦-١٩ ، وانظر النزهة : ٣/٩٧٥ .

(٣) انظر السير : (ابنُ الأَبَّارِ) ٢٣/٣٣٦-٣٣٩ ، وانظر النزهة : ١/١٧٣٩ .

٥- الخيانة

(أ) صُوْرٌ عَلَى الْخِيَانَةِ :

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ : كَانَ عُمَارَةُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ زَيْدَانَ الْحَكَمِيُّ شَدِيدَ التَّعَصُّبِ لِلسُّنَّةِ أَدِيبًا مَاهِرًا ، رَائِعًا فِي الدَّوْلَةِ ، ثُمَّ تَمَلَّكَ صِلَاحُ الدِّينِ ، فَامْتَدَحَهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ شَرَعَ فِي اتِّفَاقٍ مَعَ رُؤَسَاءَ فِي إِعَادَةِ دَوْلَةِ الْعُبَيْدِيِّينَ ، فَنُقِلَ أَمْرُهُمْ إِلَى صِلَاحِ الدِّينِ ، فَسَنَقَ عُمَارَةَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ (١) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ هُودٍ حِينَمَا خَلَصَتْ الْأَنْدَلُسُ كُلُّهَا لَهُ وَقَاتَلَ بِهَا الْمُوَحِّدِينَ ثُمَّ جَهَّزَ الْخَلْقَ لِلِقَاءِ الْإِفْرَنْجِ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ وَقَعَتِ الْهَزِيمَةُ لِلْمُسْلِمِينَ أَقْبَحَ هَزِيمَةً وَرَجَعَ ابْنُ هُودٍ فِي أَسْوَأِ حَالٍ ، ثُمَّ قَالَ الذَّهَبِيُّ : قَامَ عَلَيْهِ شُعَيْبُ بْنُ هَلَالَةَ بِلَبْلَةِ ، فَصَالَحَ ابْنَ هُودٍ الْأَدْفُونَشَ عَلَى مُحَاصِرَةِ لَبْلَةَ وَمُعَاوَنَتِهِ عَلَى أَنْ يُعْطِيَهُ قُرْطُبَةَ ، وَاتَّفَقَا عَلَى ذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُ : لَا يَسُوغُ أَنْ يَدْخُلَهَا الْفِرَنْجُ عَلَى الْبَدِيهَةِ ، وَإِنَّمَا تُهْمَلُ أَمْرَهَا ، وَتُخْلِيهَا مِنْ حَرَسٍ ، وَوَجْهَهُ أَنْتَ الْفِرَنْجُ يَتَعَلَّقُونَ بِأَسْوَارِهَا بِاللَّيْلِ وَيَعْدُونَ بِهَا ، فَفَعَلُوا كَذَلِكَ وَوَجَّهَ ابْنُ هُودٍ إِلَى وَالِيهِ بِقُرْطُبَةَ فَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ ، وَأَمَرَهُ بِضِيَاعِهَا مِنْ حَيْزِ الشَّرْقِيَّةِ فَجَاءَ الْفِرَنْجُ ، فَوَجَدُوهُ خَالِيًا ، فَجَعَلُوا السَّلَالِمَ وَاسْتَوُوا عَلَى السُّورِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ (٢) .

وَكَانَتْ قُرْطُبَةُ مَدِينَتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا الشَّرْقِيَّةُ وَالْأُخْرَى الْمَدِينَةُ الْعُظْمَى ، فَقَامَتِ الصَّيْحَةُ وَالنَّاسُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ ، فَرَكِبَ الْجُنْدُ وَقَالُوا لِلْوَالِي : اخْرُجْ بِنَا لِلْمُلْتَقَى ، فَقَالَ : اضْبِرُّوا حَتَّى يَضْحَى النَّهَارُ ، فَلَمَّا أَضْحَى رَكِبَ وَخَرَجَ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْفِرَنْجِ قَالَ : ارْجِعُوا حَتَّى أَلْبَسَ سِلَاحِي !! ، فَارْجَعَ بِهِمْ وَهُمْ يُصَدِّقُونَهُ ، وَذَا أَمْرٌ قَدْ دُبِّرَ بِلَيْلٍ ، فَدَخَلَ الْفِرَنْجُ عَلَى إِثْرِهِمْ ، وَانْتَشَرُوا ، وَهَرَبَ النَّاسُ إِلَى الْبَلَدِ ، وَقُتِلَ خَلْقٌ

(١) انظر السير : (عُمَارَةُ) ٢٠/٥٩٢-٥٩٦ ، وانظر النزهة : ٤/١٥٨٧ .

(٢) انظر السير : (مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ هُودٍ) ٢٣/٢٠-٢٢ ، وانظر النزهة : ٤/١٧١١ .

من الشُّيُوخِ والوِلْدَانِ والنِّسْوَانِ ، وَنُهَبَ لِلنَّاسِ مَا لَا يُحْصَى ، وَانْحَصَرَتِ الْمَدِينَةُ الْعُظْمَى بِالخَلْقِ فَحَاصَرَهُمُ الْفَرَنْجُ شُهُورًا ، وَقَاتَلُوهُمْ أَشَدَّ الْقِتَالِ ، وَعُدِمَ أَهْلُهَا الْأَقْوَاتُ ، وَمَاتَ خَلْقٌ كَثِيرٌ جُوعًا ، ثُمَّ اتَّفَقَ رَأْيُهُمْ مَعَ أَدْفُونَشَ - لَعَنَهُ اللَّهُ - عَلَى أَنْ يَسَلِّمُوهَا وَيَخْرُجُوا بِأَمْتِعَتِهِمْ كُلِّهَا ، فَفَعَلَ ، وَوَفَّى لَهُمْ وَوَصَلَّهُمْ إِلَى مَا مَنَّهُمْ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : وَلَمْ يُمَتَّعْ بَعْدَهَا ابْنُ هُودٍ ، بَلْ أَخَذَهُ اللَّهُ فِي سَنَةِ خَمْسٍ فَكَانَتْ دَوْلَتُهُ تِسْعَةَ أَعْوَامٍ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَتِسْعَةَ أَيَّامٍ ، وَهَلَكَ بِالْمَرِيَّةِ جَهَّزَ عَلَيْهِ مَنْ غَمَّهُ وَهُوَ نَائِمٌ ، وَحُمِلَ إِلَى مَرْسِيَّةٍ فَدُفِنَ هُنَاكَ ، وَلَمْ يَمُتْ حَتَّى قَوِيَ أَمْرُ الْمُوَحِّدِينَ وَقَامَ بَعْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ نَصْرِ بْنِ الْأَحْمَرِ ، وَدَامَ الْمُلْكُ فِي ذُرِّيَّتِهِ (١) .

(ب) عَدَّ ابْنُ سِيرِينَ الْخُرُوجَ الْيَوْمِيَّ مِنَ السَّجْنِ ثُمَّ الْعَوْدَةَ إِلَيْهِ بَدُونَ إِذْنِ السُّلْطَانِ خِيَانَةً :

قَالَ قُرَيْشُ بْنُ أَنَسٍ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ ، أَنَّ السَّجَّانَ قَالَ لِابْنِ سِيرِينَ : إِذَا كَانَ اللَّيْلُ فَاذْهَبْ إِلَى أَهْلِكَ ، فَإِذَا أَصْبَحَتْ فَتَعَالَ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، لَا أَكُونُ لَكَ عَوْنًا عَلَى خِيَانَةِ السُّلْطَانِ (٢) .

* * *

(١) انظر السير : (محمد بن يوسف بن هود) ٢٣/٢٠-٢٢ ، وانظر النزهة : ١/١٧١٢ .

(٢) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٤/٦٠٦-٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٨/٥٦٩ .

٦- الرِّياء

(أ) أقوالٌ بليغةٌ في الرِّياء :

رَوَى الأوزاعيُّ : عن عَبْدِ بنِ أَبِي لُبَابَةَ قال : أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى الرِّياءِ أَمْنُهُمْ مِنْهُ وَقَالَ رَجَاءُ بنُ أَبِي سَلَمَةَ : سَمِعْتُ عَبْدَةَ يَقُولُ : لَوَدِدْتُ أَنَّ حَظِّي مِنْ أَهْلِ الزَّمانِ أَنَّهُمْ لا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ ، ولا أَسْأَلُهُمْ ، إِنَّهُمْ يَتَكَاثَرُونَ بِالْمَسائِلِ كَمَا يَتَكَاثَرُ أَهْلُ الدَّرَاهِمِ بالدَّرَاهِمِ .

ماتَ عَبْدَةُ فِي حُدُودِ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَةَ (١) .

وقالَ الفَيْضُ : قالَ لِي الفُضَيْلُ : لَوْ قِيلَ لَكَ : يا مُرائِي ، غَضِبْتَ وَشَقَّ عَلَيكَ ، وَعَسَى ما قِيلَ لَكَ حَقٌّ ، تَرَيَنْتَ لِلدُّنْيا وَتَصَنَعْتَ ، وَقَصَّرْتَ ثِيابَكَ ، وَحَسَنْتَ سَمَتَكَ ، وَكَفَفْتَ أذاكَ حَتَّى يُقالَ : أَبُو فلانَ عابِدٌ ، ما أَحسَنَ سَمَتَهُ ، فيُكْرَمونَكَ وَيَنْظرونَكَ ، وَيَقْصِدونَكَ ، وَيُهْدونَ إِلَيْكَ ، مثلَ الدَرهمِ السُّتُوقِ (٢) لا يَعْرِفُهُ كُلُّ أَحَدٍ ، فإذا قُشِرَ ، قُشِرَ عَنْ نُحاسِ (٣) .

وقالَ أبو بَكْرٍ الرّازِي : سَمِعْتُ أبا عَلِيٍّ الثَّقَفِيَّ يَقُولُ : تَرَكَ الرِّياءَ للرِّياءِ أَقْبَحُ مِنَ الرِّياءِ وَكانَ كَثيراً ما يَتَكَلَّمُ فِي رُويَةِ عَيْبِ الأَفْعالِ (٤) .

(ب) مِنْ دَقائِقِ الرِّياءِ :

عَنْ بَشْرِ بْنِ الحارِثِ قالَ : قَدْ يَكُونُ الرُّجُلُ مُرائِياً بَعْدَ مَوْتِهِ ، يُحِبُّ أَنْ يَكْثُرَ الخَلْقُ فِي جَنائِزَتِهِ (٥) .

(١) انظر السير : (عبد بن أبي لُبَابَةَ) ٥/٢٢٩-٢٣٠ ، وانظر النزهة : ٨/٥٩٧ .

(٢) هو الرديء الزيف الذي لا خير فيه .

(٣) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٩/٧٧٨ .

(٤) انظر السير : (أبو علي الثَّقَفِي) ١٥/٢٨٠-٢٨٣ ، وانظر النزهة : ١/١٢٢٨ .

(٥) انظر السير : (بشر بن الحارث) ١٠/٤٦٩-٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٤/٨٨٦ .

(ج) دَوَاءُ الرِّيَاءِ :

وعن عبيد الله بن أبي جعفر ، قَالَ : إِذَا كَانَ الْمَرْءُ يُحَدِّثُ فِي مَجْلِسٍ فَأَعْجَبَهُ الْحَدِيثُ ، فَلْيُمْسِكْ وَإِذَا كَانَ سَاكِتًا ، فَأَعْجَبَهُ السُّكُوتُ فَلْيَتَحَدَّثْ ^(١) .

(د) الْخَوْفُ وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الرِّيَاءِ :

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ : رَأَيْتُ أَبَا أَمَامَةَ أَتَى عَلِيَّ رَجُلًا فِي الْمَسْجِدِ ، وَهُوَ سَاجِدٌ يَبْكِي ، وَيَدْعُو ، فَقَالَ : أَنْتَ أَنْتَ ! لَوْ كَانَ هَذَا فِي بَيْتِكَ ^(٢) .

وعن العرياض بن سارية ، قَالَ : لَوْلَا أَنْ يُقَالَ : فَعَلَّ أَبُو نَجِيحٍ لِأَلْحَقْتُ مَالِي سُبْلَةً ، ثُمَّ لَحَقْتُ وَادِيًا مِنْ أَوْدِيَةِ لُبْنَانَ عَبْدتُ اللَّهَ حَتَّى أَمُوتَ ^(٣) .

وعن عبد الرحمن بن يزيد ، قُلْنَا لِعَلْقَمَةَ : لَوْ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ وَجَلَسْنَا مَعَكَ فَتَسَأَلُ ، قَالَ : أَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ : هَذَا عَلْقَمَةُ ^(٤) .

وعن أبي بكر بن عيَّاش ، عَنْ عَاصِمٍ قَالَ : كَانَ أَبُو وَائِلٍ إِذَا صَلَّى فِي بَيْتِهِ يَنْشِجُ نَشِيحًا ، وَلَوْ جُعِلَتْ لَهُ الدُّنْيَا عَلَى أَنْ يَفْعَلَهُ وَأَحَدٌ يَرَاهُ ، مَا فَعَلَهُ ^(٥) .

وعن الأعمش ، قَالَ : كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى يُصَلِّي ، فَإِذَا دَخَلَ الدَّاحِلُ ، نَامَ عَلَيَّ فِرَاشِهِ .

وقال ثابتٌ : كَانَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ نَشَرَ الْمُصْحَفَ ، وَقَرَأَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ .

قُتِلَ بَوَقْعَةَ الْجَمَاجِمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ ^(٦) .

-
- (١) انظر السير : (عبيد الله بن أبي جعفر) ٨/٦ ، وانظر النزهة : ٤/٦٢٥ .
 - (٢) انظر السير : (أبو أمامة الباهلي) ٣/٣٥٩-٣٦٣ ، وانظر النزهة : ٣/٣٩٣ .
 - (٣) انظر السير : (العرياض بن سارية) ٣/٤١٩-٤٢٢ ، وانظر النزهة : ٢/٤٠٥ .
 - (٤) انظر السير : (علقمة) ٤/٥٣-٦١ ، وانظر النزهة : ٥/٤٤٣ .
 - (٥) انظر السير : (شقيق بن سلمة) ٤/١٦١-١٦٦ ، وانظر النزهة : ٧/٤٦٩ .
 - (٦) انظر السير : (عبد الرحمن بن أبي ليلى) ٤/٢٦٢-٢٦٧ ، وانظر النزهة : ٦/٤٩٤ .

وقال رجاء بن أبي سلمة ، نظر رجاء بن حيوة إلى رجلٍ ينعسُ بعد الصبحِ فقال :
انتبه لا يظنون أن ذا عن سهر^(١) .

وعن حماد بن زيد ، قال : كان أيوب السخيتاني في مجلسٍ فجاءته عبرةٌ فجعل
يمتخط ويقول : ما أشدَّ الزكام .

وقال أبو حاتم وسئل عن أيوب فقال : ثقةٌ ، لا يسأل عن مثله^(٢) .

وعن ابن عيينة قال : بكى ربيعة بن فروخ يوماً ، فقيل : ما يبكيك ؟ قال : رياءٌ
حاضرٌ ، وشهوةٌ خفيةٌ ، والناسُ عند علمائهم كصبيانٍ في حُجورِ أمهاتهم ، إن أمرؤهم
اتتمروا ، وإن نهؤهم ، انتهوا؟!^(٣) .

وقال أحمد بن أبي الحواري : حدثنا أبو عبد الله الأنطاكي قال : اجتمع الفضيلُ
والثوريُّ ، فتذاكرا ، فرقَّ سُفيانُ وبكى ، ثم قال : أرجو أن يكونَ هذا المجلسُ علينا
رحمةً وبركةً ، فقال له الفضيلُ : لكنني يا أبا عبد الله أخافُ أن لا يكونَ أضرَّ علينا منه
ألستَ تخلصتَ إلى أحسنِ حديثك ، وتخلصتُ أنا إلى أحسنِ حديثي ، فترزنتَ لي
وترزنتُ لك ؟ فبكى سُفيانُ ، وقال : أحيتني أحياءُ الله^(٤) .

وقيل : إنَّ مُحَمَّدَ بنَ الحَسَنِ بنَ فَرْقَدَ الشَّيْبَانِيَّ ، صاحبَ أبي حنيفةَ ، لما
احضُرَ ، قيلَ له : أتبكي مع العلمِ ؟ قال : أرأيتَ إن أوقفتني اللهُ وقال : يا مُحَمَّدُ ،
ما أقدمَكَ الرِّيَّ ؟ الجهادُ في سبيلي ، أم ابتغاءَ مَرْضاتي ؟ ماذا أقولُ .

قال الإمامُ الذَّهَبِيُّ : توفيَّ إلى رَحْمَةِ اللهِ سَنَةَ تِسْعِ وثمانينَ ومئةَ بالرِّيِّ^(٥) .

وعن عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ مَهْدِي قال : كُنْتُ أَجْلِسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فإذا كَثُرَ النَّاسُ ،

(١) انظر السير : (رجاء بن حيوة) ٤/٥٥٧-٥٦١ ، وانظر النزهة : ٥/٥٥٨ .

(٢) انظر السير : (أيوب السخيتاني) ٦/١٥-٢٦ ، وانظر النزهة : ٩/٦٢٦ .

(٣) انظر السير : (ربيعة) ٦/٨٩-٩٦ ، وانظر النزهة : ٢/٦٣٥ .

(٤) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٨/٧٧٨ .

(٥) انظر السير : (مُحَمَّد بن الحسن) ٩/١٣٤-١٣٦ ، وانظر النزهة : ٢/٨٠٨ .

فَرِحْتُ ، وَإِذَا قَلُّوا ، حَزِنْتُ ، فَسَأَلْتُ بِشَرِّ بْنِ مَنْصُورٍ ، فَقَالَ : هَذَا مَجْلِسُ سُوءٍ ، فَلَا تَعُدُّ إِلَيْهِ ، فَمَا عُدْتُ إِلَيْهِ^(١) .

وَقَالَ الرَّبِيعُ : سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ : وَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ تَعَلَّمُوا هَذَا الْعِلْمَ - يَعْنِي كُتْبَهُ - عَلَى أَنْ لَا يُنْسَبَ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ^(٢) .

وَعَنْ حَمْزَةَ بْنِ دَهْقَانَ قَالَ : قُلْتُ لِبَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ : أَحِبُّ أَنْ أُخْلَوْ مَعَكَ قَالَ : إِذَا شِئْتَ فَيَكُونُ يَوْمًا فَرَأَيْتَهُ قَدْ دَخَلَ قُبَّةً ، فَصَلَّى فِيهَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ لَا أَحْسَنُ أَصْلِي مِثْلَهَا ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعَلَّمُ فَوْقَ عَرَشِكَ أَنَّ الذَّلَّ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الشَّرْفِ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعَلَّمُ فَوْقَ عَرَشِكَ أَنَّ الْفَقْرَ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الْغِنَى ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعَلَّمُ فَوْقَ عَرَشِكَ أَنِّي لَا أُؤْتِرُ عَلَى حُبِّكَ شَيْئًا ، فَلَمَّا سَمِعْتُهُ ، أَخَذَنِي الشَّهيقُ وَالْبُكَاءُ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ تَعَلَّمُ أَنِّي لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا هَا هُنَا لَمْ أَتَكَلَّمْ^(٣) .

عَنْ سُخْنُونَ قَالَ : كَانَ بَعْضُ مَنْ مَضَى يُرِيدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ وَلَوْ تَكَلَّمَ بِهَا لَانْتَفَعَ بِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَيَحْبِسُهَا ، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِهَا مَخَافَةَ الْمُبَاهَاةِ^(٤) .

وَقَالَ أَبُو يَعْقُوبَ الْمَرْوَزِيُّ صَحِبْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَسْلَمَ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً لَمْ أَرَهُ يُصَلِّي حَيْثُ أَرَاهُ رَكَعَتَيْنِ مِنَ التَّطَوُّعِ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَسَمِعْتُهُ كَذَا وَكَذَا مَرَّةً يَحْلِفُ : لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَنْطَوِّعَ حَيْثُ لَا يَرَانِي مَلَكَائِي لَفَعَلْتُ خَوْفًا مِنَ الرَّبِّاءِ وَكَانَ يَدْخُلُ بَيْتًا لَهُ ، وَيُغْلِقُ بَابَهُ ، وَلَمْ أُدْرِ مَا يَصْنَعُ حَتَّى سَمِعْتُ ابْنًا لَهُ صَغِيرًا يَخْكِي بُكَاءَهُ ، فَنَهَتْهُ أُمُّهُ ، فَقُلْتُ لَهَا : مَا هَذَا ؟ قَالَتْ : إِنَّ أَبَا الْحَسَنِ يَدْخُلُ هَذَا الْبَيْتَ ، فَيَقْرَأُ وَيَبْكِي ، فَيَسْمَعُهُ الصَّبِيُّ ، فَيَحْكِيهِ ، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ ، غَسَلَ وَجْهَهُ ، وَاکْتَحَلَ ، فَلَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ الْبُكَاءِ ، وَكَانَ يَصِلُ قَوْمًا وَيَكْسُوهُمْ ، وَيَقُولُ لِلرَّسُولِ : انظُرْ أَنْ لَا يَعْلَمُوا مَنْ بَعَثَهُ^(٥) .

(١) انظر السير : (عبد الرحمن بن مهدي) ١٩٢/٩-٢٠٩ ، وانظر النزهة : ٢/٨١٧ .

(٢) انظر السير : (الإمام الشافعي) ١٠/٩٩-٥ ، وانظر النزهة : ١/٨٤٧ .

(٣) انظر السير : (بشر بن الحارث) ١٠/٤٦٩-٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٦/٨٨٦ .

(٤) انظر السير : (سُخْنُونَ) ١٢/٦٣-٦٩ ، وانظر النزهة : ٢/٩٨٣ .

(٥) انظر السير : (محمد بن أسلم) ١٢/١٩٥-٢٠٧ ، وانظر النزهة : ٦/٩٩٢ .

(هـ) ضَوَابِطُ لِلرِّيَاءِ :

وعن ابن بُرَيْدَةَ ، عن أبيه ، قَالَ : شَهِدْتُ خَيْبَرَ ، وَكُنْتُ فِيمَنْ صَعَدَ الثُّلَمَةَ ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى رُئِيَ مَكَانِي ، وَعَلَيَّ ثَوْبٌ أَحْمَرٌ ، فَمَا أَعْلَمُ أَنِّي رَكِبْتُ فِي الْإِسْلَامِ ذَنْبًا أَعْظَمَ عَلَيَّ مِنْهُ - أَيِ الشُّهْرَةِ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّبًا : بَلَى ، جُهَالٌ زَمَانًا يَعْدُونَ الْيَوْمَ مِثْلَ هَذَا الْفِعْلِ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ ، وَيُكَلِّ حَالٍ فَالْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَلَعَلَّ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِإِزْرَائِهِ عَلَى نَفْسِهِ ، يَصِيرُ لَهُ عَمَلُهُ طَاعَةً وَجِهَادًا! وَكَذَلِكَ يَقَعُ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، رَبَّمَا افْتَحَرَ بِهِ الْغُرُ وَنَوَّهَ بِهِ ، فَيَتَحَوَّلُ إِلَى دِيْوَانِ الرِّيَاءِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ (١) . تُوْفِي بُرَيْدَةَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ (٢) .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِوَيْهِ : سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ يَقُولُ : تَرَكَ الْعَمَلَ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ رِيَاءً وَالْعَمَلَ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ شِرْكًا ، وَالْإِخْلَاصُ أَنْ يُعَافِيكَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٣) .

وَقَالَ فَيْضُ بْنُ وَثِيقٍ : سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ يَقُولُ : إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَكُونَ مُحَدِّثًا وَلَا قَارِنًا ، وَلَا مُتَكَلِّمًا ، إِنْ كُنْتَ بَلِيغًا ، قَالُوا : مَا أَبْلَغَهُ ، وَأَحْسَنَ حَدِيثَهُ ، وَأَحْسَنَ صَوْتَهُ ! فَيُعْجِبُكَ ذَلِكَ ، فَتَنْتَفِخُ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ بَلِيغًا ، وَلَا حَسَنَ الصَّوْتِ ، قَالُوا : لَيْسَ يُحْسِنُ يُحَدِّثُ ، وَلَيْسَ صَوْتُهُ بِحَسَنٍ ، أَحْزَنَكَ ذَلِكَ ، وَشَقَّ عَلَيْكَ ، فَتَكُونُ مُرَائِيًا ، وَإِذَا جَلَسْتَ ، فَتَكَلِّمْتَ ، فَلَمْ تُبَالِ مِنْ ذَمِّكَ وَمِنْ مَدْحِكَ ، فَتَكَلِّمَ (٤) .

(و) قَاعِدَةٌ فِي الرِّيَاءِ :

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْعَثِ : سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ يَقُولُ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُذَكَرَ لَمْ يُذَكَرْ ، وَمَنْ كَرِهَ أَنْ يُذَكَرَ ذُكِرَ (٥) .

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٢٣ .

(٢) انظر السير : (بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ) ٤٦٩/٢ - ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٤/٢٩١ .

(٣) انظر السير : (الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضِ) ٤٢١/٨ - ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٣/٧٧٤ .

(٤) انظر السير : (الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضِ) ٤٢١/٨ - ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٣/٧٧٧ .

(٥) انظر السير : (الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضِ) ٤٢١/٨ - ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ١/٧٧٧ .

٧- العُجْب

(أ) تَعْرِيفُ الْعُجْبِ :

قَالَ أَبُو وَهْبٍ الْمَرُوزِيُّ : سَأَلْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ : مَا الْكَبْرُ ؟ قَالَ : أَنْ تَزْدَرِيَ النَّاسَ فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْعُجْبِ ؟ قَالَ : أَنْ تَرَى أَنَّ عِنْدَكَ شَيْئاً لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِكَ ، لَا أَعْلَمُ فِي الْمُصَلِّينَ شَيْئاً شَرّاً مِنَ الْعُجْبِ^(١) .

(ب) مَنْ كَانَ مُعْجَباً بِنَفْسِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ :

ابْنُ وَارَةَ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ : مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ عُثْمَانَ ، الْحَافِظُ ، الْإِمَامُ الْمُجَوِّدُ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَارَةَ الرَّازِي ، أَحَدُ الْأَعْلَامِ .

ارْتَحَلَ إِلَى الْآفَاقِ ، وَكَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْحِفْظِ ، عَلَى حُكْمِ فِيهِ وَتِيهِ وَكَانَ مَوْلَدُهُ فِي حُدُودِ عَامِ تِسْعِينَ وَمِئَةٍ .

قَالَ النَّسَائِيُّ : هُوَ ثِقَةٌ ، صَاحِبُ حَدِيثٍ .

وَقَالَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ أَحْمَدَ : كَانَ أَبُو زُرْعَةَ لَا يَقُومُ لِأَحَدٍ ، وَلَا يُجْلِسُ أَحَدًا فِي مَكَانِهِ ، إِلَّا ابْنَ وَارَةَ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرِ الطَّحَاوِيِّ : ثَلَاثَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ الزَّمَانِ بِالْحَدِيثِ ، اتَّفَقُوا بِالرَّيِّ ، لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ مِثْلُهُمْ فِي وَقْتِهِمْ ، فَذَكَرَ ابْنَ وَارَةَ ، وَأَبَا حَاتِمٍ ، وَأَبَا زُرْعَةَ^(٢) .

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خِرَاشٍ ، قَالَ : كَانَ ابْنُ وَارَةَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّانِ الْمُتَقِينِ الْأَمْنَاءِ ، كُنْتُ لَيْلَةً عِنْدَهُ ، فَذَكَرَ أَبَا إِسْحَاقَ السَّبْعِيِّ ، فَذَكَرَ شَيْوَحَهُ ، فَذَكَرَ فِي طَلْقِي وَاحِدَ سَبْعِينَ وَمِئَتَيْنِ مِنْ شَيْوَحِهِ ، ثُمَّ قَالَ : كَانَ غَايَةً ، شَيْئاً عَجَبًا^(٣) .

(١) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٣٧٨/٨ - ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٩/٧٦٩ .

(٢) انظر السير : (ابن وارة) ٣٢-٢٨/١٣ ، وانظر النزهة : ٦/١٠٤٧ .

(٣) انظر السير : (ابن وارة) ٣٢-٢٨/١٣ ، وانظر النزهة : ٧/١٠٤٧ .

قال عُثْمَانُ بْنُ خُرَزَادٍ : سَمِعْتُ الشَّاذْكَوْنِيَّ يَقُولُ : جَاءَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ فَقَعَدَ يَتَقَعَّرُ^(١) فِي كَلَامِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مِنْ أَيِّ بَلَدٍ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ ، أَلَمْ يَأْتِكَ خَبْرِي ؟ أَلَمْ تَسْمَعْ بِنَبِيِّي ؟ أَنَا ذُو الرَّحْلَتَيْنِ قُلْتُ : مَنْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ مِنَ الشُّعْرِ حِكْمَةٌ » فَقَالَ : حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا قُلْتُ : مَنْ ؟ قَالَ : أَبُو نَعِيمٍ وَقَبِيصَةَ قُلْتُ : يَا غُلَامُ! ائْتِنِي بِالذَّرَّةِ ، فَأَتَانِي بِهَا ، فَأَمَرْتُهُ ، فَضَرَبَهُ بِهَا خَمْسِينَ ، قُلْتُ : أَنْتَ تَخْرُجُ مِنْ عِنْدِي ، مَا أَمِنُ أَنْ تَقُولَ : حَدَّثَنِي بَعْضُ غِلْمَانِنَا^(٢) .

قال زكريا الساجي : جاء ابنُ وارةَ إلى كُريْبٍ ، وكان في ابنِ وارةَ بأو^(٣) فقال لأبي كُريْبٍ : أَلَمْ يَبْلُغْكَ خَبْرِي ؟ أَلَمْ يَأْتِكَ نَبِيِّي ، أَنَا ذُو الرَّحْلَتَيْنِ ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بِنِ وَاَرَةَ فَقَالَ : وَاَرَةَ !!؟ وما أدراك ما وَاَرَةَ ؟ قُمْ ، فوالله لا حَدَّثْتُكَ ، ولا حَدَّثْتُ قَوْمًا أَنْتَ فِيهِمْ^(٤) .

قال أبو العباسِ بنُ عُقْدَةَ : دَقَّ ابْنُ وَاَرَةَ عَلَى ابْنِ كُريْبٍ ، فَقَالَ : مَنْ ؟ قَالَ : ابْنُ وَاَرَةَ ، أَبُو الْحَدِيثِ وَأُمُّهُ .

قال الإمامُ الذهبيُّ : الصَّوَابُ فِي وَفَاتِهِ أَنَّهَا فِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِئَتَيْنِ^(٥) .

وقال الدَّارِقُطْنِيُّ : كان ابنُ كاملٍ مُتْسَاهِلًا ، رُبَّمَا حَدَّثَ مِنْ حِفْظِهِ بِمَا لَيْسَ فِي كِتَابِهِ ، وَأَهْلَكَهُ الْعُجْبُ ، كَانَ يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ ، وَلَا يُقَلِّدُ أَحَدًا .
تُوَفِّيَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ ، وَلَهُ تِسْعُونَ سَنَةً^(٦) .

وقال الدَّارِقُطْنِيُّ أَيْضًا : كان ابنُ كاملٍ لا يَعُدُّ لِأَحَدٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَزَنًا ، أَمَلِيَ كِتَابًا فِي الشُّنَنِ ، وَتَكَلَّمَ عَلَى الْأَخْبَارِ^(٧) .

(١) التفسير : أن يتكلم بأقصى قعر فمه .

(٢) انظر السير : (ابن وارة) ١٣/٢٨-٣٢ ، وانظر النزهة : ١/١٠٤٨ .

(٣) البأو : الكبيرُ والتَّيه .

(٤) انظر السير : (ابن وارة) ١٣/٢٨-٣٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٤٨ .

(٥) انظر السير : (ابن وارة) ١٣/٢٨-٣٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٤٨ .

(٦) انظر السير : (ابن كامل) ١٥/٥٤٤-٥٤٦ ، وانظر النزهة : ١/١٢٥٨ .

(٧) انظر السير : (ابن كامل) ١٥/٥٤٤-٥٤٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٥٨ .

قال ابنُ الذَّهَبِيِّ : كانَ ابنُ كَامِلٍ من بُحورِ العِلْمِ فأخَمَلَهُ العُجْبُ^(١) .

(ج) العُجْبُ بِلَاءٌ :

قالَ أبو القاسِمِ القُشَيْرِيُّ : كانَ يُوْسُفُ بنُ الحُسَيْنِ نَسِيحَ وَحِدِهِ في إسقاطِ التَّصَنُّعِ يُقالُ : كَتَبَ إلى الجُنَيْدِ : لا أذاقَكَ اللهُ طَعَمَ نَفْسِكَ ، فإنْ ذُقْتَهَا لا تُفْلِحَ^(٢) .

وَخَطَبَ مُنْذِرُ بنُ سَعِيدٍ يوماً فأعجَبَتْهُ نَفْسُهُ ، فقالَ : حَتَّى مَتَى أعْظُ ولا أُنْعِظُ وأزْجُرُ ولا أزدَجِرُ ، أدُلُّ على الطَّرِيقِ المُسْتَدَلِّينَ وأبْتغِي مُقِيماً مع الحائِرينَ ، كلاًَّ إنَّ هَذَا لهُوَ البِلاءُ المُبِينُ ، اللَّهُمَّ فرْعَبْنِي لِمَا خَلَقْتَنِي لَهُ ، ولا تَشْغَلْنِي بما تَكْفَلْتَ لي به^(٣) .

* * *

(١) انظر السير : (ابنُ كَامِلٍ) ١٥ / ٥٤٤ - ٥٤٦ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٢٥٨ .

(٢) انظر السير : (يُوْسُفُ بنُ الحُسَيْنِ) ١٤ / ٢٤٨ - ٢٥١ ، وانظر النزهة : ٦ / ١١٤٧ .

(٣) انظر السير : (مُنْذِرُ بنُ سَعِيدِ البَلُّوطِيِّ) ١٦ / ١٧٣ - ١٧٨ ، وانظر النزهة : ٤ / ١٢٧٩ .

٨- الغيبة

(أ) الخوف من الغيبة :

قال جرير بن حازم : كنتُ عند محمد بن سيرين فذكر رجلاً ، فقال : ذاك الأسود ، ثم قال : إنا لله ، إني اغتبتُه (١) .

وقال محمد بن أبي حاتم : سمعتُ أبا عبد الله البخاري يقول لأبي معشر الضرير : اجعلني في حلٍّ يا أبا معشر ، فقال : من أي شيء ؟ قال : رويتُ يوماً حديثاً فنظرتُ إليك ، وقد أعجبتَ به ، وأنت تُحرِّكُ رأسك ويدك ، فتبسمتُ من ذلك قال : أنت في حلٍّ ، رحمتك الله يا أبا عبد الله (٢) .

(ب) علاج الغيبة :

قال ابن أبي حاتم : حدَّثنا أبي ، حدَّثنا حزملة : سمعتُ ابن وهب يقول : نذرتُ أنني كلما اغتبتُ إنساناً أن أصوم يوماً ، فأجهدني ، فكنْتُ أعتابُ وأصومُ ، فنويتُ أنني كلما اغتبتُ إنساناً أن أتصدقَ بدرهم ، فمن حُبِّ الدرهم تركتُ الغيبة .

قال الإمام الذهبيُّ مُعقَّباً : هكذا والله كان العلماءُ وهذا ثمرةُ العلمِ النَّافعِ ، وعبدُ الله حُجَّةٌ مُطلقاً ، وحديثه كثيرٌ في الصَّحاحِ ، وفي دواوين الإسلامِ ، وحسبُك بالنَّسائيِّ وتعتته في النَّقدِ حيثُ يقولُ : وابنُ وهبٍ ثقةٌ ، ما أعلمه روى عن الثقاتِ حديثاً مُنكراً (٣) .

(ج) تحذير العلماءِ النَّاسِ ومنعهم من الغيبة :

عن مسلمِ البطينِ ، عن سعيدِ بن جبير أنه كان لا يدعُ أحداً يَغتابُ عنده (٤) .

(١) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٦٠٦/٤-٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٦/٥٦٩ .

(٢) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ٣٩١-٤٧١/١٢ ، وانظر النزهة : ٤/١٠١٦ .

(٣) انظر السير : (عبد الله بن وهب) ٢٢٣/٩-٢٣٤ ، وانظر النزهة : ٥/٨١٩ .

(٤) انظر السير : (سعيد بن جبير) ٣٢١/٤-٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٢/٥٠٧ .

عن ابنِ عَوْنٍ ، قَالَ : كانوا إِذَا ذَكَرُوا عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ رَجُلًا بِسَيِّئَةٍ ذَكَرَهُ هُوَ بِأَحْسَنَ مَا يَعْلَمُ وَجَاءَهُ نَاسٌ فَقَالُوا : إِنَّا نَلْنَا مِنْكَ فَاجْعَلْنَا فِي حِلٍّ ، قَالَ : لَا أَحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً حَرَّمَ اللَّهُ .

ماتَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ بَعْدَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ بِمِئَةِ يَوْمٍ ، سَنَةَ عَشْرٍ وَمِئَةٍ (١) .

وَقِيلَ : اغْتَابَ رَجُلٌ عِنْدَ مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ فَقَالَ : اذْكَرَ الْقُطْنَ إِذَا وُضِعَ عَلَى عَيْنِكَ (٢) .

(د) الْغَيْبَةُ مُضَيِّعَةٌ لِلْحَسَنَاتِ :

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ : إِذَا بَلَغَكَ عَنْ أُخِيكَ مَا يَسُوؤُكَ ، فَلَا تَغْتَمَّ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ كَمَا يَقُولُ كَانَتْ عُقُوبَةٌ عَجَلَتْ ، وَإِنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ مَا يَقُولُ كَانَتْ حَسَنَةً لَمْ تَعْمَلْهَا (٣) .

وَرُوي عَنْ ابْنِ مَهْدِيِّ قَالَ : لَوْلَا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ يُعْصَى اللَّهُ ، لَتَمَنَيْتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْمِصْرِ إِلَّا اغْتَابَنِي ! أَيُّ شَيْءٍ أَهْنَأُ مِنْ حَسَنَةٍ يَجِدُهَا الرَّجُلُ فِي صَحِيفَتِهِ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا!!؟ (٤) .

(هـ) مَنْ لَمْ يَغْتَبْ أَحَدًا قَطَّ :

قَالَ الْبُخَارِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا عَاصِمِ الضَّحَّاكَ بْنَ مَخْلَدٍ يَقُولُ : مَنْذَ عَقَلْتُ أَنَّ الْغَيْبَةَ حَرَامٌ مَا اغْتَبْتُ أَحَدًا قَطَّ (٥) .

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ مُنِيرٍ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيَّ يَقُولُ : أَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَا يُحَاسِبُنِي أَنِّي اغْتَبْتُ أَحَدًا (٦) .

-
- (١) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٦٠٦-٦٢٢/٤ ، وانظر النزهة : ٢/٥٧١ .
 - (٢) انظر السير : (معروف الكرخي) ٣٣٩-٣٤٥/٩ ، وانظر النزهة : ٦/٨٢٦ .
 - (٣) انظر السير : (جعفر بن محمد) ٢٥٥-٢٧٠/٦ ، وانظر النزهة : ٥/٦٤٨ .
 - (٤) انظر السير : (عبد الرحمن بن مهدي) ١٩٢-٢٠٩/٩ ، وانظر النزهة : ١/٨١٧ .
 - (٥) انظر السير : (أبو عاصم) ٤٨٠-٤٨٥/٩ ، وانظر النزهة : ٢/٨٣٦ .
 - (٦) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ٣٩١-٤٧١/١٢ ، وانظر النزهة : ٥/١٠١٥ .

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق : سمعت أبا عبد الله البخاري يقول : ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها قال : وكان أبو عبد الله يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة ، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم فقلت : أراك تحمل على نفسك ، ولم توقظني قال أنت شاب ، ولا أحب أن أفسد عليك نومك (١) .

(و) قد يختلط الجرح بالغيبة :

جاء في ترجمة إسماعيل بن إبراهيم ، المعروف بابن عليّة : ذكره الإمام الذهبي في « الميزان » وتعقبه بقوله : إمامة إسماعيل وثيقة لا نزاع فيها ، وقد بدت منه هفوة وتاب ، فكان ماذا ؟ إنني أخاف الله لا يكون ذكرنا له من الغيبة ، وأما القرآن ، فقد قال عبد الصمد بن يزيد بن مردويه : سمعت ابن عليّة يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق (٢) .

وقال السمعاني : كان ابن ناصر يحب أن يقع في الناس ، فردّ ابن الجوزي هذا ، وقبحه ، وقال : صاحب الحديث يجرح ويُعدّل ، أفلا تفرق يا هذا بين الجرح والغيبة ؟ ! ثم قال : وهو قد احتج بكلام ابن ناصر في كثير من التراجم في « الدليل » له ، ثم بالغ ابن الجوزي في الحط على أبي سعد كذلك ، ولا ريب أن ابن ناصر يتعسف في الحط على جماعة من الشيوخ ، وأبو سعد أعلم بالتاريخ ، وأحفظ من ابن الجوزي ومن ابن ناصر ، وهذا قوله في ابن ناصر في « الدليل » قال : هو ثقة حافظ دين متقن ثبت لغوي ، عارف بالمتون والأسانيد ، كثير الصلاة والتلاوة غير أنه يحب أن يقع في الناس ، وهو صحيح القراءة والنقل (٣) .

(ز) رؤيا فيها تحذير من الغيبة :

وقال السمعاني : سمعت الحسن بن محمد بن الرضا العلوي يقول : سمعت خالي أبا طالب بن طباطبا يقول : كنت أشتّم أبدأ عبد الرحمن ابن منده ، فسافرت إلى

(١) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ١٢ / ٣٩١ - ٤٧١ ، وانظر النزعة : ١٦ / ١٠١٦ .

(٢) انظر السير : (ابن عليّة) ٩ / ١٠٧ - ١٢٠ ، وانظر النزعة : ٨٠٤ / هامش (١) .

(٣) انظر السير : (ابن ناصر) ٢٠ / ٢٦٥ - ٢٧١ ، وانظر النزعة : ٢ / ١٥٥٠ .

جَرَبَاذِقَانَ^(١) ، فرأيتُ أميرَ المؤمنين عُمَرَ في النَّوْمِ ويَدُهُ في يدِ رجلٍ عليه جُبَّةٌ زَرْقَاءُ ،
 وفي عَيْنَيْهِ نَكْتَةٌ ، فَسَلَّمْتُ عليه فلم يَرُدَّ عَلَيَّ ، وقالَ تَشْتُمُ هذا فقيلَ لي في المَنَامِ :
 هذا عُمَرُ وهذا عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَنَدَةَ فانتَبَهْتُ ، ثم رجعتُ إلى أَصْبَهَانَ ، وَقَصَدْتُ
 عبدَ الرَّحْمَنِ ، فلَمَّا دَخَلْتُ عليه ، صادفْتُهُ كما رأيتُهُ في النَّوْمِ ، فلَمَّا سَلَّمْتُ عليه
 قالَ : وعليكَ السَّلَامُ يا أبا طَالِبٍ وَقَبْلَهَا ما رَأَيْتُهُ ولا رَأَيْتُهُ ، فقالَ لي قَبْلَ أن أُكَلِّمَهُ :
 شيءٌ حَرَّمَ اللهُ ورَسُولُهُ يَجُوزُ لنا أن نُحِلَّهُ ؟ فقلتُ : اجْعَلْني في حِلٍّ ، وناشَدْتُهُ اللهُ
 وَقَبَّلْتُ عَيْنَيْهِ ، فقالَ : جعلْتُكَ في حِلٍّ فيما يَرِجِعُ إِلَيَّ .

وعن صاعد بن سيار ، سَمِعْتُ الإمامَ أبا إِسْمَاعِيلَ الأنصاريَّ يقولُ في عبدِ
 الرَّحْمَنِ بنِ مَنَدَةَ : كانت مَضَرَّتُهُ أَكْثَرَ من مَنفَعَتِهِ في الإسلامِ .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : أَطْلَقَ عِبْرَاتٍ بَدَّعَهُ بَعْضُهُم بِهَا ، اللهُ يُسامِحُهُ ، وكانَ
 زَاعِراً على مَنْ خالَفَهُ ، فيه خارِجِيَّةٌ ، وله مَحاسِنٌ ، وهو في تَوَالِفِهِ حاطِبٌ ليلٍ ،
 يَزُوي الغَثَّ والسَّمينَ ، وَيَنْظِمُ رَدِيءَ الخَرَزِ مع الدُّرِّ السَّمينِ .
 ماتَ سَنَةَ سَبْعِينَ وأربعِ مئةٍ ، وشيَعَهُ عالَمٌ لا يُحْصَوْنَ^(٢) .

* * *

(١) بلدة قريية من همدان .

(٢) انظر السير : (ابنُ مَنَدَةَ) ١٨ / ٣٤٩ - ٣٥٤ ، وانظر النزهة : ١ / ١٤٢٠ .

٩- الفضول

(أ) البُعْدُ عن الفضول من أخلاق الصالحين :

قال زيد بن أسلم : دَخَلَ على أبي دُجَانَةَ الأنصاري وهو مريضٌ ، وكان وجهه يَتَهَلَّلُ فقيل له : ما لوجهك يَتَهَلَّلُ ؟ فقال : ما من عملٍ شيءٍ أوثق عندي من اثنتين : كُنْتُ لا أتكلَّمُ فيما لا يعنيني ، والأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً^(١) .

وقيل : إن رجلاً قال للأحنف بن قيس : بم سُدت ؟ وأراد أن يعيبه : قال الأحنف : بتركي من ما لا يعنيني ، كما عناك من أمري ما لا يعينك^(٢) .

(ب) عاقبة الفضول :

عن سهل بن عبد الله : مَنْ تكلَّم فيما لا يعنيه حُرِمَ الصَّدق ، ومَنْ اشتغل بالفضول حُرِمَ الورع ، ومَنْ ظنَّ السوء حُرِمَ اليقين ، ومَنْ حُرِمَ هذه الثلاثة هلك^(٣) .

* * *

(١) انظر السير : (أبو دُجَانَةَ الأنصاري) ١/٢٤٣-٢٤٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٤ .

(٢) انظر السير : (الأحنف بن قيس) ٤/٨٦-٩٧ ، وانظر النزهة : ٢/٤٥٢ .

(٣) انظر السير : (سهل بن عبد الله) ١٣/٣٣٠-٣٣٣ ، وانظر النزهة : ٥/١٠٩٣ .

١٠- الكبر

(أ) تعريفُ الكبر :

قال أبو وهب المروزي : سألت ابن المبارك : ما الكبر ؟ قال : أن تزدرى الناسَ فسألته عن العجب ؟ قال : أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك ، لا أعلم في المُصلين شيئاً شراً من العجب^(١) .

(ب) عاقبةُ الكبر :

عن محمد بن علي بن الحسين قال : ما دخل قلب امرئ من الكبر شيء إلا نقص من عقله مقدار ذلك^(٢) .

(ج) دواءُ الكبر :

قال الأحنف بن قيس : عجت لمن يجري في مجرى البول مرتين كيف يتكبر!!^(٣) . وكان يزيد بن المهلب ذا تيه وكبر ، رآه مطرف بن الشخير يسحب حُلته ، فقال له : إن هذه مشيةً يبغيها الله ، قال : أو ما تعرفني ؟ قال : بلى ، أولك نطفةٌ مَدْرَة ، وأخرُك جيفةٌ قَدْرَة ، وأنت بين ذلك تحمِلُ العَدْرَة^(٤) .

وعن الأصمعي عن أبيه ، قال : مرَّ المهلب على مالك بن دينار مُتَبَخِّرًا ، فقال : أما علمت أنها مشيةٌ يكرهها الله إلا بين الصَّقين ؟ فقال المهلب : أما تعرفني ؟ قال : بلى ، أولك نطفةٌ مَدْرَة ، وأخرُك جيفةٌ قَدْرَة ، وأنت بين ذلك تحمِلُ العَدْرَة فانكسر ، وقال : الآن عرفتني حقَّ المعرفة^(٥) .

(١) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٨ / ٣٧٨-٤٢١ ، وانظر النزهة : ٩ / ٧٦٩ .

(٢) انظر السير : (أبو جعفر الباقر) ٤ / ٤٠١-٤٠٩ ، وانظر النزهة : ٥ / ٥٢٣ .

(٣) انظر السير : (الأحنف بن قيس) ٤ / ٨٦-٩٧ ، وانظر النزهة : ٧ / ٤٥١ .

(٤) انظر السير : (يزيد بن المهلب) ٤ / ٥٠٣-٥٠٦ ، وانظر النزهة : ٤ / ٥٤٥ .

(٥) انظر السير : (مالك بن دينار) ٥ / ٣٦٢-٣٦٤ ، وانظر النزهة : ٦ / ٦٠٩ .

(د) الخَوْفُ مِنَ الْكِبَرِ وَالْخُيَلَاءِ :

عن خالد بن معدان ، عن عمرو بن الأسود العنسي ، أنه كان إذا خرج من المسجد قبضَ بيمينه على شماله ، فسئل عن ذلك ، فقال : مخافة أن تنافق يدي .
قال الإمام الذهبيُّ مُعَقَّباً : يُمَسِّكُهَا خَوْفاً من أن يَخْطِرَ بِيَدِهِ فِي مَشِيَّتِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْخُيَلَاءِ (١) .

وعن عبد الله بن أبي سليمان ، قال : كان عليُّ بنُ الحسين إذا مَشَى لا تُجَاوِزُ يَدَهُ فَخِذَيْهِ وَلَا يَخْطِرُ بِهَا ، وَإِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ ، أَخَذَتْهُ رِعْدَةٌ ، فَقِيلَ لَهُ ، فَقَالَ : تَدْرُونَ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ أَقُومُ وَمَنْ أُنَاجِي .
وعنه ، أنه كان إذا تَوَضَّأَ اصْفَرَ (٢) .

وقال يحيى السَّيَّانِي : قَالَ لَنَا ابْنُ مُحَيْرِيزٍ : إِنِّي أَحَدْتُكُمْ ، فَلَا تَقُولُوا : حَدَّثَنَا ابْنُ مُحَيْرِيزٍ ، إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَصْرَعَنِي ذَلِكَ الْقَوْلُ مَصْرَعاً يَسُوؤُنِي (٣) .

وقال أَبُو الْعَطَّارِ : سَمِعْتُ بَشْرَ بْنَ الْحَارِثِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، ثُمَّ قَالَ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، إِنَّ لِدِكْرِ الْإِسْنَادِ فِي الْقَلْبِ خُيَلَاءَ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعَقَّباً : لا أعلم بين العلماء نزاعاً في أنَّ حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ من أئمة السلف ، ومن أتقن الحفظ وأعدلهم ، وأعدمهم غلطاً ، على سعة ما روى ، رَحِمَهُ اللَّهُ (٤) .

وعن ابن عُيَيْنَةَ قَالَ : مَنْ كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي الشَّهْوَةِ فَارِحُ لَهُ ، وَمَنْ كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي الْكِبَرِ ، فَاخْشَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ آدَمَ عَصَى مُشْتَهياً ، فغَفِرَ لَهُ ، وَإِبْلِيسُ عَصَى مُتَكَبِّراً فَلَعِنَ (٥) .

(١) انظر السير : (عمرو بن الأسود) ٤/٧٩-٨١ ، وانظر النزهة : ٢/٤٤٨ .

(٢) انظر السير : (علي بن الحسين) ٤/٣٨٦-٤٠١ ، وانظر النزهة : ٣/٥١٨ .

(٣) انظر السير : (عبد الله بن محيريز) ٤/٤٩٤-٤٩٦ ، وانظر النزهة : ٧/٥٣٩ .

(٤) انظر السير : (حماد بن زيد) ٧/٤٥٦-٤٦٦ ، وانظر النزهة : ١/٧١٧ .

(٥) انظر السير : (سفيان بن عيينة) ٨/٤٥٤-٤٧٥ ، وانظر النزهة : ٥/٧٨٣ .

(هـ) دُحُولُ الْعُجْبِ وَالْكَبْرِ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ :

قَالَ قُطْبَةُ بْنُ الْعَلَاءِ : سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ يَقُولُ : آفَةُ الْقُرَاءِ الْعُجْبُ وَالْفُضَيْلِ رَحْمَةُ اللَّهِ مُوَاعِظُ ، وَقَدَّمَ فِي التَّقْوَى رَاسِخٌ .

وَكَانَ يَعِيشُ مِنْ صِلَةِ ابْنِ الْمُبَارَكِ وَنَحْوِهِ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ ، وَيَمْتَنِعُ مِنْ جَوَائِزِ الْمُلُوكِ^(١) .

(و) مِنْ دَقَائِقِ الْكَبْرِ الَّتِي يَذْكُرُهَا الصَّالِحُونَ عَلَى سَبِيلِ تَعْلِيمِ النَّفْسِ التَّوَّاضِعِ :

قَالَ أَبُو يَزِيدَ الْبَسْطَامِيُّ : مَا دَامَ الْعَبْدُ يَظُنُّ أَنَّ فِي النَّاسِ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ ، فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ^(٢) .

(ز) كِبْرُ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ :

جَاءَ فِي تَرْجَمَةِ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحٍ : ذَكَرَهُ النَّسَائِيُّ يَوْمًا ، فَرَمَاهُ ، وَأَسَاءَ النَّئَاءَ عَلَيْهِ^(٣) .

قَالَ ابْنُ يُونُسَ : لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا - بِحَمْدِ اللَّهِ - كَمَا قَالَ النَّسَائِيُّ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ آفَةٌ غَيْرُ الْكِبْرِ^(٤) .

وَقَالَ ابْنُ عَدِي : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ سَلْمِ الْمَقْدِسِيِّ يَقُولُ : قَدِمْتُ مِصْرَ فَبَدَأْتُ بِحَرْمَلَةَ ، فَكَتَبْتُ عَنْهُ كِتَابَ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ ، وَيُونُسَ بْنَ يَزِيدَ وَالْفَوَائِدَ ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ صَالِحٍ فَلَمْ يُحَدِّثْنِي ، فَحَمَلْتُ كِتَابَ يُونُسَ ، فَخَرَّقْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ - أَرْضِيهِ بِذَلِكَ وَلَيْتَنِي لَمْ أَخْرِقْهُ - فَلَمْ يَرْضَ ، وَلَمْ يُحَدِّثْنِي .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ صَدَقَ أَبُو سَعِيدِ بْنِ يُونُسَ

(١) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٦/٧٧٩ .

(٢) انظر السير : (أبو يزيد البسطامي) ١٣/٨٦-٨٩ ، وانظر النزهة : ١/١٠٥٥ .

(٣) انظر السير : (أحمد بن صالح) ١٢/١٦٠-١٧٧ ، وانظر النزهة : ٧/٩٨٩ .

(٤) انظر السير : (أحمد بن صالح) ١٢/١٦٠-١٧٧ ، وانظر النزهة : ١/٩٩٠ .

حَيْثُ يَقُولُ : لَمْ يَكُنْ لَهُ آفَةٌ غَيْرُ الْكِبَرِ ، فَلَوْ قَدَحَ فِي عَدَالَتِهِ بِذَلِكَ ، فَإِنَّهُ إِثْمٌ كَبِيرٌ^(١) .

ابن وَاَرَة :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ : مُحَمَّدٌ بْنُ مُسْلِمٍ بْنِ عُثْمَانَ ، الْحَافِظُ ، الْإِمَامُ الْمُجَوِّدُ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَاَرَةَ الرَّازِي ، أَحَدُ الْأَعْلَامِ .

ارْتَحَلَ إِلَى الْآفَاقِ ، وَكَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْحِفْظِ ، عَلَى حُمَقٍ فِيهِ وَتِيهِ وَكَانَ مَوْلَدُهُ فِي حُدُودِ عَامِ تِسْعِينَ وَمِئَةٍ .

قَالَ النَّسَائِيُّ : هُوَ ثِقَةٌ ، صَاحِبُ حَدِيثٍ .

وَقَالَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ أَحْمَدَ : كَانَ أَبُو زُرْعَةَ لَا يَقُومُ لِأَحَدٍ ، وَلَا يُجْلِسُ أَحَدًا فِي مَكَانِهِ ، إِلَّا ابْنَ وَاَرَةَ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرَ الطَّحَاوِيُّ : ثَلَاثَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ الزَّمَانِ بِالْحَدِيثِ ، اتَّفَقُوا بِالرَّيِّ ، لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ مِثْلَهُمْ فِي وَقْتِهِمْ ، فَذَكَرَ ابْنَ وَاَرَةَ ، وَأَبَا حَاتِمٍ ، وَأَبَا زُرْعَةَ^(٢) .

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خِرَاشٍ ، قَالَ : كَانَ ابْنُ وَاَرَةَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّانِ الْمُتَّقِينَ الْأَمْثَاءِ ، كُنْتُ لَيْلَةً عِنْدَهُ ، فَذَكَرَ أَبَا إِسْحَاقَ السَّبْعِيِّ ، فَذَكَرَ شَيْوَخَهُ ، فَذَكَرَ فِي طَلْتِي وَاحِدٍ سَبْعِينَ وَمِثْمِينَ مِنْ شَيْوَخِهِ ، ثُمَّ قَالَ : كَانَ غَايَةً ، شَيْئًا عَجَبًا^(٣) .

قَالَ عُثْمَانُ بْنُ خُرَزَادٍ : سَمِعْتُ الشَّاذْكَوْنِيَّ يَقُولُ : جَاءَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ فَقَعَدَ يَتَقَعَّرُ^(٤) فِي كَلَامِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مِنْ أَيِّ بَلَدٍ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ ، أَلَمْ يَأْتِكَ خَبْرِي ؟ أَلَمْ تَسْمَعْ بِنَبِيِّي ؟ أَنَا ذُو الرَّحْلَتَيْنِ قُلْتُ : مَنْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمَةً » فَقَالَ : حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا قُلْتُ : مَنْ ؟ قَالَ : أَبُو نُعَيْمٍ وَقَبِيصَةَ قُلْتُ : يَا غُلَامُ ! ائْتِنِي بِالذَّرَّةِ ، فَأَتَانِي بِهَا ، فَأَمَرْتُهُ ، فَضْرَبَهُ بِهَا

(١) انظر السير : (أحمد بن صالح) ١٢/١٦٠-١٧٧ ، وانظر النزهة : ٥/٩٩٠ .

(٢) انظر السير : (ابن وارة) ١٣/٢٨-٣٢ ، وانظر النزهة : ٦/١٠٤٧ .

(٣) انظر السير : (ابن وارة) ١٣/٢٨-٣٢ ، وانظر النزهة : ٧/١٠٤٧ .

(٤) التتعير : أن يتكلم بأقصى قعر فمه .

خَمْسِينَ ، قلتُ : أنتَ تَخْرُجُ من عِنْدِي ، ما آمَنُ أن تقولَ : حَدَّثَنِي بَعْضُ غِلْمَانِنَا^(١) .
قال زكريّا السّاجي : جاءَ ابنُ وَاَرَةَ إلى كُرَيْبٍ ، وكان في ابنِ وَاَرَةَ بأو^(٢) فقال لأبي
كُرَيْبٍ : أَلَمْ يَبْلُغْكَ خَبْرِي ؟ أَلَمْ يَأْتِكَ نَبِيٌّ ، أنا ذو الرّحلتين ، أنا محمّدُ بنُ مُسْلِمِ بنِ
وَاَرَةَ فقال : وَاَرَةَ !!؟ وما أدراك ما وَاَرَةَ ؟ قُمْ ، فوالله لا حَدَّثْتُكَ ، ولا حَدَّثْتُ قَوْمًا
أنتَ فيهم^(٣) .

قال أبو العبّاسِ بنُ عُقْدَةَ : دَقَّ ابنُ وَاَرَةَ على ابنِ كُرَيْبٍ ، فقال : مَنْ ؟ قال : ابنُ
وَاَرَةَ ، أبو الحديثِ وأُمُّهُ .

قال الإمامُ الذّهبيُّ : الصّوابُ في وفاته أنّها في سنةِ سَبْعِينَ ومِئَتَيْنِ^(٤) .

* * *

-
- (١) انظر السير : (ابن وَاَرَةَ) ١٣/٢٨-٣٢ ، وانظر النزّهة : ١/١٠٤٨ .
(٢) البأو : الكبر والتّيه .
(٣) انظر السير : (ابن وَاَرَةَ) ١٣/٢٨-٣٢ ، وانظر النزّهة : ٢/١٠٤٨ .
(٤) انظر السير : (ابن وَاَرَةَ) ١٣/٢٨-٣٢ ، وانظر النزّهة : ٣/١٠٤٨ .

١١- الكذب

(أ) الدَّعَاوَى الكاذِبَةُ :

قَالَ ابْنُ نُقْطَةَ : كَانَ ابْنُ دِحْيَةَ مَوْصُوفًا بِالْمَعْرِفَةِ وَالْفَضْلِ وَلَمْ أَرَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَدَّعِي أَشْيَاءَ لَا حَقِيقَةَ لَهَا ، ذَكَرَ لِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ ، ثِقَةً ، فَقَالَ : نَزَلَ عِنْدَنَا ابْنُ دِحْيَةَ فَكَانَ يَقُولُ : أَحْفَظُ « صَحِيحَ مُسْلِمٍ » وَ« التِّرْمِذِيَّ » قَالَ : فَأَخَذْتُ خَمْسَةَ أَحَادِيثٍ مِنْ « التِّرْمِذِيَّ » وَخَمْسَةَ مِنْ « المُسْنَدِ » وَخَمْسَةَ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ فَجَعَلْتُهَا فِي جُزْءٍ ، ثُمَّ عَرَضْتُ عَلَيْهِ حَدِيثًا مِنَ التِّرْمِذِيَّ ، فَقَالَ : لَيْسَ بِصَحِيحٍ ، وَآخَرَ فَقَالَ : لَا أَعْرِفُهُ ، وَلَمْ يَعْرِفْ مِنْهَا شَيْئًا!!^(١) .

(ب) كَفَى فَسَادًا وَكَذِبًا الْكَلَامُ بِكُلِّ مَا يُسْمَعُ :

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ : سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ : أَعْلَمُ أَنَّهُ فَسَادٌ عَظِيمٌ أَنْ يَتَكَلَّمَ الْإِنْسَانُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ^(٢) .

(ج) « زَعَمُوا » كُنْيَةُ الْكَذِبِ :

عَنْ شُرَيْحٍ قَالَ : « زَعَمُوا » ، كُنْيَةُ الْكَذِبِ^(٣) .

(د) كَرَاهِيَةُ الْكَذِبِ :

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : مَا يَسْرُنِي أَنِّي كَذَبْتُ كَذِبَةً وَأَنَّ لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا^(٤) .

(هـ) جَرِيَانُ الْكَذِبِ عَلَى الْأَلْسِنَةِ :

عَنْ عَاصِمٍ : عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ، قَالَ : أَنْتُمْ أَكْثَرُ صَلَاةٍ وَصِيَامًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَكِنَّ الْكَذِبَ قَدْ جَرَى عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ^(٥) .

(١) انظر السير : (ابن دحية) ٢٢/٣٨٩-٣٩٥ ، وانظر النزاهة : ٢/١٧٠٦ .

(٢) انظر السير : (مالك الإمام) ٨/٤٨-١٣٥ ، وانظر النزاهة : ٢/٧٢٨ .

(٣) انظر السير : (شريح القاضي) ٤/١٠٠-١٠١ ، وانظر النزاهة : ٧/٤٥٦ .

(٤) انظر السير : (مطرف بن عبد الله) ٤/١٨٧-١٩٥ ، وانظر النزاهة : ٧/٤٧٦ .

(٥) انظر السير : (أبو العالوية) ٤/٢٠٧-٢١٣ ، وانظر النزاهة : ٥/٤٧٩ .

١٢- التَّفَاق

(أ) مِنْ صِفَاتِ الْمُتَّفِقِ :

قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ مَرْزِيدٍ : سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ يَقُولُ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَقُولُ قَلِيلاً ، وَيَعْمَلُ كَثِيراً ، وَإِنَّ الْمُتَّفِقَ يَتَكَلَّمُ كَثِيراً ، وَيَعْمَلُ قَلِيلاً^(١) .

وَعَنْ شَقِيقٍ قَالَ : مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مِثْلُ مَنْ غَرَسَ نَخْلَةً يَخَافُ أَنْ تَحْمِلَ شَوْكاً ، وَمِثْلُ الْمُتَّفِقِ مِثْلُ مَنْ زَرَعَ شَوْكاً يَطْمَعُ أَنْ يَحْمِلَ تَمراً ، هَيْهَاتَ^(٢) .

(ب) الْخَوْفُ مِنَ التَّفَاقِ الْعَمَلِيِّ :

رَوَى أَبُو حَيَّانَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدٍ قَالَ : مَا عَرَّضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خِفْتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّباً^(٣) .

(ج) مِنْ صُورِ التَّفَاقِ الْعَمَلِيِّ :

عَنْ وَهْبِ بْنِ مُثَنَّبِهِ ، قَالَ : إِذَا سَمِعْتَ مَنْ يَمْدَحُكَ بِمَا لَيْسَ فَيْكَ ، فَلَا تَأْمَنَّهُ أَنْ يَذُمَّكَ بِمَا لَيْسَ فَيْكَ^(٤) .

وَمِنْ كَلَامِ الْخَرَّازِ : كُلُّ بَاطِنٍ يُخَالِفُهُ ظَاهِرٌ فَهُوَ بَاطِلٌ^(٥) .

* * *

(١) انظر السير : (الأوزاعي) ٧/١٠٧-١٣٤ ، وانظر النزهة : ٢/٦٨٤ .

(٢) انظر السير : (شقيق) ٩/٣١٣-٣١٦ ، وانظر النزهة : ٧/٨٢٣ .

(٣) انظر السير : (إبراهيم بن يزيد) ٥/٦٠-٦٢ ، وانظر النزهة : ٤/٥٨٠ .

(٤) انظر السير : (وهب بن مثنبه) ٤/٥٤٤-٥٥٧ ، وانظر النزهة : ٨/٥٥٤ .

(٥) انظر السير : (الخرزاز) ١٣/٤١٩-٤٢٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٩٧ .

الحُبُّ والعِشْقُ

١- قِصَصُ الحُبِّ :

عن ابنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا أَسْوَدَ ، يُسَمَّى : مُغِيثًا ، فَقَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا أَرْبَعَ قَضِيَّاتٍ : أَنَّ مَوَالِيهَا اشْتَرَطُوا الْوَلَاءَ ، فَقَضَى أَنَّ الْوَلَاءَ لِمَنْ أَعْتَقَ ، وَخُيِّرَتْ فَاخْتَارَتْ نَفْسَهَا ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ أَنْ تَعْتَدَّ فَكُنْتُ أَرَاهُ يَتَّبِعُهَا فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ ، يَعْصِرُ عَيْنَيْهِ عَلَيْهَا .

قَالَ : وَتُصَدَّقُ عَلَيْهَا بِصَدَقَةٍ ، فَأَهْدَتْ مِنْهَا إِلَى عَائِشَةَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « هُوَ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ » .

وعن ابنِ سِيرِينَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ بَرِيرَةَ فَكَلَّمَهَا فِيهِ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَشِيءٌ وَاجِبٌ ؟ قَالَ : « لَا ، إِنَّمَا أَشْفَعُ لَهُ » ^(١) .

عن عِكْرَمَةَ ، قَالَ : ذَكَرَ زَوْجُ بَرِيرَةَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : ذَاكَ مُغِيثٌ ، عَبْدُ بَنِي فُلَانٍ ، قَدْ رَأَيْتَهُ يَبْكِي خَلْفَهَا يَتَّبِعُهَا فِي الطَّرِيقِ .

فَأَمَّا الْجَارِيَةُ الَّتِي فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ ، الَّتِي سُئِلَتْ عَمَّا تَعَلَّمُ عَنْ عَائِشَةَ ، فَأُخْرِجِي غَيْرُ بَرِيرَةَ ^(٢) .

وقد هَوِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقُ ابْنَةَ الْجُودِيِّ ، وَتَغَزَلَ فِيهَا بِقَوْلِهِ :

(١) ابن سعد (٢٥٩/٨) ، ورجاله ثقات ، لكنه مرسل ، وأخرج البخاري في « صحيحه » (٣٥٩/٩) في الطلاق : « باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في زوج بريرة » عن طريق محمد بن سلام ، عن عبد الوهاب الثقفي ، عن خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن زوج بريرة كان عبداً يُقال له « مغيث » كأنى أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ، ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعباس : « يَا عَبَّاسُ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثِ بَرِيرَةَ ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا » ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَوْ رَاجَعْتَهُ » قالت : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ » قالت : فلا حاجة لي فيه .

(٢) انظر السير : (بَرِيرَةُ مَوْلَاةُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ) ٢/٢٩٧-٣٠٤ ، وانظر النزعة : ٢/٢٦٣ .

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالسَّمَاءَ دُونَهَا فَمَا لَابْنَةِ الْجُودِيِّ لَيْلَى وَمَا لِيَا
وَأَنْتَى تُعَاطِي قَلْبَهُ حَارِثِيَّةً تَدَمَّنُ بَصْرِي^(١) أَوْ تَحُلُّ الْجَوَائِيَا
وَأَنْتَى تُلَاقِيهَا بَلَى وَلَعَلَّهَا إِنْ النَّاسُ حَجُّوا قَابِلًا أَنْ تُوَافِيَا

فَقَالَ عُمَرُ لِأَمِيرِ عَسْكَرِهِ : إِنْ ظَفَرْتَ بِهِذِهِ عَنُودَ ، فَادْفَعِهَا إِلَى ابْنِ أَبِي بَكْرٍ ، فَظَفَرَ بِهَا ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ فَأَعْجَبَ بِهَا ، وَآثَرَهَا عَلَى نِسَائِهِ ، حَتَّى شَكُونَهُ إِلَى عَائِشَةَ ، فَقَالَتْ لَهُ : لَقَدْ أَفْرَطْتَ فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَشُفُ مِنْ ثَنَائِهَا حَبَّ الرُّمَّانِ فَأَصَابَهَا وَجَعٌ فَسَقَطَتْ أَسْنَانُهَا ، فَجَفَّأَهَا ، حَتَّى شَكَّتَهُ إِلَى عَائِشَةَ فَكَلَّمْتَهُ قَالَ : فَجَهَّزَهَا إِلَى أَهْلِهَا وَكَانَتْ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ^(٢) .

ذَكَرَ الرَّزِيُّرِيُّ بْنُ بَكَّارٍ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : دَخَلَ ابْنُ أَبِي عَمَّارٍ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ فَقِيَهُ أَهْلَ الْحِجَازِ عَلَى نَخَّاسٍ فَعَرَضَ عَلَيْهِ جَارِيَةً فَعَلَّقَ بِهَا وَأَخَذَهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ مِقْدَارٌ ثَمَنِهَا فَمَشَى إِلَيْهِ عَطَاءٌ وَطَاوُوسٌ وَمُجَاهِدٌ يَغْدُلُونَهُ وَبَلَغَ خَبْرُهُ عَبْدَ اللَّهِ فَاشْتَرَاهَا بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا وَزَيْنَبُهَا وَحَلَّأَهَا ثُمَّ طَلَبَ ابْنَ أَبِي عَمَّارٍ فَقَالَ : مَا فَعَلَ حُبُّكَ فُلَانَةَ ؟ قَالَ : هِيَ الَّتِي هَامَ قَلْبِي بِذِكْرِهَا وَالنَّفْسُ مَشْغُولَةٌ بِهَا فَقَالَ : يَا جَارِيَةَ أَخْرِجِيهَا فَأَخْرَجْتَهَا تَرَفُّلُ فِي الْحُلِيِّ وَالْحُلَلِ ، فَقَالَ شَأْنُكَ بِهَا بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا فَقَالَ : تَفَضَّلْتَ بِشَيْءٍ مَا يَتَفَضَّلُ بِهِ إِلَّا اللَّهُ فَلَمَّا وَلَّى بِهَا قَالَ يَا غُلَامُ احْمَلْ مَعَهُ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَقَالَ : لَتُنَّ وَاللَّهِ وَوَعِدْنَا نَعِيمَ الْآخِرَةِ فَقَدْ عَجَلْتَ نَعِيمَ الدُّنْيَا^(٣) .

الْمَجْنُونُ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ : قَيْسُ بْنُ الْمُلُوحِ ، مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، الَّذِي قَتَلَهُ الْحُبُّ فِي لَيْلَى بِنْتِ مَهْدِي الْعَامِرِيَّةِ^(٤) .

(١) قوله (تَدَمَّنُ بَصْرِي) أي : تَغَشَّاهَا وَتَلَزَمَهَا .

(٢) انظر السير : (عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق) ٢/٤٧١-٤٧٣ ، وانظر النزعة : ٢/٢٩٢ .

(٣) انظر السير : (عبد الله بن جعفر) ٣/٤٥٦-٤٦٢ ، وانظر النزعة : ٣/٤٠٩ .

(٤) انظر السير : (الْمَجْنُونُ) ٤/٥-٧ ، وانظر النزعة : ١/٤٢٩ .

قد أنكر بعضهم لئلي والمجنون ، وهذا دفع بالصدر ، فما من لم يعلم حجة على من عنده علم ، ولا المثبت كالتأني ، لكن إذا كان المثبت لشيء شبه خرافة ، والتأني ليس غرضه دفع الحق ، فهنا التأني مُقَدَّمٌ ، وهنا تقع المكابرة وتُسكَبُ العبرة ، فقيل : إنَّ المَجْنُونِ عَلِقَ لَيْلَىٰ عِلَاقَةَ الصَّبَا وَكَانَا يَرَعِيَانِ الْبَهْمَ^(١) . (٢) .

أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ وَمَا أَفْحَلَ شِعْرَهُ :

تَعَلَّقْتُ لَيْلَىٰ وَهِيَ ذَاتُ ذُؤَابَةِ وَلَمْ يَبْدُ لِلْأُتْرَابِ مِنْ ثُدْيِهَا حَجْمُ
صَغِيرَيْنِ نَزَعَى الْبَهْمَ يَا لَيْتَ أَنَا إِلَى الْيَوْمِ لَمْ نَكْبُرْ وَلَمْ تَكْبُرِ الْبَهْمُ
فَاشْتَدَّ شَغْفُهُ بِهَا حَتَّىٰ وَسُوسَ وَتَحَبَّلَ فِي عَقْلِهِ^(٣) .

قال أبو عبيدة : تزايد به الأمر حتى فقد عقله ، فكان لا يؤويه رَحْلٌ ولا يعلوه ثوبٌ إلا مزقه ، ويُقال : إنَّ قومَ لئلي شكوا المَجْنُونِ إلى السُّلْطَانِ ، فأهدر دمه ، وترحل قومها بها .

فجاءَ وبقيَ يَتَمَرَّغُ فِي الْمَحَلَّةِ ، ويقول^(٤) :

أَيَا حَرَجاتِ^(٥) الحيِّ حيثَ تحمّلوا بذى سلم^(٦) لا جادكُنَّ ربيعُ
وخيماتك اللاتي مُنْعَرَجِ اللوى بليِنَ بلىِّ لم تَبْلَهُنَّ رُبوعُ

وقيل : إنَّ قومَه حَجُّوا به لِيَرَوَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَدْعُو حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بِمِنَى سَمِعَ نِدَاءً : يَا لَيْلَىٰ ، فغشي عليه وجزعت هي لفراقه وضيئت ، وشعره كثيرٌ من أرق شيءٍ وأعدبه ، وكان في دولة يزيد وابن الزبير^(٧) .

(١) البهْم : جمع بهمة ، وهو الصغير من الضأن ، الذكر والأنثى في ذلك سواء .

(٢) انظر السير : (المَجْنُون) ٧-٥/٤ ، وانظر النزهة : ٢/٤٢٩ .

(٣) انظر السير : (المَجْنُون) ٧-٥/٤ ، وانظر النزهة : ٣/٤٢٩ .

(٤) انظر السير : (المَجْنُون) ٧-٥/٤ ، وانظر النزهة : ٤/٤٢٩ .

(٥) حرجات : جمع حرجة ، وهي الغيضة الملتفة الشجر ، أو الشجرة بين الأشجار لا تصل إليها الأيدي .

(٦) ذو سلم : موضع بالحجاز .

(٧) انظر السير : (المَجْنُون) ٧-٥/٤ ، وانظر النزهة : ١/٤٣٠ .

جَمِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ : ابْنُ مَعْمَرٍ أَبُو عَمْرٍو الْعُدْرِيُّ الشَّاعِرُ الْبَلِيغُ ،
صَاحِبُ بَيْتِنَةٍ .

وَمَا أَحْلَى اسْتِهْلَالَهَ حَيْثُ يَقُولُ :

أَلَا أَيُّهَا النَّوَامُ وَيَحْكُمُ هُبُّوَا أَسْأَلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الْحَبُّ

وَيُحْكِي عَنْهُ تَصَوُّنٌ وَدِينٌ وَعِقَّةٌ .

يُقَالُ : مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَقِيلَ : بَلْ عَاشَ حَتَّى وَقَدَّ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ

الْعَزِيزِ .

وَنظَّمَهُ فِي الدُّرَّةِ ، يُذَكِّرُ مَعَ كُثْبَرِ عَزَّةَ وَالْفَرَزْدَقَ (١) .

٢- شِعْرٌ فِي الْحَبِّ وَالغَزَلِ :

وَقَدْ هَوِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ابْنَةَ الْجُودِيِّ ، وَتَغَزَّلَ فِيهَا بِقَوْلِهِ :

تَذَكَّرْتُ لَيْلِي وَالسَّمَاءُ دُونَهَا فَمَا لَابِنَةَ الْجُودِيِّ لَيْلِي وَمَا لِيَا

وَأَنْسَى تُعَاطِي قَلْبَهُ حَارِثِيَّةً تَدَمَّنَ بِصُرَى (٢) أَوْ تَحَلَّى الْجَوَابِيَا

وَأَنْسَى تُلَاقِيهَا بَلِيًّا وَلَعَلَّهَا إِنْ النَّاسُ حَجُّوْا قَابِلًا أَنْ تُوَافِيَا

فَقَالَ عُمَرُ لِأَمِيرِ عَسْكَرِهِ : إِنْ ظَفَرْتَ بِهَذِهِ عَنَوَةٍ ، فَادْفَعَهَا إِلَى ابْنِ أَبِي بَكْرٍ ، فَظَفَرَ
بِهَا ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ فَأَعْجَبَ بِهَا ، وَأَثَرَهَا عَلَى نِسَائِهِ ، حَتَّى شَكُوْنَهُ إِلَى عَائِشَةَ ، فَقَالَتْ
لَهُ : لَقَدْ أَفْرَطْتَ فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَرُشِفُ مِنْ ثَنَائِهَا حَبَّ الرُّمَّانِ فَأَصَابَهَا وَجَعٌ فَسَقَطَتْ
أَسْنَانُهَا ، فَجَفَّاهَا ، حَتَّى شَكَّتَهُ إِلَى عَائِشَةَ فَكَلَّمَتْهُ قَالَ : فَجَهَّزَهَا إِلَى أَهْلِهَا وَكَانَتْ مِنْ
بَنَاتِ الْمُلُوكِ (٣) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ قَيْسِ بْنِ الْمُلُوحِ : أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ وَمَا أَفْحَلَ شِعْرَهُ :

(١) انظر السير : (جميل بن عبد الله) ٤/١٨١ ، وانظر النزعة : ٢/٤٧٢ .

(٢) قوله : (تدمن بصري) أي : تغشاها وتلزمها .

(٣) انظر السير : (عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق) ٢/٤٧١-٤٧٣ ، وانظر النزعة : ٢/٢٩٢ .

تعلقت ليلى وهي ذات ذؤابة ولم يبد للأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهائم يا ليت أننا إلى اليوم لم تكبر ولم تكبر البهائم
فاشتد شغفه بها حتى وسوس وتخبّل في عقله (١) .

قال أبو عبيدة : تزايد به الأمر حتى فقد عقله ، فكان لا يؤويه رجل ولا يعلوه نوب
إلا مزقه ، ويقال : إن قوم لئلى شكوا المجنون إلى السلطان ، فأهدر دمه ، وترحل
قومها بها .

فجاء وبقي يتمرغ في المحلّة ، ويقول (٢) :

أيا حرجات (٣) الحيّ حيث تحمّلوا بذى سلم (٤) لا جادكن ربيع
وخيماتك اللاتي بمنعرج اللوى يلين بلى لم تبلهن ربوع
قال الإمام الذهبي في ترجمته : ابن معمر أبو عمرو العذري الشاعر البليغ ،
صاحب بئنة .

وما أحلى استهلاله حيث يقول :

ألا أيها النوام ويحكم هبوا أسائلكم : هل يقتل الرجل الحب
ويحكي عنه تصوّن ودين وعفة .

يقال : مات سنة اثنتين وثمانين وقيل : بل عاش حتى وفد على عمر بن عبد العزيز .
ونظمه في الدرّة ، يذكر مع كثير عزة والفرزدق (٥) .
وقال المرسى :

أبتك ما في القلب من لوعة الحب وما قد جنت تلك اللحاظ على لبي

-
- (١) انظر السير : (المجنون) ٧-٥/٤ ، وانظر النزّهة : ٣/٤٢٩ .
(٢) حرجات : جمع حرجة ، وهي الغيضة الملتفة الشجر ، أو الشجرة بين الأشجار لا تصل إليها الأيدي .
(٣) ذو سلم : موضع بالحجاز .
(٤) انظر السير : (المجنون) ٧-٥/٤ ، وانظر النزّهة : ٤/٤٢٩ .
(٥) انظر السير : (جميل بن عبد الله) ١٨١/٤ ، وانظر النزّهة : ٢/٤٧٢ .

أعارتني السُّقْمَ التي بَجُفُونِهَا ولكنْ غدا سُقْمِي على سُقْمِهَا يُرْبِي
 قَالَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : وَلَهُ أَيْبَاتٌ رَقِيقَةٌ هَكَذَا ، وَكَانَ بَحْرَ مَعَارِفِ ،
 رَحْمَةُ اللَّهِ (١) .

٣- شِعْرٌ فِي فَقْدِ الأَحِبَّةِ :

قَالَ أَبُو الفَضْلِ بْنِ المَأْمُونِ : أَنشَدَنَا أَبُو عَلِيٍّ بْنُ مُقَلَّةٍ لِنَفْسِهِ (٢) :

إِذَا أَتَى المَوْتَ لِمِيقَاتِهِ فَخَلَّ عَنِ قَوْلِ الأَطْبَاءِ
 وَإِنْ مَضَى مَنْ أَنْتَ صَبَّبٌ بِهِ فَالصَّبْرُ مِنْ فِعْلِ الأَلْبَاءِ
 مَا مَرَّ شَيْءٌ بِبَنِي آدَمَ أَمْرٌ مِنْ فَقْدِ الأَحْبَاءِ

٤- صَوْرٌ مِنَ العِشْقِ المُحَرَّمِ :

قَالَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الطَّائِعِ لِلَّهِ العَبَّاسِيِّ : وَجَرَتْ وَقَعَةٌ بَيْنَ عِزِّ الدَّوْلَةِ ،
 وَعَضْدِ الدَّوْلَةِ ، أُسِرَ فِيهَا مَمْلُوكٌ أَمْرُدٌ لِعِزِّ الدَّوْلَةِ فَجُنَّ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَ فِي البُكَاءِ ، وَتَرَكَ
 الأَكْلَ وَتَدَلَّلَ فِي طَلْبِهِ ، فَصَارَ ضُحْكَةً وَبَدَلَ جَارِيَتَيْنِ عَوَادَتَيْنِ فِي فِدَائِهِ (٣) .

* * *

(١) انظر السير : (المُرْسِي) ٢٣/٣١٢-٣١٨ ، وانظر النزهة : ١/١٧٣٨ .

(٢) انظر السير : (ابنُ مُقَلَّةٍ) ١٥/٢٢٤-٢٣٠ ، وانظر النزهة : ١/١٢٢٣ .

(٣) انظر السير : (الطَّائِعِ لِه) ١٥/١١٨-١٢٧ ، وانظر النزهة : ٢/١١٩١ .

أخبارُ النساءِ

١- مثالٌ على مُكثِ النساءِ في بُيوتهنَّ وعدمِ الخروجِ إلاَّ لحاجةٍ :
قال مهدي بن ميمون : مكثت حفصة بنت سيرين ثلاثين سنة لا تخرج من مُصلاها
إلاَّ لقائلةٍ أو قضاء حاجةٍ (١) .

٢- الحاكمُ بأمر الله فرضَ على النساءِ الإقامةَ الجبريةَ في البيوتِ :
قال الإمامُ الذهبيُّ في ترجمةِ الحاكمِ العبيديِّ ، صاحبِ مِصرَ : ومنعَ النساءَ من
الخروجِ من البيوتِ ، فأحسنَ ، وأبطلَ عملَ الخفافِ لهنَّ جملةً ، وما زلنَ ممنوعاتٍ
من الخروجِ سبعَ سنينَ وسبعةَ أشهرٍ (٢) .

٣- الحرَّةُ لا تزني :

وقال الإمامُ الذهبيُّ في ترجمةِ العزيزِ باللهِ العبيديِّ ، صاحبِ مِصرَ : وفي سنةِ ستِّ
وسِتِّينَ وثلاثِ مئةٍ حجَّتْ جميلةُ بنتُ ناصرِ الدَّولةِ ، صاحبِ الموصِلِ فمما كانَ معها
أربعَ مئةٍ مخمَلٍ فكانت لا يُدرى في أيِّ مخمَلٍ هي وأعتقت خمسَ مئةٍ نفسٍ ونثرت على
الكعبةِ عشرةَ آلافِ مثقالٍ وسقت جميعَ الوفدِ سويقَ السُّكرِ والثَّلجِ ، كذا قالَ الثعالبيُّ ،
وخلعت وكست خمسينَ ألفاً ولقد خطبها السُّلطانُ عَضدُ الدَّولةِ فأبتَ فحنقَ لذلك ، ثم
تمكَّنَ منها فأفقرها وعذبها ، ثم ألزَمها أنْ تعقدَ في الحانةِ لتحصلَ من الفاحشةِ
ما تُؤدِّي ، فمرَّت مع الأعوانِ ، فقدفتَ نفسها في دجلةٍ ، فغرقت ، عفا اللهُ عنها .
وفي سنةِ ستِّ وثمانينَ في رمضانَ ماتَ العزيزُ ببُلبيسَ في حمَّامٍ من القولنجِ ،
وعمره اثنتانِ وأربعونَ سنةً وأشهرٌ وقامَ ابنه الحاكمُ الزُّنديقُ (٣) .

(١) انظر السير : (حفصة بنت سيرين) ٥٠٧/٤ ، وانظر النزهة : ٣/٥٤٦ .

(٢) انظر السير : (الحاكم) ١٧٣/١٥ - ١٨٤ ، وانظر النزهة : ٥/١٢٠٨ .

(٣) انظر السير : (العزيز بالله) ١٧٣-١٦٧/١٥ ، وانظر النزهة : ١/١٢٠٧ .

٤- مِنْ أَخْبَارِ الْجَوَارِي :

(أ) جَوَارٍ يَحْفَظْنَ الْقُرْآنَ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ زُبَيْدَةَ بِنْتِ جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، زَوْجَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ :
كَانَ فِي قَصْرِهَا مِنَ الْجَوَارِي نَحْوُ مِنْ مِئَةِ جَارِيَةٍ كُلُّهُنَّ يَحْفَظْنَ الْقُرْآنَ (١) .

(ب) أَخْبَارُهُنَّ مَعَ مَوَالِيهِنَّ الْعُلَمَاءِ :

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَزْهَرِيُّ : سَمِعْتُ خَادِمَةَ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الذُّهْلِيَّ ، وَهُوَ عَلَى
السَّرِيرِ يُغَسَّلُ ، تَقُولُ : خَدَمْتُهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكُنْتُ أَضْعُغُ لَهُ الْمَاءَ ، فَمَا رَأَيْتُ سَاقَهُ
قَطُّ ، وَأَنَا مَلِكٌ لَهُ (٢) .

وَقَالَ خَيْثَمَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ : مَارَحَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ يَوْمًا جَارِيَةً لَهُ فَدَفَعْتُهُ فَوْقَ ،
فَانكَسَرَتْ رِجْلُهُ ، فَلَمْ يُحَدِّثْنَا عِشْرِينَ يَوْمًا فَكُنَّا نَلْقَى الْجَارِيَةَ ، وَنَقُولُ : حَسْبُكَ اللَّهُ
كَمَا كَسَرَتْ رِجْلَ الشَّيْخِ ، وَحَبَسْتِنَا عَنِ الْحَدِيثِ (٣) .

٥- مَوَاقِفُ عَظِيمَةٌ لِنِسَاءِ عَظِيمَاتٍ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي بَكْرِ الصُّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي وَقْعَةِ مَرْجِ
الصَّفْرِ : وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : التَّقَوَّا عَلَى النَّهْرِ عِنْدَ الطَّاحُونَةِ ، فَقَتَلَتْ الرُّومُ
يَوْمَئِذٍ حَتَّى جَرَى النَّهْرُ وَطَحَنْتْ طَاحُونَتَهَا بِدِمَائِهِمْ ، فَأَنْزَلَ النَّصْرُ .
وَقَتَلَتْ يَوْمَئِذٍ أُمَّ حَكِيمٍ سَبْعَةَ مِنْ الرُّومِ بِعَمُودٍ فُسْطَاطِهَا (٤) .

وَرُوِيَ أَنَّ نَائِلَةَ بِنْتَ الْفَرَاغِصَةِ ، زَوْجَةَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَتْ مَلِيحَةً
الشَّغْرِ ، فَكَسَرَتْ ثَنَائِيهَا بِحَجَرٍ ، وَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَا يَجْتَلِيكَرَنَّ أَحَدٌ بَعْدَ عُثْمَانَ ، فَلَمَّا

(١) انظر السير : (زُبَيْدَةَ) ٢٤١/١٠ ، وانظر النزهة : ١/٨٧٣ .

(٢) انظر السير : (الذُّهْلِيُّ وَابْنُهُ) ٢٧٣/١٢ - ٢٨٥ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٠٠ .

(٣) انظر السير : (الْبَيْرُوتِيُّ) ٤٧١/١٢ - ٤٧٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٢٢ .

(٤) انظر السير : (أَبُو بَكْرِ الصُّدِّيقِ) ، وانظر النزهة : ١/٤٣ .

قَدِمَت عَلَى مُعَاوِيَةَ الشَّامَ حَظَبَهَا ، فَأَبَتْ (١) .

وعن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، قال : حَظَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ ، فَقَالَتْ : أَمَا إِنِّي فِيكَ لِرَاغِبَةٌ ، وَمَا مِثْلُكَ يُرَدُّ ، وَلَكِنَّكَ كَافِرٌ ، فَإِنْ تُسَلِّمَ فَذَلِكَ مَهْرِي ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ فَأَسْلَمَ ، وَتَرَوَّجَهَا .

قال ثابتٌ : فما سَمِعْنَا بِمَهْرٍ كَانَ قَطُّ أَكْرَمَ مِنْ مَهْرِ أُمَّ سُلَيْمٍ : الإسلامُ (٢) .

قالت عائشةُ : أَوَّلُ مَا بُدِيَءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ إِلَى أَنْ قَالَتْ : فَقَالَ : ﴿ أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (٣) قالت : فَرَجَعَ بِهَا تَرَجُفُ بَوَادِرِهِ (٤) حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ ، فَقَالَ : « زَمَلُونِي » فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، فَقَالَ : « مَا لِي يَا خَدِيجَةُ ؟ » وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَقَالَ : « قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي » فَقَالَتْ لَهُ : كَلًّا ، أَبْشِرْ ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ وَانْطَلَقَتْ بِهِ إِلَى ابْنِ عَمَّتِهَا وَرَقَّةَ بِنْتِ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدٍ ، وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرَفَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْخَطَّ الْعَرَبِيَّ ، وَكَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ ، وَكَانَ شَيْخًا قَدِ عَمِيَ فَقَالَتْ : اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ مَا يَقُولُ : فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، مَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى الْحَدِيثِ (٥) ، (٦) .

شَهِدَتْ أُمَّ عُمَارَةَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ ، وَشَهِدَتْ أَحَدًا ، وَالْحُدَيْبِيَّةَ ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ، وَيَوْمَ الْيَمَامَةِ وَجَاهَدَتْ ، وَفَعَلَتْ الْأَفَاعِيلَ ، وَقَطَعَتْ يَدَهَا فِي الْجِهَادِ .

(١) انظر السير : (عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ) ، وانظر النزهة : ١/٨٠ .

(٢) انظر السير : (أَبُو طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ) ٢/٢٧-٣٤ ، وانظر النزهة : ٥/٢١٣ .

(٣) سورة العلق ، الآية : ١ .

(٤) جمع بادرة ، وهي لحمة بين المنكب والعنق .

(٥) وتماؤه : لِيَتَنِي فِيهَا جَدْعًا ، لِيَتَنِي أَكُونَ حَيًّا إِذْ يُخْرَجُكَ قَوْمُكَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَوْمُخْرَجِي هُم !! ؟ » قَالَ وَرَقَّةُ : نَعَمْ ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا أَوْذِي ، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرُكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَّةُ أَنْ تُوفِّي ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ .

(٦) انظر السير : (خَدِيجَةُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ) ٢/١٠٩-١١٧ ، وانظر النزهة : ٤/٢٢٧ .

وكان ضَمْرَةٌ بِنُ سَعِيدِ الْمَازِنِيِّ يُحَدِّثُ عَنْ جَدَّتِهِ ، وكانت قد شَهِدَتْ أُحُدًا ،
قالت : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَمَقَامُ نَسِيَّةِ بِنْتِ كَعْبِ الْيَوْمِ
خَيْرٌ مِنْ مَقَامِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ » .

وكانت تَرَاهَا تُقَاتِلُ أَشَدَّ مَا يَكُونُ الْقِتَالُ ، وإنَّهَا لِحَاجِزَةٌ تُؤَبِّهَا عَلَيَّ وَسَطِهَا حَتَّى
جُرِحَتْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ جُرْحًا ، وكانت تقولُ : إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى ابْنِ قَمِيَّةٍ وَهُوَ يَضْرِبُهَا عَلَيَّ
عَاتِقِهَا ، وكانَ أَعْظَمَ جِرَاحِهَا ، فِدَاؤَتُهُ سَنَةً ثُمَّ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ فَشَدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا ، فَمَا اسْتَطَاعَتْ مِنْ نَزْفِ الدَّمِ رَضِيَّ اللَّهُ
عنها وَأَرْضاها وَرَحِمَهَا .

وعن عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةٍ قَالَ : قَالَتْ أُمُّ عُمَارَةَ : رَأَيْتُنِي ، وَانْكَشَفَ النَّاسُ عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَا بَقِيَ إِلَّا نَفِيرٌ مَا يُتِمُّونَ عَشْرَةَ ، وَأَنَا وَابْنَايَ وَرَوْجِي
بَيْنَ يَدَيْهِ نَذْبُ عَنْهُ ، وَالنَّاسُ يَمْرُؤُونَ بِهِ مُنْهَزِمِينَ ، وَرَأَيْتُنِي وَلَا تُرْسَ مَعِي ، فَرَأَى رَجُلًا
مَوْلِيًا وَمَعَهُ تُرْسٌ ، فَقَالَ : « أَلَيْ تُرْسَكَ إِلَيَّ مِنْ يُقَاتِلُ » فَأَلْقَاهُ فَأَخَذَتْهُ فَجَعَلَتْ أُتْرُسُ بِهِ
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّمَا فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيلَ أَصْحَابُ الْخَيْلِ ، لَوْ كَانُوا
رَجَالَةً مِثْلَنَا أَصَبْنَاهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَيُقْبَلُ رَجُلٌ عَلَيَّ فَرَسَهُ يَضْرِبُنِي ، وَتَرَسْتُ لَهُ ، فَلَمْ
يَصْنَعْ شَيْئًا ، فَأَضْرِبُ عُرْقُوبَ فَرَسِهِ ، فَوْقَ عَلِيٍّ ظَهْرَهُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَصِيحُ : « يَا ابْنَ أُمِّ عُمَارَةَ ، أَمَّا ! أَمَّا ! » ، قَالَتْ : فَعَاوَنَنِي عَلَيْهِ ، حَتَّى أَوْرَدْتُهُ
شعوب^(١) .

وعن مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقِبِ بْنِ حَبَّانٍ قَالَ : جُرِحَتْ أُمُّ عُمَارَةَ بِأُحُدٍ اثْنِي عَشَرَ جُرْحًا ،
وَقُطِعَتْ يَدُهَا يَوْمَ الْيَمَامَةِ ، وَجُرِحَتْ يَوْمَ الْيَمَامَةِ سِوَى يَدِهَا أَحَدَ عَشَرَ جُرْحًا ، فَقَدِمَتْ
الْمَدِينَةَ وَبِهَا الْجِرَاحَةُ ، فَلَقْدَ رُئِيَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ خَلِيفَةٌ ، بِأَيْتِهَا يَسْأَلُ
عنها^(٢) .

(١) شعوب : من أسماء المنية .

(٢) انظر السير : (أم عُمارة) ٢/٢٧٨-٢٨٢ ، وانظر النزعة : ٤/٢٥٨ .

وعن أسماء بنت الصديق ، قالت : لَمَّا تَوَجَّهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ حَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ جَمِيعَ مَالِهِ - خَمْسَةَ آلَافٍ - ، أَوْ سِتَّةَ آلَافٍ - فَأَتَانِي جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ وَقَدْ عَمِيَ ، فَقَالَ : إِنَّ هَذَا قَدْ فَجَعَكُمْ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ فَقُلْتُ : كَلًّا ، قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا .

فَعَمَدْتُ إِلَى أَحْجَارٍ ، فَجَعَلْتُهُنَّ فِي كَوَّةِ الْبَيْتِ ، وَغَطَّيْتُ عَلَيْهَا بِثَوْبٍ ، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ ، وَوَضَعْتُهَا عَلَى الثَّوْبِ ، فَقُلْتُ : هَذَا تَرَكَهُ لَنَا فَقَالَ : أَمَا إِذْ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا ، فَنَعَمْ (١) .

جَاءَ فِي تَرْجَمَةِ أُمِّ سُلَيْمٍ (الْغَمِيصَاءُ) : قَالَ الذَّهَبِيُّ : شَهِدَتْ حُنَيْنًا ، وَأُحْدَا مِنْ أَفَاضِلِ النِّسَاءِ .

وعن أنس : أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ خِنْجَرًا يَوْمَ حُنَيْنٍ ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ! فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ دَنَا مِنِّي مُشْرِكٌ بَقَرْتُ بَطْنَهُ .

وعن إسحاق بن عبد الله ، عن جدته أم سليم : أَنَّهَا آمَنَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ : فَجَاءَ أَبُو يُونُسَ ، وَكَانَ غَائِبًا ، فَقَالَ : أَصَبَوْتُ ؟ فَقَالَتْ : مَا صَبَوْتُ ، وَلَكِنِّي آمَنْتُ! وَجَعَلْتُ تُلْقِنُ أَنْسَاً : قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قُلْ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَفَعَلَ فَيَقُولُ لَهَا أَبُوهُ : لَا تُفْسِدِي عَلَيَّ ابْنِي ، فَتَقُولُ : إِنِّي لَا أَفْسِدُهُ!

فَخَرَجَ مَالِكٌ ، فَلَقِيَهُ عَدُوٌّ لَهُ فَقَتَلَهُ فَقَالَتْ : لَا جَرَمَ ، لَا أَفْطِمُ أَنْسَاً حَتَّى يَدَعَ الثَّدْيِي ، وَلَا أَتَزَوِّجُ حَتَّى يَأْمُرَنِي أَنْسٌ فَخَطَبَهَا أَبُو طَلْحَةَ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ ، فَأَبَتْ (٢) .

وعن أنس ، قَالَ : خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ ، فَقَالَتْ : إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ أَتَزَوِّجَ مُشْرِكًا ، أَمَا تَعْلَمُ يَا أَبَا طَلْحَةَ أَنَّ إِلَهَتَكُمْ يَنْحَتُّهَا عَبْدُ آلِ فُلَانٍ ، وَأَنْكُمْ لَوْ أَشْعَلْتُمْ فِيهَا

(١) انظر السير : (أسماء بنت أبي بكر) ٢/٢٨٧-٢٩٦ ، وانظر النزهة : ٣/٢٦١ .

(٢) انظر السير : (أم سليم الغميصاء) ٢/٣٠٤-٣١١ ، وانظر النزهة : ١/٤٦٢ .

ناراً لا حترقت؟ قال: فانصرف وفي قلبه ذلك ثم أتاها وقال: الذي عرضت عليّ قد قبلت قال: فما كان لها مهراً إلا الإسلام^(١).

وعن أنس، قال: حدّثني أمّ حرام بنت ملحان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في بيتها يوماً، فاستيقظ وهو يضحك فقلت: يا رسول الله ما أضحكك؟ قال صلى الله عليه وسلم: «عرض عليّ ناس من أمّتي يزكّبون ظهراً لهذا البحر، كالملوك على الأسرة» قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم قال صلى الله عليه وسلم: «أنت من الأولين».

فتزوجها عبادة بن الصامت، فغزا بها في البحر، فحملها معه فلما رجعوا قرّبت لها بغلة لتركبها فصرعتها، فدقت عنقها، فماتت رضي الله عنها.

قال الإمام الذهبيّ معقباً: يُقال هذه غزوة قبرس^(٢) في خلافة عثمان رضي الله عنه.

قال الإمام الذهبيّ: إن قبرها تزوره الفرنج^(٣).

وقال حماد بن سلمة: أخبرنا ثابت: أن صيلة بن أشيم كان في الغزو، ومعه ابنته، فقال: أي بني! تقدّم، فقاتل حتى احتسبك، فحمل، فقاتل حتى قتل، ثم تقدّم صيلة، فقتل، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة، فقالت: مرحباً إن كنتن جئتن لتهنّنيني، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن^(٤).

وقال الإمام الذهبيّ في ترجمة معاذة، زوجة صيلة بن أشيم: ولما استشهد زوجها صيلة وابنتها في بعض الحروب، اجتمع النساء عندها فقالت: مرحباً بكن إن كنتن جئتن للهنا، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن^(٥).

(١) انظر السير: (أم سليم الغميصاء) ٢/٣٠٤-٣١١، وانظر النزهة: ٢/٤٦٢.

(٢) هي الجزيرة المعروفة إلى اليوم باسم «قبرص»، وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبي سفيان، ومعه أبو ذر وأبو الدرداء، وغيرهما من الصحابة، وذلك سنة سبع وعشرين.

(٣) انظر السير: (أم حرام) ٢/٣١٦-٣١٧، وانظر النزهة: ٤/٢٦٧.

(٤) انظر السير: (صيلة بن أشيم) ٣/٤٩٧-٥٠٠، وانظر النزهة: ٢/٦١٤.

(٥) انظر السير: (معاذة) ٤/٥٠٨-٥٠٩، وانظر النزهة: ٦/٥٤٦.

٦- النَّسَاءُ فِتْنَةٌ :

عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ : مَا أَيْسَ الشَّيْطَانُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ النَّسَاءِ^(١) .

وعن عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ : لَوْ أَتَيْتُمُنِي عَلَى بَيْتِ مَالٍ لَكُنْتُ أَمِينًا ، وَلَا آمَنْ نَفْسِي عَلَى أُمَّةٍ شَوْهَاءٍ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : صَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْحَدِيثِ « أَلَا لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ ، فَإِنَّ تَالِيَهُمَا الشَّيْطَانُ » .

مَاتَ عَطَاءٌ سَنَةَ خَمْسِ عَشْرَةَ وَمِئَةً^(٢) .

وَقَالَ ابْنُ الْمَاجِشُونَ وَآخَرُ : إِنَّ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ : وَاللَّهِ مَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِأَحْوَجَ إِلَى اللَّهِ مِنِّي ، فَأَقَامَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يَسِيرُ بِسِيرَتِهِ ، فَتَلَطَّفَتْ حَبَابَةُ وَغَنَّتُهُ أَيْبَاتًا ، فَقَالَ لِلخَادِمِ : وَيْحَكَ ! قُلْ لِصَاحِبِ الشَّرْطِ يُصَلِّي بِالنَّاسِ^(٣) .

وهي التي أَحَبَّ يَوْمًا الْخُلُوةَ مَعَهَا ، فَحَذَفَهَا بِعِنْبَةٍ ، وَهِيَ تَضْحَكُ ، فَوَقَعَتْ فِيهَا فَشْرِقَتْ ، فَمَاتَتْ ، وَبَقِيَتْ عِنْدَهُ حَتَّى أَرْوَحَتْ وَاعْتَمَّ لَهَا ، ثُمَّ زَارَ قَبْرَهَا وَقَالَ :

فَإِنْ تَسَلُّ عِنكَ النَّفْسُ أَوْ تَدَعِ الصَّبَا فَبِالْيَأْسِ تَسْلُو عِنكَ لَا بِالتَّجَلُّدِ
وَكُلُّ خَلِيلٍ زَارَنِي فَهُوَ قَائِلٌ مِنْ أَجْلِكَ هَذَا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ

ثُمَّ رَجَعَ ، فَمَا خَرَجَ إِلَّا عَلَى النَّعْشِ ، وَقِيلَ : عَاشَ بَعْدَهَا خَمْسَةَ عَشْرَ يَوْمًا .

وَكَانَتْ بَدِيعَةَ الْحُسْنِ مُجِيدَةً لِلْغِنَاءِ ، لِأَنَّهَا أَخُوهُ مَسْلَمَةٌ مِنْ شَعْفِهِ بِهَا ، وَتَرْكِهِ مَصَالِحَ الْمُسْلِمِينَ ، فَمَا أَفَادَ .

وَكَانَ لَا يَصْلُحُ لِلْإِمَامَةِ ، مَصْرُوفَ الْهِمَّةِ إِلَى اللَّهْوِ وَالْغَوَانِي .

(١) انظر السير : (سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ) ٤/٢١٧-٢٤٦ ، وانظر النزاهة : ١/٤٨٧ .

(٢) انظر السير : (عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ) ٥/٧٨-٨٨ ، وانظر النزاهة : ٥/٥٨٣ .

(٣) انظر السير : (يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ) ٥/١٥٠-١٥٢ ، وانظر النزاهة : ٢/٥٩٣ .

ماتَ لِخَمْسِ بَقِيْنَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسِ وَمِئَةٍ ، فَكَانَتْ دَوْلَتُهُ أَرْبَعَةَ أَعْوَامٍ وَشَهْرًا ،
وَعَهْدًا بِالْخِلَافَةِ إِلَى أَخِيهِ هِشَامٍ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ ، ذَلِكَ الْفَوْيَسِقُ ،
وَحَلَفَ أَحَدَ عَشَرَ ابْنًا^(١) .

٧- التَّعَلُّقُ بِهِنَّ مَشْغَلَةٌ عَنِ التَّرَقِّيِّ :

قَالَ خَلْفُ بْنُ تَمِيمٍ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ : مَنْ أَحَبَّ أَفْخَاذَ النِّسَاءِ لَمْ
يُفْلِحْ^(٢) .

* * *

(١) انظر السير : (يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ) ١٥٠/٥ - ١٥٢ ، وانظر النزهة : ٣/٥٩٣ .

(٢) انظر السير : (سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ) ٧/٢٢٩ - ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٦/٦٩٧ .

الزَّوْج

١- حِرْصُ السَّلَفِ عَلَى الزَّوْجِ :

وعن طاووسٍ قَالَ : لَا يَتِمُّ نُسُكُ الشَّابِّ حَتَّى يَتَزَوَّجَ ^(١) .

وعن إبراهيم بن ميسرة قَالَ : قَالَ لِي طَاوُوسٌ : تَزَوَّجْ أَوْ لِأَقُولَنَّ لَكَ مَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي الزَّوَائِدِ : مَا يَمْنَعُكَ مِنَ النِّكَاحِ إِلَّا عَجْزٌ أَوْ فُجُورٌ ^(٢) .

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : لَوْ كَانَ بِشَرِّ بْنِ الْحَارِثِ تَزَوَّجَ لَتَمَّ أَمْرُهُ ^(٣) .

وقيل لأحمد بن حنبل : مات بشر قال : مات والله وما له نظير ، إلا عامر بن عبد قيس فإن عامراً مات ولم يترك شيئاً ثم قال أحمد : لو تزوج ^(٤) .

٢- من أسباب عدم زواج بعض العلماء :

قال محمد بن طاهر : سألت الحافظ أبا إسحاق الحبال عن أبي نصر السجزي ، وأبي عبد الله الصوري ، أيهما أحفظ ؟ فقال : كان السجزي أحفظ من خمسين مثل الصوري ثم قال إسحاق : كنت يوماً عند أبي نصر السجزي ، فدق الباب ، فقمْتُ ففتحت ، فدخلت امرأة ، وأخرجت كيساً فيه ألف دينار ، فوضعت بين يدي الشيخ ، وقالت : أنفقها كما ترى ! قال : ما المقصود ؟ قالت : تتزوجني ولا حاجة لي في الزوج ، لكن لأخدمك فأمرها بأخذ الكيس ، وأن تنصرف ، فلما انصرفت ، قال : خرجت من سجستان بنيت طلب العلم ، ومتى تزوجت ، سقط عني هذا الاسم ، وما أوتيت على ثواب طلب العلم شيئاً ^(٥) .

(١) انظر السير : (طاووس) ٣٨/٥-٤٩ ، وانظر النزهة : ١/٥٧٩ .

(٢) انظر السير : (طاووس) ٣٨/٥-٤٩ ، وانظر النزهة : ٢/٥٧٩ .

(٣) انظر السير : (بشر بن الحارث) ١٠/٤٦٩-٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٧/٨٨٥ .

(٤) انظر السير : (بشر بن الحارث) ١٠/٤٦٩-٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٧/٨٨٦ .

(٥) انظر السير : (أبو نصر السجزي) ١٧/٦٥٤-٦٥٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٧٢ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعَقَّباً : كَأَنَّهُ يُرِيدُ مَتَى تَزَوَّجَ لِلذَّهَبِ ، نَقَصَ أَجْرَهُ ، وَإِلَّا فَلَوْ تَزَوَّجَ فِي الْجُمْلَةِ ، لَكَانَ أَفْضَلَ ، وَلَمَّا قَدَحَ ذَلِكَ فِي طَلَبِهِ الْعِلْمِ ، بَلْ يَكُونُ قَدْ عَمِلَ بِمُقْتَضَى الْعِلْمِ ، لَكِنَّهُ كَانَ غَرِيباً ، فَخَافَ الْعَيْلَةَ ، وَأَنْ يَتَفَرَّقَ عَلَيْهِ حَالُهُ عَنِ الطَّلَبِ .
تُوَفِّي أَبُو نَصْرٍ بِمَكَّةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ (١) .

٣- الزَّوْجُ الصَّالِحُ :

عَنْ ثَابِتِ بْنِ عُيَيْدٍ ، قَالَ : كَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ أَفْكِهِ النَّاسِ فِي أَهْلِهِ وَأُزْمَتِهِ عِنْدَ الْقَوْمِ (٢) .

وَقَالَ شُرَيْحُ الْقَاضِي (٣) :

رَأَيْتُ رَجَالاً يَضْرِبُونَ نِسَاءَهُمْ فَشَلَّتْ يَمِينِي حِينَ أَضْرَبُ زَيْنَبَا
وَزَيْنَبُ شَمْسٌ وَالنِّسَاءُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ تُبْقِ مِنْهُنَّ كَوَكْبَا

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ : كَانَ أَبِي إِذَا أَتَى الْبَيْتَ مِنَ الْمَسْجِدِ ، ضَرَبَ بِرِجْلِهِ حَتَّى يَسْمَعُوا صَوْتَ نَعْلِهِ ، وَرُبَّمَا تَنَخَّنَحَ لِيَعْلَمُوا بِهِ (٤) .

قَالَ الْخَلَّالُ : سَمِعْتُ الْمَرُوذِيَّ ، سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، ذَكَرَ أَهْلَهُ فَتَرَحَّمَ عَلَيْهَا ، وَقَالَ : مَكَّنْتُنَا عِشْرِينَ سَنَةً ، مَا اخْتَلَفْنَا فِي كَلِمَةٍ وَمَا عَلَّمْنَا أَحْمَدَ تَزَوُّجَ ثَالِثَةَ (٥) .

٤- الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ :

عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ : لَمَّا مَرَضَتْ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ ، أَتَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاسْتَأْذَنَ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : يَا فَاطِمَةُ ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ ، فَقَالَتْ : أَتَحِبُّ أَنْ أَدْنَ لَهُ قَالَ : نَعَمْ .

(١) انظر السير : (أبو نصر السجزي) ١٧/٦٥٤-٦٥٧ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٧٢ .

(٢) انظر السير : (زيد بن ثابت) ٢/٤٢٦-٤٤١ ، وانظر النزهة : ٦/٢٨٧ .

(٣) انظر السير : (شريح القاضي) ٤/١٠٠-١٠١ ، وانظر النزهة : ٥/٤٥٧ .

(٤) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٤/٩٤٧ .

(٥) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٤/٩٤٨ .

قال الذهبي : عَمِلْتُ السُّنَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، فَلَمْ تَأْذَنْ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا إِلَّا بِأَمْرِهِ .
 قال : فَأَذِنْتُ لَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَتَرَضَّاهَا ، وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا تَرَكَتُ الدَّارَ وَالْمَالَ
 وَالْأَهْلَ وَالْعَشِيرَةَ إِلَّا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَمَرْضَاتِكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ .
 قال : ثُمَّ تَرَضَّاهَا حَتَّى رَضِيَتْ (١) .

تُوَفِّيَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسَةِ شُهُورٍ أَوْ نَحْوِهَا ،
 وَعَاشَتْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً (٢) .

قَالَ حَمِيدٌ : قَالَ أَنَسٌ : ثَقَلَ ابْنُ لَأْمٍ سَلِيمَ الْغَمِيصَاءِ ، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى
 الْمَسْجِدِ ، فَتَوَفَّى الْعُلَامَ فَهَيَّأَتْ أُمُّ سَلِيمٍ أَمْرَهُ ، وَقَالَتْ : لَا تُخْبِرُوهُ .

فَرَجَعَ ، وَقَدْ سَيَّرَتْ لَهُ عِشَاءَهُ ، فَتَعَشَّى ، ثُمَّ أَصَابَ مِنْ أَهْلِهِ فَلَمَّا كَانَ آخِرَ اللَّيْلِ ،
 قَالَتْ : يَا أَبَا طَلْحَةَ ، أَلَمْ تَرَ إِلَى آلِ أَبِي فُلَانَ اسْتَعَارُوا عَارِيَةً ، فَمَنَعُوهَا ، وَطَلَبْتَ
 مِنْهُمْ ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : مَا أَنْصَفُوا قَالَتْ : فَإِنَّ ابْنَكَ كَانَ عَارِيَةً مِنَ اللهِ ، فَقَبِضْهُ
 فَاسْتَرْجِعْ ، وَحَمِدَ اللهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَأَهُ ،
 قَالَ : « بَارَكَ اللهُ لَكُمْ فِي لَيْلَتِكَمَا » .

فَحَمَلَتْ بَعْدَ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، فَوَلَدَتْ لَيْلًا ، فَأُرْسِلَتْ بِهِ مَعِيَ ، وَأَخَذْتُ ثَمَرَاتِ
 عَجْوَةٍ ، فَاثْتَهَيْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ يَهْنَأُ أَبَاعِرَ لَهُ ، وَيَسْمُهَا
 فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَلَدَتْ أُمُّ سَلِيمٍ اللَّيْلَةَ .

فَمَضَغَ بَعْضَ الثَّمَرَاتِ بَرِيْقِهِ ، فَأَوْجَرَهُ إِيَّاهُ ، فَتَلَمَّظَ الصَّبِيَّ ، فَقَالَ : « حِبُّ
 الْأَنْصَارِ الثَّمَرُ » فَقُلْتُ : سَمَّهْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : « هُوَ عَبْدُ اللهِ » .

عَنْ عُبَايَةَ بْنِ رِفَاعَةَ ، قَالَ : كَانَتْ أُمُّ أَنَسٍ تَحْتَ أَبِي طَلْحَةَ فَذَكَرَ نَحْوَهُ فِيهِ : فَقَالَ

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢٧/٨) وإسناده صحيح ، لكنه مرسل ، وذكره الحافظ في الفتح
 (١٣٩/٦) ونسبه إلى البيهقي ، وقال : وهو وإن كان مرسلًا فإسناده إلى الشعبي صحيح .

(٢) انظر السير : (فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) ٣/٢٨٠-٣٢١ ، وانظر النزاهة :
 . ٣/٢٢٩

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا فِي لَيْلَتِهِمَا » .

قَالَ عِبَايَةَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ لَذَلِكَ الْغُلَامِ سَبْعَ بَنِينَ ، كُلُّهُمْ قَدْ حَتَمَ الْقُرْآنَ (١) .

وعن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم ، قال : دَخَلْتُ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ ، وَقَدْ طَلَّقَهَا زَوْجُهَا الْحَدِيثَ فَلَمَّا حَلَّتْ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَلْ ذَكَرَكَ أَحَدٌ ؟ » قَالَتْ : نَعَمْ ، مُعَاوِيَةُ وَأَبُو الْجَهْمِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَّا أَبُو الْجَهْمِ فَشَدِيدُ الْخُلُقِ ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُغْلُوكٌ ، لَا مَالَ لَهُ وَلَكِنْ أَنْكُحِكَ أُسَامَةَ » فَقُلْتُ : أُسَامَةُ !! - تَهَاوُنًا بِأُسَامَةَ - ثُمَّ قُلْتُ : سَمِعْتُ وَطَاعَةَ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ فزَوَّجَنِيهِ ، فَكَرَّمَنِي اللَّهُ بِأَبِي زَيْدٍ (٢) ، وَشَرَّفَنِي اللَّهُ ، وَرَفَعَنِي بِهِ (٣) .

وَكَانَتْ مُعَاذَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ زَوْجَةَ صِلَةَ بْنِ أُشَيْمٍ تَقُولُ : وَاللَّهِ مَا أَحْبَبْتُ الْبَقَاءَ إِلَّا لِأَتَقَرَّبَ إِلَى رَبِّي بِالْوَسَائِلِ ، لَعَلَّهُ يَجْمَعُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي الشَّعْثَاءِ وَابْنِهِ فِي الْجَنَّةِ .
كَانَتْ وَفَاتَهَا سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَثَمَانِينَ (٤) .

قَالَ الْخَلَّالُ : سَمِعْتُ الْمَرْوذِيَّ ، سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، ذَكَرَ أَهْلَهُ فَتَرَحَّمَ عَلَيْهَا ، وَقَالَ : مَكُنَّا عِشْرِينَ سَنَةً ، مَا اخْتَلَفْنَا فِي كَلِمَةٍ وَمَا عَلِمْنَا أَحْمَدَ تَزَوَّجَ ثَالِثَةً (٥) .

٥- مَنْ أَرَادَتْ أَنْ تَكُونَ لِزَوْجِهَا فِي الْآخِرَةِ :

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ ، أَنَّهَا قَالَتْ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ عِنْدَ الْمَوْتِ : إِنَّكَ خَطَبْتَنِي إِلَى أَبِي يُوَيْ فِي الدُّنْيَا فَأَنْكَحُوكَ ، وَأَنَا أَخْطُبُكَ إِلَى نَفْسِكَ فِي الْآخِرَةِ ، قَالَ : فَلَا تَنْكِحِينَ بَعْدِي فَخَطَبَهَا مُعَاوِيَةُ فَأَخْبَرْتَهُ بِالَّذِي كَانَ فَقَالَ : عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ (٦) .

(١) انظر السير : (أُمُّ سَلِيمِ الْغَمِيصَاءِ) ٢/٣٠٤-٣١١ ، وانظر النزهة : ٦/٢٦٥ .

(٢) أَبُو زَيْدٍ : كُنْيَةُ أُسَامَةَ .

(٣) انظر السير : (أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ) ٢/٤٩٦-٥٠٧ ، وانظر النزهة : ٣/٢٩٧ .

(٤) انظر السير : (مُعَاذَةُ) ٤/٥٠٨-٥٠٩ ، وانظر النزهة : ٧/٥٤٦ .

(٥) انظر السير : (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٤/٩٤٨ .

(٦) انظر السير : (أُمُّ الدَّرْدَاءِ) ٤/٢٧٧-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٢/٤٩٧ .

٦- حال الرَّجُل مع الزَّوْجَةِ الوَاحِدَةِ والزَّوْجَتَيْنِ :

عن ابنِ وَهْبٍ حَدَّثَنَا مَالِكٌ قَالَ : كَانَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ نَكَاحاً لِلنِّسَاءِ وَيَقُولُ : صَاحِبُ الْوَاحِدَةِ إِنْ مَرَضَتْ مَرَضٌ ، وَإِنْ حَاضَتْ حَاضٌ ، وَصَاحِبُ الْمَرَاتَيْنِ بَيْنَ نَارَيْنِ تُشْعَلَانِ ، وَكَانَ يَنْكُحُ أَرْبَعاً جَمِيعاً وَيُطَلِّقُهُنَّ جَمِيعاً^(١) .

٧- صُورٌ من غَيْرَةِ النِّسَاءِ :

وعن عبدِ اللهِ الْبَهِيِّ ، قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ لَمْ يَكُذِّبْهَا بِسَاءٍ مِنْ ثَنَاءٍ عَلَيْهَا وَاسْتِغْفَارٍ لَهَا ، فَذَكَرَهَا يَوْمًا ، فَحَمَلْتَنِي الْغَيْرَةَ ، فَقُلْتُ : لَقَدْ عَوَّضَكَ اللَّهُ مِنْ كَبِيرَةِ السِّنِّ قَالَتْ : فَرَأَيْتَهُ غَضِبَ غَضَبًا أُسْقِطْتُ فِي خَلْدِي^(٢) ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : اللَّهُمَّ إِنْ أَذْهَبْتَ غَضَبَ رَسُولِكَ عَنِّي لَمْ أَعُدْ أَذْكَرُهَا بِسُوءٍ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَقِيتُ ، قَالَ : « كَيْفَ قُلْتَ ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ آمَنْتُ بِبِي إِذْ كَذَّبْتَنِي النَّاسُ ، وَأَوْتِنِي إِذْ رَفَضْتَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقْتُ مِنْهَا الْوَلَدَ وَحَرَمْتُمُوهُ مِنِّي » قَالَتْ : فَغَدَا وَرَاحَ عَلَيَّ بِهَا شَهْرًا^(٣) .

عن عَائِشَةَ : أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ حَزْبَيْنِ ، فَحَزَبٌ مِنْهُ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسُودَةُ ، وَالْحِزْبُ الْآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ أَزْوَاجِهِ وَكَانُوا الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةً يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْرَجَهَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ بَعَثَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَتَكَلَّمَ حِزْبٌ أُمَّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَهَا : كَلِّمِي رَسُولَ اللَّهِ يُكَلِّمُ النَّاسَ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ هَدِيَّةً فَلْيُهْدِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ نِسَائِهِ فَكَلَّمَتْهُ أُمَّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ : مَا قَالَ لِي شَيْئًا فَقُلْنَ : كَلِّمِيهِ قَالَتْ : فَكَلَّمْتُهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا فَسَأَلْنَهَا

(١) انظر السير : (الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ) ٣/٢١-٣٢ ، وانظر النزهة : ٥/٣٢٥ .

(٢) الخَلْدُ : البَالُ وَالْقَلْبُ وَالنَّفْسُ .

(٣) انظر السير : (خَدِيجَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ) ٢/١٠٩-١١٧ ، وانظر النزهة : ٥/٢٢٦ .

فَقَالَتْ : مَا قَالَ لِي شَيْئاً فَقُلْنَ لَهَا : كَلِمِيهِ فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ لَهَا : « لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلَّا عَائِشَةَ » فَقَالَتْ : أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَدَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَقُولُ : إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ الْعَدَلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَكَلَّمَتْهُ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا بَيْتِي ، أَلَا تُحِبِّينَ مَا أَحِبُّ ؟ » قَالَتْ : بَلَى فَرَجَعَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَخْبِرْتَهُنَّ فَقُلْنَ : ازْجِعِي إِلَيْهِ ، فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ فَأَتَتْهُ فَأَعْلَظَتْ ، وَقَالَتْ : إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ اللَّهُ الْعَدَلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا حَتَّى تَنَاوَلَتْ عَائِشَةَ ، وَهِيَ قَاعِدَةٌ ، فَسَبَّتْهَا ، حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَتَكَلَّمُ قَالَ : فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ تُرَدُّ عَلَى زَيْنَبَ حَتَّى أَسْكَنَتْهَا فَنظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَائِشَةَ ، وَقَالَ : إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ .

عَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « كَمَلَّ مِنَ الرَّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَأَسِيَّةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ » (١) .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ : مَا غَرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ مِنْ كَثْرَةِ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُهَا .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ شَيْءٍ أَنْ تَعَارَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ امْرَأَةٍ عَجُوزٍ تُوَفِّتَ قَبْلَ تَزْوُجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَائِشَةَ بِمُدِيدَةٍ ، ثُمَّ يَحْمِيهَا اللَّهُ مِنَ الْغَيْرَةِ مِنْ عِدَّةِ نِسْوَةٍ يُشَارِكُنَهَا فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَذَا مِنَ الْطَّافِ اللَّهُ بِهَا وَبِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِثَلَاثٍ يَتَكَدَّرُ عَيْشُهُمَا ، وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا خَفَّفَ أَمْرَ الْغَيْرَةِ عَلَيْهَا حُبُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا وَمِيلُهُ إِلَيْهَا فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا (٢) .

وَعَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَرَجَ ، أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ ،

(١) انظر السير : (عائشة أم المؤمنين) ٢/١٣٥-٢٠١ ، وانظر النزعة : ٢/٢٣٢ .

(٢) انظر السير : (عائشة أم المؤمنين) ٢/١٣٥-٢٠١ ، وانظر النزعة : ١/٢٣٩ .

فطارت القرعة لعائشة وحفصة ، وكان إذا كان بالليل ، سار مع عائشة يتحدث فقالت حفصة : ألا تزكبين الليلة بعيري ، وأركب بعيرك تنظرين وأنظري فقالت : بلى فركبت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى جمل عائشة ، وعليه حفصة ، فسلم عليها ، ثم سار حتى نزلوا ، وافتقدته عائشة فلما نزلوا ، جعلت رجلين بين الإذخر وتقول : يا رب ، سلط علي عقرباً أو حية تلدغني ، رسولك ولا أستطيع أن أقول له شيئاً أخرجه مسلماً^(١) .

وعن عطاء ، سمع عبيد بن عمير يقول : سمعت عائشة تزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ، ويشرب عندها عسلاً فتواصيت أنا وحفصة أن أتينا ما دخل عليها ، فلتقل : إني أجد منك ريح مغافير^(٢) أكلت مغافير! فدخل على إحداهما ، فقالت له ذلك قال : بل شربت عسلاً عند زينب ، ولن أعود له فتزل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾^(٣) إلى قوله ﴿ إِنْ نُوْبًا ﴾ - يعني حفصة وعائشة ﴿ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ ﴾ قوله : « بل شربت عسلاً »^(٤) .

قال الإمام الذهبي في ترجمة المعز : السلطان الملك المعز عز الدنيا والدين أريك التركماني الصالح الجاشنكير صاحب مضر لما قتلوا المعظم خطبوا لأم خليل أياماً بالسلطنة ، وكان المعز أكبر الصالحية ، وكان ديناً عاقلاً ، تاركاً للشرب ، ملكوه وتزوج بأم خليل^(٥) .

وكان في المعز تودة ومداواة ، بنى مدرسة كبيرة ، ثم إنه خطب ابنة بدر الدين صاحب الموصل ، فغارت أم خليل فقتلته في حمام ، وثب عليه سنجر الجوجري وخادم ، فأمسكوا على بيضه فتلف ، وقطعت هي نصفين ، وقيل : بل خنقت ولم

(١) انظر السير : (عائشة أم المؤمنين) ٢/١٣٥-٢٠١ ، وانظر النزهة : ٢/٢٤١ .

(٢) المغافير : صمغ شبيه بالناطف ينضحه الغرط ، فيوضع في ثوب ، ثم ينضح بالماء فيشرب ، وله ريح منكورة .

(٣) سورة التحريم ، الآية : ١ .

(٤) انظر السير : (زينب أم المؤمنين) ٢/٢١١-٢١٨ ، وانظر النزهة : ٣/٢٤٨ .

(٥) انظر السير : (المعز) ٢٣/١٩٨-٢٠٠ ، وانظر النزهة : ١/١٧٢٨ .

توسط ، ورُميت مهتوكة ، وصلب الجوجري والخدام^(١) .

وكانت شجر الدر أم خليل أم ولد للصالح ذات حُسنٍ وظرفٍ ودهاءٍ وعقلٍ ، ونالت من العزِّ والجاه ما لم تله امرأة في عصرها ، وكان ممالك الصالح يخضعون لها فملكوها بعد قتل المعظم أزيد من شهرين ، وكان المعز لا يقطعُ أمراً دونها ولها عليه صولة ، وكانت جرئيةً وقحةً قتلت وزيرها الأسعد ، ودافع ممالك الصالح عن شجر الدر ، فلم تقتل إلا بعد اثنين وعشرين يوماً ، فقتلت ورُميت مهتوكة وكانت حسنة السيرة ، لكن هلكت بالغيرة وكان الخطباء يقولون : (واحفظ اللهم الحُرمة الصالحة ملكة المسلمين عظمة الدنيا والدين أم خليل المستعصمة صاحبة السلطان الملك الصالح)^(٢) .

٨- اختيار الزوج الصالح للبنات ضرورة :

قال أبو المليلح : جاء رجلٌ إلى ميمون بن مهران يخطب بنته ، فقال : لا أرضاها لك ، قال : ولم ؟ قال : لأنها تحب الحلي والحلل ، قال : فعندي من هذا ما تريد ، قال : الآن لا أرضاك لها^(٣) .

٩- من قيّد من العلماء بالزواج :

قال أحمد العجلي : لما دخل معمر بن راشد صنعاء كرهوا أن يخرج من بين أظهرهم فقال لهم رجلٌ : قيّدوه قال : فزوّجوه^(٤) .

١٠- كثرة الزواج :

عن المغيرة بن شعبة قال : لقد تزوّجت سبعين امرأة أو أكثر .

وعن ابن المبارك قال : كان تحت المغيرة بن شعبة أربع نسوة قال : فصفهن بين

(١) انظر السير : (المعز) ٢٣/١٩٨-٢٠٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٧٢٨ .

(٢) انظر السير : (المعز) ٢٣/١٩٨-٢٠٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٧٢٩ .

(٣) انظر السير : (ميمون بن مهران) ٥/٧١-٧٨ ، وانظر النزهة : ١/٥٨٢ .

(٤) انظر السير : (معمر بن راشد) ٧/١٨-٥ ، وانظر النزهة : ٥/٦٧١ .

يَدِيهِ وَقَالَ : أَتُنَّتْ حَسَنَاتِ الْأَخْلَاقِ ، طَوِيلَاتِ الْأَعْنَاقِ ، وَلَكِنِّي رَجُلٌ مُطْلَاقٌ ، فَأَتُنَّتْ
الطَّلَاقُ (١) .

عن ابنِ وَهْبٍ حَدَّثَنَا مَالِكٌ قَالَ : كَانَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ نِكَاحًا لِلنِّسَاءِ وَيَقُولُ :
صَاحِبُ الْوَاحِدَةِ إِنْ مَرَضَتْ مَرَضٌ ، وَإِنْ حَاضَتْ حَاضٌ ، وَصَاحِبُ الْمَرَاتِينِ بَيْنَ نَارَيْنِ
تُسْعَلَانِ ، وَكَانَ يَنْكِحُ أَرْبَعًا جَمِيعًا وَيُطَلِّقُهُنَّ جَمِيعًا (٢) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : وَقَدْ كَانَ هَذَا الْإِمَامُ
سَيِّدًا وَسَيِّمًا جَمِيلًا ، عَاقِلًا ، رَزِينًا ، جَوَادًا مُمَدِّحًا ، خَيْرًا ، دِينًا ، وَرِعًا ،
مُحْتَشِمًا ، كَبِيرَ الشَّانِ وَكَانَ مِنْكَاحًا مُطْلَاقًا ، تَزَوَّجَ نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ امْرَأَةً ، وَقَلَّمَا كَانَ
يُفَارِقُهُ أَرْبَعُ ضَرَائِرَ (٣) .

وعن جَعْفَرِ الصَّادِقِ ، أَنَّ عَلِيًّا قَالَ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ لَا تَزَوَّجُوا الْحَسَنَ ، فَإِنَّهُ
مُطْلَاقٌ ، فَقَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ لَنَزَوَّجَنَّهُ ، فَمَا رَضِيَ أَمْسَكَ ، وَمَا كَرِهَ طَلَّقَ (٤) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ النَّسَائِيِّ : وَكَانَ نَصَرَ الْوَجْهَ مَعَ كِبَرِ السِّنِّ ،
يُؤَثِّرُ لِبَاسَ الْبُرُودِ التُّوبِيَّةِ وَالْخَضِرِ ، وَيُكْثِرُ الْاسْتِمْتَاعَ ، لَهُ أَرْبَعُ زُوجَاتٍ ، فَكَانَ يَقْسِمُ
لَهُنَّ ، وَلَا يَخْلُو مَعَ ذَلِكَ مِنْ سَرِيَّةٍ ، وَكَانَ يُكْثِرُ أَكْلَ الدُّيُوكِ ، تُسْتَرَى لَهُ وَتُسَمَّنُ
وَتُخْصَى (٥) .

١١- كَثْرَةُ الْجَمَاعِ :

عن مُجَاهِدٍ : قَالَ ابْنُ عُمَرَ : لَقَدْ أُعْطِيتُ مِنَ الْجَمَاعِ شَيْئًا مَا أَعْلَمُ أَحَدًا أُعْطِيَهُ إِلَّا
أَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٦) .

(١) انظر السير : (الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ) ٣/ ٢١-٣٢ ، وانظر النزهة : ٤/ ٣٢٥ .

(٢) انظر السير : (الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ) ٣/ ٢١-٣٢ ، وانظر النزهة : ٥/ ٣٢٥ .

(٣) انظر السير : (الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) ٣/ ٢٤٥-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٢/ ٣٧٩ .

(٤) انظر السير : (الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) ٣/ ٢٤٥-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٣/ ٣٧٩ .

(٥) انظر السير : (النَّسَائِيُّ) ١٤/ ١٢٥-١٣٥ ، وانظر النزهة : ٢/ ١١٣٧ .

(٦) انظر السير : (عبد الله بن عمر) ٣/ ٢٠٣-٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٥/ ٣٧٠ .

وعن ابنِ عُمَرَ ، قَالَ : إِنِّي لِأَظُنُّ قُسِمَ لِي مِنْهُ مَا لَمْ يُقَسِّمْ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقِيلَ : كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُفْطِرُ أَوَّلَ شَيْءٍ عَلَى الْوَطْءِ ^(١) .

١٢- أَخْبَارُ بَعْضِ الزَّيْجَاتِ :

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو : عَنْ أَبِي سَلَمَةَ : أَنَّ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً ، فَسَمَّى لَهَا صَدَاقَهَا ، ثُمَّ طَلَّقَهَا قَبْلَ الدُّخُولِ ، فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْهَدُوا ﴾ ^(٢) فَقَالَ : أَنَا أَحَقُّ بِالْعَفْوِ مِنْهَا فَسَلَّمْتُ إِلَيْهَا الصَّدَاقَ كَامِلًا .
تُوفِّيَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ ^(٣) .

قَالَ ابْنُ سِيرِينَ : تَزَوَّجَ الْحَسَنُ امْرَأَةً فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مِئَةَ جَارِيَةٍ مَعَ كُلِّ جَارِيَةٍ أَلْفُ دِرْهَمٍ ^(٤) .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ ، قَالَ : خَطَبَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ أُمَّ كَلْثُومَ بِنْتَ عَلِيٍّ بَعْدَ عُمَرَ ، وَبِعَثَ إِلَيْهَا بِمِئَةِ أَلْفٍ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَخُوهَا الْحُسَيْنُ ، وَقَالَ : لَا تَزَوَّجِيهِ فَقَالَ الْحَسَنُ : أَنَا أَرْزُؤُهُ وَأَتَعَدُّوهُ لِذَلِكَ فَحَضَرُوا ، فَقَالَ سَعِيدٌ : وَأَيْنَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ الْحَسَنُ : سَأُكْفِيكَ قَالَ : فَلَعَلَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ كَرِهَ هَذَا ، قَالَ : نَعَمْ قَالَ : لَا أَدْخُلُ فِي شَيْءٍ يَكْرَهُهُ ، وَرَجَعَ ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا ^(٥) .

وَقَالَ عَاصِمُ بْنُ كُلَيْبٍ : تَزَوَّجَ سُؤَيْدُ بْنُ غَفَلَةَ بِكَرًّا وَهُوَ ابْنُ مِئَةٍ وَسِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً ^(٦) .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي دَاوُدَ : كَانَتْ بِنْتُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَدْ خَطَبَهَا عَبْدُ الْمَلِكِ لِابْنِهِ الْوَلِيدِ ، فَأَبَى عَلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ يَخْتَالُ عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَيْهِ حَتَّى ضَرَبَهُ مِئَةَ سَوْطٍ فِي يَوْمٍ

(١) انظر السير : (عبد الله بن عمر) ٣/٢٠٣-٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٦/٣٧٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٧ .

(٣) انظر السير : (جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ) ٣/٩٥-٩٩ ، وانظر النزهة : ١/٣٤٢ .

(٤) انظر السير : (الحسن بن علي بن أبي طالب) ٣/٢٤٥-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/٣٧٩ .

(٥) انظر السير : (سعيد بن العاص) ٣/٤٤٤-٤٤٩ ، وانظر النزهة : ٣/٤٠٦ .

(٦) انظر السير : (سؤيد بن غفلة) ٤/٦٩-٧٣ ، وانظر النزهة : ٥/٤٤٦ .

بارِد ، وَصَبَّ عَلَيْهِ جَرَّةَ مَاءٍ ، وَالْبَسَهُ جُبَّةً صُوفِيَةً .

وعن ابنِ أَبِي وَدَاعَةَ - يَعْنِي كَثِيرًا - قَالَ : كُنْتُ أَجَالِسُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ ، فَفَقَدَنِي أَيَّامًا ، فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ : أَيْنَ كُنْتَ ؟ قُلْتُ : تُوِفِّتُ أَهْلِي فَاسْتَعَلْتُ بِهَا ، فَقَالَ : أَلَا أُخْبِرْتَنَا فَشَهَدْنَاهَا ، ثُمَّ قَالَ : هَلْ اسْتَحَدَّثْتَ امْرَأَةً ؟ فَقُلْتُ : يَرَحِمُكَ اللَّهُ ، وَمَنْ يُزَوِّجُنِي وَمَا أَمْلِكُ إِلَّا دِرْهَمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً !!؟ ، قَالَ : أَنَا ، فَقُلْتُ : وَتَفَعَلْ !!؟ قَالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ تَحَمَّدَ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَزَوَّجَنِي عَلَى دِرْهَمَيْنِ - أَوْ قَالَ : ثَلَاثَةً - فَقُمْتُ وَمَا أُدْرِي مَا أَصْنَعُ مِنَ الْفَرَحِ فَصِرْتُ إِلَى مَنْزِلِي وَجَعَلْتُ أَنْفَكُرُّ فِيمَنْ أَسْتَدِينُ .

فَصَلَّيْتُ الْمَغْرِبَ ، وَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي ، وَكُنْتُ وَحْدِي صَائِمًا ، فَقَدَمْتُ عَشَائِي أَفْطَرًا ، وَكَانَ خُبْرًا وَزَيْتًا ، فإِذَا بَابِي يُقْرَعُ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : سَعِيدٌ ، فَأَفْكَرْتُ فِي كُلِّ مَنْ اسْمُهُ سَعِيدٌ إِلَّا ابْنَ الْمُسَيَّبِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا بَيْنَ بَيْتِهِ وَالْمَسْجِدِ ، فَخَرَجْتُ ، فإِذَا سَعِيدٌ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لَهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَلَا أُرْسَلْتَ إِلَيَّ فَأَتِيكَ ؟ قَالَ : لَا ، أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ تُؤْتَى ، إِنَّكَ كُنْتَ رَجُلًا عَزَبًا فَتَزَوَّجْتَ ، فَكَرِهْتُ أَنْ تَبِيْتَ اللَّيْلَةَ وَحَدَّكَ ، وَهَذِهِ امْرَأَتُكَ ، فإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ مِنْ خَلْفِهِ فِي طَوْلِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهَا فَدَفَعَهَا فِي الْبَابِ ، وَرَدَّ الْبَابَ ، فَسَقَطَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الْحَيَاءِ ، فَاسْتَوَثَقْتُ مِنَ الْبَابِ ثُمَّ وَضَعْتُ الْقِصْعَةَ فِي ظِلِّ السَّرَاجِ لِكِي لَا تَرَاهُ ، ثُمَّ صَعَدْتُ إِلَى السَّطْحِ فَرَمَيْتُ الْجِيرَانَ ، فَجَاؤُونِي فَقَالُوا : مَا شَأْنُكَ !!؟ فَأَخْبَرْتُهُمْ وَنَزَلُوا إِلَيْهَا ، وَبَلَغَ أُمِّي ، فَجَاءَتْ وَقَالَتْ : وَجْهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ إِنْ مَسَسَتْهَا قَبْلَ أَنْ أُصْلِحَهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَأَقَمْتُ ثَلَاثًا ثُمَّ دَخَلْتُ بِهَا ، فإِذَا هِيَ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ ، وَأَحْفَظِ النَّاسِ لِكِتَابِ اللَّهِ ، وَأَعْلَمِهِمْ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَعْرَفِهِمْ بِحَقِّ زَوْجِ فَمَكَثْتُ شَهْرًا لَا آتِي سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي حَلَقَتِهِ ، فَسَلَّمْتُ ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ وَلَمْ يُكَلِّمْنِي حَتَّى تَقَوَّضَ الْمَجْلِسُ ، فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ غَيْرِي قَالَ : مَا حَالُ الْإِنْسَانِ ؟ قُلْتُ : خَيْرًا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، عَلَى مَا يُحِبُّ الصَّدِيقُ ، وَيَكْرَهُ الْعَدُوُّ قَالَ : إِنْ رَأَيْتَ شَيْءًا فَالْعَصَا فَاَنْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي ، فَوَجَّهَ إِلَيَّ بِعَشْرِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

قال أبو بكر بن أبي داود : ابن أبي وداعة هو كثير بن المطلب بن أبي وداعة .

قال الذهبي : هو سهمي مكّي ، روى عن أبيه المطلب أحد مسلمة الفتح^(١) .

ولما تمهدت البلاد لطرغزلبك خطب بنت الخليفة القائم ، فتألم القائم ، واستغفى فلم يُعَف ، فزوجه بها ، ثم قدم طغرلبيك بغداد للعرس .

وكانت له يدٌ عظيمة على القائم في إعادة الخلافة إليه ، وقطع حُطبة المصريين التي أقامها البساسيري^(٢) .

ثم نفذ طغرلبيك مئة ألف دينار برسم نقل الجهاز ، فعمل العرس في صفر سنة خمسة وخمسين وأربع مئة ، وأجلست على سرير مُذهَّب ، ودخل السلطان إلى بين يديها ، فقَبِل الأرض ، ولم يكشف المنديل عن وجهها ، وقدم تحفاً سنّية ، وخدم وانصرف ، ثم بعث إليها عقدين مُجوهرين ، وقطعة ياقوتٍ عظيمة ، ثم دخل من الغد ، فقَبِل الأرض ، وجلس على سرير إلى جانبها ساعة ، وخرَج وبعث لها فرجة نسيج مكلّلة بالجواهر ومخنقة - أي قلادة - مُمَنّة ، وسرَّ بها هذا والخليفة في ألم وحزن وكظم ، فأما غيره من الخلفاء الضعفاء فوَّده لو زوج بنته بأمر عتقاء السلطان ، ثم إن طغرلبيك خلا بها ، ولم يُمتع بنعيم الدنيا ، بل مات في رمضان من السنة بالري سنة خمس وخمسين وأربع مئة ، وحمل إلى مرو ، فدفن عند أخيه وقيل : بل دفن بالري ، وعاشت الزوجة الخليفة إلى سنة ست وتسعين وأربع مئة ، وصار ملكه من بعده إلى ابن أخيه السلطان ألب أرسلان^(٣) .

* * *

(١) انظر السير : (سعيد بن المسيب) ٢١٧/٤ - ٢٤٦ ، وانظر النزهة : ٣/٤٨٥ .

(٢) انظر السير : (طغرلبيك) ١٠٧/١٨ - ١١١ ، وانظر النزهة : ١/١٣٨٩ .

(٣) انظر السير : (طغرلبيك) ١٠٧/١٨ - ١١١ ، وانظر النزهة : ١/١٣٩٠ .

عنايةُ الوالدين بالأبناء

١- السَّعْيُ عَلَى الْعِيَالِ :

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ : قُلْتُ لِعِكْرَمَةَ : تَرَكْتَ الْحَرَمَيْنِ ، وَجِئْتَ إِلَى خُرَّاسَانَ !!؟

قَالَ : أَسَعَى عَلَى بَنَاتِي ^(١) .

٢- فَضْلُ الصَّبْرِ عَلَى الْبَنَاتِ :

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْوَرْدِ : قَالَ لِي مُؤَدِّنُ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ : رَأَيْتُ بَشْرًا رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْمَنَامِ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟ قَالَ : غَفَرَ لِي .

قُلْتُ : مَا فَعَلَ بِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ؟ قَالَ : غُفِرَ لَهُ فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ بِأَبِي نَصْرِ الثَّمَّارِ ؟ قَالَ : هَيْهَاتَ ، ذَاكَ فِي عِلِّيْنَ ، فَقُلْتُ : بِمَاذَا نَالَ مَا لَمْ تَنَالَهُ ؟ فَقَالَ : بِفَقْرِهِ وَصَبْرِهِ عَلَى بُنْيَاتِهِ ^(٢) .

٣- مُعَامَلَةُ الْأَبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ :

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ كَلَامًا وَحَدِيثًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَاطِمَةَ ، وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا ، فَقَبَّلَهَا ، وَرَحَّبَ بِهَا ، وَكَذَلِكَ كَانَتْ هِيَ تَصْنَعُ بِهِ ^(٣) .

وَعَنْ مَسْرُوقٍ : حَدَّثَنِي عَائِشَةُ قَالَتْ : كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ ، لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي مَا تُخْطِيءُ مَشِيئَهَا مَشِيئَةَ

(١) انظر السير : (عِكْرَمَةَ) ١٢/٥-٣٦ ، وانظر النزهة : ٩/٥٧٦ .

(٢) انظر السير : (أَبُو نَصْرِ الثَّمَّارِ) ١٠/٥٧١-٥٧٤ ، وانظر النزهة : ٦/٨٩٤ .

(٣) انظر السير : (فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ٢/١١٨-١٣٤ ، وانظر النزهة :

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَاهَا ، رَحَّبَ بِهَا ، قَالَ : « مَرْحَبًا بِابْنَتِي » ثُمَّ أَقْعَدَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ يَسَارِهِ ثُمَّ سَارَهَا فَبَكَتْ ، ثُمَّ سَارَهَا الثَّانِيَةَ ، فَضَحِكَتْ ، فَلَمَّا قَامَ ، قُلْتُ لَهَا : خَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّرِّ وَأَنْتِ تَبْكِينَ ، عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنْ حَقِّ لَمَّا أَخْبَرْتَنِي مِمَّ ضَحِكْتِ ؟ وَمِمَّ بَكَيتِ ؟ قَالَتْ : مَا كُنْتُ لِأُفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَلَمَّا تُوفِّيَ ، قُلْتُ لَهَا : عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنْ حَقِّ لَمَّا أَخْبَرْتَنِي قَالَتْ : أَمَا الْآنَ فَنَعَمْ ، فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى حَدَّثَنِي « أَنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ ، وَأَنِّي لَا أَحْسَبُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ اقْتِرَابِ أَجَلِي ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي ، فَنِعْمَ السَّلْفُ لَكَ أَنَا » فَبَكَيتُ فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؟ » قَالَتْ : فَضَحِكْتُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١) .

قَالَ أَبُو عُمَرَ الدَّمَشْقِيُّ : سَمِعْتُ ابْنَ الْجَلَاءِ يَقُولُ : قُلْتُ لِأَبُوَيٍّ : أَحِبُّ أَنْ تَهْبَانِي اللَّهُ قَالَا : قَدْ فَعَلْنَا فَعَبْتُ عَنْهُمْ مُدَّةً ، ثُمَّ جِئْتُ فَدَقَقْتُ الْبَابَ فَقَالَ أَبِي : مَنْ ذَا ؟ قُلْتُ : وَلَدُكَ ، قَالَ : قَدْ كَانَ لِي وَلَدٌ وَهَبْنَاهُ اللَّهُ ، وَمَا فَتَحَ لِي (٢) .

وَجَاءَ فِي تَرْجَمَةِ الصُّعْلُوكِيِّ ، قَالَ الْحَاكِمُ : كَانَ أَبُوهُ يُجِلُّهُ وَيَقُولُ : سَهْلٌ وَالِدٌ (٣) .

٤- تَعْلِيمُ الْأَبْنَاءِ وَتَرْبِيَتِهِمْ :

عَنْ أَبِي الْحَوَّارِ ، قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ مَا تَذَكُرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : أَذْكُرُ أَنِّي أَخَذْتُ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ ، فَجَعَلْتُهَا فِي فِيٍّ ، فَنَزَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلُعَابِهَا ، فَجَعَلَهَا فِي التَّمْرِ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ !

(١) انظر السير : (فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) ١١٨/٢ - ١٣٤ ، وانظر النزهة : ٥/٢٣٠ .

(٢) انظر السير : (ابن الجلاء) ١٤/٢٥١-٢٥٢ ، وانظر النزهة : ٤/١١٤٨ .

(٣) انظر السير : (الصُّعْلُوكِيُّ) ١٧/٢٠٧-٢٠٩ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٣٧ .

وما كان عليك من هذه الثمرة لهذا الصبي؟ قال: «إننا آل محمد لا تحل لنا الصدقة» قال: وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريب» وكان يعلمنا هذا الدعاء «اللهم اهديني فيمن هديت» الحديث (١).

وقال سعيد بن عفير: حدثنا يعقوب، عن أبيه أن عبد العزيز بن مروان بعث ابنه عمر إلى المدينة يتأدب بها، وكتب إلى صالح بن كيسان يتعاهده، وكان يلزمه الصلوات، فأبطأ يوماً عن الصلاة، فقال: ما حبسك؟ قال: كانت مرجلتي تسكن شعري، فقال: بلغ من تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة، وكتب بذلك إلى والده، فبعث عبد العزيز رسولا إليه فما كلمه حتى حلق شعره.

وقال أبو مسهر: ولي عمر المدينة في إمرة الوليد من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين (٢).

وقال الإمام الذهبي في ترجمة سفيان الثوري: ولد سنة سبع وتسعين اتفاقاً، وطلب العلم وهو حدث باعتناء والده المحدث الصادق: سعيد بن مسروق الثوري (٣).

وعن سفيان الثوري: ينبغي للرجل أن يكره ولده على العلم، فإنه مسؤول عنه (٤).

علي بن الفضيل مع أبيه:

قال الإمام الذهبي في ترجمته: من كبار الأولياء، ومات قبل والده.

خرج هو وأبوه من الضعف الغالب على الزهاد والصوفية، وعدا في الثقات إجماعاً.

(١) انظر السير: (الحسن بن علي بن أبي طالب) ٣/٢٤٥-٢٧٩، وانظر النزاهة: ٢/٣٧٧.

(٢) انظر السير: (عمر بن عبد العزيز) ٥/١١٤-١٤٨، وانظر النزاهة: ٣/٥٨٦.

(٣) انظر السير: (سفيان الثوري) ٧/٢٢٩-٢٧٩، وانظر النزاهة: ١/٦٩٥.

(٤) انظر السير: (سفيان الثوري) ٧/٢٢٩-٢٧٩، وانظر النزاهة: ٧/٦٩٩.

وكان عليّ قانتاً لله ، خاشعاً ، وجلاً ، ربّانياً ، كبير الشّان^(١) .

وقال الخطيب : مات عليّ بن الفضيل قبل أبيه بمُدّة من آية سمعها تُقرأ ، فغشي عليه ، وتوفّي في الحال^(٢) .

قال إبراهيم بن الحارث العبّادي : حدّثنا عبد الرحمن بن عفّان ، حدّثنا أبو بكر بن عياش قال : صلّيت خلف فضيل بن عياض المغرب وابنه عليّ إلى جانبي فقراً : ﴿ أَلْهَنُكُمْ أَتِّكَاثُ ﴾^(٣) فلما قال : ﴿ لَرَوْتُ الْجَحِيمَ ﴾^(٤) سقط عليّ على وجهه مغشياً عليه^(٥) .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثني عبد الصّمد بن يزيد ، عن فضيل بن عياض قال : بكى عليّ ابني ، فقلت : يا بُني ما يبكيك ؟ قال : أخاف ألاّ تجمّعتنا القيامة^(٦) .

وقال ابن المبارك للفضيل بن عياض : يا أبا عليّ ما أحسن حال من انقطع إلى الله ، فسمع ذلك عليّ ابني ، فسقط مغشياً عليه^(٧) .

وعن محمد بن ناجية قال : صلّيت خلف الفضيل بن عياض ، فقراً : ﴿ الْحَاقَّةُ ﴾^(٨) في الصّبح فلما بلغ إلى قوله : ﴿ خُذُوهُ فَعْلُوهُ ﴾^(٩) غلبه البكاء فسقط ابنه عليّ مغشياً عليه^(١٠) .

وعن عبد الصّمد بن يزيد ، سمعت الفضيل يقول : أشرفت ليلة على عليّ ، وهو

(١) انظر السير : (عليّ بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزّهة : ١/٧٨٠ .

(٢) انظر السير : (عليّ بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزّهة : ٢/٧٨٠ .

(٣) سورة التكاثر ، الآية : ١ .

(٤) سورة التكاثر ، الآية : ٦ .

(٥) انظر السير : (عليّ بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزّهة : ٣/٧٨٠ .

(٦) انظر السير : (عليّ بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزّهة : ٤/٧٨٠ .

(٧) انظر السير : (عليّ بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزّهة : ٥/٧٨٠ .

(٨) سورة الحاقّة ، الآية : ١ .

(٩) سورة الحاقّة ، الآية : ٣٠ .

(١٠) انظر السير : (عليّ بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزّهة : ٦/٧٨٠ .

في صَحْنِ الدَّارِ ، وهو يَقُولُ : النَّارَ ، وَمَتَى الْخَلَاصُ مِنَ النَّارِ ؟ وَقَالَ لِي : يَا أَبْتَ سَلِ
الَّذِي وَهَبَنِي لَكَ فِي الدُّنْيَا أَنْ يَهَبَنِي لَكَ فِي الْآخِرَةِ ، ثُمَّ قَالَ : لَمْ يَزَلْ مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ
حَزِيناً ، ثُمَّ بَكَى الْفُضَيْلُ ، ثُمَّ قَالَ : كَانَ يُسَاعِدُنِي عَلَى الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ ، يَا ثَمْرَةَ
قَلْبِي ، شَكَرَ اللهُ لَكَ مَا قَدْ عَلِمَهُ فَيْكَ (١) .

وعن الْفُضَيْلِ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي اجْتَهَدْتُ أَنْ أُؤَدِّبَ عَلِيّاً ، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى تَأْدِيبِهِ فَأَدَّبَهُ
أَنْتَ لِي (٢) .

وقال أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِي : كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْفُضَيْلِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْرَأَ
﴿ الْقَارِعَةَ ﴾ (٣) وَلَا تَقْرَأَ عَلَيْهِ (٤) .

وعن مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَانَ قَالَ : كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْفُضَيْلِ عِنْدَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ،
فَحَدَّثَ بِحَدِيثٍ فِيهِ ذِكْرُ النَّارِ ، فَشَهَقَ عَلِيُّ شَهَقَةً ، وَوَقَعَ ، فَالْتَمَتِ سُفْيَانُ فَقَالَ : لَوْ
عَلِمْتُ أَنَّكَ هَاهُنَا مَا حَدَّثْتُ بِهِ ، فَمَا أَفَاقَ إِلَّا بَعْدَ مَا شَاءَ اللهُ (٥) .

وبالإسنادِ عن فَضَيْلٍ : كَانَتْ لَنَا شَاةٌ بِالْكُوفَةِ ، أَكَلَتْ شَيْئاً يَسِيرًا مِنْ عَلْفِ أَمِيرٍ ،
فَمَا شَرِبَ لَهَا عَلِيُّ ابْنِي لَبْنًا بَعْدُ (٦) .

وعن الْفُضَيْلِ قَالَ : أَهْدَيْتُ لَنَا ابْنَ الْمُبَارَكِ شَاةً فَكَانَ ابْنِي لَا يَشْرَبُ مِنْهَا ، فَقُلْتُ لَهُ
فِي ذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّهَا قَدِ رَعَتَ بِالْعِرَاقِ (٧) .

وقال عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ الْمِصْرِيِّ ، سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدِ الْخَرَّازِ ، سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ بَشَّارٍ
يَقُولُ : الْآيَةُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا عَلِيُّ بْنُ الْفُضَيْلِ ، فِي الْأَنْعَامِ : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا

-
- (١) انظر السير : (عَلِيُّ بْنُ الْفُضَيْلِ) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزهة : ١/٧٨١ .
 - (٢) انظر السير : (عَلِيُّ بْنُ الْفُضَيْلِ) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/٧٨١ .
 - (٣) سورة القارعة ، الآية : ١ .
 - (٤) انظر السير : (عَلِيُّ بْنُ الْفُضَيْلِ) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٣/٧٨١ .
 - (٥) انظر السير : (عَلِيُّ بْنُ الْفُضَيْلِ) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٤/٧٨١ .
 - (٦) انظر السير : (عَلِيُّ بْنُ الْفُضَيْلِ) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٥/٧٨١ .
 - (٧) انظر السير : (عَلِيُّ بْنُ الْفُضَيْلِ) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٦/٧٨١ .

يَلَيِّنَانَا تُرْدُ ﴿١﴾ مع هذا الموضع مات وكنت فيمن صلى عليه ، رحمه الله (٢) .

قال الإمام الذهبي : مات الفضيل سنة ست وثمانين ومئة ، وله نيت وثمانون سنة ، وهو حجة كبير القدر ، ولا عبرة بما نقله أحمد بن أبي خيثمة ، سمعت قطبة بن العلاء يقول : تركت حديث فضيل بن عياض لأنه روى أحاديث أزرى على عثمان بن عفان (٣) .

قال الإمام الذهبي معقباً : فلا نسمع قول قطبة ، ليته اشتغل بحاله ، فقد قال البخاري : فيه نظر ، وقال النسائي وغيره : ضعيف أيضاً فالرجل صاحب سنة واتباع .

قال أحمد بن أبي خيثمة : حدثنا عبد الصمد بن يزيد الصائغ ، قال : ذكر عند الفضيل - وأنا أسمع - الصحابة ، فقال : اتبعوا فقد كفيتم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، رضي الله عنهم (٤) .

قال الإمام الذهبي معقباً : إذا كان كبراء السابقين الأولين قد تكلم فيهم الروافض والخوارج ، ومثل الفضيل يتكلم فيه ، فمن الذي يسلم من السنة الناس ، لكن إذا ثبتت إمامة الرجل وفضله ، لم يضره ما قيل فيه ، وإنما الكلام في العلماء مفتقر إلى وزن بالعدل والورع (٥) .

وأما قول ابن مهدي : لم يكن بالحافظ ، فمعناه : لم يكن في علم الحديث كهؤلاء الحفاظ البُحور ، كشعبة ، ومالك ، وسفيان ، وحماد ، وابن المبارك ، ونظرائهم ، لكنه ثبت قيم بما نقل ، ما أخذ عليه في حديث فيما علمت ، وهل يُراد من العلم إلا ما انتهى إليه الفضيل رحمه الله عليه (٦) .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٢٧ .

(٢) انظر السير : (علي بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزاهة : ٧/٧٨١ .

(٣) انظر السير : (علي بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزاهة : ٨/٧٨١ .

(٤) انظر السير : (علي بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزاهة : ١/٧٨٢ .

(٥) انظر السير : (علي بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزاهة : ٢/٧٨٢ .

(٦) انظر السير : (علي بن الفضيل) ٨/٤٤٢-٤٤٨ ، وانظر النزاهة : ٣/٧٨٢ .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة عبد الرحمن بن بشر : واعتنى به أبوه ، وارتحل به ، ولقي الكبار ، وطال عمره ، وتفرّد (١) .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة الأصم : محمد بن يعقوب بن يوسف ، الإمام المحدث مسند العصر ، رحلة الوقت ، أبو العباس الأموي مؤلام ، السناني ، المعقلي النيسابوري الأصم ، ولد المحدث الحافظ أبي الفضل الوراق ، وقد ارتحل بابنه أبي العباس إلى الآفاق ، وسمعه الكتب الكبار .

وحدث بكتاب « الأم » للشافعي عن الربيع ، وطال عمره وتعد صيته ، وتراحم عليه الطلبة وجميع ما حدث به إنما رواه من لفظه فإن الصمم لحقه وهو شاب له بضع وعشرون سنة ، بعد رجوعه من الرحلة ثم تزايد به ، واستحكمت بحيث إنه لا يسمع نهيق الحمار وقد حدث في الإسلام ستاً وسبعين سنة .

قال الحاكم : كان يكره أن يقال له : الأصم ، فكان إمامنا أبو بكر ابن إسحاق الصبغي ، يقول : المعقلي ، قال : وكان محدث عصره ، ولم يختلف أحد في صدقه وصحة سماعته ، وضبط أبيه يعقوب الوراق لها ، وكان يرجع إلى حسن مذهب وتدوين وبلغني أنه أذن سبعين سنة في مسجده قال : وكان حسن الخلق ، سخي النفس ، ورثما كان يحتاج إلى الشيء لمعاشه فيورق ، ويأكل من كسب يده ، وهذا الذي يعاب به من أنه كان يأخذ على الحديث ، إنما كان يعيبه به من لا يعرفه ، فإنه كان يكره ذلك أشد الكراهة ولا يناقش أحداً فيه ، إنما كان وراقه وابنه يطلبان الناس بذلك ، فيكره هو ذلك ، ولا يقدر على مخالفتها سمع منه : الآباء والأبناء والأحفاد ، وكفاه شرفاً أن يحدث طول تلك السنين ، ولا يجد أحد فيه مغمراً بحجة ، وما رأينا الرحلة في بلاد من بلاد الإسلام أكثر منها إليه ، فقد رأيت جماعة من أهل الأندلس وجماعة من أهل طراز (٢) وإسبيجاب على بابها ، وكذا جماعة من أهل فارس سمعته غير مرة يقول ولدت سنة سبع وأربعين ومئتين (٣) .

(١) انظر السير : (عبد الرحمن بن بشر) ١٢ / ٣٤٠ - ٣٤٤ ، وانظر النزهة : ٤ / ١٠٠٦ .

(٢) بلد قريب من إسبيجاب ، من ثغور الترك ، في أقصى بلاد الشاش مما يلي تركستان .

(٣) انظر السير : (الأصم) ١٥ / ٤٥٢ - ٤٦٠ ، وانظر النزهة : ١ / ١٢٤٨ .

وقال يوسف بن أحمد الشيرازي في «أربعين البلدان» له : لما رحلت إلى شيخنا رحلة الدنيا ومُسند العصر أبي الوقت ، قدّر الله لي الوصول إليه في آخر بلاد كرمان ، فسلمت عليه ، وقبّلتُه ، وجلستُ بين يديه فقال لي : ما أقدمك إلى هذه البلاد ؟ قلتُ كان قصدي إليك ، ومُعولي بعد الله عليك ، وقد كتبتُ ما وقع إليّ من حديثك بقلمِي ، وسعيتُ إليك بقدمي ، لأدرك بركة أنفاسِك ، وأحظى بعلوِّ إسنادِك ، فقال : وفقك اللهُ وإيانا لِمَرْضاتِهِ ، وجعل سَعِينا له وقصدنا إليه ، لو كُنْتَ عَرَفْتَنِي حَقَّ مَعْرِفَتِي لَمَّا سَلَّمْتَ عَلَيَّ ، ولا جَلَسْتَ بين يديّ ، ثم بكى بكاءً طويلاً ، وأبكى مَنْ حَضَرَهُ ، ثم قال : اللَّهُمَّ اسْتُرْنَا بِسِتْرِكَ الْجَمِيلِ ، واجْعَلْ تَحْتَ السِّتْرِ ما تَرْضَى بِهِ عَنَّا ، يا ولدي تَعَلَّمْ أَنِّي رَحَلْتُ أَيْضاً لِسَماعِ «الصَّحِيحِ» ماشياً مع وَالِدِي من هَرَاةَ إلى الدَّاووديِّ بـ «بُوشَنجِ» وليّ دون عَشْرَسِنين ، فكان وَالِدِي يَضَعُ عَلَيَّ يَدَيَّ حَجْرين ويقولُ احْمِلْهُما ، فكنْتُ من خَوْفِهِ أَحْفَظُهُما بيديّ ، وأمشي وهو يتأملني ، فإذا رآني قد عَيَّيتُ أمرني أن أَلْتَمِيَ حَجْراً واحداً ، فأَلْقِي وَيَخْفُ عَنِّي ، فأَمشي إلى أن يَتَبَيَّنَ له تَعَبِي ، فيقولُ لي : هَلْ عَيَّيتُ ؟ فأخافُه ، وأقولُ : لا فيقولُ : لِمَ تُقَصِّرُ في المَشْيِ ؟ فأُسْرِعُ بين يَدَيْهِ ساعَةً ، ثم أَعْجِزُ ، فيأخُذُ الآخرَ فيلقيه ، فأَمشي حَتَّى أُعْطِبَ ، فحينئذ كان يأخُذني وَيَحْمِلُنِي ، وكُنَّا نَلْتَمِي جَماعَةً من الفلّاحين وغيرِهِم ، فيقولون : يا شَيْخُ عيسى ، ادْفَعْ إلينا هَذَا الطُّفْلَ نُرَكِّبُهُ وإيّاكَ إلى بُوشَنجِ ، فيقولُ : معاذَ اللهِ أنْ نُرَكِّبَ في طَلَبِ أَحاديثِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بلْ نَمشي ، وإذا عَجَزَ أُرَكِّبْتُهُ عَلَيَّ رَأْسِي إجلالاً لِحَدِيثِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجاءَ ثوابِهِ فكان ثَمرةً ذلكَ من حُسْنِ نِيَّتِهِ أَنِّي انْتَفَعْتُ بِسَماعِ هَذَا الكِتابِ وَغَيْرِهِ ، ولم يَبْقَ من أقراني أَحداً سِواي ، حَتَّى صارتِ الوُفُودُ تَرَحُّلُ إليّ من الأُمصارِ ثم أشارَ إلى صاحِبنا عبدِ الباقي بن عبدِ الجَبَّارِ الهَرَوِيِّ أنْ يُقَدِّمَ لِي حَلْواءً ، فقلتُ : يا سيِّدي ، قِراءَتِي لجزءِ أبي الجَهْمِ أَحَبُّ إليّ من أَكْلِ الحَلْواءِ ، فَتَبَسَّمَ ، وقالَ : إذا دَخَلَ الطَّعامُ خَرَجَ الكَلَامُ ، وقَدِّمَ لنا صَحْناً فيه حَلْواءِ الفانيدِ ، فأكلنا ، وأخْرَجْتُ الجُزءَ ، وسأَلْتُهُ إحصارَ الأَصْلِ ، فأخْصَرَهُ ، وقالَ : لا تَخَفْ ولا تَحْرِصْ ، فإنِّي قد قَبِرْتُ مِمَّنْ سَمِعَ عَلَيَّ خَلْقاً كَثيراً ، فَسَلِّ اللهُ

السَّلَامَةَ ، فقرأتُ الجُزءَ ، وسُررتُ به ، ويسر الله سماعَ « الصَّحِيحِ » وغیره مراراً^(١) .
 وقال ابنُ نُقْطَةَ : حدَّثنا أبو الطَّاهِرِ بنُ الأنمَاطِيّ بِدِمَشقَ ، قالَ : حدَّثني حَنبَلُ بنُ
 عبدِ الله قالَ : لَمَّا وُلِدْتُ ، مَضَى أبِي إلى الشَّيخِ عبدِ القادرِ الجِيبِيّ ، وقالَ له : قد وُلِدَ
 لي ابنٌ ما أَسْمِيهِ ؟ قالَ : سَمَّهُ حَنبَلُ ، وإذا كَبَرَ سَمَّعُهُ « مُسْنَدَ » أحمدَ بنِ حَنبَلِ ،
 قالَ : فَسَمَّاني كما أمره ، فلمَّا كَبِرْتُ سَمَّعَني « المُسْنَدَ » ، وكانَ هذا من بَرَكةِ مَشورَةِ
 الشَّيخِ .

وقالَ ابنُ الدُّبَيْبِيِّ : كانَ حَنبَلُ دَلالاً في بَيْعِ الأُملاكِ ، سُئِلَ عن مَوْلِدِهِ فَذَكَرَ ما يَدُلُّ
 على أَنَّهُ في سَنَةِ عَشْرِ وَخَمْسِ مِئَةٍ أوِ إِحْدَى عَشْرَةَ ، إلى أن قالَ : وتوفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعِ
 وَسِتِّ مِئَةٍ .

وقالَ ابنُ الأنمَاطِيّ : سَمِعْتُ منه جَمِيعَ « المُسْنَدِ » بِيغْدادَ أَكثَرَهُ بِقِراءَتِي عليه ، في
 نِيفِ عَشرِينَ مَجَلِسا ، وَلَمَّا فَرَعْتُ أَخَذْتُ أُرْغَبَهُ في السَّفَرِ إلى الشَّامِ فَقُلْتُ : يَحْصُلُ
 لك مالٌ وَيُقْبَلُ عَلَيْكَ وُجُوهُ النَّاسِ ورُؤُساؤُهُم ، فقالَ : دَعَنِي ، فوالله ما أُسَافِرُ
 لأَجْلِهِم ، ولا لِمَا يَحْصُلُ مِنْهُم ، وإِنما أُسَافِرُ خِدْمَةَ لِرَسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم
 أُرْوِي أَحاديثَهُ في بِلَدٍ لا تُروى فيه .

قالَ ابنُ الأنمَاطِيّ : اجْتَمَعَ له جَماعَةٌ لا نَعْلَمُها اجْتَمَعَتْ في مَجَلِيسِ سَماعِ قَبْلَ هذا
 بِدِمَشقَ ، بَلْ لَم تَجْتَمِعْ مِثلُها لأَحَدٍ مِمَّنْ رَوَى « المُسْنَدَ »^(٢) .

٥- حَالُ أَبِ وابِنِ عَالِمِينَ :

وقالَ الحاکمُ : سَمِعْتُ أبا عَلِيٍّ مُحَمَّدَ بنِ أَحْمَدَ بنِ زَيْدِ المُعَدَّلِ يَقولُ : سَمِعْتُ
 يَحْيَى بنَ الذَّهْلِيِّ يَقولُ : دَخَلْتُ على أَبِي في الصَّيْفِ الصائِفِ وَقَتَ القائِلَةِ وهو في بَيْتِ
 كُتْبِهِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ السَّرَاجُ ، وهو يُصَنِّفُ ، فَقُلْتُ : يا أَبَتِ هذا وَقَتَ الصَّلَاةِ ، ودُخَانُ
 هذا السَّرَاجِ بالنَّهارِ ، فلو نَفَسْتَ عن نَفْسِكَ قالَ : يا بُنَيَّ ، تَقولُ لي هذا ، وأنا مع

(١) انظر السير : (أبو الوقت) ٢٠/٣٠٣-٣١١ ، وانظر النزهة : ١/١٥٥٣ .

(٢) انظر السير : (حَنبَلُ) ٢١/٤٣١-٤٣٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٤١ .

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ!!^(١) .

وقال أبو إسحاق المزكي : حدثني أبو علي الحسن بن محمد وغيره أن محمد بن يحيى الذهلي وابنه يحيى اختلفا في مسألة فقال أحدهما للآخر : اجعل بيننا حكماً ، فرضياً بابن خزيمة ، ففضى ليحيى على أبيه^(٢) .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة الأصم : محمد بن يعقوب بن يوسف ، الإمام المحدث مسند العصر ، رحلة الوقت ، أبو العباس الأموي مؤلاه ، السناني ، المعقلي النيسابوري الأصم ، ولد المحدث الحافظ أبي الفضل الوراق ، وقد ارتحل بابنه أبي العباس إلى الآفاق ، وسمعه الكتب الكبار .

وحدث بكتاب « الأم » للشافعي عن الربيع ، وطال عمره وبعد صيته ، وتراحم عليه الطلبة وجميع ما حدث به إنما رواه من لفظه فإن الصمم لحقه وهو شاب له بضع وعشرون سنة ، بعد رجوعه من الرحلة ثم تزايد به ، واستحکم بحيث إنه لا يسمع نهيق الحمار وقد حدث في الإسلام ستاً وسبعين سنة .

قال الحاكم : كان يكره أن يقال له : الأصم ، فكان إمامنا أبو بكر ابن إسحاق الصبغي ، يقول : المعقلي ، قال : وكان محدث عصره ، ولم يختلف أحد في صدقه وصحة سماعاته ، وضبط أبيه يعقوب الوراق لها ، وكان يرجع إلى حسن مذهب وتدوين وبلغني أنه أذن سبعين سنة في مسجده قال : وكان حسن الخلق ، سخي النفس ، وربما كان يحتاج إلى الشيء لمعاشه فيورق ، ويأكل من كسب يده ، وهذا الذي يعاب به من أنه كان يأخذ على الحديث ، إنما كان يعيبه به من لا يعرفه ، فإنه كان يكره ذلك أشد الكراهة ولا يناقش أحداً فيه ، إنما كان وراقه وابنه يطلبان الناس بذلك ، فيكرهه هو ذلك ، ولا يقدر على مخالفتها سمع منه : الآباء والأبناء والأحفاد ، وكفاه شرفاً أن يحدث طول تلك السنين ، ولا يجد أحد فيه معمراً بحجة ، وما رأينا الرحلة في بلاد من بلاد الإسلام أكثر منها إليه ، فقد رأيت جماعة من أهل الأندلس وجماعة من أهل

(١) انظر السير : (الذهلي وابنه) ١٢/٢٧٣-٢٨٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٠٠ .

(٢) انظر السير : (يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي) ١٢/٢٨٥-٢٩٤ ، وانظر النزهة : ٤/١٠٠١ .

طراز^(١) وإسبيجاب على بابيه ، وكذا جماعة من أهل فارس سمعته غير مرة يقول وُلِدْتُ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ^(٢) .

٦- مَنْ مَنَعَ ابْنَهُ مِنَ التَّعْلِيمِ ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ خَطْؤُهُ :

قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرَبِيُّ : كَانَ وَالِدُ هُشَيْمٍ صَاحِبُ صِخْنَاءَ وَكَامَخَ^(٣) ، فَكَانَ يَمْنَعُ هُشَيْمًا مِنَ الطَّلَبِ ، فَكَتَبَ الْعِلْمَ حَتَّى نَاطَرَ أَبَا شَيْبَةَ الْقَاضِي ، وَجَالَسَهُ فِي الْفِقْهِ قَالَ : فَمَرَضَ هُشَيْمٌ ، فَجَاءَ أَبُو شَيْبَةَ يَعُودُهُ ، فَمَضَى رَجُلٌ إِلَى بَشِيرٍ ، فَقَالَ : الْحَقُّ ابْنُكَ ، فَقَدْ جَاءَ الْقَاضِي يَعُودُهُ ، فَجَاءَ فَوَجَدَ الْقَاضِي فِي دَارِهِ ، فَقَالَ : مَتَى أَمَلْتُ أَنَا هَذَا ، قَدْ كُنْتُ يَا بُنَيَّ أَمْنَعُكَ ، أَمَّا الْيَوْمَ فَلَا بَقِيَّةَ أَمْنَعُكَ^(٤) .

٧- حُبُّ الْآبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ :

قَالَ أُسَامَةُ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُنِي وَالْحَسَنَ وَيَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا »^(٥) .

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنِ الْبَرَاءِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَسَنِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ » .

وَفِي ذَلِكَ عِدَّةٌ أَحَادِيثَ ، فَهِيَ مُتَوَاتِرَةٌ^(٦) .

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةٍ ، قَالَ : جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَسْعَيَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ أَحَدُهُمَا قَبْلَ الْآخَرِ ، فَجَعَلَ يَدُهُ فِي رَقَبَتِهِ ، ثُمَّ ضَمَّهُ إِلَى إِبْطِهِ ، ثُمَّ قَبَّلَ هَذَا ، ثُمَّ قَبَّلَ هَذَا ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا » ، ثُمَّ قَالَ

(١) بلد قريب من إسبيجاب ، من ثغور الترك ، في أقصى بلاد الشاش مما يلي تركستان .

(٢) انظر السير : (الأصم) ٤٥٢/١٥-٤٦٠ ، وانظر النزاهة : ١/١٢٤٨ .

(٣) الصُّخْنَاءُ : بكسر الصاد : إدامٌ يُتَّخَذُ مِنَ السَّمَكِ يَمْدٌ وَيَقْصَرُ ، وَالكَامَخُ : مَا يُؤْتَدُّ بِهِ ، أَوِ الْمَخْلَلَاتُ الْمَشْهِيَّةُ وَالْكَلِمَتَانِ مَعْرَبَتَانِ .

(٤) انظر السير : (هُشَيْمٌ) ٢٨٧/٨-٢٩٤ ، وانظر النزاهة : ٦/٧٥٨ .

(٥) انظر السير : (الحسن بن علي بن أبي طالب) ٢٤٥/٣-٢٧٩ ، وانظر النزاهة : ٥/٣٧٨ .

(٦) انظر السير : (الحسن بن علي بن أبي طالب) ٢٤٥/٣-٢٧٩ ، وانظر النزاهة : ٦/٣٧٨ .

صلى الله عليه وسلم : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْوَلَدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبُتَةٌ مَجْهَلَةٌ » (١) .

وعن حُسَيْنِ بْنِ وَقْدٍ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ ، فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ، عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ وَيَقُومَانِ ، فَتَزَلَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَهُمَا ، فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَدَقَ اللَّهُ ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (٢) رَأَيْتُمْ هَٰذَيْنِ ، فَلَمْ أَضْبِرْ » ثُمَّ أَخَذَ فِي خُطْبَيْهِ (٣) .

٨- ﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُ ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَسْتَقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٤) :

قَالَ سِبْطُ الْجَوْزِيِّ : كَانَ الْأَشْرَفُ يَحْضُرُ مَجَالِسِي بَحْرَانَ ، وَبِخِلَاطٍ ، وَدِمَشْقَ وَكَانَ مَلَكًا عَفِيفًا ، قَالَ لِي : مَا مَدَدْتُ عَيْنِي إِلَى حَرِيمِ أَحَدٍ وَلَا ذَكَرَ وَلَا أَتَى جَاءَتْنِي عَجُوزٌ مِنْ عِنْدِ بِنْتِ صَاحِبِ خِلَاطٍ شَاهِ أَرْمَنَ بِأَنَّ الْحَاجِبَ عَلِيًّا أَخَذَ لَهَا ضَيْعَةً فَكَتَبْتُ بِإِطْلَاقِهَا ، فَقَالَتْ الْعَجُوزُ : تُرِيدُ أَنْ تَحْضُرَ بَيْنَ يَدِكَ ، فَقُلْتُ : بِاسْمِ اللَّهِ ، فَجَاءَتْ بِهَا فَلَمْ أَرِ أَحْسَنَ مِنْ قَوَامِهَا وَلَا أَحْسَنَ مِنْ شَكْلِهَا ، فَقُمْتُ لَهَا ، وَقُلْتُ : أَنْتِ فِي هَٰذَا الْبَلَدِ وَأَنَا لَا أَذْرِي ؟ فَسَفَرْتَ عَنْ وَجْهِ أَضَاءَتِ مِنْهُ الْغُرْفَةُ ، وَقُلْتُ : لَا ، اسْتَبْرِي فَقَالَتْ : مَاتَ أَبِي وَاسْتَوْلَى عَلَى الْمَدِينَةِ بَكْتَمِرَ ، ثُمَّ أَخَذَ الْحَاجِبُ قَرِيْبَتِي وَبَقِيْتُ أَعِيشُ مِنْ عَمَلِ النَّقْشِ وَفِي دَارِ الْكِرَاءِ فَبَكَيْتُ لَهَا ، وَأَمَرْتُ لَهَا بَدَارٍ وَقِمَاشٍ ، فَقَالَتْ الْعَجُوزُ : يَا خَوْنَدُ أَلَا تَحْطَى اللَّيْلَةَ بِكَ ؟ فَوَقَعَ فِي قَلْبِي تَغْيِيرُ الزَّمَانِ وَأَنَّ خِلَاطَ يَمْلِكُهَا غَيْرِي ، وَتَحْتَاجُ بِنْتِي أَنْ تَقْعُدَ هَٰذِهِ الْقَعْدَةَ ، فَقُلْتُ : مَعَاذَ اللَّهِ ، مَا هَٰذَا مِنْ شِيْمَتِي فَقَامَتِ الشَّابَّةُ بَاكِئَةً تَقُولُ : صَانَ اللَّهُ عَوَاقِبَكَ (٥) .

(١) انظر السير : (الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) ٣/٢٤٥-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٧/٣٧٩ .

(٢) سورة التغابن ، الآية : ١٥ .

(٣) انظر السير : (الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) ٣/٢٤٥-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ١/٣٨٠ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ٩ .

(٥) انظر السير : (الْأَشْرَفُ) ٢٢/١٢٢-١٢٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٧٣ .

٩- مَنْ سَمَّى ابْنَهُ اسْمًا صَالِحًا رَجَاءَ السَّعْدِ :

رُوي عن شُعْبَةَ ، قَالَ : سَمَّيْتُ ابْنِي سَعْدًا ، فَمَا سَعِدَ وَلَا أَفْلَحَ ^(١) .

١٠- تَوَطَّيْتُ النَّفْسَ عَلَى الصَّبْرِ عِنْدَ فَقْدِ الْأَبْنَاءِ :

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني : إِذَا وُلِدَ لِي وَلَدٌ أَخَذْتُهُ عَلَى يَدَيَّ ، وَأَقُولُ : هَذَا مَيِّتٌ ، فَأَخْرِجْهُ مِنْ قَلْبِي ، فَإِذَا مَاتَ لَمْ يُؤَثِّرْ عِنْدِي مَوْتُهُ شَيْئًا ^(٢) .

١١- حَالُ الْأَبَاءِ عِنْدَ فَقْدِ الْأَبْنَاءِ :

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : اشْتَكَيْ بَعْضُ أَوْلَادِ أَبِي جَعْفَرِ الْبَاقِرِ ، فَجَزِعَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أُخْبِرَ بِمَوْتِهِ ، فَسُرِّيَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : نَدَعُو اللَّهَ فِيمَا نُحِبُّ ، فَإِذَا وَقَعَ مَا نَكْرَهُ ، لَمْ نُخَالِفِ اللَّهَ فِيمَا أَحَبَّ ^(٣) .

وعن ابن عُيَيْنَةَ قَالَ : لَمَّا مَاتَ ذَرُّ بْنُ عُمَرَ قَعَدَ عُمَرُ عَلَى شَفِيرِ قَبْرِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا بَيْتِي ، شَغَلَنِي الْحُزْنُ لَكَ ، عَنِ الْحُزْنِ عَلَيْكَ ، فَلَيْتَ شِعْرِي ، مَا قُلْتُ ، وَمَا قِيلَ لَكَ ؟ اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَهُ بِطَاعَتِكَ وَبِبرِّي فَقَدْ وَهَبْتُ لَهُ مَا قَصَرَ فِيهِ مِنْ حَقِّي ، فَهَبْ لَهُ مَا قَصَرَ فِيهِ مِنْ حَقِّكَ وَقِيلَ : إِنَّهُ قَالَ : انْطَلَقْنَا وَتَرَكْنَاكَ ، وَلَوْ أَقَمْنَا مَا نَفَعْنَاكَ ، فَسْتَوْدِعُكَ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

تُوفِّيَ عُمَرُ بْنُ ذَرِّ بْنِ عُمَرَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَةَ ، وَكَانَ ثِقَّةً ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، كَثِيرَ الْحَدِيثِ ^(٤) .

١٢- تَطْمِينُ الرَّجُلِ أَوْلَادَهُ حَالَ الْمَوْتِ إِلَى وُجُودِ مَا يَكْفِيهِمْ بَعْدَهُ :

وقيل : إِنَّ الْمُعْتَصِدَ لَمَّا نَفَذَ إِلَى الْحَرْبِيِّ بِالْعَشْرَةِ آلاَفٍ فَرَدَّهَا ، فَقِيلَ لَهُ : فَفَرَّقَهَا ، فَأَبَى ، ثُمَّ لَمَّا مَرِضَ سَيَّرَ إِلَيْهِ الْمُعْتَصِدُ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا ، فَخَاصَمْتَهُ بِتَبْتِهِ ،

(١) انظر السير : (شُعْبَةُ) ٧/٢٠٢-٢٢٨ ، وانظر النزهة : ٥/٦٩٤ .

(٢) انظر السير : (الشيخ عبد القادر الجيلاني) ٢٠/٤٣٩-٤٥١ ، وانظر النزهة : ٥/١٥٧٥ .

(٣) انظر السير : (أبو جعفر الباقر) ٤/٤٠١-٤٠٩ ، وانظر النزهة : ٣/٥٢٣ .

(٤) انظر السير : (عُمَرُ بْنُ ذَرِّ بْنِ عُمَرَ) ٦/٣٨٥-٣٩٠ ، وانظر النزهة : ١/٦٦١ .

فقال : أتخشين إذا مِتُّ الفقْرَ ؟ قالت : نعم قال : في تلك الزاوية اثنا عشر ألف جزءٍ حديثيةٌ ولغوويةٌ وغيرُ ذلك كتبتها بخطِّي ، فبيعي منها كلَّ يومٍ جزءاً بذرهم وأنفقيه .
توفي سنة خمسٍ وثمانينٍ ومئتين ، وكانت جنازته مشهودةً ، وقبره يُزارُ ببغداد^(١) .

١٣- واحدٌ من العلماء لم يرَ ابنته أبداً ، ورثُ الذهبِيَّ عليه :

قال الإمامُ الذهبِيُّ في ترجمته ابنُ الحُطَيْئَةِ : وحكى لنا شجاعٌ أن أبا العباسِ ابنَ الحُطَيْئَةِ وُلدت له بنتٌ ، فلما كبرتُ أقرأها بالسَّبْعِ ، وقرأتُ عليه « الصَّحِيحِينَ » وغيرَ ذلك ، وكتبتُ الكثيرَ وتعلّمتُ عليه كثيراً من العِلْمِ ، ولمَ ينظرُ إليها قطُّ ، فسألتُ شجاعاً : أكانَ ذلكَ عن قَصْدٍ ؟ فقالَ : كانَ في أوَّلِ العُمُرِ اتِّفاقاً ، لأنَّهُ كانَ يَشْتَغَلُ بالإقراءِ إلى المَغربِ ، ثم يدخلُ بيته وهي في مَهْدِها ، وتَمادى الحالُ إلى أن كبرتُ ، فصارتُ عادةً ، وزوَّجها ودخلتُ بيتها والأمرُ على ذلك ، ولمَ ينظرُ إليها قطُّ .

قال الإمامُ الذهبِيُّ مُعقَّباً : لا مَدْحَ في مثلِ هذا ، بلِ السُّنَّةُ بِخِلافِهِ ، فقد كانَ سيِّدُ البَشَرِ صلى اللهُ عليه وسلم يَحْمَلُ أُمَامَةَ بنتِ ابنتِهِ وهو في الصَّلَاةِ .

توفي ابنُ الحُطَيْئَةِ رَحِمَهُ اللهُ سَنَةَ سِتِّينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ ، وقبرُهُ بالقِرافَةِ ظاهرٌ يُزارُ^(٢) .

* * *

(١) انظر السير : (إبراهيم الحَرَبِيُّ) ١٣/٣٥٦-٣٧٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٩٥ .

(٢) انظر السير : (ابنُ الحُطَيْئَةِ) ٢٠/٣٤٤-٣٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٦٠ .

بِرُّ الْوَالِدَيْنِ

١- كَيْفَ يُصِيبُ الْإِنْسَانُ الْبِرَّ :

يَقُولُ وَهْبُ بْنُ مُنْبَهٍ : ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ أَصَابَ الْبِرَّ : السَّخَاءُ وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَدَى ، وَطِيبُ الْكَلَامِ ^(١) .

٢- مَنْ بَرَكَ فَقَدْ أَوْثَقَكَ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْحَكِيمِ التَّرْمِذِيِّ : وَمَنْ كَلِمَةٍ : لَيْسَ فِي الدُّنْيَا حِمْلٌ أَثْقَلَ مِنَ الْبِرِّ ، فَمَنْ بَرَكَ فَقَدْ أَوْثَقَكَ ، وَمَنْ جَفَاكَ فَقَدْ أَطْلَقَكَ ^(٢) .

٣- قَوَاعِدُ فِي بِرِّ الْوَالِدَيْنِ :

عَنْ عُرْوَةَ قَالَ : مَا بَرََّ وَالِدَهُ مَنْ شَدَّ الطَّرْفَ إِلَيْهِ ^(٣) .

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ : حَدَّثَنِي حَفْصَةُ بِنْتُ سِيرِينَ قَالَتْ : كَانَتْ وَالِدَةُ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ حِجَارِيَّةً ، وَكَانَ يُعْجِبُهَا الصَّبْغُ ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا اشْتَرَى لَهَا ثَوْبًا اشْتَرَى الْبَيْنَ مَا يَجِدُ ، فَإِذَا كَانَ عِيدٌ ، صَبَغَ لَهَا ثِيَابًا ، وَمَا رَأَيْتُهُ رَافِعًا صَوْتَهُ عَلَيْهَا ، كَانَ إِذَا كَلَّمَهَا كَالْمُصْنَعِي إِلَيْهَا ^(٤) .

وَعَنْ ابْنِ عَوْنٍ ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ كَانَ إِذَا كَانَ عِنْدَ أُمِّهِ لَوْ رَأَاهُ رَجُلٌ لَا يَعْرِفُهُ ، ظَنَّ أَنَّهُ بِهِ مَرَضًا مِنْ خَفَضِ كَلَامِهِ عِنْدَهَا ^(٥) .

(١) انظر السير : (وَهْبُ بْنُ مُنْبَهٍ) ٤/٤٤٤-٥٥٧ ، وانظر النزهة : ٦/٥٥٤ .

(٢) انظر السير : (الْحَكِيمِ) ١٣/٤٣٩-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ١/١١٠٠ .

(٣) انظر السير : (عُرْوَةَ) ٤/٤٢١-٤٣٧ ، وانظر النزهة : ٢/٥٥٢٨ .

(٤) انظر السير : (مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ) ٤/٦٠٦-٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٧/٥٧٠ .

(٥) انظر السير : (مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ) ٤/٦٠٦-٦٢٢ ، وانظر النزهة : ١/٥٧١ .

٤- عاقبة البرِّ بالوالدين الجَنَّة - إن شاء الله :

قال الإمام الذهبي في ترجمته حارثة بن النعمان : وهو الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دَخَلْتُ الْجَنَّةَ ، فَسَمِعْتُ قِرَاءَةَ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قِيلَ : حَارِثَةُ ! » فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كَذَا كُمُ الْبِرِّ » وكان برًّا بأُمَّه ، رضي الله عنه^(١) .

عن يونس بن عبيد قال : يُرْجَى لِلرَّهَقِ بِالْبِرِّ الْجَنَّةَ ، وَيُخَافُ عَلَى الْمُتَأَلِّهِ بِالْعُقُوقِ النَّارَ^(٢) .

٥- دُعاءُ الوالدين مُستجابٌ - إن شاء الله :

قال سهل بن بشر : حَدَّثَنَا سَلِيمٌ بْنُ أَيُّوبَ أَنَّهُ كَانَ فِي صِغَرِهِ بِالرِّيِّ ، وَلَهُ نَحْوُ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ ، فَحَضَرَ بَعْضُ الشُّيُوخِ وَهُوَ يُلْقَنُ قَالَ : فَقَالَ لِي : تَقَدَّمْ فَأَقْرَأْ فَجِهِدْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْفَاتِحَةَ ، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ لِانْغِلَاقِ لِسَانِي فَقَالَ : لَكَ وَالِدَةٌ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ قَالَ : قُلْ لَهَا تَدْعُو لَكَ أَنْ يَرُزُقَكَ اللَّهُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ قُلْتُ : نَعَمْ فَرَجَعْتُ ، فَسَأَلْتُهَا الدُّعَاءَ فَدَعَتْ لِي ، ثُمَّ إِنِّي كَبِرْتُ ، وَدَخَلْتُ بَغْدَادَ ، قَرَأْتُ بِهَا الْعَرَبِيَّةَ وَالْفِقْهَ ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَى الرِّيِّ ، فَبَيْنَا أَنَا فِي الْجَامِعِ أَقَابِلَ « مُخْتَصَرَ » الْمُزْنِيِّ ، وَإِذَا الشَّيْخُ قَدْ حَضَرَ وَسَلَّمْ عَلَيْنَا وَهُوَ لَا يَعْرِفُنِي ، فَسَمِعَ مُقَابِلَتَنَا ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَاذَا نَقُولُ ، ثُمَّ قَالَ : مَتَى يُتَعَلَّمُ مِثْلُ هَذَا ؟ فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ : إِنَّ كَانَتْ لَكَ وَالِدَةٌ ، فَقُلْ لَهَا تَدْعُو لَكَ فَاسْتَحْيَيْتُ^(٣) .

٦- صُورٌ لِبرِّ الوالدين :

عن محمد بن المنكدر ، أَنَّهُ كَانَ يَضَعُ خَدَّهُ عَلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ يَقُولُ لِأُمِّهِ : قُومِي ضَعِي قَدَمَكَ عَلَى خَدِّي^(٤) .

(١) انظر السير : (حارثة بن النعمان) ٢/٣٧٨-٣٨٠ ، وانظر النزاهة : ٢/٢٧٧ .

(٢) انظر السير : (يونس بن عبيد) ٦/٢٨٨-٢٩٦ ، وانظر النزاهة : ٣/٦٥٢ .

(٣) انظر السير : (سليم بن أيوب) ١٧/٦٤٥-٦٤٧ ، وانظر النزاهة : ٢/١٣٧١ .

(٤) انظر السير : (محمد بن المنكدر) ٥/٣٥٣-٣٦١ ، وانظر النزاهة : ٢/٦٠٨ .

وقال سعيد بن عامر : قال ابن المُنكدر : بات أخي عمرُ يصلي ، وبِتُّ أغمزُ قدمَ أمي ، وما أحبُّ أن لي لتي بليلته (١) .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة منصور بن المُعتمر : حدَّثنا الأحنسي ، سمعتُ أبا بكر يقول : كنتُ مع منصورٍ جالساً في منزله ، فتصيحُ به أمُّه ، وكانت فظةً عليه ، فتقولُ : يا منصورُ يريدُك ابنُ هُبيرةَ على القضاء فتأبى ، وهو واضحٌ لحيته على صدره ، ما يرفعُ طرفه إليها (٢) .

وقيل : إنَّ كهَمَسَ أرادَ قتلَ عقربٍ ، فدخلتُ في جُحرٍ فأدخلَ أصابعه خلفها فضربتُه فقيل له : قال : خفتُ أن تخرجَ ، فتجيءُ إلى أمي تلدعُها (٣) .

وعن ابنِ عَوْنٍ : أنَّ أمَّهُ نادته فأجابها ، فعلا صوته صوتها فأعقَ رقبتي .

قال قره بن خالد : كُنَّا نَعَجِبُ من ورعِ محمدِ بنِ سيرينَ فأنساناهُ ابنُ عَوْنٍ (٤) .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة بُندار : وجمع حديث البصرة ، ولم يرحل ، برأ بأمه ، ثم رحل بعدها (٥) .

وقال عبدُ الله بنُ جعفرِ بنِ خاقانِ المروزي : سمعتُ بُنداراً يقولُ : أردتُ الخروجَ - يعني : الرحلة - فمَنَعَنِي أمي ، فأطعْتُها فبورِكَ لي فيه (٦) .

وقال جعفرُ الخلدِيُّ : كانَ الأَبَارُ من أزهدي النَّاسِ ، استأذَنَ أمَّهُ في الرحلةِ إلى قُتَيْبَةَ ، فلمْ تَأذَنَ له ، ثم ماتت ، فخرَجَ إلى خُرَاسَانَ ، ثم وصلَ إلى بلخَ وقد مات قُتَيْبَةُ ، فكانوا يُعزِّونَه على هذا ، فقال : هذا ثمرةُ العِلْمِ ، إنِّي اخترتُ رضا الوالدة (٧) .

-
- (١) انظر السير : (محمد بن المُنكدر) ٣٥٣/٥ - ٣٦١ ، وانظر النزهة : ١/٦٠٩ .
 - (٢) انظر السير : (منصور بن المُعتمر) ٤٠٢/٥ - ٤١٢ ، وانظر النزهة : ٥/٦١٧ .
 - (٣) انظر السير : (كهَمَس) ٣١٦/٦ - ٣١٧ ، وانظر النزهة : ٦/٦٥٣ .
 - (٤) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عَوْنٍ) ٣٦٤/٦ - ٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٦/٦٥٦ .
 - (٥) انظر السير : (بُندار) ١٢/١٤٤ - ١٤٩ ، وانظر النزهة : ٢/٩٨٩ .
 - (٦) انظر السير : (بُندار) ١٢/١٤٤ - ١٤٩ ، وانظر النزهة : ٣/٩٨٩ .
 - (٧) انظر السير : (الأَبَار) ١٣/٤٤٣ - ٤٤٤ ، وانظر النزهة : ٢/١١٠١ .

وقال ابن النَجَّار : قرأتُ بخطَّ معمرِ بنِ الفَاخرِ في « مُعْجَمِهِ » أَخْبَرَنِي أَبُو الْقَاسِمِ
الْحَافِظُ إِمْلَاءَ بِيَمِينِي وَكَانَ مِنْ أَحْفَظِ مَنْ رَأَيْتُ وَكَانَ شَيْخُنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ الْإِمَامِ
يُفَضِّلُهُ عَلَى جَمِيعِ مَنْ لَقِينَاهُمْ ، قَدِمَ أَصْبَهَانَ وَنَزَلَ فِي دَارِي ، وَمَا رَأَيْتُ شَابًا أَحْفَظَ
وَلَا أَوْرَعَ وَلَا أَنْقَنَ مِنْهُ وَكَانَ فَقِيهًا أَدِيبًا سُنِّيًّا ، سَأَلْتُهُ عَنْ تَأْخُرِهِ عَنِ الرَّحْلَةِ إِلَى أَصْبَهَانَ
قَالَ : اسْتَأْذَنْتُ أُمَّي فِي الرَّحْلَةِ إِلَيْهَا ، فَمَا أَذْنَتْ^(١) .

* * *

(١) انظر السير : (ابن عساکر) ٢٠/٥٥٤-٥٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٨٥ .

الدُّنْيَا

١- أَقْوَالٌ تُحَذِّرُ مِنَ الْاِغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا وَتُحَثُّ عَلَى الْعَمَلِ لِالْآخِرَةِ :

عن ابنِ الحَنَفِيَّةِ : إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْجَنَّةَ ثَمَنًا لَأَنْفُسِكُمْ فَلَا تَبِعُوهَا بِغَيْرِهَا^(١) .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ : مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلَّهِ ، كَانَ الْخُمُولُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ التَّطَاوُلِ ، وَاللَّهُ مَا الْحَيَاةُ بِثِقَةٍ ، فَيُرْجَى نَوْمُهَا ، وَلَا الْمَيِّتَةُ بَعْدُ ، فَيُؤْمَنُ عُدْرُهَا ، فَيَمِمْ التَّفْرِيطُ وَالتَّقْصِيرُ وَالاِتِّكَالُ وَالْإِبْطَاءُ ؟ قَدْ رَضِينَا مِنْ أَعْمَالِنَا بِالْمَعَانِي ، وَمِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ بِالتَّوَانِي ، وَمِنْ الْعَيْشِ الْبَاقِي بِالْعَيْشِ الْفَآنِي^(٢) .

وَقَالَ سَلْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخُرَاسَانِيُّ : سَمِعْتُ الْفَضِيلَ يَقُولُ : إِنَّمَا أَمْسُ مِثْلُ ، وَالْيَوْمُ عَمَلٌ ، وَغَدَاً أَمَلٌ^(٣) .

وَمِنْ كَلَامِ أَبِي مُعَاوِيَةَ الْأَسْوَدِ : مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ ، طَالَ غَدَاً غَمُّهُ ، وَمَنْ خَافَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، صَاقَ بِهِ ذَرْعَهُ . وَهِيَ مَوَاعِظٌ وَحِكْمٌ^(٤) .

وَمِمَّا رَوَاهُ الْمُعَافِيُّ بْنُ عِمْرَانَ : عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ حَجَّاجِ بْنِ فَرَاصَةَ عَنْ بُدَيْلٍ ، قَالَ : مَنْ عَرَفَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، أَحَبَّهُ ، وَمَنْ أَبْصَرَ الدُّنْيَا زَهْدًا فِيهَا ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يَلْهُو حَتَّى يَغْفَلَ ، فَإِذَا تَذَكَّرَ حَزِنَ^(٥) .

وَعَنْ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّهُ قَالَ : أَمْسُ قَدْ مَاتَ ، وَالْيَوْمُ فِي السِّيَاقِ ، وَغَدَاً لَمْ يُوَلَدْ^(٦) .

-
- (١) انظر السير : (ابنُ الحَنَفِيَّةِ) ٤ / ١١٠ - ١٢٩ ، وانظر النزهة : ٧ / ٤٥٨ .
 (٢) انظر السير : (إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ) ٧ / ٣٨٧ - ٣٩٦ ، وانظر النزهة : ١٠ / ٧٠٨ .
 (٣) انظر السير : (الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضَ) ٨ / ٤٢١ - ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٤ / ٧٧٤ .
 (٤) انظر السير : (أَبُو مُعَاوِيَةَ الْأَسْوَدِ) ٩ / ٧٨ - ٧٩ ، وانظر النزهة : ١ / ٨٠٠ .
 (٥) انظر السير : (الْمُعَافِيُّ) ٩ / ٨٠ - ٨٦ ، وانظر النزهة : ١ / ٨٠١ .
 (٦) انظر السير : (بَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ) ١٠ / ٤٦٩ - ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ١ / ٨٨٦ .

ومن كلام ابن الجوزي : ما اجتمع لامرئٍ أمله ، إلا وسعى في تفريطه أجله (١) .

٢- حال الدنيا :

وبلغنا أن الثوري كان كثيراً ما يتمثل بأبيات عمران هذه :

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها على أنهم فيها عراة وجوع
أراها وإن كانت تحبب فإنها سحابة صيف عن قليل تقشع
كركب قضا حاجاتهم وترحلوا طريقهم بادي العلامة مهيع
توفي عمران ابن حطان سنة أربع وثمانين (٢) .

وقال ابن الأغرabi : كان أبو رجاء العطاردي عابداً ، كثير الصلاة وتلاوة القرآن ، كان يقول : ما أسى على شيء من الدنيا إلا أن أعفر في التراب وجهي كل يوم خمس مرات (٣) .

وعن سعيد بن جبير قال : إنما الدنيا جمع من جمع الآخرة (٤) .

وعن أبي جعفر الباقر ، قال : من دخل قلبه ما في خالص دين الله ، شغله عما سواه ، ما الدنيا ، وما عسى أن تكون ، هل هو إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته ، أو امرأة أصبتها (٥) .

وروى ابن عيينة عن أبي حازم قال : اشتدت مؤنة الدين والدنيا ، قيل : وكيف ؟ قال : أما الدين ، فلا تجد عليه أعواناً ، وأما الدنيا فلا تمد يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه (٦) .

(١) انظر السير : (أبو الفرج ابن الجوزي) ٣٦٥-٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٨/١٦٣٤ .

(٢) انظر السير : (عمران بن حطان) ٢١٤-٢١٦ ، وانظر النزهة : ٦/٤٨١ .

(٣) انظر السير : (أبو رجاء العطاردي) ٢٥٣-٢٥٧ ، وانظر النزهة : ٣/١٩٤ .

(٤) انظر السير : (سعيد بن جبير) ٣٢١-٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٨/٥٠٦ .

(٥) انظر السير : (أبو جعفر الباقر) ٤٠١-٤٠٩ ، وانظر النزهة : ٣/٥٢٢ .

(٦) انظر السير : (أبو حازم) ٩٦-١٠٣ ، وانظر النزهة : ٣/٦٣٦ .

وعن أبي حازم ، قال : ما أَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ فِي الْآخِرَةِ ، فَاتْرُكْهُ الْيَوْمَ وَقَالَ :
انظُرْ كُلَّ عَمَلٍ كَرِهْتَ الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ ، فَاتْرُكْهُ ثُمَّ لَا يَضُرُّكَ مَتَى (١) .

وعنه أيضاً ، قال : ما الدُّنْيَا ؟ ما مَضَى مِنْهَا فَحُلْمٌ ، وما بَقِيَ مِنْهَا فَأَمَانِي (٢) .

وعنه أيضاً ، قال : وَجَدْتُ الدُّنْيَا شَيْئِينَ : فَشَيْئاً هُوَ لِي ، وَشَيْئاً لِغَيْرِي فَأَمَّا مَا كَانَ
لِغَيْرِي ، فَلَوْ طَلَبْتَهُ بِحِيلَةِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَمْ أَصِلْ إِلَيْهِ فَيُمنَعُ رِزْقُ غَيْرِي مِنِّي كَمَا
يُمنَعُ رِزْقِي مِنْ غَيْرِي (٣) .

وعن ابنِ السَّمَّاکِ : الدُّنْيَا كُلُّهَا قَلِيلٌ ، وَالَّذِي بَقِيَ مِنْهَا قَلِيلٌ ، وَالَّذِي لَكَ مِنَ الْبَاقِي
قَلِيلٌ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ قَلِيلِكَ إِلَّا قَلِيلٌ ، وَقَدْ أَصْبَحَتْ فِي دَارِ الْعِزَاءِ ، وَغَدَاً تَصِيرُ إِلَى دَارِ
الْجِزَاءِ ، فَاشْتَرِ نَفْسَكَ لَعَلَّكَ تَنْجُو .

تُوفِّي ابْنُ السَّمَّاکِ سَنَةَ ثَلَاثِ وَثَمَانِينَ وَمِئَةً ، وَقَدْ أَسَنَّ (٤) .

وعن عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرُّضِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : إِذَا أَقْبَلْتَ الدُّنْيَا عَلَى إِنْسَانٍ ، أَعْطَتْهُ
مَحَاسِنَ غَيْرِهِ ، وَإِذَا أُدْبِرَتْ عَنْهُ ، سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ (٥) .

وقال أبو عليِّ الثَّقَفِيُّ : أَفٌّ مِنْ أَشْغَالِ الدُّنْيَا إِذَا أَقْبَلْتَ ، وَأَفٌّ مِنْ حَسْرَاتِهَا إِذَا
أُدْبِرَتْ الْعَاقِلُ لَا يَرْكَنُ إِلَى شَيْءٍ ، إِنْ أَقْبَلَ كَانَ شُغْلاً وَإِنْ أُدْبِرَ كَانَ حَسْرَةً (٦) .

٣- قَوْلٌ جَمِيلٌ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا :

عن ابنِ الحَنْفِيَّةِ ، قَالَ : مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ لَمْ يَكُنْ لِلدُّنْيَا عِنْدَهُ قَدْرٌ (٧) .

عن خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ ، قَالَ : مَا مِنْ أَدَمِيٍّ إِلَّا وَلَهُ أَرْبَعُ أَعْيُنَ : عَيْنَانِ فِي رَأْسِهِ يُبْصِرُ

(١) انظر السير : (أبو حازم) ٦/٩٦-١٠٣ ، وانظر النزهة : ٦/٦٣٦ .

(٢) انظر السير : (أبو حازم) ٦/٩٦-١٠٣ ، وانظر النزهة : ٣/٦٣٧ .

(٣) انظر السير : (أبو حازم) ٦/٩٦-١٠٣ ، وانظر النزهة : ٦/٦٣٧ .

(٤) انظر السير : (ابن السَّمَّاکِ) ٨/٣٢٨-٣٣٠ ، وانظر النزهة : ١/٧٦٢ .

(٥) انظر السير : (عليُّ الرُّضِيُّ) ٩/٣٨٧-٣٩٣ ، وانظر النزهة : ١/٨٣١ .

(٦) انظر السير : (أبو عليِّ الثَّقَفِيُّ) ١٥/٢٨٠-٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٥/١٢٢٧ .

(٧) انظر السير : (ابن الحَنْفِيَّةِ) ٤/١١٠-١٢٩ ، وانظر النزهة : ٦/٤٥٨ .

بهما أمر الدنيا ، وَعَيْنَانِ فِي قَلْبِهِ يُبْصِرُ بِهِمَا أَمْرَ الْآخِرَةِ ، فإذا أَرَادَ اللهُ بَعْدَ خَيْرًا ، فَتَحَ عَيْنَيْهِ اللَّتَيْنِ فِي قَلْبِهِ ، فَأَبْصَرَ بِهِمَا مَا وَعَدَ بِالْغَيْبِ ، فَأَمِنَ الْغَيْبَ بِالْغَيْبِ^(١) .

٤- حَالُ السَّلَفِ مَعَ الدُّنْيَا :

رَوَى الثَّوْرِيُّ : قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّمِيمِيُّ : كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْقَوْمِ! أَفَبَلَّغْتُمْ عَلَيْهِمُ الدُّنْيَا فَهَرَبُوا ، وَأَذْبَرْتُمْ عَنْكُمْ ، فَاتَّبَعْتُمُوهَا^(٢) .

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ : سَمِعْتُ رَابِعَةَ الْعَدَوِيَّةَ صَالِحًا الْمُرِّيَّ يَذْكُرُ الدُّنْيَا فِي قِصَصِهِ ، فَنَادَتْهُ : يَا صَالِحُ ، مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ^(٣) .

وَعَنْ بَشْرِ بْنِ صَالِحِ الْعَتَكِيِّ ، قَالَ : اسْتَأْذَنَ نَاسٌ عَلَيَّ رَابِعَةَ وَمَعَهُمْ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ فَتَذَاكَرُوا عِنْدَهَا سَاعَةً ، وَذَكَرُوا شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا ، فَلَمَّا قَامُوا قَالَتْ لِخَادِمَتِهَا : إِذَا جَاءَ هَذَا الشَّيْخُ وَأَصْحَابُهُ ، فَلَا تَأْذِنِي لَهُمْ ، فَإِنِّي رَأَيْتُهُمْ يُحِبُّونَ الدُّنْيَا^(٤) .

عَنْ ابْنِ حَفْصُونَ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي وَهَبٍ : تَعَلَّمْتُ أَنِّي كَبِيرُ الدَّارِ فَاسْكُنْ مَعِي ، وَأَخْذِمْتُكَ وَأَشَارَكْتُكَ فِي الْحُلِيِّ وَالْمُرِّ ، قَالَ : لَا أَفْعَلُ ، إِنِّي طَلَقْتُ الدُّنْيَا بِالْأَمْسِ ، أَفَأَرَا جُعُهَا الْيَوْمَ ؟ فَالْمُطَلَّقُ إِنَّمَا يُطَلِّقُ الْمَرْأَةَ بَعْدَ سُوءِ خُلُقِهَا ، وَقِلَّةِ خَيْرِهَا ، وَلَيْسَ فِي الْعَقْلِ الرَّجُوعُ إِلَى مَكْرُوهٍ ، وَفِي الْحَدِيثِ « لَا يُلْدَغُ مُؤْمِنٌ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ »^(٥) .

٥- التَّحَرُّزُ مِنْ عِلَاقَةِ الدُّنْيَا :

قَالَ ثَابِتٌ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى صِلَةَ بْنِ أَشِيمِ بْنِ بَنَعِي أَخِيهِ ، فَقَالَ لَهُ : اذْنُ فُكُلٍ فَقَدْ نَعِيَ إِلَيَّ أَخِي مُنْذُ حِينٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾^(٦) ، ^(٧) .

(١) انظر السير : (خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ) ٤/٥٣٦-٥٤١ ، وانظر النزهة : ٢/٥٥٢ .

(٢) انظر السير : (إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدٍ) ٥/٦٠-٦٢ ، وانظر النزهة : ٣/٥٨٠ .

(٣) انظر السير : (رَابِعَةُ الْعَدَوِيَّةُ) ٨/٢٤١-٢٤٣ ، وانظر النزهة : ٢/٧٤٧ .

(٤) انظر السير : (رَابِعَةُ الْعَدَوِيَّةُ) ٨/٢٤١-٢٤٣ ، وانظر النزهة : ٣/٧٤٧ .

(٥) انظر السير : (أَبُو وَهَبٍ) ١٥/٥٠٦-٥٠٨ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٥٤ .

(٦) سورة الزمر ، الآية : ٣٠ .

(٧) انظر السير : (صِلَةُ بْنُ أَشِيمِ) ٣/٤٩٧-٥٠٠ ، وانظر النزهة : ١/٤١٦ .

وقال بلال بن سَعْد : وَشِيَّ بِعَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسِ إِلَى زِيَادٍ ، فَقَالُوا : هَا هُنَا رَجُلٌ قِيلَ لَهُ : مَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرًا مِنْكَ فَسَكَتَ ، وَقَدْ تَرَكَ النِّسَاءَ .

فَكَتَبَ فِيهِ إِلَى عُثْمَانَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : انْفِهْ إِلَى الشَّامِ عَلَى قَتَبٍ ^(١) فَلَمَّا جَاءَهُ الْكِتَابُ ، أُرْسِلَ إِلَى عَامِرٍ ، فَقَالَ : أَنْتَ قِيلَ لَكَ : مَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرًا مِنْكَ فَسَكَتَ ؟ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ مَا سَكُوتِي إِلَّا تَعْجُبُ ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي غُبَارٌ قَدَمَيْهِ قَالَ : وَتَرَكَتَ النِّسَاءَ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا تَرَكَتُهُنَّ إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ يَجِيءُ الْوَلَدُ وَتَشَعَّبُ فِي الدُّنْيَا ، فَأَحْبَبْتُ التَّحَلِّيَ .

فَأَجْلَاهُ عَلَى قَتَبِ إِلَى الشَّامِ ، فَأَنْزَلَهُ مُعَاوِيَةَ مَعَهُ فِي الْخَضْرَاءِ ^(٢) وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِجَارِيَةٍ ، وَأَمَرَهَا أَنْ تُعَلِّمَهُ مَا حَالَهُ فَكَانَ يَخْرُجُ مِنَ السَّحَرِ ، فَلَا تَرَاهُ إِلَّا بَعْدَ الْعَتَمَةِ فَيَبْعَثُ مُعَاوِيَةَ إِلَيْهِ بِطَعَامٍ ، فَلَا يَعْزِضُ لَهُ ، وَيَجِيءُ بِكِسْرٍ ، فَيَبْلُغُهَا وَيَأْكُلُ ، ثُمَّ يَقُومُ إِلَى أَنْ يَسْمَعَ النَّدَاءَ فَيَخْرُجُ ، فَكَتَبَ مُعَاوِيَةَ إِلَى عُثْمَانَ يَذْكُرُ حَالَهُ ، فَكَتَبَ : اجْعَلْهُ أَوَّلَ دَاخِلٍ وَأَخِرَ خَارِجٍ ، وَمُرِّ لَهُ بِعَشْرَةٍ مِنَ الرَّقِيقِ ، وَعَشْرَةٍ مِنَ الظُّهْرِ ، فَأَحْضَرَهُ وَأَخْبَرَهُ قَالَ : إِنْ عَلَيَّ شَيْطَانًا قَدْ غَلَبَنِي ، فَكَيْفَ أَجْمَعُ عَلَيَّ عَشْرَةَ وَكَانَتْ لَهُ بَعْلَةٌ ^(٣) .

٦- حُبُّ الدُّنْيَا وَالشُّرُورُ بِهَا :

عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبَهٍ ، أَنَّ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ : أَشَدُّكُمْ جَزَاعًا عَلَى الْمُصِيبَةِ ، أَشَدُّكُمْ حُبًّا لِلدُّنْيَا ^(٤) .

وَعَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ : مَنْ سُرَّ بِالدُّنْيَا ، نَزَعَ خَوْفَ الْآخِرَةِ مِنْ قَلْبِهِ ^(٥) .

وَعَنْ سُحُنُونَ قَالَ : مُحِبُّ الدُّنْيَا أَعْمَى ، لَمْ يُنَوِّرْهُ الْعِلْمُ ^(٦) .

-
- (١) الْقَتَبُ : الرَّحْلُ الصَّغِيرُ عَلَى قَدْرِ سَنَامِ الْبَعِيرِ .
 - (٢) الْخَضْرَاءُ : هِيَ دَارُ الْإِمَارَةِ بِدِمَشْقَ ، بِنَاهَا مُعَاوِيَةُ .
 - (٣) انظُرِ السَّيْرَ : (عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ) ١٥-١٩ / ٤ ، وَانظُرِ النَّزْهَةَ : ٢ / ٤٣٣ .
 - (٤) انظُرِ السَّيْرَ : (وَهْبُ بْنُ مُنْبَهٍ) ٤ / ٥٤٤-٥٥٧ ، وَانظُرِ النَّزْهَةَ : ١٠ / ٥٥٤ .
 - (٥) انظُرِ السَّيْرَ : (سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ) ٧ / ٢٢٩-٢٧٩ ، وَانظُرِ النَّزْهَةَ : ١ / ٦٩٩ .
 - (٦) انظُرِ السَّيْرَ : (سُحُنُونَ) ١٢ / ٦٣-٦٩ ، وَانظُرِ النَّزْهَةَ : ٩ / ٩٨٢ .

قال أحمد بن أبي الحواري : مَنْ نَظَرَ إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ إِرَادَةَ وَحُبٍّ ، أَخْرَجَ اللهُ نُورَ اليَقِينِ وَالزُّهُدِ مِنْ قَلْبِهِ (١) .

ومن كلام أبي عثمان الحيري : سُورُوكَ بِالدُّنْيَا أَذْهَبَ سُورُوكَ بِاللَّهِ عَنْ قَلْبِكَ (٢) .

٧- تَقْدِيمُ أَمْرِ الآخِرَةِ عَلَى أُمُورِ الدُّنْيَا :

قال ابنُ بَشُكُوَالٍ : كَانَ الطَّرْطُوشِيُّ إِمَامًا عَالِمًا ، زَاهِدًا وَرِعًا ، دَيِّنًا مُتَوَاضِعًا مُتَقَشِّفًا مُتَقَلِّلًا مِنَ الدُّنْيَا ، رَاضِيًا بِالْيَسِيرِ أَخْبَرَنَا عَنْهُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ ابْنُ الْعَرَبِيِّ ، وَوَصَفَهُ بِالْعِلْمِ ، وَالْفَضْلِ ، وَالزُّهُدِ ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى مَا يَعْنِيهِ قَالَ لِي : إِذَا عَرَضَ لَكَ أَمْرٌ دُنْيَا وَأَمْرٌ آخِرَةٌ ، فَبَادِرْ بِأَمْرِ الآخِرَةِ يَحْصُلُ لَكَ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَى .

وقال إبراهيم بن مهدي : كَانَ شَيْخَنَا أَبُو بَكْرٍ زُهْدُهُ وَعِبَادَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ عِلْمِهِ ، وَحَكَى بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الطَّرْطُوشِيَّ أَنْجَبَ عَلَيْهِ نَحْوًا مِنْ مِثِّي فَقِيهِ مُفْتِي (٣) .

٨- قَوْلٌ بَلِيغٌ فِي تَرْكِ الدُّنْيَا :

عَنِ الْمُحَاسِبِيِّ قَالَ : تَرَكَ الدُّنْيَا مَعَ ذِكْرِهَا صِفَةً الزَّاهِدِينَ ، وَتَرَكَهَا مَعَ نِسْيَانِهَا صِفَةً الْعَارِفِينَ (٤) .

٩- اسْتِوَاءُ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِ الصَّالِحِينَ :

عَنِ الرَّفَاعِيِّ أَنَّهُ قَالَ : لَوْ أَنَّ عَن يَمِينِي جَمَاعَةً يُرَوِّحُونِي بِمَرَاوِحِ النَّدِّ وَالطَّيْبِ وَهَمَّ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَعَن يَسَارِي مِثْلَهُمْ يَقْرَضُونَ لِحِمِّي بِمَقَارِيضَ وَهَمَّ أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ ، مَا زَادَ هَوْلًا عِنْدِي ، وَلَا نَقَصَ هَوْلًا عِنْدِي بِمَا فَعَلُوهُ ، ثُمَّ تَلَا : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (٥) ، (٦) .

(١) انظر السير : (أحمد بن أبي الحواري) ١٢/٨٥-٩٤ ، وانظر النزهة : ٥/٩٨٥ .

(٢) انظر السير : (أبو عثمان الحيري) ١٤/٦٢-٦٦ ، وانظر النزهة : ١/١١٣١ .

(٣) انظر السير : (الطَّرْطُوشِيُّ) ١٩/٤٩٠-٤٩٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٠٠ .

(٤) انظر السير : (الْمُحَاسِبِيُّ) ١٢/١١٠-١١٢ ، وانظر النزهة : ٤/٩٨٨ .

(٥) سورة الحديد ، الآية : ٢٣ .

(٦) انظر السير : (الرَّفَاعِيُّ) ٢١/٧٧-٨٠ ، وانظر النزهة : ٥/١٦٠١ .

١٠- أخبارٌ تُحذِّرُ من الاعتِرارِ بالدُّنيا :

قال الإمام الذهبيُّ في ترجمَةِ البرمكيِّ : كان خالدٌ من رجالِ العِلْمِ ، توَصَّلَ إلى أعلى المراتبِ في دولةِ أبي جَعْفَرٍ ، ثم كان ابنُه يحيىَ كاملَ السُّؤدِدِ ، جليلَ المُقدارِ ، بحيثُ إنَّ المَهديَّ ضَمَّ إليه ولدهُ الرِّشيدَ ، فأحسَنَ تربيتهُ وأدَّبه ، فلمَّا أفضتِ الخِلافةُ إلى الرِّشيدِ ، رَدَّ إلى يحيىَ مقاليدَ الأُمورِ ، ورَفَعَ مَحَلَّهُ ، وكان يُخاطِبُهُ يا أباي ، فكان من أعظمِ الوُزرَاءِ ، ونشأ له أولادٌ صاروا مُلوَكًا ، ولا سِيمًا جَعْفَرٍ ، وما أدراك ما جَعْفَرٍ ؟ له نَبَأٌ عَجيبٌ ، وشأنٌ غريبٌ ، بقيَ في الارتقاءِ في رُتَبَةٍ ، شَرَكَ الخَليفَةَ في أمواله ولذاتِهِ وتَصَرُّفه في المَمالِكِ ، ثم انقلبَ الدُّستُ في يومٍ فقتلَ ، وسُجِنَ أبوه وإخوته إلى المَماتِ ، فما أجْهَلُ مَنْ يَعتَرُّ بالدُّنيا!!^(١) .

وقال الأَصمعيُّ : سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ خالدٍ يَقولُ : الدُّنيا دُوْلٌ ، والمالُ عارِيَةٌ ، ولنا بمنْ قبلنا أُسوةٌ ، وفينا لمنْ بعدنا عِبرةٌ^(٢) .

قيلَ : إنَّ ولدًا ليَحْيَى قالَ له وهم في القُيودِ : يا أبتَ بَعْدَ الأمرِ والنَّهيِ والأموالِ صِرنا إلى هذا ؟ قالَ : يا بُنَيَّ دَعوةٌ مَظْلومٍ غَفَلنا عنها لمْ يَغْفِلِ اللهُ عنها . ماتَ يَحْيَى مَسْجُونًا بالرِّقَّةِ سَنَةً تِسعينَ ومئةَ عن سَبعينَ سَنَةً^(٣) .

فأمَّا جَعْفَرُ ، فكانَ من مِلاحِ زَمانِهِ ، كانَ وَسِيمًا أبيضَ جَميلًا فَصيحًا مُفَوِّهاً ، أديبًا ، عَذبَ العِبارَةَ ، حاتِمِي السَّخاءِ ، وكانَ لَعابًا غارقًا في لذاتِ دُنياه ، وليَ نِيابَةَ دِمَشقَ ، فقدمها في سَنَةِ ثمانينَ ومئةَ ، فكانَ يَسْتَخِلِفُ عليها ، ويُلَازِمُ هارُونَ ، وكانَ يَقولُ : إذا أَقبلتِ الدُّنيا عليكِ ، فأعْطِ ، فإنَّها لا تَفْنى ، وإذا أدْبَرَتِ ، فأعْطِ فإنَّها لا تَبْقَى .

وقد اِختُلِفَ في سَبَبِ مَصْرَعِ جَعْفَرٍ على أقوالٍ^(٤) .

(١) انظر السير : (البرمكيُّ) ٧١-٥٩/٩ ، وانظر النزهة : ٢/٧٩٧ .

(٢) انظر السير : (البرمكيُّ) ٧١-٥٩/٩ ، وانظر النزهة : ٣/٧٩٧ .

(٣) انظر السير : (البرمكيُّ) ٧١-٥٩/٩ ، وانظر النزهة : ٤/٧٩٧ .

(٤) انظر السير : (البرمكيُّ) ٧١-٥٩/٩ ، وانظر النزهة : ١/٧٩٨ .

وَسُئِلَ سَعِيدُ بْنُ سَالِمٍ عَنِ ذَنْبِ الْبِرَامِكَةِ ، فَقَالَ : مَا كَانَ مِنْهُمْ بَعْضٌ مَا يُوجِبُ مَا فَعَلَ الرَّشِيدُ ، لَكِنْ طَالَتْ أَيَّامُهُمْ ، وَكُلُّ طَوِيلٍ يَمَلُّ^(١) .

وفي تاريخ ابن خلكان : أَنَّ الرَّشِيدَ دَعَا يَاسِرًا غُلَامَهُ ، فَقَالَ : قَدْ انْتَحَبْتِكَ لِأَمْرٍ لَمْ أَرْ لَهُ الْأَمِينَ وَلَا الْمَأْمُونَ ، فَحَقَّقْ ظَنِّي قَالَ : لَوْ أَمَرْتَنِي بِقَتْلِ نَفْسِي ، لَفَعَلْتُ قَالَ : ائْتِنِي بِرَأْسِ جَعْفَرٍ ، فَوَجَمَ لَهَا ، قَالَ : وَبِئْسَ مَا لَكَ ؟ قَالَ : الْأَمْرُ عَظِيمٌ ، لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا .

قَالَ : امْضِ ، وَبِئْسَ مَا لَكَ ، فَامْضَى ، فَأَتَى جَعْفَرًا ، فَقَالَ : يَا يَاسِرُ سَرَرْتَنِي بِإِقْبَالِكَ لَكِنْ سُوَّيْتَنِي بِدُخُولِكَ بِلَا إِذْنٍ قَالَ : الْأَمْرُ وَرَاءَ ذَلِكَ يَا جَعْفَرُ ، قَدْ أَمِرْتُ بِكَذَا ، قَالَ الْمَسْكِينُ - وَأَقْبَلَ يُقْبَلُ قَدَمَهُ ، وَقَالَ : دَعْنِي أَدْخُلُ وَأُوصِي قَالَ : لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ ، فَأَوْصِ فَقَالَ : لِي عَلَيْكَ حَقٌّ ، فَارْجِعْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ : قَتَلْتَهُ ، فَإِنْ نَدِمَ ، كَانَتْ حَيَاتِي عَلَى يَدِكَ قَالَ : لَا أَقْدِرُ ، قَالَ : فَآتِي مَعَكَ إِلَى مُحَيِّمِهِ وَأَسْمِعْ كَلَامَهُ ، وَقَوْلِكَ لَهُ قَالَ : أَمَا هَذَا ، فَتَعَمَّ وَذَهَبَ بِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ يَاسِرٌ ، قَالَ : مَا وَرَاءَكَ ؟ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ جَعْفَرٍ ، فَشَتَمَهُ ، وَقَالَ : لَسْتُ رَاجِعْتَنِي ، لِأَقْدَمْتِكَ قَبْلَهُ فَخَرَجَ ، وَضَرَبَ عُنُقَهُ ، وَأَتَاهُ بِرَأْسِهِ ، فَقَالَ : يَا يَاسِرُ جِئْتَنِي ، بِفُلَانٍ وَفُلَانٍ ، فَلَمَّا أَتَاهُ بِهِمَا ، قَالَ : اضْرِبْنَا عُنُقَهُ ، فَإِنِّي لَا أَقْدِرُ أَرَى قَاتِلَ جَعْفَرٍ^(٢) .

١١- رُؤْيُ فِي حَالِ الدُّنْيَا :

عن العلاء بن زياد قَالَ : رَأَيْتُ النَّاسَ فِي النَّوْمِ ، يَتَّبِعُونَ شَيْئًا فَتَبِعْتُهُ ، فَإِذَا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ هَتْمَاءُ عَوْرَاءُ ، عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ حَلِيَّةٍ وَزِينَةٍ فَقُلْتُ : مَا أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا الدُّنْيَا قُلْتُ : أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُبَغِّضَكَ إِلَيَّ ، قَالَتْ : نَعَمْ ، إِنْ أَبْغَضْتَ الدَّرَاهِمَ^(٣) .

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : قَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ : رَأَيْتُ الدُّنْيَا فِي النَّوْمِ عَجُوزًا مُشَوَّهَةً^(٤) .

(١) انظر السير : (البرمكي) ٩/٥٩-٧١ ، وانظر النزهة : ٢/٧٩٨ .

(٢) انظر السير : (البرمكي) ٩/٥٩-٧١ ، وانظر النزهة : ٣/٧٩٨ .

(٣) انظر السير : (العلاء بن زياد) ٤/٢٠٢-٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٣/٤٧٨ .

(٤) انظر السير : (أبو بكر بن عيَّاش) ٨/٤٩٥-٥٠٨ ، وانظر النزهة : ٧/٧٨٧ .

١٢- شعراً في التحذير من الغفلة :

ومما روي لعمر بن عبد العزيز^(١) :

أَيَقْظَانُ أَنْتَ الْيَوْمَ أَمْ أَنْتَ نَائِمٌ
فَلَوْ كُنْتَ يَقْظَانَ الْغَدَاةَ لَخَرَقْتَ
تُسْرُ بِمَا يَبْلَى وَتَفْرَحُ بِالْمُنَى
نَهَارَكَ يَا مَغْرُورٌ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ
وَسَعْيِكَ فِيمَا سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّةُ

وَمِمَّا كَانَ مِسْعَرٌ يُشِدُّهُ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ^(٢) :

نَهَارَكَ يَا مَغْرُورٌ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ
وَتَتَعَبُ فِيمَا سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّةُ
وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَا زِمٌ
كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ

قال الإمام الذهبي في ترجمة العاضد العبدي : وكان وزيراً لطلحة بن زريق ملىح النظم ، قوي الرفض ، جواداً شجاعاً ، يناظر على الإمامة والقدر ، وعمل قبل موته بثلاث ليالٍ : (٣) .

نَحْنُ فِي غَفْلَةٍ وَنَوْمٍ وَلِلْمَوْتِ
قَدْ رَحَلْنَا إِلَى الْجَمَامِ سَنِينًا
وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ :

أَيَا نَفْسٍ وَيَحَكِّ جَاءَ الْمَشِيبُ
تَوَلَّى شِبَابِي كَأَنْ لَمْ يَكُنْ
كَأَنِّي بِنَفْسِي عَلَى غِرَّةٍ
فِي لَيْتٍ شِعْرِي مَمَّنْ أَكُونُ
فَمَاذَا التَّصَابِي وَمَاذَا الْغَزْلُ
وَجَاءَ مَشِيبِي كَأَنْ لَمْ يَزَلْ
وَخَطْبُ الْمُنُونِ بِهَا قَدْ نَزَلَ
وَمَا قَدَّرَ اللَّهُ لِي فِي الْأَزَلْ

(١) انظر السير : (عمر بن عبد العزيز) ١١٤/٥-١٤٨ ، وانظر النزهة : ٣/٥٩١ .

(٢) انظر السير : (مسعر) ١٦٣/٧-١٧٣ ، وانظر النزهة : ٦/٦٨٩ .

(٣) انظر السير : (العاضد) ٢٠٧/١٥-٢١٥ ، وانظر النزهة : ١/١٢١٩ .

تُوْفِي الحَافِظُ ابْنَ عَسَاكِرِ سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ ، وَحَضَرَ السُّلْطَانَ صَلاَحُ
الدِّينِ (١) .

وقال أبو عبد الله ابنُ الدُّبَيْثِيِّ في « تاريخه » : أنشَدني ابنُ الجَوْزِيِّ بوَاسِطِ
لِنَفْسِهِ (٢) :

يا ساكنَ الدنيا تَأهَّبْ وانتظِرْ يَوْمَ الفِراقِ
وأَعِدْ زاداً للرحيلِ فسوفَ يُحْدِي بالفِراقِ
وابكِ الذنوبَ بأدمعِ تنهَلُ من سُحْبِ المَاقِ
يا مَنْ أَضاعَ زَمانَهُ أرضيتَ ما يَفنَى بِباقِ
ومن إنشَاءِ ابنِ الدَّهَّانِ (٣) :

أيها المغرورُ بالدنيا انتبه إنها حالٌ ستفنى وتحوّل
واجتهد في نيلِ مُلكِ دائمِ أيُّ خيرٍ في نعيمِ سيزول
لو عَقَلنا ما ضحكنا لحظةً غيرَ أَنّا فُقدتَ مِنّا العُقولُ

١٣- شِعْرٌ في التَّحذِيرِ من الاغْتِرارِ بالدُّنيا :
قال أبو العتاهية (٤) :

قولا لمن يرتجي الحياةَ أَمَا في جَعْفَرِ عِبْرَةٌ ويحياءُ
كانا وزيرَي خليفةِ الله ها رونَ هما ما هما وزيارُ
فذلكمُ جَعْفَرٌ بِرُمَّتِيهِ في حالِ رَأْسِهِ ونصفاءُ
والشيخُ يحيى الوزيرُ أَصْبَحَ قَدْ نَحَّاهُ عن نَفْسِهِ وأقصاءُ
شئتَ بَعْدَ الجَميعِ شملَهُمُ فأصبحوا في البلادِ قد تاهوا

(١) انظر السير : (ابنُ عَسَاكِرِ) ٢٠/٥٥٤-٥٧١ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٨٥ .

(٢) انظر السير : (أبو الفَرَجِ ابنُ الجَوْزِيِّ) ٢١/٣٦٥-٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٧/١٦٣٤ .

(٣) انظر السير : (ابنُ الدَّهَّانِ) ٢٢/٨٦-٨٩ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٦٧ .

(٤) انظر السير : (البرِّمَكِيُّ) ٩/٥٩-٧١ ، وانظر النزهة : ١/٧٩٩ .

يُرْضِي بِهِ الْعَبْدَ يَجْزِيهِ اللَّهُ
نَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَتَابَ قَبْلَ الْمَتَابِ طَوْبَاهُ

كَذَلِكَ مَنْ يُسْخِطِ الْإِلَهَ بِمَا
سَبَّحَانَ مِنْ دَانَتْ الْمُلُوكُ لَهُ
طَوْبَى لِمَنْ تَابَ قَبْلَ عَثْرَتِهِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ^(١) :

وكيفما انقلبت يوماً به انقلبوا
يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا

ما الناسُ إلاَّ معَ الدنيا وصاحبها
يعظمون أحَا الدنيا فإن وثبت

١٤- عِبْرَةٌ وَعِظَةٌ فِي حَالِ الدُّنْيَا :

قَالَ الْحَاكِمُ : سَمِعْتُ الْأَصَمَّ ، وَقَدْ خَرَجَ وَنَحْنُ فِي مَسْجِدِهِ ، وَقَدْ امْتَلَأَتِ السُّكَّةُ
مِنَ النَّاسِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ وَكَانَ يُمْلِي عَشِيَّةَ كُلِّ إِثْنَيْنِ مِنْ أَصُولِهِ فَلَمَّا نَظَرَ
إِلَى كَثْرَةِ النَّاسِ وَالْغُرَبَاءِ وَقَدْ قَامُوا يَحْمِلُونَهُ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ مِنْ بَابِ دَارِهِ إِلَى مَسْجِدِهِ ،
بَكَى طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَ : كَأَنِّي بِهِذِهِ السُّكَّةِ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَسْمَعُ وَقَدْ
ضَعُفَ الْبَصَرُ ، وَحَانَ الرَّحِيلُ ، فَمَا كَانَ إِلَّا بَعْدَ شَهْرٍ أَوْ أَقَلٍّ مِنْهُ حَتَّى كَفَّ بَصَرَهُ ،
وَانْقَطَعَتِ الرَّحْلَةُ ، وَانصَرَفَ الْغُرَبَاءُ ، فَرَجَعَ أَمْرُهُ إِلَى أَنَّهُ كَانَ يُنَاوِلُ قَلَمًا فَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ
يَطْلُبُونَ الرِّوَايَةَ ، فَيَقُولُ حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ ، وَكَانَ يَحْفَظُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ حَدِيثًا ، وَسَبْعَ
حِكَايَاتٍ ، فَيَرَوِيهَا وَصَارَ بِأَسْوَأِ حَالٍ حَتَّى تُوَفِّيَ^(٢) .

* * *

(١) انظر السير : (الذُّهْلِيُّ وَابْنُهُ) ١٢/٢٧٣-٢٨٥ ، وانظر النزاهة : ٥/١٠٠٠ .

(٢) انظر السير : (الْأَصَمُّ) ١٥/٤٥٢-٤٦٠ ، وانظر النزاهة : ٢/١٢٤٩ .

العُمر

(أ) فائدةُ طولِ العُمر :

قالَ عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ : كَتَبَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ إِلَى أَبِي كِتَاباً أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَقَالَ : إِنَّ بَقَاءَ الْمُسْلِمِ كُلِّ يَوْمٍ غَنِيمَةٌ ، فَذَكَرَ الْفَرَائِضَ وَالصَّلَوَاتِ وَمَا يَرْزُقُهُ اللَّهُ مِنْ ذِكْرِهِ ^(١) .

(ب) أَكْمَلُ مَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ الْأَرْبَعِينَ :

قالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِي : أَكْمَلُ مَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ عَقْلاً وَذِهْناً عِنْدَ الْأَرْبَعِينَ ^(٢) .

* * *

(١) انظر السير : (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ) ٤/٣٢١-٣٤٣ ، وانظر النزاهة : ٣/٥٠٦ .

(٢) انظر السير : (الْخَلِيلُ) ٧/٤٢٩-٤٣١ ، وانظر النزاهة : ٢/٧١٣ .

الْوَعْظُ وَالْوَعَّازُ

١- مِنْ آدَابِ الْوَعْظِ :

عن عطاءٍ قال : دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ لَهُ : خَفِّفْ فَإِنَّ الذَّكْرَ ثَقِيلٌ ، تَعْنِي إِذَا وَعَّظْتَ (١) .

٢- مَرَاتِبُ النَّاسِ فِي التَّأَثُّرِ بِالْوَعْظِ :

وقال أبو زُرْعَةَ : أَمَلَى عَلَيَّ أَحْمَدُ بْنُ عَاصِمٍ الْحَكِيمُ الْأَنْطَاكِيُّ : النَّاسُ ثَلَاثٌ طَبَقَاتٍ : مَطْبُوعٌ غَالِبٌ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ، فَإِذَا غَفَلُوا ذَكَرُوا ، وَمَطْبُوعٌ مَغْلُوبٌ فَإِذَا بُصِّرُوا أَبْصَرُوا وَرَجَعُوا بِقُوَّةِ الْعَقْلِ ، وَمَطْبُوعٌ مَغْلُوبٌ غَيْرُ ذِي طِبَاعٍ وَلَا سَبِيلٍ إِلَى رَدِّ هَذَا بِالْمَوَاعِظِ (٢) .

٣- تَفَاوُتُ تَأْثِيرِ الْوَعَّازِ :

قال حمادُ بنُ زيدٍ : سَمِعْتُ أُيُوبَ يَقُولُ : كَانَ الْحَسَنُ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ كَأَنَّهُ الدُّرُّ ، فَتَكَلَّمَ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِهِ بِكَلَامٍ يَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ كَأَنَّهُ الْقَيْءُ .

وقال أبو عمرو بنُ العلاء : مَا رَأَيْتُ أَفْصَحَ مِنَ الْحَسَنِ وَالْحَجَّاجِ (٣) .

قال الدَّقِيقِيُّ : مَا رَأَيْتُ شَيْخاً أَهْيَبَ مِنْ ابْنِ الْجَلَاءِ ، مَعَ أَنِّي لَقَيْتُ ثَلَاثَ مِئَةِ شَيْخٍ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : مَا جَلَا أَبِي شَيْئاً قَطُّ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَعِظُ ، فَيَقَعُ كَلَامُهُ فِي الْقُلُوبِ ، فَسُمِّيَ جَلَاءَ الْقُلُوبِ .

قال مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْجَلَنْدِيِّ : سُئِلَ ابْنُ الْجَلَاءِ عَنِ الْمَحَبَّةِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : مَا لِي وَلِلْمَحَبَّةِ ؟ أَنَا أُرِيدُ أَنْتَعَلَّمَ التَّوْبَةَ (٤) .

(١) انظر السير : (عبيد بن عمير) ٤/١٥٦-١٥٧ ، وانظر النزعة : ٣/٤٦٧ .

(٢) انظر السير : (الأنطاكي) ١١/٤٠٩-٤١٠ ، وانظر النزعة : ٤/٩٥٥ .

(٣) انظر السير : (الحسن البصري) ٤/٥٦٣-٥٨٨ ، وانظر النزعة : ٥/٥٦١ .

(٤) انظر السير : (ابن الجلاء) ١٤/٢٥١-٢٥٢ ، وانظر النزعة : ٣/١١٤٨ .

٤- مَنْ مَاتَ مِنَ الْوَعْظِ :

وعن رَجُلٍ قَالَ : وَعَظَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ ، فَنَادَى رَجُلٌ : كُفَّ ، فَقَدْ كَشَفْتَ قِنَاعَ قَلْبِي فَمَا التَّفَتُّ ، وَمَرَّ فِي الْمَوْعِظَةِ ، فَحَشَرَ الرَّجُلُ ، وَمَاتَ فَشَهِدْتُ جَنَازَتَهُ^(١) .

وقال مِسْمَعُ بْنُ عَاصِمٍ : شَهِدْتُ عَبْدَ الْوَاحِدِ يَعْظُ ، فَمَاتَ فِي الْمَجْلِسِ أَرْبَعَةً^(٢) .

قال العَبَّاسُ السَّرَّاجُ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ قَالَ : قَالَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ : حَجَجْتُ ، فَبِثُّ بِالْكُوفَةِ ، فَخَرَجْتُ فِي الظُّلْمَاءِ ، فَإِذَا بِصَارِخٍ يَقُولُ : إِلَهِي وَعِزَّتِكَ مَا أَرَدْتُ بِمَعْصِيَتِي مُخَالَفَتَكَ ، وَعَصَيْتُ وَمَا أَنَا بِنِكَالِكَ جَاهِلٌ ، وَلَكِنْ خَطِيئَةٌ أَعَانَنِي عَلَيْهَا شَقَائِي ، وَعَظَّنِي سَتْرُكَ ، فَالآنَ مَنْ يُنْقِذُنِي ، فَتَلَوْتُ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُوا نَارًا ﴾^(٣) قَالَ : فَسَمِعْتُ دَكْدَكَةً ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ ، مَرَرْتُ هُنَاكَ ، فَإِذَا بِجَنَازَةٍ ، وَعَجُوزٌ تَقُولُ : مَرَّ الْبَارِحَةَ رَجُلٌ تَلَا آيَةَ فَتَفَطَّرَتْ مَرَارَتَهُ ، فَوَقَعَ مَيِّتًا^(٤) .

وَذَكَرَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ الْبَلْخِيِّ ، الْمَعْرُوفِ بِوَاعِظِ بَلْخٍ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ وَعَظَ يَوْمًا ، فَمَاتَ فِي الْمَجْلِسِ أَرْبَعَةً أَنْفُسًا^(٥) .

٥- مَنْ مَاتَ مِنَ الْوَعَاظِ مِنْ شِدَّةِ وَعْظِهِ :

قالَ عَبْدُ الْغَافِرِ فِي « تَارِيخِهِ » : حَكَى الثَّقَاتُ أَنَّ أَبَا عُمَانَ الصَّابُونِيَّ كَانَ يَعْظُ ، فَدَفِعَ إِلَيْهِ كِتَابٌ وَرَدَ مِنْ بُخَارَى ، مُسْتَمَلٌّ عَلَى ذِكْرِ وِبَاءِ عَظِيمٍ بِهَا لِيَدْعَوْ لَهُمْ ، وَوُصِفَ فِي الْكِتَابِ أَنَّ رَجُلًا أَعْطَى خَبَازًا دِرْهَمًا ، فَكَانَ يَزِينُ ، وَالصَّانِعُ يَخْبِزُ ، وَالْمُسْتَرِي وَاقِفٌ ، فَمَاتَ ثَلَاثَتَهُمْ فِي سَاعَةٍ .

(١) انظر السير : (عبد الواحد بن زيد) ١٧٨/٧-١٨٠ ، وانظر النزهة : ٣/٦٩١ .

(٢) انظر السير : (عبد الواحد بن زيد) ١٧٨/٧-١٨٠ ، وانظر النزهة : ٤/٦٩١ .

(٣) سورة التحريم ، الآية : ٦ .

(٤) انظر السير : (منصور بن عمار) ٩٣/٩-٩٨ ، وانظر النزهة : ٥/٨٠١ .

(٥) انظر السير : (واعظ بلخ) ١٤/٥٢٣-٥٢٦ ، وانظر النزهة : ٤/١١٧١ .

فلَمَّا قرَأَ الكِتَابَ هَالَهُ ذَلِكَ ، وَاسْتَقْرَأَ مِنَ الْقَارِئِ ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ (١)
 الآيَاتِ وَنَظَائِرِهَا وَبَالَغَ فِي التَّخْوِيفِ وَالتَّحْذِيرِ ، وَأَثَرَ ذَلِكَ فِيهِ وَتَغْيِيرَ ، وَغَلَبَهُ وَجَعُ
 البَطْنِ وَأُنزِلَ مِنَ الْمِنْبَرِ يَصِيحُ مِنَ الْوَجَعِ ، فَحُمِلَ إِلَى حَمَّامٍ ، فَبَقِيَ إِلَى قَرِيبِ الْمَغْرِبِ
 يَتَقَلَّبُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ ، وَبَقِيَ أَسْبُوعًا لَا يَنْفَعُهُ عِلاجٌ ، فَأَوْصَى ، وَوَدَّعَ أَوْلَادَهُ ،
 وَمَاتَ (٢) .

٦- الواعظُ المُحتاجُ إلى وَعظٍ :

وقال أبو زُرْعَةَ : أُمِلِّي عَلَيَّ أَحْمَدُ بْنُ عاصِمِ الْحَكِيمِ الْأَنْطَاكِيِّ : النَّاسُ ثَلَاثُ
 طَبَقَاتٍ : مَطْبُوعٌ غَالِبٌ وَهَمُّ الْمُؤْمِنُونَ ، فَإِذَا غَفَلُوا ذَكَرُوا ، وَمَطْبُوعٌ مَغْلُوبٌ فَإِذَا
 بُصِّرُوا أَبْصَرُوا وَرَجَعُوا بِقُوَّةِ الْعَقْلِ ، وَمَطْبُوعٌ مَغْلُوبٌ غَيْرُ ذِي طِبَاعٍ وَلَا سَبِيلٍ إِلَى رَدِّ
 هَذَا بِالْمَوَاعِظِ (٣) .

قال الإمامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّبًا : فَمَا الظَّنُّ إِذَا كَانَ وَعِظَ النَّاسِ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ عَبْدَ بَطْنِهِ
 وَشَهْوَتِهِ ، وَلَهُ قَلْبٌ عَرِيٌّ مِنَ الحُزْنِ وَالخَوْفِ ، فَإِنْ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ فَسَقُّ مَكِينٌ ، أَوْ
 انْجِلَالٌ مِنَ الدِّينِ ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَفْضَحَهُ اللهُ تَعَالَى (٤) .

قال الإمامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي مَنْصُورِ الْعَبَّادِيِّ : وَعِظُ باهِرٌ حُلُوُ الْإِشَارَةِ ،
 رَشِيقُ الْعِبَارَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلُ الدِّينِ .

وَكَانَ يُضْرَبُ بِحُسْنٍ وَعِظُهُ الْمَثَلُ (٥) .

قال أبو سَعْدِ السَّمْعَانِيُّ : لَمْ يَكُنِ الْعَبَّادِيُّ بِثِقَةٍ ، رَأَيْتُ رِسَالَةَ بَخَطَهُ جَمَعَهَا فِي
 إِباحَةِ شُرْبِ الخَمْرِ .

قال ابنُ الجَوْزِيِّ : لَهُ كَلِمَاتٌ جَيِّدَةٌ ، وَكُتِبُوا عَنْهُ مِنْ وَعِظِهِ مُجَلَّدَاتٍ ذَهَبَ لِيُصْلِحَ

(١) سورة النحل ، الآية : ٤٥ .

(٢) انظر السير : (الصَّابُونِيُّ) ١٨/٤٠-٤٤ ، وانظر النزهة : ١/١٣٨٥ .

(٣) انظر السير : (الْأَنْطَاكِيُّ) ١١/٤٠٩-٤١٠ ، وانظر النزهة : ٤/٩٥٥ .

(٤) انظر السير : (الْأَنْطَاكِيُّ) ١١/٤٠٩-٤١٠ ، وانظر النزهة : ٥/٩٥٥ .

(٥) انظر السير : (الْعَبَّادِيُّ) ٢٠/٢٣١-٢٣٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٤٤ .

بَيْنَ مَلِكٍ وَكَبِيرٍ ، فَحَصُلَ لَهُ مِنْهُمَا مَالٌ كَثِيرٌ ، وَمَاتَ بَعْسُكِرٌ مُكْرَمٌ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ
وَخَمْسِ مِئَةٍ (١) .

وقيلَ : كَانَ يُخَلُّ بِالصَّلَاةِ لَيْلَةَ حُضُورِهِ السَّمَاعَ ، وَذَكَرَ لَيْلَةَ مَنَاقِبِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ ، وَأَنَّ الشَّمْسَ رَدَّتْ لَهُ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ الشَّمْسَ غَابَتْ بِالْغَيْمِ ، فَعَمَلُ أُبَيَاتَا وَهِيَ :

لا تغربي يا شمسُ حتى ينتهي
واثني عنانك إن أردتِ ثناءهم
إن كان للمولى وقوفك فليكن
هذا الوقوف لخليه ولرجله

قَالَ : فَطَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ تَحْتِ الْغَيْمِ ، فَلَا يُدْرَى مَا رَمِيَ عَلَيْهِ مِنَ الثِّيَابِ
وَالْأَمْوَالِ .

عاش ستاً وخمسين سنةً ، والله يُسامحُه (٢) .

٧- وَعَظُّ الْعُلَمَاءِ الْمُلُوكَ وَالْأَمْرَاءِ وَالْوُزَرَءِ :

(وَاسْتَجْدُ غَيْرَهَا فِي عِلَاقَةِ الْعُلَمَاءِ بِالْأَمْرَاءِ)

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ السَّمَّاءِ : وَقِيلَ : وَعَظَّ مَرَّةً ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ لَكَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ مَقَامًا ، وَإِنَّهُ لَكَ مِنْ مَقَامِكَ مُنْصَرَفًا ، فَاَنْظُرْ إِلَى أَيْنَ
تَكُونُ ، فَبَكَى الرَّشِيدُ كَثِيرًا (٣) .

وعن عَلِيِّ بْنِ حَرْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : مَضَى الرَّشِيدُ عَلَى حِمَارٍ ، وَمَعَهُ غُلَامٌ إِلَى
الْعُمَرِيِّ ، فَوَعَّظَهُ ، فَبَكَى ، وَغَشِيَ عَلَيْهِ (٤) .

وقال مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا الْغَلَابِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ الْجَزْمِيُّ النَّخَوِيُّ ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ
الرَّبِيعِ ، قَالَ : حَجَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - يَعْنِي هَارُونَ الرَّشِيدَ - فَقَالَ لِي : وَيْحَكَ ، قَدْ حَكَ

(١) انظر السير : (العبادي) ٢٠ / ٢٣١ - ٢٣٢ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٥٤٤ .

(٢) انظر السير : (العبادي) ٢٠ / ٢٣١ - ٢٣٢ ، وانظر النزهة : ٥ / ١٥٤٤ .

(٣) انظر السير : (ابنُ السَّمَّاءِ) ٨ / ٣٢٨ - ٣٣٠ ، وانظر النزهة : ٥ / ٧٦١ .

(٤) انظر السير : (العُمَرِيُّ) ٨ / ٣٧٣ - ٣٧٨ ، وانظر النزهة : ٨ / ٧٦٤ .

في نفسي شيءٌ ، فانظر لي رجلاً أسأله فقلتُ : ها هنا سُفيانُ بنُ عُيينَةَ ، فقالَ : امضِ بنا إليه ، فأتيناهُ ، ففرعنا بابَه ، فقالَ : مَنْ ذا ؟ فقلتُ : أجبَ أميرَ المؤمنين .

فخرجَ مُسرِعاً ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنين ، لو أُرسلتَ إليَّ أتيتُكَ فقالَ : خذِ لِمَا جئتُكَ له ، فحدّثه ساعةً ، ثم قالَ له : عليكَ دينٌ قالَ : نعمَ فقالَ لي : افضِ دينَه ، فلمَّا خرجنا قالَ : ما أغنى عني صاحبُك شيئاً ، قلتُ : ها هنا عبدُ الرزّاق قالَ : امضِ بنا إليه ، فأتيناهُ ، ففرعْتُ البابَ فخرجَ وحادّثه ساعةً ، ثم قالَ : عليكَ دينٌ ؟ قالَ : نعمَ قالَ : يا أبا عبّاس ، افضِ دينَه ، فلمَّا خرجنا قالَ : ما أغنى عني صاحبُك شيئاً ، انظر لي رجلاً أسأله ، قلتُ : ها هنا الفضيلُ بنُ عياض ، قالَ : امضِ بنا إليه ، فأتيناهُ ، فإذا هو قائمٌ يصلي ، يتلو آيةً يُردّدها ، فقالَ : افرعِ البابَ ، ففرعْتُ ، فقالَ : مَنْ هذا ؟ قلتُ أجبَ أميرَ المؤمنين ، قالَ : مالي ولأميرِ المؤمنين ؟ قلتُ سبحانَ الله ، أما عليكَ طاعةٌ ، فنزلَ ، ففتحَ البابَ ، ثم ارتقى إلى العُرْفَةِ ، فأطفأ السراجَ ثم التّجأ إلى زاويةٍ ، فدخَلنا ، فجعَلنا نجولُ عليه بأيدينا ، فسبقتُ كفُّ هارونَ قبلي إليه ، فقالَ : يا لها من كفٍّ ، ما أليتها إن نجتُ غداً من عذابِ الله ، فقلتُ في نفسي : ليكلمته الليلةَ بكلامِ نقيٍّ من قلبِ نقيٍّ ، فقالَ له : خذِ لِمَا جئتُكَ له ، رَحِمَكَ اللهُ ، فقالَ : إنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزیزِ لَمَّا وليَ الخِلافةَ دعا سالمَ بنَ عبدِ الله ، ومحمّدَ بنَ كعبٍ ، ورجاءَ بنَ حنيفةٍ ، فقالَ لهم : إنني قد ابْتُليتُ بهذا البلاءِ فأشيروا عليّ ، فعَدَّ الخِلافةَ بلاءً وعدَدَتها أنتَ وأصحابُك نعمةً ، فقالَ له سالمٌ : إن أردتَ النّجاةَ ، فضمِّ الدنيا ، وليكنْ إفطارك منها الموتُ ، وقالَ ابنُ كعبٍ : إن أردتَ النّجاةَ من عذابِ الله ، فليكنْ كبيرُ المسلمينَ عندك أبا ، وأوسطُهم أخاً ، وأصغرُهم ولداً ، فوَقَّرَ أباك ، وأكرمَ أخاك ، وتحننْ عليّ ولديك .

وقالَ له رجاءٌ : إن أردتَ النّجاةَ من عذابِ الله ، فأحبِّ للمسلمينَ ما تُحبُّ لنفسِكَ ، واکره لهم ما تُكرهُ لنفسِكَ ، ثم مُتْ إذا شئتَ ، وإنني أقولُ لك هذا وإنني أخافُ عليكَ أشدَّ الخوفِ يوماً تزلُّ فيه الأقدامُ ، فهل معكَ رَحِمَكَ اللهُ مَنْ يُشيرُ عليكَ بمثلِ هذا ، فبَكَى هارونُ بكاءً شديداً حتّى غشي عليه ، فقلتُ له : ارفُقْ بأمريرِ

المؤمنين ، فقال : يا بنَ أُمِّ الرَّبِيعِ ، تَقْتُلُهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ ، وَأَرْفُقُ بِهِ أَنَا ؟ !! ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ لَهُ : زِدْنِي رَحِمَكَ اللَّهُ قُلْتُ : بَلَّغْنِي أَنَّ عَامِلًا لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ شَكِيَ إِلَيْهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : يَا أَخِي أَذْكَرُكَ طُولَ سَهْرِ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ مَعَ خُلُودِ الْأَبَدِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ يُنْصَرَفَ بِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَيَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ وَانْقِطَاعِ الرَّجَاءِ ، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ طَوَى الْبِلَادَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : خَلَعْتَ قَلْبِي بِكِتَابِكَ ، لَا أَعُودُ إِلَى وِلَايَةِ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ ، فَبَكَى هَارُونُ بُكَاءً شَدِيدًا ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ الْعَبَّاسَ عَمَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ إِلَيْهِ فَقَالَ : أَمْرُنِي ، فَقَالَ لَهُ : « إِنَّ الْإِمَارَةَ حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَكُونَ أَمِيرًا فَافْعَلْ » فَبَكَى هَارُونُ ، وَقَالَ : زِدْنِي قَالَ : يَا حَسَنَ الْوَجْهِ أَنْتَ الَّذِي يَسْأَلُكَ اللَّهُ عَنْ هَذَا الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقِي هَذَا الْوَجْهَ مِنَ النَّارِ فَافْعَلْ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ وَفِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ أَصْبَحَ لَهُمْ غَاشًّا لَمْ يَرُحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ » فَبَكَى هَارُونُ وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ دَيْنٌ ؟ قَالَ نَعَمْ : دَيْنٌ لِرَبِّي ، لَمْ يُحَاسِبْنِي عَلَيْهِ ، فَالْوَيْلُ لِي إِنْ سَاءَ لَنِي ، وَالْوَيْلُ لِي إِنْ نَاقَشَنِي ، وَالْوَيْلُ لِي إِنْ لَمْ أَلْهِمْ حُجَّتِي ، قَالَ : إِنَّمَا أَعْنِي مِنْ دَيْنِ الْعِبَادِ ، قَالَ : إِنَّ رَبِّي لَمْ يَأْمُرْنِي بِهَذَا ، أَمْرُنِي أَنْ أَصَدِّقَ وَعَدَّهُ ، وَأَطِيعَ أَمْرَهُ ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١) ، فَقَالَ : هَذِهِ أَلْفُ دِينَارٍ خُذْهَا ، فَأَنْفِقْهَا عَلَى عِيَالِكَ ، وَتَقَوَّ بِهَا عَلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ أَنَا أَدُلُّكَ عَلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ وَأَنْتَ تُكَافِئُنِي بِمِثْلِ هَذَا !! سَلَّمَكَ اللَّهُ وَوَفَّقَكَ ، ثُمَّ صَمَتَ ، فَلَمْ يُكَلِّمْنَا ، فَخَرَجْنَا ، فَقَالَ هَارُونُ : أبا عَبَّاسَ ، إِذَا دَلَّتَنِي ، فَدَلَّنِي عَلَى مِثْلِ هَذَا ، هَذَا سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِهِ فَقَالَتْ : قَدْ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الضُّيْقِ ، فَلَوْ قَبِلْتَ هَذَا الْمَالَ قَالَ : إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُكُمْ كَمِثْلِ قَوْمٍ لَهُمْ بَعِيرٌ يَأْكُلُونَ مِنْ كَسْبِهِ ، فَلَمَّا كَبُرَ نَحْرُوهُ ، فَأَكَلُوا لَحْمَهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ هَارُونُ هَذَا الْكَلَامَ قَالَ : نَدْخُلُ فَعَسَى أَنْ يَقْبَلَ الْمَالَ ، فَلَمَّا عَلِمَ الْفُضَيْلُ ، خَرَجَ فَجَلَسَ فِي السَّطْحِ عَلَى بَابِ الْغُرْفَةِ ، فَجَاءَ هَارُونُ ، فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ يُكَلِّمُهُ فَلَا يُجِيبُهُ ، فَبِينَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

خَرَجَتْ جَارِيَةٌ سُودَاءَ ، فَقَالَتْ : يَا هَذَا قَدْ آذَيْتَ الشَّيْخَ مِنْذُ اللَّيْلَةِ ، فَاَنْصَرِفْ ، فَاَنْصَرَفْنَا^(١) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْبَارِيُّ : سَمِعْتُ فُضَيْلًا يَقُولُ : لَمَّا قَدِمَ هَارُونُ الرَّشِيدُ إِلَى مَكَّةَ فَعَدَّ فِي الْحِجْرِ هُوَ وَوَلَدُهُ ، وَقَوْمٌ مِنَ الْهَاشِمِيِّينَ ، وَأَحْضَرُوا الْمَشَائِخَ ، فَبَعَثُوا إِلَيْهَا فَارَدَتْ أَنْ لَا أَذْهَبَ ، فَاسْتَشْرَتْ جَارِيَةً ، فَقَالَتْ : أَذْهَبَ لَعَلَّهُ يُرِيدُ أَنْ تَعْظَهُ ، فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ ، فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى الْحِجْرِ ، قُلْتُ لِأَذْنَاهُمْ : أَيُّكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَأَشَارَ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَرَدَّ عَلَيَّ ، وَقَالَ : أَقْعُدْ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّمَا دَعَوْنَاكَ لِتُحَدِّثَنَا بِشَيْءٍ ، وَتَعْظَنَا ، فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا حَسَنَ الْوَجْهِ ، حِسَابُ الْخَلْقِ كُلُّهُمْ عَلَيْكَ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَشْهَقُ ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْكِي ، حَتَّى جَاءَ الْخَادِمُ فَحَمَلُونِي وَأَخْرَجُونِي ، وَقَالَ : أَذْهَبَ بِسَلَامٍ^(٢) .

وَقَالَ أَبُو الثَّنَاءِ شُكْرُ الْعَضْدِيِّ : لَمَّا دَخَلَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بَغْدَادَ وَقَدْ هَلَكَ أَهْلُهَا قَتْلًا وَخَوْفًا وَجُوعًا لِلْفِتَنِ الَّتِي اتَّصَلَتْ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشَّيْعَةِ ، فَقَالَ : آفَةٌ هَلْوَاءُ الْقَصَاصِ ، فَمَنْعَهُمْ ، قَالَ : مَنْ خَالَفَ أَبَاحَ دَمَهُ ، فَعَرَفَ ابْنُ سَمْعُونَ ، فَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ فَأَمَرَنِي مَوْلَايَ ، فَأَحْضَرْتُهُ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَيْهِ نُورٌ ، قَالَ شُكْرٌ : فَجَلَسَ إِلَيَّ جَنِبِي غَيْرَ مُكْتَرِتٍ ، فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا الْمَلِكَ جَبَّارٌ عَظِيمٌ ، مَا أُوتِرُ لَكَ مُخَالَفَتَهُ ، وَإِنِّي مُوَصِّلُكَ إِلَيْهِ ، فَاقْبَلِ الْأَرْضَ وَتَلَطَّفْ لَهُ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ فَمَضَيْتُ بِهِ إِلَى حُجْرَةٍ قَدْ جَلَسَ فِيهَا الْمَلِكُ وَحْدَهُ ، فَأَوْقَفْتُهُ ثُمَّ دَخَلْتُ أَسْتَأْذِنُ ، فَإِذَا هُوَ إِلَيَّ جَانِبِي ، وَحَوْلَ وَجْهِهِ إِلَى دَارِ عِزِّ الدَّوْلَةِ ثُمَّ تَلَا : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخَذْنَا مِنَ النَّارِيِّينَ مَا يَشَاءُونَ فَأَخَذْنَا مِنْ آلِ فَارُوقَ إِذْ أَخَذُوا مِنَ الْقُرَيْشِ يَدِيَّ وَأَخَذُوا مِنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا يَنْظُرُونَ ﴾^(٣) ثُمَّ حَوَّلَ وَجْهَهُ وَقَرَأَ : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾^(٤) ثُمَّ أَخَذَ فِي وَعْظِهِ فَأَتَى بِالْعَجَبِ ، فَدَمِعَتْ عَيْنُ الْمَلِكِ ، وَمَا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْهُ قَطُّ وَشَرِكُ كَمِّهِ عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ الْمَلِكُ :

(١) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزعة : ٨/٧٧٤ .

(٢) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزعة : ٨/٧٧٩ .

(٣) سورة هود ، الآية : ١٠٢ .

(٤) سورة يونس ، الآية : ٢ .

أَذْهَبَ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَعَشْرَةَ أَثْوَابٍ مِنَ الْخَزَائِنَةِ فَإِنْ ائْتَنَعَ فَقُلْ لَهُ : فَرَّقَهَا فِي أَصْحَابِكَ ، وَإِنْ قَبَلَهَا فَجِئْنِي بِرَأْسِهِ ، فَفَعَلْتُ فَقَالَ : إِنَّ ثِيَابِي هَذِهِ فَصَلَّتْ مِنْ نَحْوِ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَلْسُهَا يَوْمَ خُرُوجِي وَأَطْوِيهَا عِنْدَ رُجُوعِي ، وَفِيهَا مُتَعَةٌ وَبَقِيَّةٌ ، وَنَفَقَتِي مِنْ أُجْرَةِ دَارِ خَلْفَتِي أَبِي ، فَمَا أَصْنَعُ بِهِذَا ؟ قُلْتُ : فَرَّقَهَا عَلَى أَصْحَابِكَ قَالَ : مَا فِي أَصْحَابِي فَقِيرٌ فَعُدْتُ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَّمَهُ مِنَّا وَسَلَّمْنَا مِنْهُ (١) .

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ ، أَخُو نِظَامِ الْمَلِكِ : دَخَلَ أَخِي نِظَامُ الْمَلِكِ عَلَيَّ أَبِي الْحَسَنِ الدَّائُودِيَّ فَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَتَوَاضَعَ لَهُ ، فَقَالَ لِأَخِي : أَيُّهَا الرَّجُلُ ! إِنَّكَ سَلَّطَكَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ ، فَاَنْظُرْ كَيْفَ تُجِيبُهُ إِذَا سَأَلَكَ عَنْهُمْ (٢) .

٨- المَشْهُورُونَ بِالْوَعْظِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْقُشَيْرِيِّ : ذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْبَاخَرَزِيُّ فِي كِتَابِ « دُمِيَّةِ الْقَصْرِ » وَقَالَ : لَوْ قَرَعَ الصَّخْرَ بِسَوْطِ تَحْذِيرِهِ لَذَابَ ، وَلَوْ رُبِطَ إِبْلِيسُ فِي مَجْلِسِهِ لَتَابَ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : مَاتَ أَبُوهُ وَهُوَ طِفْلٌ ، فَدُفِعَ إِلَى الْأَدِيبِ أَبِي الْقَاسِمِ الْيَمَنِيِّ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْآدَابَ ثُمَّ دَخَلَ نَيْسَابُورَ مِنْ قَرِيْبَتِهِ ، فَاتَّفَقَ حُضُورُهُ مَجْلِسَ أَبِي عَلِيٍّ الدَّقَّاقِ ، فَوَقَعَ فِي شَبْكِيَّتِهِ ، وَقَصَرَ أَمَلُهُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِطَلْبِ الْعِلْمِ ، فَمَضَى إِلَى حَلْقَةِ الطُّوسِيِّ .

وَانْتَقَلَ إِلَى ابْنِ فُورَكَ ، فَتَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ ، وَنَظَرَ فِي تَصَانِيفِ ابْنِ الْبَاقِلَانِيِّ وَلَمَّا تُوْفِيَ حَمُوهُ أَبُو عَلِيٍّ تَرَدَّدَ إِلَى السُّلَمِيِّ ، وَعَاشَرَهُ ، وَصَارَ شَيْخَ خُرَاسَانَ فِي التَّصَوُّفِ ، وَلَزِمَ الْمُجَاهِدَاتِ وَتَخَرَّجَ بِهِ الْمُرِيدُونَ (٣) .

وَكَانَ عَدِيمَ النَّظِيرِ فِي السُّلُوكِ وَالتَّذْكِيرِ ، لَطِيفَ الْعِبَارَةِ ، طَيِّبَ الْأَخْلَاقِ ، غَوَاصًّا

(١) انظر السير : (ابن سَمْعُونَ) ٥١١-٥٠٥/١٦ ، وانظر النزعة : ٥/١٣١٠ .

(٢) انظر السير : (الدَّائُودِيُّ) ٢٢٢-٢٢٦/١٨ ، وانظر النزعة : ٣/١٤٠٦ .

(٣) انظر السير : (الْقُشَيْرِيُّ) ٢٢٧-٢٣٣/١٨ ، وانظر النزعة : ١/١٤٠٧ .

على المعاني ، صَنَّفَ كتابَ « نَحْوِ الْقُلُوبِ » وكتابَ « لَطَائِفِ الْإِشَارَاتِ » .

وقال أبو بكر الخطيبُ : كَتَبْنَا عَنْهُ ، وَكَانَ ثِقَةً ، وَكَانَ حَسَنَ الْوَعْظِ ، مَلِيحَ الْإِشَارَةِ ، يَعْرِفُ الْأَصُولَ عَلَى مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ ، وَالْفُرُوعَ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ (١) .

قال الإمامُ الذهبيُّ في تَرْجَمَةِ أَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ : كَانَ رَأْسًا فِي التَّذْكِيرِ بِلا مُدَافَعَةٍ ، يَقُولُ النَّظْمَ الرَّائِقَ ، وَالنَّثَرَ الْفَائِقَ بِدِيهَا ، وَيُسَهِّبُ ، وَيُعْجِبُ ، وَيُطْرِبُ ، وَيُطْنِبُ ، لَمْ يَأْتِ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلُهُ ، فَهُوَ حَامِلٌ لَوَاءِ الْوَعْظِ ، وَالْقَيِّمُ بِفُنُونِهِ ، مَعَ الشَّكْلِ الْحَسَنِ ، وَالصَّوْتِ الطَّيِّبِ ، وَالْوَقْعِ فِي النَّفُوسِ ، وَحُسْنِ السِّيَرَةِ ، وَكَانَ بَحْرًا فِي التَّفْسِيرِ ، عَلَّامَةً فِي السِّيَرِ وَالتَّارِيخِ ، مَوْصُوفًا بِحُسْنِ الْحَدِيثِ ، وَمَعْرِفَةِ فُنُونِهِ ، فَقِيهَا ، عَلِيمًا بِالْإِجْمَاعِ وَالْإِخْتِلَافِ ، جَيِّدَ الْمُشَارَكَةِ فِي الطَّبِّ ، ذَا تَفْنُنٍ وَفَهْمٍ وَذَكَاءٍ وَحِفْظٍ وَاسْتِحْضَارٍ ، وَإِكْبَابٍ عَلَى الْجَمْعِ وَالتَّصْنِيفِ ، مَعَ التَّصَوُّنِ ، وَالتَّجَمُّلِ ، وَحُسْنِ الشَّارَةِ ، وَرِشَاقَةِ الْعِبَارَةِ ، وَلُطْفِ الشَّمَائِلِ ، وَالْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ ، وَالْحُرْمَةِ الْوَافِرَةِ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ ، وَمَا عَرَفْتُ أَحَدًا صَنَّفَ مَا صَنَّفَ .

وأقاربه كانوا تُجَارَأُ فِي التُّحَاسِ ، فَرُبَّمَا كَتَبَ اسْمَهُ فِي السَّمَاعِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ الصَّفَّارِ (٢) .

وَأَحَبُّ الْوَعْظِ ، وَلَهَجَ بِهِ وَهُوَ مُرَاهِقٌ ، فَوَعَّظَ النَّاسَ وَهُوَ صَبِيٌّ ، ثُمَّ مَا زَالَ نَافِقَ السُّوقِ مُعْظَمًا مُتَعَالِيًا فِيهِ ، مُزْدَحَمًا عَلَيْهِ ، مَضْرُوبًا بِرَوْنَقِ وَعَظِهِ الْمَثَلِ ، كَمَالُهُ فِي اِزْدِيَادِ اِشْتِهَارِهِ ، إِلَى أَنْ مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَسَامَحَهُ ، فَلَيْتَهُ لَمْ يَخْضُ فِي التَّأْوِيلِ ، وَلَا خَالَفَ إِمَامَهُ (٣) .

وَكَانَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ ذَا حَظٍّ عَظِيمٍ وَصِيَّتِ بَعِيدٍ فِي الْوَعْظِ ، يَحْضُرُ مَجَالِسَهُ الْمُلُوكُ وَالْوُزَرَاءُ وَبَعْضُ الْخُلَفَاءِ وَالْأَثَمَةُ وَالْكَبْرَاءُ ، لَا يَكَادُ الْمَجْلِسُ يَنْقُصُ عَنْ أَلُوفٍ كَثِيرَةٍ ،

(١) انظر السير : (القشيري) ٢٢٧-٢٣٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٠٧ .

(٢) انظر السير : (أبو الفرج ابن الجوزي) ٢١/٣٦٥-٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٣٢ .

(٣) انظر السير : (أبو الفرج ابن الجوزي) ٢١/٣٦٥-٣٨٤ ، وانظر النزهة : ١/١٦٣٣ .

حَتَّى قِيلَ فِي بَعْضِ مَجَالِسِهِ : حُزِرَ الْجَمْعُ بِمِئَةِ أَلْفٍ وَلَا رَبِّبَ أَنْ هَذَا مَا وَقَعَ ، وَلَوْ وَقَعَ ، لَمَا قَدِرَ أَنْ يُسْمِعَهُمْ ، وَلَا الْمَكَانُ يَسْعُهُمْ (١) .

٩- الْقِصَاصُ الْوُعَاظُ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ صَالِحِ الْمُرِّيِّ : الرَّاهِدُ الْخَاشِعُ ، وَاعِظُ الْبَصْرَةِ ، أَبُو بَشْرٍ بْنُ بَشِيرِ الْقَاصِ (٢) .

وَقَالَ عَقَّانُ : كَانَ شَدِيدَ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ ، كَأَنَّهُ تَكَلَّمَ إِذَا قَصَّ .

وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ : قَاصٌّ ، حَسَنُ الصَّوْتِ ، عَامَّةُ أَحَادِيثِهِ مُنْكَرَةٌ ، أُتِيَ مِنْ قَلَّةٍ مَعْرِفَتِهِ بِالْأَسَانِيدِ ، وَعِنْدِي أَنَّهُ لَا يَتَعَمَّدُ .

وَقِيلَ : لَمَّا سَمِعَهُ سُفْيَانُ الثَّورِيُّ قَالَ : مَا هَذَا قَاصٌّ ، هَذَا نَذِيرٌ (٣) .

١٠- مَوَاعِظُ مُتَفَرِّقَةٌ :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْوَةَ ، أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ قَالَ : اعْبُدَ اللَّهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى ، وَإِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ قَلِيلًا يُغْنِيكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُلْهِيكُ ، وَأَنَّ الْبِرَّ لَا يَبْلَى ، وَأَنَّ الْإِيْمَ لَا يُنْسَى (٤) .

وَقَالَ سَلَامٌ بْنُ مِسْكِينَ : حَدَّثَنَا قَتَادَةُ : أَنَّ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ خَطَبَ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الدُّنْيَا أَجَلٌ حَاضِرٌ ، يَأْكُلُ مِنْهَا الْبِرَّ وَالْفَاجِرُ ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ أَجَلٌ مُسْتَأْخِرٌ ، يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ ، أَلَا وَإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ بِحَدَافِيرِهِ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الشَّرَّ كُلَّهُ بِحَدَافِيرِهِ فِي النَّارِ (٥) .

وَعَنْ مَيْمُونِ بْنِ مَيْسَرَةَ ، قَالَ : كَانَتْ لِأَبِي هُرَيْرَةَ صَنِيعَتَانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ : أَوَّلَ النَّهَارِ

(١) انظر السير : (أبو الفرج ابن الجوزي) ٢١/٣٦٥-٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٣٣ .

(٢) انظر السير : (صالح المرِّي) ٨/٤٦-٤٨ ، وانظر النزهة : ٣/٧٢٥ .

(٣) انظر السير : (صالح المرِّي) ٨/٤٦-٤٨ ، وانظر النزهة : ٤/٧٢٥ .

(٤) انظر السير : (أبو الدرداء) ٢/٣٣٥-٣٥٣ ، وانظر النزهة : ٧/٢٧٢ .

(٥) انظر السير : (شداد بن أوس) ٢/٤٦٠-٤٦٧ ، وانظر النزهة : ٦/٢٩٠ .

وآخِرَهُ يَقُولُ : ذَهَبَ اللَّيْلُ ، وَجَاءَ النَّهَارُ ، وَعُرِضَ آلُ فِرْعَوْنَ عَلَى النَّارِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ (١) .

وَقَالَ حَزْمُ الْقَطَعِيُّ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ : كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِذَا مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ ، قَالَ : اغْدُوا فَإِنَّا رَائِحُونَ ، وَرُوحُوا فَإِنَّا غَادُونَ (٢) .

عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ ، قَالَ : كَانَ هَرْمٌ بْنُ حَيَّانٍ يَخْرُجُ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ وَيُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ : عَجِبْتُ مِنَ الْجَنَّةِ كَيْفَ نَامَ طَالِبُهَا ؟ وَعَجِبْتُ مِنَ النَّارِ كَيْفَ نَامَ هَارِبُهَا ؟ ثُمَّ يَقُولُ : ﴿ أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ (٣) ، (٤) .

عَنِ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : رَأْسُ الْأَدَبِ آلَةُ الْمَنْطِقِ ، لَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ بِلَا فِعْلِ ، وَلَا فِي مَنْظَرٍ بِلَا مَخْبَرٍ ، وَلَا فِي مَالٍ بِلَا جُودٍ ، وَلَا فِي صَدِيقٍ بِلَا وِفَاءٍ ، وَلَا فِي فِقْهِ بِلَا وَرَعٍ ، وَلَا فِي صَدَقَةٍ إِلَّا بِنَيْتَةٍ ، وَلَا فِي حَيَاةٍ إِلَّا بِصِحَّةٍ وَأَمْنٍ (٥) .

وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ ، مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : اذْكُرُوا مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ مَا شِئْتُمْ ، وَلَا تَذْكُرُونَ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا وَهِيَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، وَاذْكُرُوا مِنَ النَّارِ مَا شِئْتُمْ ، وَلَا تَذْكُرُونَ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا وَهِيَ أَشَدُّ مِنْهُ ، وَاذْكُرُوا مِنَ الْجَنَّةِ مَا شِئْتُمْ ، وَلَا تَذْكُرُونَ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا وَهِيَ أَفْضَلُ (٦) .

قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنْبَهٍ : طُوبَى لِمَنْ شَعَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عَيْبِ أَخِيهِ ، طُوبَى لِمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ مِنْ غَيْرِ مَسْكَنَةٍ ، طُوبَى لِمَنْ تَصَدَّقَ مِنْ مَالٍ جَمَعَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، طُوبَى لِأَهْلِ الضَّرِّ وَأَهْلِ الْمَسْكَنَةِ ، طُوبَى لِمَنْ جَالَسَ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ ، طُوبَى لِمَنْ اقْتَدَى بِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْحَشِيَّةِ ، طُوبَى لِمَنْ وَسِعَتْهُ السُّنَّةُ فَلَمْ يَعُدْهَا (٧) .

(١) انظر السير : (أبو هريرة) ٢ / ٥٧٨ - ٦٣٢ ، وانظر النزاهة : ٢ / ٣١٢ .

(٢) انظر السير : (أبو هريرة) ٢ / ٥٧٨ - ٦٣٢ ، وانظر النزاهة : ٤ / ٣١٣ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٩٧ .

(٤) انظر السير : (هرم بن حيان) ٤ / ٤٨ - ٥٠ ، وانظر النزاهة : ٢ / ٤٤٠ .

(٥) انظر السير : (الأخنف بن قيس) ٤ / ٨٦ - ٩٧ ، وانظر النزاهة : ٧ / ٤٥٢ .

(٦) انظر السير : (أبو جعفر الباقر) ٤ / ٤٠١ - ٤٠٩ ، وانظر النزاهة : ٤ / ٥٢٢ .

(٧) انظر السير : (وهب بن منبه) ٤ / ٥٤٤ - ٥٥٧ ، وانظر النزاهة : ١ / ٥٥٥ .

وقال مطرُ الوراق : لَمَّا ظَهَرَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ جاءَ كائِمًا كانَ في الآخِرَةِ ، فهو يُخْبِرُ عَمَّا عَآيِنَ^(١) .

وعن الحَسَنِ قالَ : ابنَ آدَمَ ، إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ كَلَّمَا ذَهَبَ يَوْمٌ ، ذَهَبَ بَعْضُكَ^(٢) .

وقالَ عبدُ الرَحْمَنِ بنُ يزيدَ بنِ تَمِيمٍ : سَمِعْتُ بِلالَ بنَ سَعْدٍ يَقولُ : يا أَهْلَ الثَّقَيِّ! إِنَّكُمْ لَمْ تُخَلِّقُوا لِلفَناءِ ، وَإِنَّمَا تُنْقَلُونَ مِنْ دارٍ إلى دارٍ ، كَمَا نُقِلْتُمْ مِنَ الأَصْلابِ إلى الأَرْحامِ ، وَمِنَ الأَرْحامِ إلى الدُّنْيا ، وَمِنَ الدُّنْيا إلى القُبُورِ ، وَمِنَ القُبُورِ إلى المَوَاقِفِ ، وَمِنَ المَوَاقِفِ إلى الخُلُودِ في جَنَّةٍ أو نارٍ^(٣) .

وكانَ بِلالُ بنُ سَعْدٍ يَقولُ : لا تَنْظُرْ إلى صِغَرِ الخَطِيئَةِ ، وَلَكِنْ انظُرْ مَنْ عَصَبَتْ^(٤) .

عن عبدِ العَزيزِ بنِ يزيدِ الأيلي قالَ : حَجَّ سُلَيْمانُ بنُ عبدِ المَلِكِ ، ومعه عُمَرُ بنُ عبدِ العَزيزِ ، فأصابَهُم بَرَقٌ ورَعْدٌ حتى كادَتِ تَنخَلَعُ قُلُوبُهُم ، فقالَ سُلَيْمانُ : يا أبا حَفْصِ! هل رَأَيْتَ مِثْلَ هذِهِ اللَّيْلَةِ قَطُّ ، أو سَمِعْتَ بِها ؟ قالَ : يا أميرَ المُؤمِنينِ! هذِذا صَوْتُ رَحْمَةِ اللهِ ، فكيف لَوْ سَمِعْتَ صَوْتَ عَذابِ اللهِ!^(٥) .

عن حَفْصِ بنِ عُمَرَ بنِ أبي الزُّبَيْرِ ، قالَ : كَتَبَ عُمَرُ بنُ عبدِ العَزيزِ إلى أبي بَكْرٍ بنِ حَزْمٍ : أنَ أدِقِّ قَلَمَكَ ، وقارِبِ بَينَ أسْطُرِكَ ، فإنِّي أكرَهُ أنَ أُخْرِجَ مِنْ أموالِ المُسلمينِ ما لا يَنْتَفَعُونَ بِه^(٦) .

عن عَوْنِ بنِ المُعْتَمِرِ أنَ عُمَرَ بنَ عبدِ العَزيزِ قالَ لامرَأَتِهِ : عندَكَ دِرْهَمٌ أَشْتَرِي بِه عِنبًا ؟ قالَتْ : لا ، قالَ : فَعِندَكَ فُلوسٌ ؟ قالَتْ كَلًّا ، أَنْتَ أميرُ المُؤمِنينِ ولا تَقْدِرُ

(١) انظر السير : (الحَسَنُ البَصْرِيُّ) ٤ / ٥٦٣-٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٣ / ٥٦٠ .

(٢) انظر السير : (الحَسَنُ البَصْرِيُّ) ٤ / ٥٦٣-٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٢ / ٥٦٣ .

(٣) انظر السير : (بِلالُ بنُ سَعْدٍ) ٥ / ٩٠-٩٢ ، وانظر النزهة : ٣ / ٥٨٤ .

(٤) انظر السير : (بِلالُ بنُ سَعْدٍ) ٥ / ٩٠-٩٢ ، وانظر النزهة : ٤ / ٥٨٤ .

(٥) انظر السير : (عُمَرُ بنُ عبدِ العَزيزِ) ٥ / ١١٤-١٤٨ ، وانظر النزهة : ٢ / ٥٨٧ .

(٦) انظر السير : (عُمَرُ بنُ عبدِ العَزيزِ) ٥ / ١١٤-١٤٨ ، وانظر النزهة : ١ / ٥٩٠ .

على دِرْهَم ، قَالَ : هَذَا أَهْوَنُ مِنْ مُعَالَجَةِ الْأَغْلَالِ فِي جَهَنَّمَ ^(١) .
 قَالَ يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُهَاجِرٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ تُسْرَجُ عَلَيْهِ
 الشَّمْعَةُ مَا كَانَ فِي حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِذَا فَرَّغَ ، أَطْفَأَهَا وَأَسْرَجَ سِرَاجَهُ ^(٢) .
 وَقَالَ مَالِكٌ : أَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْبْرَةَ ، فَأَمْسَكَ عَلَى أَنْفِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَجِدَ
 رِيحَهَا ، وَعَنَهُ : أَنَّهُ سَدَّ أَنْفَهُ وَقَدْ أَحْضَرَ مِسْكًَ مِنَ الْخَزَائِنِ ^(٣) .
 وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ مُهَاجِرٍ قَالَ : اشْتَهَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ تَفَّاحًا ، فَأَهْدَى لَهُ رَجُلٌ مِنْ
 أَهْلِ بَيْتِهِ تَفَّاحًا ، فَقَالَ : مَا أَطْيَبَ رِيحَهُ وَأَحْسَنَهُ ! وَقَالَ : ارْزَعُهُ يَا غُلَامُ لِلَّذِي أَتَى بِهِ ،
 وَأَقْرِ مَوْلَاكَ السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ هَدِيَّتِكَ وَقَعَتْ عِنْدَنَا بِحَيْثُ تُحِبُّ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ! ابْنُ عَمِّكَ ، وَرَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ، وَقَدْ بَلَغَكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ كَانَ يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ ، قَالَ : وَيَحْكُ ! إِنَّ الْهَدِيَّةَ كَانَتْ لَهُ هَدِيَّةً ، وَهِيَ الْيَوْمَ لَنَا
 رِشْوَةٌ ^(٤) .

وَعَنْ ابْنِ شُبْرُمَةَ قَالَ : مَنْ بَالَعَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ ، وَمَنْ قَصَرَ فِيهَا خَصِمَ وَلَا يُطِيقُ
 الْحَقَّ مَنْ بَالَى عَلَى مَنْ دَارَ الْأَمْرُ .

وَرَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ ابْنِ شُبْرُمَةَ قَالَ : عَجِبْتُ لِلنَّاسِ يَخْتَمُونَ مِنَ الطَّعَامِ مَخَافَةَ
 الدَّاءِ وَلَا يَخْتَمُونَ مِنَ الدُّنُوبِ مَخَافَةَ النَّارِ ^(٥) .

وَعَنْ الْهَقْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ أَنَّهُ وَعَظَ فَقَالَ فِي مَوْعِظَتِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ ؛ تَقْوُوا
 بِهِذِهِ النِّعْمَ الَّتِي أَصْبَحْتُمْ فِيهَا عَلَى الْهَرَبِ مِنْ نَارِ اللَّهِ الْمَوْقِدَةِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْتَدَةِ ،
 فَإِنَّكُمْ فِي دَارِ الشَّوَاءِ فِيهَا قَلِيلٌ ، وَأَنْتُمْ مَرْتَحِلُونَ وَخِلَاتِفٌ بَعْدَ الْقُرُونِ الَّتِي اسْتَقَالُوا مِنْ
 الدُّنْيَا زَهْرَتِهَا ، كَانُوا أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَجَدَّ أَجْسَامًا ، وَأَعْظَمَ آثَارًا ، فَجَدِّدُوا

-
- (١) انظر السير : (عمر بن عبد العزيز) ١١٤/٥ - ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٥/٥٩٠ .
 (٢) انظر السير : (عمر بن عبد العزيز) ١١٤/٥ - ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٦/٥٩٠ .
 (٣) انظر السير : (عمر بن عبد العزيز) ١١٤/٥ - ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٧/٥٩٠ .
 (٤) انظر السير : (عمر بن عبد العزيز) ١١٤/٥ - ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٥/٥٩١ .
 (٥) انظر السير : (عبد الله بن شبرمة) ٦/٣٤٧ - ٣٤٩ ، وانظر النزهة : ١/٦٥٦ .

الجبال وجابوا^(١) الصُّخُورَ ، ونَقَبُوا فِي الْبِلَادِ مُؤَيَّدِينَ بِيَطِّشٍ شَدِيدٍ ، وَأَجْسَامَ كَالْعِمَادِ ، فَمَا لَبِثَ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي أَنْ طَوَتْ مُدَّتَهُمْ ، وَعَفَتْ آثَارَهُمْ ، وَأَخَوَتْ مَنَازِلَهُمْ ، وَأَنْسَتْ ذِكْرَهُمْ ، فَمَا تُحَسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ وَلَا تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا^(٢) . (٣) .

وقال الأَصْمَعِيُّ : رَكِبَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ فِي زِيٍّ عَجِيبٍ مِنَ التَّجَمُّلِ ، وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ فَعِيَهُ صَالِحٌ غُلِبَ عَلَيْهِ عَقْلُهُ ، فَخَرَجَ إِلَى طَرِيقِ جَعْفَرٍ ، فَقَالَ لَهُ : يَا جَعْفَرُ انْظُرْ أَيَّ رَجُلٍ تَكُونُ إِذَا خَرَجْتَ مِنْ قَبْرِكَ ، وَحُمِلْتَ عَلَى الصَّرَاطِ ، وَهَذَا الْجَمْعُ وَالزِّيُّ لَا يُسَاوِي غَدًا حَبَّةً ، وَلَا يُغْنُونَ عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، إِنَّكَ تَمُوتُ وَحَدَّكَ ، وَتَدْخُلُ قَبْرَكَ وَحَدَّكَ ، وَتَقِفُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَحَدَّكَ ، وَتُحَاسِبُ وَحَدَّكَ ، فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ ، فَقَدْ نَصَحْتُكَ^(٤) .

وعن ابنِ السَّمَاكِ : قَالَ : هِمَّةُ الْعَاقِلِ فِي النِّجَاةِ وَالْهَرَبِ ، وَهِمَّةُ الْأَحْمَقِ فِي اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ عَجَبًا لَعِينٍ تَلْدُ بِالرُّقَادِ ، وَمَلِكُ الْمَوْتِ مَعَهَا عَلَى الْوَسَادِ ، حَتَّى مَتَى يُبْلَغُنَا الْوُعَاظُ أَعْلَامَ الْآخِرَةِ ، حَتَّى كَأَنَّ النُّفُوسَ عَلَيْهَا وَاقِفَةٌ ، وَالْعِيُونَ نَاطِرَةٌ ، أَفَلَا مُتَنَّبَةٌ مِنْ نَوْمَتِهِ ، أَوْ مُسْتَقِظَةٌ مِنْ غَفْلَتِهِ ، وَمُفِيقٌ مِنْ سَكْرَتِهِ ، وَخَائِفٌ مِنْ صَرَغَتِهِ ، كَذْحًا لِلدُّنْيَا كَذْحًا ، أَمَا تَجْعَلُ لِلْآخِرَةِ مِنْكَ حَظًّا ، أَقْسِمُ بِاللَّهِ ، لَوْ رَأَيْتَ الْقِيَامَةَ تَخْفِقُ بِأَهْوَالِهَا ، وَالنَّارَ مُشْرِفَةً عَلَى آلِهَا ، وَقَدْ وُضِعَ الْكِتَابُ ، وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ ، لَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ فِي ذَلِكَ الْجَمْعِ مَنَزَلَةٌ ، أَبْعَدَ الدُّنْيَا دَارًا مُعْتَمَلًا ، أَمْ إِلَى غَيْرِ الْآخِرَةِ مُنْتَقَلٌ ؟ هِيَهَاتَ وَلَكِنْ صُمَّتِ الْأَذَانُ عَنِ الْمَوَاعِظِ ، وَذَهَلَتِ الْقُلُوبُ عَنِ الْمَنَافِعِ ، فَلَا الْوَاعِظُ يَنْتَفِعُ وَلَا السَّامِعُ يَنْتَفِعُ^(٥) .

وقال محمدُ بنُ حَرْبِ الْمَكِّيِّ : قَدِمَ الْعُمَرِيُّ ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْقُصُورِ الْمُخْدِقَةِ بِالْكَعْبَةِ صَاحَ : يَا أَصْحَابَ الْقُصُورِ الْمُشِيدَةِ ، اذْكُرُوا ظُلْمَةَ الْقُبُورِ

(١) جابوا الصُّخُورَ : نقبوا ، قال الله تعالى : ﴿ وَنَمُودُ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ [الفجر : ٩] .

(٢) الرِّكْزُ : الصَّوْتُ الْخَفِيُّ ، قال الله تعالى : ﴿ هَلْ تُحَسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ [مريم : ٩٨] .

(٣) انظر السير : (الأوزاعيُّ) ١٠٧/٧ - ١٣٤ ، وانظر النزهة : ٥/٦٨٢ .

(٤) انظر السير : (جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ) ٢٣٩/٨ - ٢٤١ ، وانظر النزهة : ٢/٧٤٦ .

(٥) انظر السير : (ابنُ السَّمَاكِ) ٣٢٨/٨ - ٣٣٠ ، وانظر النزهة : ٧/٧٦١ .

المُوحِشَةَ ، يا أهلَ النَّعْمِ والتَّلَذُّذِ اذْكُرُوا الدُّوْدَ والصَّدِيدَ ، وبِلَاءِ الأَجْسَامِ فِي الثَّرَابِ ،
ثم غَلَبَتْهُ عَيْنُهُ ، فقام (١) .

وعن الفضيلِ بنِ عِيَاضٍ قَالَ : كَفَى بِاللَّهِ مُحِبًّا وبِالْقُرْآنِ مُؤَنَسًّا ، وبِالْمَوْتِ وَاعِظًا ،
وَبِخَشِيَّةِ اللَّهِ عِلْمًا ، وبِالْإغْتِرَارِ جَهْلًا (٢) .

قَالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ مَنْصُورِ بْنِ عَمَّارٍ : وَعَظَ بِالعِرَاقِ والشَّامِ وَمِصْرَ ،
وَبَعْدَ صَيْتِهِ ، وَتَرَاحَمَ عَلَيْهِ الخَلْقُ ، وَكَانَ يَنْطَوِي عَلَى زُهْدٍ وَتَأَلَّهُ وَخَشِيَّةَ ، وَلِوَعظِهِ وَقَعُ
فِي النُّفُوسِ (٣) .

وقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الحَوَارِي : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ عَاصِمٍ ، يَقُولُ : أَصْلَحَ فِيمَا
بَقِيَ ، يُغْفَرُ لَكَ مَا مَضَى ، مَا أَغْبَطُ إِلَّا مَنْ عَرَفَ مَوْلَاهُ (٤) .

وقَالَ الحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الفَقِيه : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى يَقُولُ : تَقَدَّمَ رَجُلٌ إِلَى
عَالِمٍ ، فَقَالَ : عَلَّمَنِي وَأَوْجِزْ ، قَالَ : لَأَوْجِزَنَّ لَكَ ، أَمَا لَأَخِرْتِكَ : فَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى
نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ : قُلْ لِقَوْمِكَ : لَوْ كَانَتِ المَعْصِيَةُ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الجَنَّةِ لَأَوْصَلْتُ إِلَيْهِ
الْحَرَابَ (٥) .

وقَالَ إبراهيمُ بنُ فَاتِكٍ : سَمِعْتُ أَبَا يَعْقُوبَ ، يَقُولُ : الدُّنْيَا بَحْرٌ ، وَالأَخْرَةُ سَاحِلٌ
والمَرْكَبُ التَّقْوَى ، وَالنَّاسُ سَفَرٌ (٦) .

قال الجُبَّائِيُّ : كانَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادرِ يَقُولُ : الخَلْقُ حِجَابُكَ عَنِ نَفْسِكَ ، وَنَفْسُكَ
حِجَابُكَ عَنِ رَبِّكَ .

عاشَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادرِ تِسْعِينَ سَنَةً ، وَانْتَقَلَ إِلَى اللَّهِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَخَمْسَ

(١) انظر السير : (العُمَرِيُّ) ٣٧٣-٣٧٨ ، وانظر النزهة : ٤/٧٥٦ .

(٢) انظر السير : (الفضيلُ بنُ عِيَاضٍ) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ١/٧٧٩ .

(٣) انظر السير : (مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ) ٩/٩٣-٩٨ ، وانظر النزهة : ٣/٨٠١ .

(٤) انظر السير : (الأَنْطَاقِيُّ) ١١/٤٠٩-٤١٠ ، وانظر النزهة : ١/٩٥٥ .

(٥) انظر السير : (الذَّهَلِيُّ وَابْنُهُ) ١٢/٢٧٣-٢٨٥ ، وانظر النزهة : ٤/١٠٠٠ .

(٦) انظر السير : (التَّهْرَجُورِيُّ) ١٥/٢٣٢-٢٣٣ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٢٤ .

مئة ، وشيعة خلق لا يُحصون ، ودُفِنَ بمدرسته رحمه الله تعالى .

وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن ، وعليه مأخذ في بعض أقواله ودعاويه ، والله الموعِدُ ، وبعض ذلك مكذوبٌ عليه (١) .

ومن غرر ألفاظ أبي الفرج ابن الجوزي : عقارب المَنَايا تَلَسُّعُ ، وخدرانُ جسمِ
الآمالِ يَمْنَعُ ، وماء الحياة في إناء العُمُرِ يَرُشِحُ (٢) .

١١- شِعْرُ الوَعْظِ :

ومن شعرِ عُمَرَ بنِ عبدِ العَزِيزِ (٣) :

مَنْ كَانَ حِينَ تَصِيبِ الشَّمْسِ جَبْهَتُهُ أَوْ الْغِبَارِ يَخَافُ الشَّيْنِ وَالشَّعْثَا
وَيَأْلَفُ الظَّلَّ كَيْ تَبْقَى بِشَاشَتِهِ فَسَوْفَ يَسْكُنُ يَوْمًا رَاغِمًا جَدْنَا
فِي قَعْرِ مَظْلَمَةٍ غَبْرَاءَ مَوْحِشَةٍ يَطِيلُ فِي قَعْرِهَا تَحْتَ الثَّرَى اللَّبْنَا
تَجْهَازِي بِجَهَازِ تَبْلِغِينَ بِهِ يَا نَفْسُ قَبْلَ الرَّدَى لَمْ تَخْلُقِي عَبْنَا

قال أبو العباس السراج : أنشدني يعقوب بن محمد لابن المبارك (٤) :

أبِإذِنِ نَزَلَتْ بِي يَا مَشِيبُ أَيُّ عَيْشٍ وَقَدْ نَزَلَتْ يَطِيبُ
وَكَفَى الشَّيْبُ وَاغْظَاءَ غَيْرِ أُنِي أَمَلُ الْعَيْشِ وَالْمَمَاتُ قَرِيبُ
كَمْ أَنْادِي الشَّبَابَ إِذْ بَانَ مِنِّي وَنَدَائِي مَوْلِيًّا مَا يَجِيبُ

قال بعضهم كنا جلوساً عند الفضيل بن عياض ، فقلنا له : كم سنك ؟ فقال (٥) :

بَلِغْتُ الثَّمَانِينَ أَوْ جُرْتُهَا فَمَاذَا أَوْمَلُ أَوْ أَنْظُرُ
عَلَّتْنِي السَّنُونُ فَأَبْلِينَنِي فَدَقَّ الْعِظَامُ وَكَلَّ الْبَصَرُ

(١) انظر السير : (الشيخ عبد القادر الجيلاني) ٢٠/٤٣٩-٤٥١ ، وانظر النزهة : ٤/١٥٧٦ .

(٢) انظر السير : (أبو الفرج ابن الجوزي) ٢١/٣٦٥-٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٣٣ .

(٣) انظر السير : (عُمَرُ بن عبد العَزِيزِ) ٥/١١٤-١٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/٥٩١ .

(٤) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٨/٣٧٨-٤٢١ ، وانظر النزهة : ٥/٧٧٠ .

(٥) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٧/٧٧٩ .

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ^(١) :

من صدقَ اللهَ في الأمورِ نجا
ومن رجا اللهَ كانَ حيثُ رجا

صبراً جميلاً ما أسرعَ الفرجا
من خشِيَ اللهَ لمن ينلُه أذى

وقالَ الدَّأُودِيُّ^(٢) :

قَبْلَ التَّفَافِ السَّاقِ بِالسَّاقِ
يَأْتِي عَلَى الْمَسْقِيِّ وَالسَّاقِي

يا شاربَ الخمرِ اغتَنِمْ توبَةَ
الموتِ سلطاناً لَهُ سَطْوَةٌ

* * *

(١) انظر السير : (الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ) ١٢/٥٨٧-٥٩١ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٣٧ .

(٢) انظر السير : (الدَّأُودِيُّ) ١٨/٢٢٢-٢٢٦ ، وانظر النزهة : ٥/١٤٠٦ .

العلاقة مع الله

١- عَدَمُ أَمْنِ مَكْرِهِ سُبْحَانَهُ :

أتى رجلُ العلاءِ بنَ زياد ، فقالَ : أتاني آتٍ في منامي فقالَ : ائتِ العلاءَ بنَ زياد ، فقلْ له : لِمَ تَبْكِي !! ؟ قد غَفِرَ لك .

قالَ : فبكى ، وقالَ : الآنَ حينَ لا أهدأ^(١) .

وقالَ الإمامُ الذهبيُّ : رُوِيَ العلاءُ بنُ زياد أنه من أهلِ الجَنَّةِ ، فمَكَثَ ثلاثاً لا تَرَقُ له دَمْعَةٌ ، ولا يَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ، ولا يَذوقُ طَعاماً فاتاه الحَسَنُ فقالَ : أيُّ أخي ، أَتَقْتُلُ نَفْسَكَ أَنْ بُسِّرْتَ بِالْجَنَّةِ ! فازدادَ بُكاءً ، فلمْ يُفارقهُ حتَّى أَمْسَى وكانَ صائماً ، فَطَعِمَ شَيْئاً^(٢) .

وقالَ عطاءُ الخِفافِ : ما لَقِيتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ إِلَّا باكياً ، فقلْتُ ما شأنُكَ ؟ قالَ : اتَّخَوْفُ أَنْ أَكُونَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ شَقِيئاً^(٣) .

قيلَ : كانَ نَقْشُ خاتَمِ الجُنَيْدِ : إِنْ كُنْتَ تَأْمَلُهُ فَلَا تَأْمَنْهُ .

وعنه : أُعْطِيَ أَهْلُ بَغْدَادِ الشُّطْحَ وَالْعِبْرَةَ وَأَهْلُ خُرَاسَانَ الْقَلْبَ وَالسَّخَاءَ ، وَأَهْلُ الْبَصْرَةَ الزُّهْدَ وَالْقَنَاعَةَ ، وَأَهْلُ الشَّامِ الْحِلْمَ وَالسَّلَامَةَ ، وَأَهْلُ الْحِجَازِ الصَّبْرَ وَالْإِنَابَةَ^(٤) .

٢- تَعْظِيمُهُ سُبْحَانَهُ :

وقالَ إبراهيمُ بنُ الأشعثِ : ما رَأَيْتُ أَحَدًا كانَ اللهُ في صَدْرِهِ أعْظَمَ مِنَ الْفَضِيلِ ، كانَ إِذا ذُكِرَ اللهُ ، أو ذُكِرَ عِنْدَهُ ، أو سَمِعَ الْقُرْآنَ ، ظَهَرَ بِهِ مِنَ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ ،

(١) انظر السير : (العلاءُ بنُ زياد) ٢٠٢-٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٧/٤٧٧ .

(٢) انظر السير : (العلاءُ بنُ زياد) ٢٠٢-٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٧/٤٧٧ .

(٣) انظر السير : (سُفْيَانُ الثَّوْرِيِّ) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٥/٦٩٨ .

(٤) انظر السير : (الجُنَيْدُ) ١٤/٦٦-٧٠ ، وانظر النزهة : ٣/١١٣٣ .

وفاضت عيناؤه ، وبكى حتى يرحمه من يحضره ، وكان دائم الحزن ، شديد الفكرة ، ما رأيت رجلاً يريد الله يعلمه وعمله ، وأخذه وعطائه ، ومنعه وبذله ، وبغضه وحبه ، وخصاله كلها غيره ، كنا إذا خرجنا معه في جنازة لا يزال يعظ ويذكر ويبكي كأنه مودع أصحابه ، ذاهب إلى الآخرة ، حتى يبلغ المقابر ، فيجلس مكانه بين الموتى من الحزن والبكاء حتى يقوم وكأنه رجع من الآخرة يُخبر عنها^(١) .

٣- الانكسار بين يديه سبحانه والتدلل له :

عن غيلان بن جرير قال : حبس السلطان ابن أخي مطرف فلبس مطرف خلقان ثيابه ، وأخذ عكازاً وقال : أستكين لربي لعله أن يشفعني في ابن أخي^(٢) .
أتى رجل العلاء بن زياد ، فقال : أتاني آت في منامي فقال : أت العلاء بن زياد ، فقل له : لم تبكي !! ؟ قد غفر لك .
قال : فبكي ، وقال : الآن حين لا أهدأ^(٣) .

وكان الأعمش يقول : حدثني يحيى بن وثاب وكنت إذا رأيته قد جثا ، قلت : هذا وقف للحساب فيقول : أي رب ، أذنبت كذا ، فعفوت عني ، فلا أعود ، وأذنبت كذا ، فعفوت عني ، فلا أعود^(٤) .

وقال المنكدر بن محمد : كان أبي يحج بولده ، فقيل له : لم تحج بهؤلاء ؟ قال : أعرضهم الله^(٥) .

٤- الرضا بقضائه :

(وستجد غيرها في فهرس الصبر والابتلاء)

عن الربيع بن أبي صالح ، قال : دخلت على سعيد بن جبير حين جيء به إلى

-
- (١) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٣/٧٧٣ .
(٢) انظر السير : (مطرف بن عبد الله) ١٨٧-١٩٥ ، وانظر النزهة : ١٠/٤٧٦ .
(٣) انظر السير : (العلاء بن زياد) ٢٠٢-٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٧/٤٧٧ .
(٤) انظر السير : (يحيى بن وثاب) ٣٧٩-٣٨٢ ، وانظر النزهة : ٣/٥١٤ .
(٥) انظر السير : (محمد بن المنكدر) ٣٥٣-٣٦١ ، وانظر النزهة : ٧/٦٠٨ .

الْحَجَّاجِ ، فَبَكَى رَجُلٌ ، فَقَالَ سَعِيدٌ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : لِمَا أَصَابَكَ ، قَالَ : فَلَا تَبْكُ ، كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ هَذَا ، ثُمَّ تَلَا : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ (١) ، (٢) .

٥- الأُنْسُ بِهِ سُبْحَانَهُ :

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍاءَ الْجَوْنِيُّ : قِيلَ لِعَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ : إِنَّكَ تَبَيْتُ خَارِجًا ، أَمَا تَخَافُ الْأَسَدَ ؟ قَالَ : إِنِّي لَأَسْتَحِي مِنْ رَبِّي أَنْ أَخَافَ شَيْئًا دُونَهُ وَهَبَطَ وَأَدْيَا بِهِ عَابِدًا حَبَشِيًّا ، فَانْفَرَدَ يُصَلِّي فِي نَاحِيَةِ ، وَالْحَبَشِيُّ فِي نَاحِيَةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا لَا يَجْتَمِعَانِ إِلَّا فِي فَرِيضَةٍ (٣) .

٦- الثَّقَّةُ بِهِ سُبْحَانَهُ :

وَكَانَ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَقُولُونَ لَهُ : إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَقَعُ فِيكَ ، فَيَقُولُ : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٤) وَيَتَلَوُ أَيْضًا : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ (٥) ، (٦) .

وَكَانَ هَجِيرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ (٧) إِذَا أَتَيْتُهُ فِي آخِرِ مَقْدَمِهِ مِنَ الْعِرَاقِ : ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ (٨) ، (٩) .

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي عُمَانَ الْجَبَرِيِّ : ذَكَرَ الْحَاكِمُ أَخْبَارَ أَبِي عُمَانَ فِي خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَرَفَّةً فِي غُضُونِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهِ فِي التَّوَكُّلِ وَالْيَقِينِ وَالرِّضَا ، قَالَ

(١) سورة الحديد ، الآية : ٢٢ .

(٢) انظر السير : (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ) ٤/٣٢١-٣٤٣ ، وانظر النزعة : ٣/٥٠٧ .

(٣) انظر السير : (عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ) ٤/١٥-١٩ ، وانظر النزعة : ١/٤٣٤ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ٧٦ .

(٥) سورة فاطر ، الآية : ٤٣ .

(٦) انظر السير : (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَخَارِيُّ) ١٢/٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزعة : ١/١٠١٩ .

(٧) أي كلامه ودأبه وشأنه ، وفي حديث عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا لَهُ هَجِيرَى غَيْرَهَا ، أَي : الدَّابُّ وَالْعَادَةُ وَالذَّيْدَانُ .

(٨) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٠ .

(٩) انظر السير : (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَخَارِيُّ) ١٢/٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزعة : ٤/١٠١٩ .

الحاكمُ : وسمعتُ أبي يقولُ : لَمَّا قَتَلَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخُجْستاني - الذي استولى على البلادِ - الإمامَ حيكَانَ بْنَ الذَّهلي ، أخذَ في الظلمِ والعسفِ ، وأمرَ بحَرْبِةٍ رُكزت على رأسِ المربِعة^(١) ، وجمعَ الأعيانَ ، وحلفَ : إن لم يُصَبِّوا الدِّراهمَ حتى يغيبَ رأسُ الحَرْبِةِ ، فقد أحلُّوا دماءَهم ، فكانوا يَقتَسِمونَ الغرامةَ بينهم ، فخصَّ تاجرٌ بثلاثين ألفَ درهمٍ ، فلم يكنْ يَقْدِرُ إلاَّ على ثلاثة آلافِ دراهمٍ ، فحملها إلى أبي عُثمانٍ وقال : قد حلفَ هذا كما بلَغَكَ ، ووالله لا أهتدي إلاَّ إلى هذه قال : تأذُنْ لي أن أفعلَ فيها ما يَنفَعُكَ ؟ قال : ففرَّقَها أبو عُثمانٍ ، وقال للتاجر : امكُثْ عندي ، وما زالَ أبو عُثمانٍ يتردَّدُ بين السِّكَّةِ والمسجِدِ ليلتَه حتى أصبحَ ، وأذنَ المؤدِّنُ ، ثم قال لخدِمةِ : اذهبِ إلى السُّوقِ ، وانظُرْ ماذا تَسمَعُ ، فذهبَ ، ورجعَ فقال : لم أرَ شيئاً ، قال : اذهبِ مرَّةً أُخرى ، وهو في مُناجاتِه يقول : وحَقِّكَ لا أقمتُ ما لم تُفرِّجْ عن المَكرويينَ ، قال : فأتى خادِمُه الفرغانِيُّ يقول : وكفى اللهُ المؤمنِينَ القتالَ ، شقَّ بطنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ ، فأخذَ أبو عُثمانُ في الإقامة .

قال الذهبيُّ : بمثلِ هذا يعظُمُ مشايخُ الوقتِ .

قال أبو الحُسينِ أحمدُ بنُ أبي عُثمانٍ : توفيَ أبي سنَّةَ ثمانٍ وتسعينَ ومِئتينَ ، وصلىَ عليه الأميرُ أبو صالح^(٢) .

وجاء في ترجمة عليِّ بنِ أبي طاهرٍ قال الذهبيُّ : وثقه الخليليُّ ، قال : سمعتُ الحسنَ بنَ أحمدَ بنَ صالحٍ يحكي عن سليمانَ بنِ يزيدٍ : أنَّ عليَّ بنَ أبي طاهرٍ لَمَّا رَحَلَ إلى الشَّامِ ، وكتبَ الحديثَ جعلَ كُتبه في صُندوقٍ ، وقيرَه وركبَ البحرَ ، فاضطربتِ السَّفينةُ وماجت ، فألقى الصُّندوقَ في البحرِ ، ثم سَكَنتِ السَّفينةُ ، فلَمَّا خرَجَ منها أقامَ على السَّاحلِ ثلاثاً يدعُو اللهَ ، ثم سَجَدَ في اللَّيلةِ الثَّالثةِ ، وقال : إن كان طَلبي ذلك لوجَّهك وحبُّ رسولِكَ ، فأعثنِي بردَّ ذلك ، فرفعَ رأسَه ، فإذا بالصُّندوقِ مُلقَى عنده ،

(١) في « اللسان » والمربعة : خشبية قصيرة يرفع بها العدلُ ، وقال الأزهريُّ : هي عصاةٌ تُحملُ بها الأثقالُ حتى تُوضعَ على ظهرِ الدوابِّ

(٢) انظر السير : (أبو عُثمانِ الجِبري) ١٤/٦٢-٦٦ ، وانظر النزهة : ٥/١١٣١ .

فقدّم ، وأقام بُرْهَةً ، ثم قَصَدوه لِسَمَاعِ الْحَدِيثِ فَاْمْتَنَعَ مِنْهُ وَقَالَ فَرَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي مَنْامِي ، وَمَعَهُ عَلِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا عَلِيُّ مَنْ عَامَلَ اللهُ بِمَا عَامَلَكَ بِهِ عَلِيُّ شَطُّ الْبَحْرِ !!! » ، لَا تَمْتَنِعْ مِنْ رِوَايَةِ أَحَادِيثِي « قَالَ : فَقُلْتُ : قَدْ تَبْتُ إِلَى اللهِ ، فَدَعَا لِي وَحَثَّنِي عَلَى الرَّوَايَةِ . مَاتَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ سَنَةَ نَيْفٍ وَتَسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ ، رَحِمَهُ اللهُ (١) .

٧- دَرَجَاتُ الْعَلَاقَةِ مَعَ اللهِ :

عَنْ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ : الدَّرَجَاتُ سَبْعٌ : التَّوْبَةُ ، ثُمَّ الزُّهْدُ ، ثُمَّ الرِّضَا ، ثُمَّ الخَوْفُ ، ثُمَّ الشُّوقُ ، ثُمَّ المَحَبَّةُ ، ثُمَّ المَعْرِفَةُ (٢) .

٨- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٣) :

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : لَمْ يَكُنْ يَتَعَرَّضُ لَنَا قَطُّ أَحَدٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ إِلَّا رُمِيَ بِقَارِعَةٍ ، وَلَمْ يَسْلَمْ ، وَكُلَّمَا حَدَّثَ الْجُهَّالُ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَمْكُرُوا بِنَا رَأَيْتُ مِنْ لَيْلَتِي فِي الْمَنَامِ نَارًا تَوْقَدُ ثُمَّ تُطْفَأُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَفِعَ بِهَا ، فَأَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ كَلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ ﴾ (٤) ، (٥) .

قَالَ الْحَاكِمُ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْعَبَّاسِ الضَّبِّيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ بْنَ أَبِي عَمْرٍو الْحَافِظَ الْبُخَارِيَّ يَقُولُ : كَانَ سَبَبُ مُنَافَرَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ أَنَّ خَالِدَ بْنَ أَحْمَدَ الذَّهْلِيَّ الْأَمِيرَ خَلِيفَةَ الطَّاهِرِيَّةِ بِبُخَارَى سَأَلَ أَنْ يَحْضُرَ مَنْزِلَهُ ، فَيَقْرَأَ « الْجَامِعَ » وَ« التَّارِيخَ » عَلَى أَوْلَادِهِ ، فَاْمْتَنَعَ عَنِ الْحُضُورِ عِنْدَهُ ، فَرَأَسَلَهُ بِأَنْ يَعْقِدَ مَجْلِسًا لِأَوْلَادِهِ ، لَا يَحْضُرُهُ غَيْرُهُمْ ، فَاْمْتَنَعَ ، وَقَالَ : لَا أُحْضِرُ أَحَدًا ، فَاسْتَعَانَ الْأَمِيرُ

(١) انظر السير : (علي بن أبي طاهر) ١٤/٨٧-٨٨ ، وانظر النزهة : ٥/١١٣٥ .

(٢) انظر السير : (يحيى بن معاذ) ١٣/١٥-١٦ ، وانظر النزهة : ٥/١٠٤٧ .

(٣) سورة الحج ، الآية : ٣٨ .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٦٤ .

(٥) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ١٢/٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزهة : ٣/١٠١٩ .

بحريث بن أبي الوركاء وغيره حتى تكلموا في مذهبه ونفاه عن البلد ، فدعا عليهم ، فلم يأت إلا شهر حتى ورد أمر الطاهرية ، بأن ينادى على خالد في البلد ، فنودي عليه على أتان ، وأما حريث ، فإنه ابئلي بأهله ، فرأى فيها ما يجل عن الوصف ، وأما فلان ، فابئلي بأولاده ، وأراه الله فيهم البلياً .

وقال الحاكم : حدثنا خلف بن محمد ، حدثنا سهل بن شاذويه قال : كان محمد بن إسماعيل يسكن سكة الدهقان ، وكان جماعة يختفون إليه يظهرون شعار أهل الحديث من أفراد الإقامة ورفع الأيدي في الصلاة ، وغير ذلك فقال حريث بن أبي الوركاء وغيره : هذا رجل مشغب ، وهو يفسد علينا هذه المدينة ، وقد أخرجه محمد بن يحيى من نيسابور ، وهو إمام أهل الحديث ، فاحتجوا عليه بآب بن يحيى ، واستعانوا عليه بالسلطان في نفيه من البلد ، فأخرج ، وكان محمد بن إسماعيل ورعاً ، يتجنب السلطان ولا يدخل عليهم (١) .

قال الذهبي : خالد بن أحمد الأمير ، قال الحاكم : له ببخارى آثار محمودة كلها ، إلا موجدته على البخاري ، فإنها زلّة ، وسبب لزوال ملكه (٢) .

وجاء في ترجمة ابن عبدوس ، وقيل : أتاه رجل ، فقال : ما تقول في الإيمان ؟ قال : أنا مؤمن فقال : عند الله ؟ قال : أمّا عند الله فلا أقطع لنفسي بذلك ، لأنني لا أدري بم يختم لي ، فبصق الرجل في وجهه ، فعمي من وقته الرجل (٣) .

٩- الإقبال على الله وفائدته :

قال قتادة : كان هرم بن حيان يقول : ما أقبل عبد بقلبه إلى الله ، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه ، حتى يرزقه ودهم (٤) .

(١) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ١٢ / ٣٩١ - ٤٧١ ، وانظر النزاهة : ٧ / ١٠١٩ .

(٢) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ١٢ / ٣٩١ - ٤٧١ ، وانظر النزاهة : ١ / ١٠٢٠ .

(٣) انظر السير : (ابن عبدوس) ١٣ / ٦٣ - ٦٤ ، وانظر النزاهة : ٣ / ١٠٥١ .

(٤) انظر السير : (هرم بن حيان) ٤ / ٤٨ - ٥٠ ، وانظر النزاهة : ١ / ٤٤١ .

١٠- الثناء على الله :

رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : رَأَيْتُ وَهْبًا إِذَا قَامَ فِي الْوَتْرِ قَالَ : لَكَ الْحَمْدُ السَّرْمَدُ ، حَمْدًا لَا يُحْصِيهِ الْعَدَدُ ، وَلَا يَقْطَعُهُ الْأَبَدُ ، كَمَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُحْمَدَ ، وَكَمَا أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ ، وَكَمَا هُوَ لَكَ عَلَيْنَا حَقٌّ^(١) .

١١- التعلُّقُ بهُ سُبْحَانَهُ :

وَعَنْ أَبِي بَشْرٍ قَالَ : كَانَ كُرْزُ بْنُ وَيْرَةَ الْحَارِثِيُّ مِنْ أَعْبِدِ النَّاسِ ، وَكَانَ قَدْ امْتَنَعَ مِنَ الطَّعَامِ ، حَتَّى لَمْ يُوجَدَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ ، إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُوجَدُ عَلَى الْعُصْفُورِ ، وَكَانَ يَطْوِي أَيَّامًا كَثِيرَةً ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ لَا يَرْفَعُ طَرْفَهُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا ، وَكَانَ مِنَ الْمُحِبِّينَ الْمُخْبِتِينَ لِلَّهِ ، قَدْ وَلَهُ مِنْ ذَلِكَ فَرْثًا كَلَّمَ فِيْجِبُ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنْ شِدَّةٍ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِاللَّهِ ، وَاشْتِيَاقِهِ إِلَيْهِ^(٢) .

قَالَ الْجُنَيْدُ : شَيْءٌ يُرَوَى عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ ، أَنَا أَسْتَحْسِنُهُ كَثِيرًا : مَنْ اشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ شُغْلًا عَنِ النَّاسِ ، وَمَنْ اشْتَغَلَ بِرَبِّهِ شُغْلًا عَنِ نَفْسِهِ وَعَنِ النَّاسِ^(٣) .

١٢- الشُّكْوَى لَهُ سُبْحَانَهُ :

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : نَظَرَ الْفُضَيْلُ إِلَى رَجُلٍ يَشْكُو إِلَى رَجُلٍ ، فَقَالَ : يَا هَذَا تَشْكُو مَنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ^(٤) .

وَعَنْ شَقِيقٍ ، قَالَ : مَنْ شَكَى مُصِيبَةً إِلَى غَيْرِ اللَّهِ ، لَمْ يَجِدْ حَلَاوَةَ الطَّاعَةِ^(٥) .

وَقِيلَ : إِنَّ أَبَا حَفْصٍ التَّيْسَابُورِيَّ دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ ، فَقَالَ الْمَرِيضُ : آهَ ، فَقَالَ

(١) انظر السير : (وَهْبُ بْنُ مُنْبَهٍ) ٤/٥٤٤-٥٥٧ ، وانظر النزهة : ٢/٥٥٣ .

(٢) انظر السير : (كُرْزُ بْنُ وََيْرَةَ) ٦/٨٤-٨٦ ، وانظر النزهة : ٥/٦٣٣ .

(٣) انظر السير : (أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِي) ١٠/١٨٢-١٨٦ ، وانظر النزهة : ٤/٨٦٥ .

(٤) انظر السير : (الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٧/٧٧٨ .

(٥) انظر السير : (شَقِيقٌ) ٩/٣١٣-٣١٦ ، وانظر النزهة : ١/٨٢٤ .

أبو حفص : : مِمَّنْ ؟ قَالَ : فَكَيْفَ أَقُولُ ؟ قَالَ : لَا يَكُنْ أَيْنَكَ شَكْوَى ،
وَلَا سُكُوتَكَ تَجَلُّدًا ، وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ ^(١) .

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ يَقُولُ : فَزُدْ عَقْبِي ^(٢) صَحِيحٌ وَالْآخِرُ مَقْطُوعٌ ، وَلَا أُحَدِّثُ
نَفْسِي أَنِّي أَضْلِحُّهَا ، وَلَا شَكَّوتُ إِلَى أَهْلِي وَأَقَارِبِي حُمَى أَجْدُهَا ، لَا يَغْمُ الرَّجُلُ نَفْسَهُ
وَعِيَالَهُ ، وَلِي عَشْرُ سَنِينَ أَبْصُرُ بِفَرْدِ عَيْنٍ ، مَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا ، وَأَفْنَيْتُ مِنْ عُمْرِي
ثَلَاثِينَ سَنَةً بَرِغَفَيْنِ ، إِنْ جَاءَتْنِي بِهِمَا أُمِّي أَوْ أُخْتِي ، وَإِلَّا بَقَيْتُ جَائِعًا إِلَى اللَّيْلَةِ
الثَّانِيَةِ ، وَأَفْنَيْتُ ثَلَاثِينَ سَنَةً بَرِغِفٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ، إِنْ جَاءَتْنِي امْرَأَتِي أَوْ بَنَاتِي بِهِ وَإِلَّا
بَقَيْتُ جَائِعًا ، وَالآنَ أَكُلُ نِصْفَ رَغِيفٍ ، وَأَرْبَعُ عَشْرَةَ تَمْرَةً ، وَقَامَ إِفْطَارِي فِي رَمَضَانَ
هَذَا بِدِرْهَمٍ وَدَانِقَيْنِ وَنِصْفٍ ^(٣) .

١٣- تَقْدِيمُ رِضَاهُ :

عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، قَالَ : شَيْئَانِ إِذَا عَمِلْتَ بِهِمَا أَصَبْتَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَا أُطَوِّلُ
عَلَيْكَ ، قِيلَ : مَا هُمَا ؟ قَالَ : تَحْمِلُ مَا تَكْرَهُ إِذَا أَحَبَّهُ اللَّهُ ، وَتَشْرُكُ مَا تُحِبُّ إِذَا
كَرِهَهُ اللَّهُ ^(٤) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّفٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ قَالَ : لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ ،
إِلَّا أَحْسَنَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِبَادِ ، وَلَا يُعْوِّرُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ إِلَّا عَوَّرَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْعِبَادِ ^(٥) .

وَقَالَ أَيْضًا : لِمُصَانَعَةٍ وَجْهٌ وَاحِدٌ أَيْسَرُ مِنْ مُصَانَعَةِ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِنَّكَ إِذَا صَانَعْتَهُ
مَالَتْ الْوُجُوهُ كُلُّهَا إِلَيْكَ ، وَإِذَا اسْتَفْسَدَتْ مَا بَيْنَهُ ، شَبَّتَكَ الْوُجُوهُ كُلُّهَا ^(٦) .

(١) انظر السير : (أبو حفص النَّسَابُورِيُّ) ١٢/٥١٠-٥١٣ ، وانظر النزاهة : ٤/١٠٢٥ .

(٢) الْعَقْبُ هُنَا : النَّعْلُ ، عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ

(٣) انظر السير : (إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ) ١٣/٣٥٦-٣٧٢ ، وانظر النزاهة : ١/١٠٩٥ .

(٤) انظر السير : (أَبُو حَازِمٍ) ٦/٩٦-١٠٣ ، وانظر النزاهة : ٨/٦٣٦ .

(٥) انظر السير : (أَبُو حَازِمٍ) ٦/٩٦-١٠٣ ، وانظر النزاهة : ٧/٦٣٧ .

(٦) انظر السير : (أَبُو حَازِمٍ) ٦/٩٦-١٠٣ ، وانظر النزاهة : ٨/٦٣٧ .

١٤- الأفتقارُ إليه سبحانه :

قال أبو حفص النيسابوري : أحسنُ ما يتوسَّلُ به العبدُ إلى مولاه الأفتقارُ إليه ومُلازِمَةُ السُّنَّةِ ، وطَلْبُ القُوَّةِ من حِلِّهِ .
تُوفِّي الأستاذُ أبو حفص النيسابوري سَنَةَ أَرْبَعِ وَسِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ ، رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ (١) .

١٥- رِضَا اللهُ غَايَةً :

عن مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ قَالَ : طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ عِشَاءً ، وَلَمْ يَجِدْ غَدَاءً ، وَوَجَدَ غَدَاءً وَلَمْ يَجِدْ عِشَاءً ، وَاللهُ عَنْهُ رَاضٍ (٢) .
وعن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، قَالَ : اخَذَرُ سَخَطَ اللهِ فِي ثَلَاثٍ : اخَذَرُ أَنْ تُقَصِّرَ فِيمَا أَمَرَكَ ، وَاخَذَرُ أَنْ يَرَاكَ وَأَنْتَ لَا تَرْضَى بِمَا قَسَمَ لَكَ ، وَأَنْ تَطْلُبَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا فَلَا تَجِدُهُ ، أَنْ تَسَخَطَ عَلَيَّ رَبِّكَ (٣) .

١٦- عَوْنُهُ سُبْحَانَهُ لِلْعَبْدِ وَتَوْفِيقُهُ :

قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ : إِنَّمَا وَجَدْتُ الْعَبْدَ مُلْقَى بَيْنَ رَبِّهِ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ ، فَإِنْ اسْتَشْلَاهُ رَبُّهُ وَاسْتَنْقَذَهُ نَجَا ، وَإِنْ تَرَكَهُ وَالشَّيْطَانُ ذَهَبَ بِهِ (٤) .
وقال مُطَرِّفٌ : لَوْ أَخْرَجَ قَلْبِي فِجْعَلٍ فِي يَسَارِي وَجِيءَ بِالْخَيْرِ ، فِجْعَلٍ فِي يَمِينِي مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أُوَلِّجَ قَلْبِي مِنْهُ شَيْئاً حَتَّى يَكُونَ اللهُ يُضَعُّهُ (٥) .
وقال الوَخْشِيُّ يَوْمًا : رَحَلْتُ ، وَقَاسَيْتُ الذَّلَّ وَالْمَشَاقَّ ، وَرَجَعْتُ إِلَى وَخْشٍ وَمَا عَرَفَ أَحَدٌ قَدْرِي ، فَقُلْتُ : أَمُوتُ وَلَا يَتَسَرُّ ذِكْرِي ، وَلَا يَتَرَحَّمُ أَحَدٌ عَلَيَّ ، فَسَهَّلَ اللهُ ، وَوَقَّقَ نِظَامَ الْمُلْكِ حَتَّى بَنَى هَذِهِ الْمَدْرَسَةَ وَأَجْلَسَنِي فِيهَا أَحَدْتُ ، لَقَدْ

(١) انظر السير : (أبو حفص النيسابوري) ١٢/٥١٠-٥١٣ ، وانظر النزهة : ١/١٠٢٦ .

(٢) انظر السير : (مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ) ٦/١١٩-١٢٣ ، وانظر النزهة : ٤/٦٣٨ .

(٣) انظر السير : (سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ١/٦٩٧ .

(٤) انظر السير : (مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ) ٤/١٨٧-١٩٥ ، وانظر النزهة : ٥/٤٧٥ .

(٥) انظر السير : (مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ) ٤/١٨٧-١٩٥ ، وانظر النزهة : ٦/٤٧٥ .

كُنْتُ بَعْسَقْلَانَ أَسْمَعُ مِنْ ابْنِ مُصَحَّحٍ ، وَبَقِيْتُ أَيَّامًا بَلَا أَكُلَ ، فَقَعَدْتُ بِقُرْبِ خَبَازٍ لِأَسْمَ رَائِحَةَ الْخُبْزِ وَأَتَقَوَّى بِهَا^(١) .

١٧- حُبُّهُ سُبْحَانَهُ :

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْعَثِ : سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ : ارْحَمْنِي بِحُبِّي إِيَّاكَ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ^(٢) .

١٨- رُؤْيَا الْمُسَبَّبِ وَمُرَاعَاةُ الْأَسْبَابِ :

قَالَ الْكَتَّانِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدِ الْخَرَّازِ يَقُولُ : مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَصِلُ بِغَيْرِ بَدَلٍ الْمَجْهُودِ فَهُوَ مُتَمَنِّي ، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَصِلُ بِبَدَلٍ الْمَجْهُودِ فَهُوَ مُتَعَنِّي^(٣) .

وَقَالَ بُنَانُ الْحَمَّالِ : رُؤْيَا الْأَسْبَابِ عَلَى الدَّوَامِ قَاطِعَةٌ عَنِ مُشَاهَدَةِ الْمُسَبَّبِ ، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْأَسْبَابِ جُمْلَةٌ يُؤَدِّي بِصَاحِبِهِ إِلَى رُكُوبِ الْبَاطِلِ^(٤) .

١٩- مُتَفَرِّقَاتُ فِي الْعِلَاقَةِ مَعَ اللَّهِ :

عَنِ مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ ، قَالَ : مَنْ كَابَرَ اللَّهَ ، صَرَعَهُ ، وَمَنْ نَارَعَهُ ، قَمَعَهُ ، وَمَنْ مَآكَرَهُ خَدَعَهُ ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ مَنَعَهُ ، وَمَنْ تَوَاضَعَ لَهُ ، رَفَعَهُ ، كَلَامُ الْعَبْدِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ خُذْلَانٌ مِنَ اللَّهِ^(٥) .

وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْخَوَارِيِّ ، قَالَ : كُنْتُ أَسْمَعُ وَكَيْعًا يَبْتَدِيءُ قَبْلَ أَنْ يُحَدِّثَ فَيَقُولُ : مَا هُنَالِكَ إِلَّا عَفْوُهُ ، وَلَا نَعِيشُ إِلَّا فِي سِتْرِهِ ، وَلَوْ كَشَفَ الْغِطَاءَ لَكَشَفَ عَنِ أَمْرِ عَظِيمٍ^(٦) .

-
- (١) انظر السير : (الْوَحْشِيُّ) ١٨/٣٦٥-٣٦٧ ، وانظر النزهة : ١/١٤٢٣ .
 - (٢) انظر السير : (الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ١/٧٧٨ .
 - (٣) انظر السير : (الْخَرَّازُ) ١٣/٤١٩-٤٢٢ ، وانظر النزهة : ٤/١٠٩٧ .
 - (٤) انظر السير : (بُنَانُ الْحَمَّالِ) ١٤/٤٨٨-٤٩٠ ، وانظر النزهة : ٣/١١٦٩ .
 - (٥) انظر السير : (مَعْرُوفُ الْكَرْخِيِّ) ٩/٣٣٩-٣٤٥ ، وانظر النزهة : ٨/٨٢٦ .
 - (٦) انظر السير : (أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيِّ) ١٢/٨٥-٩٤ ، وانظر النزهة : ٢/٩٨٧ .

وعن ابنِ سَمْعُونِ ، أَنَّهُ سَمِعَ الْبَرْبَهَارِيَّ يَقُولُ : رَأَيْتُ بِالشَّامِ رَاهِباً فِي صَوْمَعَةٍ حَوْلَهُ
رُهْبَانٌ يَتَمَسَّحُونَ بِالصَّوْمَعَةِ ، فَقُلْتُ لِحَدِيثِ مَنْهُمْ : بَأَيِّ شَيْءٍ أُعْطِيَ هَذَا ؟ قَالَ :
سُبْحَانَ اللَّهِ مَتَى رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي شَيْئاً عَلَى شَيْءٍ ؟ قُلْتُ : هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى إِضْحَاحٍ ، فَقَدْ
يُعْطِي اللَّهُ عَبْدَهُ بِلا شَيْءٍ ، وَقَدْ يُعْطِيهِ عَلَى شَيْءٍ ، لَكِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يُعْطِيهِ اللَّهُ عَبْدَهُ ،
ثُمَّ يُثِيبُهُ عَلَيْهِ هُوَ مِنْهُ أَيْضاً قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا
أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ (١) .

عاش البربهاري سبعمائة وسبعين سنة ، وكان في آخر عمره قد تزوج بجارية (٢) .

* * *

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٤٣ .

(٢) انظر السير : (البربهاري) ٩٠/١٥ - ٩٣ ، وانظر النزهة : ٣/١١٨٦ .

من مَظَاهِرِ حُسْنِ الْعَلَاقَةِ مَعَ اللَّهِ

١- الاستِسْقَاءُ

صُورٌ مِنْ اسْتِسْقَاءِ الصَّالِحِينَ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَثَبَتْ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ : أَنَّ عُمَرَ اسْتَسْقَى فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا قَحَطْنَا عَلَى عَهْدِ نَبِيِّكَ تَوَسَّلْنَا بِهِ ، وَإِنَّا نَسْتَسْقِي إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ الْعَبَّاسِ .

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَبَّاسُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ (١) :

بِعَمِّي سَقَى اللَّهُ الْحِجَازَ وَأَهْلَهُ عَشِيَةً يَسْتَسْقِي بِشِيْتِهِ عَمْرَ
تَوَجَّهَ بِالْعَبَّاسِ فِي الْجَدْبِ رَاغِبًا إِلَيْهِ فَمَا إِنْ رَامَ حَتَّى أَتَى الْمَطْرَ
وَمِنَّا رَسُولُ اللَّهِ فِينَا تَرَاثُهُ فَهَلْ فَوْقَ هَذَا لِلْمُفَاخِرِ مَفْتَخَرُهُ

وَعَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ قَالَ : جَاءَ قَيْمٌ أَرْضِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ : عَطِشْتُ أَرْضُوكَ ، فَتَرَدَّدَى أَنَسٌ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْبَرِيَّةِ ، ثُمَّ صَلَّى ، وَدَعَا ، فَثَارَتْ سَحَابَةٌ ، وَغَشِيَتْ أَرْضَهُ وَمَطَرَتْ ، حَتَّى مَلَأَتْ صِهْرِيحَهُ وَذَلِكَ فِي الصَّيْفِ ، فَأَرْسَلَ بَعْضَ أَهْلِهِ ، فَقَالَ : انظُرْ أَيْنَ بَلَغَتْ ؟ فَإِذَا هِيَ لَمْ تَعُدْ أَرْضَهُ إِلَّا يَسِيرًا (٢) .

عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : خَرَجَ مُعَاوِيَةُ يَسْتَسْقِي ، فَلَمَّا قَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، قَالَ : أَيْنَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ ؟ فَنَادَاهُ النَّاسُ ، فَأَقْبَلَ يَنْخَطَّاهُمْ فَأَمَرَهُ مُعَاوِيَةُ ، فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفَعُ إِلَيْكَ بِخَيْرِنَا وَأَفْضَلِنَا يَزِيدَ بْنِ الْأَسْوَدِ ، يَا يَزِيدُ ارْفَعْ يَدَيْكَ إِلَى اللَّهِ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَرَفَعَ النَّاسُ فَمَا كَانَ بِأَوْشَكَ مِنْ أَنْ ثَارَتْ سَحَابَةٌ كَالْثُرْسِ ، وَهَبَتْ رِيحٌ فَسَقَيْنَا حَتَّى كَادَ النَّاسُ أَنْ لَا يَبْلُغُوا مَنَازِلَهُمْ (٣) .

(١) انظر السير : (العبَّاس) ٧٨/٢-١٠٣ ، وانظر النزعة : ١/٢٢٣ .

(٢) انظر السير : (أنسُ بنُ مالك) ٣/٣٩٥-٤٠٦ ، وانظر النزعة : ١/٤٠١ .

(٣) انظر السير : (الجرشي) ٤/١٣٦-١٣٧ ، وانظر النزعة : ٣/٤٦٢ .

وقال الأوزاعي : خَرَجُوا يَسْتَسْقُونَ بِدِمَشْقَ ، وفيهم بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ ، فَقَامَ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ مَنْ حَضَرَ! أَلَسْتُمْ مُقَرَّبِينَ بِالْإِسَاءَةِ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ : ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (١) وقد أَقْرَرْنَا بِالْإِسَاءَةِ ، فَاغْفُ عَنَّا وَاسْقِنَا قَالَ : فَسَقِينَا يَوْمَئِذٍ (٢) .

وقال ابنُ المُنْكَدِرِ : إِنِّي لِلَّيْلَةِ مُوَاجِهَةٌ هَذَا الْمِنْبَرِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ أَدْعُو ، إِذَا إِنْسَانٌ عِنْدَ اسْطِوَانَةِ مُفْتَعٍ رَأَسَهُ ، فَاسْمَعُهُ يَقُولُ : أَي رَبِّ إِنَّ الْقَحْطَ قَدْ اشْتَدَّ عَلَيَّ عِبَادِكَ ، وَإِنِّي مُقْسِمٌ عَلَيْكَ يَا رَبِّ إِلَّا سَقَيْتَهُمْ ، قَالَ : فَمَا كَانَ إِلَّا سَاعَةً إِذَا سَحَابَةٌ قَدْ أَقْبَلَتْ ، ثُمَّ أَرْسَلَهَا اللَّهُ ، وَكَانَ عَزِيزًا عَلَى ابْنِ الْمُنْكَدِرِ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ ، فَقَالَ : هَذَا بِالْمَدِينَةِ وَلَا أَعْرِفُهُ!! فَلَمَّا سَلَّمَ الْإِمَامُ ، تَقَنَّعَ وَانصَرَفَ ، وَأَتْبَعَهُ ، وَلَمْ يَجْلِسْ لِلْقَاصِ حَتَّى أَتَى دَارَ أَنَسٍ ، فَدَخَلَ مَوْضِعًا ، فَفَتَحَ وَدَخَلَ قَالَ : وَرَجَعْتُ ، فَلَمَّا سَبَّحْتُ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ : أَدْخُلْ ؟ قَالَ : ادْخُلْ فَإِذَا هُوَ يَنْجِرُ أَقْداحًا ، فَقُلْتُ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، قَالَ : فَاسْتَشْهَرَهَا وَأَعْظَمَهَا مِنِّي ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ ، قُلْتُ : إِنِّي سَمِعْتُ إِقْسَامَكَ الْبَارِحَةَ عَلَى اللَّهِ ، يَا أَخِي هَلْ لَكَ فِي نَفَقَةِ تُغْنِيكَ عَنْ هَذَا ، وَتُفْرِّغُكَ لِمَا تُرِيدُ مِنَ الْآخِرَةِ ، قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ غَيْرُ ذَلِكَ ، لَا تَذَكُرْنِي لِأَحَدٍ ، وَلَا تَذَكُرْ هَذَا لِأَحَدٍ حَتَّى أَمُوتَ ، وَلَا تَأْتِنِي يَا ابْنَ الْمُنْكَدِرِ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَأْتِنِي شَهْرَتِي لِلنَّاسِ ، فَقُلْتُ : إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَلْقَاكَ ، قَالَ : الْقَبِي فِي الْمَسْجِدِ ، قَالَ : وَكَانَ فَارِسِيًّا ، فَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ لِأَحَدٍ حَتَّى مَاتَ الرَّجُلُ قَالَ ابْنُ وَهْبٍ : بَلَّغَنِي أَنَّهُ انْتَقَلَ مِنْ تِلْكَ الدَّارِ ، فَلَمْ يُرَ ، وَلَمْ يُدْرَ أَيْنَ ذَهَبَ فَقَالَ أَهْلُ تِلْكَ الدَّارِ : اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ ، أَخْرَجَ عَنَّا الرَّجُلَ الصَّالِحَ (٣) .

وكان أئوب السخثياني في طريق مكة ، فأصاب الناس عطش شديد حتى خافوا فقال أئوب : أنكثمون عليّ ؟ قالوا : نعم فدور رداءه ودعا ، فنبع الماء ، وسقوا

(١) سورة التوبة ، الآية : ٩١ .

(٢) انظر السير : (بِلالُ بْنُ سَعْدٍ) ٩٠/٥ - ٩٢ ، وانظر النزاهة : ٥/٥٨٤ .

(٣) انظر السير : (محمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ) ٣٥٣/٥ - ٣٦١ ، وانظر النزاهة : ٤/٦٠٨ .

الجَمالَ ، ورووا ، ثم أمرَ يده على الموضِعِ فصار كما كان .

قال الإمامُ الذهبيُّ : اتَّفَقوا على أنه تُوِّفِيَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِئَةَ بِالْبَصْرَةِ زَمَنَ الطَّاعُونَ وله ثلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً^(١) .

قال ابنُ مسروقٍ : حدَّثنا يعقوبُ ابنُ أخي معروفِ الكرخيِّ ، أن مَعْرُوفاً اسْتَسْقَى لهم في يَوْمِ حَارٍّ ، فما اسْتَمْتُمُوا رَفَعَ ثِيَابِهِمْ حَتَّى مُطِرُوا .

وقد اسْتَجِيبَ دُعَاءُ مَعْرُوفٍ فِي غَيْرِ قَضِيَّةٍ ، وَأَفْرَدَ الْإِمَامُ أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ مَنَاقِبَ مَعْرُوفٍ فِي أَرْبَعَةِ كَرَارِسٍ^(٢) .

قال الإمامُ الذهبيُّ في تَرْجَمَةِ أَحْمَدَ بْنِ حَرْبٍ : وَقِيلَ إِنَّهُ اسْتَسْقَى لَهُمْ بِبُخَارَى ، فَمَا انصَرَفُوا إِلَّا يَخْضُونَ فِي الْمَطَرِ رَحْمَةً اللهُ عَلَيْهِ مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ ، وَقَدْ قَارَبَ السِّتِينَ^(٣) .

وقال أبو عليِّ العسائنيُّ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ نَصْرُ بْنُ الْحَسَنِ السَّكْتِيُّ السَّمَرْقَنْدِيُّ ، قَالَ : قَطَطَ الْمَطَرُ عِنْدَنَا بِسَمَرْقَنْدٍ فِي بَعْضِ الْأَعْوَامِ ، فَاسْتَسْقَى النَّاسُ مِرَاراً ، فَلَمْ يُسْقُوا ، فَأَتَى رَجُلٌ صَالِحٌ مَعْرُوفٌ بِالصَّلَاحِ إِلَى قَاضِي سَمَرْقَنْدٍ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي رَأَيْتُ رَأياً أَعْرِضُهُ عَلَيْكَ قَالَ : وما هو ؟ قَالَ : أَرَى أَنْ تَخْرُجَ وَيَخْرُجَ النَّاسُ مَعَكَ إِلَى قَبْرِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ ، وَقَبْرُهُ بِخَرْتَنْكَ وَنَسْتَسْقِي عِنْدَهُ ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَسْقِيَنَا ، قَالَ : فَقَالَ الْقَاضِي : نِعْمَ مَا رَأَيْتَ ! فَخَرَجَ الْقَاضِي وَالنَّاسُ مَعَهُ ، وَاسْتَسْقَى الْقَاضِي بِالنَّاسِ ، وَبَكَى النَّاسُ عِنْدَ الْقَبْرِ ، وَتَشَفَّعُوا بِصَاحِبِهِ ، فَأَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى السَّمَاءَ بِمَاءٍ عَظِيمٍ غَزِيرٍ ، أَقَامَ النَّاسُ مِنْ أَجْلِهِ بِخَرْتَنْكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ أَوْ نَحْوَهَا ، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ الْوُصُولَ إِلَى سَمَرْقَنْدٍ مِنْ كَثْرَةِ الْمَطَرِ وَغَزَارَتِهِ ، وَبَيْنَ خَرْتَنْكَ وَسَمَرْقَنْدَ نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ^(٤) .

(١) انظر السير : (أَبُو السَّخْتِيَانِي) ٦/١٥-٢٦ ، وانظر النزهة : ١٣/٦٢٦ .

(٢) انظر السير : (مَعْرُوفُ الْكَرْخِيِّ) ٩/٣٣٩-٣٤٥ ، وانظر النزهة : ١/٨٢٧ .

(٣) انظر السير : (أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ) ١١/٣٢-٣٥ ، وانظر النزهة : ٥/٩٠٦ .

(٤) انظر السير : (أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبُخَارِيُّ) ١٢/٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٢١ .

وقال الحسن بن محمد : قَطَطَ النَّاسُ فِي بَعْضِ السَّنِينَ آخِرَ مُدَّةِ النَّاصِرِ ، فَأَمَرَ الْقَاضِي مُنْذِرَ بْنَ سَعِيدٍ بِالْبُرُوزِ إِلَى الْاسْتِسْقَاءِ بِالنَّاسِ ، فَصَامَ أَيَّاماً وَتَاهَبَ ، وَاجْتَمَعَ الْخَلْقُ فِي مُصَلَّى الرَّبِضِ وَصَعَدَ النَّاصِرُ فِي أَعْلَى قَصْرِهِ لِشَاهِدِ الْجَمْعِ ، فَأَبْطَأَ مُنْذِرٌ ثُمَّ خَرَجَ رَاحِلاً مُتَخَشِعاً ، وَقَامَ لِيُخْطَبَ فَلَمَّا رَأَى الْحَالَ بَكَى وَنَشَجَ وَافْتَتَحَ خُطْبَتَهُ بِأَنْ قَالَ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، ثُمَّ سَكَتَ شِبْهَ الْحَسِيرِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ عَادَتِهِ ، فَنَظَرَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ لَا يَدْرُونَ مَا عَرَاهُ ، ثُمَّ انْدَفَعَ فَقَالَ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾^(١) اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَتُوبُوا إِلَيْهِ ، وَتَقَرَّبُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لَدَيْهِ ، فَضَجَّ النَّاسُ بِالْبُكَاءِ ، وَجَازُوا بِالْدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَخَطَبَ فَأَبْلَغَ ، فَلَمْ يَنْفُضِ الْقَوْمُ حَتَّى نَزَلَ غَيْثٌ عَظِيمٌ^(٢) .

وَاسْتَسْقَى مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ مَرَّةً ، فَقَالَ يَهْتَفُ بِالْخَلْقِ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمُوا الْفُقَرَاءَ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾^(٣) إِنْ يَشَاءُ يَذْهَبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿^(٣) فَهَجَّ الْخَلْقُ عَلَى الْبُكَاءِ^(٤) .

وقال الحسن بن محمد : وَسَمِعْتُ مَنْ يَذْكُرُ أَنَّ رَسُولَ النَّاسِ جَاءَهُ لِلْاسْتِسْقَاءِ ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ : هَا أَنَا سَائِرٌ ، فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي يَصْنَعُهُ الْخَلِيفَةُ فِي يَوْمِنَا هَذَا ؟ فَقَالَ : مَا رَأَيْتَهُ قَطُّ أَخْشَعَ مِنْهُ فِي يَوْمِهِ هَذَا ، إِنَّهُ مُنْفَرِدٌ بِنَفْسِهِ ، لَا يَبْسُ أَحْسَنَ الثِّيَابِ ، مُفْتَرِشُ الثَّرَابِ ، قَدْ عَلَا نَحِيْبُهُ وَاعْتَرَفَهُ بِذُنُوبِهِ ، يَقُولُ : رَبِّ هَذِهِ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، أَتْرَاكَ تُعَذِّبُ الرَّعِيَّةَ ، وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَأَعْدَلُهُمْ ، أَنْ يَفُوتَكَ مِنِّي شَيْءٌ ، فَتَهْلَلَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَقَالَ : يَا غُلَامُ احْمِلِ الْمِمْطَرَةَ مَعَكَ ، إِذَا خَشَعَ جَبَّارُ الْأَرْضِ رَحِمَ جَبَّارُ السَّمَاءِ^(٥) .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٥٤ .

(٢) انظر السير : (مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ) ١٦ / ١٧٣ - ١٧٨ ، وانظر النزعة : ٣ / ١٢٧٨ .

(٣) سورة فاطر ، الآيتان : ١٥ ، ١٦ .

(٤) انظر السير : (مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ) ١٦ / ١٧٣ - ١٧٨ ، وانظر النزعة : ١ / ١٢٧٩ .

(٥) انظر السير : (مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ) ١٦ / ١٧٣ - ١٧٨ ، وانظر النزعة : ٢ / ١٢٧٩ .

وعن الربيع بن سالم يقول : صادف وقت وفاة الحجري فخط ، فلما وضعت جنازته ، توسلوا به إلى الله ، فسقوا ، وما اختلف الناس إلى قبره مدة الأسبوع إلا في الوحل وكان ابن حبيش شيخنا كثيراً ما يقول : لم تخرج المرئية أفضل منه ، وكان زماناً يُخبر أنه يموت في المحرم لرؤيا رآها ، فكان كل سنة يتهياً^(١) .
وقد استسقى الشيخ أبو عمر محمد بن قدامة مرة بالمغارة فحينئذ نزل غيث أجرى الأودية^(٢) .

* * *

(١) انظر السير : (الحجري) ٢١/٢٥١-٢٥٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٦١٦ .
(٢) انظر السير : (الشيخ أبو عمر) ٢٢/٥-٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٦٢ .

٢- الالْتِجَاءُ حَالِ التَّهْدِيدِ إِلَى اللَّهِ

(وَسْتَجِدُّ غَيْرَ ذَلِكَ فِي فَهْرَسِ الدُّعَاءِ فِي : أَدْعِيَةٌ مُجَرَّبَةٌ فِي كَشْفِ الضَّرِّ)

مَاذَا يَفْعَلُ مَنْ هُدِدَ ؟

عن الحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ قَالَ : لَمْ يَبَايِعْ أَبِي الْحَجَّاجِ ، لَمَّا قَتَلَ ابْنَ الزُّبَيْرِ بَعَثَ الْحَجَّاجُ إِلَيْهِ أَنْ قَدْ قُتِلَ عَدُوُّ اللَّهِ ، فَقَالَ : إِذَا بَايَعَ النَّاسُ بَايَعْتُ قَالَ : وَاللَّهِ لَا قُتِلْتَنَّا قَالَ : إِنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَسِتِّينَ نَظْرَةً^(١) ، فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَسِتُّونَ قَضِيَّةً ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكْفِينَاكَ فِي قَضِيَّةٍ مِنْ قَضَايَاهُ ، وَكَتَبَ الْحَجَّاجُ فِيهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِذَلِكَ ، فَأَعَجَبَ عَبْدَ الْمَلِكِ قَوْلُهُ ، وَكَتَبَ بِمِثْلِهَا إِلَى طَاعِيَةِ الرُّومِ وَذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ الرُّومِ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَتَهَدَّدُهُ بِأَنَّهُ قَدْ جَمَعَ لَهُ جُمُوعًا كَثِيرَةً وَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ : قَدْ عَرَفْنَا أَنَّ مُحَمَّدًا لَيْسَ عِنْدَهُ خِلَافٌ ، فَارْفُقْ بِهِ فَسَيُبَايِعُكَ فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَبَايَعَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ قَالَ ابْنُ عُمَرَ لِمُحَمَّدٍ : مَا بَقِيَ شَيْءٌ فَبَايِعْ فَكَتَبَ بِالْبَيْعَةِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَهِيَ : « أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ الْأُمَّةَ قَدْ اخْتَلَفَتْ اعْتَزَلْتُهُمْ ، فَلَمَّا أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَيْكَ وَبَايَعَكَ النَّاسُ ، كُنْتُ كَرَجُلٍ مِنْهُمْ ، فَقَدْ بَايَعْتُكَ وَبَايَعْتُ الْحَجَّاجَ لَكَ ، وَنَحْنُ نَحِبُّ أَنْ تُؤَمِّنَنَا ، وَتُعْطِيَنَا مِثَاقًا عَلَى الْوَفَاءِ فَإِنَّ الْعَدْرَ لَا خَيْرَ فِيهِ » .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِنَّكَ عِنْدَنَا مَحْمُودٌ ، أَنْتَ أَحَبُّ إِلَيْنَا وَأَقْرَبُ بِنَا رَحِمًا مِنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَلِكِ ذِمَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ لَا تَهَاجَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ بِشَيْءٍ^(٢) .
وَقِيلَ : تَهَدَّدَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِنُ مَرْوَانَ خَالِدًا ابْنَ الْخَلِيفَةِ يَزِيدَ وَسَطًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَنَهَدُّدُنِي وَيَدُّ اللَّهُ فَوْقَكَ مَانِعَةٌ ، وَعَطَاؤُهُ دُونَكَ مَبْدُولٌ^(٣) .

(١) عند ابن سعد : (لحظة) .

(٢) انظر السير : (ابنُ الْحَنْفِيَّةِ) ٤ / ١١٠ - ١٢٩ ، وانظر النزهة : ٣ / ٤٦١ .

(٣) انظر السير : (خَالِدُ بْنُ الْخَلِيفَةِ يَزِيدَ) ٤ / ٣٨٢ - ٣٨٣ ، وانظر النزهة : ٤ / ٥١٥ .

٣- التَّوْبَةُ

١- الْحَثُّ عَلَى التَّوْبَةِ :

عن طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ ، قَالَ : إِنَّ حُقُوقَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَقُومَ بِهَا الْعِبَادُ ، وَإِنَّ نِعَمَ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى ، وَلَكِنْ أَصْبَحُوا تَائِبِينَ ، وَأَمْسُوا تَائِبِينَ .
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : طَلَّقُ صَدُوقٌ ، يَرَى الْإِرْجَاءَ ^(١) .

٢- مِنْ عِلَامَاتِ التَّوْبَةِ :

عن عُمَرَ بْنِ ذَرِّقَانَ قَالَ : كُلُّ حُزْنٍ يَبْلَى إِلَّا حُزْنَ التَّائِبِ عَنْ ذُنُوبِهِ ^(٢) .
وعن شَقِيقٍ ، قَالَ : عِلَامَةُ التَّوْبَةِ الْبُكَاءُ عَلَى مَا سَلَفَ ، وَالْخَوْفُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الذَّنْبِ ، وَهُجْرَانُ إِخْوَانِ الشُّوءِ ، وَمُلَازِمَةُ الْأَخْيَارِ ^(٣) .

٣- كَلِمَةٌ جَمِيلَةٌ فِي التَّوْبَةِ :

رَوَى أَبُو الْمَلِيحِ ، عَنْ مَيْمُونٍ ، قَالَ : مَنْ أَسَاءَ سِرًّا فَلْيُسِّبْ سِرًّا ، وَمَنْ أَسَاءَ عَلَانِيَةً ، فَلْيُسِّبْ عَلَانِيَةً ، فَإِنَّ النَّاسَ يُعَيِّرُونَ وَلَا يَغْفِرُونَ ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ وَلَا يُعَيِّرُ ^(٤) .

٤- صُورٌ مِنَ التَّوْبَةِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ زَاذَانَ : وَقَالَ ابْنُ عَدِي : تَابَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَعَنْ أَبِي هَاشِمِ الرُّمَّانِيِّ قَالَ : قَالَ زَاذَانُ : كُنْتُ غُلَامًا حَسَنَ الصَّوْتِ ، وَعِنْدَنَا نَبِيذٌ وَأَنَا أُغْنِيهِمْ ، فَمَرَّ ابْنُ مَسْعُودٍ فَدَخَلَ فَضَرَبَ الْبَاطِيَةَ ^(٥) ، بَدَّدَهَا وَكَسَرَ الطُّنْبُورَ ، ثُمَّ قَالَ : لَوْ كَانَ مَا يُسْمَعُ مِنْ حُسْنِ صَوْتِكَ يَا غُلَامُ بِالْقُرْآنِ كُنْتَ أَنْتَ ، ثُمَّ مَضَى فَقُلْتُ

(١) انظر السير : (طَلَّقُ بْنُ حَبِيبِ الْعَنْزِيِّ) ٤/٦٠١-٦٠٣ ، وانظر النزهة : ١/٥٦٧ .

(٢) انظر السير : (عُمَرُ بْنُ ذَرِّقَانَ) ٦/٣٨٥-٣٩٠ ، وانظر النزهة : ٦/٦٦٠ .

(٣) انظر السير : (شَقِيقٌ) ٩/٣١٣-٣١٦ ، وانظر النزهة : ٩/٨٢٣ .

(٤) انظر السير : (مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ) ٥/٧١-٧٨ ، وانظر النزهة : ٣/٥٨٢ .

(٥) الْبَاطِيَةُ : هُوَ كُلُّ إِنَاءٍ يُجْعَلُ فِيهِ الْخَمْرُ .

لأصحابي : مَنْ هذا؟ قالوا : هذا ابنُ مَسْعُودٍ ، فألقى في نَفْسِي التَّوْبَةَ ، فَسَعَيْتُ
أَبْنِي ، وَأَخَذْتُ بَثْوِيهِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَاعْتَنَقَنِي وَبَكَى وَقَالَ : مَرْحَباً بِمَنْ أَحَبَّهُ اللهُ ،
اجْلِسْ ، ثُمَّ دَخَلَ وَأَخْرَجَ لِي تَمْرًا^(١) .

وعن يُونُسَ الْبَلْخِيِّ ، قَالَ : كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ مِنَ الْأَشْرَافِ ، وَكَانَ أَبُوهُ كَثِيرَ
الْمَالِ وَالْحَدَمِ ، وَالْمَرَائِبِ وَالْجَنَائِبِ وَالْبُرَاهِ^(٢) فَبَيْنَا إِبْرَاهِيمُ فِي الصَّيْدِ عَلَى فَرَسِهِ
يُرْكضُهُ ، إِذَا هُوَ بِصَوْتٍ مِنْ فَوْقِهِ : يَا إِبْرَاهِيمُ مَا هَذَا الْعَبْتُ ؟ ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ
عَبَثًا ﴾^(٣) اتَّقِ اللَّهَ ، عَلَيْكَ بِالزَّادِ لِيَوْمِ الْفَاقَةِ ، فَتَزَلَّ عَنْ دَابَّتِهِ ، وَرَفَضَ الدُّنْيَا .

قَالَ خَلْفُ بْنُ تَمِيمٍ : سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ : رَأَيْتُ ابْنَ عَجَلَانَ ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ
سَاجِدًا ، وَقَالَ سَجَدْتُ لِلَّهِ شُكْرًا حِينَ رَأَيْتُكَ^(٤) .

قَالَ السَّرَّاجُ : سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ بَشَّارٍ يَقُولُ : قُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ : كَيْفَ كَانَ
بَدَأُ أَمْرِكَ ؟ قَالَ : غَيْرُ ذَا أَوْلَى بِكَ قَالَ : قُلْتُ : أَخْبِرْنِي لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ يَوْمًا قَالَ :
كَانَ أَبِي مِنَ الْمُلُوكِ الْمَيَاسِيرِ ، وَحُبَّبَ إِلَيْنَا الصَّيْدَ فَرَكِبْتُ ، فَتَارَ أَرْزَبٌ أَوْ ثَعْلَبٌ
فَحَرَكْتُ فَرَسِي ، فَسَمِعْتُ نِدَاءً مِنْ وَرَائِي : لَيْسَ لَذَا خُلِقْتَ وَلَا بِذَا أُمِرْتَ ، فَوَقَفْتُ
أَنْظُرُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا ، فَقُلْتُ : لَعَنَ اللَّهُ إِبْلِيسَ ، ثُمَّ حَرَكْتُ فَرَسِي ، فَاسْمَعُ
نِدَاءً أَجْهَرَ مِنْ ذَلِكَ : يَا إِبْرَاهِيمُ ! لَيْسَ لَذَا خُلِقْتَ وَلَا بِذَا أُمِرْتَ ، فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ فَلَا أَرَى
أَحَدًا فَقُلْتُ : لَعَنَ اللَّهُ إِبْلِيسَ ، فَاسْمَعُ نِدَاءً مِنْ قَرْبُوسٍ^(٥) سَرَّجِي بِذَاكَ ، فَقُلْتُ :
أُنْبَهْتُ ، أُنْبَهْتُ ، جَاءَنِي نَذِيرٌ ، وَاللَّهِ لَا عَصِيَّتُ لِلَّهِ بَعْدَ يَوْمِي مَا عَصَمَنِي اللَّهُ ، فَرَجَعْتُ
إِلَى أَهْلِي ، فَخَلَيْتُ فَرَسِي ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رُعَاةِ لِأَبِي ، فَأَخَذْتُ جُبَّةً وَكِسَاءً ، وَأَلْقَيْتُ
ثِيَابِي إِلَيْهِ ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَعَمِلْتُ بِهَا أَيَّامًا ، فَلَمْ يَصْفُ لِي مِنْهَا الْحَلَالُ فَقِيلَ

(١) انظر السير : (زاذان) ٤ / ٢٨٠ - ٢٨١ ، وانظر النزاهة : ٢ / ٤٩٨ .

(٢) البُرَاة : جمع البازي ، وهو ضربٌ من الصُّقُور .

(٣) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥ .

(٤) انظر السير : (إبراهيم بن أدهم) ٧ / ٣٨٧ - ٣٩٦ ، وانظر النزاهة : ٤ / ٧٠٧ .

(٥) القَرْبُوسُ : هو حنو السرج ، قال الأزهرى : وللسرج قربوسان ، فأما القربوس المقدم ، ففيه
العَضْدَانِ ، وهما رجلا السرج ، ويُقالُ لهما حنواه ، والقربوس الآخر فيه رجلا المؤخرَة ، وهما حنواه .

لي : عَلَيْكَ بِالشَّامِ فَذَكَرَ حِكَايَةَ نِظَارَتِهِ الرَّؤْمَانَ ، وَقَالَ الخَادِمُ لَهُ : أَنْتَ تَأْكُلُ فَأَكِهْتَنَا ، وَلَا تَعْرِفُ الحُلُومَ مِنَ الحَامِضِ ؟ قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا دُفْتُهَا فَقَالَ : أَتُرَاكَ لَوْ أَنَّكَ إِبرَاهِيمُ بْنُ أَذْهَمَ ، فَانصَرَفَ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ العَدِيدِ ذَكَرَ صِفَتِي فِي المَسْجِدِ ، فَعَرَفَنِي بَعْضُ النَّاسِ ، فَجَاءَ الخَادِمُ وَمَعَهُ عُنُقٌ^(١) مِنَ النَّاسِ فَاخْتَفَيْتُ خَلْفَ الشَّجَرِ وَالنَّاسُ دَاخِلُونَ ، فَاخْتَلَطْتُ مَعَهُمْ وَأَنَا هَارِبٌ .

تُوفِّي سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَمِئَةَ ، وَقَبْرُهُ يُرَارُ^(٢) .

وعن الفضل بن موسى ، قَالَ : كَانَ الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ شَاطِئاً يَقَطَعُ الطَّرِيقَ بَيْنَ أَبِيوَرْدٍ وَسَرْحَسَ ، وَكَانَ سَبَبُ تَوْبَتِهِ أَنَّهُ عَشِقَ جَارِيَةً ، فَبَيْنَا هُوَ يَرْتَقِي الجُدْرَانَ إِلَيْهَا ، إِذْ سَمِعَ تَالِيًا يَتْلُو ﴿ اَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ . . . ﴾^(٣) فَلَمَّا سَمِعَهَا ، قَالَ : بَلَى ، يَا رَبِّ ، قَدْ آنَ ، فَرَجَعَ ، فَأَوَاهُ اللَّيْلُ إِلَى خَرِبَةٍ ، فَإِذَا فِيهَا سَابِلَةٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : نَزَحَلْ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : حَتَّى نُصْبِحَ فَإِنَّ فُضَيْلاً عَلَى الطَّرِيقِ يَقَطَعُ عَلَيْنَا .

قَالَ : فَفَكَّرْتُ ، وَقُلْتُ : أَنَا أَسْعَى بِاللَّيْلِ فِي المَعَاصِي ، وَقَوْمٌ مِنَ المُسْلِمِينَ هَاهُنَا ، يَخَافُونِي ، وَمَا أَرَى اللهُ سَاقِنِي إِلَيْهِمْ إِلَّا لِأَرْتَدَعَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَبْتُ إِلَيْكَ ، وَجَعَلْتُ تَوْبَتِي مُجَاوِرَةَ البَيْتِ الحَرَامِ^(٤) .

قال يوسف بن الحسين الرازي : حَضَرْتُ ذَا النُّونِ فَقِيلَ لَهُ : يَا أَبَا الفَيْضِ ، مَا كَانَ سَبَبُ تَوْبَتِكَ ؟ قَالَ : نِمْتُ فِي الصَّحْرَاءِ ، فَفَتَحَتْ عَيْنِي فَإِذَا قُنْبُرَةٌ^(٥) عَمِيَاءُ سَقَطَتْ مِنْ وَكْرٍ ، فَانشَقَّتْ الأَرْضُ ، فَخَرَجَ سُكْرُجَتَانِ فَأَكَلَتْ وَشَرِبَتْ فَقُلْتُ : حَسْبِي ، فَتَبْتُ وَلَزِمْتُ البَابَ إِلَى أَنْ قَبِلَنِي^(٦) .

(١) العُنُقُ : الجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ الرُّؤْسَاءِ .

(٢) انظر السير : (إبراهيم بن أدهم) ٣٨٧/٧-٣٩٦ ، وانظر النزعة : ٢/٧٠٩ .

(٣) سورة الحديد ، الآية : ١٦ .

(٤) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزعة : ٥/٧٧٢ .

(٥) القُنْبُرَةُ والقُنْبُرَةُ والقُنْبُرَةُ والقُنْبُرَةُ : عصفورة من فصيلة القُبْرِيَّاتِ ، وَرْتَبَةُ الجَوَائِمِ المَخْرُوطِيَّةِ

المناقير ، سُمِرَ فِي أَعْلَاهَا ضَارِبَةً إِلَى بِيَاضِ فِي أَسْفَلِهَا ، وَعَلَى صَدْرِهَا بَقْعَةٌ سَوْدَاءُ ، دَائِمَةٌ التَّغْرِيدِ .

(٦) انظر السير : (ذو النون المصري) ٥٣٢-٥٣٦ ، وانظر النزعة : ٣/٩٦٧ .

المَرَضُ

١- المُمْرِضُ الحَقِيقِيُّ :

قال أبو إسحاق السَّبَّيحي : خَرَجَتْ قُرْحَةٌ بِإِبْهَامِ شَرِيحٍ ، فَقِيلَ : أَلَا أَرَيْتَهَا طَيِّباً ؟
قالَ : هو الذي أَخْرَجَهَا^(١) .

٢- بَعْضُ السَّلَفِ كانوا لا يَتَدَاوُونَ معِ عِلْمِهِم بِجَوَازِ التَّدَاوِي :

قالَ سُفْيَانُ الثَّورِيُّ : وَقِيلَ لِلرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ لَوْ تَدَاوَيْتَ ، قَالَ : ذَكَرْتُ عَاداً وَثَمُوداً
وَأَصْحَابَ الرَّسِّ ، وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً ، كَانَتْ فِيهِم أَوْجَاعٌ ، وَكَانَتْ لَهُم أَطِبَّاءٌ ،
فَمَا بَقِيَ المُدَاوِي وَلَا المُدَاوَى إِلَّا وَقَدْ فَنِيَ^(٢) .

٣- العَدْوَى وَضَابِطُهَا :

قالَ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ مُعَيْقِبِ بْنِ أَبِي فَاطِمَةَ الدَّوْسِيِّ : لَهُ هِجْرَةٌ إِلَى الحَبَشَةِ ،
وَقِيلَ : إِنَّهُ قَدِمَ معِ جَعْفَرِ لِيَالِي خَيْبَرَ ، وَكَانَ مُبْتَلَىً بِالْجُدَامِ .

عن محمود بن لُيَيدٍ ، قالَ : أَمَرَنِي يَحْيَى بْنُ الحَكَمِ عَلِيٌّ جُرَشٌ ، فَقَدَمْتُهَا
فَحَدَّثُونِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرَ حَدَّثَهُمْ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِصَاحِبِ
هَذَا الوَجَعِ - الجُدَامِ - « اتَّقُوهُ كَمَا يَتَّقَى السَّبْعُ » ، إِذَا هَبَطَ وَادِيًا فَاهْبُطُوا غَيْرَهُ .

فَقَدِمْتُ المَدِينَةَ ، فَسَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرَ فَقَالَ : كَذَبُوا وَاللَّهِ !! مَا حَدَّثْتُهُمْ هَذَا ،
وَلَقَدْ رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ يُؤْتَى بِالْإِنَاءِ فِيهِ المَاءُ فَيُعْطِيهِ مُعَيْقِبِيًّا - وَكَانَ رَجُلًا قَدْ أُسْرِعَ
فِيهِ ذَاكَ الدَّاءُ - فَيَشْرَبُ مِنْهُ ، وَيُنَاوِلُهُ عُمَرُ ، فَيَضَعُ فَمَهُ مَوْضِعَ فَمِهِ ، حَتَّى يَشْرَبَ مِنْهُ ،
فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَفْعَلُهُ فِرَاراً مِنَ العَدْوَى .

وَكَانَ يَطْلُبُ الطَّبَّاءَ مِنْ كُلِّ مَنْ سَمِعَ لَهُ بِطَبِّ ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْنَا رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِ

(١) انظر السير : (شَرِيحُ القَاضِي) ٤/١٠٠-١٠١ ، وانظر النزهة : ٢/٤٥٧ .

(٢) انظر السير : (الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ) ٤/٢٥٨-٢٦٢ ، وانظر النزهة : ٧/٤٩٣ .

اليَمَن ، فقال هل عندكما من طبِّ لهذا الرجل الصالح ؟ فقالا : أمَّا شيءٌ يُذهبه ، فلا نَقْدُرُ عليه ، ولكنَّا سُنْدَاويه دواءٌ يُوقِفُه ، فلا يَزِيدُ فقال عُمرُ : عافيةٌ عَظيمةٌ فقالا : هل تُنْبِتُ أرضُك الحَنَظَلُ ؟ قال : نعم قالا : فاجمَعْ لنا منه ، فأمرَ ، فجمَع له ملءٌ مِكتَلَيْنِ عَظِيمَيْنِ فَشَقَّا كل واحدَ نصفين ، ثم أضجعا مُعَيَّبِيًّا ، وأخذ كل واحدٍ منهما برجلٍ ، ثم جعلَا يُدَلِّكَا بُطونَ قدميه بالحَنَظَلِ ، حتى إذا مُحِقت ، أخذَا أُخرى ، حتى إذا رأيا مُعَيَّبِيًّا يَتَنَحَّمُه أخضراً مُرّاً أُرسلاه ثم قالا لِعَمرَ : لا يَزِيدُ وَجَعُه بعد هذا أبداً قال : فوالله ما زال مُعَيَّبِيًّا مُتَماسكاً ، لا يَزِيدُ وَجَعُه حتى مات .

عاش مُعَيَّبِيٌّ إلى خلافة عثمان رضي الله عنه .

والفِرَارُ من المَجْدوم ، وترك مُؤاكلته جائزٌ ، لكن لِيَكُن ذلك بحيث لا يكادُ يَشعُرُ المَجْدوم ، فإنَّ ذلك يُخزِنُه ، ومَن واكله - ثِقَّةً بالله ، وتَوَكُّلاً عليه - فهو مؤمن^(١) .

٤- ماذا يَقُولُ المَرِيضُ :

قال إبراهيمُ بنُ الأشعثِ : سَمِعْتُ الفُضَيْلَ بنَ عِيَاضٍ يَقُولُ وهو يَشْتَكِي : مَسَّنِي الضُّرُّ وأنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ^(٢) .

* * *

(١) انظر السير : (مُعَيَّبِيٌّ بن أبي فاطمة الدوسي) ٢/٤٩١-٤٩٣ ، وانظر النزهة : ٣/٢٩٤ .

(٢) انظر السير : (الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٢/٧٧٨ .

المَوْت

١- فائدة الإكثار من ذكر المَوْت :

عن أبي الدرداء ، قال : مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ قَلَّ فَرَحُهُ ، وَقَلَّ حَسَدُهُ ^(١) .

٢- حَالُ السَّلَفِ مَعَ ذِكْرِ الْمَوْتِ :

عن زُهَيْرِ الْأَقْطَعِ : كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ ، مَاتَ كُلُّ عَضْوٍ فِيهِ عَلِيٌّ حِدَةً .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ : كَانَ ابْنُ سِيرِينَ فَقِيهًا ، عَالِمًا ، وَرِعًا ، أَدِيبًا ، كَثِيرَ الْحَدِيثِ ، صَدُوقًا ، شَهِدَ لَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ بِذَلِكَ ، وَهُوَ حُجَّةٌ ^(٢) .

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ ، كَفَاهُ الْيَسِيرُ ، وَمَنْ عَرَفَ أَنَّ مَنَظِقَهُ مِنْ عَمَلِهِ ، قَلَّ كَلَامُهُ ^(٣) .

وَقَالَ قَبِيصَةُ : مَا جَلَسْتُ مَعَ سُفْيَانَ مَجْلِسًا إِلَّا ذَكَرْتُ الْمَوْتَ ، مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَكْثَرَ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ مِنْهُ ^(٤) .

وَقَالَ أَبُو نَعِيمٍ : كَانَ سُفْيَانُ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ لَمْ يُتَنَفَّعْ بِهِ أَيَّامًا ^(٥) .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ : كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ النَّضْرِ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ اضْطَرَبَتْ مَفَاصِلُهُ ^(٦) .

-
- (١) انظر السير : (أبو الدرداء) ٢/٣٣٥-٣٥٣ ، وانظر النزهة : ٦/٢٧٣ .
 - (٢) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٤/٦٠٦-٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٤/٥٦٨ .
 - (٣) انظر السير : (الأوزاعي) ٧/١٠٧-١٣٤ ، وانظر النزهة : ٤/٦٨٢ .
 - (٤) انظر السير : (سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٩/٦٩٥ .
 - (٥) انظر السير : (سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٣/٧٠٠ .
 - (٦) انظر السير : (مُحَمَّدُ بْنُ النَّضْرِ) ٨/١٧٥-١٧٦ ، وانظر النزهة : ١/٧٤٢ .

٣- استعدادُ السَّلفِ للمَوْتِ :

قالَ مُوسَى التَّيْمِيُّ : ما رأيتُ أَحَدًا أَجْمَعَ لِلدِّينِ وَالْمَمْلَكَةِ وَالشَّرَفِ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبَانَ بْنِ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، وَقِيلَ كَانَ يَشْتَرِي أَهْلَ الْبَيْتِ فَيَكْسُوهُمْ وَيُعْتِقُهُمْ ، وَيَقُولُ : أَسْتَعِينُ بِهِمْ عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ، فَمَاتَ وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَسْجِدِهِ وَقِيلَ : كَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ وَالتَّأَلُّهُ رَأَهُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَأَعْجَبَهُ نُسْكُهُ وَهَدِيَّتُهُ ، فَاقْتَدَى بِهِ فِي الْخَيْرِ ^(١) .

وعن أبي حازم ، قالَ : ما أَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ فِي الْآخِرَةِ ، فَاتْرُكْهُ الْيَوْمَ وَقَالَ : انْظُرْ كُلَّ عَمَلٍ كَرِهْتَ الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ ، فَاتْرُكْهُ ثُمَّ لَا يَضُرُّكَ مَتَى ^(٢) .

٤- تَنْغِيصُ الْمَوْتِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا :

عن مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : إِنَّ هَذَا الْمَوْتَ قَدْ أَفْسَدَ عَلَى أَهْلِ النَّعِيمِ نَعِيمَهُمْ ، فَاطْلُبُوا نَعِيمًا لَا مَوْتَ فِيهِ ^(٣) .

قالَ مُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ : فَضَحَ الْمَوْتُ الدُّنْيَا ، فَلَمْ يَتْرُكْ فِيهَا لِذِي لُبٍّ فَرَحًا .

وَرَوَى ثَابِتٌ عَنْهُ ، قَالَ : ضَحِكُ الْمُؤْمِنِ غَفْلَةٌ مِنْ قَلْبِهِ ^(٤) .

٥- مُحِبُّ الدُّنْيَا كَارِهُ لِلْمَوْتِ :

وعن بِشْرِ بْنِ الْحَارِثِ : لَيْسَ أَحَدٌ يُحِبُّ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْ يُحِبِّ الْمَوْتَ ، وَمَنْ زَهَدَ فِيهَا ، أَحَبَّ لِقاءَ مَوْلَاهُ .

وعنه : ما اتَّقَى اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ الشُّهُرَةَ ^(٥) .

(١) انظر السير : (عبد الرحمن بن أبان) ١٠/٥ - ١١ ، وانظر النزهة : ٢/٥٧٥ .

(٢) انظر السير : (أبو حازم) ٩٦/٦ - ١٠٣ ، وانظر النزهة : ٦/٦٣٦ .

(٣) انظر السير : (مطرف بن عبد الله) ٤/١٨٧ - ١٩٥ ، وانظر النزهة : ٧/٤٧٥ .

(٤) انظر السير : (الحسن البصري) ٤/٥٦٣ - ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٣/٥٦٣ .

(٥) انظر السير : (بشر بن الحارث) ١٠/٤٦٩ - ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ١٠/٨٨٦ .

٦- تَمَّتِي الْمَوْتُ عِنْدَ الضُّرِّ :

قَالَ مُبَارَكُ بْنُ فَصَّالَةَ : دَخَلْتُ عَلَى ثَابِتِ بْنِ أَسْلَمَ ، فَقَالَ : يَا إِخْوَتَاهُ ، لَمْ أَقْدِرْ أَنْ أَصَلِّيَ الْبَارِحَةَ كَمَا كُنْتُ أَصَلِّي ، وَلَمْ أَقْدِرْ أَنْ أَصُومَ ، وَلَا أَنْزِلَ إِلَيَّ أَصْحَابِي فَأَذْكَرَ مَعَهُمُ اللَّهُمَّ إِذْ حَبَسْتَنِي عَنْ ذَلِكَ لَا تَدْعُنِي فِي الدُّنْيَا سَاعَةً^(١) .

وَقَالَ ابْنُ عَدِي : سَمِعْتُ عَبْدَ الْقُدُّوسَ بْنَ عَبْدِ الْجَبَّارِ السَّمَرَقَنْدِيَّ يَقُولُ : جَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ إِلَى خَرْتَنَك^(٢) ، وَكَانَ لَهُ بِهَا أَقْرِبَاءُ فَتَزَلَّ عِنْدَهُمْ ، فَسَمِعَتْهُ لَيْلَةً يَدْعُو ، وَقَدْ فَرَّغَ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ فَمَا تَمَّ الشَّهْرُ حَتَّى مَاتَ وَقَبْرُهُ بِخَرْتَنَك^(٣) .

٧- رَجَاءَ رَحْمَةِ اللَّهِ حَالَةَ نَزُولِ الْمَوْتِ هُوَ الْأَوْلَى :

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْعَثِ : سَمِعْتُ الْفَضِيلَ بْنَ عِيَاضٍ يَقُولُ : الْخَوْفُ أَفْضَلُ مِنَ الرَّجَاءِ مَا دَامَ الرَّجُلُ صَاحِحًا ، فَإِذَا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَالرَّجَاءُ أَفْضَلُ^(٤) .

٨- الْخَوْفُ مِنَ الْمَوْتِ قِتْلًا لَيْسَ عَيْبًا :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ الْفَخَّارِ : أُرِيدَ عَلَى الرُّسُلِيَّةِ إِلَى أَمْرَاءِ الْبَزِيرِ ، فَأَبَى ، وَقَالَ : بِي جَفَاءٌ وَأَخَافُ أَنْ أُوذَى فَقَالَ الْوَزِيرُ : وَرَجُلٌ صَالِحٌ يَخَافُ الْمَوْتَ! فَقَالَ : إِنْ أَخَفَهُ ، فَقَدْ خَافَهُ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ ، هَذَا مُوسَى قَدْ حَكَى اللَّهُ عَنْهُ : ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ ﴾^(٥) ، ^(٦) .

(١) انظر السير : (ثابت بن أسلم) ٥/٢٢٠-٢٢٥ ، وانظر النزاهة : ٣/٥٩٧ .

(٢) قرية على فرسخين من سمرقند .

(٣) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ١٢/٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزاهة : ٢/١٠٢٠ .

(٤) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٨/٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزاهة : ٢/٧٧٧ .

(٥) سورة الشعراء ، الآية : ٢١ .

(٦) انظر السير : (ابن الفخار) ١٧/٣٧٢-٣٧٤ ، وانظر النزاهة : ٢/١٣٤٥ .

٩- شِعْرٌ فِي الْمَوْتِ :

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ السَّلْطِيِّ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَسْلَمَ يُنْشِدُ :

إِن الطَّيِّبَ بِطَبِّهِ وَدَوَائِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَقْدُورِ أَمْرِي
مَا لِلطَّيِّبِ يَمُوتُ بِالِدَاءِ الَّذِي قَدْ كَانَ يُبْرِي مِثْلَهُ فِيمَا مَضَى
هَلَكَ الْمَدَاوِي وَالْمَدَاوِي وَالَّذِي جَلَبَ الدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمِنْ اشْتَرَى

مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ بَنِيْسَابُورَ^(١) .

١٠- حُسْنُ الْخَاتِمَةِ :

عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ ، قَالَ : لَمَّا احْتَضَرَ ابْنَ سَرْحٍ وَهُوَ بِالرَّمْلَةِ ، وَكَانَ خَرَجَ إِلَيْهَا فَارَأَ مِنَ الْفِتْنَةِ فَجَعَلَ يَقُولُ مِنَ اللَّيْلِ : أَصْبَحْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : لَا فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ ، قَالَ : يَا هِشَامُ ! إِنِّي لِأَجِدُ بَرْدَ الصُّبْحِ فَاَنْظُرْ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَاتِمَةَ عَمَلِي الصُّبْحِ ، فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ صَلَّى ، فَقَرَأَ فِي الْأُولَى بِأَمِّ الْقُرْآنِ وَالْعَادِيَاتِ ، وَفِي الْأُخْرَى بِأَمِّ الْقُرْآنِ وَسُورَةَ وَسَلَّمَ عَنْ يَمِينِهِ ، وَذَهَبَ يُسَلِّمُ عَنْ يَسَارِهِ فَقَبِضَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : الْأَصَحُّ وَفَاتِهِ فِي خِلَافَةِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢) .

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُؤَدَّبُ : مَاتَ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ فِي الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ^(٣) .

وَتُوفِّيَ ابْنُ الْإِسْمَاعِيلِيِّ سَنَةَ سِتِّ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ تُوَفِّيَ إِكْرَامًا مِنَ اللَّهِ لَهُ فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ وَهُوَ يَقْرَأُ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٤) فَفَاضَتْ نَفْسُهُ رَحْمَةً اللَّهُ^(٥) .

(١) انظر السير : (محمد بن أسلم) ١٢/١٩٥-١٠٧ ، وانظر النزهة : ٢/٩٩٣ .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن سعد بن أبي السرح) ٣/٣٣-٣٦ ، وانظر النزهة : ٤/٣٢٦ .

(٣) انظر السير : (حماد بن سلمة) ٦/٤٤٤-٤٥٦ ، وانظر النزهة : ٤/٧١٥ .

(٤) سورة الفاتحة ، الآية : ٥ .

(٥) انظر السير : (ابن الإسماعيلي) ١٧/٨٧-٨٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٢٤ .

وَحَكَى الْفَقِيهَ نَصْرُ الْمَصِيصِيِّ عَنْ شَيْخِهِ الْفَقِيهِ نَصْرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نَصْرِ النَّابِلِيِّ ،
 أَنَّهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِلَحْظَةٍ سَمِعَهُ وَهُوَ يَقُولُ : يَا سَيِّدِي أَمْهَلُونِي ، أَنَا مَأْمُورٌ وَأَنْتُمْ مَأْمُورُونَ ،
 ثُمَّ سَمِعْتُ الْمُؤَدَّنَ بِالْعَصْرِ ، فَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي الْمُؤَدَّنُ يُؤَدَّنُ ، فَقَالَ : أَجْلِسْنِي ،
 فَأَجْلَسْتُهُ فَأَحْرَمَ بِالصَّلَاةِ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى الْأُخْرَى وَصَلَّى ، ثُمَّ تُوْفِّيَ مِنْ سَاعَتِهِ ،
 رَحِمَهُ اللَّهُ^(١) .

جَاءَ فِي تَرْجَمَةِ الرَّبِيدِيِّ ، قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ : قَالَ وَلَدُهُ إِسْمَاعِيلُ : كَانَ أَبِي فِي كُلِّ
 يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِنْ أَيَّامِ مَرَضِهِ يَقُولُ : اللَّهُ اللَّهُ ، نَحْوًا مِنْ خَمْسَةِ عَشَرَ أَلْفَ مَرَّةٍ ، فَمَا زَالَ
 يَقُولُهَا حَتَّى طَفِيَءَ .

وَقَالَ ابْنُ شَافِعٍ ، كَانَ لَهُ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأُصُولِ حَظٌّ وَافِرٌ ، وَصَنَّفَ فِي فُنُونِ
 الْعِلْمِ نَحْوًا مِنْ مِئَةِ مُصَنَّفٍ وَلَمْ يُضَيِّعْ شَيْئًا مِنْ عُمُرِهِ .
 تُوْفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيِّ : قَالَ الْحَافِظُ الضِّيَاءُ :
 سَمِعْتُ أَبَا مُوسَى يَقُولُ : مَرِضَ أَبِي فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مَرَضًا شَدِيدًا مَنَعَهُ مِنَ الْكَلَامِ
 وَالْقِيَامِ ، وَاشْتَدَّ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ كَثِيرًا : مَا يَشْتَهِي ؟ فَيَقُولُ : أَشْتَهِي
 الْجَنَّةَ ، أَشْتَهِي رَحْمَةَ اللَّهِ ، لَا يَزِيدُ عَلَيَّ ذَلِكَ ، فَجِئْتُهُ بِمَاءٍ حَارًّا فَمَدَّ يَدَهُ فَوَضَّأَتْهُ وَقَتَ
 الْفَجْرِ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ قُمْ صَلِّ بِنَا وَخَفِّفْ ، فَصَلَّيْتُ بِالْجَمَاعَةِ وَصَلَّى جَالِسًا ، ثُمَّ
 جَلَسْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَقَالَ : اقْرَأْ (يس) ، فَقَرَأْتُهَا ، وَجَعَلَ يَدْعُو وَأَنَا أُوْمِّنُ ، فَقُلْتُ :
 هُنَا دَوَاءٌ تَشْرِبُهُ ، قَالَ : يَا بُنَيَّ مَا بَقِيَ إِلَّا الْمَوْتُ ، فَقُلْتُ : مَا تَشْتَهِي شَيْئًا ؟ قَالَ :
 أَشْتَهِي النَّظَرَ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَقُلْتُ : مَا أَنْتَ بَرَّاضٍ ؟ قَالَ : بَلَى وَاللَّهِ ،
 فَقُلْتُ : مَا تُوصِي بِشَيْءٍ ؟ قَالَ : مَا لِي عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ ، وَلَا لِأَحَدٍ عَلَيَّ شَيْءٌ ،
 قُلْتُ : تُوصِينِي ؟ قَالَ : أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى طَاعَتِهِ ، فَجَاءَ جَمَاعَةٌ
 يَعُودُونَهُ ، فَسَلَّمُوا ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ ، وَجَعَلُوا يَتَحَدَّثُونَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ اذْكُرُوا اللَّهَ ،

(١) انظر السير : (الْفَقِيهُ نَصْرُ) ١٣٦/١٩-١٤٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٧١ .

(٢) انظر السير : (الرَّبِيدِيُّ) ٣١٦/٢٠-٣١٩ ، وانظر النزهة : ٤/١٥٥٥ .

قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَلَمَّا قَامُوا جَعَلَ يَذْكُرُ اللَّهَ بِسَفْتِيهِ ، وَيُشِيرُ بِعَيْنَيْهِ ، فَقَمْتُ
لَأَنَاوَلَ رَجُلًا كِتَابًا مِنْ جَانِبِ الْمَسْجِدِ فَرَجَعْتُ وَقَدْ خَرَجَتْ رُوحُهُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَذَلِكَ
يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتِّ مِئَةِ ، وَبَقِيَ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ فِي
الْمَسْجِدِ وَاجْتَمَعَ الْخَلْقُ مِنَ الْغَدِ فَدَفَنَاهُ بِالْقِرَافَةِ .

قَالَ الضِّيَاءُ : تَزَوَّجَ الْحَافِظُ بِخَالَتِي رَابِعَةَ ابْنَةِ خَالَاتِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ
قُدَامَةَ ، فَهِيَ أُمُّ أَوْلَادِهِ مُحَمَّدَ وَعَبْدَ اللَّهِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ وَفَاطِمَةَ ، ثُمَّ تَسَرَّيَ بِبِصْرَ .
قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : أَوْلَادُهُ عُلَمَاءٌ^(١) .

١١- رُؤْيَا تَدُلُّ عَلَى سُوءِ الْخَاتِمَةِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ يَعْقُوبِ بْنِ إِسْحَاقِ الْأَشْعَثِيِّ الْكِنْدِيِّ ، الْفَيْلَسُوفِ :
وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ : رَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟
قَالَ : مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ فَقَالَ : ﴿ أَنْظِقُوا إِلَيَّ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكْذِبُونَ ﴾^(٢) ،^(٣)

١٢- مِنْ مَشَاهِدِ الْاِحْتِضَارِ :

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : لَمَّا احْتَضَرَ بِلَالٌ قَالَ : غَدَا نَلْقَى الْأَجِبَةَ مُحَمَّدًا
وَحِزْبَهُ ، قَالَ : تَقُولُ أَمْرًا ، وَأَوَيْلَاهُ !! ، فَقَالَ : وَأَفْرَحَاهُ !!^(٤) .
وَعَنْ أَبِي الزُّنَادِ : أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لَمَّا احْتَضَرَ بَكَى وَقَالَ : لَقِيتُ كَذَا وَكَذَا
زَحْفًا ، وَمَا فِي جَسَدِي شَيْرٌ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ ، أَوْ رَمِيَّةٌ بِسَهْمٍ ، وَهَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى
فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ الْعَيْرُ^(٥) فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجَبْنَاءِ^(٦) .

وَعَنْ أَبِي ظَبْيَةَ قَالَ : مَرَضَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَعَادَهُ عُثْمَانُ ، وَقَالَ : مَا تَشْتَكِي ؟

(١) انظر السير : (عبد الغني) ٢١/٤٤٣-٤٧١ ، وانظر النزاهة : ١/١٦٥٢ .

(٢) سورة المرسلات ، الآية : ٢٩ .

(٣) انظر السير : (يعقوب بن إسحاق) ١٢/٣٧٧ ، وانظر النزاهة : ٢/١٠٠٦ .

(٤) انظر السير : (بلال بن أبي رباح) ١/٣٤٧-٣٦٠ ، وانظر النزاهة : ٥/١٧٦ .

(٥) العير : الحمار .

(٦) انظر السير : (خالد بن الوليد) ١/٣٦٦-٣٨٤ ، وانظر النزاهة : ٩/١٧٩ .

قَالَ : ذُنُوبِي ، قَالَ : فَمَا تَشْتَهِي ؟ قَالَ : رَحْمَةَ رَبِّي قَالَ : أَلَا أَمُرُّ لَكَ بِطَبِيبٍ ؟ قَالَ :
الطَّبِيبُ أَمْرَضَنِي ، قَالَ : أَلَا أَمُرُّ لَكَ بِعَطَاءٍ ؟ قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ (١) .

وعن أَنَسٍ قَالَ : دَخَلَ سَعْدٌ وَابْنُ مَسْعُودٍ عَلَى سَلْمَانَ عِنْدَ الْمَوْتِ ، فَبَكَى فَقِيلَ لَهُ :
مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : عَهْدُ عَهْدِهِ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمْ نَحْفَظْهُ قَالَ :
« لِيَكُنْ بِلَاغٌ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّكَّابِ » وَأَمَّا أَنْتَ يَا سَعْدُ فَاتَّقِ اللَّهَ فِي حُكْمِكَ إِذَا
حَكَمْتَ ، وَفِي قَسَمِكَ إِذَا قَسَمْتَ ، وَعِنْدَ هَمِّكَ إِذَا هَمَمْتَ .

قَالَ ثَابِتٌ : فَبَلَغَنِي أَنَّهُ مَا تَرَكَ إِلَّا بَضْعَةً وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا نَفِيقَةً كَانَتْ عِنْدَهُ (٢) .

عن ثَابِتِ البُنَانِيِّ قَالَ : لَمَّا مَرَضَ سَلْمَانُ ، خَرَجَ سَعْدٌ مِنَ الْكُوفَةِ يَعُودُهُ ، فَقَدِمَ ،
فَوَافَقَهُ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ يَبْكِي ، فَسَلَّمَ وَجَلَسَ ، وَقَالَ : مَا يُبْكِيكَ يَا أَخِي ؟ أَلَا تَذْكُرُ
صُحْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ أَلَا تَذْكُرُ الْمَشَاهِدَ الصَّالِحَةَ ؟

قَالَ : وَاللَّهِ مَا يُبْكِينِي وَاحِدَةٌ مِنْ اثْنَتَيْنِ : مَا أَبْكِي حُبًّا بِالدُّنْيَا وَلَا كَرَاهِيَّةً لِلِقَاءِ اللَّهِ
قَالَ سَعْدٌ : فَمَا يُبْكِيكَ بَعْدَ ثَمَانِينَ ؟ قَالَ : يُبْكِينِي أَنَّ خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدَ
إِلَيَّ عَهْدًا قَالَ : « لِيَكُنْ بِلَاغٌ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّكَّابِ » وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنَّا قَدْ
تَعَدَّيْنَا .

رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنْ ثَابِتٍ ، فَقَالَ : عَنْ أَبِي عُثْمَانَ ، وَإِرْسَالُهُ أَشْبَهَ قَالَهُ أَبُو حَاتِمٍ ،
وَهَذَا يُوضِّحُ لَكَ أَنَّهُ مِنْ أَبْنَاءِ الثَّمَانِينَ .

قَالَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي تَارِيخِي الْكَبِيرِ أَنَّهُ عَاشَ مِئَتَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً ،
وَأَنَا السَّاعَةَ لَا أُرْتَضِي ذَلِكَ وَلَا أَصَحِّحُهُ (٣) .

وعن ابنِ أَبِي مُلَيْكَةَ : أَنَّ ذُكْوَانَ أَبَا عَمْرٍو حَدَّثَهُ قَالَ : جَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا يَسْتَأْذِنُ عَلَى عَائِشَةَ ، وَهِيَ فِي الْمَوْتِ قَالَ : فَجِئْتُ وَعِنْدَ رَأْسِهَا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ
أَخِيهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَقُلْتُ : هَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَأْذِنُ قَالَتْ : دَعْنِي مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ،

(١) انظر السير : (عبدُ الله بنُ مسعود) ١/٤٧١-٥٠٠ ، وانظر النزهة : ٩/١٩٧ .

(٢) انظر السير : (سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٢٠٥ .

(٣) انظر السير : (سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٤/٢٠٥ .

لا حاجة لي به ، ولا بتزكيتيه فقال عبدُ الله : يا أمّه ، إن ابنَ عَبَّاسٍ من صَالِحِي بَنِيكَ ، يُودِّعُكَ وَيُسَلِّمُ عَلَيْكَ قَالَتْ : فائذَنْ لَهُ إِنَّ شِئْتَ قَالَ : فجاءَ ابنُ عَبَّاسٍ ، فلَمَّا قَعَدَ ، قَالَ : أبشِري ، فوالله ما بينك وبينَ أن تُفارقِي كُلَّ نَصَبٍ ، وتلقِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأحِبَّةَ ، إلا أن تُفارقِي رُوحَكَ جَسَدِكَ .

قَالَتْ : إيها ، يا ابنَ عَبَّاسٍ ! قَالَ : كُنْتُ أَحَبَّ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعْنِي إِلَيْهِ - وَلَمْ يَكُنْ يُحِبُّ إِلَّا طَيِّبًا ، سَقَطَتْ قِلَادَتُكَ لَيْلَةَ الْأَبْوَاءِ ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَلْتَقِطَهَا ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ لَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿ فَتَيَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾^(١) فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سَبَبِكَ ، وَمَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الرُّخْصَةِ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى بَرَاءَتَكَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ ، فَأَصْبَحَ لَيْسَ مَسْجِدٌ مِنْ مَسَاجِدِ يُذَكَّرُ فِيهَا اللهُ إِلَّا بَرَاءَتُكَ تُتْلَى فِي آنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ قَالَتْ : دَعْنِي عَنْكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، فوالله لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسِيًا مَنْسِيًا^(٢) .

وعن ابنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ : تُوفِّي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي ، وَفِي يَوْمِي وَلَيْلَتِي ، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَدَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَمَعَهُ سِوَاكَ رَطْبٌ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُهُ ، فَأَخَذْتُهُ ، فَمَضَعْتُهُ وَنَفَضْتُهُ وَطَيَّبْتُهُ ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَيْهِ ، فَاسْتَنَّ بِهِ كَأَحْسَنَ مَا رَأَيْتُهُ مُسْتَنَّاً قَطُّ ، ثُمَّ ذَهَبَ يَرْفَعُهُ إِلَيَّ ، فَسَقَطَتْ يَدُهُ ، فَأَخَذْتُ أَدْعُو لَهُ بِدُعَاءٍ كَانَ يَدْعُو بِهِ لَهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ هُوَ يَدْعُو بِهِ إِذَا مَرِضَ ، فَلَمْ يَدْعُ بِهِ فِي مَرَضِهِ ذَاكَ فَرَفَعَ بَصْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ : « الرَّفِيقُ الْأَعْلَى » وَفَاضَتْ نَفْسُهُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا . هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ .

تُوفِّيَتْ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ^(٣) .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٦ .

(٢) انظر السير : (عائشة أم المؤمنين) ٢ / ١٣٥ - ٢٠١ ، وانظر النزهة : ٣ / ٢٤٢ .

(٣) انظر السير : (عائشة أم المؤمنين) ٢ / ١٣٥ - ٢٠١ ، وانظر النزهة : ٦ / ٢٤٤ .

وقالت أمُّ الدَّرْداءِ : لَمَّا احْتَضَرَ أَبُو الدَّرْداءِ ، جَعَلَ يَقُولُ : مَنْ يَعْمَلُ لِمِثْلِ يَوْمِي
هَذَا ؟ مَنْ يَعْمَلُ لِمِثْلِ مَضْجِعِي هَذَا ؟

مات أبو الدَّرْداءِ سَنَةً اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ^(١) .

عن الحَسَنِ قَالَ : لَمَّا حَضَرَ حُذَيْفَةُ الْمَوْتُ ، قَالَ : حَبِيبُ جَاءَ عَلَيَّ فَاقَهُ ، لَا أَفْلَحَ
مَنْ نَدِمَ ! أَلَيْسَ بَعْدِي مَا أَعْلَمُ ! الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَبَقَ بِي الْفِتْنَةَ ! فَادْتَهَا وَعَلَوْجَهَا^(٢) .

عن النَّزَّالِ بْنِ سَبْرَةَ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي مَسْعُودِ الْأَنْصَارِيِّ : مَاذَا قَالَ حُذَيْفَةُ عِنْدَ
مَوْتِهِ ؟ قَالَ : لَمَّا كَانَ عِنْدَ السَّحَرِ : قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ صَبَاحِ إِلَى النَّارِ ، ثَلَاثًا ثُمَّ
قَالَ : اشْتَرَوْا لِي ثَوْبَيْنِ أَيْضَيْنِ ، فَإِنَّهُمَا لَنْ يُتْرَكَا عَلَيَّ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أُبَدَّلَ بِهِمَا خَيْرًا
مِنْهُمَا ، أَوْ أُسْلَبَهُمَا سَلْبًا قَبِيحًا^(٣) .

وعن سَلَمِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ بَكَى فِي مَرَضِهِ : فَقِيلَ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : مَا أَبْكِي
عَلَيَّ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ ، وَلَكِنْ عَلَيَّ بَعْدَ سَفَرِي ، وَقِلَّةِ زَادِي ، وَأَنِّي أَمْسَيْتُ فِي صُعُودِ
وَمَهْبَطِهِ عَلَيَّ جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ ، فَلَا أَذْرِي أَيُّهُمَا يُؤْخَذُ بِي .

وعن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ : أَنَّ عَائِشَةَ ، وَأَبَا هُرَيْرَةَ ، مَاتَا فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ ، قَبْلَ
مُعَاوِيَةَ بَسَنَتَيْنِ .

وَذَكَرْتُهُ فِي « تَذَكُّرَةِ الْحُفَّازِ » ، فَهُوَ رَأْسٌ فِي الْقُرْآنِ ، وَفِي السُّنَّةِ ، وَفِي الْفِقْهِ .

وفِي « سُنَنِ النَّسَائِيِّ » : أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ دَعَا لِنَفْسِهِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا لَا يُنْسَى
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « آمِينَ »^(٤) .

وعن عُيَيْنَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا اشْتَكَى أَبُو بَكْرَةَ ، عَرَضَ عَلَيْهِ بَنُوهُ
أَنْ يَأْتُوهُ بِطَبِيبٍ ، فَأَبَى ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ ، قَالَ : أَيُّنَ طَبِيبِكُمْ ؟ لِيَرُدَّهَا إِنْ كَانَ
صَادِقًا^(٥) .

(١) انظر السير : (أبو الدَّرْداءِ) ٢/٣٣٥-٣٥٣ ، وانظر النزهة : ٣/٢٧٣ .

(٢) انظر السير : (حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ) ٢/٣٦١-٣٦٩ ، وانظر النزهة : ٤/٢٧٦ .

(٣) انظر السير : (حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ) ٢/٣٦١-٣٦٩ ، وانظر النزهة : ٥/٢٧٦ .

(٤) انظر السير : (أبو هُرَيْرَةَ) ٢/٥٧٨-٦٣٢ ، وانظر النزهة : ٤/٣١٥ .

(٥) انظر السير : (أبو بَكْرَةَ الثَّقَفِيُّ الطَّائِفِيُّ) ٣/١٠-٥ ، وانظر النزهة : ٢/٣٢٠ .

عن يزيد بن أبي حبيب ، قال : لَمَّا اخْتَضِرَ ابْنُ سَرْحٍ وَهُوَ بِالرَّمْلَةِ ، وَكَانَ خَرَجَ إِلَيْهَا فَارَأَ مِنَ الْفِتْنَةِ فَجَعَلَ يَقُولُ مِنَ اللَّيْلِ : آصَبِحْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : لَا فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ ، قَالَ : يَا هِشَامُ ! إِنِّي لِأَجْدُ بَرْدَ الصُّبْحِ فَاَنْظُرْ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَاتِمَةَ عَمَلِي الصُّبْحِ ، فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ صَلَّى ، فَقَرَأَ فِي الْأُولَى بِأَمِّ الْقُرْآنِ وَالْعَادِيَاتِ ، وَفِي الْأُخْرَى بِأَمِّ الْقُرْآنِ وَسُورَةَ وَسَلَّمَ عَنْ يَمِينِهِ ، وَذَهَبَ يُسَلِّمُ عَنْ يَسَارِهِ فَقَبِضَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : الْأَصْحَحُ وَفَاتَهُ فِي خِلَافَةِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١) .

وقيل : إِنَّهُ دَخَلَ عَلَى حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ عِنْدَ الْمَوْتِ وَهُوَ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَدْ كُنْتُ أَخْشَاكَ ، وَأَنَا الْيَوْمَ أَرْجُوكَ (٢) .

وعن عوانة بن الحَكَم ، قَالَ : قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، عَجَبًا لِمَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ ، وَعَقْلُهُ مَعَهُ كَيْفَ لَا يَصِفُهُ ؟ فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ ، ذَكَرَهُ ابْنُهُ بِقَوْلِهِ ، وَقَالَ : صِفْهُ قَالَ : يَا بَنِي ! الْمَوْتُ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُوصَفَ ، وَلَكِنْ سَأَصِفُ لَكَ ، أَجِدُنِي كَأَنَّ جِبَالَ رَضْوَى عَلَى عُنُقِي ، وَكَأَنَّ فِي جَوْفِي الشُّوكَ ، وَأَجِدُنِي كَأَنَّ نَفْسِي يَخْرُجُ مِنْ إِبْرَةٍ (٣) .

وقال أبو نؤفل بن أبي عقرب : جَزَعَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عِنْدَ الْمَوْتِ جَزَعًا شَدِيدًا ، فَقَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ : مَا هَذَا الْجَزَعُ ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدْنِيكَ وَيَسْتَعْمِلُكَ ! قَالَ : أَيُّ بَنِي ! قَدْ كَانَ ذَلِكَ ، وَسَأُخْبِرُكَ ، إِي وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَحَبًّا كَانَ أُمُّ تَأَلَّفًا ، وَلَكِنْ أَشْهَدُ عَلَى رَجُلَيْنِ أَنَّهُ فَارَقَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُمَا ابْنُ سُمَيَّةَ ، وَابْنُ أُمِّ عَبْدِ فَلَمَّا جَدَّ بِهِ ، وَضَعَ يَدَهُ مَوْضِعَ الْأَغْلَالِ مِنْ ذِقْنِهِ ، وَقَالَ اللَّهُمَّ أَمْرَتَنَا فَتَرَكْنَا ، وَنَهَيْتَنَا فَرَكَبْنَا ، وَلَا يَسْعُنَا إِلَّا مَغْفِرَتُكَ ، فَكَانَتْ تِلْكَ هَجِيرَاهُ حَتَّى مَاتَ (٤) .

وقال أبو عمرو بن العلاء : لَمَّا اخْتَضِرَ مُعَاوِيَةُ ، قِيلَ لَهُ : أَلَا تُوصِي ؟ فَقَالَ :

(١) انظر السير : (عبد الله بن سعد) ٣/٣٣-٣٦ ، وانظر النزهة : ٤/٣٢٦ .

(٢) انظر السير : (حكيم بن حزام) ٣/٤٤-٥١ ، وانظر النزهة : ٣/٣٣١ .

(٣) انظر السير : (عمر بن العاص) ٣/٥٤-٧٧ ، وانظر النزهة : ١/٣٣٧ .

(٤) انظر السير : (عمر بن العاص) ٣/٥٤-٧٧ ، وانظر النزهة : ٢/٣٣٧ .

اللَّهُمَّ أَقِلْ الْعَثْرَةَ وَاغْفُ عَنِ الزَّلَّةِ ، وَتَجَاوَزْ بِحِلْمِكَ عَنِ جَهْلِ مَنْ لَمْ يَرْجُ غَيْرَكَ ، فَمَا وَرَاءَكَ مَذْهَبٌ ، وَقَالَ :

هو الموت لا منجى من الموت والذي نحاذرُ بعد الموتِ أدهى وأفظعُ

مات مُعَاوِيَةَ سَنَةً سِتِّينَ ، وَعَاشَ سَبْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً^(١) .

وقال قتادة : لَمَّا اخْتَضِرَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسِ بَكِّي ، فَقِيلَ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ :
مَا أُبْكِي جَزَعًا مِنَ الْمَوْتِ ، وَلَا حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا ، وَلَكِنْ أُبْكِي عَلَى ظَمَأِ الْهَوَاجِرِ ،
وَقِيَامِ اللَّيْلِ .
وقيل تُوْفِيَ زَمَنُ مُعَاوِيَةَ^(٢) .

وعن علقمة بن مرثد قال : كَانَ الْأَسْوَدُ يَجْتَهِدُ فِي الْعِبَادَةِ ، وَيَصُومُ حَتَّى يَخْضِرَ
وَيَضْفَرُ ، فَلَمَّا اخْتَضِرَ بَكَّى ، فَقِيلَ لَهُ : مَا هَذَا الْجَزَعُ ؟ فَقَالَ : مَا لِي لَا أُجْزَعُ ، وَاللَّهِ
لَوْ أُتَيْتُ بِالْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ لَأَهْمَنِي الْحَيَاءُ مِنْهُ مِمَّا قَدْ صَنَعْتُ ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
آخِرِ الذَّنْبِ الصَّغِيرِ فَيَغْفُو عَنْهُ ، فَلَا يَزَالُ مُسْتَحْيَا مِنْهُ^(٣) .

وقال ابن أبي مليكة : شَهِدْتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ عِنْدَ الْمَوْتِ يَقُولُ : يَا لَيْتَنِي لَمْ
أَكُنْ شَيْئًا ، يَا لَيْتَنِي كَهَذَا الْمَاءِ الْجَارِي^(٤) .

وقيل : قَالَ : هَاتُوا كَفَنِي ، أَفَّ لَكَ مَا أَقْصَرَ طَوِيلَكَ وَأَقَلَّ كَثِيرَكَ^(٥) .

وعن حماد بن موسى قال : لَمَّا اخْتَضِرَ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، أَتَاهُ الْبَشِيرُ يُبَشِّرُهُ بِمَالِهِ الْوَاصِلِ
فِي الْعَامِ فَقَالَ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : هَذِهِ ثَلَاثَةٌ مِئَةِ مُدِّيٍّ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ : مَا لِي وَلَهُ ،
لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ بَعْرًا حَائِلًا بَنَجْدٍ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعَقَّبًا : هَذَا قَوْلُ كُلِّ مَلِكٍ كَثِيرِ الْأَمْوَالِ ، فَهَلَّا يُبَادِرُ بِيَدِهِ .

(١) انظر السير : (معاوية بن أبي سفيان) ١١٩/٣-١٦٢ ، وانظر النزهة : ١/٣٥٧ .

(٢) انظر السير : (عامر بن عبد قيس) ١٥/٤-١٩ ، وانظر النزهة : ٥/٤٣٤ .

(٣) انظر السير : (الأسود بن يزيد) ٥٠/٤-٥٣ ، وانظر النزهة : ٧/٤٤١ .

(٤) انظر السير : (عبد العزيز بن مروان) ٢٤٩/٤-٢٥١ ، وانظر النزهة : ٧/٤٩٠ .

(٥) انظر السير : (عبد العزيز بن مروان) ٢٤٩/٤-٢٥١ ، وانظر النزهة : ٨/٤٩٠ .

ماتَ عبدُ العَزيزِ بنُ مَروانَ سَنَةَ خَمسٍ وَثَمَانِينَ .

وقد كان مات قبله ابنه أصبغ بسنة عشر يوماً فحزن عليه ومرض ومات بحلوان^(١) ،
وعاش أخوه عبد الملك بعده ، فلما جاءه نعيه عقد بولاية العهد لابنيه : الوليد ثم
سليمان^(٢) .

وقيل : إن إبراهيم النخعي لما احتضر ، جزع جزعاً شديداً ، فقيل له في ذلك ،
فقال : وأبي خطر أعظم مما أنا فيه ، أتوقع رسولا يرد علي من ربي إما بالجنة وإما
بالنار ، والله لو ددت أنها تلجج في حلقي إلى يوم القيامة^(٣) .

ويروى أن الحسن البصري أغمى عليه ثم أفاق إفاقة فقال : لقد نبهتموني من جنات
وعيون ، ومقام كريم^(٤) .

وعن الحكم أن عبد الرحمن بن الأسود لما احتضر ، بكى ، فقيل له ؟ فقال :
أسفاً على الصلاة والصوم ، ولم يزل يتلو حتى مات^(٥) .

وعن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن أبيه ، عن نافع ، أنه لما احتضر
بكى ، فقيل : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت سعداً وضغطة القبر .
توفي سنة سبع عشرة ومائة^(٦) .

وقال المغيرة بن حكيم : قلت لفاطمة بنت عبد الملك : كنت أسمع عمر بن عبد
العزيز في مرضه يقول : اللهم أخف عليهم أمري ولو ساعة ، قالت : قلت له : ألا
أخرج عنك ، فإنك لم تنم ، فخرجت ، فجعلت أسمعُه يقول : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ
جَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِذِينَ ﴾^(٧) مراراً ثم أطرق فلبثت

(١) مدينة صغيرة أنشأها على بريد فوق مضر .

(٢) انظر السير : (عبد العزيز بن مروان) ٤/٢٤٩-٢٥١ ، وانظر النزاهة : ٩/٤٩٠ .

(٣) انظر السير : (إبراهيم النخعي) ٤/٥٢٠-٥٢٩ ، وانظر النزاهة : ٥/٥٤٩ .

(٤) انظر السير : (الحسن البصري) ٤/٥٦٣-٥٨٨ ، وانظر النزاهة : ١/٥٦٤ .

(٥) انظر السير : (عبد الرحمن بن الأسود) ٥/١١-١٢ ، وانظر النزاهة : ٧/٥٧٥ .

(٦) انظر السير : (نافع) ٥/٩٥-١٠١ ، وانظر النزاهة : ٤/٥٨٥ .

(٧) سورة القصص ، الآية : ٨٣ .

طويلاً لا يُسْمَعُ له حِسٌّ ، فُكِلْتُ لَوْصِيفٍ : وَيَحْكُ أَنْظُرُ ، فَلَمَّا دَخَلَ ، صَاحَ ، فَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُهُ مَيْتاً ، وَقَدْ أَقْبَلَ بَوَجْهِهِ عَلَى الْقِبْلَةِ ، وَوَضَعَ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى فِيهِ ، وَالْأُخْرَى عَلَى عَيْنَيْهِ (١) .

وَقَالَ مُضْعَبٌ : سَمِعَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُؤَدَّنَ ، وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَقَالَ : خُذُوا بِيَدِي فَقِيلَ : إِنَّكَ عَلِيلٌ قَالَ : أَسْمَعُ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَا أُجِبُهُ ، فَأَخَذُوا بِيَدِهِ ، فَدَخَلَ مَعَ الْإِمَامِ فِي الْمَغْرِبِ فَرَكَعَ رُكْعَةً ثُمَّ مَاتَ (٢) .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ : دَخَلْتُ عَلَى عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَرَأَ : ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ﴾ (٣) بِكَسْرِ الرَّاءِ وَهِيَ لُغَةٌ لِهَذَا (٤) .

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ : عُدْتُ هَارُونَ بْنَ رِثَابٍ ، وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَمَا فَدَدْتُ وَجْهَ رَجُلٍ فَاضِلٍ إِلَّا رَأَيْتُهُ عِنْدَهُ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ : كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ فَقَالَ : هُوَ ذَا أُخُوكُمْ ، يَذْهَبُ بِهِ إِلَى النَّارِ ، أَوْ يَعْفُو اللَّهُ قَبْلَ عَاشِ ثَلَاثًا وَثَمَانِينَ سَنَةً (٥) .

وَقَالَ حَزْمُ الْقَطِيعِيُّ : دَخَلْنَا عَلَى مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ ، فَرَفَعَ طَرْفَهُ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحِبُّ الْبَقَاءَ لِبَطْنٍ وَلَا فَرَجٍ (٦) .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُطَرِّفٍ ، قَالَ : دَخَلْنَا عَلَى أَبِي حَازِمِ الْأَعْرَجِ ، لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ ، فَقُلْنَا : كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ قَالَ : أَجِدُنِي بِخَيْرٍ ، رَاجِئاً لِلَّهِ حَسَنَ الظَّنِّ بِهِ ، إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يَسْتَوِي مَنْ غَدَا أَوْ رَاحَ يَعْمُرُ عَقْدَ الْآخِرَةِ لِنَفْسِهِ فَيَقْدِمُهَا أَمَامَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ الْمَوْتُ حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيْهَا ، فَيَقُومُ لَهَا وَيَقُومُ لَهُ ، وَمَنْ غَدَا أَوْ رَاحَ فِي عَقْدِ الدُّنْيَا يَعْمُرُهَا لِغَيْرِهِ ، وَيَرْجِعُ إِلَى الْآخِرَةِ لَا حَظَّ لَهُ فِيهَا وَلَا نَصِيبَ (٧) .

(١) انظر السير : (عمر بن عبد العزيز) ١١٤-١٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/٥٩٢ .

(٢) انظر السير : (عامر) ٢١٩/٥-٢٢٠ ، وانظر النزهة : ٣/٥٩٦ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٦٢ .

(٤) انظر السير : (عاصم بن أبي النجود) ٢٥٦/٥-٢٦١ ، وانظر النزهة : ٧/٥٩٩ .

(٥) انظر السير : (هارون بن رثاب) ٢٦٣/٥-٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٥/٦٠٠ .

(٦) انظر السير : (مالك بن دينار) ٣٦٢/٥-٣٦٤ ، وانظر النزهة : ٧/٦٠٩ .

(٧) انظر السير : (أبو حازم) ٩٦/٦-١٠٣ ، وانظر النزهة : ٥/٦٣٧ .

وقال حَزْمُ الْقَطَعِيُّ : قَالَ ابْنُ وَاسِعٍ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ : يَا إِخْوَتَاهُ ، تَدْرُونَ أَيْنَ يَذْهَبُ بِي ؟ وَاللَّهِ إِلَى النَّارِ ، أَوْ يَعْفُوَ اللَّهُ عَنِّي ^(١) .

وقال مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ طَرْخَانَ : قَالَ لِي أَبِي عِنْدَ مَوْتِهِ ، : يَا مُعْتَمِرُ حَدِّثْنِي بِالرُّخْصِ لَعَلِّي أَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَأَنَا حَسَنُ الظَّنِّ بِهِ ^(٢) .

وقال بَكَّارُ بْنُ مُحَمَّدٍ : سَقَطَ ابْنُ عَوْنٍ وَأَصِيبَتِ رِجْلُهُ فَتَعَلَّلَ وَمَاتَ فَحَضَرَتْ وَفَاتَهُ ، فَكَانَ حِينَ قُبُضٍ مُوجَّهًا يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى غَرَّغَرَتْ عَمَّتِي : اقْرَأْ عِنْدَهُ سُورَةَ ﴿يس﴾ فَقَرَأْتَهَا وَمَاتَ فِي السَّحَرِ وَمَا قَدِرْنَا أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْهِ حَتَّى وَضَعْنَاهُ فِي مِحْرَابِ الْمُصَلِّيِّ غَلَبْنَا النَّاسُ عَلَيْهِ .

مَاتَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَمِئَةً .

قال الإمام الذهبي : عاشَ خَمْسًا وَثَمَانِينَ سَنَةً ^(٣) .

وعن المَدَائِنِيِّ : أَنَّ الْمَنْصُورَ لَمَّا احْتَضَرَ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ ارْتَكَبْتُ عَظَائِمَ جُرْأَةٍ مِنِّي عَلَيْكَ ، وَقَدْ أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ ، شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مَنَّا مِنْكَ لَا مَنَّا عَلَيْكَ ، ثُمَّ مَاتَ .

عاشَ أَرْبَعًا وَسِتِّينَ سَنَةً .

قال الصُّوْلِيُّ : دُفِنَ بَيْنَ الْحُجُونِ وَبِئْرِ مَيْمُونٍ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ

ومئة ^(٤) .

وعن ابنِ مَهْدِي ، قَالَ : مَرِضَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ بِالْبَطْنِ ، فَتَوَضَّأَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ سِتِّينَ مَرَّةً ، حَتَّى إِذَا عَايَنَ الْأَمْرَ ، نَزَلَ عَنْ فِرَاشِهِ ، فَوَضَعَ خَدَّهُ بِالْأَرْضِ ، وَقَالَ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ : مَا أَشَدَّ الْمَوْتَ ، وَلَمَّا مَاتَ غَمَضَتْهُ ، وَجَاءَ النَّاسُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، وَعَلِمُوا ^(٥) .

(١) انظر السير : (محمد بن واسع) ١١٩/٦ - ١٢٣ ، وانظر النزهة : ٧/٦٣٨ .

(٢) انظر السير : (سليمان بن طرخان) ١٩٥-٢٠٢ ، وانظر النزهة : ٨/٦٤١ .

(٣) انظر السير : (عبد الله بن عون) ٣٦٤-٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٤/٦٥٨ .

(٤) انظر السير : (المنصور) ٨٣/٧ - ٨٩ ، وانظر النزهة : ٤/٦٧٨ .

(٥) انظر السير : (سفيان الثوري) ٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٦/٧٠٠ .

وقال عبد الرحمن : كان سُفيانُ يَتَمَنَّى المَوْتَ لِيَسْلَمَ من هؤلاء ، فلَمَّا مَرَضَ كَرِهَهُ ، وقالَ لي : اقرأَ عَلَيَّ ﴿يس﴾ فَإِنَّهُ يُقَالُ : يُخَفَّفُ عن المَرِيضِ فَقَرَأْتُ ، فَمَا فَرَعْتُ حَتَّى طُفِيَءَ .

وقيل أخرجَ بجنازته على أهلِ البَصْرَةِ بَغْتَةً ، فَشَهِدَهُ الخَلْقُ ، وَصَلَّى عليه عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ المَلِكِ بنُ أبجر الكوفيُّ ، بوَصِيَّةٍ من سُفيانٍ لِصَلاحِهِ . ماتَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ ومِئَةَ (١) .

قالَ الحَسَنُ بنُ صالحٍ : قالَ لي أخي - وَكُنْتُ أَصْلِي - يا أخي اسقِنِي قالَ : فلَمَّا قَضَيْتُ صَلَاتِي ، أَتَيْتُهُ بِمَاءٍ ، فقالَ : قد شَرِبْتُ السَّاعَةَ ، قُلْتُ : مَنْ سَقَاكَ وَلَيْسَ في العُرْفَةِ غَيْرِي وَغَيْرُكَ ؟ قالَ : أَناني السَّاعَةَ جَبْريلُ بِمَاءٍ ، فَسَقاني وقالَ : أَنْتَ وَأخُوكَ وَأُمَّكَ مع الذين أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم ، وَخَرَجْتَ نَفْسُهُ (٢) .

وقالَ عبدُ الله بنُ موسى : سَمِعْتُ الحَسَنَ بنَ صالحٍ يَقُولُ : لَمَّا احْتَضَرَ أَخِي ، رَفَعَ بَصْرَهُ ، ثم قالَ : ﴿ مع الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٣) ثم خَرَجْتَ نَفْسُهُ ، فَنَظَرْنَا ، فإذا ثَقُبٌ في جَنْبِهِ قد وَصَلَ إلى جَوْفِهِ ، وما عَلِمَ به أَحَدٌ .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّباً : وكانا مُقرَّعينِ مُجَوِّدينِ للأداءِ ، تلا عَلِيٌّ عَلِيَّ عاصِمٍ ، ثم عَلِيٌّ حَمْزَةَ ، وَتَصَدَّرَ للإِقْرَاءِ .

ولِعلِّي حَدِيثٌ واحِدٌ في « صَحيحِ مُسلم » في حُسْنِ الخُلُقِ .

ماتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ ومِئَةَ ، ولم يَدْخُلْ عَلَيَّ في رأيِ أخيه من تَرَكِ الجُمُعَةَ ولا غَيْرَهُ (٤) .

(١) انظر السير : (سُفيانُ الثَّورِيُّ) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٧/٧٠٠ .

(٢) انظر السير : (الحَسَنُ بنُ صالح) ٧/٣٦١-٣٧١ ، وانظر النزهة : ٢/٧٠٤ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٦٩ .

(٤) انظر السير : (عَلِيُّ بنُ صالحِ بنِ حَيٍّ) ٧/٣٧١-٣٧٢ ، وانظر النزهة : ٦/٧٠٤ .

وقال أبو داؤد الطيالسي : حَضَرْتُ دَاوُدَ الطَّائِيَّ ، فَمَا رَأَيْتُ أَشَدَّ نَزْعًا مِنْهُ ^(١) .
 وقال إسماعيل بن أبي أويس : مَرَضَ مَالِكُ ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ أَهْلِنَا عَمَّا قَالَ عِنْدَ
 الْمَوْتِ ، قَالُوا : تَشَهَّدَ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدٍ ﴾ ^(٢) ، وَتُوفِّيَ ^(٣) .
 وقال أحمد بن عبد الله العجلي : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : لَمَّا احْتَضَرَ ابْنُ الْمُبَارَكِ ، جَعَلَ
 رَجُلٌ يُلْقِنُهُ ، قُلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَأَكْثَرَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : لَسْتُ تُحْسِنُ ، وَأَخَافُ أَنْ
 تُؤْذِيَ مُسْلِمًا بَعْدِي ، إِذَا لَقَّنْتَنِي ، فَقُلْتُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، ثُمَّ لَمَّ أُحَدِّثُ كَلَامًا بَعْدَهَا ،
 فَدَعَنِي ، فَإِذَا أُحَدِّثُ كَلَامًا ، فَلَقَّنَنِي حَتَّى تَكُونَ آخِرَ كَلَامِي ^(٤) .

وعن ابن خزيمة وغيره ، حَدَّثَنَا الْمُزْنِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الشَّافِعِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي
 مَاتَ فِيهِ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، وَقَالَ : أَصْبَحْتُ مِنْ
 الدُّنْيَا رَاحِلًا ، وَإِلْخَوَانِي مُفَارِقًا ، وَلِسُوءِ عَمَلِي مُلَاقِيًا ، وَعَلَى اللَّهِ وَارِدًا ، مَا أُدْرِي
 رُوحِي تَصِيرُ إِلَى جَنَّةٍ فَأَهْنِيهَا أَوْ إِلَى نَارٍ فَأَعْزِيهَا ، ثُمَّ بَكَى ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ ^(٥) :

ولما قسا قلبي وضائق مذاهبي	جعلت رجائي دون عفوك سلما
تعاضمني ذنبي فلما قرئته	بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفوي عن الذنب لم تزل	تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يغوى بإبليس عابدا	فكيف وقد أغوى صفيك آدميا
وإني لآتي الذنب أعرف قدره	وأعلم أن الله يعفو ترحما

وقال زرقان بن أبي داؤد : لَمَّا احْتَضَرَ الْوَائِقُ ، رَدَّدَ هَلْذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

الموت فيه جميع الخلق مشترك	لا سوقة منهم يبقى ولا ملك
ما ضر أهل قليل في نفرتهم	وليس يُغني عن الأملاك ما ملكوا

(١) انظر السير : (داؤد الطيالسي) ٧/٤٢٢-٤٢٥ ، وانظر النزعة : ٥/٧١٢ .

(٢) سورة الروم ، الآية : ٤ .

(٣) انظر السير : (مالك الإمام) ٨/٤٨-١٣٥ ، وانظر النزعة : ٤/٧٣٧ .

(٤) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٨/٣٧٨-٤٢١ ، وانظر النزعة : ٣/٧٧١ .

(٥) انظر السير : (الإمام الشافعي) ١٠/٥-٩٩ ، وانظر النزعة : ٣/٨٥٢ .

ثم أمر بالبُسط ، فطويت ، وألصقَ خَدَّهُ بالثُّرابِ ، وجعلَ يَقُولُ : يا مَنْ لا يَزُولُ مُلكه ، ارحمَ مَنْ قد زالَ مُلكه^(١) .

قال الإمامُ الذهبيُّ في ترجمته زكريا بنِ عديّ : وقيلَ : إنَّه لَمَّا احتَضِرَ قالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي إِلَيْكَ مُشْتاقٌ^(٢) .

وقد كانَ أحمدُ بنُ خضرويه مُعمراً ، فإنَّ السُّلَميَّ رَوَى عن مَنْصُورِ بنِ عبدِ الله ، سَمِعَ مُحَمَّدَ بنِ حامِدٍ ، قالَ : كُنْتُ عندَ ابنِ خضرويه وهو يَنْزِعُ ، فسُئِلَ عن شيءٍ فقالَ : باباً كُنْتُ أقرَعُه منذُ خَمْسِ وتَسعينَ سَنَةٍ ، السَّاعَةُ يُفْتَحُ لا أدري يُفْتَحُ بالسَّعَادَةِ أم بالسَّقَاءِ^(٣) .

وقالَ أبو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ ، وَرَأَى أَبِي زُرْعَةَ : حَضَرْنَا أبا زُرْعَةَ بماشهرانَ وهو في السَّوْقِ ، وعنده أبو حاتم ، وابنُ وَاةٍ ، والمُنْذِرُ ابنُ شاذانَ ، وغيرُهُم ، فذَكَرُوا حَدِيثَ التَّلْقِينِ : « لَقْنُوا مَوْتَاكُمْ : لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ » ، واستَحْيُوا من أَبِي زُرْعَةَ أَنْ يُلَقِّنُوهُ ، فقالوا : تَعالوا نَذُرُ الحَدِيثَ فقالَ ابنُ وَاةٍ : حَدَّثَنَا أبو عاصِمٍ ، حَدَّثَنَا عبدُ الحَمِيدِ ابنُ جَعْفَرٍ ، عن صالحٍ ، وجَعَلَ يَقُولُ : ابنُ أَبِي ، ولم يُجاوِزْهُ وقالَ أبو حاتمٍ : حَدَّثَنَا بندارُ ، حَدَّثَنَا أبو عاصِمٍ ، عن عبدِ الحَمِيدِ بنِ جَعْفَرٍ عن صالحٍ ، ولم يُجاوِزْهُ ، والباقونَ سَكَنُوا ، فقالَ أبو زُرْعَةَ وهو في السَّوْقِ : حَدَّثَنَا بندارُ ، حَدَّثَنَا أبو عاصِمٍ ، حَدَّثَنَا عبدُ الحَمِيدِ ، عن صالحِ بنِ أَبِي عُرَيْبٍ ، عن كَثِيرِ بنِ مُرَّةٍ ، عن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ ، قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كانَ آخِرُ كَلِمَةٍ : لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، دَخَلَ الجَنَّةَ » وتُوفِّيَ ، رَحِمَهُ اللهُ^(٤) .

وقالَ أبو بكرُ العَطَوِيُّ : كُنْتُ عندَ الجُنَيْدِ لَمَّا احتَضِرَ ، فحَتَمَ القُرْآنَ ثم ائْتَدَأَ سُورَةَ البَقَرَةِ ، فقتلَا سَبْعِينَ آيَةً وماتَ^(٥) .

(١) انظر السير : (الوائق بالله) ٣٠٦/١٠-٣١٤ ، وانظر النزهة : ٢/٨٨١ .

(٢) انظر السير : (زكريا بن عدي) ١٠/٤٤٢-٤٤٥ ، وانظر النزهة : ١/٨٨٢ .

(٣) انظر السير : (أحمد بن خضرويه) ١١/٤٨٧-٤٨٩ ، وانظر النزهة : ٤/٩٦١ .

(٤) انظر السير : (أبو زُرْعَةَ الرَّازِي) ١٣٣/٦٥-٨٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٥٢ .

(٥) انظر السير : (التوري) ١٤/٧٠-٧٧ ، وانظر النزهة : ٢/١١٣٥ .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة محمد بن جرير الطبري : وحضر وقت موته جماعة منهم : أبو بكر بن كامل ، فقيل له قبل خروج روحه : يا أبا جعفر! أنت الحجة فيما بيننا وبين الله فيما ندين به ، فهل من شيء توصينا به من أمر ديننا ، وبيئتنا لنا نرجو بها السلامة في معادنا ؟ فقال : الذي أدين الله به وأوصيكم هو ما ثبت في كُتبي فاعملوا به وعليه ، وكلاماً هذا معناه ، وأكثر من التَّشهُدِ وذكر الله عزَّ وجلَّ ، ومسح يده على وجهه ، وعمَّصَ بصره بيده وبسطها وقد فارقت رُوحه الدُّنيا^(١) .

وقال الخطيب : سمعتُ ابنَ الفضلِ القَطَّانَ يَقُولُ : حَضَرْتُ النَّقَّاشَ وهو يَجُودُ بِنَفْسِهِ فِي ثَالِثِ شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ﴾^(٢) يُرَدِّدُهَا ثَلَاثًا ثُمَّ خَرَجَتْ نَفْسُهُ رَحِمَهُ اللهُ^(٣) .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة المغفلي : قال الحاكم : سمعتُ ابنه بشراً يَقُولُ : أَخْرَجْتُ كَلِمَةً تَكَلَّمُ بِهَا أَنْ قَبِضَ عَلَيَّ لِخِيَّتِهِ وَرَفَعَ يَدَهُ الِيْمَنَى إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ : ارْحَمْ شَيْبَةَ شَيْخٍ جَاءَكَ بِتَوْفِيكَ عَلَى الْفِطْرَةِ .
تُوفِّي سَنَةَ سِتِّ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ^(٤) .

نُقِلَ أَنَّهُ لَمَّا احْتَضَرَ مَا انْطَلَقَ لِسَانُهُ إِلَّا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ ﴾^(٥) هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ^(٥) وَمَاتَ بَعْلَةً الصَّرْعِ ، وَكَانَ شَيْعِيًّا جَلْدًا أَظْهَرَ بِالنَّجْفِ قَبْرًا زَعَمَ أَنَّهُ قَبْرُ الْإِمَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَبَنَى عَلَيْهِ الْمَشْهَدَ ، وَأَقَامَ شِعَارَ الرَّفِضِ ، وَمَاتَ عَاشُورَاءَ ، وَالْأَعْتِرَالُ .

تَمَلَّكَ الْعِرَاقَ خَمْسَةَ أَعْوَامٍ وَنِصْفًا ، وَمَا تَلَقَى خَلِيفَةً مُلْكًا مِنْ قُدُومِهِ قَبْلَهُ .
مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ بِيَعْدَادِ وَعُمَلٍ فِي تَابُوتٍ ، وَنُقِلَ فُدُنَ بِمَشْهَدِ

(١) انظر السير : (محمد بن جرير) ١٤/٢٦٧-٢٨٢ ، وانظر النزعة : ٢/١١٥٢ .

(٢) سورة الصافات ، الآية : ٦١ .

(٣) انظر السير : (النقاش) ١٥/٥٧٣-٥٧٦ ، وانظر النزعة : ١٢٦١ .

(٤) انظر السير : (المغفلي) ١٦/١٨١-١٨٤ ، وانظر النزعة : ١/١٢٨٢ .

(٥) سورة الحاقة ، الآيتان : ٢٨ ، ٢٩ .

النَّجْفِ ، وعاشَ ثمانياً وأربعينَ سنةً وقامَ بعدهُ ابنُهُ صَمَّصَامُ الدَّوْلَةَ وحَلَفُوا له ، وقلَّدَهُ الطَّائِعُ^(١) .

وقالَ الباطِرُ قانِيٌّ : وكُنْتُ معَ أبي عبدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ مَنَدَةَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تُوفِّيَ فِيهَا ، فِي آخِرِ نَفْسِهِ قَالَ واحِدٌ مِنَّا : لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ - يُرِيدُ تَلْقِيَتَهُ - فَأشارَ بِيدِهِ إِلَيْهِ دَفْعَتَيْنِ ثَلَاثَةَ أَيِّ اسْكُتَ يُقالُ لي مِثْلُ هَذَا!! ؟

ماتَ ابنُ مَنَدَةَ سَنَةَ خَمْسِ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ .

وما عَلِمْتُ بَيْتاً فِي الرُّوَاةِ مِثْلَ بَيْتِ بَنِي مَنَدَةَ ، بَقِيََتِ الرُّوَايَةُ فِيهِمْ مِنْ خِلاْفَةِ المُعْتَصِمِ وَإِلَى بَعْدِ الثَّلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ^(٢) .

عن عليِّ بنِ أحمدَ الحافظِ ، أَخْبَرَنِي أبو الوَلِيدِ بنُ الفَرَضِيِّ قالَ : تَعَلَّقْتُ بِأَسْتارِ الكَعْبَةِ ، وَسَأَلْتُ اللهُ تَعَالَى الشَّهَادَةَ ، ثُمَّ فَكَّرْتُ فِي هَوْلِ القَتْلِ فَنَدِمْتُ ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْجِعَ ، فَاسْتَقْبَلَ اللهُ ذَلِكَ ، فَاسْتَحْيَيْتُ قالَ الحَافِظُ عليٌّ : فَأَخْبَرَنِي مَنْ رَأَاهُ بَيْنَ القَتْلَى ، وَدَنَا مِنْهُ ، فَسَمِعَهُ يَقولُ بِصَوْتِ ضَعِيفٍ : « لا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ - وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ - إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَنْعَبُ دَمًا ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ ، وَالرَّيْحُ رِيحُ المِسْكِ » كَأَنَّهُ يُعِيدُ عَلَيَّ نَفْسَهُ الحَدِيثَ ، ثُمَّ قَضَى عَلَيَّ إِثْرَ ذَلِكَ رَحِمَهُ اللهُ^(٣) .

وقالَ يُوسُفُ بنُ أحمدَ الشِّيرازِيُّ لَمَ أزلَ فِي صُحْبَةِ شَيْخِنَا أَبِي الوَقْتِ وَخِدمَتِهِ إِلى أَنْ تُوفِّيَ بِبَغدادَ ، قالَ لي : تَدْفِنُنِي تَحْتَ أَقْدَامِ مَسائِخِنَا بِالشُّونِيزِيَّةِ ، وَلَمَّا اخْتَضِرَ سَنَدَتُهُ إِلى صَدْرِي ، وَكانَ مُسْتَهْتِراً بِالذِّكْرِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بنُ القاسِمِ الصُّوفِيُّ ، وَأَكَبَّ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : يا سَيِّدِي ، قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كانَ آخِرُ كَلامِهِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ » فَرَفَعَ طَرَفَهُ إِلَيْهِ ، وَتَلا ﴿ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾^(٤) بِما عَفَرَ لِي رَبِّي

(١) انظر السير : (عُضد الدولة) ١٦/٢٤٩-٢٥٢ ، وانظر النزهة : ١/١٢٩٣ .

(٢) انظر السير : (ابن مَنَدَةَ) ١٧/٢٨-٤٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٢٢ .

(٣) انظر السير : (ابن الفَرَضِيِّ) ١٧/١٧٧-١٨٠ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٣٣ .

وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿١﴾ فدهش إليه هو ومن حضر من الأصحاب ، ولم يزل يقرأ حتى ختم السورة وقال : الله الله الله ، وتوفي وهو جالس على السجادة ، سنة ثلاث وخمسين وخمسة مئة (٢) .

وذكر أبو جعفر القرطبي إمام الكلاسة (٣) : إنني انتهيت في القراءة إلى قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ (٤) ، فسمعت صلاح الدين وهو يقول : صحيح وكان ذهنه قبل ذلك غائباً (٥) ، ثم مات ، وارتفعت الأصوات بالبكاء ، وعظم الضجيج ، حتى إن العاقل ليخيل له أن الدنيا كلها تصيح صوتاً واحداً ، وغشي الناس ما شغلهم عن الصلاة عليه ، وتأسف الناس عليه حتى الفرنج لما كان من صدق وفائه (٦) .

قال الإمام الذهبي في ترجمة العماد : وحكي عنه أنه لما جاءه الموت جعل يقول : يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث ، واستقبل القبلة وتشهد (٧) .

قال الإمام الذهبي في ترجمة ابن عساكر : وقال أبو شامة : أخبرني من حضره قال : صلى الظهر ، وجعل يسأل عن العصر ، وتوضأ ثم تشهد وهو جالس ، وقال : رضى الله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، لقنني الله حجتى وأقالني عثرتي ورحم غربتى ثم قال : وعليكم السلام ، فعلمنا أنه حضر الملائكة ثم انقلب ميتاً (٨) .

(١) سورة يس ، الآيتان ٢٦ ، ٢٧

(٢) انظر السير : (أبو الوقت) ٣٠٣/٢٠-٣١١ ، وانظر النزاهة : ١/١٥٥٤ .

(٣) كان الشيخ أبو جعفر قد استدعى لبيت عنده يقرأ القرآن ويلقنه الشهادة عند حضور الوفاة ، وتوفي أبو جعفر لهذا سنة ٥٩٦ .

(٤) سورة الحشر ، الآية : ٢٢ .

(٥) وتمايم الخبر أن القاضي الفاضل جاءه عند أذان الصبح ، وكان في آخر رمق ، فلما قرأ القارئ ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [التوبة : الآية : ١٢٩] تبسم ، وتهلل وجهه وأسلم روحه لربه سبحانه .

(٦) انظر السير : (صلاح الدين وبنوه) ٢١/٢٧٨-٢٩١ ، وانظر النزاهة : ١/١٦٢٣ .

(٧) انظر السير : (العماد) ٢٢/٤٧-٥٢ ، وانظر النزاهة : ١/١٦٦٦ .

(٨) انظر السير : (ابن عساكر) ٢٢/١٨٧-١٩٠ ، وانظر النزاهة : ٣/١٦٨٤ .

١٣- الحُزْنُ عَلَى مَوْتِ الصَّالِحِينَ :

قَالَ هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ : كُنَّا عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَشِيَّةَ يَوْمِ الْخَمِيسِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ بَعْدَ الْعَصْرِ فَقَالَ : مَاتَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، فَتَرَحَّمْ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَأَمْسَكَ عَنِ الْكَلَامِ ، فَمَا تَكَلَّمَ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وَأَمْسَكَ الْقَوْمُ عَنْهُ مِمَّا رَأَوْا مِنْ وَجْدِهِ عَلَيْهِ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : وَمَا عَاشَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ بَعْدَ الْحَسَنِ إِلَّا مِئَةَ يَوْمٍ .

مَاتَ الْحَسَنُ فِي سَنَةِ عَشْرِ وَمِئَةٍ .

عَاشَ نَحْوًا مِنْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : مَاتَ فِي أَوَّلِ رَجَبٍ ، وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ مَشْهُودَةً ، صَلَّى عَلَيْهِ عَقِيبَ الْجُمُعَةِ بِالْبَصْرَةِ ، فَشِيعَهُ الْخَلْقُ ، وَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ ، حَتَّى إِنْ صَلَّى الْعَصْرَ لَمْ تُقَمَّ فِي الْجَامِعِ (١) .

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ خَلْفٍ : كُنَّا عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ فَوَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابٌ فِيهِ نَعْيُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيِّ ، فَنَكَّسَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ رَفَعَ وَاسْتَرْجَعَ وَجَعَلَ تَسِيلُ دُمُوعَهُ عَلَى خَدَيْهِ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ (٢) :

إِنْ تَبَقَّ تَفَجَّعُ بِالْأَحْبَةِ كُلِّهِمْ وَفَنَاءُ نَفْسِكَ لَا أَبَا لِكَ أَفْجَعُ

وَقِيلَ كَانَ ابْنُ دَاوُدَ خَصْمًا لِابْنِ سُرَيْجٍ فِي الْمُنَاطَرَةِ ، كَانَا يَتَرَادَانِ فِي الْكُتُبِ فَلَمَّا بَلَغَ ابْنَ سُرَيْجٍ مَوْتَ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ ، حَزِنَ لَهُ ، وَنَحَى مَخَادَهُ ، وَجَلَسَ لِلتَّعْزِيَةِ ، وَقَالَ : مَا أَسَى إِلَّا عَلَى تُرَابٍ يَأْكُلُ لِسَانَ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ .

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : وَأَمَّا دَاوُدُ : فَقَامَ بِنَقْلِ فَهِيَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، مِنْهُمْ : ابْنُهُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ ، وَكَانَ فَهِيًّا أَدِيبًا شَاعِرًا ظَرِيفًا ، وَكَانَ يُنَاطِرُ إِمَامَ

(١) انظر السير : (الحسن البصري) ٤/٥٦٣-٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٦/٥٦٣ .

(٢) انظر السير : (الدارمي) ١٢/٢٢٤-٢٣٢ ، وانظر النزهة : ١/٩٩٧ .

أصحابنا ، أبا العباس بن سريج ، وخلف أباه في حلقته وسمعت شيخنا القاضي أبا الطيب الطبري يقول : سمعت أبا العباس الخصري قال : كنت جالسا عند أبي بكر محمد بن داود ، فجاءته امرأة ، فقالت : ما تقول في رجل له زوجة ، لا هو يمسكها ، ولا هو يطلقها ؟ فقال أبو بكر : اختلف في ذلك أهل العلم ، فقال قائلون : تؤمر بالصبر والاحتساب ، وتبعث على الطلب والاكْتساب . وقال قائلون : تؤمر بالإنفاق ، وإلا حُمِل على الطلاق . فلم تفهم المرأة قوله ، فأعدت سؤالها عليه ، فقال : يا هذه قد أجبْتُك . . . ولستُ بسُلطان [فأمضي ، ولا قاضي] فأقضي ، ولا زوج فأرضي ، فانصرفي^(١) .

١٤- صُورٌ من جنائز الصالحين :

قال العباس بن الوليد : وحدثني سالم بن المُنذر قال : لَمَّا سَمَعْتُ الضَّحَّةَ بوفَاةِ الأوزاعيِّ خرجتُ ، فأول مَنْ رأيتُ نصرانياً ، قد ذرَّ على رأسه الرَّمَادَ فلم يزلِ المسلمون من أهل بيروت يعرفون له ذلك ، وخرَجنا في جنازته أربعة أمم : فحملة المسلمون ، وخرَجَت اليهودُ في ناحية ، والنصارى في ناحية ، والقبط في ناحية .

مات سنة سبع وخمسين ومئة^(٢) .

وقال حسن بن بشر حضرت جنازة داود الطائي فحمِل على سريرين أو ثلاثة تكسّر من الزحام^(٣) .

ومناقب داود كثيرة ، كان رأساً في العلم والعمل ، ولم يُسمع بمثل جنازته ، حتّى قيل : بات الناس ثلاث ليالٍ مخافة أن يفوتهم شهوده .

مات سنة اثنتين وستين ومئة ولم يخلف بالكوفة أحداً مثله^(٤) .

وقال خالد بن عبد السلام الصرفي : شهدت جنازة الليث بن سعد مع والدي ، فما

(١) انظر السير : (محمد بن داود) ١٣/١٠٩-١١٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٦١ .

(٢) انظر السير : (الأوزاعي) ٧/١٠٧-١٣٤ ، وانظر النزهة : ٤/٦٨٤ .

(٣) انظر السير : (داود الطائي) ٧/٤٢٢-٤٢٥ ، وانظر النزهة : ٦/٧١٢ .

(٤) انظر السير : (داود الطائي) ٧/٤٢٢-٤٢٥ ، وانظر النزهة : ٧/٧١٢ .

رَأَيْتُ جِنَازَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا ، رَأَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَلَيْهِمُ الْحُزْنَ ، وَهُمْ يُعْزِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَيَكُونُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَتِ ، كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ صَاحِبُ هَذِهِ الْجِنَازَةِ ، فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، لَا تَرَى مِثْلَهُ أَبَدًا^(١) .

وَجَاءَ فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، قَالَ الْخَلَّالُ : سَمِعْتُ عَبْدَ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقَ ، يَقُولُ : مَا بَلَّغْنَا أَنْ جَمَعْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا الْإِسْلَامِ مِثْلَهُ - يَعْنِي : مَنْ شَهِدَ جِنَازَةَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ - حَتَّى بَلَّغْنَا أَنَّ الْمَوْضِعَ مُسْحَ وَحُزْرَ عَلَى الصَّحِيحِ ، فَإِذَا هُوَ نَحْوُ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ وَحُزْرًا عَلَى الْقُبُورِ نَحْوًا مِنْ سِتِّينَ أَلْفَ امْرَأَةً ، وَفَتَحَ النَّاسُ أَبْوَابَ الْمَنَازِلِ فِي الشُّوَارِعِ وَالذُّرُوبِ ، يُنَادُونَ مَنْ أَرَادَ الْوُضُوءَ^(٢) .

وَقَالَ الْخَلَّالُ : سَمِعْتُ عَبْدَ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقَ ، يَقُولُ : أَظْهَرَ النَّاسُ فِي جِنَازَةِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ الشُّنَّةَ وَالطَّعْنَ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ ، فَسَرَّ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِذَلِكَ عَلَى مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْمُصِيبَةِ لَمَا رَأَوْا مِنَ الْعِزِّ وَعُلُوِّ الْإِسْلَامِ ، وَكَبَّتِ أَهْلُ الزِّيغِ ، وَلَزِمَ بَعْضُ النَّاسِ الْقَبْرَ ، وَبَاتُوا عِنْدَهُ ، وَجَعَلَ النِّسَاءُ يَأْتِينَ حَتَّى مُنَعْنَ ، وَسَمِعْتُ الْمَرْوُذِيَّ يَقُولُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْرَوَيْهِ ، عَنْ خَالَتِهِ ، قَالَتْ : مَا صَلَّوْا بِبَغْدَادَ فِي مَسْجِدِ الْعَصْرِ يَوْمَ وَفَاةِ أَحْمَدَ ، وَقِيلَ : إِنَّ الزَّحْمَةَ دَامَتْ عَلَى الْقَبْرِ أَيَّامًا^(٣) .

وَتُوْفِّيَ بِكَارِ بُنْ قُتَيْبَةَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِثْتَيْنِ وَقِيلَ : شَيَعَهُ خَلْقٌ عَظِيمٌ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَشْهَدُ صَلَاةَ الْعِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : عَاشَ تِسْعًا وَثَمَانِينَ سَنَةً^(٤) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشُّخَيْرِ : كَانَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيُّ زَاهِدًا نَاسِكًا ، صَلَّى عَلَيْهِ يَوْمَ مَاتَ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِ مِئَةِ أَلْفِ إِنْسَانٍ ، وَأَكْثَرُ

قَالَ : وَمَاتَ سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ وَثَلَاثِ مِئَةِ ، وَخَلَّفَ ثَلَاثَةَ بَنِينَ ، وَخَمْسَ بَنَاتٍ ،

-
- (١) انظر السير : (الليث بن سعد) ١٣٦/٨-١٦٣ ، وانظر النزهة : ٢/٧٤٠ .
(٢) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٥٠ .
(٣) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٩٥٠ .
(٤) انظر السير : (بكار بن قتيبة) ١٢/٥٩٩-٦٠٥ ، وانظر النزهة : ٥/١٠٣٩ .

وعاش سَبْعاً وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ ثَمَانِينَ مَرَّةً (١) .

وقال ابنُ كَامِلٍ : ماتَ غَلامُ خَلِيلِ سَنَةِ خَمْسِ وَسَبْعِينَ وَمِثْتَيْنِ ، وَغُلِّقَتِ الْأَسْوَاقُ ، وَخَرَجَ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ حُمِلَ فِي تَابُوتٍ إِلَى البَصْرَةِ وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ قُبَّةٌ قَالَ : وَكَانَ فَصِيحاً مُعَرِّباً يَحْفَظُ عِلْماً كَثِيراً ، وَيَخْضِبُ بِالْحِنَاءِ ، وَيَقْتَاتُ بِالْبَاقِلَاءِ صَرفاً (٢) .

وَذَكَرَ عَنِ أَبِي الشَّيْخِ ، قَالَ : حَضَرْتُ جِنَازَةَ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي عَاصِمٍ وَشَهِدَهَا مِثْنَا أَلْفٍ مِنْ بَيْنِ رَاكِبٍ وَرَاجِلٍ ، مَا عَدَا رَجُلًا كَانَ يَتَوَلَّى القَضَاءَ ، فَحُرِّمَ شُهُودَ جِنَازَتِهِ ، وَكَانَ يَرَى رَأْيَ جَهَنَّمَ (٣) .

وقال أحمدُ بنُ كَامِلٍ : تُوَفِّيَ ابْنُ جَرِيرٍ سَنَةَ عَشَرَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ وَدُفِنَ فِي دارِهِ بِرَحْبَةِ يَعْقُوبَ ، يَعْنِي بِبَغْدَادَ ، وَشَيَعَهُ مَنْ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ تَعَالَى ، وَصُلِّيَ عَلَى قَبْرِهِ عِدَّةُ شُهُورٍ لَيْلاً وَنَهَاراً ، إِلَى أَنْ قَالَ : وَرِثَاهُ خَلْقٌ مِنَ الْأَدْبَاءِ وَأَهْلِ الدِّينِ (٤) .

تُوَفِّيَ بُنَانُ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ وَخَرَجَ فِي جِنَازَتِهِ أَكْثَرُ أَهْلِ مِصْرَ ، وَكَانَ شَيْئاً عَجَباً مِنْ أَرْدِحَامِ الخَلَاتِقِ (٥) .

وعاش ابنُ خَفِيفٍ خَمْساً وَتِسْعِينَ سَنَةً ، وَازْدَحَمَ الخَلْقُ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَكَانَ أَمْرًا عَجِيباً ، وَقِيلَ : إِنَّهُمْ صَلَّوْا عَلَيْهِ نَحْوَ مِنْ مِئَةِ مَرَّةٍ (٦) .

وقد كانَ لَعَبِدِ الغَنِيِّ بْنِ سَعِيدِ جِنَازَةٌ عَظِيمَةٌ تَحَدَّثَ بِهَا النَّاسُ ، وَنُودِيَ أَمَامَهَا : هَذَا نَافِي الكَذِبِ عَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
تُوَفِّيَ سَنَةَ تِسْعِ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ (٧) .

-
- (١) انظر السير : (أبو بكر) ٢٢١-٢٣٧ / ١٣ ، وانظر النزهة : ٤ / ١٠٧٣ .
 - (٢) انظر السير : (غلامُ خليل) ٢٨٢-٢٨٥ / ١٣ ، وانظر النزهة : ١ / ١٠٨٤ .
 - (٣) انظر السير : (ابنُ أبي عاصم) ٤٣٠-٤٣٩ / ١٣ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٠٩٩ .
 - (٤) انظر السير : (محمدُ بنُ جرير) ٢٦٧-٢٨٢ / ١٤ ، وانظر النزهة : ٢ / ١١٥٤ .
 - (٥) انظر السير : (بُنَانُ الحَمَّالِ) ٤٨٨-٤٩٠ / ١٤ ، وانظر النزهة : ٥ / ١١٦٩ .
 - (٦) انظر السير : (ابنُ خَفِيفِ) ٣٤٢-٣٤٧ / ١٦ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٢٩٩ .
 - (٧) انظر السير : (عبدُ الغني بنُ سعيد) ٢٦٨-٢٧٣ / ١٧ ، وانظر النزهة : ١ / ١٣٤١ .

وأوصى الخطيب بأن يُصدّق بجميع ثيابه ، وشيعة الفقهاء والخلق وحملوه إلى جامع المنصور ، وكان بين يدي الجنازة جماعة ينادون : هذا الذي كان يدب عن النبي صلى الله عليه وسلم الكذب ، هذا الذي كان يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وختم على قبره عدة ختمات^(١) .

وعن علي بن الأيسر العكبري ، قال : لم أر أكثر خلقاً من جنازة أبي منصور الخياط رآها يهودي ، فاهتال لها وأسلم^(٢) .

وعن عبد الله بن محمد الحُجَندِي قال : لما مات موسى المدني لم يكادوا أن يفرغوا منه ، حتى جاء مطرٌ عظيم في الحر الشديد ، وكان الماء قليلاً بأصهبان فما انفصل أحدٌ عن المكان مع كثرة الخلق إلا قليلاً ، وكان قد ذكر في آخر إملاء أملاه : أنه متى مات من له منزلة عند الله ، فإن الله يبعث سبحانه يوم موته علامة للمغفرة له ، ولمن صلى عليه .

سمعتُ شيخنا العلامة أبا العباس بن عبد الحليم^(٣) يُثني على حفظ أبي موسى ويُقدِّمه على الحافظ ابن عساكر باعتبار تصانيفه ونفعها .
توفي أبو موسى في سنة إحدى وثمانين وخمسة مئة .
قال الإمام الذهبي مُعقَّباً : كان حافظ المشرق في زمانه^(٤) .

جاء في ترجمة ابن الجوزي ، قال الذهبي : قال سبطه أبو المظفر : توفي أبو الفرج ابن الجوزي ليلة الثالث عشر من رمضان سنة سبع وتسعين وخمسة مئة ، وغلقت الأسواق ، وجاء الخلق ، وصلى عليه ابنه أبو القاسم علي اتفاقاً ، لأن الأعيان لم يقدرُوا من الوصول إليه ، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور ، فصلوا عليه ، وضاق بالناس ، وكان يوماً مشهوداً ، فلم يصل إلى حُفْرته بمقبرة أحمد إلى وقت صلاة

(١) انظر السير : (الخطيب) ١٨ / ٢٧٠-٢٩٧ ، وانظر النزعة : ٣ / ١٤١٤ .

(٢) انظر السير : (الخياط) ١٩ / ٢٢٢-٢٢٤ ، وانظر النزعة : ٤ / ١٤٧٣ .

(٣) هو شيخ الإسلام ابن تيمية .

(٤) انظر السير : (أبو موسى المدني) ٢١ / ١٥٢-١٥٩ ، وانظر النزعة : ١ / ١٦٠٥ .

الجُمُعَة ، وكان في تَمُوز ، وأفطَرَ الخَلْقُ ، ورَمَوْا نَفوسَهُم في المَاءِ إلى أن قال : وما وَصَلَ إلى حُفْرَتِهِ مِنَ الكَفَنِ إِلَّا قَلِيلٌ ، كذا قال ، والعُهْدَةُ عَلَيْهِ^(١) ، وَأُنزِلَ في الحُفْرَةِ ، والمُؤدَّدُ يَقولُ : اللهُ أَكْبَرُ ، وحَزَنَ عَلَيْهِ الخَلْقُ ، وبتاوا عند قَبْرِهِ طُولَ شَهْرِ رَمْضَانَ يَخْتِمُونَ الخَتَمَاتِ ، بالشَّمْعِ والقَنَادِيلِ ، ورَأَهُ في تلكَ اللَّيْلَةِ المُحَدَّثُ أَحْمَدُ بنُ سَلْمَانَ السُّكَّرِ في النَّوْمِ ، وهو عَلِيٌّ مِنْبَرٌ مِنْ ياقُوتِ ، وهو جالِسٌ في مِقْعَدِ صِدْقٍ والمَلائِكَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ^(٢) وَأَصْبَحْنَا يَوْمَ السَّبْتِ عَمَلْنَا العِزَاءَ ، وتكَلَّمْتُ فِيهِ ، وحَضَرَ خَلْقٌ عَظِيمٌ ، وعَمِلْتُ فِيهِ المَرَاتِي^(٣) .

وقال الضيَاءُ : تُوفِّيَ العِمَادُ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَسِتِّ مِئَةٍ ، وكان صَلَّى المَغْرِبَ بالجامعِ وكان صائماً ، فذهبَ إلى البَيْتِ وأفطَرَ على شَيْءٍ يَسِيرٍ ، ولَمَّا أُخْرِجَتْ جِنازَتُهُ اجْتَمَعَ خَلْقٌ فما رَأَيْتُ الجامعَ إِلَّا كأنَّهُ يَوْمَ الجُمُعَةِ من كَثْرَةِ الخَلْقِ ، وكان الوالي يَطْرُدُ الخَلْقَ عنه وازدَحَموا حَتَّى كادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَهْلِكَ ، وما رَأَيْتُ جِنازَةَ قَطُّ أَكْثَرَ خَلْقاً مِثْلَها^(٤) .

١٥- مِنْ أَسْبَابِ مَوْتِ بَعْضِ العُلَمَاءِ والكِبَرَاءِ :

قالَ العَبَّاسُ بنُ الوليدِ بنِ مَزِيدٍ : سَمِعْتُ عُقْبَةَ بنَ عُلَقَمَةَ قالَ : سَبَبُ مَوْتِ الأوزاعيِّ أَنَّهُ اخْتَضَبَ ، ودَخَلَ الحَمَّامَ الَّذِي في مَنزِلِهِ ، وأدْخَلَتْ مَعَهُ امْرَأَتَهُ كانُوناً فِيهِ فَحَمٌّ لثِلا يُصِيبُهُ البَرْدُ ، وأغْلَقَتْ عَلَيْهِ مِنَ بَرِّا ، فَلَمَّا هاجَ الفَحْمُ ، ضَعُفَتْ نَفْسُهُ وَعَالَجَ البَابَ لِيَفْتَحَهُ ، فامْتَنَعَ عَلَيْهِ ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ ، فوجَدناه مُوسِّداً ذِراعَهُ إلى القِبْلَةِ^(٥) .

وقالَ ابنُ حَزَمٍ : كانَ سَبَبُ مَوْتِ الخَلِيفَةِ الهادي العَبَّاسِيِّ ، أَنَّهُ دَفَعَ نَدِيماً لَهُ مِنْ

(١) وقال في « تاريخ الإسلام » : (وهذا من مجازفة أبي المظفر) ، وقد وصف الذهبيُّ السبط بالمجازفة في غير موضع من كتبه .

(٢) تمام الخير : والحقُّ سبحانه وتعالى حاضرٌ يسمع .

(٣) انظر السير : (أبو الفرج ابن الجوزي) ٢١/٣٦٥-٣٨٤ ، وانظر النزهاة : ٢/١٦٣٦ .

(٤) انظر السير : (العِمَاد) ٢٢/٤٧-٥٢ ، وانظر النزهاة : ٨/١٦٦٥ .

(٥) انظر السير : (الأوزاعي) ٧/١٠٧-١٣٤ ، وانظر النزهاة : ٣/٦٨٤ .

جُرْفٍ ، عَلَى أَصُولِ قَصَبٍ قَدْ قُطِعَ ، فَتَعَلَّقَ بِهِ النَّدِيمُ ، فَوَقَعَ مَعَهُ ، فَدَخَلَتْ قَصَبَةٌ فِي دُبُرِهِ فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبُ مَوْتِهِ ، فَهَلَكَا جَمِيعًا .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : مَاتَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِئَةً ، وَعُمُرُهُ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَنَةً وَشَهْرًا ، وَقَامَ بَعْدَهُ أَخُوهُ الرَّشِيدُ .

وَكَانَ كَوَالِدِهِ فِي اسْتِثْصَالِ الزَّنَادِقَةِ وَتَبْتُعِهِمْ ، فَقَتَلَ عِدَّةً مِنْهُمْ : يَعْقُوبُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَظَهَرَتْ بِنْتُهُ حُبْلَى مِنْهُ ، أَكْرَهَهَا^(١) .

وَيُقَالُ سَمَّتُهُ أُمَّهُ الْحَيْزُرَانُ ، لَمَّا أَجْمَعَ عَلَى قَتْلِ أَخِيهِ الرَّشِيدِ ، وَكَانَتْ مُتَصَرِّفَةً فِي الْأُمُورِ إِلَى الْغَايَةِ ، وَكَانَتْ مِنْ مَوْلِدَاتِ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ لَهَا : لَسْنَا وَقَفَ بِيَابِكِ أَمِيرٌ ، لِأَقْتُلَنَّكَ ، أَمَا لَكَ مِغْزَلٌ يَشْغُلُكَ ، أَوْ مُصْحَفٌ يُذَكِّرُكَ ، أَوْ سُبْحَةٌ ، فَقَامَتْ لَا تَعْقِلُ غَضَبًا^(٢) .

وَسَبَبُ مَوْتِ عَلِيَّةَ بِنْتِ الْمَهْدِيِّ أَنَّ الْمَأْمُونَ ضَمَّهَا إِلَيْهِ فَقَبَّلَهَا ، وَهِيَ عَمَّتُهُ ، وَكَانَ وَجْهُهَا مُغَطًى فَشَرِقَتْ وَسَعَلَتْ ، ثُمَّ حُمَّتْ أَيَّامًا ، وَمَاتَتْ^(٣) .

وَكَانَ سَبَبُ وَفَاةِ الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ أَنَّهُ وَقَعَ مِنْ فَوْقِ سَطْحِهِ ، فَمَكَثَ يَوْمَيْنِ لَا يَتَكَلَّمُ وَمَاتَ انْكَسَرَتْ تَرْقُوتُهُ وَوَرَكُهُ^(٤) .

* * *

-
- (١) انظر السير : (الهادي) ٤٤١/٧-٤٤٤ ، وانظر النزهة : ٦/٧١٣ .
 - (٢) انظر السير : (الهادي) ٤٤١/٧-٤٤٤ ، وانظر النزهة : ١/٧١٤ .
 - (٣) انظر السير : (عليَّة بنت المَهْدِيِّ) ١٠/١٨٧-١٨٨ ، وانظر النزهة : ١/٨٦٦ .
 - (٤) انظر السير : (الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ) ٣١١/١٢-٣١٥ ، وانظر النزهة : ٥/١٠٠٤ .

التَّعْزِيَةُ وَالتَّابِينَ

١- صُورٌ مِنَ التَّعْزِيَةِ :

عن مَنْصُورِ بْنِ صَفِيَّةَ ، عن أُمِّهِ ، قَالَتْ : قِيلَ لِابْنِ عُمَرَ : إِنَّ أَسْمَاءَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ - وَذَلِكَ حِينَ صُلِبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ - فَمَالَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ الْجُثَّةَ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ ، وَإِنَّمَا الْأَرْوَاحُ عِنْدَ اللَّهِ ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي .

فَقَالَتْ : وَمَا يَمْنَعُنِي ، وَقَدْ أُهْدِيَ رَأْسُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا إِلَى بَغْيٍ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ .

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : مَاتَ بَعْدَ ابْنِهَا بَلِيَالٍ وَكَانَ قَتْلُهُ لِسَبْعِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : كَانَتْ خَاتِمَةَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْمُهَاجِرَاتِ (١) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ - وَذَلِكَ بَعْدَ مَا قُطِعَتْ سَاقُهُ ، وَمَاتَ أَحَدُ أَبْنَائِهِ - قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ : كَانَ أَحْسَنَ مَنْ عَزَّاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا بَكَ حَاجَةٌ إِلَى الْمَشِيِّ وَلَا أَرَبٌ فِي السَّعْيِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَكَ عُضْوٌ مِنْ أَعْضَائِكَ ، وَابْنٌ مِنْ أَبْنَائِكَ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَالْكُلُّ تَبَعٌ لِلْبَعْضِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَقَدْ أَبْقَى اللَّهُ لَنَا مِنْكَ مَا كُنَّا إِلَيْهِ فُقَرَاءَ ، مِنْ عِلْمِكَ وَرَأْيِكَ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ ثَوَابِكَ وَالضَّمِينُ بِحَسَابِكَ (٢) .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : شَهِدْتُ صَالِحًا الْمُرِّيَّ ، عَزَى رَجُلًا ، فَقَالَ : لَئِنْ كَانَتْ مُصِيبَتُكَ بِابْنِكَ لَمْ تُحَدِّثْ لَكَ مَوْعِظَةً فِي نَفْسِكَ ، فَهِيَ هَيْئَةٌ فِي جَنْبِ مُصِيبَتِكَ بِنَفْسِكَ فَإِيَّاهَا فَايُكِّ (٣) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي عُثْمَانَ الصَّابُونِيِّ : وَأُطْنَبَ عَبْدُ الْغَافِرِ فِي وَصْفِهِ

(١) انظر السير : (أسماء بنت أبي بكر) ٢/٢٨٧-٢٩٦ ، وانظر النزهة : ٤/٢٦٢ .

(٢) انظر السير : (عروة بن الزبير) ٤/٤٢١-٤٣٧ ، وانظر النزهة : ٣/٥٢٨ .

(٣) انظر السير : (صالح المرّي) ٨/٤٦-٤٨ ، وانظر النزهة : ٧/٧٢٥ .

وأَسْهَبَ ، إِلَى أَنْ قَالَ : وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ كِتَبِهِ زَيْنُ الْإِسْلَامِ مِنْ طُوسَ فِي التَّعْزِيَةِ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ : أَلَيْسَ لَمْ يَجْسِرْ مُفْتَرٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي وَقْتِهِ ؟ أَلَيْسَتْ الشُّنَّةُ كَانَتْ بِمَكَانِهِ مَنْصُورَةً ، وَالْبِدْعَةُ لَفَرَطِ حِشْمَتِهِ مَقْهُورَةً ؟ أَلَيْسَ كَانَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ هَادِيًا عِبَادَ اللَّهِ ، شَابًا لَا صَبُوءَةَ لَهُ ، كَهَلًا لَا كِبُوءَةَ لَهُ ، شَيْخًا لَا هَفُوءَةَ لَهُ ؟ يَا أَصْحَابَ الْمُحَابِرِ ، وَطُؤُوا رِحَالَكُمْ ، قَدْ غُيِبَ مَنْ كَانَ عَلَيْهِ إِمَامُكُمْ وَيَا أَرْبَابَ الْمَنَابِرِ ، أَعْظَمَ اللَّهُ أَجُورَكُمْ ، فَقَدْ مَضَى سَيِّدُكُمْ وَإِمَامُكُمْ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : وَلَقَدْ كَانَ مِنْ أُمَّةِ الْأَثَرِ ، لَهُ مُصَنَّفٌ فِي الشُّنَّةِ وَاعْتِقَادِ السَّلَفِ ، مَا رَأَاهُ مُنْصِفٌ إِلَّا وَاعْتَرَفَ لَهُ (١) .

وَكَتَبَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ تَعْزِيَةً إِلَى صَاحِبِ حَلَبِ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢) ، ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) ، كَتَبْتُ إِلَى مَوْلَانَا الْمَلِكِ الظَّاهِرِ أَحْسَنَ اللَّهِ عَزَاءَهُ ، وَجَبَرَ مُصَابِهِ وَجَعَلَ فِيهِ الْخَلْفَ مِنَ السَّلَفِ فِي السَّاعَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَلَقَدْ زُلْزِلَ الْمُسْلِمُونَ زَلْزَالًا شَدِيدًا ، وَقَدْ حَضَرَتْ الدَّمُوعُ الْمَحَاجِرَ وَبَلَّغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَقَدْ وَدَّعْتُ أَبَاكَ وَمَخْدُومِي وَدَاعِمًا لَا تَلَاقِي بَعْدَهُ ، وَقَبَّلْتُ وَجْهَهُ عَنِّي وَعَنْكَ ، وَأَسْلَمْتُهُ إِلَى اللَّهِ وَحَدَهُ مَغْلُوبَ الْحِيلَةِ ضَعِيفَ الْقُوَّةِ رَاضِيًا عَنِ اللَّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَبِالْبَابِ مِنَ الْجُنُودِ الْمُجَنَّدَةِ وَالْأَسْلِحَةِ الْمُعَمَّدَةِ مَا لَمْ يَدْفَعِ الْبَلَاءُ وَلَا مَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ ، تَدَمَّعُ الْعَيْنُ وَيَخْشَعُ الْقَلْبُ ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي الرَّبَّ ، وَإِنَّا بِكَ يَا يُوسُفُ لَمَحْزُونُونَ .

وَلِلْعَلَمِ الشَّاتَانِي فِيهِ قَصِيدَةٌ مَطْلَعُهَا (٤) :

أَرَى النَّصْرَ مَقْرُونًا بِرَأْيَتِكَ الصَّفْرَا
فَسِرْ وَامْلِكِ الدُّنْيَا فَأَنْتَ بِهَا أَحْرَى

(١) انظر السير : (الصَّابُونِيُّ) ١٨ / ٤٠ - ٤٤ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٣٨٥ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

(٣) سورة الحج ، الآية : ١ .

(٤) انظر السير : (صلاح الدين وبنوه) ٢١ / ٢٧٨ - ٢٩١ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٦٢٣ .

٢- التَّابِينَ :

قال أبو عمرو بن العلاء : تُوْفِيَ الأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ فِي دارِ عُبَيْدِ اللهِ بنِ أَبِي غَضَنْفَرٍ ، فَلَمَّا دُلِّيَ فِي حُفْرَتِهِ ، أَقْبَلَتْ بِنْتُ لَأُوسِ السَّعْدِيِّ وَهِيَ عَلَى رَاحِلَتِهَا عَجُوزٌ ، فَوَقَّتْ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ : مَنْ المُؤَافَى بِهِ حُفْرَتِهِ لَوَقَّتِ حِمَامِهِ ؟ قِيلَ لَهَا : الأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ قَالَتْ : وَاللهِ لئنُ كُنْتُمْ سَبَقْتُمُونَا إِلَى الاستِمْتاعِ بِهِ فِي حَيَاتِهِ لَا تَسْبِقُونَا إِلَى الشَّنَاءِ عَلَيْهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ثمَّ قَالَتْ : اللهُ دَرُكٌ مِنْ مَجْرَى فِي جَنَنِ ، وَمُدْرَجٌ فِي كَفَنِ ، وَإِنَّا اللهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ نَسألُ مَنْ ابْتَلانا بِمَوْتِكَ ، وَفَجَعنا بِفَقْدِكَ أَنْ يُوسِّعَ لَكَ فِي قَبْرِكَ ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَكَ يَوْمَ حَشْرِكَ أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَوْلِياءَ اللهِ فِي بِلادِهِ هُمُ شُهُودُهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَإِنَّا لَقائِلُونَ حَقًّا ، وَمُثْنُونَ صِدْقًا ، وَهُوَ أَهْلٌ لِحُسْنِ الشَّنَاءِ ، أَمَّا وَالَّذِي كُنْتَ مِنْ أَجْلِهِ فِي عِدَّةٍ ، وَمِنَ الحَيَاةِ فِي مُدَّةٍ ، وَمِنَ المِضْمارِ إِلَى غَايَةٍ ، وَمِنَ الأَثارِ إِلَى نِهايَةٍ ، الَّذِي رَفَعَ عَمَلَكَ عِنْدَ انْقِضاءِ أَجَلِكَ ، لَقَدْ عَشْتِ مَوْدُودًا حَمِيدًا ، وَمُتَّ سَعِيدًا فَقِيدًا ، وَلَقَدْ كُنْتَ عَظِيمَ الحِلْمِ ، فَاضِلَ السَّلْمِ ، رَفِيعَ العَمادِ ، وَارِي الزُّنادِ ، مَنِيعَ الحَرِيمِ ، سَلِيمَ الأَدِيمِ ، عَظِيمَ الرِّمادِ ، قَرِيبَ البَيْتِ مِنَ النَّادِ^(١) .

مات الأحنف سنة سبع وستين^(٢) .

قال الإمام الذهبي في ترجمته أبي عثمان الصابوني : وأظنَّ عبدَ الغافرِ في وصفِهِ وأسهبَ ، إلى أن قال : وقرأتُ في كتابِ كَتَبَهُ زَيْنُ الإسلامِ مِنْ طُوسَ في التَّعْزِيَةِ لِشَيْخِ الإسلامِ : أليسَ لَمْ يَجِسِرْ مُفْتَرٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى رَسُولِ اللهِ فِي وَقْتِهِ ؟ أليسَ الشُّنَّةُ كَانَتْ بِمَكَانِهِ مَنْصُورَةً ، وَالبِدْعَةُ لَفَرَطٍ حِشْمَتِهِ مَقْهُورَةٌ ؟ أليسَ كَانَ دَاعِيًا إِلَى اللهِ هادِيًا عِبَادَ اللهِ ، شابًا لا صَبُورَةً لَهُ ، كَهَلًا لا كِبُورَةً لَهُ ، شَيْخًا لا هَفُورَةً لَهُ ؟ يا أَصْحابَ المَحابِرِ ، وَطُؤُوا رِحالَكُم ، قَدْ غُيِّبَ مَنْ كَانَ عَلَيْهِ إِلمامُكُمْ وِيا أَرْبابَ المَنابِرِ ،

(١) الخبر في « تاريخ ابن عساکر » (١٢٢٥ / ٨) ، وزاد فيه : ولقد كنت في المَحافلِ شريفًا ، وعلى الأرامِلِ عَطُوفًا ، وَمِنَ النَّاسِ قَرِيبًا وَفِيهِمْ غَرِيبًا ، وَإِنْ كُنْتَ فِيهِمْ مُسَوِّدًا ، وَإِلَى الخُلَفاءِ مُؤَفِّدًا ، وَإِنْ كَانُوا لِقَوْلِكَ لَمُسْتَمْعِينَ ، وَلِرَأْيِكَ لَمُتَّبِعِينَ ، رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ .

(٢) انظر السير : (الأحنف بن قيس) (٨٦ / ٤ - ٩٧) ، وانظر النزهة : ٢ / ٤٥٤ .

أَعْظَمَ اللهُ أَجُورَكُمْ ، فَقَدْ مَضَى سَيِّدُكُمْ وَإِمَامُكُمْ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : وَلَقَدْ كَانَ مِنْ أُمَّةِ الْأَثَرِ ، لَهُ مُصَنَّفٌ فِي السُّنَّةِ وَاعْتِقَادِ السَّلَفِ ، مَا رَأَاهُ مُنْصِفٌ إِلَّا وَاعْتَرَفَ لَهُ (١) .

٣- شِعْرٌ فِي الرَّثَاءِ :

وَلِكَثِيرٍ عِزَّةٌ يَرْتِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

عَمَّتْ صَنَائِعُهُ فَعَمَّ هَلَاكُهُ
وَالنَّاسُ مَاتَمَّهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ
يُنِنِي عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُولِهِ
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ عَلَيْهِ حَيَاتُهُ
فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَا جُورُ
فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرُ
خَيْرًا لِأَنَّكَ بِالثَّنَاءِ جَدِيرُ
فَكَأَنَّه مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ
وَكَانَ أَسْمَرَ دَقِيقَ الْوَجْهِ ، حَسَنَهُ ، نَحِيفَ الْجِسْمِ ، حَسَنَ اللَّحْيَةِ ، بَجَبَهْتَهُ شَجَّةً .
وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَنَتَيْنِ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا (٢) .

وَدِيوَانُ أَبِي تَمَّامٍ كَبِيرٌ سَائِرٌ ، وَلَمَّا مَاتَ ، رَثَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْوَزِيرُ ،

فَقَالَ :

نَبَأُ أَلَمٍ مُقْلِقِ الْأَحْشَاءِ
قَالُوا : حَبِيبٌ قَدْ تَوَى فَأَجِبْتُهُمْ
لَمَّا أَتَى مِنْ أَعْظَمِ الْأَنْبَاءِ
نَاشَدْتُمْكَ لَا تَجْعَلُوهُ الطَّائِي
مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ (٣) .

وَلِأَبِي مُحَمَّدٍ الْإِيَادِيِّ الشَّاعِرِ مَرْثِيَّةٌ طَوِيلَةٌ فِي أَبِي حَاتِمِ الرَّازِيِّ ، رَوَاهَا عَنْهُ ابْنُ

أَبِي حَاتِمٍ ، أَوْلَاهَا : (٤) .

أَنْفَسِي مَالِكٍ لَا تَجْزِعِينَا
وَعَيْنَيَّ مَالِكٍ لَا تَدْمَعِينَا

(١) انظر السير : (الصَّابُونِيُّ) ١٨/٤٠-٤٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٨٥ .

(٢) انظر السير : (عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ) ٥/١١٤-١٤٨ ، وانظر النزهة : ٣/٥٩٢ .

(٣) انظر السير : (أَبُو تَمَّامٍ) ١١/٦٣-٦٩ ، وانظر النزهة : ٣/٩٠٩ .

(٤) انظر السير : (أَبُو حَاتِمِ الرَّازِيِّ) ١٣/٢٤٧-٢٦٣ ، وانظر النزهة : ١/١٠٧٨ .

أَلَمْ تَسْمَعِي بِكُسُوفِ الْعُلُوفِ مِ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ مَحَقًّا مَدِينَا
أَلَمْ تَسْمَعِي خَبَرَ الْمُرتَضَى أَبِي حَاتِمِ أَعْلَمِ الْعَالَمِينَا

وَيَقُولُ أَبُو سَعِيدِ الْأَعْرَابِيُّ فِي رِثَاءِ ابْنِ جَرِيرٍ (١) :

حَدَّثَ مُفْطَعٌ وَخَطْبٌ جَلِيلٌ دَقَّ عَنْ مِثْلِهِ اصْطَبَارُ الصَّبُورِ
قَامَ نَاعِي الْعُلُومِ أَجْمَعَ لَمَّا قَامَ نَاعِي مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ

وَعَمِلَ بَعْضُهُمْ فِي مَوْتِ الْقَاضِي ابْنِ الْبَاقِلَانِيِّ :

انظُرْ إِلَى جَبَلِ تَمَشِي الرَّجَالِ بِهِ وانظُرْ إِلَى الْقَبْرِ مَا يَحْوِي مِنَ الصَّلْفِ
وانظُرْ إِلَى صَارِمِ الْإِسْلَامِ مُنْعَمِدًا وانظُرْ إِلَى دُرَّةِ الْإِسْلَامِ فِي الصَّدْفِ

مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعٍ مِئَةٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ حَسَنٌ وَكَانَتْ جِنَازَتُهُ مَشْهُودَةً ، وَكَانَ سَيْفًا عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ وَالْمُشَبِّهَةِ ، وَغَالِبٌ قَوَاعِدِهِ عَلَى السُّنَّةِ ، وَقَدْ أَمَرَ شَيْخُ الْحَنَابِلَةِ أَبُو الْفَضْلِ التَّمِيمِيُّ مُنَادِيًا يَقُولُ بَيْنَ يَدَيْ جِنَازَتِهِ : هَذَا نَاصِرُ السُّنَّةِ وَالِدِينِ ، وَالذَّابُّ عَنِ الشَّرِيعَةِ ، هَذَا الَّذِي صَنَّفَ أَلْفَ وَرَقَةٍ ثُمَّ كَانَ يَزُورُ قَبْرَهُ كُلَّ جُمُعَةٍ (٢) .

* * *

(١) انظر السير : (محمد بن جرير) ٢٦٧-٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٣/١١٥٤ .

(٢) انظر السير : (ابن الباقلاني) ١٧/١٩٠-١٩٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٣٥ .

الرؤى

١- من فوائد الرؤى الصالحة :

قال الإمام الذهبي في ترجمته الإمام أحمد بن حنبل : ولقد جمع ابن الجوزي فأوعى من المنامات في نحو من ثلاثين ورقة وليس أبو عبد الله ممن يحتاج تقرير ولايته إلى منامات ، ولكنها جند من جند الله ، تسر المؤمن ولا سيما إذا تواترت^(١) .

٢- متفرقات :

(أ) من كان يمتنى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ثم رآه :

عن بكار بن محمد قال : كان ابن عون قد أوصى إلى أبي وصحبه دهرأ ، فما سمعته حالفاً على يمين برة ولا فاجرة ، كان طيب الریح ، لين الكسوة ، وكان يمتنى أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فلم يره إلا قبل موته بيسير ، فسر بذلك سروراً شديداً قال : فنزل من درجته إلى المسجد فسقط فأصيبت رجله ، فلم يزل يعالجها حتى مات رحمه الله^(٢) .

(ب) رؤيا تدل على قوة الاتباع للمصطفى صلى الله عليه وسلم :

قال محمد البخاري : سمعت النجم بن الفضيل يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم كأنه يمشي ، ومحمد بن إسماعيل يمشي خلفه فكلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه وضع محمد بن إسماعيل قدمه في المكان الذي رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه^(٣) .

(١) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١٧٧/١١-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٥/٩٥١ .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن عون) ٦/٣٦٤-٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٤/٦٥٧ .

(٣) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ١٢/٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٠١٢ .

(ج) رُؤْيَا تُقِيدُ فِي قُوَّةِ الرَّجَاءِ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ :

عن إسحاق الحربيّ ، قال : حدّثني أبو حسان الزّياتيّ ، أنّه رأى ربّ العزّة في المَنَامِ : فقال : رأيتُ نوراً عظيماً لا أحسنُ أصِفُه ، ورأيتُ فيه رجلاً خيلاً إليّ أنّه النبيُّ صلى الله عليه وسلم وكأنّه يشفعُ إلى ربّه في رجلٍ من أمته ، وسمعتُ قائلاً يقولُ : ألم يكفك أنّي أنزلُ عليك في سورة الرّعدِ : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾^(١) ثم انتبّهتُ .

قال الخطيبُ : كان أبو حسان أحدَ العلّماء الأفاضل الثّقات ، وليّ قضاء الشّرقية ، وكان كريماً مفضالاً^(٢) .

(د) رُؤْيُ فِيهَا إِخْبَارٌ عَنْ أُمُورٍ سَتَخْضُلُ :

قال ابنُ أبي كاملٍ : سمعتُ خَيْمَةَ بِنَ سُلَيْمَانَ يَقُولُ : رَكِبْتُ الْبَحْرَ وَقَصَدْتُ جَبَلَةَ لِأَسْمَعَ مِنْ يُوسُفَ بْنِ بَحْرٍ ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ ، فَلَقِينَا مَرْكَبٌ - يَعْنِي لِلْعَدُوِّ - قَالَ : فَقَاتَلَنَاهُ ، ثُمَّ سَلَّمْ مَرْكَبَنَا قَوْمٌ مِنْ مَقْدَمِهِ ، قَالَ : فَأَخَذُونِي ، ثُمَّ ضَرَبُونِي ، وَكَتَبُوا أَسْمَاءَنَا ، فَقَالَ : مَا اسْمُكَ ؟ قُلْتُ : خَيْمَةَ ، فَقَالُوا : اكْتُبْ حِمَارُ بْنُ حِمَارٍ وَلَمَّا ضُرِبْتُ نِمْتُ ، فَرَأَيْتُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَعَلَى بَابِهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : يَا شَقِيٌّ ، أَيُّشِ فَاتِكَ ؟ فَقَالَتْ أُخْرَى : أَيُّشِ فَاتَهُ ؟ قَالَتْ : لَوْ قُتِلَ لَكَانَ فِي الْجَنَّةِ مَعَ الْحُورِ ، قَالَتْ لَهَا : لِأَنْ يَرِزُقَهُ اللَّهُ الشّهَادَةَ فِي عِزٍّ مِنَ الْإِسْلَامِ وَذُلٍّ مِنَ الشُّرْكِ خَيْرٌ لَهُ ثُمَّ انْتَبَهْتُ قَالَ : وَرَأَيْتُ كَأَنَّ مَنْ يَقُولُ لِي : اقْرَأْ لِي : اقْرَأْ بَرَاءَةَ فَقَرَأْتُ إِلَى ﴿ فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾^(٣) قَالَ فَعَدَدْتُ مِنْ لَيْلَةِ الرُّؤْيَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ . فَفَكَ اللَّهُ أُسْرِي .

تُوْفِّي سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ^(٤) .

(١) سورة الرعد ، الآية : ٦

(٢) انظر السير : (أبو حسان الزّياتيّ) ٤٩٦-٤٩٨ ، وانظر النزّهة : ٣/٩٦٢ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٢ .

(٤) انظر السير : (خَيْمَةَ) ٤١٢-٤١٦ ، وانظر النزّهة : ٢/١٢٤٤ .

وجاء في ترجمة أمير المؤمنين المُستَرشدِ بالله ، قال ابن النُّجَّار : أَخْبَرَنَا زَيْنُ الْأَمْنَاءِ
 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ الْإِسْكَافِيِّ إِمَامِ الْوَزِيرِ قَالَ : لَمَّا كُنَّا مَعَ الْمُسْتَرشدِ بِبَابِ هَمْدَانَ ، كَانَ
 مَعَنَا إِنْسَانٌ يُعْرَفُ بِفَارِسِ الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ يَقْرُبُ مِنْ خِدْمَةِ الْخَلِيفَةِ ، فَدَخَلَ عَلَى الْوَزِيرِ ابْنِ
 طَرَادٍ ، فَقَالَ رَأَيْتُ السَّاعَةَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَقُولُ فِي
 هَذَا الْحَيْشِ ؟ قَالَ : مَكْسُورٌ مَقْهُورٌ ، فَأُرِيدُ أَنْ تُطَالِعَ الْخَلِيفَةَ بِهَذَا ، فَقَالَ : يَا فَارِسَ
 الْإِسْلَامِ ، أَنَا أَشْرْتُ عَلَى الْخَلِيفَةِ أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْ بَغْدَادَ فَقَالَ : يَا عَلِيُّ ، أَنْتَ عَاجِزٌ رَدُّ إِلَى
 بَيْتِكَ ، فَلَا أَبْلِغُهُ هَذَا ، لَكِنْ قُلْ لِابْنِ طَلْحَةَ صَاحِبِ الْمَخْزَنِ ، فَذَهَبَ إِلَى ابْنِ طَلْحَةَ ،
 فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : لَا أَنْهِيَ إِلَيْهِ مَا يَنْطَبِرُ بِهِ ، فَكَتَبْتُ هَذَا إِلَيْهِ وَاعْرِضْهَا ، وَأَخْلَى مَوْضِعَ
 مَقْهُورٌ فَكَتَبْتُهَا ، وَجِئْتُ إِلَى الشُّرَادِقِ ، فَوَجَدْتُ نَجَا فِي الدَّهْلِيِّ ، وَقَدْ صَلَّى الْخَلِيفَةُ
 الْفَجْرَ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ مُصْحَفٌ ، وَمُقَابِلُهُ ابْنُ سُكَيْنَةَ إِمَامُهُ فَدَخَلَ نَجَا الْخَادِمُ ، فَسَلَّمَ الرُّقْعَةَ
 إِلَيْهِ ، وَأَنَا أَنْظُرُهُ ، فَقَرَأَهَا غَيْرَ مَرَّةٍ وَقَالَ مَنْ كَتَبَ هَذِهِ ؟ فَقَالَ : فَارِسُ الْإِسْلَامِ ، قَالَ :
 أَحْضِرْهُ ، فَجَاءَ فَقَبِضَ عَلَيَّ يَدَيَّ فَأَرَعِدْتُ ، وَقَبَلْتُ الْأَرْضَ ، فَقَالَ : وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ ثُمَّ
 قَرَأَ الرُّقْعَةَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قَالَ مَنْ كَتَبَ هَذِهِ ؟ قُلْتُ أَنَا ، قَالَ : وَيْلَكَ ، لِمَ أَخْلَيْتَ مَوْضِعَ
 الْكَلِمَةِ الْأُخْرَى ؟ قُلْتُ : هُوَ مَا رَأَيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : وَيْلَكَ ، هَذَا الْمَنَامُ أَرَيْتَهُ
 أَنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ، فَقُلْتُ : يَا مَوْلَانَا ، لَا يَكُونُ أَصْدَقُ مِنْ رُؤْيَاكَ ، تَرَجِعُ مِنْ حَيْثُ
 جِئْتُ ، قَالَ : وَيْلَكَ وَيُكَذِّبُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !؟ لَا وَاللَّهِ مَا بَقِيَ لَنَا رَجْعَةٌ
 وَيَقْضِي اللَّهُ مَا يَشَاءُ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي ، أَوِ الثَّلَاثِ ، وَقَعَ الْمَصَافُ وَتَمَّ مَا تَمَّ وَكُسِرَ
 وَأُسِرَ ، وَقَتِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ ^(١) .

(هـ) مَنْ بَايَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرُّؤْيَا عَلَى أَدَاءِ بَعْضِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ :

قَالَ أَبُو سَهْلٍ بْنُ زِيَادٍ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ الْأَبَّارَ يَقُولُ : بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِثْنَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ
 الْمُنْكَرِ ^(٢) .

(١) انظر السير : (المُستَرشدُ بالله) ١٩/٥٦١-٥٦٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٥١٤ .

(٢) انظر السير : (الأبَّار) ١٣/٤٤٣-٤٤٤ ، وانظر النزهة : ٣/١١٠١ .

(و) رُؤْيُ فِيهَا دِفَاعٌ عَنْ مُؤْمِنٍ صَالِحٍ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ : وَقَالَ الضَّيَاءُ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ الصَّالِحَ غَشِيمَ بْنِ نَاصِرِ الْمِصْرِيِّ قَالَ : لَمَّا مَاتَ الْحَافِظُ كُنْتُ بِمَكَّةَ ، فَلَمَّا قَدِمْتُ قُلْتُ : أَيْنَ دُفِنَ ؟ قِيلَ : شَرْقِي قَبْرِ الشَّافِعِيِّ ، فَخَرَجْتُ ، فَلَقَيْتُ رَجُلًا ، فَقُلْتُ : أَيْنَ قَبْرُ عَبْدِ الْغَنِيِّ ؟ قَالَ : لَا تَسْأَلْنِي عَنْهُ ، مَا أَنَا عَلَى مَذْهَبِهِ وَلَا أَحِبُّهُ ، فَتَرَكْتُهُ ، وَمَشَيْتُ ، وَأَتَيْتُ قَبْرَ الْحَافِظِ ، وَتَرَدَّدْتُ إِلَيْهِ ، فَأَنَا بَعْضُ الْأَيَّامِ فِي الطَّرِيقِ فَإِذَا الرَّجُلُ فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَقَالَ : أَمَا تَعْرِفُنِي ؟ أَنَا الَّذِي لَقَيْتُكَ مِنْ مُدَّةٍ وَقُلْتُ لَكَ كَذَا وَكَذَا ، مَضَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَرَأَيْتُ قَائِلًا يَقُولُ لِي : يَقُولُ لَكَ فُلَانٌ ، وَسَمَّانِي : أَيْنَ قَبْرُ عَبْدِ الْغَنِيِّ ؟ فَتَقُولُ مَا قُلْتَ !؟ وَكَرَّرَ الْقَوْلَ عَلَيَّ ، وَقَالَ : إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِكَ خَيْرًا فَأَنْتَ تَكُونُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ مَنْزِلَكَ لِأَتَيْتُكَ ^(١) .

٣- تَعْبِيرُ الرُّؤْيَا :

قَالَ ابْنُ عُمَرَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أُتَيْتُ بِقَدَحٍ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرَّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي ، ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عُمَرَ » قَالُوا : فَمَا أَوْلَتْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « الْعِلْمُ » ^(٢) .

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ ، وَمَرَّ عَلَيَّ عُمَرُ عَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْرُهُ » قَالُوا : مَا أَوْلَتْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الدِّينُ » ^(٣) .

قَالَ حَمِيدٌ : قَالَ صِلَةُ : رَأَيْتُ كَأَنِّي أَرَى أَبَا رِفَاعَةَ الْعَدَوِيِّ عَلَى نَاقَةٍ سَرِيعَةٍ ، وَأَنَا عَلَى جَمَلٍ قَطُوفٍ ، فَأَنَا عَلَى أَثَرِهِ ، فَأَوْلْتُ أَنِّي عَلَى طَرِيقِهِ وَأَنَا أَكُذُّ الْعَمَلَ بَعْدَهُ كَذًّا ^(٤) .

(١) انظر السير : (عبد الغني) ٢١/٤٤٣-٤٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٦٥٣ .

(٢) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ٨/٤٥ .

(٣) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ١/٤٦ .

(٤) انظر السير : (أبو رفاعة العدوي) ٣/١٤-١٥ ، وانظر النزهة : ٢/٣٢١ .

وَرَوَى سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى رُؤْيَا ، فَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنْتُ غُلَامًا عَزْبًا شَابًا فَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَرَأَيْتُ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَتَيَانِي ، فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ ، وَلَهَا قُرُونٌ كَقُرُونِ الْبِئْرِ ، فَرَأَيْتُ فِيهَا نَاسًا قَدْ عَرَفْتُهُمْ ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ ، فَلَقِينَا مَلَكًا فَقَالَ : لَنْ تُرَاعَ فذَكَرْتُهَا لِحَفْصَةَ ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ » قَالَ : فَكَانَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا الْقَلِيلَ ^(١) .

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ مِنْ أَعْبَرِ النَّاسِ لِلرُّؤْيَا ، أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ، وَأَخَذَتْهُ أَسْمَاءُ عَنْ أَبِيهَا ، ثُمَّ سَأَلَ الْوَاقِدِيُّ عِدَّةَ مَنَامَاتٍ وَمِنْهَا :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ يَعْقُوبَ ، عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مُسَافِعَ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ قُلَيْعٍ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ يَوْمًا ، وَقَدْ ضَاقَتْ بِي الْأَشْيَاءُ ، وَرَهَقَنِي دَيْنٌ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : رَأَيْتُ كَأَنِّي أَخَذْتُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَأَضْجَعْتُهُ إِلَى الْأَرْضِ ، وَبَطَحْتُهُ فَأَوْتَدْتُ فِي ظَهْرِهِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ قَالَ : مَا أَنْتَ رَأَيْتَهَا قَالَ : بَلَى قَالَ : لَا أُخْبِرُكَ أَوْ تُخْبِرْنِي قَالَ : ابْنُ الرَّبِيعِ رَأَاهَا ، وَهُوَ بَعَثَنِي إِلَيْكَ قَالَ : لَنْ صَدَقْتُ رُؤْيَاهُ قَتَلَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَخَرَجَ مِنْ صُلْبِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ يَكُونُ خَلِيفَةً قَالَ : فَرَحَلْتُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِالشَّامِ فَأُخْبِرْتُهُ ، فَسَرَّ ، وَسَأَلَنِي عَنْ سَعِيدٍ وَعَنْ حَالِهِ فَأُخْبِرْتُهُ وَأَمَرَ بِقَضَاءِ دَيْنِي وَأَصَبْتُ مِنْهُ خَيْرًا .

وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذُنَبٍ ، عَنْ مُسْلِمِ الْحَنَاطِ ، قَالَ رَجُلٌ لَابِنِ الْمُسَيَّبِ : رَأَيْتُ أَنِّي أَبُولُ فِي يَدِي ، فَقَالَ : اتَّقِ اللَّهَ ، فَإِنَّ تَحْتَكَ ذَاتَ مَحْرَمٍ ، فَتَنْظَرُ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ بَيْنَهُمَا رِضَاعٌ .

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ حَمَامَةً وَقَعَتْ عَلَى الْمَنَارَةِ ، فَقَالَ : يَتَزَوَّجُ الْحَجَّاجُ ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ .

(١) انظر السير : (عبد الله بن عمر) ٣/٢٠٣-٢٣٩ ، وانظر النزاهة : ٦/٣٦٦ .

وبه عن ابن المُسيَّبِ قالَ : الكَبَلُ في النّومِ نَبَاتٌ في الدِّينِ .

وقيلَ له : يا أبا مُحَمَّدٍ ، رأيتُ كأني في الظِّلِّ ، فقمْتُ إلى الشَّمْسِ فقالَ : إنَّ صدقتُ رؤيَاكَ ، لتُخْرِجَنَّ من الإسلامِ قالَ : يا أبا مُحَمَّدٍ ، إنِّي أراني أُخْرِجْتُ حتَّى أُدخِلْتُ في الشَّمْسِ ، فجلستُ قالَ : تَكَرَّهُ على الكُفْرِ قالَ : فأَسِرَ وأُكْرِهَ على الكُفْرِ ، ثم رَجَعَ ، فكانَ يُخْبِرُ بهذا بالمَدِينَةِ .

وحدَّثنا عبدُ الله بنُ جَعْفَرٍ عن عُبَيْدِ اللهِ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ السَّائِبِ ، قالَ رَجُلٌ لابنِ المُسيَّبِ : إنَّه رأى كأنَّه يَحُوضُ النَّارَ قالَ : لا تَمُوتُ حتَّى تَرَكَبَ البَحْرَ ، وتموتَ قَتِيلاً فَرَكَبَ البَحْرَ ، وأشفى على الهَلَكَةِ ، وقتلَ يَوْمَ قُدَيْدٍ (١) .

روى هَذَا الفَصْلَ ابنُ سَعْدٍ في « الطَّبَقَاتِ » عن الواقديِّ .

وعن عِمْرَانَ بنِ عبدِ اللهِ ، قالَ : رأى الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ كأنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ (٢) فَاسْتَبَشَرَ بِهِ ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، فَقَصَّوْهَا عَلَى سَعِيدِ بنِ المُسيَّبِ ، فقالَ : إنَّ صدقتُ رؤيَاهُ فقلِّمًا بَقِيَ من أَجَلِهِ ، فماتَ بعدَ أَيَّامٍ (٣) .

وعن خَارِجَةَ بنِ زَيْدِ بنِ ثَابِتٍ ، قالَ : رأيتُ في المَنَامِ كأني بَنَيْتُ سَبْعِينَ دَرَجَةً ، فلَمَّا فَرَعْتُ منها ، تَهَوَّرَتْ : هَذِهِ السَّنَةُ لِي سَبْعُونَ سَنَةً قَدْ أَكْمَلْتُهَا فماتَ عَنهَا (٤) .

وقالَ مَعْمَرٌ : جاءَ رَجُلٌ إلى ابنِ سِيرِينَ فقالَ : رأيتُ كأنَّ حَمَامَةَ التَّقَمَّتْ لُولُؤَةً ، فخرَجَتْ منها أعظَمُ ما كانتَ ، ورأيتُ حَمَامَةَ أُخْرَى التَّقَمَّتْ لُولُؤَةً ، فخرَجَتْ أصغرَ ممَّا دَخَلَتْ ، ورأيتُ أُخْرَى التَّقَمَّتْ لُولُؤَةً ، فخرَجَتْ كما دَخَلَتْ . فقالَ ابنُ سِيرِينَ : أمَّا الأولى فذاك الحَسَنُ ، يَسْمَعُ الحديثَ فيُجَوِّدُهُ بِمَنْطِقِهِ وَيَصِلُ فِيهِ من مَواعِظِهِ وأمَّا التي

(١) قُدَيْدٌ : موضع بين مكة والمدينة ، فيه كانت الواقعة سنة ثلاثين ومئة بين أهل المدينة وبين أبي حمزة الخارجي فقتل منهم مقتلة عظيمة .

(٢) سورة الإخلاص ، الآية : ١

(٣) انظر السير : (سَعِيدُ بنُ المُسيَّبِ) ٤/٢١٧-٢٤٦ ، وانظر النزهة : ٤٨٦-٤٨٧ .

(٤) انظر السير : (خَارِجَةُ بنُ زَيْدٍ) ٤/٤٣٧-٤٤١ ، وانظر النزهة : ٥/٥٢٩ .

صَغُرَتْ فَأَنَا ، أَسْمَعُ الْحَدِيثَ فَأَسْقِطُ مِنْهُ ، وَأَمَّا الَّتِي خَرَجَتْ كَمَا دَخَلَتْ فَتَقَادَةَ ، فَهُوَ أَحْفَظُ النَّاسِ (١) .

وعن عبد الله بن مسلم المروزي ، قال : كُنْتُ أَجَالِسُ ابْنَ سِيرِينَ ، فَتَرَكْتُهُ وَجَالَسْتُ الْإِبَاضِيَّةَ ، فَرَأَيْتُ كَأَنِّي مَعَ قَوْمٍ يَحْمِلُونَ جِنَازَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَيْتُ ابْنَ سِيرِينَ فَذَكَرْتُ لَهُ ، فَقَالَ : مَا لَكَ جَالَسْتَ أَقْوَاماً يُرِيدُونَ أَنْ يَدْفِنُوا مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) .

وعن هشام بن حسان ، قال : قَصَّ رَجُلٌ عَلَيَّ ابْنَ سِيرِينَ فَقَالَ : رَأَيْتُكَ كَأَنَّ بِيَدِي قَدْحًا مِنْ زُجَاجٍ فِيهِ مَاءٌ ، فَاثْبَتْتَهُ وَبَقِيَ الْمَاءُ فَقَالَ لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّكَ لَمْ تَرَ شَيْئًا ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ قَالَ ابْنُ سِيرِينَ : فَمَنْ كَذَبَ فَمَا عَلَيَّ ، سَتَلِدُ امْرَأَتَكَ وَتَمُوتُ ، وَيَبْتَعِي وَلَدَهَا فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلُ قَالَ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا فَمَا لَبِثَ أَنْ وُلِدَ لَهُ وَمَاتَ امْرَأَتُهُ (٣) .

قال : وَدَخَلَ آخِرُ فَقَالَ : رَأَيْتُكَ كَأَنِّي وَجَارِيَةٌ سَوْدَاءُ نَأْكُلُ فِي قَصْعَةِ سَمَكَةٍ ، قَالَ : أَتَهَيَّئُ لِي طَعَامًا وَتَدْعُونِي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَفَعَلْ ، فَلَمَّا وُضِعَتِ الْمَائِدَةُ ، إِذَا جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَ لَهُ ابْنُ سِيرِينَ : هَلْ أَصَبْتَ هَذِهِ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَادْخُلِي بِهَا الْمَخْدَعِ ، فَدَخَلَ ، وَصَاحَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، رَجُلٌ وَاللَّهِ ، فَقَالَ : هَذَا الَّذِي شَارَكَكَ فِي أَهْلِكَ (٤) .

عن مُغِيرَةَ بْنِ حَفْصٍ ، قَالَ : سُئِلَ ابْنُ سِيرِينَ ، فَقَالَ : رَأَيْتُكَ كَأَنَّ الْجُوزَاءَ تَقَدَّمَتِ الثُّرَيَّا قَالَ : هَذَا الْحَسَنُ يَمُوتُ قَبْلِي ثُمَّ أَتْبَعُهُ ، وَهُوَ أَرْفَعُ مِنِّي (٥) .

قال الإمام الذهبي : قد جاء عن ابن سيرين في التعبير عجائب يطول الكتاب بذكرها ، وكان له في ذلك تأييد إلهي (٦) .

- (١) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٦٠٦/٤ - ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٩/٥٦٩ .
- (٢) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٦٠٦/٤ - ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ١٠/٥٦٩ .
- (٣) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٦٠٦/٤ - ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ١/٥٧٠ .
- (٤) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٦٠٦/٤ - ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٢/٥٧٠ .
- (٥) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٦٠٦/٤ - ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٣/٥٧٠ .
- (٦) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٦٠٦/٤ - ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٤/٥٧٠ .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة عبد الرحمن بن القاسم : وعن سُحْنُونَ قَالَ : لَمَّا حَجَجْنَا كُنْتُ أَزَامِلُ ابْنَ وَهْبٍ ، وَكَانَ أَشْهَبُ يُزَامِلُهُ يَتِيمُهُ ، وَكَانَ ابْنُ الْقَاسِمِ يُزَامِلُهُ ابْنَهُ مُوسَى ، وَنَزَلْنَا بِمَسْجِدٍ بَعْضِ مَدَائِنِ الْحِجَازِ ، فَنِمْنَا ، فَانْتَبَهَ ابْنُ الْقَاسِمِ مَذْعُورًا ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، رَأَيْتَ السَّاعَةَ كَأَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَيْنَا مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ ، وَمَعَهُ طَبَقٌ مُغَطَّى وَفِيهِ رَأْسُ خِنْزِيرٍ أَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرَهَا فَمَا لَبِثْنَا حَتَّى أَقْبَلَ رَجُلٌ مَعَهُ طَبَقٌ مُغَطَّى بِمَنْدِيلٍ ، وَفِيهِ رُطْبٌ مِنْ تَمْرٍ تِلْكَ الْقَرْيَةِ ، فَجَعَلَهُ بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ الْقَاسِمِ ، وَقَالَ : كُلْ ، قَالَ : مَا إِلَيَّ ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ فَقَالَ لِي ابْنُ الْقَاسِمِ : هَذَا تَأْوِيلُ الرُّؤْيَا وَكَانَ يُقَالُ : إِنَّ تِلْكَ الْقَرْيَةَ أَكْثَرُهَا وَقْفٌ غُصِبَتْ .

قال الحارث بن مسكين : كان ابن القاسم في الورع والزهد شيئاً عجيباً .
 وُلِدَ ابْنُ الْقَاسِمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِئَةً ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمِئَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَاشَ تِسْعًا وَخَمْسِينَ سَنَةً^(١) .

وقال أبو قدامة السرخسي : سمعتُ علياً ابنَ المديني يقولُ : رأيتُ كأنَّ الثريا تَدَلَّتْ حَتَّى تَنَاوَلَتْهَا .

قال أبو قدامة : صدق الله رؤياه ، بلغ في الحديث مبلغاً لم يبلغه أحدٌ .
 قال إبراهيم بن معقل : سمعتُ البخاريَّ ، يقولُ : ما استصغرتُ نفسي عند أحدٍ إلا عندَ عليِّ بنِ المديني^(٢) .

قال الإمام الذهبي في ترجمة الحبيث : رُئِيَ أَبُوهُ أَنَّهُ بَالَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَوْلَةً أَحْرَقَتْ نِصْفَ الدُّنْيَا .

وكانت أمُّ الحبيث تقولُ : لم يدعُ ابني أحداً عنده علمٌ بالرأي حتى خالطهم ، ثم خرجَ إلى خراسان ، فغابَ عني سنتين ، وجاءَ ثم غابَ عني غيبته التي خرجَ فيها ، فوردَ عليَّ كتابه من البصرة ، وبعثَ إليَّ بمالٍ ، فلم أقبله ، لما صحَّ عندي من سفكه للدماء ، وخرابه للمدُن .

(١) انظر السير : (عبد الرحمن بن القاسم) ١٢٠-١٢٥/٩ ، وانظر النزهة : ١/٨٠٦ .

(٢) انظر السير : (علي بن المديني) ٤١/١١-٦٠ ، وانظر النزهة : ٤/٩٠٧ .

قال الذهبي: وكان أبوه داهيةً شيطاناً كولدِه فقال عليٌّ: مَرَضْتُ وأنا غُلامٌ ،
فجلسَ أبي يَعودُني ، وقال لأُمِّي : ما خَبَرُه ؟ قالت : يَموتُ قال : فإذا مات ، مَنْ
يُخربُ البَصْرَةَ ؟ قال : فبقيَ ذاكُ في قلبي (١) .

وقال أبو عليّ بنُ خَيرانَ : سَمِعْتُ أبا العَبَّاسِ بنَ سُرَيْجٍ يَقولُ : رَأَيْتُ كَأَنَّمَا مُطِرْنَا
كِبْرِيئاً أَحْمَرَ ، فَمَلَأْتُ أَكْمامِي وَحِجْرِي ، فَعَبَّرَ لِي : أَنْ أَرْزَقَ عِلْماً عَزِيزاً كَعِزَّةِ
الكِبريتِ الأَحْمَرِ (٢) .

وحَكَى أبو بَشرِ القَطَّانُ قالَ : رَأى جارا لابنِ خُزَيْمَةَ - من أَهلِ العِلْمِ كانَ لَوْحاً عليه
صُورَةُ نَبِيِّنا صَلَّى اللهُ عليه وسلم وابنُ خُزَيْمَةَ يَصُقُّلهُ فقالَ المُعَبَّرُ : هَذَا رَجُلٌ يُحِبِّي سُنَّةَ
رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم (٣) .

وقال أبو العَبَّاسِ بنُ حَمْدانَ شَيْخُ خوارِزْمَ : سَمِعْتُ السَّرَّاجَ يَقولُ : رَأَيْتُ فِي
الْمَنامِ كَأَنِّي أَزْقِي فِي سُلْمٍ طَوِيلٍ ، فَصَعَدْتُ تَسْعاً وَتَسْعِينَ دَرَجَةً فَكُلُّ مَنْ أَقْصَاهَا عَلَيْهِ
يَقولُ : تَعِيشُ تَسْعاً وَتَسْعِينَ سَنَةً قالَ ابنُ حَمْدانَ فَكانَ كَذَلِكَ .

قالَ الإمامُ الذَهَبِيُّ مُعَقَّباً : بَلَغَ سَبْعاً أَوْ خَمْساً وَتَسْعِينَ سَنَةً ، فَقَدَ قالَ
أبو إِسحاقَ المُزَكِّيَ عنه : وُلِدْتُ سَنَةَ ثَمانيَ عَشْرَةَ وَمِثْنينِ ، وَخَتَمْتُ عَن رَسولِ اللهِ
صَلَّى اللهُ عليه وسلم اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ خَتَمَةً ، وَضَحَّيْتُ عَنْهُ اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ أَضْحِيَّةً .

وقالَ الإمامُ الذَهَبِيُّ : دَليلُهُ حَدِيثُ شَرِيكٍ ، عَن أَبِي الحَسَنِ ، عَن الحَكَمِ ، عَن
حَنَسِ قالَ : رَأَيْتُ عَلِيّاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُضَحِّي بِكَبْشَيْنِ ، فَقُلْتُ لَهُ : ما هَذَا ؟ قالَ :
« أَوْصَانِي رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم أَنْ أَضَحِّيَ عَنْهُ » (٤) ، زَادَ التَّرْمِذِيُّ : واحِدٌ

(١) انظر السير : (الخبيث) ١٣/١٢٩-١٣٦ ، وانظر النزهة : ١/١٠٦٤ .

(٢) انظر السير : (ابن سُرَيْج) ١٤/٢٠١-٢٠٤ ، وانظر النزهة : ١/١١٤٣ .

(٣) انظر السير : (ابن خُزَيْمَةَ) ١٤/٣٦٥-٣٨٢ ، وانظر النزهة : ٤/١١٦١ .

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو داوُدَ (٢٧٩٠) وَالتَّرْمِذِيُّ (١٤٩٥) كِلاهُما فِي الأَصْاحِي : باب الأَضْحِيَّةِ عَن المَيْتِ ،
وَاحْمَدُ (١٠٧/١) ، (١٤٩) ، (١٥٠) ، وَشَرِيكُ : هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ النَّخَعِيِّ ، سَيِّءُ الحِفظِ
وَأَبُو الحَسَنِ : مَجْهولٌ ، وَحَنَسٌ : هُوَ ابْنُ المُعْتَمِرِ ، مُخْتَلَفٌ فِيهِ .

عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَوَاحِدٌ عَنْ نَفْسِهِ (١) .

قَالَ ابْنُ خَلَّكَانَ : أَخْبَرَنِي عَالِمٌ أَنَّ الْعَاضِدَ رَأَى فِي نَوْمِهِ كَأَنَّ عَقْرَبًا خَرَجَتْ إِلَيْهِ مِنْ مَسْجِدٍ عُرِفَ بِهَا فَلَدَغَتْهُ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ طَلَبَ مُعَبَّرًا ، فَقَالَ : يَنَالُكَ مَكْرُوهٌ مِنْ رَجُلٍ مُقِيمٍ بِالْمَسْجِدِ ، فَسَأَلَ عَنِ الْمَسْجِدِ ، وَقَالَ لِلْوَالِيِّ عَنْهُ ، فَأْتَنِي بِفَقِيرٍ ، فَسَأَلَهُ مِنْ أَيْنَ هُوَ ؟ وَفِيمَ قَدِمَ ، فَرَأَى مِنْهُ صِدْقًا وَدِينًا فَقَالَ : ادْعُ لَنَا يَا شَيْخُ ، وَخَلِّ سَبِيلَهُ ، وَرَجِعْ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا غَلَبَ صَلَاحُ الدِّينِ عَلَى مِضْرَ ، عَزَمَ عَلَى خَلْعِ الْعَاضِدِ ، فَقَالَ ابْنُ خَلَّكَانَ : اسْتَفْتَى الْفُقَهَاءَ ، فَأَفْتُوا بِجَوَازِ خَلْعِهِ لَمَّا هُوَ مِنْ انْحِلَالِ الْعَقِيدَةِ وَالِاسْتِهْتَارِ ، فَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مُبَالِغَةً فِي الْفُتْيَا ذَاكَ ، وَهُوَ الشَّيْخُ نَجْمُ الدِّينِ الْخُبُوشَانِيُّ ، فَإِنَّهُ عَدَّدَ مَسَاوِيءَ هَؤُلَاءِ ، وَسَلَبَ عَنْهُمْ الْإِيمَانَ (٢) .

وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ يُوْحَنَ الْبَاوْرِي : كُنْتُ فِي مَدِينَةِ الْخَانَ (٣) فَسَأَلَنِي سَائِلٌ عَنْ رُؤْيَا ، فَقَالَ : رَأَيْتُ كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوْفِّيَ ، فَقَالَ : إِنْ صَدَقْتَ رُؤْيَاكَ ، يَمُوتُ إِمَامٌ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي زَمَانِهِ ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا الْمَنَامِ رُئِيَ حَالَ وِفَاةِ الشَّافِعِيِّ وَالثَّوْرِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، قَالَ : فَمَا أَمْسَيْنَا حَتَّى جَاءَنَا الْخَبْرُ بِوِفَاةِ الْحَافِظِ أَبِي مُوسَى الْمَدِينِيِّ (٤) .

٤- رُؤْيَى فِيهَا تَوْجِيهِ :

عَنْ حُسَيْنِ بْنِ خَارِجَةَ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ : لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أُشْكِلَتْ عَلَيَّ الْفِتْنَةُ ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ أَرِنِي مِنَ الْحَقِّ أَمْرًا أَتَمَّسُكَ بِهِ ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ بَيْنَهُمَا حَائِطٌ ، فَهَبَّطْتُ الْحَائِطَ ، فإِذَا بَنَفَرٌ ، فَقَالُوا : نَحْنُ الْمَلَائِكَةُ ، قُلْتُ : فَأَيْنَ الشُّهَدَاءُ ؟ قَالُوا : أَصْعَدَ الدَّرَجَاتِ ، فَصَعَدْتُ دَرَجَةً ثُمَّ أُخْرِي ، فإِذَا مُحَمَّدٌ وَإِبْرَاهِيمُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا ، وَإِذَا مُحَمَّدٌ يَقُولُ لِإِبْرَاهِيمَ : اسْتَغْفِرْ لِأُمَّتِي ، قَالَ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي

(١) انظر السير : (السَّراج) ١٤/٣٨٨-٣٩٨ ، وانظر النزهة : ٢/١١٦٣ .

(٢) انظر السير : (العاضد) ١٥/٢٠٧-٢١٥ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٢٠ .

(٣) الْخَانَ : موضع بأصبهان .

(٤) انظر السير : (أبو موسى المديني) ٢١/١٥٢-١٥٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٠٤ .

ما أخذثوا بعدك ، إنهم أهرقوا دماءهم ، وقتلوا إمامهم ، ألا فعلوا كما فعل خليلي سعد؟ (يعني ابن أبي وقاص) .

قال : قلت : لقد رأيت رؤيا ، فأتيت سعداً فقصصتها عليه ، فما أكثر فرحاً ، وقال رضي الله عنه : قد خاب من لم يكن إبراهيم عليه السلام خليله ، قلت : مع أي الطائفين أنت ؟ قال رضي الله عنه : ما أنا مع واحد منهما ، قلت : فما تأمرني ؟ قال : هل لك من غم ؟ قلت : لا ، قال : فاشتر غنماً ، فكن فيها حتى تتجلي^(١) .

قال الإمام الذهبي في ترجمته ثابت بن قيس : ولما استشهد رآه رجلاً : فقال : إنني لما قتلت ، انتزع دزعي رجلاً من المسلمين ، وخبأه ، فأكب عليه برمة ، وجعل عليها رحلاً ، فات الأمير ، فأخبره ، وإياك أن تقول : هذا حلم ، فتضيعة ، وإذا أتيت المدينة ، فقل لـخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن علي من الدين كذا وكذا ، وغلami فلان عتيق ، وإياك أن تقول : هذا حلم ، فتضيعة ، فاتاه ، فأخبره الخبر ، فنقد وصيته ، فلا نعلم أحداً بعد ما مات أنفذت وصيته غير ثابت بن قيس رضي الله عنه^(٢) .

عن العلاء بن زياد قال : رأيت الناس في النوم ، يتبعون شيئاً فتبعته ، فإذا عجوز كبيرة هتماء عوراء ، عليها من كل حلية وزينة فقلت : ما أنت ؟ قالت : أنا الدنيا قلت : أسأل الله أن يبعثك إلي ، قالت : نعم ، إن أبغضت الدرهم^(٣) .

وقال جعفر بن سليمان الضبي : حدثنا هشام بن زياد أخو العلاء ، أن العلاء كان يُحبي ليلة الجمعة ، فنام ليلة جمعة ، فاتاه من أخذ بناصيته ، فقال : قم يا ابن زياد ، فاذكر الله يذكرك فقام ، فما زالت تلك الشعرات التي أخذها منه قائمة حتى مات .
توفي في آخره ولاية الحجاج سنة أربع وتسعين^(٤) .

(١) انظر السير : (سعد بن أبي وقاص) ١/٩٢-١٢٤ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٦ .

(٢) انظر السير : (ثابت بن قيس) ١/٣٠٨-٣١٤ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٨ .

(٣) انظر السير : (العلاء بن زياد) ٤/٢٠٢-٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٣/٤٧٨ .

(٤) انظر السير : (العلاء بن زياد) ٤/٢٠٢-٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٤/٤٧٨ .

قال أبو صالح كاتب الليث : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ أَنَّ رَجُلَيْنِ تَأَخَّيَا فَتَعَاهَدَا : إِنَّ مَاتَ أَحَدُهُمَا قَبْلَ الْآخَرِ أَنْ يُخْبِرَهُ مَا وَجَدَ ، فَمَاتَ أَحَدُهُمَا ، فَرَأَاهُ الْآخَرُ فِي النَّوْمِ ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ؟ قَالَ : ذَلِكَ مَلَكٌ فِي الْجَنَّةِ لَا يُعْصَى ، قَالَ : فابن سيرين ؟ قَالَ : ذَلِكَ فِيمَا شَاءَ اشْتَهَى ، شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا ، قَالَ : فبأي شيء أدرك الحسن ؟ قَالَ : بِشِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ (١) .

وكان الحكم بن حجل ، صديقاً لابن سيرين ، فحزن على ابن سيرين حتى كان يُعاد ، ثم قال : رأيته في المنام في حال كذا وكذا ، فسألته لِمَا سَرَّنِي : ما فعل الحسن ؟ قال : رُفِعَ فَوْقِي سَبْعِينَ دَرَجَةً ، قُلْتُ : بَمَ ؟ فَقَدْ كُنَّا نَرَى أَنَّكَ فَوْقَهُ قَالَ : بِطُولِ الْحُزْنِ .

وقد كان الأوزاعي أشار عليه يحيى بن أبي كثير ، أن يرتحل إلى البصرة للقي محمد بن سيرين ، فأتى فوجده في مرض الموت ، فعاده ولم يسمع منه ، رحمه الله تعالى ، وبلغني أن اسم أمه صفيّة ، مولاة لأبي بكر الصديق (٢) .

قال الإمام الذهبي في ترجمة منصور بن المعتبر : وحكاية أبي بكر الباغندي الحافظ مشهورة ، سمعناها في معجم الغساني ، أنه كان ينتخب على شيخ ، فكان يقول له : كم تضجرني ؟ أنت أكثر حديثاً مني وأحفظ ، فقال : إنني قد جئت إلى الحديث ، بحسبك أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فلم أسأله الدعاء ، وإنما قلت : يا رسول الله أيما أثبت في الحديث منصور أو الأعمش فقال : منصور (٣) .

وعن محمد بن فضال ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال : زوروا ابن عون فإنه يحب الله ورسوله أو إن الله يحبّه ورسوله (٤) .

-
- (١) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٦٠٦/٤-٦٢٢ ، وانظر النزاهة : ٣/٥٧١ .
(٢) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٦٠٦/٤-٦٢٢ ، وانظر النزاهة : ٤/٥٧١ .
(٣) انظر السير : (منصور بن المعتبر) ٤٠٢/٥-٤١٢ ، وانظر النزاهة : ١/٦١٨ .
(٤) انظر السير : (عبد الله بن عون) ٣٦٤/٦-٣٧٥ ، وانظر النزاهة : ٣/٦٥٨ .

وقال الحَكَمُ بْنُ مُوسَى : حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ : مَا كُنْتُ أَحْرِصُ عَلَى السَّمَاعِ مِنَ الْأَوْزَاعِيِّ حَتَّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ وَالْأَوْزَاعِيُّ إِلَى جَنْبِهِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَمَّنْ أَحْمِلُ الْعِلْمَ؟ قَالَ : عَنْ هَذَا وَأَشَارَ إِلَى الْأَوْزَاعِيِّ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : كَانَ الْأَوْزَاعِيُّ كَبِيرَ الشَّانِ (١) .

قَالَ ابْنُ السَّمَّاکِ : رَأَيْتُ مِسْعَرًا فِي النَّوْمِ ، فَقُلْتُ : أَيُّ الْعَمَلِ وَجَدْتَ أَنْفَعَ؟ قَالَ : ذَكَرَ اللَّهُ ، تُوَفِّي سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَةً (٢) .

وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ الْقُدُّوسِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَبْحَابِيِّ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : لَمَّا مَاتَ شُعْبَةَ أُرَيْتُهُ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ مِسْعَرَ ، وَعَلَيْهِمَا قَمِيصَا نُورٍ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا بَسْطَامِ! مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ : غَفَرَ لِي قُلْتُ : بِمَاذَا؟ قَالَ : بِصِدْقِي فِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ ، وَنَشْرِي لَهُ ، وَأَدَائِي الْأَمَانَةَ فِيهِ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ (٣) :

لَهَا أَلْفُ بَابٍ مِنْ لُجَيْنٍ وَجَوْهَرٍ	حَبَانِي إِلَهِي فِي الْجِنَانِ بِقُبَّةِ
مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيذِ وَالنَّاجِ أَزْهَرِ	شَرَابِي رَحِيقٌ فِي الْجِنَانِ وَحَلِيَّتِي
بِقَصْرِ عَقِيْقَتِي تُرْبَةُ الْقَصْرِ عَنَبْرُ	وَنَقْلِي (٤) لِثَامُ الْحُورِ وَاللَّهُ خَصَّنِي
تَبَحَّرَ فِي جَمْعِ الْعُلُومِ فَأَكْثَرَ	وَقَالَ لِي الرَّحْمَنُ يَا شُعْبَةُ الَّذِي
وَعَنْ عَيْدِي الْقَوَامِ بِاللَّيْلِ مِسْعَرَ	تَنْعَمَ بِقُرْبِي إِنَّنِي عَنْكَ رَاضِي
فَأَكْشِفُ حُجْبِي ثُمَّ أَدْنِيهِ يَنْظُرُ (٥)	كَفَى مِسْعَرًا عِزًّا بِأَنْ سَيَزُورُنِي

وقَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ : مَا كَانَ مِنْ نَبِيِّ أَنْ أُحَدِّثَ ، حَتَّى قَالَ لِي أُيُوبُ السَّخْتِيَانِيُّ فِي النَّوْمِ : حَدَّثَ (٦) .

(١) انظر السير : (الأوزاعي) ١٠٧/٧-١٣٤ ، وانظر النزهة : ١/٦٨٣ .

(٢) انظر السير : (مسعر) ١٦٣/٧-١٧٣ ، وانظر النزهة : ٢/٦٩٠ .

(٣) انظر السير : (شعبة) ٢٠٢/٧-٢٢٨ ، وانظر النزهة : ٢/٦٩٤ .

(٤) النقل : ما يُتَنَقَّلُ بِهِ مِثْلُ الْفَسْتَقِ وَمَا إِلَيْهِمَا عَلَى الشَّرَابِ .

(٥) فِي الْقَصِيْدَةِ إِقْوَاءٌ ظَاهِرٌ ، وَضُرُورَةٌ فِي قَوْلِهِ : « رَاضِي » .

(٦) انظر السير : (حماد بن سلمة) ٤٤٤/٧-٤٥٦ ، وانظر النزهة : ٨/٧١٥ .

وقال محمد بن رُمح : رأيتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقلتُ : يا رَسُولَ اللهِ ،
إِنَّ مَالِكاً وَاللَيْثَ يَخْتَلِفَانِ ، فبأيُّهُمَا أَخَذُ ؟ قَالَ : مَالِكٌ ، مَالِكٌ^(١) .

قال نصر بن عليّ الجهضمي : رأيتُ يزيد بن زريع في المنام ، فقلتُ : ما فعلَ اللهُ
بك ؟ قال أدخلتُ الجنةَ قلتُ : بماذا ؟ قال : بكثرةِ الصَّلَاةِ .

مولده في سنة إحدى ومئة ، ومات في سنة اثنتين وثمانين ومئة .
وكان من أروع أهل زمانه^(٢) .

قال محمد بن الفضيل بن عياض : رأيتُ ابنَ المُبارك في النوم ، فقلتُ : أيُّ
العملِ أفضل ؟ قال : الأمرُ الذي كنتُ فيه قلتُ : الرِّبَاطُ والجِهَادُ ؟ قال : نعم قلتُ :
فما صنعَ بك ربُّك ؟ قال : غفرَ لي مغفرةً ما بعدها مغفرةٌ رواها رجلان عن محمد^(٣) .

وعن نوفل قال : رأيتُ ابنَ المُبارك في النوم ، فقلتُ : ما فعلَ اللهُ بك ؟ قال :
غفرَ لي برحمتي في الحديثِ عليك بالقرآنِ عليك بالقرآنِ .
مات سنة إحدى وثمانين ومئة^(٤) .

عن عليّ بن معبد قال : رأيتُ ابنَ القاسم في النوم فقلتُ : كيفَ وجدتَ المسائلَ ؟
فقال : أفُّ أفُّ قلتُ : فما أحسنُ ما وجدتَ ؟ قال : الرِّبَاطُ بالثَّغْرِ قال : ورأيتُ ابنَ
وهبٍ أحسنَ حالاً منه^(٥) .

وعن سُخْنُونُ قَالَ : لَمَّا حَجَجْنَا كُنْتُ أَرَامِلُ ابْنِ وَهْبٍ ، وَكَانَ أَشْهَبُ يُزَامِلُهُ يَتِيمُهُ ،
وَكَانَ ابْنُ الْقَاسِمِ يُزَامِلُهُ ابْنُهُ مُوسَى ، وَنَزَلْنَا بِمَسْجِدِ بَعْضِ مَدَائِنِ الْحِجَازِ ، فَنَمْنَا ،
فَانْتَبَهَ ابْنُ الْقَاسِمِ مَذْعُوراً ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، رَأَيْتُ السَّاعَةَ كَأَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَيْنَا
مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ ، وَمَعَهُ طَبَقٌ مُغَطَّى وَفِيهِ رَأْسُ خَنْزِيرٍ أَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرَهَا فَمَا لَبِثْنَا

-
- (١) انظر السير : (مالك الإمام) ٤٨/٨ - ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٦/٧٢٩ .
 - (٢) انظر السير : (يزيد بن زريع) ٢٩٦-٢٩٩ ، وانظر النزهة : ٥/٧٥٩ .
 - (٣) انظر السير : (عبد الله بن المُبارك) ٣٧٨ - ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٤/٧٧١ .
 - (٤) انظر السير : (عبد الله بن المُبارك) ٣٧٨ - ٤٢١ ، وانظر النزهة : ١/٧٧٢ .
 - (٥) انظر السير : (عبد الرحمن بن القاسم) ١٢٠/٩ - ١٢٥ ، وانظر النزهة : ٧/٨٠٥ .

حَتَّى أَقْبَلَ رَجُلٌ مَعَهُ طَبَقٌ مُغَطَّى بِمِنْدِيلٍ ، وَفِيهِ رُطْبٌ مِنْ تَمْرٍ تِلْكَ الْقَرْيَةَ ، فَجَعَلَهُ بَيْنَ يَدَيْ ابْنِ الْقَاسِمِ ، وَقَالَ : كُلْ ، قَالَ : مَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ فَقَالَ لِي ابْنُ الْقَاسِمِ : هَذَا تَأْوِيلُ الرُّؤْيَا وَكَانَ يُقَالُ : إِنَّ تِلْكَ الْقَرْيَةَ أَكْثَرُهَا وَقْفٌ غُصِبَتْ .

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ مَسْكِينٍ : كَانَ ابْنُ الْقَاسِمِ فِي الْوَرَعِ وَالزُّهْدِ شَيْئاً عَجِيباً .

وُلِدَ ابْنُ الْقَاسِمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِئَةً ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمِئَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَاشَ تِسْعاً وَخَمْسِينَ سَنَةً^(١) .

قَالَ حُمَيْدُ بْنُ الرَّبِيعِ : رَأَى حُسَيْنَ الْجُعْفِيِّ كَأَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ وَكَأَنَّ مُنَادِيًا يُنَادِي : لِيَقُمْ الْعُلَمَاءُ ، فَيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَقَامُوا وَقُمْتُ مَعَهُمْ قِيلَ لِي : اجْلِسْ ، لَسْتُ مِنْهُمْ ، أَنْتَ لَا تُحَدِّثُ ، قَالَ : فَلَمْ يَزَلْ بَعْدُ يُحَدِّثُ بَعْدَ أَنْ كَانَ لَا يُحَدِّثُ حَتَّى كَتَبْنَا عَنْهُ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ حَدِيثٍ .

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعِجْلِيُّ : حُسَيْنُ الْجُعْفِيِّ ثِقَةٌ ، كَانَ يُقْرَأُ الْقُرْآنَ ، رَأْسُ فِيهِ ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا ، لَمْ أَرِ رَجُلًا قَطُّ أَفْضَلَ مِنْهُ .

قَالَ : كَانَ جَمِيلًا لِبَاسًا يَخْضِبُ وَخَضَابُهُ إِلَى الصُّفْرَةِ .

قِيلَ : إِنَّ مَوْلَاهُ فِي سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةِ وَمِئَةٍ وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَمِئَتَيْنِ ، وَلَهُ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً^(٢) .

عَنْ أَبِي عُثْمَانَ الْمَازِنِيِّ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ طهَ فَقُلْتُ : ﴿مَكَانًا سِوَى﴾^(٣) ، فَقَالَ : اقْرَأْ ﴿سُورَةَ﴾ قِرَاءَةً يَعْقُوبَ ، (يَعْنِي الْحَضْرَمِيَّ)^(٤) .

وَيُرْوَى عَنْ أَبِي سَبْرَةَ الْمَدِينِيِّ قَالَ : قُلْتُ لِلْفَعْنَبِيِّ : حَدِّثْ وَلَمْ تَكُنْ تُحَدِّثُ! قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ ، فَصِيحَ بِأَهْلِ الْعِلْمِ ، فَقَامُوا ، وَقُمْتُ مَعَهُمْ

(١) انظر السير : (عبد الرحمن بن القاسم) ١٢٥-١٢٠/٩ ، وانظر النزاهة : ١/٨٠٦ .

(٢) انظر السير : (الحسين بن علي الجعفي) ٣٩٧/٩-٤٠١ ، وانظر النزاهة : ٥/٨٣٣ .

(٣) سورة طه ، الآية : ٥٨ .

(٤) انظر السير : (يعقوب) ١٠/١٦٩-١٧٤ ، وانظر النزاهة : ٢/٨٦٣ .

فنودي بي : فقلت : إلهي ألم أكن أطلبُ ؟ قال : بلى ، ولكنهم نشروا وأخفيتَه
قال : فحدثتُ .

وقال إسماعيلُ القاضي : كان القَعْنَبِيُّ من المُجْتَهِدِينَ فِي الْعِبَادَةِ (١) .

وقال أبو العَبَّاسِ السَّرَّاجُ : سَمِعْتُ الحُسَيْنَ بْنَ عَبْدِ شَرِّهِ وَكَانَ ثَقَّةً ، سَمِعْتُ
مُحَمَّدَ بْنَ أَسْلَمٍ يَقُولُ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ ، فَقُلْتُ : عَمَّنْ
أَكْتُبُ ؟ فَقَالَ : عَنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى .

قال خُشْنَامُ بْنُ سَعِيدٍ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ : كَانَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى عِنْدِي
إِمَاماً ، وَلَوْ كَانَتْ عِنْدِي نَفَقَةٌ ، لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ (٢) .

قال مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْوَرْدِ : قَالَ لِي مُؤَدِّنُ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ : رَأَيْتُ بِشْرًا
رَحِمَهُ اللهُ فِي الْمَنَامِ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ ؟ قَالَ : غَفَرَ لِي .

قُلْتُ : مَا فَعَلَ بِأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ ؟ قَالَ : غَفِرَ لَهُ فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ بِأَبِي نَصْرِ التَّمَّارِ ؟
قَالَ : هَيْهَاتَ ، ذَاكَ فِي عَلِيِّينَ ، فَقُلْتُ : بِمَاذَا نَالَ مَا لَمْ تَنَالَهُ ؟ فَقَالَ : بِفَقْرِهِ وَصَبْرِهِ
عَلَى بِنْيَاتِهِ (٣) .

قال عبدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ : حَدَّثَنِي ثَابِتُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَبُوبَةَ قَالَ : كَانَ يُحْتَلِّ
إِلَيَّ أَنَّ لِأَبِي فَضِيلَةَ عَلَى أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ لِحِجَابِهِ ، وَفِكَارِ الْأَسْرَى ، فَسَأَلْتُ أَخِي
عَبْدَ اللهِ ، فَقَالَ : أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَرْجَحُ ، فَلَمْ أَقْنَعْ ، فَأَرَيْتُ شَيْخًا حَوْلَهُ النَّاسُ ،
يَسْأَلُونَهُ ، وَيَسْمَعُونَ مِنْهُ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْهُمَا ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللهِ !! ، إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ
ابْتَلِيَ فَصْبَرَ ، وَإِنَّ ابْنَ شَبُوبَةَ عُوْفِي ، الْمُبْتَلَى الصَّابِرُ كَالْمُعَافَى !! هَيْهَاتَ (٤) .

قال إبراهيمُ الحَرَبِيُّ : حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ رَشِيدٍ قَالَ : قَمْتُ لَيْلَةَ أُصَلِّي ، فَأَخَذَنِي الْبَرْدُ
لَمَّا أَنَا فِيهِ مِنَ الْعُرِيِّ ، فَأَخَذَنِي النَّوْمُ ، فَارَيْتُ كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ : يَا دَاوُدَ ، أَنْتُمْهَا

(١) انظر السير : (القَعْنَبِيُّ) ١٠/٢٥٧-٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٣/٨٧٥ .

(٢) انظر السير : (يَحْيَى بْنُ يَحْيَى) ١٠/٥١٢-٥١٩ ، وانظر النزهة : ٢/٨٨٩ .

(٣) انظر السير : (أَبُو نَصْرِ التَّمَّارِ) ١٠/٥٧١-٥٧٤ ، وانظر النزهة : ٦/٨٩٤ .

(٤) انظر السير : (ابْنُ شَبُوبَةَ) ١١/٧-٩ ، وانظر النزهة : ٣/٩٠٥ .

وأقمنك فتبكي علينا؟ قال الحرابي: فأظن داود ما نام بعدها، يعني: ما ترك تهجد الليل^(١).

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، سمعت أبي، يقول: رأيت رب العزة في المنام، فقلت: يا رب، ما أفضل ما تقرب به إليك المتقربون؟ قال: بكلامي يا أحمد قلت يا رب، بفهم، أو بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم^(٢).

وذكر شيخ الإسلام بإسناد طويل عن محمد بن يحيى الرملي قاضي دمشق قال: دخلت العراق والحجاز، وكتبت، فمن كثرة الاختلاف لم أدر بأيها أخذ، فقلت: اللهم اهديني، فميت، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد أسند ظهره إلى الكعبة، وعن يمينه الشافعي، وأحمد بن حنبل، وهو يتبسم إليهما فقلت: يا رسول الله، بم أخذ؟ فأومأ إلى الشافعي وأحمد وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ﴾^(٣)،^(٤).

قال البغوي: سمعت عبيد الله القواريري يقول: لم تكن تفوتني صلاة العتمة في جماعة فنزل بي ضيف، فشغلت به فخرجت أطلب الصلاة في قبائل البصرة، فإذا الناس قد صلوا فقلت في نفسي يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «صلاة الجميع تفضل صلاة الفرد إحدى وعشرين درجة»، وروى «خمساً وعشرين درجة»، ثم روي «سبعاً وعشرين» فانقلبت إلى منزلي، فصليت العتمة سبعاً وعشرين مرة، ثم رقدت فرأيتني مع قوم راكبي أفراس، وأنا راكب ونحن نتجاري وأفراسهم تسبق فرسي، فجعلت أضربه لألحقهم، فالتفت إلي آخرهم فقال: لا تجهد فرسك فلست بلاحقنا قال: فقلت: ولم؟ قال: لأننا صلينا العتمة في جماعة^(٥).

قال الحسين بن مضعب: حدثنا محمد بن منصور الطوسي، قال: رأيت النبي

(١) انظر السير: (داود بن رشيد) ١/١٣٣-١٣٥، وانظر النزهة: ٢/٩١٦.

(٢) انظر السير: (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨، وانظر النزهة: ٢/٩٥١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٩.

(٤) انظر السير: (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨، وانظر النزهة: ٤/٩٥١.

(٥) انظر السير: (القواريري) ١١/٤٤٢-٤٤٦، وانظر النزهة: ١/٩٥٩.

صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقلتُ : مُرني بشيءٍ حتَّى أُلزِمَه قال : عَلَيْكَ بِالْيَقِينِ^(١) .

قال خالد بن عبد الله المَرُوزِي ، سَمِعْتُ أبا سَهْلَ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ المَرُوزِي ، سَمِعْتُ أبا زَيْدَ المَرُوزِي الفَقِيهَ يَقُولُ : كُنْتُ نَائِمًا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِي : يَا أبا زَيْدَ ، إِلَى مَتَى تَدْرُسُ كِتَابَ الشَّافِعِيِّ ، وَلَا تَدْرُسُ كِتَابِي ؟ فقلتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا كِتَابُكَ ؟ قَالَ : « جَامِعٌ » مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ^(٢) .

تُوْفِّي أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِي ، فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ ، وَمَوْلِدُهُ كَانَ فِي سَنَةِ مِئَتَيْنِ وَذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَرْبِ العَسْكَرِيِّ أَنَّهُ رَأَى أبا زُرْعَةَ الرَّازِي ، وَهُوَ يَوْمُ المَلَأَتْكَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةَ ، فقلتُ : بِمَ نِلْتَ هَذِهِ المَنْزِلَةَ ؟ قَالَ : بِرَفْعِ اليَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ عِنْدَ الرُّكُوعِ ، وَعِنْدَ الرَّفْعِ مِنْهُ^(٣) .

وقال مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الهَيْثَمِ الفَسَوِيِّ : لَمَّا قَدِمَ حَمْدُونُ البَرْدَعِيُّ عَلَيَّ أَبِي زُرْعَةَ ، لِكِتَابَةِ الحَدِيثِ ، دَخَلَ ، فَرَأَى فِي دَارِهِ أَوَانِيَّ وَفُرْشًا كَثِيرَةً ، وَكَانَ ذَلِكَ لِأَخِيهِ ، قَالَ : فَهَمَّ أَنْ يَرْجِعَ وَلَا يَكْتُبَ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ ، رَأَى كَأَنَّهُ عَلِيٌّ شَطَّ بِرُكَّةٍ ، وَرَأَى ظِلَّ شَخْصٍ فِي المَاءِ ، فَقَالَ : أَنْتَ الَّذِي زَهَدْتَ فِي أَبِي زُرْعَةَ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ كَانَ مِنَ الأَبْدَالِ ، فَلَمَّا مَاتَ أُبْدِلَ اللهُ مَكَانَهُ أبا زُرْعَةَ^(٤) .

عن مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ المَادَرَائِيِّ قَالَ : كُنْتُ أَجْتَاؤُ بِقَبْرِ ابْنِ طُولُونَ فَأَرَى شَيْخًا مُلَازِمًا لَهُ ، ثُمَّ لَمْ أَرَهُ مُدَّةً ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : كَانَ لَهُ عَلِيٌّ أَيَادٍ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَصِلَهُ بِالتَّلَاوَةِ قَالَ : فَرَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ يَقُولُ : أَحَبُّ أَنْ لَا تَقْرَأَ عِنْدِي ، فَمَا تَمْرُبِي آيَةَ إِلَّا فُرِّعَتْ بِهَا ، وَيُقَالُ لِي : أَمَا سَمِعْتَ هَذِهِ ؟

(١) انظر السير : (مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ) ٢١٢/١٢-٢١٤ ، وانظر النزهة : ٥/٩٩٤ .

(٢) انظر السير : (أَبُو عَبْدِ اللهِ الحُخَارِيُّ) ٣٩١/١٢-٤٧١ ، وانظر النزهة : ٣/١٠١٥ .

(٣) انظر السير : (أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِي) ٦٥/١٣-٨٥ ، وانظر النزهة : ١/١٠٥٣ .

(٤) انظر السير : (أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِي) ٦٥/١٣-٨٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٥٣ .

تُوفِّي أحمدُ بمِصرَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِئَتَيْنِ .

وقامَ بعده ابنُه خُمَارَوَيْه ، ثمَّ جَيْشُ بنُ خُمَارَوَيْه ، ثم أخوه هَارُونُ^(١) .

ورُوِيَ عن مُحَمَّدِ بنِ نَصْرِ المَرْزُوبِيِّ أَنَّهُ قَالَ : لَمْ يَكُنْ لِي حُسْنُ رَأْيٍ فِي الشَّافِعِيِّ ، فَبَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَغْفَيْتُ ، فَرَأَيْتُ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَكْتُبُ رَأْيَ الشَّافِعِيِّ ؟ فَطَاطَأَ رَأْسَهُ شِبْهَ الغَضْبَانِ وَقَالَ : تَقُولُ رَأْيٍ ؟ لَيْسَ هُوَ بِالرَّأْيِ ، هُوَ رَدٌّ عَلَى مَنْ خَالَفَ سُنَّتِي فَخَرَجْتُ فِي أثرِ هَذِهِ الرُّؤْيَا إِلَى مِصرَ ، فَكُتِبَتْ كُتُبَ الشَّافِعِيِّ^(٢) .

قَالَ الوَازِرِيُّ أَبُو الفَضْلِ مُحَمَّدُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ البَلْعَمِيُّ : سَمِعْتُ الأَمِيرَ إِسْمَاعِيلَ بنَ أَحْمَدَ يَقُولُ : كُنْتُ بِسَمَرْقَنْدَ ، فَجَلَسْتُ يَوْمًا لِلْمَظَالِمِ ، وَجَلَسَ أَخِي إِسْحَاقُ إِلَى جَنْبِي ، إِذْ دَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ نَصْرِ ، فَقُمْتُ لَهُ إِجْلَالًا لِلْعِلْمِ ، فَلَمَّا خَرَجَ عَاتَبَنِي أَخِي وَقَالَ : أَنْتَ وَالِي خُرَاسَانَ تَقُومُ لِرَجُلٍ مِنَ الرَّعِيَّةِ ؟ هَذَا ذَهَابُ السِّيَاسَةِ ، قَالَ : فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَأَنَا مُتَقَسِّمُ القَلْبِ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ ، كَأَنِّي وَاقِفٌ مَعَ أَخِي إِسْحَاقَ ، إِذْ أَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ بَعْضُدي فَقَالَ لِي : ثَبَّتْ مُلْكُكَ وَمُلْكُ بَنِيكَ بِإِجْلَالِكَ مُحَمَّدَ بنَ نَصْرِ ، ثُمَّ التَّمَّتْ إِلَى إِسْحَاقَ ، فَقَالَ : ذَهَبَ مُلْكُ إِسْحَاقَ ، وَمُلْكُ بَنِيهِ بِاسْتِخْفَافِهِ بِمُحَمَّدِ بنِ نَصْرِ .

وماتَ بعدَ أَيَّامٍ قلائِلَ من مَوْتِ صَالِحِ بنِ مُحَمَّدِ جَزْرَةَ ، وَذَلِكَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ^(٣) .

وقال الخلدِيُّ : رَأَيْتُ أَحْمَدَ بنَ مُحَمَّدِ البَغَوِيِّ الرَّاهِدَ فِي النَّوْمِ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ ؟ فَقَالَ : طَاحَتْ تِلْكَ الإِشَارَاتُ وَغَابَتْ تِلْكَ العِبَارَاتُ ، وَفَنِيَتْ تِلْكَ العُلُومُ ، وَفَدَّتْ تِلْكَ الرُّسُومُ ، وَمَا نَفَعْنَا إِلَّا رَكَعَاتٍ كُنَّا نَرَكَعُهَا فِي الأَسْحَارِ^(٤) .

(١) انظر السير : (أحمد بن طولون) ٩٤-٩٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٥٦ .

(٢) انظر السير : (محمد بن نصر) ٣٣/١٤-٤٠ ، وانظر النزهة : ٤/١١٢٦ .

(٣) انظر السير : (محمد بن نصر) ٣٣/١٤-٤٠ ، وانظر النزهة : ٥/١١٢٦ .

(٤) انظر السير : (البغوي) ٧٧-٧٠/١٤ ، وانظر النزهة : ٣/١١٣٥ .

وجاء في ترجمة علي بن أبي طاهر قال الذهبي : وثقه الخليلي ، قال : سمعتُ الحسن بن أحمد بن صالح يخكي عن سليمان بن يزيد : أن علي بن أبي طاهر لما رحل إلى الشام ، وكتب الحديث جعل كتبه في صندوق ، وقيره وركب البحر ، فاضطربت السفينة وماجت ، فألقى الصندوق في البحر ، ثم سكنت السفينة ، فلما خرج منها أقام على الساحل ثلاثاً يدعو الله ، ثم سجد في الليلة الثالثة ، وقال : إن كان طلبي ذلك لوجهك وحب رسولك ، فأعطني برء ذلك ، فرفع رأسه ، فإذا بالصندوق ملقى عنده ، فقدم ، وأقام بزهة ، ثم قصدوه لسماع الحديث فامتنع منه وقال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، في منامي ، ومعه علي رضي الله عنه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا علي من عامل الله بما عاملك به علي شط البحر؟! » ، لا تمتنع من رواية أحاديثي » قال : فقلت : قد تبئت إلى الله ، فدعاني وحشني على الرواية .

مات علي بن أبي طاهر سنة نيف وتسعين ومئتين ، رحمه الله (١) .

قال ابن قانع : سمعتُ عيسى بن محمد الطهماني ، سمعتُ الأمير إسماعيل يقول : جاءنا أبونا بمؤدب ، فعلمنا الرفض ، فمئمت ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، فقال لي : « لِمَ تَسُبُّ صَاحِبِي ؟ » فوقفت ، فقال لي بيده فنفضها في وجهي فانتبهت فرعاً أرعدت من الحمى ، فكنت على الفراش سبعة أشهر ، وسقط شعري ، فدخل أخي ، فقال : أيش قصتك ؟ فأخبرته ، فقال : اعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاعتذرت وتبئت ، فما مر لي إلا جمعة حتى نبت شعري .

قال الإمام الذهبي : كان هو وآبؤه ملوك بخارى وسمرقند ، وله غزوات في الترك ، وهو الذي ظفر بعمرو بن الليث وأسره ، فجاءه من المعتضد التقليد بولاية خراسان وما يليها ، وكانت سلطنته مدة سبع سنين .

توفي ببخارى سنة خمس وتسعين ومئتين ، فتملك بعده ابنه أحمد .

(١) انظر السير : (علي بن أبي طاهر) ٨٧/١٤-٨٨ ، وانظر النزعة : ٥/١١٣٥ .

ومات ابنه السلطان أبو نصر أحمد سنة إحدى وثلاث مئة ، قتله مماليكه ، ثم ملكوا ولده نصرأ ، فدام ثلاثين عاماً ، فأحسن السيرة ، وعظمت هيئته (١) .

قال الحاكم : سمعت الشيخ أبا بكر الصبغى يقول : رأيت في منامي كأنى في دار فيها عمر بن الخطاب ، وقد اجتمع الناس عليه يسألونه المسائل ، فأشار إلي : أن أجيبهم ، فما زلت أسأل وأجيب وهو يقول لي : أصبت امض ، أصبت امض ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما النجاة من الدنيا أو المخرج منها ؟ فقال لي بإصبعه : الدعاء ، فأعدت عليه السؤال فجمع نفسه كأنه ساجد لخضوعه ثم قال : الدعاء (٢) .

قال عبد الله بن محمد بن أسد ، سمعت حمزة الكناني يقول : خرجت حديثاً واحداً عن النبي صلى الله عليه وسلم من نحو مئتي طريق ، فداخلني لذلك من الفرح غير قليل ، وأعجبت بذلك ، فرأيت يحيى بن معين في المنام ، فقلت : يا أبا زكريا ، خرجت حديثاً من مئتي طريق ، فسكت عني ساعة ، ثم قال : أخشى أن تدخل هذه تحت ﴿الهنك التكاثر﴾ (٣) ، (٤) .

قال أبو عبد الله بن مئدة : سمعت حمزة بن محمد الحافظ يقول : كنت أكتب الحديث ، فلا أكتب (وسلم) بعد (صلى الله عليه) فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال لي : أما تختم علي في كتابك !! ؟ (٥) .

قال الحاكم : وسمعت أبا الفضل الشلیماني - وكان صالحاً - يقول : رأيت أبا محمد المزيبي في المنام بعد وفاته بليلتين ، وهو يتبخر في مشيته ويقول بصوت عالٍ : ﴿وما عند الله خير وأبقى﴾ (٦) ، (٧) .

(١) انظر السير : (صاحب خراسان) ١٤ / ١٥٤ - ١٥٥ ، وانظر النزهة : ٣ / ١١٣٩ .

(٢) انظر السير : (الصبغى) ١٥ / ٤٨٣ - ٤٨٨ ، وانظر النزهة : ٦ / ١٢٥٠ .

(٣) سورة التكاثر ، الآية : ١ .

(٤) انظر السير : (حمزة بن محمد الكناني) ١٦ / ١٧٩ - ١٨١ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٢٨٠ .

(٥) انظر السير : (حمزة بن محمد الكناني) ١٦ / ١٧٩ - ١٨١ ، وانظر النزهة : ٤ / ١٢٨٠ .

(٦) سورة القصص ، الآية : ٦٠ .

(٧) انظر السير : (المغفلي) ١٦ / ١٨١ - ١٨٤ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٢٨٢ .

وقيل للصَّاحِبِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبَّادٍ : أَنْتَ رَجُلٌ مُعْتَزَلِيٌّ وَابْنُ الْمُقْرِيءِ مُحَدِّثٌ ، وَأَنْتَ تُحِبُّهُ ! قَالَ : لِأَنَّهُ كَانَ صَدِيقَ وَالِدِي ، وَقَدْ قِيلَ : مَوَدَّةُ الْآبَاءِ قَرَابَةُ الْأَبْنَاءِ ، وَلِأَنِّي كُنْتُ نَائِمًا فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ يَقُولُ لِي : أَنْتَ نَائِمٌ وَوَلِيٌّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَلَيَّ بِابِكَ ؟ ! فَانْتَبَهْتُ وَدَعَوْتُ وَقُلْتُ : مَنْ بِالْبَابِ ؟ فَقَالَ : أَبُو بَكْرُ بْنُ الْمُقْرِيءِ (١) .

وكان ابنُ سَمْعُونِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ يَنْسَخُ بِالْأَجْرَةِ ، وَيُنْفِقُ عَلَيَّ نَفْسِهِ وَأُمَّهُ ، فَقَالَ لَهَا يَوْمًا : أَحِبُّ أَنْ أُحِجَّ ، قَالَتْ : وَكَيْفَ يُمَكِّنُكَ ؟ فَغَلَبَ عَلَيْهَا النَّوْمُ ، فَنَامَتْ وَانْتَبَهَتْ بَعْدَ سَاعَةٍ ، وَقَالَتْ : يَا وَالِدِي حُجَّ ، رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ يَقُولُ : دَعِيهِ يَحُجُّ فَإِنَّ الْخَيْرَ لَهُ فِي حَجِّهِ ، فَفَرِحَ وَبَاعَ دَفَاتِرَهُ ، وَدَفَعَ إِلَيْهَا مِنْ ثَمَنِهَا ، وَخَرَجَ مَعَ الْوَفْدِ ، فَأَخَذَتِ الْعَرَبُ الْوَفْدَ ، قَالَ : فَبَقِيْتُ عُرْيَانًا ، فَجَعَلْتُ إِذَا غَلَبَ عَلَيَّ الْجُوعُ وَوَجَدْتُ قَوْمًا مِنَ الْحُجَّاجِ يَأْكُلُونَ وَقَفْتُ ، فَيَدْفَعُونَ إِلَيَّ كِسْرَةً فَأَقْتَنِعُ بِهَا ، وَوَجَدْتُ مَعَ رَجُلٍ عَبَاءَةً فَقُلْتُ : هَبْنَاهَا لِي اسْتَرْتُ بِهَا ، فَأَعْطَانِيهَا وَأَحْرَمْتُ فِيهِ ، وَرَجَعْتُ وَكَانَ الْخَلِيفَةُ قَدْ حَرَّمَ جَارِيَةً وَأَرَادَ إِخْرَاجَهَا مِنَ الدَّارِ قَالَ الشُّنِّيُّ : فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : اظْلُبُوا رَجُلًا مَسْتُورًا يَصْلُحُ أَنْ تُزَوِّجَ هَذِهِ الْجَارِيَةَ بِهِ فَقِيلَ : قَدْ جَاءَ ابْنُ سَمْعُونِ ، فَاسْتَصَوَّبَ الْخَلِيفَةُ ذَلِكَ ، وَزَوَّجَهُ بِهَا ، فَكَانَ يَعْطُ وَيَقُولُ : خَرَجْتُ حَاجًّا ، وَيَشْرَحُ حَالَهُ وَيَقُولُ : هَا أَنَا الْيَوْمَ عَلَيَّ مِنَ الثِّيَابِ مَا تَرَوْنَ !!

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : كَانَ فَاحِرَ الْمَلْبُوسِ (٢) .

وقال أبو محمد الجَوْهَرِيُّ : سَمِعْتُ أَخِي الْحُسَيْنَ يَقُولُ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ اخْتَلَفَتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ ، فَقَالَ : عَلَيْكَ بَابِنُ بَطَّةٍ فَأُصْبِحْتُ وَلَبِسْتُ ثِيَابِي ، ثُمَّ أَصْعَدْتُ إِلَيَّ عُكْبَرًا ، فَدَخَلْتُ وَابْنُ بَطَّةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَلَمَّا رَأَنِي قَالَ لِي : صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) انظر السير : (ابنُ الْمُقْرِيءِ) ١٦/٣٩٨-٤٠٢ ، وانظر النزهة : ١/١٣٠١ .

(٢) انظر السير : (ابنُ سَمْعُونِ) ١٦/٥٠٥-٥١١ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٠٩ .

وكان مُستجابِ الدَّعْوَةِ .

قال الذهبيُّ : لابنِ بَطَّةٍ مع فَضْلِهِ أَوْهَامٌ وَغُلَطٌ^(١) .

وقالَ الحَسَنُ بنُ أَشْعَثِ القُرَشِيِّ : رَأَيْتُ الحَاكِمُ في المَنَامِ على فَرَسٍ في هَيْئَةِ حَسَنَةٍ وهو يَقُولُ : النَّجَاةُ ، فَقُلْتُ له : أَيُّهَا الحَاكِمُ! في ماذَا ؟ قالَ : في كِتَابَةِ الحَدِيثِ^(٢) .

وقالَ غَيْرُ واحدٍ : سَمِعْنَا أبا الطَّيِّبِ الطَّبْرِيِّ يَقُولُ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوْمِ ، فَقُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ : أَرَأَيْتَ مَنْ رَوَى أَنَّكَ قُلْتَ : « نَصَرَ اللهُ امْرَأَةً سَمِعَ مَقَالَتي ، فَوَعَاها » أَحَقُّ هو ؟ قالَ : نَعَمْ^(٣) .

وقالَ شَيْخُ القُضَاةِ أبو عليٍّ إِسْمَاعِيلُ بنُ البَيْهَقِيِّ : حَدَّثَنَا أَبِي قالَ : حينَ ابْتَدَأْتُ بِتَصْنِيفِ هَذَا الكِتَابِ - يَعْنِي كِتَابَ « المَعْرِفَةِ في السُّنَنِ والآثَارِ » - وَفَرَعْتُ من تَهْذِيبِ أَجْزَاءِ مِنْهُ ، سَمِعْتُ الفَقِيهَ مُحَمَّدَ بنَ أَحْمَدَ - وهو من صَالِحِي أَصْحَابِي وَأَكْثَرِهِمْ تِلَاوَةً وَأَصْدَقِهِمْ لَهْجَةً - يَقُولُ : رَأَيْتُ الشَّافِعِيَّ - رَحِمَهُ اللهُ - في النَّوْمِ ، وَبِيَدِهِ أَجْزَاءٌ مِنْ هَذَا الكِتَابِ وهو يَقُولُ : قد كَتَبْتُ اليَوْمَ من كِتَابِ الفَقِيهِ أَحْمَدَ سَبْعَةَ أَجْزَاءٍ - أو قالَ : قَرَأْتُها - وَرَأه يَعْتَدُّ بِذَلِكَ قالَ : وفي صَبَاحِ ذَلِكَ اليَوْمِ رَأَيْتُ فَقِيهًا آخَرَ من إِخْوانِي الشَّافِعِيَّ قَاعِدًا في الجَامِعِ على سَرِيرٍ وهو يَقُولُ : قد اسْتَفَدْتُ اليَوْمَ من كِتَابِ الفَقِيهِ حَدِيثَ كَذَا وَكَذَا^(٤) .

وأخْبَرَنَا أَبِي قالَ : سَمِعْتُ الفَقِيهَ أبا مُحَمَّدَ الحَسَنَ بنَ أَحْمَدَ السَّمَرْقَنْدِيَّ الحَافِظَ يَقُولُ : سَمِعْتُ الفَقِيهَ مُحَمَّدَ بنَ عبدِ العَزِيزِ المَرْوَزِيَّ يَقُولُ : رَأَيْتُ في المَنَامِ كَأَنَّ تَابُوتًا عَلَا في السَّمَاءِ يعلُوهُ نورٌ ، فَقُلْتُ : ما هَذَا ؟ قالَ : هَذِهِ تَصَانِيفُ أَحْمَدَ البَيْهَقِيِّ .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ : هَذِهِ رُؤْيَا حَقٌّ ، فَتَصَانِيفُ البَيْهَقِيِّ عَظِيمَةُ القَدْرِ ، غَزِيرَةٌ

(١) انظر السير : (ابن بطة) ١٦ / ٥٢٩ - ٥٣٣ ، وانظر النزعة : ٣ / ١٣١٤ .

(٢) انظر السير : (الحاكم) ١٧ / ١٦٢ - ١٧٧ ، وانظر النزعة : ٤ / ١٣٣٢ .

(٣) انظر السير : (أبو الطيب الطبري) ١٧ / ٦٦٨ - ٦٧١ ، وانظر النزعة : ٤ / ١٣٧٣ .

(٤) انظر السير : (البيهقي) ١٨ / ١٦٣ - ١٧٠ ، وانظر النزعة : ١ / ١٣٩٤ .

الفوائد ، قَلَّ من جَوَّدَ تَوَالِيفَهُ مثلُ الإمامِ أبي بكر ، فَيُنْبَغِي للعَالِمِ أَنْ يَعْتَنِي بِهِؤْلَاءِ سَيِّمًا « سُنَّةَ الكَبِيرِ » .

وقال الإمامُ الذهبيُّ : وَبَلَّغْنَا عن إمامِ الحَرَمَيْنِ أبي المَعَالِي الجُوينِي قال : ما من فقيهٍ شَافِعِيٍّ إِلَّا وللشَافِعِيِّ عليه مِنَّةٌ إِلَّا أبا بَكْرَ البَيْهَقِيَّ ، فَإِنَّ المِنَّةَ له على الشَافِعِيِّ لِتَصَانِيهِ فِي نُصْرَةِ مَذْهَبِهِ .

قال الإمامُ الذهبيُّ : أَصَابَ أبو المَعَالِي هَكَذَا هو ، وَلَوْ شَاءَ البَيْهَقِيُّ أَنْ يَعْمَلَ لِنَفْسِهِ مَذْهَبًا يَجْتَهِدُ فِيهِ ، لَكَانَ قَادِرًا عَلَى ذَلِكَ ، لِسِعَةِ عُلُومِهِ ، وَمَعْرِفَتِهِ بِالِاخْتِلَافِ ، وَلِهَذَا تَرَاهُ يُلَوِّحُ بِنَصْرِ مَسَائِلَ مِمَّا صَحَّ فِيهَا الْحَدِيثُ وَلَمَّا سَمِعُوا مِنْهُ مَا أَحْبَبُوا فِي قَدَمَتِهِ الأَخِيرَةِ ، مَرَضَ ، وَحَضَرَتِ المَنِيَّةُ ، فَتَوَفَّى سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ ، فغُسِّلَ وَكُفِّنَ وَعُمِلَ لَهُ تَابُوتٌ ، فَنُقِلَ وَدُفِنَ بِبَيْهَقٍ عَاشَرَ أَرْبَعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً^(١) .

وقال السَّمْعَانِيُّ : سَمِعْتُ الحَسَنَ بنَ مُحَمَّدِ بنِ الرُّضِيِّ العَلَوِيِّ يَقُولُ : سَمِعْتُ خَالِي أبا طَالِبَ بنَ طَبَاطِبَا يَقُولُ : كُنْتُ أَشْتُمُ أبدأَ عبدَ الرَّحْمَنِ بنِ مَنَدَةَ ، فَسَافَرْتُ إِلَى جَرْبَادِقَانَ^(٢) ، فَرَأَيْتُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ فِي النَّوْمِ وَيَدُهُ فِي يَدِ رَجُلٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ زَرْقَاءُ ، وَفِي عَيْنَيْهِ نَكْتَةٌ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ ، وَقَالَ تَشْتُمُ هَذَا فَقِيلَ لِي فِي المَنَامِ : هَذَا عُمَرُ وَهَذَا عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَنَدَةَ فَانْتَبَهْتُ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَقَصَدْتُ عبدَ الرَّحْمَنِ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ ، صَادَفْتُهُ كَمَا رَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ قَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أبا طَالِبٍ وَقَبْلَهَا مَا رَأَيْتُ ، وَلَا رَأَيْتُهُ ، فَقَالَ لِي قَبْلَ أَنْ أَكَلِّمَهُ : شَيْءٌ حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نُحِلَّهُ ؟ فَقُلْتُ : اجْعَلْنِي فِي حِلٍّ ، وَنَاشَدْتُهُ اللهُ وَقَبَّلْتُ عَيْنَيْهِ ، فَقَالَ : جَعَلْتِكَ فِي حِلٍّ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَيَّ .

وعن صَاعِدِ بنِ سَيَّارٍ ، سَمِعْتُ الإمامَ أبا إِسْمَاعِيلَ الأَنْصَارِيَّ يَقُولُ فِي عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ مَنَدَةَ : كَانَتْ مَضْرَرَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَنَفَعَتِهِ فِي الإِسْلَامِ .

وقال الذهبيُّ : أَطْلُقَ عِبَارَاتٍ بَدَّعَهُ بَعْضُهُمْ بِهَا ، اللهُ يُسَامِحُهُ ، وَكَانَ زَاعِرًا عَلَى

(١) انظر السير : (البَيْهَقِيُّ) ١٦٣/١٨ - ١٧٠ ، وانظر التزمة : ٢/١٣٩٤ .

(٢) بلدة قريبة من هَمْدَانَ .

مَنْ خَالَفَهُ ، فِيهِ خَارِجِيَّةٌ ، وَلَهُ مَحَاسِنٌ ، وَهُوَ فِي تَوَالِيفِهِ حَاطِبٌ لَيْلٍ ، يَزُوي النَّعْثَ
وَالسَّمِينَ ، وَيَنْظِمُ رَدِيءَ الْحَرَزِيِّ مَعَ الدُّرِّ الثَّمِينِ .

مَاتَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ ، وَشَيَّعَهُ عَالَمٌ لَا يُحْصَوْنَ^(١) .

وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ أَحْمَدَ قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الزُّنْجَانِيَّ فِي النَّوْمِ يَقُولُ لِي مَرَّةً بَعْدَ
أُخْرَى : إِنَّ اللَّهَ يَبْنِي لِأَهْلِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَجْلِسٍ يَجْلِسُونَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ^(٢) .

وَحِكْيِي عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الشُّيرَازِيِّ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ نَائِماً بِبَغْدَادَ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! بَلَّغْنِي عَنْكَ
أَحَادِيثَ كَثِيرَةً عَنْ نَاقِلِي الْأَخْبَارِ ، فَأُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ مِنْكَ حَدِيثاً أَتَشَرَّفُ بِهِ فِي الدُّنْيَا ،
وَأَجْعَلَهُ ذُخْراً لِلْآخِرَةِ ، فَقَالَ لِي : يَا شَيْخُ ! - وَسَمَّانِي شَيْخاً ، وَخَاطَبَنِي بِهِ ، وَكَانَ
يَفْرَحُ بِهِذَا - قُلْ عَنِّي : « مَنْ أَرَادَ السَّلَامَةَ ، فَلْيَطْلُبْهَا فِي سَلَامَةٍ غَيْرِهِ »^(٣) .

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ : كَانَ الْحُمَيْدِيُّ أَوْصَى إِلَى الْأَجَلِّ مُظْفَرِ ابْنِ رَئِيسِ
الرُّؤَسَاءِ أَنْ يَدْفِنَهُ عِنْدَ بَشْرٍ ، فَخَالَفَ ، فَرَأَاهُ بَعْدَ مُدَّةٍ فِي النَّوْمِ يُعَاتِبُهُ ، فَنَقَلَهُ فِي صَفَرِ
سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ ، وَكَانَ كَفَنُهُ جَدِيداً ، وَبَدَنُهُ طَرِيماً يَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الطَّيِّبِ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ وَوَقَّفَ كُتُبَهُ^(٤) .

قَالَ السَّمْعَانِيُّ : رُؤِيَ أَبُو مَنْصُورِ الْخِطَّاطِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَقَالَ : غَفَرَ اللَّهُ لِي بِتَعْلِيمِي
الصَّبِيَّانَ الْفَاتِحَةَ .

مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ^(٥) .

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ فِي « الْمَدَارِكِ » : الْمَازِرِيُّ يُعَرِّفُ بِالْإِمَامِ ، نَزِيلُ الْمَهْدِيَّةِ
قِيلَ : إِنَّهُ رَأَى رُؤْيَا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَحَقُّ مَا يَدْعُونَنِي بِهِ ؟ إِنَّهُمْ يَدْعُونَنِي

(١) انظر السير : (ابنُ مَنَدَه) ١٨/٣٤٩-٣٥٤ ، وانظر النزهة : ١/١٤٢٠ .

(٢) انظر السير : (الزُّنْجَانِيَّ) ١٨/٣٨٥-٣٨٩ ، وانظر النزهة : ٤/١٤٢٣ .

(٣) انظر السير : (أبو إِسْحَاقَ الشُّيرَازِيِّ) ١٨/٤٥٢-٤٦٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٢٩ .

(٤) انظر السير : (الْحُمَيْدِيُّ) ١٩/١٢٠-١٢٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٦٩ .

(٥) انظر السير : (الْخِطَّاطِ) ١٩/٢٢٢-٢٢٤ ، وانظر النزهة : ٥/١٤٧٣ .

بالإمام ، فقال صلى الله عليه وسلم : وَسَعَّ صَدْرَكَ لِلْفُتْيَا .

ثم قال : هو آخرُ الْمُتَكَلِّمِينَ من شيوخِ إفريقيّة بتَحْقِيقِ الفِقهِ ورُتَبَةِ الاجْتِهَادِ ودِقَّةِ النَّظَرِ ، وإليه كان يُفَزَعُ في الفُتْيَا في الفِقه ، وكان حَسَنَ الخُلُقِ ، مَلِيحَ المُجَالَسَةِ ، كَثِيرَ الحِكَايَةِ والإِنشَادِ ، وكان قَلَمُهُ أبلَغَ من لِسَانِهِ .

ولصاحبِ التَرْجَمَةِ تَأليفٌ في الرَّدِّ على « الإحياء » وتَبْيِينِ ما فيه من الوَاهِي والتَفَلُّسِ ، أنصَفَ فيه ، رَحِمَهُ اللهُ (١) .

وقال الإمامُ الذَّهَبِيُّ في تَرْجَمَةِ ابنِ ناصِرٍ : أنبؤونا عن ابنِ النَّجَّارِ قالَ : قرأتُ بخطِّ ابنِ ناصِرِ السَّلَامِيِّ وأخبرني عنه سَمَاعاً يَحْيَى بنُ الحُسَيْنِ قالَ : بقيتُ سِنِينَ لا أدخُلُ مَسْجِدَ أَبِي مَنْصُورِ الحَيَّاطِ ، واشتغلتُ بالأدبِ على التَّبْرِيذِيِّ ، فجئتُ يوماً لأقرأ الحديثَ على الحَيَّاطِ ، فقالَ : يا بُنَيَّ ، تركتُ قراءةَ القرآنِ ، واشتغلتُ بغيرِهِ !؟ عُدْ ، وأقرأ عليَّ لِيَكُونَ لَكَ إِسْنَادٌ ، فصعدتُ إليه في سَنَةِ اثنتَيْنِ وتسعينَ ، وكنتُ أقولُ كثيراً : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لِي أيُّ المَذَاهِبِ خَيْرٌ ، وكنتُ مراراً قد مَضَيْتُ إلى القَيْرَوَانِيِّ المُتَكَلِّمِ في كتابِ « التَّمْهِيدِ » للباقلَانِيِّ وكانَ مَنْ يَرُدُّني عن ذلكَ قالَ : فرأيتُ في المنامِ كأنِّي قد دَخَلْتُ المَسْجِدَ إلى الشَّيْخِ أَبِي مَنْصُورِ ، وبجَنِبِهِ رَجُلٌ عليه ثيابٌ بيضٌ ورداءٌ على عمامَتِهِ يُشَبِّهُ الثَّيَّابَ الرِّيفِيَّةَ ، دُرِّي اللُّونِ ، عليه نُورٌ وبهاءٌ ، فسَلَّمْتُ وجَلَسْتُ بينَ أيديهِما ، ووقَعَ في نَفْسِي للرجُلِ هَيْبَةٌ وأنه رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فلَمَّا جَلَسْتُ التَّفَتَّ إليَّ ، فقالَ لي : عليكِ بِمَذْهَبِ هَذَا الشَّيْخِ ، عليكِ بِمَذْهَبِ هَذَا الشَّيْخِ ثلاثَ مَرَّاتٍ ، فانتبَهتُ مرَّعوباً ، وجسَمي يَرَجُفُ ، فقَصَصْتُ ذلكَ على والدَتِي ، وبكَّرتُ إلى الشَّيْخِ لأقرأ عليه ، فقَصَصْتُ عليه الرُّؤْيَا ، فقالَ : يا وَلَدِي ، ما مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ إلاَّ حَسَنٌ ، ولا أقولُ لك : اترُكْهُ ، ولكنْ لا تَعْتَقِدِ اعتِقَادَ الأَشْعَرِيِّ فقلتُ : ما أريدُ أنْ أَكونَ نِصْفَيْنِ ، وأنا أشْهَدُكَ ، وأشهدُ الجَمَاعَةَ أَنِّي منذُ اليَوْمِ على مَذْهَبِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ في الأَصُولِ والفُرُوعِ فقالَ لي : وفقَّ اللهُ ثم أخذتُ في سَمَاعِ كُتُبِ أَحْمَدَ ومَسائِلِهِ والتَّفَقُّهُ على مَذْهَبِهِ .

(١) انظر السير : (المازري) ٢٠/١٠٤-١٠٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٣٤ .

قال ابن الجوزي وغيره : توفي ابن ناصر سنة خمسين وخمسة مئة (١) .

وعن ابن الجوزي قال : قرأت بخط أبي الفرج الحداد قال : حدثني من أوثق به أن المقتفي رأى في منامه قبل أن يستخلف بسنة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : سيصل هذا الأمر إليك فافتب بي فلذا لقب المقتفي لأمر الله (٢) .

ويقول الإمام الذهبي : نبأني جماعة عن ابن الجوزي ، حدثني الوزير ابن هبيرة ، حدثني المستنجد قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم منذ خمس عشرة سنة ، فقال لي : يبقي أبوك في الخلافة خمساً وعشرين سنة فكان كما قال فرأيت قبل موت أبي بأربعة أشهر ، فدخل بي من باب كبير ، ثم ارتفعنا إلى رأس جبل ، وصلى بي ركعتين ، وألبسني قميصاً ثم قال لي : قل : « اللهم اهديني فيمن هديت » .

ونقل صاحب « الروضتين » أنه كان موصوفاً بالعدل والرفق ، وأطلق المكوس بحيث إنه لم يترك بالعراق مكساً ، وكان شديداً على المفسدين سجن عوانياً كان يسعى بالناس مدة ، فبدل رجل فيه عشرة آلاف دينار قال المستنجد : فأنا أبذل عشرة آلاف دينار لتأتي بي بأخر مثله أحبسه (٣) .

وقال ابن النجار : سمعت المبارك النحوي يقول : كان ابن الخشاب إذا نودي على كتاب أخذه وطالعه ، وعل ورقه ، ثم يقول : هو مقطوع ، فيشتره برخص (٤) .

قال الإمام الذهبي معقباً : لعلة تاب ، فقد قال عبد الله بن أبي الفرج الجبائي : رأيت ابن الخشاب وعليه ثياب بيض ، وعلى وجهه نور ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، ودخلت الجنة ، إلا أن الله أعرض عني وعن كثير من العلماء ممن لا يعمل .

(١) انظر السير : (ابن ناصر) ٢٠/٢٦٥-٢٧١ ، وانظر النزاهة : ١/١٥٥١ .

(٢) انظر السير : (المقتفي لأمر الله) ٢٠/٣٩٩-٤١٢ ، وانظر النزاهة : ٣/١٥٦٨ .

(٣) انظر السير : (المستنجد بالله) ٢٠/٤١٢-٤١٨ ، وانظر النزاهة : ٤/١٥٦٩ .

(٤) انظر السير : (ابن الخشاب) ٢٠/٥٢٣-٥٢٨ ، وانظر النزاهة : ١/١٥٧٩ .

مات سنة سبع وستين وخمس مئة^(١) .

قال سبط الجوزي : حكى لي نجم الدين بن سلام عن والده أن الفرنج لما نزلت على دمياط ، ما زال نور الدين عشرين يوماً يصوم ، ولا يفطر إلا على الماء ، فصعف وكاد يتلف ، وكان مهيباً ، ما يجسر أحدٌ يخاطبه في ذلك ، فقال إمامه يحيى : إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم يقول : يا يحيى ، بشر نور الدين برحيل الفرنج عن دمياط ، فقلت : يا رسول الله ، ربّما لا يصدقني قال : قل له : بعلامة يوم حرام وانتبه يحيى ، فلما صلى نور الدين الصبح ، وشرع يدعو ، هابه يحيى فقال له : يا يحيى تحدّثني أو أحدّثك ؟ فازتعد يحيى ، وخرس ، فقال نور الدين : أنا أحدّثك ، رأيت النبي صلى الله عليه وسلم هذه الليلة ، وقال لك كذا وكذا ، قال : نعم فبالله يا مولانا ما معني قوله بعلامة يوم حرام ؟ فقال : لما التقينا العدو ، خفت على الإسلام ، فانفردت ونزلت ، ومرغت وجهي على الثراب ، وقلت : يا سيدي من محمود في البين ، الدين دينك ، والجند جندك ، وهذا اليوم أفعل ما يليق بكرمك ، قال : فنصرنا الله عليهم .

وتملك بعده ابنه الملك الصالح شهراً ، وسلم دمشق إلى السلطان صلاح الدين وتحول إلى حلب فدام صاحبها تسع سنين ومات بالقولنج ، وله عشرون سنة ، وكان شاباً ديناً رحمه الله^(٢) .

وروى زين الأمانة ، حدّثنا ابن القزويني عن والده مدرّس النظامية قال : حكى لنا الفراوي قال : قدم علينا ابن عساكر ، فقرأ عليّ في ثلاثة أيام فأكثر ، فأضجرتني ، وآليت أن أغلق بابي ، وأمتنع ، جرى هذا الحاطر لي بالليل ، فقدم من الغد شخصٌ ، فقال : أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك ، رأيت في النوم ، فقال : امض إلى الفراوي ، وقل له : إن قدم بلدكم رجلٌ من أهل الشام أسمر يطلب حديثي ، فلا تأخذك منه ضجر ولا ملل ، قال : فما كان الفراوي يقوم حتى يقوم الحافظ أولاً^(٣) .

(١) انظر السير : (ابن الخشاب) ٢٠/٥٢٣-٥٢٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٧٩ .

(٢) انظر السير : (نور الدين) ٢٠/٥٣١-٥٣٩ ، وانظر النزهة : ٥/١٥٨٢ .

(٣) انظر السير : (ابن عساكر) ٢٠/٥٥٤-٥٧١ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٨٤ .

٥- رُؤْيُ مُنَوَّعَةٌ :

قال أبو هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتَنِي فِي الْجَنَّةِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَيَّ جَانِبِ قَصْرِ ، فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟ قَالُوا : لِعُمَرَ ، فَذَكَرْتُ غَيْرَةَ عُمَرَ ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا » .

قال : فبكى عمر وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله أعليك أغار !!؟^(١) .

وقال معدان بن أبي طلحة اليعمرى : خطب عمر يوم الجمعة وذكر نبي الله وأبا بكر ثم قال : رأيت كأن ديكا نقرني نقرة أو نقرتين ، وإنني والله لا أراه إلا حضوراً أجلي ، وإن قوماً يأمروني أن أستخلف ، وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته فإن عجل بي أمرٌ فالخِلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ .

وقال الزهري : كان عمر لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب المغيرة بن شعبه ، وهو على الكوفة ، يذكر غلاماً عنده صنعاً^(٢) ، ويستأذنه أن يدخل المدينة ويقول : إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس : إنه حداد ، نقاش ، نجار ، فأذن له أن يرسل به ، وضرب عليه المغيرة مائة درهم في الشهر ، فجاء إلى عمر يشتكي شدة الخراج ، قال : ما خراجك بكثير ، فانصرف ساخطاً يتذمر ، فلبث عمر ليالي ثم دعاه فقال : ألم أخبر أنك تقول : لو شاء لصنعت رحي تطحن بالريح ؟ فالتفت إلى عمر عابساً وقال : لأصنعن لك رحي يتحدث الناس بها ، فلمأ ولئى قال عمر لأصحابه : أوعدني العبد أنفاً ، ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه ، فكمن في زاوية من زوايا المسجد في الغلس .

وقال عمرو بن ميمون الأودي : إن أبا لؤلؤة عبد المغيرة طعن عمر بخنجر له رأسان ، وطعن معه اثني عشر رجلاً ، مات منهم ستة فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوباً ، فلمأ اغتم فيه قتل نفسه .

(١) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ٣/٤٦ .

(٢) صنعاً : حاذق .

وقال عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه قال : جئت من السوق وعمر يتوكأ علي ، فمر بنا أبو لؤلؤة ، فنظر إلى عمر نظرة ظننت أنه لولا مكاني لبطش به ، فجئت بعد ذلك إلى المسجد الفجر فإني لبين النائم واليقظان ، إذ سمعت عمر يقول : قتلني الكلب ، فماج الناس ساعة ، ثم إذا قراءة عبد الرحمن بن عوف .

وعن أبي رافع : كان أبو لؤلؤة عبداً للمغيرة يصنع الأرحاء ، وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم ، فلقي عمر فقال : يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل علي فكلّمه ، فقال : أحسن إلى مولاك ، ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه ، فغضب وقال : يسع الناس كلهم عدله غيري ، وأضمر قتله ، واتخذ خنجراً وشحذه وسمه ، وكان عمر يقول : « أقيموا صفوفكم » قبل أن يكبر ، فجاء فقام حذاءه في الصف وضربه في كتفه وفي خاصرته ، فسقط عمر ، وطعن ثلاث عشر رجلاً معه ، فمات منهم ستة ، وحمل عمر إلى أهله وكادت الشمس أن تطلع ، فصلى ابن عوف بالناس بأقصر سورتين ، وأتى عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يبين ، فسقوه لبناً فخرج من جرحه فقالوا : لا بأس عليك ، فقال : إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت ، فجعل الناس يئنون عليه ويقولون : كنت وكنت ، فقال : أما والله وددت أني خرجت منها كفافاً لا علي ولا لي ، وأن صحبة رسول الله سلّمت لي ^(١) .

وعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : غشي علي عبد الرحمن بن عوف في وجعه حتى ظنوا أنه قد فاضت نفسه ، حتى قاموا من عنده ، وجلّوه ، فأفاق يكبر ، فكبر أهل البيت ، ثم قال لهم : غشي علي أنفاً ؟ قالوا : نعم قال : صدقتم ! انطلق بي في غشيتي رجلاًن أجد فيهما شدة وفظاظة ، فقال : انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين ، فانطلقا بي حتى لقياً رجلاً ، قال : أين تذهبان بهلذا ؟ قالا : نحاكمه إلى العزيز الأمين فقال : ارجعا فإنه من الذين كُتب لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم ، وإنه سيمتع به بنوه إلى ما شاء الله ، فعاش بعد ذلك شهراً .

(١) انظر السير : (عمر بن الخطاب) ، وانظر النزهة : ٣/٥٣ .

قال إبراهيم بن سعد : عن أبيه ، عن جده ، سمع علياً يقول يوم مات عبد الرحمن بن عوف : اذهب يا بن عوف ! فقد أدركت صفوها وسبقت رنقها^(١) ،^(٢) .

وعن ابن عباس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً في الجنة ، مضرجة قوادمه بالدماء ، يطير في الجنة »^(٣) .

قال المثنى بن سعيد : سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي ثم ينيكي^(٤) .

قال أبو التياح : كان مطرف بن عبد الله يدو ، فإذا كان ليلة الجمعة ، أذبح على فرسه ، فربما نور له سوطه ، فأذبح ليلة حتى إذا كان عند القبور ، هوام^(٥) على فرسه ، قال : فرأيت أهل القبور ، صاحب كل قبر جالساً على قبره ، فلما رأوني ، قالوا : هذا مطرف يأتي الجمعة : قلت أتعلمون عندكم يوم الجمعة !! ؟ قالوا : نعم ، نعلم ما تقول الطير فيه .

قلت : وما تقول الطير ؟ قالوا تقول : سلام سلام من يوم صالح^(٦) .

أتى رجل العلاء بن زياد ، فقال : أتاني آت في منامي فقال : انت العلاء بن زياد ، فقل له : لم تبكي !! ؟ قد غفر لك .

قال : فبكي ، وقال : الآن حين لا أهدأ^(٧) .

وعن ابن أبي نجيح قال : قال مجاهد لطاؤوس : رأيتك يا أبا عبد الرحمن تصلي في الكعبة ، والنبى صلى الله عليه وسلم على بابها يقول لك : اكشف فناعك ، وبين

(١) الرنق : الكدر .

(٢) انظر السير : (عبد الرحمن بن عوف) ١/٦٨-٩٢ ، وانظر النزهة : ٥/١٣١ .

(٣) انظر السير : (جعفر بن أبي طالب) ١/٢٠٦-٢١٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٠ .

(٤) انظر السير : (أنس بن مالك) ٣/٣٩٥-٤٠٦ ، وانظر النزهة : ٦/٤٠١ .

(٥) هوام : أي هز رأسه من النعاس أو نام نوماً خفيفاً .

(٦) انظر السير : (مطرف بن عبد الله) ٤/١٨٧-١٩٥ ، وانظر النزهة : ٤/٤٧٦ .

(٧) انظر السير : (العلاء بن زياد) ٤/١٩٧-١٩٨ ، وانظر النزهة : ٧/٤٧٧ .

قِرَاءَتِكَ قَالَ طَاوُوسٌ : اسْكُتْ لَا يَسْمَعُ هَذَا مِنْكَ أَحَدٌ ، قَالَ : ثُمَّ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّهُ انْبَسَطَ فِي الْكَلَامِ ، يَعْنِي فَرَحًا بِالْمَنَامِ^(١) .

وعن سُلَيْمَانَ بْنِ مُسْلِمٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الْقَارِيءَ عَلَى الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ : أَقْرَأَ إِخْوَانِي السَّلَامَ وَخَبَّرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي مِنَ الشُّهَدَاءِ الْأَحْيَاءِ الْمَرْزُوقِينَ^(٢) .

عن جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّهُ مُتَسَانِدٌ إِلَى خَشَبَةِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَهُوَ يَقُولُ : هَكَذَا تَفْعَلُونَ بَوْلَدِي؟^(٣) .

وعن سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، قَالَ : رَأَيْتُ مَنْصُورَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟ قَالَ : كِدْتُ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى بِعَمَلِ نَبِيِّ^(٤) .

قِيلَ : إِنَّ حَوْشِبَا قَالَ لِمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ : رَأَيْتُ ، كَأَنَّ مُنَادِيًا يُنَادِي الرَّحِيلَ ، الرَّحِيلَ ، فَمَا ارْتَحَلَ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ فَبَكَى مَالِكٌ ، وَخَرَّ مَغْشِيًا عَلَيْهِ^(٥) .

وعن رَقَبَةَ بْنِ مَصْقَلَةَ قَالَ : رَأَيْتُ رَبَّ الْعِزَّةِ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ : لِأَكْرَمٍ مَثْوَى سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ صَلَّى لِي الْفَجْرَ بَوْضُوءِ الْعِشَاءِ أَرْبَعِينَ سَنَةً^(٦) .

وقال ابنُ عُيَيْنَةَ ، سَمِعْتُ دَاوُدَ بْنَ أَبِي هِنْدٍ يَقُولُ : أَصَابَنِي الطَّاعُونُ فَأَغْمَى عَلَيَّ ، فَكَأَنَّ آتِيَيْنِ آتِيَانِي فَعَمَزَ أَحَدُهُمَا عَلْوَةَ لِسَانِي ، وَعَمَزَ الْآخَرُ أَحْمَصَ قَدَمِي ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ تَجِدُ ؟ قَالَ : أَجِدُ تَسْبِيحًا وَتَكْبِيرًا وَشَيْئًا مِنْ خَطْوِ إِلَى الْمَسْجِدِ وَشَيْئًا مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ قَالَ : وَلَمْ أَكُنْ أَخَذْتُ الْقُرْآنَ حِينْتُذ ، قَالَ : فَكُنْتُ أَذْهَبُ فِي الْحَاجَةِ فَأَقُولُ : لَوْ ذَكَرْتُ اللَّهَ حَتَّى آتَى حَاجَتِي ، قَالَ : فَعُوفِيْتُ ، فَأَقْبَلْتُ عَلَى الْقُرْآنِ فَتَعَلَّمْتُهُ^(٧) .

وقال عَمْرُو بْنُ أَبِي سَلَمَةَ التَّنِيسِيُّ : حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ : رَأَيْتُ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ عَرَجَا

-
- (١) انظر السير : (طاووس) ٤٩-٣٨/٥ ، وانظر النزهة : ٥/٥٧٧ .
 - (٢) انظر السير : (أبو جعفر القاريء) ٢٨٨-٢٨٧/٥ ، وانظر النزهة : ٤/٦٠٤ .
 - (٣) انظر السير : (زيد بن علي) ٣٨٩-٣٩١/٥ ، وانظر النزهة : ٢/٦١٥ .
 - (٤) انظر السير : (منصور بن المعتبر) ٤٠٢-٤١٢/٥ ، وانظر النزهة : ٢/٦١٨ .
 - (٥) انظر السير : (محمد بن واسع) ١١٩-١٢٣/٦ ، وانظر النزهة : ٩/٦٣٨ .
 - (٦) انظر السير : (سليمان بن طرخان) ١٩٥-٢٠٢/٦ ، وانظر النزهة : ٢/٦٤١ .
 - (٧) انظر السير : (داود بن أبي هند) ٣٧٦-٣٧٩/٦ ، وانظر النزهة : ٣/٦٥٩ .

بي ، وأوقفاني بين يدي رب العزة ، فقال لي : أنت عبدي عبد الرحمن الذي تأمر بالمعروف ؟ فقلت : بعزتك أنت أعلم قال : فهبط بي حتى رداني إلى مكاني (١) .

وقال شعير بن الخمس : رأيت سُفْيَانَ الثَّورِيَّ فِي الْمَنَامِ يَطِيرُ مِنْ نَخْلَةٍ إِلَى نَخْلَةٍ وَهُوَ يَقْرَأُ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ ﴾ (٢) ، (٣) .

وعن إبراهيم بن أعين ، قال : رأيت سُفْيَانَ بْنَ سَعِيدٍ ، فَقُلْتُ : مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : أَنَا مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ (٤) .

وقال خَلْفٌ : وَدَخَلْتُ عَلَى الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، فَقَالَ : مَا تَرَى ؟ (٥) فَإِذَا رُؤْيَا بَعْثَهَا بَعْضُ إِخْوَانِهِ ، يَقُولُ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ ، فِي مَسْجِدٍ قَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ تَحْتَ مِنْبَرِي طَيْباً أَوْ عِلْماً ، وَأَمَرْتُ مَالِكاً أَنْ يُفَرِّقَهُ عَلَى النَّاسِ ، فَأَنْصَرَفَ النَّاسُ وَهُمْ يَقُولُونَ : إِذَا يُنْفَذُ مَالِكٌ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ بَكَى ، فَقُمْتُ عَنْهُ (٦) .

ونقل القاضي عياض أن أسد بن موسى قال : رأيت مَالِكاً بعد موته ، وعليه طويلة ، وثياب خضراء وهو على ناقية ، يطير بين السماء والأرض فقلت : يا أبا عبد الله ، أليس قد ميت ؟ قال : بلى فقلت : لإلام صرت ؟ فقال : قدمت على ربي وكلمني كفاحاً (٧) وقال : سألني أعطك ، وتمن علي أرضك .

قال الإمام الذهبي : ودفن بالبقيع اتفاقاً وقبره مشهورٌ يُزار ، رحمه الله (٨) .

-
- (١) انظر السير : (الأوزاعي) ٧/١٠٧-١٣٤ ، وانظر النزهة : ٢/٦٨٣ .
 - (٢) سورة الزمر ، الآية : ٧٤ .
 - (٣) انظر السير : (سُفْيَانُ) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٨/٧٠٠ .
 - (٤) انظر السير : (سُفْيَانُ) ٧/٢٢٩-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٩/٧٠٠ .
 - (٥) نص الحلية : فقال لي : انظر ما ترى تحت مُصَلَّيَّ أو حَصِيرِي ، فنظرت ، فإذا أنا بكتاب ، فقال : اقرأه .
 - (٦) انظر السير : (مالك الإمام) ٨/٤٨-١٣٥ ، وانظر النزهة : ٢/٧٢٧ .
 - (٧) أي مواجهة دون واسطة
 - (٨) انظر السير : (مالك الإمام) ٨/٤٨-١٣٥ ، وانظر النزهة : ٥/٧٣٧ .

ويُقَالُ : إِنَّهُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا ، رَأَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَائِلًا يُنْشِدُ :
لَقَدْ أَصْبَحَ الْإِسْلَامَ زُغْزِعَ رُكْنُهُ غَدَاةَ ثَوَى الْهَادِي لَدَى مَلْحَدِ الْقَبْرِ
إِمَامَ الْهُدَى مَا زَالَ لِلْعِلْمِ صَائِنًا عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ فِي آخِرِ الدَّهْرِ
قَالَ : فَانْتَبَهْتُ ، فَإِذَا الصَّارِخَةُ عَلَى مَالِكٍ (١) .

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْقَعْنَبِيُّ : رَأَيْتُ كَأَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ ، وَكَأَنَّ مُنَادِيًا
يُنَادِي : أَلَا لِيَتِمَّ السَّابِقُونَ ، فَقَامَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، ثُمَّ نَادَى : أَلَا لِيَتِمَّ السَّابِقُونَ فَقَامَ
سَلْمُ الْخَوَّاصُ ، ثُمَّ قَامَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمٍ (٢) .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ الْعَابِدُ : سَمِعْتُ نَصْرَ بْنَ بَسَّامٍ وَغَيْرَهُ مِنْ أَصْحَابِنَا ، قَالُوا :
أَتَيْنَا مَعْرُوفًا الْكَرْخِيَّ ، فَقَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ وَهُوَ يَقُولُ
لِهَشِيمِ بْنِ بَشِيرٍ : جَزَاكَ اللَّهُ عَنْ أُمَّتِي خَيْرًا ، فَقُلْتُ لِمَعْرُوفٍ : أَنْتَ رَأَيْتَ ؟ قَالَ :
نَعَمْ ، هَشِيمٌ خَيْرٌ مِمَّا نَظُنُّ (٣) .

وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْمَفْضَلِ : رَأَيْتُ بَشْرَ بْنَ مَنْصُورٍ فِي الْمَنَامِ ، فَقُلْتُ : مَا صَنَعَ اللَّهُ
بِكَ ؟ قَالَ : وَجَدْتُ الْأَمْرَ أَهْوَنَ مِمَّا كُنْتُ أَحْمِلُ عَلَى نَفْسِي .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : تُوَفِّيَ هَذَا الْإِمَامُ رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ وَمِئَةٍ ، وَوَلَهُ
نَيْفٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً (٤) .

وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّسْفِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا حَاتِمٍ الْفَرَبْرِيَّ يَقُولُ : رَأَيْتُ ابْنَ
الْمُبَارَكِ واقِفًا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ بِيَدِهِ مِفْتَاحٌ ، فَقُلْتُ : مَا يُوقِفُكَ هَا هُنَا ؟ قَالَ : هَذَا
مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ ، دَفَعَهُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : حَتَّى أُرْوَرَ الرَّبَّ ،
فَكُنْ أَمِينِي فِي السَّمَاءِ ، كَمَا كُنْتَ أَمِينِي فِي الْأَرْضِ (٥) .

-
- (١) انظر السير : (مالك الإمام) ٤٨/٨ - ١٣٥ ، وانظر النزاهة : ١/٧٣٨ .
(٢) انظر السير : (سلم بن ميمون) ١٧٩/٨ - ١٨٠ ، وانظر النزاهة : ٧/٧٤٢ .
(٣) انظر السير : (هشيم) ٢٨٧/٨ - ٢٩٤ ، وانظر النزاهة : ٣/٧٥٩ .
(٤) انظر السير : (بشور بن منصور) ٣٥٩/٨ - ٣٦٢ ، وانظر النزاهة : ٥/٧٦٤ .
(٥) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٣٧٨/٨ - ٤٢١ ، وانظر النزاهة : ٥/٧٧١ .

وقال إسماعيل بن إبراهيم المصيصي : رأيت الحارث بن عطية في النوم ، فسألته ، فقال : غفر لي قلت : فابن المبارك ، قال : يخ يخ ذلك في عليين ممن يلج على الله كل يوم مرتين^(١) .

وقال أبو أسامة : سمعت الفضيل بن عياض يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، وإلى جنبه فُرجة ، فذهبت لأجلس ، فقال : هذا مجلس أبي إسحاق الفزاري^(٢) .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت عبد الرحمن بن مطرف يقول : رأيت منصور بن عمار بعد موته ، فقيل : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، وقال لي : يا منصور ، غفرت لك على تخليط فيك كثير ، إلا أنك كنت تحوش^(٣) الناس إلى ذكري^(٤) .

وعن زهير البائي ، قال : رأيت يحيى القطان في النوم عليه قميص بين كتفيه مكتوب : بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب من الله العزيز العليم براءة ليحيى بن سعيد القطان من النار^(٥) .

وقال محمد بن عمرو بن عبيدة العصفري : سمعت علي بن المديني قال : رأيت خالد بن الحارث في النوم ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي على أن الأمر شديد قلت : فما فعل يحيى القطان ؟ قال : نراه كما يرى الكوكب الدرّي في أفق السماء .

توفي يحيى بن سعيد سنة ثمان وتسعين ومئة^(٦) .

(١) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٨/٣٧٨-٤٢١ ، وانظر النزهة : ٦/٧٧١ .

(٢) انظر السير : (أبو إسحاق الفزاري) ٨/٥٣٩-٥٤٣ ، وانظر النزهة : ٧/٧٩٠ .

(٣) أي تسوفهم وتجمعهم .

(٤) انظر السير : (منصور بن عمار) ٩/٩٣-٩٨ ، وانظر النزهة : ٤/٨٠١ .

(٥) انظر السير : (يحيى القطان) ٩/١٧٥-١٨٨ ، وانظر النزهة : ٤/٨١٦ .

(٦) انظر السير : (يحيى القطان) ٩/١٧٥-١٨٨ ، وانظر النزهة : ٥/٨١٦ .

وقال أبو نافع سبط يزيد بن هارون : كنتُ عندَ أحمدَ بنِ حنبلٍ ، وعندَهُ رجُلانِ فقالَ أحدهما : رأيتُ يزيدَ بنَ هارونَ في المَنامِ ، فقلْتُ له : ما فعلَ اللهُ بِكَ ؟ قالَ : غفَرَ لي ، وشَفَعَنِي ، وعانَبَنِي ، وقالَ : أتحدَّثُ عن حريزِ بنِ عُثمانَ ؟ فقلْتُ : يا رَبِّ ما علِمْتُ إلاَّ خيراً ، قالَ : إِنَّهُ يَبْغِضُ عَلِيّاً رضي اللهُ عنه وقالَ الرجلُ الآخرُ : رأيتُهُ في المَنامِ فقلْتُ له : هلْ أتاكُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ ؟ قالَ : إي والله ، وسألاني : مَنْ رَبُّكَ ؟ وما دينُكَ ؟ فقلْتُ : أَلِمِئلي يُقالُ هذا ؟ !! ، وأنا كُنْتُ أَعْلَمُ النَّاسِ بِهَذَا في الدُّنيا ؟ فقلا لي صدقت .

تُوفِّيَ يزيدُ بِوَاسِطِ سَنَةِ سِتٍّ وَمِئَتَيْنِ (١) .

وقالَ النَّقَّاشُ : قالَ يَحْيَى الفَحَّامُ : رأيتُ خَلْفَ بنِ هشامِ في النَّومِ ، فقلْتُ : ما فعلَ اللهُ بِكَ ؟ قالَ غَفَرَ لي (٢) .

وقالَ حُبَيْشُ بنُ مُبَشَّرِ الفَقِيهِ - وهو ثِقَّةٌ - : رأيتُ يَحْيَى بنَ مَعِينِ في النَّومِ ، فقلْتُ : ما فعلَ اللهُ بِكَ ؟ قالَ : أعطاني وحباني وزوجني ثلاثَ مئةِ حوراءَ ، ومهدَّ لي بينَ البابينِ ، أو قالَ : بينَ النَّاسِ . سَمِعَها جَعْفَرُ بنُ أَبِي عُثْمَانَ من حُبَيْشِ (٣) .

ورواها الحُسَيْنُ بنُ الخَصِيبِ ، عن حُبَيْشِ ، قالَ : رأيتُ يَحْيَى بنَ مَعِينِ في النَّومِ ، فقلْتُ : ما فعلَ اللهُ بِكَ ؟ قالَ : أدخَلَنِي عليه في دارِهِ وزوجني ثلاثَ مئةِ حوراءَ ثم قالَ لِلْمَلائِكَةِ : انظُرُوا إلى عَبْدِي كَيْفَ تَطَرَّيَ وَحَسَنَ (٤) .

وقالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ في تَرْجَمَةِ الشَّهِيدِ أحمدَ بنِ نَصْرِ الحُزَاعِيِّ : وقيلَ رُئيَ في النَّومِ ، فقيلَ : ما فعلَ اللهُ بِكَ ؟ قالَ : ما كانتَ إلاَّ غَفْوَةً حتَّى لَقِيتُ اللهُ ، فَضَحِكَ إِلَيَّ وقيلَ : إِنَّهُ قالَ : غَضِبْتُ له فأباحني النَّظَرَ إلى وَجْهِهِ .

(١) انظر السير : (يزيد بن هارون) ٣٥٨/٩ - ٣٧١ ، وانظر النزهة : ٦/٨٢٩ .

(٢) انظر السير : (خلف بن هشام) ٥٧٦/١٠ - ٥٨٠ ، وانظر النزهة : ٤/٨٩٦ .

(٣) انظر السير : (يحيى بن معين) ٧١/١١ - ٩٦ ، وانظر النزهة : ١/٩١٣ .

(٤) انظر السير : (يحيى بن معين) ٧١/١١ - ٩٦ ، وانظر النزهة : ٢/٩١٣ .

بَقِيَ رَأْسُهُ مَنْصُوبًا بِبَغْدَادَ ، وَالبَدَنُ مَصلُوبًا بِسَامِرَاءَ سِتَّ سِنِينَ إِلَى أَنْ أُنزِلَ ، وَجُمِعَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ ، فَدُفِنَ رَحْمَةً اللهُ عَلَيْهِ (١) .

وعن أخِي أَبِي عَقِيلٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ شَابًا ، تُوفِّيَ بِقَزَوِينَ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ بِكَ رَبُّكَ ؟ قَالَ : غَفَرَ لِي ، وَرَأَيْتُهُ مُسْتَعَجَلًا ، فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : لِأَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ قَدْ اسْتَغَلُّوا بِعَقْدِ الأَلْوِيَةِ لِاسْتِقْبَالِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَأَنَا أُرِيدُ اسْتِقْبَالَهِ وَكَانَ أَحْمَدُ تُوفِّيَ تِلْكَ الأَيَّامَ (٢) .

وعن الهَيْثَمِ بْنِ خَالَوِيهِ ، قَالَ : رَأَيْتُ السُّنْدِيَّ فِي النَّوْمِ ، فَقُلْتُ : مَا حَالُكَ ؟ قَالَ : أَنَا بِخَيْرٍ لَكِنْ اسْتَغَلُّوا عَنِّي بِمَجِيءِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (٣) .

وعن زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَى السُّمَّسَارِ ، يَقُولُ : رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي الْمَنَامِ عَلِيَّ رَأْسِهِ تَاجٌ مُرْصَعٌ بِالْجَوْهَرِ ، فِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ ، وَهُوَ يَخْطِرُ بِهِمَا قُلْتُ : مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ ؟ قَالَ : غَفَرَ لِي وَأَذَانِي ، وَتَوَجَّيْتُ بِيَدِهِ بِهَذَا التَّاجِ وَقَالَ لِي : هَذَا بِقَوْلِكَ : الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ قُلْتُ : مَا هَذِهِ الْخَطْرَةُ الَّتِي لَمْ أَعْرِفْهَا لَكَ فِي دَارِ الدُّنْيَا ؟ قَالَ : هَذِهِ مِشِيَةُ الْخُدَّامِ فِي دَارِ السَّلَامِ (٤) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُؤَمَّلِ بْنِ الْحَسَنِ : سَمِعْتُ أَبَا يَحْيَى الْبِرَّازِ يَقُولُ لِأَبِي رَجَاءَ الْقَاضِي : كُنْتُ فِيمَنْ حَجَّ مَعَ الْحَسَنِ بْنِ عِيْسَى وَقَتَ مَوْتِهِ ، فَاسْتَعَلْتُ بِحِفْظِ جَمَلِي عَنْ شُهُودِهِ ، فَأَرَيْتُهُ فِي النَّوْمِ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ ؟ قَالَ : غَفَرَ لِي وَلِكُلِّ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ قُلْتُ : فَإِنِّي فَاتَتْنِي الصَّلَاةُ عَلَيْكَ لِعِيَّةِ عَدِيلِي ، فَقَالَ : لَا تَجْزَعْ ، وَغَفَرَ لِكُلِّ مَنْ يَتَرَحَّمُ عَلَيَّ رَحِمَهُ اللهُ .

قَالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ : وَفِي ذُرِّيَّتِهِ وَأَقَارِبِهِ مُحَدِّثُونَ وَفُضَّلَاءُ (٥) .

- (١) انظر السير : (الخُزَاعِيُّ) ١١/١٦٦-١٦٩ ، وانظر النزهة : ١/٩٢٠ .
- (٢) انظر السير : (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٥٠ .
- (٣) انظر السير : (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٥١ .
- (٤) انظر السير : (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٥١ .
- (٥) انظر السير : (الْحَسَنُ بْنُ عِيْسَى بْنِ مَسْرُجِسٍ) ١٢/٢٧-٣٠ ، وانظر النزهة : ٢/٩٧٧ .

وعن مُحَمَّدِ بْنِ نَعِيمٍ يَقُولُ : رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ رَافِعٍ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ فِي حَجْرِهِ مُصَحَّفٌ يَقْرَأُ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَلَيْسَ قَدِ مِتُّ ؟ فَنَظَرَ إِلَيَّ نَظْرَةً مُنْكَرَةً فَقُلْتُ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا مَا حَدَّثْتَنِي ، مَا فَعَلَ بِكَ رَبُّكَ ؟ قَالَ : بَشَّرَنِي بِالرَّوْحِ وَالرَّاحَةِ^(١) .

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ الْحَقَّافُ : رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى الدُّهْلِيَّ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟ قَالَ : غَفَرَ لِي ، قُلْتُ فَمَا فَعَلَ بِحَدِيثِكَ ؟ قَالَ : كُتِبَ بِمَاءِ الذَّهَبِ ، وَرُفِعَ فِي عَلِيِّينَ^(٢) .

وَقَالَ الْحَاكِمُ : سَمِعْتُ أبا الفَضْلِ الحَسَنَ بْنَ يَعْقُوبَ العَدْلَ ، سَمِعْتُ أبا عَمْرٍو المُسْتَمْلِي يَقُولُ : رَأَيْتُ يَحْيَى بْنَ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الْمَنَامِ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ ؟ قَالَ : غَفَرَ لِي قُلْتُ : فَمَا فَعَلَ الخُجُستَانِي ؟ قَالَ : هُوَ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ ، وَالْمِفْتَاحُ بِيَدِي^(٣) .

وعن الفِرْبَرِيِّ ، قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ لِي : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ فَقُلْتُ أُرِيدُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيَّ ، فَقَالَ : أَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ^(٤) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَكِّي الجُرْجَانِي : سَمِعْتُ عبدَ الوَاحِدِ بْنَ آدَمَ الطَّوَاوِيسِي يَقُولُ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَهُوَ وَاقِفٌ فِي مَوْضِعٍ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ فَقُلْتُ : مَا وَقُوفُكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ أَنْتَظِرُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيَّ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ بَلَغَنِي مَوْتُهُ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا قَدْ مَاتَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا^(٥) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ : سَمِعْتُ أبا ذَرٍّ يَقُولُ : رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ حَاتِمِ الخَلْقَانِيَّ فِي الْمَنَامِ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصِ ، فَسَأَلْتُهُ - وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّهُ مَيِّتٌ - عَنِ

(١) انظر السير : (مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ) ٢١٤-٢٢١ ، وانظر النزهة : ٢/٩٩٦ .

(٢) انظر السير : (الدُّهْلِيُّ وَابْنُهُ) ٢٧٣-٢٨٥ ، وانظر النزهة : ١/١٠٠٠ .

(٣) انظر السير : (يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الدُّهْلِيُّ) ٢٨٥-٢٩٤ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٠١ .

(٤) انظر السير : (أَبُو عَبْدِ اللهِ البُخَارِيُّ) ٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزهة : ٣/١٠١٦ .

(٥) انظر السير : (أَبُو عَبْدِ اللهِ البُخَارِيُّ) ٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٠٢١ .

شَيْخِي رَحِمَهُ اللهُ ، هَلْ رَأَيْتَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ ذَاكَ ، يُشِيرُ إِلَى نَاحِيَةِ سَطْحٍ مِنْ سَطُوحِ الْمَنْزِلِ ثُمَّ سَأَلْتُهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، فَقَالَ : رَأَيْتُهُ ، وَأَشَارَ إِلَى السَّمَاءِ إِشَارَةً كَادَ أَنْ يَسْقُطَ مِنْهَا لِعُلُوِّ مَا يُشِيرُ^(١) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ السَّرَّاجِ ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمِ بْنِ وَارَةَ يَقُولُ : رَأَيْتُ أَبَا زُرْعَةَ فِي الْمَنَامِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا حَالُكَ يَا أَبَا زُرْعَةَ ؟ قَالَ : أَحَمَدُ اللهُ عَلَى أَحْوَالِهِ كُلِّهَا ، إِنِّي حَضَرْتُ ، فَوَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى ، فَقَالَ : يَا عُبَيْدَ اللهِ ! لِمَ تَذَرَعَتِ الْقَوْلَ فِي عِبَادِي ؟ قُلْتُ : يَا رَبِّ إِنَّهُمْ حَاوَلُوا دِينَكَ قَالَ : صَدَقْتَ ثُمَّ أَتَى بِطَاهِرِ الْخُلُقَانِي ، فَاسْتَعَدَيْتُ عَلَيْهِ إِلَى رَبِّي تَعَالَى ، فَضَرَبَ الْحَدَّ مِثَّةً ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَى الْحَبْسِ ، ثُمَّ قَالَ : أَلْحِقُوا عُبَيْدَ اللهِ بِأَصْحَابِهِ : أَبِي عَبْدِ اللهِ ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ : سُفْيَانَ الثَّوْرِي ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : إِسْنَادُهَا كَالشَّمْسِ^(٢) .

وَقَالَ الْمُحَدِّثُ يَحْيَى بْنُ أَحْمَدَ بْنِ زِيَادِ الْهَرَوِيِّ ، صَاحِبُ ابْنِ مَعِينٍ : رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ : إِنَّ عُثْمَانَ - يَعْنِي الدَّارِمِيَّ - لَدُو حَظَّ عَظِيمٍ^(٣) .

وَقَالَ أَبُو الشَّيْخِ : سَمِعْتُ ابْنَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ يَحْكِي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْكِسَائِيِّ ، قَالَ : رَأَيْتُ ابْنَ أَبِي عَاصِمٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّهُ كَانَ جَالِسًا فِي مَسْجِدِ الْجَامِعِ ، وَهُوَ يُصَلِّي مِنْ قَعُودٍ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَيَّ ، وَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ قُلْتُ : مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ ؟ قَالَ : يُؤْنِسُنِي رَبِّي قُلْتُ : يُؤْنِسُكَ رَبُّكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ فَشَهَقْتُ شَهَقَةً ، وَانْتَبَهْتُ^(٤) .

وَقَالَ ابْنُ مُجَاهِدٍ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ لِي : أَقْرَىءَ أَبَا الْعَبَّاسِ^(٥) السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّكَ صَاحِبُ الْعِلْمِ الْمُسْتَطِيلِ .

(١) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ١٢ / ٣٩١ - ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٠٢١ .

(٢) انظر السير : (أبو زُرْعَةَ الرَّازِي) ١٣ / ٦٥ - ٨٥ ، وانظر النزهة : ١ / ١٠٥٤ .

(٣) انظر السير : (الدَّارِمِي) ١٣ / ٣١٩ - ٣٢٦ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٠٩٢ .

(٤) انظر السير : (ابنُ أَبِي عَاصِمٍ) ١٣ / ٤٣٠ - ٤٣٩ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٠٩٩ .

(٥) يَعْنِي ثَعْلَبَ الْمُحَدِّثِ .

وله كتابٌ : « اِخْتِلَافِ النَّحْوِيِّينَ » ، وكتابٌ « الْقِرَاءَاتِ » ، وكتابٌ « مَعَانِي الْقُرْآنِ » وأشياء .

وعُمَرُ ، وَأَصَمُّ ، صَدَمَتَهُ دَابَّةٌ ، فَوَقَعَ فِي حُفْرَةٍ ، وَمَاتَ مِنْهَا فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ (١) .

وعن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن المضارب قال : رأيتُ ابنَ خزيمة في النومِ ، فقلتُ : جزاك اللهُ عن الإسلامِ خيراً ، فقال : كذا قال لي جبريلُ في السماءِ .
وفاته في سنةِ إحدى عشرة وثلاث مئة ، عاش تسعاً وثمانين سنةً (٢) .

وحكى ابنُ السَّعْسَاعِ المِصْرِيُّ ، أَنَّهُ رَأَى فِي النَّوْمِ أَبَا بَكْرٍ بِنِ النَّابِلِسِيِّ بَعْدَمَا صُلِبَ وَهُوَ فِي أَحْسَنِ هَيْئَةٍ ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ ؟ فَقَالَ :

حَبَانِي مَالِكِي بِدَوَامِ عِزٍّ وَوَاعَدَنِي بِقُرْبِ الْإِنْتِصَارِ
وَقَرَّبَنِي وَأَذْنَانِي إِلَيْهِ وَقَالَ انْعَمَ بَعِيشٍ فِي جَوَارِي (٣)

وقال أبو بكر بنُ الخاضبة : رأيتُ كأنَّ القيامةَ قد قامت ، وكأنَّ مَنْ يَقُولُ : أَيْنَ ابْنُ الخاضبةِ ؟ فقيل لي : ادْخُلِ الجَنَّةَ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ اسْتَلْقَيْتُ عَلَى قَفَائِي ، وَوَضَعْتُ إِحْدَى رِجْلَيَّ عَلَى الْأُخْرَى ، وَقُلْتُ : آه ! اسْتَرَحْتُ وَاللَّهِ مِنَ النَّسْخِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا بِنِغْلَةٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ فِي يَدِ غُلَامٍ فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذِهِ ؟ فَقَالَ : لِلشَّرِيفِ أَبِي الحُسَيْنِ بْنِ الغَرِيقِ فَلَمَّا كَانَ فِي صَبِيحَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، نَعِيَ إِلَيْنَا أَبُو الحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللهُ (٤) .

وقال أبو الفضل بنُ خَيْرُوونَ : جَاءَنِي بَعْضُ الصَّالِحِينَ وَأَخْبَرَنِي لَمَّا مَاتَ الحَظِيبُ أَنَّهُ رَأَاهُ فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ حَالُكَ ؟ قَالَ : أَنَا فِي رَوْحٍ وَرِيحَانٍ وَجَنَّةٍ نَعِيمٍ (٥) .

(١) انظر السير : (تَعَلَّب) ٧/١٤-٥ ، وانظر النزهاة : ٣/١١٢١ .

(٢) انظر السير : (ابنُ خزيمة) ٣٦٥-٣٨٢ ، وانظر النزهاة : ٤/١١٦٢ .

(٣) انظر السير : (الشَّهِيد) ١٦/١٤٨-١٥٠ ، وانظر النزهاة : ٤/١٢٧٦ .

(٤) انظر السير : (ابنُ المُهْتَدِي بالله) ١٨/٢٤١-٢٤٤ ، وانظر النزهاة : ٥/١٤٠٨ .

(٥) انظر السير : (الحَظِيبُ) ١٨/٢٧٠-٢٩٧ ، وانظر النزهاة : ١/١٤١٥ .

وقال أبو الحسن علي بن الحسين بن جدا : رأيتُ بعدَ موتِ الخطيبِ كأنَّ شخصاً قائماً بجذائي ، فأردتُ أن أسأله عن أبي بكر الخطيبِ ، فقال لي ابتداءً : أنزلَ وَسَطَ الجنةِ حيثُ يتعارفُ الأبرارُ^(١) .

وقال الفقيه الصالح حسن بن أحمد البصري : رأيتُ الخطيبَ في المنامِ وعليه ثيابٌ بيضٌ حسانٌ وعمامةٌ بيضاءٌ ، وهو فرحانٌ يتبسّمُ ، فلا أدري قلتُ : ما فعلَ اللهُ بكِ ؟ أو هو بداني ، فقال : غفَرَ اللهُ لي ، أو رحمني ، وكلُّ من يجيءُ - فوقعَ لي أنه يعني بالتوحيدِ - إليه يرحمه ، أو يغفرَ له فأبشروا ، وذلك بعدَ وفاته بأيام .

قال الإمام الذهبيُّ معقّباً : تناكَدَ ابنُ الجوزي رحمةَ الله وغضَّ من الخطيبِ ، ونسبه إلى أنه يتعصّبُ على أصحابنا الحنابلة .

وقال الإمام الذهبيُّ : لیت الخطيبَ تركَ بعضَ الحطِّ على الكبارِ فلم يروه .
قال أبو السمعاني : للخطيبِ سنّةٌ وخمسونَ مُصنّفًا^(٢) .

ثم قال ابنُ الجوزي : حدّثني الفقيه أبو بكر بنُ الحُصري ، قال : رأيتُ ابنَ ناصرٍ في النومِ ، فقلتُ له : ما فعلَ اللهُ بكِ ؟ قال : غفَرَ لي ، وقال لي : قد غفرتُ لعشرةٍ من أصحابِ الحديثِ في زمانِكَ لأنك رئيسُهُم وسيدُهُم^(٣) .

وأوردَ الحافظُ الضياءُ للحافظِ عبد الغني المَقديسيّ عدّةَ مناماتٍ ، منها قوله :

سَمِعْتُ الرَضِيَّ عبدَ الرحمنِ بنِ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : رأيتُ كأنَّ قائلاً يَقُولُ : جاءَ الحافظُ من مِصرَ ، فمَضِيْتُ أنا والشَّيْخُ أبو عَمْرٍو العِزُّ بنُ الحافظِ إليه ، فجِئنا إلى دارِ ففُتِحَ البابُ : فإذا الحافظُ وعلي وجهه عَمودٌ من نورٍ إلى السَّماءِ ، وإذا والدتهُ في تلكِ الدَّارِ^(٤) .

(١) انظر السير : (الخطيبُ) ١٨ / ٢٧٠-٢٩٧ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٤١٥ .

(٢) انظر السير : (الخطيبُ) ١٨ / ٢٧٠-٢٩٧ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٤١٥ .

(٣) انظر السير : (ابنُ ناصرٍ) ٢٠ / ٢٦٥-٢٧١ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٥٥١ .

(٤) انظر السير : (عبد الغني) ٢١ / ٤٤٣-٤٧١ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٦٥٢ .

وَسَمِعْتُ أَبَا مُوسَى بْنَ الْحَافِظِ ، حَدَّثَنِي صَنِيعَةُ الْمَلِكِ هَبَةُ اللَّهِ بْنِ حَيْدَرَةَ قَالَ : لَمَّا خَرَجْتُ لِلصَّلَاةِ عَلَى الْحَافِظِ لَقِينِي هَذَا الْمَغْرِبِيُّ^(١) ، فَقَالَ : أَنَا غَرِيبٌ ، رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ كَأَنِّي فِي أَرْضٍ بِهَا قَوْمٌ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بَيْضٌ ، فَقُلْتُ : مَا هَؤُلَاءِ ؟ قِيلَ : مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ نَزَلُوا لِمَوْتِ الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ ، فَقُلْتُ : وَأَيْنَ هُوَ ؟ فَقِيلَ لِي : أَقْعُدْ عِنْدَ الْجَامِعِ حَتَّى يَخْرُجَ صَنِيعَةُ الْمَلِكِ فَاْمُضِ مَعَهُ ، قَالَ : فَلَقِيْتُهُ وَاقِفًا عِنْدَ الْجَامِعِ^(٢) .

وَسَمِعْتُ الْفَقِيهَ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْغَنِيِّ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ يَقُولُ : رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ أَخَاكَ الْكَمَالَ عَبْدَ الرَّحِيمِ - وَكَانَ تُوْفِي تِلْكَ السَّنَةَ - فِي النَّوْمِ ، فَقُلْتُ : يَا فُلَانُ أَيْنَ أَنْتَ ؟ قَالَ : فِي جَنَّةِ عَدْنٍ ، فَقُلْتُ : أَيُّمَا أَفْضَلَ الْحَافِظُ أَوْ الشَّيْخُ أَبُو عُمَرَ ؟ فَقَالَ : مَا أَدْرِي ، وَأَمَّا الْحَافِظُ فَكُلُّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ يُنْصَبُ لَهُ كُرْسِيٌّ تَحْتَ الْعَرْشِ ، وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ ، وَيُنْشَرُ عَلَيْهِ الدُّرُّ وَالْجَوْهَرُ ، وَهَذَا نَصِيبِي مِنْهُ ، وَكَانَ فِي كُفْمِهِ شَيْءٌ^(٣) .

وَسَمِعْتُ الْقَاضِي الْإِمَامَ عُمَرَ بْنَ عَلِيِّ الْهَكَارِيِّ بِنَابُلُسَ يَقُولُ : رَأَيْتُ الْحَافِظَ عَبْدَ الْغَنِيِّ كَأَنَّهُ قَدْ جَاءَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَقُلْتُ : جِئْتَ غَيْرَ رَاكِبٍ ، فَعَلَ اللَّهُ بِمَنْ جِئْتَ مِنْ عِنْدِهِمْ ! قَالَ : أَنَا حَمَلْتَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٤) .

وَحَدَّثَنِي^(٥) الشَّيْخُ الْمُقْرِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ الْهَكَارِيِّ بِحَرَانَ قَالَ : رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ قَائِلًا يَقُولُ لِي : الْعِمَادُ مِنَ الْأُبْدَالِ ، فَرَأَيْتُ خَمْسَ لَيَالٍ كَذَلِكَ^(٦) .

وَسَمِعْتُ التَّقِيَّ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَافِظِ يَقُولُ : رَأَيْتُ الشَّيْخَ الْعِمَادَ فِي النَّوْمِ عَلَى حِصَانٍ ، فَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي الشَّيْخَ ، إِلَى أَيْنَ ؟ قَالَ : أُرْوِرُ الْجَبَّارَ عَزَّ وَجَلَّ^(٧) .

(١) كَانَ رَجُلًا مَغْرِبِيًّا مَعَهُ فَهَو يُشِيرُ إِلَيْهِ .

(٢) انظر السير : (عبدُ الغني) ٢١ / ٤٤٣ - ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٦٥٣ .

(٣) انظر السير : (عبدُ الغني) ٢١ / ٤٤٣ - ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٦٥٣ .

(٤) انظر السير : (عبدُ الغني) ٢١ / ٤٤٣ - ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١ / ١٦٥٤ .

(٥) الْقَوْلُ لِلْحَافِظِ الضِّيَاءِ .

(٦) انظر السير : (العِمَاد) ٢٢ / ٤٧ - ٥٢ ، وانظر النزهة : ٦ / ١٦٦٥ .

(٧) انظر السير : (العِمَاد) ٢٢ / ٤٧ - ٥٢ ، وانظر النزهة : ٧ / ١٦٦٥ .

وقال الحافظُ الضيَاءُ ، رأيتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ في النَّومِ فألقى عليَّ مسألةً فقلتُ :
هذه في الخِرقي ، فقالَ : ما قصرَ صاحبُكم الموقِّفُ في شرحِ الخِرقي .
قالَ الضيَاءُ : كانَ رَحِمَهُ اللهُ إماماً في التَّفْسِيرِ وفي الحديثِ ومُشكلاتِهِ ، إماماً في
الفِقْهِ ، بلْ أوحدَ زمانِهِ فيه ، إماماً في عِلْمِ الخِلافِ ، أوحدَ في الفرائضِ ، إماماً في
أُصولِ الفِقْهِ ، إماماً في النَّحوِ والحِسابِ والأنجُمِ السَّيَّارةِ ، والمَنازِلِ^(١) .

* * *

(١) انظر السير : (ابنُ قدامة) ٢٢/١٦٥-١٧٣ ، وانظر الزهراء : ٢/١٦٨١ .

مُتَفَرِّقَات

(١) الإنشاد والغناء

١- الإنشاد :

عن محمد بن سيرين ، عن أنسٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَخِيهِ الْبَرَاءِ وَهُوَ يَتَغَنَّى فَقَالَ :
تَتَغَنَّى ؟ قَالَ : أَتَخْشَى عَلَيَّ أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي وَقَدْ قَتَلْتُ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا مِنْ
الْمُشْرِكِينَ مُبَارَزَةً ، سِوَى مَا شَارَكَتْ فِيهِ الْمُسْلِمِينَ ؟ .

وفي رواية : يا أخي ! تَتَغَنَّى بِالشَّعْرِ وَقَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ الْقُرْآنَ ؟^(١) .

قال ابن النجار : سمعتُ مَنْ يَذْكُرُ أَنَّ عَدَدَ شُبُوخِ أَبِي سَعْدٍ سَبْعَةُ آلَافٍ شَيْخٌ قَالَ :
وهذا شيءٌ لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ ، وكانَ مَلِيحَ التَّصَانِيفِ كَثِيرَ النِّشْوَارِ وَالْأَنَاشِيدِ ، لَطِيفَ
الْمِزَاجِ ، ظَرِيفًا ، حَافِظًا ، وَاسِعَ الرِّحْلَةَ ، ثِقَّةً صَدُوقًا دَيِّنًا ، سَمِعَ مِنْهُ مَشَايِخُهُ
وَأَقْرَانَهُ .

ماتَ الحَافِظُ أَبُو سَعْدٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ بَمَرُوءٍ وَلَهُ سِتُّ وَخَمْسُونَ
سَنَةً^(٢) .

٢- الغناء :

(أ) التَّحْذِيرُ مِنَ الْغِنَاءِ :

عن أَبِي عُثْمَانَ اللَّيْثِيِّ ، أَنَّ يَزِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ النَّاقِصَ ، قَالَ : يَا بَنِي
أُمَّيَّةَ إِيَّاكُمْ وَالْغِنَاءُ فَإِنَّهُ يُنْقِصُ الْحَيَاءَ ، وَيَزِيدُ فِي الشَّهْوَةِ ، وَيَهْدِمُ الْمَرْوَةَ ، وَيَنُوبُ عَنْ
الْحَمْرِ ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا بُدَّ فاعِلِينَ ، فَجَنِّبُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ الْغِنَاءَ دَاعِيَةُ الزُّنَا^(٣) .

(١) انظر السير : (البراء بن مالك) ١٩٥-١٩٨ ، وانظر النزهة : ٤/١٤٧ .

(٢) انظر السير : (السَّمْعَانِيُّ) ٢٠٠-٤٥٦-٤٦٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٧٧ .

(٣) انظر السير : (يزيد بن الوليد) ٣٧٤-٣٧٦ ، وانظر النزهة : ١/٦١٤ .

(ب) مَنْ اشْتَغَلَ بِالْعِلْمِ مِنَ الْمُغْتَنِّينَ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ إِسْحَاقَ النَّدِيمِ : الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْحَافِظُ ذُو الْفُنُونِ ، أَبُو مُحَمَّدٍ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْمُونِ التَّمِيمِيِّ الْمَوْصِلِيِّ الْأَخْبَارِيِّ ، صَاحِبُ الْمَوْسِقَى ، وَالشُّعْرِ الرَّائِقِ ، وَالتَّصَانِيفِ الْأَدَبِيَّةِ مَعَ الْفِقْهِ وَاللُّغَةِ ، وَأَيَّامِ النَّاسِ ، وَالْبَصْرِ بِالْحَدِيثِ ، وَعُلُوِّ الْمَرْتَبَةِ .

وُلِدَ سَنَةَ بَضْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَةً (١) .

وَسَمِعَ مِنْ : مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، وَهُشَيْمِ بْنِ بَشِيرٍ ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَبَقِيَّةَ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَأَبِي مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرِ ، وَالْأَصْمَعِيِّ ، وَعَدَدٍ كَثِيرٍ (٢) .

حَدَّثَ عَنْهُ وَلَدُهُ حَمَّادُ الرَّائِيَةِ ، وَشَيْخُهُ الْأَصْمَعِيُّ ، وَالزُّبَيْرِيُّ بْنُ بَكَّارِ أَبُو الْعَيْنَاءِ ، وَيَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ ، وَآخَرُونَ .

وَلَمْ يُكْتَبْ عَنْهُ الْحِفَاطُ لِاشْتِغَالِهِ عَنْهُمْ بِالدَّوَلَةِ ، وَقِيلَ : وَوُلِدَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِئَةً صَنَفَ كِتَابَ « الْأَغَانِي » الَّذِي يَرَوِيهِ عَنْهُ ابْنُهُ (٣) .

وَعَنْ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ قَالَ : بَقِيْتُ دَهْرًا مِنْ عُمْرِي أَغْلَسْتُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى هُشَيْمٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ ، ثُمَّ أَصِيرُ إِلَى الْكِسَائِيِّ ، أَوْ الْفَرَّاءِ ، أَوْ ابْنِ غَزَالٍ ، فَأَقْرَأُ جُزْءًا مِنَ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ إِلَى أَبِي مَنْصُورٍ زَلْزَلٌ (٤) فَيُضَارِبُنِي طَرْقِينَ أَوْ ثَلَاثَةَ ، ثُمَّ آتِي عَاتِكَةَ بِنْتِ شَهْدَةَ ، فَأَخْذُ مِنْهَا صَوْتًا أَوْ صَوْتَيْنِ ثُمَّ آتِي الْأَصْمَعِيَّ ، وَأَبَا عُيَيْنَةَ فَاسْتَفِيدُ مِنْهُمَا ، وَآتِي مَجْلِسَ الرَّشِيدِ بِالْعَشِيِّ (٥) .

(ج) مَنْ كَرِهَ مِنَ الْمُغْتَنِّينَ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى الْغِنَاءِ :

عَنْ إِسْحَاقَ النَّدِيمِ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى الْغِنَاءِ ، وَيَقُولُ : لِأَنَّهُ أُضْرِبَ عَلَى

(١) انظر السير : (إسحاق النديم) ١١/١٨-١٢١ ، وانظر النزهة : ١/٩١٥ .

(٢) انظر السير : (إسحاق النديم) ١١/١٨-١٢١ ، وانظر النزهة : ٢/٩١٥ .

(٣) انظر السير : (إسحاق النديم) ١١/١٨-١٢١ ، وانظر النزهة : ٣/٩١٥ .

(٤) وهو الذي علم إسحاق الموصلي ضرب العود .

(٥) انظر السير : (إسحاق النديم) ١١/١٨-١٢١ ، وانظر النزهة : ٤/٩١٥ .

رَأْسِي بِالْمَقَارِعِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُقَالَ عَنِّي : مُغْنِي .
وقال المأمون : لولا شهرة إسحاق بالغناء ، لوليت القضاء^(١) .

(ج) مُعْتُونٌ وَمُعْتِيَاتٌ :

قال الإمام الذهبي في ترجمة عليّة بنت المهديّ أخت الرشيد : الهاشميّة العباسيّة ،
أديبة ، شاعرة ، عارفة بالغناء والموسيقى ، رخيمة الصوت ، ذات عفة وتقوى
ومناقب .

وكانت عليّة من ملاح زمانها ، وأطرف بنات الخلفاء^(٢) .

وروى إبراهيم بن إسماعيل الكاتب أنها لا تغني إلا زمن حيضها ، فإذا طهرت
أقبلت على التلاوة والعلم ، إلا أن يدعوها الخليفة ، ولا تقدر تخالفه^(٣) .

وعن منصور بن المهديّ قال : كان أخي إبراهيم إذا تنخّح ، طرب من يسمعه ،
فإذا غنى ، أصغت الوحوش حتى تضع رؤوسها في حجره ، فإذا سكّت ، هربت وكان
إذا غنى لم يبق أحد إلا ذهل^(٤) .

وقال ابن الفضل بن الربيع : ما اجتمع أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن
المهديّ وأخته عليّة^(٥) .

* * *

-
- (١) انظر السير : (إسحاق النديم) ١١/١٨-١٢١ ، وانظر النزّهة : ٥/٩١٥ .
 - (٢) انظر السير : (عليّة بنت المهدي) ١٠/١٨٧-١٨٨ ، وانظر النزّهة : ٧/٨٦٥ .
 - (٣) انظر السير : (عليّة بنت المهدي) ١٠/١٨٧-١٨٨ ، وانظر النزّهة : ٨/٨٦٥ .
 - (٤) انظر السير : (إبراهيم بن المهدي) ١٠/٥٥٧-٥٦١ ، وانظر النزّهة : ٢/٨٩٣ .
 - (٥) انظر السير : (إبراهيم بن المهدي) ١٠/٥٥٧-٥٦١ ، وانظر النزّهة : ٣/٨٩٣ .

(٢) الأوائِل

١- أَوَّلُ مَنْ أَحَدَّثَ الْمُصَافِحَةَ :

عن أنسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَقْدُمُ عَلَيْكُمْ غَدَاً قَوْمٌ هُمْ أَرْقُ قُلُوباً لِلْإِسْلَامِ مِنْكُمْ » فَقَدِمَ الْأَشْعَرِيُّونَ ، فَلَمَّا دَنَوْا جَعَلُوا يِرْتَجِزُونَ :

غَدَاً نَلَقَى الْأَحْبَةَ مُحَمَّدَاً وَحَزْبَهُ

فَلَمَّا أَنْ قَدِمُوا تَصَافَحُوا ، فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ أَحَدَّثَ الْمُصَافِحَةَ (١) .

٢- أَوَّلُ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ عِنْدَ خُرُوجِ الْإِمَامِ إِلَى الصَّلَاةِ :

عن سَمَّاكِ بْنِ سَلَمَةَ قَالَ : أَوَّلُ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ .

يَعْنِي : قَوْلَ الْمُؤَذِّنِ عِنْدَ خُرُوجِ الْإِمَامِ إِلَى الصَّلَاةِ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ (٢) .

٣- أَشْيَاءٌ مُتَعَدِّدَةٌ أَحَدَّثَهَا مُعَاوِيَةُ :

عن الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : أَوَّلُ مَنْ خَطَبَ جَالِساً مُعَاوِيَةَ حِينَ سَمَنَ (٣) .

وقال الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَارٍ : كَانَ مُعَاوِيَةُ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ الدِّيَانَ لِلخْتَمِ وَأَمَرَ بِالنِّيْرُوزِ وَالْمُهْرَجَانِ ، وَاتَّخَذَ الْمَقَاصِيرَ فِي الْجَامِعِ ، وَأَوَّلَ مَنْ قَتَلَ مُسْلِمًا صَبْرًا (٤) ، وَأَوَّلَ مَنْ قَامَ عَلَى رَأْسِهِ حَرَسٌ ، وَأَوَّلَ مَنْ قُيِّدَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ الْجَنَائِبُ ، وَأَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ الْخُدَّامَ الْخِصْيَانَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَوَّلَ مَنْ بَلَغَ دَرَجَاتِ الْمُنْبَرِ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرْقَاةً ، وَكَانَ يَقُولُ : أَنَا أَوَّلُ الْمُلُوكِ (٥) .

(١) انظر السير : (أبو موسى الأشعري) ٢ / ٣٨٠-٤٠٢ ، وانظر النزهة : ٤ / ٢٧٨ .

(٢) انظر السير : (المغيرة بن شعبة) ٣ / ٢١-٣٢ ، وانظر النزهة : ٣ / ٣٢٤ .

(٣) انظر السير : (معاوية بن أبي سفيان) ٣ / ١١٩-١٦٢ ، وانظر النزهة : ٣ / ٣٥٦ .

(٤) يريد حجر بن عدي وأصحابه .

(٥) انظر السير : (معاوية بن أبي سفيان) ٣ / ١١٩-١٦٢ ، وانظر النزهة : ٤ / ٣٥٦ .

٤- أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ النَّحْوَ :

قال أحمد العجلي : أبو الأسود الدؤلي ثقة ، كان أوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي النَّحْوِ (١) .

وقال الواقدي : أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال غيره : قاتل أبو الأسود يوم الجمل مع علي بن أبي طالب ، وكان من وجوه الشيعة ومن أكملهم عقلاً ورأياً وقد أمره علي رضي الله عنه بوضع شيء في النحو لما سمع اللحن ، قال : فأراه أبو الأسود ما وضع ، فقال علي : ما أحسن هذا النحو الذي نحوته ، فمن ثم سمي النحو نحواً (٢) .

قال محمد بن سلام الجمحي : أبو الأسود هو أوَّلُ مَنْ وَضَعَ بَابَ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ وَالْمُضَافِ ، وَحَرْفَ الرَّفْعِ وَالنَّصْبِ وَالْجَزْمِ وَالْجَزْمِ ، فَأَخَذَ ذَلِكَ عَنْهُ يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ (٣) .

وقال المبرِّد : حدَّثنا المازني قال : السَّبَبُ الَّذِي وَضَعَتْ لَهُ أَبْوَابُ النَّحْوِ أَنَّ بِنْتَ أَبِي الْأَسْوَدِ قَالَتْ لَهُ : مَا أَشَدُّ الْحَرَ فَقَالَ : الْحَصْبَاءُ بِالرَّمْضَاءِ ، قَالَتْ : إِنَّمَا تَعَجَّبْتُ مِنْ شِدَّتِهِ فَقَالَ : أَوْقَدْ لَحَنَ النَّاسُ ؟ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَعْطَاهُ أُصُولاً بَنَى مِنْهَا ، وَعَمَلَ بَعْدَهُ عَلَيْهَا وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نَقَطَ الْمَصَاحِفَ (٤) .

٥- أَوَّلُ مَنْ قَصَّ الْقِصَصَ :

عن ثابت قال : أوَّلُ مَنْ قَصَّ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥) .

- (١) انظر السير : (أبو الأسود) ٨١/٤ - ٨٦ ، وانظر النزهة : ٤/٤٤٨ .
- (٢) انظر السير : (أبو الأسود) ٨١/٤ - ٨٦ ، وانظر النزهة : ٥/٤٤٨ .
- (٣) انظر السير : (أبو الأسود) ٨١/٤ - ٨٦ ، وانظر النزهة : ٦/٤٤٨ .
- (٤) انظر السير : (أبو الأسود) ٨١/٤ - ٨٦ ، وانظر النزهة : ٧/٤٤٨ .
- (٥) انظر السير : (عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ) ١٥٦/٤ - ١٥٧ ، وانظر النزهة : ٢/٤٦٧ .

٦- أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ الدَّنَانِيرَ وَكَتَبَ عَلَيْهَا بِالْقُرْآنِ :

قال مالكٌ : أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ الدَّنَانِيرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، وَكَتَبَ عَلَيْهَا بِالْقُرْآنِ^(١) .

٧- أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ الْكُتُبَ :

قالَ عبدُ الله بنُ أحمدَ : قُلْتُ لأبي : مَنْ أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ الْكُتُبَ ؟ قالَ : ابنُ جُرَيْجٍ ، وابنُ أبي عروبة^(٢) .

٨- أَوَّلُ مَنْ شَعَلَ الْمُلُوكَ بِكُتُبِ الْعِلْمِ :

وقالَ ابنُ عدي : ولو لم يكن لابنِ إسحاقَ من الفضلِ إلا أَنَّهُ صَرَفَ الْمُلُوكَ عَنِ الْإِسْتِغَالِ بِكُتُبِ لا يَحْصُلُ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَى الْإِسْتِغَالِ بِمَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَبَعَثِهِ وَمُبْتَدَأِ الْخَلْقِ ، لَكَانَتْ هَذِهِ فَضِيلَةً سَبَقَ بِهَا ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ صَنَّفَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ فَلَمْ يَبْلُغُوا مَبْلَغَ ابْنِ إِسْحَاقَ مِنْهَا ، وَقَدْ فَتَّشْتُ أَحَادِيثَهُ كَثِيرًا فَلَمْ أَجِدْ مِنْ أَحَادِيثِهِ مَا يَنْهَيَانِ أَنْ يَقْطَعَ عَلَيْهِ بِالضَّعْفِ وَرُبَّمَا أَخْطَأَ ، أَوْ يَهْمُ فِي الشَّيْءِ بَعْدَ الشَّيْءِ كَمَا يُخْطِئُ غَيْرُهُ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ فِي الرِّوَايَةِ عَنْهُ الثَّقَاتُ وَالْأَثَمَةُ وَهُوَ لَا بَأْسَ بِهِ .

ماتَ ابنُ إِسْحَاقَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِئَةَ^(٣) .

٩- أَوَّلُ مَنْ جَرَّحَ الرِّجَالَ وَعَدَّلَهُمْ :

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي بَسْطَامٍ ، شُعْبَةَ بْنِ الْحَجَّاجِ : وَكَانَ أَبُو بَسْطَامٍ إِمَامًا نَبِيًّا حُجَّةً ، نَاقِدًا ، جِهْبَدًا ، صَالِحًا ، زَاهِدًا قَانِعًا بِالْقُوَّةِ ، رَأْسًا فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَرَّحَ وَعَدَّلَ ، أَخَذَ عَنْهُ هَذَا الشَّانَ يَحْيَى بْنُ

(١) انظر السير : (عبد الملك بن مروان) ٤/٢٤٦-٢٤٩ ، وانظر النزاهة : ٣/٤٩٠ .

(٢) انظر السير : (ابن جريج) ٦/٣٢٥-٣٣٦ ، وانظر النزاهة : ٣/٦٥٤ .

(٣) انظر السير : (ابن إسحاق) ٧/٣٣-٥٥ ، وانظر النزاهة : ٣/٦٧٥ .

سَعِيدُ الْقَطَّانِ ، وَابْنُ مَهْدِيٍّ وَطَائِفَةٌ ، وَكَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَخْضَعُ لَهُ وَيُجِلُّهُ ، وَيَقُولُ :
شُعْبَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ .

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ : لَوْلَا شُعْبَةُ لَمَا عُرِفَ الْحَدِيثُ بِالْعِرَاقِ ^(١) .

١٠- أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ مُسْنَدًا :

عَنْ أَحْمَدَ قَالَ : أَوَّلُ مَنْ عَرَفْنَاهُ يَكْتُبُ الْمُسْنَدَ نَعِيمُ بْنُ حَمَّادٍ ^(٢) .

* * *

(١) انظر السير : (شُعْبَةُ) ٧/٢٠٢-٢٢٨ ، وانظر النزاهة : ١/٦٩٣ .
(٢) انظر السير : (نَعِيمُ بْنُ حَمَّادٍ) ١٠/٥٩٥-٦١٢ ، وانظر النزاهة : ٥/٨٩٧ .

(٣) البركة

١- صُورٌ من البركة :

عن عائشة ، قالت : لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةٌ فِي سَهْمِ رَجُلٍ ، فَكَاتَبَتْهُ ، وَكَانَتْ حُلُوةً مُلَاحَةً ، لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ .

فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْتَعِينُهُ ، فَكَرِهَتْهَا - يَعْنِي لِحُسْنِهَا - فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا جُوَيْرِيَةٌ بِنْتُ الْحَارِثِ ، سَيِّدِ قَوْمِهِ ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ ، وَقَدْ كَاتَبْتُ ، فَأَعِنِّي فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَوْخَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ، أَوْدِي عَنكَ ، وَأَتَرَوَجُّكَ » ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ فَفَعَلَ فَبَلَغَ النَّاسُ ، فَقَالُوا : أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! فَأَرْسَلُوا مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ فَلَقَدْ أُعْتِقَ بِهَا مِئَةُ أَهْلِ بَيْتٍ فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكََةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا^(١) .

وعن أبي هريرة ، قال : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَمْرَاتٍ ، فَقُلْتُ : ادْعُ لِي فِيهِنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِالْبَرَكََةِ فَقَبَضَهُنَّ ، ثُمَّ دَعَا فِيهِنَّ بِالْبَرَكََةِ ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خُذْهُنَّ فَاجْعَلْهُنَّ فِي مِزْوِدٍ ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُنَّ ، فَأَدْخِلْ يَدَكَ ، فَخُذْ ، وَلَا تَنْتُرْهُنَّ نَشْرًا » .

فَقَالَ : فَحَمَلْتُ مِنْ ذَلِكَ التَّمْرِ كَذَا وَكَذَا وَسَقَا^(٢) فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَكُنَّا نَأْكُلُ وَنُطْعِمُ ، وَكَانَ الْمِزْوِدُ مُعْلَقًا بِحَقْوِي^(٣) ، لَا يُفَارِقُ حَقْوِي ، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ ، انْقَطَعَ .

(١) انظر السير : (جُوَيْرِيَةٌ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ) ٢/٢٦١-٢٦٥ ، وانظر النزهة : ١/٢٥٦ .

(٢) الْوَسْقُ : مِكْيَلَةٌ مَعْلُومَةٌ عِنْدَهُمْ ، يُقَالُ : هُوَ حِمْلٌ بَعِيرٍ ، وَهُوَ سِتُّونَ صَاعًا بِصَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٣) الْحَقْوُ : مَعْقِدُ الْإِزَارِ .

قال الترمذي حسنٌ غريبٌ .

مُسْنَدُهُ : خَمْسَةٌ أَلْفٍ وَثَلَاثُ مِئَةٍ وَأَرْبَعَةٌ وَسَبْعُونَ حَدِيثًا^(١) .

وعن ابنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : مَسَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسِي ، وَدَعَا لِي بِالْحِكْمَةِ^(٢) .

وعن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عن عبدِ اللهِ ، قَالَ : بَثُّ فِي بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةٌ فَوَضَعْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَسْلًا ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ وَضَعَ هَذَا ؟ » قَالُوا : عَبْدُ اللهِ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ وَفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ »^(٣) .

وعن إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ قَالَ : جَاءَتْ بِي أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَرَّرْتَنِي بِنِصْفِ خِمَارِهَا ، وَرَدَّتَنِي بِنِصْفِهِ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ ! هَذَا أَنَيْسُ ابْنِي أَتَيْتُكَ بِهِ يَخْدِمُكَ ، فَادْعُ اللهُ لَهُ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ » فوالله إنَّ مالي لكثيرٌ ، وإنَّ ولدي وولَدَ ولدي يَتَعَادُونَ عَلَيَّ نَحْوِ مِنْ مِئَةِ الْيَوْمِ^(٤) .

وعن أَنَسٍ ، قَالَ : دَعَا لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ، وَأَطِلْ حَيَاتَهُ » فالله أَكْثَرَ مالي حتَّى إنَّ كَرَمًا لِي لَتَحْمَلُ فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ ، وَوَلَدٌ لِي لِيَصِلِي مِئَةَ وَسِتِّهِ^(٥) .

٢- مَاءُ زَمْزَمَ مُبَارَكٌ :

قال القاسمُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ : سَمِعْتُ سُؤَيْدَ بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ : رَأَيْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ بِمَكَّةَ أَتَى زَمْزَمَ ، فَاسْتَقَى شَرْبَةً ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، فَقَالَ « اللَّهُمَّ إِنَّ ابْنَ أَبِي الْمَوَالِ ،

(١) انظر السير : (أبو هُرَيْرَةَ) ٢/٥٧٨-٦٣٢ ، وانظر النزهة : ١/٣١٦ .

(٢) انظر السير : (عبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسِ الْبَحْرِي) ٣/٣٣١-٣٥٩ ، وانظر النزهة : ٣/٣٨٩ .

(٣) انظر السير : (عبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسِ الْبَحْرِي) ٣/٣٣١-٣٥٩ ، وانظر النزهة : ٥/٣٨٩ .

(٤) انظر السير : (أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ) ٣/٣٩٥-٤٠٦ ، وانظر النزهة : ٣/٤٠٠ .

(٥) انظر السير : (أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ) ٣/٣٩٥-٤٠٦ ، وانظر النزهة : ٤/٤٠٠ .

حَدَّثَنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُكَدَّرِ عَنْ جَابِرٍ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ » وَهَذَا أَشْرَبُهُ لِعَطَشِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ شَرِبَهُ (١) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ : رَأَيْتُ أَبِي أَخَذَ قَصْعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فغَسَلَهَا فِي حُبِّ الْمَاءِ ثُمَّ شَرِبَ فِيهَا ، وَرَأَيْتُهُ يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ يَسْتَشْفِي بِهِ ، وَيَمْسَحُ بِهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ (٢) .

وَقَالَ الْحَاكِمُ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، سَمِعْتُ ابْنَ خُزَيْمَةَ وَسُئِلَ : مِنْ أَيْنَ أُوتِيَتِ الْعِلْمُ ؟ فَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ » وَإِنِّي لَمَّا شَرِبْتُ سَأَلْتُ اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا (٣) .

وَقَالَ أَبُو حَازِمٍ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ الْعَبْدُوبِيُّ الْحَافِظُ : سَمِعْتُ الْحَاكِمَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِمَامَ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي عَصْرِهِ يَقُولُ : شَرِبْتُ مَاءَ زَمْزَمَ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَرزُقَنِي حُسْنَ التَّصْنِيفِ (٤) .

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ : سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَحْكِي ، عَنْ ابْنِ خَيْرُونَ أَوْ غَيْرِهِ ، أَنَّ الْخَطِيبَ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا حَجَّ شَرِبَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ثَلَاثَ شَرِبَاتٍ ، وَسَأَلَ اللَّهَ ثَلَاثَ حَاجَاتٍ : أَنْ يُحَدِّثَ بـ « تَارِيخِ بَغْدَادَ » بِهَا ، وَأَنْ يُمْلِيَ الْحَدِيثَ بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ ، وَأَنْ يُدْفِنَ عِنْدَ بَشْرِ الْحَافِي فَقَضِيَتْ لَهُ الثَّلَاثُ (٥) .

* * *

-
- (١) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٣٧٨/٨ - ٤٢١ ، وانظر النزاهة : ٣/٧٦٧ .
 - (٢) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١٧٧/١١ - ٣٥٨ ، وانظر النزاهة : ١/٩٢٩ .
 - (٣) انظر السير : (ابن خزيمة) ٣٦٥/١٤ - ٣٨٢ ، وانظر النزاهة : ٣/١١٦٠ .
 - (٤) انظر السير : (الحاكم) ١٦٢/١٧ - ١٧٧ ، وانظر النزاهة : ١/١٣٣٢ .
 - (٥) انظر السير : (الخطيب) ٢٧٠/١٨ - ٢٩٧ ، وانظر النزاهة : ٢/١٤١٢ .

(٤) التَّبَرُّكُ بِأَنَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّالِحِينَ

١- صُورٌ مِنَ التَّبَرُّكِ بِأَنَارِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عن عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، أنَّ خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك ، فقال : اطلبوها ، فلم يجدوها ، ثم وجدت فإذا هي قلنسوة خلقة فقال خالد : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحلق رأسه ، فابتدر الناس شعره ، فسبقتهم إلى ناصيته ، فجعلتها في هذه القلنسوة ، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رزقت النضر^(١) .

وقال لنا الحافظ أبو محمد : حلق النبي صلى الله عليه وسلم شق رأسه فوزعه على الناس ، ثم حلق شقه الآخر ، فأعطاها أبا طلحة^(٢) .

عن أم عطية ، قالت : لما ماتت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « اغسلنها وترأ ، ثلاثاً ، أو خمساً ، واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور ، فإذا غسلننها فأعلمنني » فلما غسلناها ، أعطانا حقوه^(٣) ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أشعرننها إياه »^(٤) .

وعن أم سليم ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل في بيتي ، وكنت أبسط له نطعاً فيقبل عليه ، فيعرق ، فكنت أخذ سكاً فأعجنه بعرقه .

قال ابن سيرين : فاستوهبت من أم سليم من ذلك الشك ، فوهبت لي منه .

-
- (١) انظر السير : (خالد بن الوليد) ٣٦٦-٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٣/١٧٩ .
 - (٢) انظر السير : (أبو طلحة الأنصاري) ٢٧/٢-٣٤ ، وانظر النزهة : ٥/٢١٤ .
 - (٣) والحقو : الإزار ، وجمعها : حقي وأحق وأحفاء ، والأصل في الحقو : معقد الإزار ، وسمي الإزار حقواً لأنه يشد على الحقو ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « أشعرننها إياه » يريد اجعلنه شعاراً لها ، وهو الثوب الذي يلي جسدها ، فالشعار الثوب الذي يلي الجسد ، والدثار فوق الشعار .
 - (٤) انظر السير : (زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) ٢٤٦-٢٥٠ ، وانظر النزهة : ٦/٢٥٣ .

قَالَ أَيُّوبُ : فَاسْتَوْهَبْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ مِنْ ذَلِكَ الشُّكِّ فَوَهَبَ لِي مِنْهُ ، فَإِنَّهُ عِنْدِي
الآن .

قَالَ : وَلَمَّا مَاتَ مُحَمَّدٌ حُنِطَ بِذَلِكَ الشُّكِّ (١) .

وعن أنسٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ ، وَقَرِيبَةً مُعَلَّقَةً ،
فَشَرِبَ مِنْهَا قَائِمًا ، فَقَامَتْ إِلَيَّ فِي السَّقَاءِ ، فَقَطَعْتَهُ (٢) .

رَوَاهُ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو ، فزَادَ : وَأَمْسَكَتَهُ عِنْدَهَا (٣) .

وعن أنسٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ رَأْسَهُ بِمِئْتَى ، أَخَذَ
أَبُو طَلْحَةَ شِقَّ شَعْرِهِ ، فَجَاءَ بِهِ إِلَيَّ أُمِّ سُلَيْمٍ ، فَكَانَتْ تَجْعَلُهُ فِي سَكِّهَا (٤) .

وقالت : وكانَ يَقِيلُ عِنْدِي عَلِيٌّ نَطْعٌ ، وكانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِعْرَاقًا (٥) ،
فَجَعَلْتُ أَسْلُتُ العَرَقَ فِي قَارُورَةٍ ، فَاسْتَيْقِظَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « مَا
تَجْعَلِينَ ؟ » قُلْتُ : أُرِيدُ أَنْ أَدُوفَ (٦) بِعَرَقِكَ طِيبِي (٧) .

وعن أبي موسى ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجِعْرَانَةِ ،
فَأَتَى أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : أَلَا تُنْجِزُ لِي مَا وَعَدْتَنِي ؟ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أُبَشِّرُ »
قَالَ : قَدْ أَكْثَرْتَ مِنَ الْبُشْرَى فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ وَعَلَى بِلَالٍ ،
فَقَالَ : « إِنَّ هَذَا قَدْ رَدَّ الْبُشْرَى فَأَقْبَلَا أَنْتُمَا » : فَقَالَا : قَبْلَنَا يَا رَسُولَ اللهِ فَدَعَا بِقَدَحٍ ،
فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ ، وَمَجَّ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : « اشْرَبَا مِنْهُ ، وَأَفْرِغَا عَلَيَّ رُؤُوسِكُمَا

(١) انظر السير : (أم سليم الغميصاء) ٢/٣٠٤-٣١١ ، وانظر النزهة : ١/٢٦٥ .

(٢) قال النووي في «رياضه» (ص ٣٣٩) : (وإنما قَطَعْتَهَا لِتَحْفَظَ مَوْضِعَ فَمِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَتَبَرَّكَ بِهِ وَتَصُونَهُ عَنِ الْإِبْتِدَالِ) .

(٣) انظر السير : (أم سليم الغميصاء) ٢/٣٠٤-٣١١ ، وانظر النزهة : ٢/٢٦٥ .

(٤) انظر السير : (أم سليم الغميصاء) ٢/٣٠٤-٣١١ ، وانظر النزهة : ٣/٢٦٥ .

(٥) المعراق : كثير العرق .

(٦) وأدوفُ : أخلط .

(٧) انظر السير : (أم سليم الغميصاء) ٢/٣٠٤-٣١١ ، وانظر النزهة : ٤/٢٦٥ .

وَتُحَوَّرِكَمَا « ففعلًا! فنادت أم سلمة من وراء الستر أن فضلًا لأمكمما ، فأفضلًا لها منه (١) .

وعن أبي رهم : أن أبا أيوب الأنصاري حَدَّثَهُ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَزَلَ فِي بَيْتِنَا الْأَسْفَلَ وَكُنْتُ فِي الْغُرْفَةِ ، فَأَهْرَيْقُ مَاءً فِي الْغُرْفَةِ ، فَقُمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا نَتَتَّعُ الْمَاءَ ، وَنَزَلْتُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَكُونَ فَوْقَكَ ، انْتَقِلْ إِلَى الْغُرْفَةِ فَأَمَرَ بِمَتَاعِهِ فُنُقِلَ - وَمَتَاعُهُ قَلِيلٌ - قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كُنْتُ تُرْسِلُ بِالطَّعَامِ ، فَأَنْظِرُ فَإِذَا رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِكَ ، وَضَعْتُ فِيهِ يَدِي (٢) .

وعن المغيرة بن شعبة ، قَالَ : أَنَا آخِرُ النَّاسِ عَهْدًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمَّا دُفِنَ خَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنَ الْقَبْرِ ، فَأَلْقَيْتُ خَاتَمِي ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا الْحَسَنِ خَاتَمِي ! قَالَ : انزِلْ فَخُذْهُ ، قَالَ : فَمَسَحْتُ يَدِي عَلَى الْكَفَنِ ، ثُمَّ خَرَجْتُ (٣) .

وعن عبد الأعلى بن ميمون بن مهران : عن أبيه ، أن معاوية أوصى فقال : كُنْتُ أَوْصِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَزَعُ قَمِيصَهُ وَكَسَانِيهِ ، فَرَفَعْتُهُ وَخَبَّاتُ قَلَامَةً أَظْفَارِهِ ، فَإِذَا مِثُّ فَأَلْبَسُونِي الْقَمِيصَ عَلَى جِلْدِي ، وَاجْعَلُوا الْقَلَامَةَ مَسْحُوقَةً فِي عَيْنِي ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَنِي بِبِرْكَتِهَا (٤) .

قال محمد بن سيرين : قلت لعبيدة بن عمرو : إن عندنا من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من قبل أنس بن مالك ، فقال : لَأَنْ يَكُونَ عِنْدِي مِنْهُ شَعْرَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ صَفْرَاءٍ وَبَيْضَاءٍ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ .

قال الإمام الذهبي : هذا القول من عبيدة هو معيار كمال الحب ، وهو يؤثر شَعْرَةَ نَبَوِيَّةٍ عَلَى كُلِّ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ بِأَيْدِي النَّاسِ .

-
- (١) انظر السير : (أبو موسى الأشعري) ٢ / ٣٨٠ - ٤٠٢ ، وانظر النزهة : ١ / ٢٧٩ .
 - (٢) انظر السير : (أبو أيوب الأنصاري) ٢ / ٤٠٢ - ٤١٣ ، وانظر النزهة : ١ / ٣٨٢ .
 - (٣) انظر السير : (المغيرة بن شعبة) ٣ / ٢١ - ٣٢ ، وانظر النزهة : ١ / ٣٢٤ .
 - (٤) انظر السير : (معاوية بن أبي سفيان) ٣ / ١١٩ - ١٦٢ ، وانظر النزهة : ٧ / ٣٥٦ .

ومثل هذا يقوله الإمام بعد النبي صلى الله عليه وسلم بخمسين سنة ، فما الذي نقوله نحن في وقتنا لو وجدنا بعض شعره بإسناد ثابت ، أو شنع نعل كان له ، أو قلامه ظفر أو شقفة من إناء شرب فيه صلى الله عليه وسلم فلو بدّل الغنيّ معظم ماله في تحصيل شيء من ذلك عنده أكنت تعدّه مُبذراً أو سفياً ؟ كلاً فابدل مالك في زورة مسجد الذي بنى فيه بيده والسلام عليه عند حُجرتِه في بلده ، والتدّ بالنظر إلى أحده وأحبه ، فقد كان نبيك صلى الله عليه وسلم يُحبه وتملاً بالحلول في روضته ومقعدِه ، فلن تكون مؤمناً حتى يكون هذا السيدُ أحبّ إليك من نفسك وولديك وأموالك والناس كلهم وقبّل حجراً مكرّماً نزل من الجنة ، وضع فمك لاثماً مكاناً قبله سيّد البشر بيّين ، فهناك الله بما أعطاك ، فما فوق ذلك مَفخَر ولو ظفرنا بالمحجن الذي أشار به الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحجرِ ثمّ قبّل محجّنه ، لحقّ لنا أن نردّحم على ذلك المحجن بالتقبيل والتبجيل ، ونحن ندري بالضرورة أنّ تقبيل الحجرِ أرفع وأفضل من تقبيل محجّنه ونعلِه صلى الله عليه وسلم .

وقد كان ثابتُ البُنانيّ إذا رأى أنسَ بن مالك أخذَ يده فقبّلها ويقولُ يدُ مسّت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنقولُ نحنُ إذ فاتنا ذلك : حَجْرٌ مُعْظَمٌ بِمَنْزِلَةِ يَمِينِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مَسَّتْهُ شَفْتَا نَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم لاثماً له ، فإذا فاتك الحجّ وتلقيت الوفدَ فالتزم الحاجّ وقبّل فمه ، وقل : فمّ مسّ بالتقبيل حجراً قبله خليلي صلى الله عليه وسلم (١) .

وقال عبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ : رأيتُ أبي يأخذُ شعرةً من شعرِ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فيضعها على فيه يقبّلها وأحسبُ أنّي رأيتُه يضعها على عينيه ، ويغمسها في الماءِ ويشربُه يستشفي به (٢) .

ورأيتُه أخذَ قصعةَ النبيّ صلى الله عليه وسلم فغسلها في حُبّ الماءِ ثم شربَ فيها ،

(١) انظر السير : (عبيدة بن عمرو) ٤٠/٤٤ ، وانظر النزهة : ٤/٤٣٩ .
(٢) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٥/٩٢٨ .

ورأيته يشرب من ماء زمزم يستشفي به ، ويمسح به يديه وجهه^(١) .

قال الإمام الذهبي معقباً : أين المتنطع المنكر على أحمد ، وقد ثبت أن عبد الله سأل أباه عمّن يلمس رمانة منبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ويمس الحجرة النبوية ، فقال : لا أرى لذلك بأساً أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج ومن البدع^(٢) .

قال : وقد صار إليّ شعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم في كم قميصي ، فوجه إليّ إسحاق بن إبراهيم ، يقول : ما هذا المصرور ؟ قلت : شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسعى بعضهم ليخرق القميص عني ، فقال المعتصم : لا تخرقه ، فنزع ، فظننت أنه إنما درى عن القميص الخرق بالشعر قال : وجلس المعتصم على كرسي ثم قال : العقابين والسياط ، فجيء بالعقابين ، فمدت يدي ، فقال : بعض من حضر خلفي : خذ ناتيء الخشبتيين بيديك ، وشد عليهما ، فلم أفهم ما قال ، فتخلعت يدي^(٣) .

وقال الخلال : أخبرني عاصمة بن عصام ، حدّثنا حنبل ، قال : أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، وهو في الحبس ثلاث شعرات ، فقال : هذه من شعر النبي صلى الله عليه وسلم ، فأوصى أبو عبد الله عند موته أن يجعل على كل عين شعرة ، وشعرة على لسانه ففعل ذلك به عند موته .

وقال عبد الله بن أحمد ومطين وغيرهما : مات لاثنتي عشرة خلّت من ربيع الأول ، يوم الجمعة .

قال صالح بن أحمد : واشترينا له حنوطاً ، وفرغ من غسله ، وكفناه وحضر نحو مئة من بني هاشم ، ونحن نكفنه وجعلوا يقبلون جبهته حتى رفعناه على السرير .

قال عبد الله : صلى على أبي محمد بن عبد الله بن طاهر ، غلبنا على الصلاة عليه ، وقد كنا صلينا عليه نحن والهاشميون في الدار ، ولم يعلم الناس بذلك ،

(١) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٢٩ .

(٢) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٩٢٩ .

(٣) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٣٨ .

فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَدِّ عِلْمُوا ، فَجَعَلُوا يَجِيئُونَ ، وَيُصَلُّونَ عَلَى الْقَبْرِ وَمَكَثَ النَّاسُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، يَأْتُونَ ، فَيُصَلُّونَ عَلَى الْقَبْرِ (١) .

قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ : دَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ بِفِرْبُرِ الْحَمَّامِ ، وَكَنتُ أَنَا فِي مَسْلَحِ الْحَمَّامِ ، أَتَعَاهَدُ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ نَاولَتْهُ ثِيَابَهُ ، فَلَبَسَهَا ثُمَّ نَاولَتْهُ الْخُفَّ ، فَقَالَ : مَسَسْتُ شَيْئاً فِيهِ شَعْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : فِي أَيِّ مَوْضِعٍ هُوَ مِنَ الْخُفِّ ؟ فَلَمْ يُخْبِرْنِي ، فَتَوَهَّمْتُ أَنَّهُ فِي سَاقِهِ بَيْنَ الظُّهْرَةِ وَالْبِطَانَةِ (٢) .

وَقَالَ الْمُسَبِّحِيُّ : لَمَّا غَسَلَ الْوَزِيرُ ابْنَ حِزْبَاةٍ جُعِلَ فِيهِ ثَلَاثُ شَعْرَاتٍ مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَخَذَهَا بِمَالٍ عَظِيمٍ .

وَحِزْبَاةٌ : جَارِيَةٌ هِيَ وَالِدَةُ الْفَضْلِ الْوَزِيرِ ، وَفِي اللَّعَةِ : الْحِزْبَاةُ هِيَ الْقَصِيرَةُ السَّمِينَةُ (٣) .

٢- صُورٌ مِنَ التَّبَرُّكِ بِالصَّالِحِينَ وَأَثَارِهِمْ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى : وَبَلَّغْنَا أَنَّ يَحْيَى أَوْصَى بِثِيَابِ بَدَنِهِ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى أَحْمَدَ ، أَخَذَ مِنْهَا ثَوْباً وَاحِداً لِلْبَرَكَةِ ، وَرَدَّ الْبَاقِي ، وَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ تَفْصِيلُ ثِيَابِهِ مِنْ زِيٍّ بَلَدِنَا (٤) .

وَقَالَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ : وَقَعَ الْحَرِيقُ فِي بَيْتِ أَخِي صَالِحٍ ، وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِفَتِيَّةٍ ، فَحَمَلُوا إِلَيْهِ جِهَازاً شَبِيهاً بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ فَأَكَلَتْهُ النَّارُ ، فَجَعَلَ صَالِحٌ يَقُولُ : مَا غَمَّنِي مَا ذَهَبَ إِلَّا ثَوْبٌ لِأَبِي كَانَ يُصَلِّي فِيهِ أَتَبَرَّكُ بِهِ وَأَصَلِّي فِيهِ قَالَتْ : فَطْفِيءَ الْحَرِيقُ ، وَدَخَلُوا فَوَجَدُوا الثَّوْبَ عَلَى سَرِيرِهِ قَدْ أَكَلَتِ النَّارُ مَا حَوْلَهُ وَسَلِّمَ (٥) .

(١) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٤٩ .

(٢) انظر السير : (أبو عبد الله البخاري) ١٢/٣٩١-٤٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٠١٧ .

(٣) انظر السير : (ابن حننابة) ١٦/٤٨٤-٤٨٨ ، وانظر النزهة : ٤/١٣٠٧ .

(٤) انظر السير : (يحيى بن يحيى) ١٠/٥١٢-٥١٩ ، وانظر النزهة : ٤/٨٨٩ .

(٥) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٣١ .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة يحيى بن مجاهد: ذكره ابن بشكوال في غير «الصلة»، فقال: زاهدٌ عصره، وناسكٌ مضره، الذي به يتبركون، وإلى دُعائه يفرعون.

كان منقطع القرين، مُجاب الدعوة، جُرِّبَتْ دَعْوَتُهُ فِي أَشْيَاءَ ظَهَرَتْ، حَجَّ وَعُنِيَ بِالْقِرَاءَاتِ وَالتَّفْسِيرِ، وَهُوَ حَظٌّ مِنَ الْفِقْهِ، لَكِنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْعِبَادَةُ^(١).

وقال الإمام الذهبي في ترجمة أبي إسحاق الشيرازي: قال محمد بن عبد الملك الهمداني: ندب المقتدي بالله أبا إسحاق للرسالية إلى المعسكر، فتوجه في آخر سنة خمس وسبعين، فكان يخرج إليه أهل البلد ينسائهم وأولادهم يمسحون أزدانه^(٢)، ويأخذون تراب نعليه يستشفون به، وخرج الخبازون، ونثروا الخبز، وهو ينهائم ولا ينتهون، وخرج أصحاب الفاكهة والحلواء، ونثروا على (أبي إسحاق وصحبه، ومرؤوا على)^(٣) الأساكفة وعملوا مَدَاسَاتٍ صِغَارًا، ونثروها، وهي تقع على رؤوس الناس، والشيوخ يعجب، وقال لنا: رأيتم الثنائر، ما وصل إليكم منه؟ فقالوا: يا سيدي! وأنت أي شيء كان حظك منه؟ قال: أنا غطيت نفسي بالمحفة.

وكان أهل سبته يتغالون فيه، ويتبركون برويته رحمه الله^(٤).

وقال الإمام الذهبي في ترجمة الحجري: وكان أهل سبته يتغالون فيه، ويتبركون برويته، رحمه الله^(٥).

(١) انظر السير: (يحيى بن مجاهد) ١٦/٢٤٤-٢٤٦، وانظر النزهة: ٦/١٢٩١.

(٢) الأزدان: جمع رذن، وهو أصل الكم.

(٣) قال صاحب «النزهة»: ما بين القوسين زيادة متعينة لئفهم السياق، وانظر الخبر بسياق أحسن في «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢٢٠/٤).

(٤) انظر السير: (أبو إسحاق الشيرازي) ١٨/٤٥٢-٤٦٤، وانظر النزهة: ٦/١٤٣٠.

(٥) انظر السير: (الحجري) ٢١/٢٥١-٢٥٤، وانظر النزهة: ١/١٦١٧.

٣- الاستشفاء بآثارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وقال عبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ : رأيتُ أبي يأخذُ شَعْرَةً من شَعْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فيَضَعُهَا على فِيه يُقْبَلُهَا وأَحْسَبُ أَنِّي رأيتُهُ يَضَعُهَا على عَيْنَيْهِ ، وَيَغْمِسُهَا في المَاءِ وَيَشْرِبُهُ يَسْتَشْفِي به (١) .

٤- التَّبَرُّكُ بِمُصَافِحَةِ الصَّالِحِينَ :

وقال أبو عمرو بنُ نَجِيدٍ : سَمِعْتُ أبا عُثْمَانَ سَعِيدَ بنَ إِسْمَاعِيلَ يَقُولُ : تَقَدَّمْتُ لِأَصَافِحَ أبا عبدِ اللَّهِ البُوشَنجِي تَبَرُّكًا ، فَقَبَضَ عَنِّي يَدَهُ ، ثم قال : يا أبا عُثْمَانَ ! لَسْتُ هُنَاكَ (٢) .

٥- التَّبَرُّكُ بِالذَّفَنِ بِجِوَارِ الصَّالِحِينَ :

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ في تَرْجَمَةِ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ حنبلٍ : ماتَ وَدُفِنَ في مَقَابِرِ التَّنِّينِ (٣) ، وكانَ الجَمْعُ فَوْقَ المِقْدَارِ .
وقيلَ : إِنَّهُ أَمَرَهُم أن يَدْفِنُوهُ هُنَاكَ ، وقالَ : بَلَّغَنِي أَنَّ هُنَاكَ قَبْرَ نَبِيِّ ، ولأنَّ أَكُونَ في جِوَارِ نَبِيِّ أَحَبُّ إِلَيَّ أن أَكُونَ في جِوَارِ أَبِي (٤) .

وقالَ الحافظُ ابنُ عَسَاكِرٍ : سَمِعْتُ الحُسَيْنَ بنَ مُحَمَّدٍ يَحْكِي ، عن ابنِ خَيْرُونَ أو غَيْرِهِ ، أَنَّ الخَطِيبَ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا حَجَّ شَرِبَ من مَاءِ زَمْزَمَ ثَلَاثَ شَرِبَاتٍ ، وَسَأَلَ اللَّهُ ثَلَاثَ حَاجَاتٍ : أن يُحَدِّثَ بـ « تَارِيخِ بَغْدَادِ » بِهَا ، وَأَن يُمْلِيَ الحَدِيثَ بِجَامِعِ المَنْصُورِ ، وَأَن يُدْفِنَ عِنْدَ بَشْرِ الحَافِي فَفُضِيَتْ لَهُ الثَّلَاثُ (٥) .

(١) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٥/٩٢٨ .

(٢) انظر السير : (البوشنجي) ١٣/٥٨١-٥٨٩ ، وانظر النزهة : ١/١١١٨ .

(٣) باب التَّنِّينِ : محلة كبيرة كانت ببغداد على الخندق بإزاء قطيعة أم جعفر .

(٤) انظر السير : (عبد الله بن أحمد) ١٣/٥١٦-٥٢٦ ، وانظر النزهة : ١/١١١٤ .

(٥) انظر السير : (الخطيب) ١٨/٢٧٠-٢٩٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٤١٢ .

وقال أبو البركات إسماعيل بن أبي سعد الصوفي : كان الشيخ أبو بكر بن زهراء الصوفي برباطنا ، قد أعدّ لنفسه قبراً إلى جانب قبر بشر الحافي ، وكان يمضي إليه كل أسبوع مرة ، وينام فيه ، ويتلو فيه القرآن كله ، فلما مات أبو بكر الخطيب ، كان قد أوصى أن يُدفن إلى جنب قبر بشر ، فجاء أصحاب الحديث إلى ابن زهراء ، وسألوه أن يدفنوا الخطيب في قبره ، وأن يؤثّره به ، فامتنع ، وقال : موضع قد أعددته لنفسي يؤخذ مني ! فجاؤوا إلى والدي ، وذكروا له ذلك فأحضر ابن زهراء وهو أبو بكر أحمد بن علي الطريثي فقال : أنا لا أقول لك أعطهم القبر ، ولكن أقول لك : لو أن بشر الحافي في الأحياء وأنت إلى جانبه ، فجاء أبو بكر الخطيب ليقعد دونك ، أكان يحسن بك أن تقعد أعلى منه ؟ قال لا ، بل كنت أجلسه مكاني قال : فهكذا ينبغي أن تكون الساعة قال : فطاب قلبه ، وأذن^(١) .

* * *

(١) انظر السير : (الخطيب) ١٨ / ٢٧٠-٢٩٧ ، وانظر النزعة : ٤ / ١٤١٤ .

(٥) الجَنِّ

١- قِرَاءَتُهُمُ الْقُرْآنَ عَلَى الْإِنْسِ :

عن أبي الفضل الجوهري الواعظ ، قال : كُنْتُ أَتَرَدَّدُ إِلَى الْخَلِيعِيِّ فَقُمْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ ظَنَنْتُ الصُّبْحَ ، فَإِذَا عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ فَرَسٌ حَسَنَةٌ فَصَعَدْتُ ، فَوَجَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ شَابًا لَمْ أَرَ أَحْسَنَ مِنْهُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فَجَلَسْتُ أَسْمَعُ إِلَى أَنْ قَرَأَ جُزْءًا ، ثُمَّ قَالَ لِلشَّيْخِ : أَجْرَكَ اللَّهُ قَالَ : نَفَعَكَ اللَّهُ ، ثُمَّ نَزَلَ ، فَتَزَلْتُ خَلْفَهُ ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى الْفَرَسِ ، طَارَتْ بِهِ فُغْشِيَّ عَلِيٍّ ، وَالْقَاضِي يَصِيحُ بِي : اصْعَدْ يَا أبا الْفَضْلِ ، فَصَعَدْتُ ، فَقَالَ : هَذَا مِنْ مُؤْمِنِي الْجِنِّ ، يَأْتِي فِي الْأَسْبُوعِ مَرَّةً يَقْرَأُ جُزْءًا وَيَمْضِي ^(١) .

وحكى ابن عَقيْل عن نفسه قال : كَانَ عِنْدَنَا بِالظَّفَرِيَّةِ دَارٌ ، كُلَّمَا سَكَنَهَا نَاسٌ أَصْبَحُوا مَوْتَى فَجَاءَ مَرَّةً رَجُلٌ مُقْرَى ، فَاکْتَرَاهَا ، وَارْتَضَى بِهَا ، فَبَاتَ بِهَا وَأَصْبَحَ سَالِمًا ، فَعَجِبَ الْجِيرَانُ ، وَأَقَامَ مُدَّةً ، ثُمَّ انْتَقَلَ ، فَسُئِلَ فَقَالَ : لَمَّا بَتُّ بِهَا ، صَلَّيْتُ الْعِشَاءَ ، وَقَرَأْتُ شَيْئًا ، وَإِذَا شَابٌ قَدْ صَعَدَ مِنَ الْبَيْتِ ، فَسَلَّمْتُ عَلِيٍّ ، فَبُهِتُ ، فَقَالَ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ، عَلَّمَنِي شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ ، فَشَرَعْتُ أَعَلِّمُهُ ، ثُمَّ قُلْتُ : هَذِهِ الدَّارُ كَيْفَ حَدِيثُهَا ؟ قَالَ : نَحْنُ جِنٌّ مُسْلِمُونَ ، نَقْرَأُ وَنُصَلِّي ، وَهَذِهِ الدَّارُ مَا يَكْتَرِيهَا إِلَّا الْفُسَّاقُ فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى الْحَمْرِ ، فَتَخَنُّقُهُمْ ، قُلْتُ : فِي اللَّيْلِ أَخَافُكَ ، فَجِءَ نَهَارًا ، قَالَ : نَعَمْ ، فَكَانَ يَصْعَدُ مِنَ الْبَيْتِ فِي النَّهَارِ ، وَأَلْفَتْهُ فَيَنِمَا هُوَ يَقْرَأُ ، إِذَا بِمُعَزِّمٍ فِي الدَّرْبِ يَقُولُ : الْمُرْقِي مِنَ الدَّبِيبِ ، وَمَنْ الْعَيْنِ وَمَنْ الْجِنِّ ، فَقَالَ : أَيُّشِ هَذَا ؟ قُلْتُ : مُعَزِّمٌ ، قَالَ : اطْلُبْهُ ، فَقُمْتُ وَأَدْخَلْتُهُ ، فَإِذَا بِالْجِنِّيِّ قَدْ صَارَ تُعْبَانًا فِي السَّقْفِ ، فَعَزَّمُ الرَّجُلُ ، فَمَا زَالَ التُّعْبَانُ يَتَدَلَّى حَتَّى سَقَطَ فِي وَسَطِ الْمِنْدَلِ ، فَقَامَ لِيَأْخُذَهُ وَيَضَعَهُ فِي الزَّبِيلِ ، فَمَنَعْتُهُ ، فَقَالَ : أَتَمْنَعُنِي مِنْ صَيْدِي ؟! فَأَعْطَيْتُهُ دِينَارًا وَرَاحَ ، فَانْتَفَضَ التُّعْبَانُ ، وَخَرَجَ الْجِنِّيُّ ، وَقَدْ ضَعُفَ وَاصْفَرَ وَذَابَ ، فَقُلْتُ : مَالِكَ ؟ قَالَ : قَتَلَنِي

(١) انظر السير : (الخَلِيعِيُّ) ٧٤-٧٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٦١ .

هذا بهذه الأسماء ، وما أظنني أفصح ، فاجعل بالك الليلة متى سمعت في البئر صراخاً ، فانهمز ، قال : فسَمعتُ تلك الليلة النعي فانهمزت قال ابن عقيل : وامتنع أحد أن يسكن تلك الدار بعدها^(١) .

٢- رُقِيَةٌ تَرْقِي مِنَ الْجِنِّ :

عن أبي العالِيَةِ : أَنَّ خَالِدَ بْنِ الْوَلِيدِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ كَائِدًا مِنَ الْجِنِّ يَكِيدُنِي قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قُلْ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِي السَّمَاءِ وَمَا يَنْزِلُ مِنْهَا ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ » ففعلت فأذهب الله عني^(٢) .

٣- مَنْ سَاءَ مِنْهُمْ قِرَاءَةُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ :

قال عَبَّاسُ الدُّورِيِّ : سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ ، يَقُولُ : كُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ مَنْزِلِي بِاللَّيْلِ ، قَرَأْتُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ عَلَى دَارِي وَعِيَالِي خَمْسَ مَرَّاتٍ ، فَبَيْنَا أَنَا أَقْرَأُ ، إِذَا شَيْءٌ يُكَلِّمُنِي : كَمْ تَقْرَأُ هَذَا ؟ كَانَ لَيْسَ إِنْسَانٌ يُحْسِنُ يَقْرَأُ غَيْرَكَ ؟ فَقُلْتُ : أَرَى هَذَا يَسُوءُكَ ؟ وَاللَّهِ لِأَزِيدَنَّكَ فَصِرْتُ أَقْرؤها فِي اللَّيْلَةِ خَمْسِينَ سِتِينَ مَرَّةً^(٣) .

٤- عَالِمٌ أَحَدُ أَبْوِيهِ جِنِّيٌّ :

قال أبو بكر الخَلَّالُ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَ الْمَرْوَدِيَّ يَقُولُ : قَالَ الْأَثْرَمُ : كُنْتُ أَحْفَظُ - يَعْنِي الْفِقْهَ وَالْاِخْتِلَافَ - فَلَمَّا صَحَبْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ تَرَكْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ . وَكَانَ مَعَهُ تَيْقُظٌ عَجِيبٌ ، حَتَّى نَسَبَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ ، وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ الْمُقَابِرِيِّ ، فَقَالَ : كَانَ أَحَدُ أَبْوِي الْأَثْرَمِ جِنِّيًّا^(٤) .

(١) انظر السير : (ابن عقيل) ١٩/٤٤٣-٤٥١ ، وانظر النزاهة : ١/١٤٩٩ .

(٢) انظر السير : (خالد بن الوليد) ١/٣٦٦-٣٨٤ ، وانظر النزاهة : ٦/١٧٨ .

(٣) انظر السير : (يحيى بن معين) ١١/٧١-٩٦ ، وانظر النزاهة : ٢/٩١٢ .

(٤) انظر السير : (الأثرم) ١٢/٦٢٣-٦٢٨ ، وانظر النزاهة : ١/١٠٤١ .

٥- مِنْ أَخْبَارِ الْحِنِّ :

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : أَنَّهَا قَتَلَتْ جَانًا ، فَأُتِيَتْ فِي مَنَامِهَا : وَاللَّهِ لَقَدْ قَتَلْتِ مُسْلِمًا .

قَالَتْ : لَوْ كَانَ مُسْلِمًا لَمْ يَدْخُلْ عَلَيَّ أَرْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فَقِيلَ : أَوْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْكَ إِلَّا وَعَلَيْكَ ثِيَابُكَ .

فَأَصْبَحَتْ فَرِعَةَ ، فَأَمَرَتْ بَانِي عَشْرَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَجَعَلَتْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ .

وعن عائشة بنتِ طلحة ، قَالَتْ : كَانَ جَانٌ يَطْلُعُ عَلَيَّ عَائِشَةَ ، فَحَرَجَتْ عَلَيْهِ مَرَّةً ،
بَعْدَ مَرَّةٍ ، بَعْدَ مَرَّةٍ ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَظْهَرَ ، فَعَدَّتْ عَلَيْهِ بِحَدِيدَةٍ ، فَقَتَلَتْهُ فَأُتِيَتْ فِي
مَنَامِهَا ، فَقِيلَ لَهَا ، أَقَتَلْتِ فُلَانًا ، وَقَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، وَكَانَ لَا يَطْلُعُ عَلَيْكَ ، لَا حَاسِرًا
وَلَا مُتَجَرِّدَةً ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَهَا مَا تَقَدَّمَ
وَمَا تَأَخَّرَ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِأَبِيهَا فَقَالَ : تَصَدَّقِي بَانِي عَشْرَ أَلْفِ دِينَتِهِ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : الْإِسْنَادُ الْأَوَّلُ أَصَحُّ وَمَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ يَقُولُ بِوُجُوبِ
دِيَةِ فِي مِثْلِ هَذَا^(١) .

وَقَالَ عَاصِمُ بْنُ كَلِيبِ الْجَرْمِيِّ : حَدَّثَنِي أَبِي : أَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيَّ عُمَرَ خَبْرُ نَهَاوَنْدِ بْنِ
مُقَرَّنٍ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَسْتَنْصِرُ ، وَأَنَّ النَّاسَ كَانُوا ، مِمَّا يَرُونَ مِنْ اسْتِنصَارِهِ ، لَيْسَ هَمُّهُمْ
إِلَّا نَهَاوَنْدِ بْنِ مُقَرَّنٍ ، فَجَاءَ إِلَيْهِمْ أَعْرَابِيٌّ مُهَاجِرٌ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْبَقِيعَ ، قَالَ : مَا أَنْتُمْ
عَنْ نَهَاوَنْدٍ ؟ قَالُوا : وَمَا ذَلِكَ ؟ قَالَ : لَا شَيْءَ فَارْسَلْ إِلَيْهِ عُمَرُ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : أَقْبَلْتُ
بِأَهْلِي مُهَاجِرًا حَتَّى وَرَدْنَا مَكَانَ كَذَا وَكَذَا ، فَلَمَّا صَدَرْنَا إِذَا نَحْنُ بِرَاكِبٍ عَلَيَّ جَمَلٍ
أَحْمَرٍ ، مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ ، فَقُلْتُ : يَا عَبْدَ اللهِ ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ مِنَ الْعِرَاقِ ، قُلْتُ :
مَا خَبْرُ النَّاسِ ؟ قَالَ : أَقْتَلْتُ النَّاسَ بِنَهَاوَنْدٍ ، فَفَتَحَهَا اللهُ ، وَقُتِلَ ابْنُ مُقَرَّنٍ ، وَاللَّهِ
مَا أَدْرِي أَيُّ النَّاسِ هُوَ ؟ وَلَا مَا نَهَاوَنْدٍ ؟

فَقَالَ : أَتَدْرِي أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ مِنَ الْجُمُعَةِ ؟ قَالَ : لَا قَالَ عُمَرُ : لَكِنِّي أَدْرِي ! عُدَّ مَنَازِلَكَ .

(١) انظر السير : (عائشة أم المؤمنين) ٢/١٣٥-٢٠١ ، وانظر النزعة : ٢/٢٤٥ .

قَالَ : نَزَلْنَا مَكَانَ كَذَا ، ثُمَّ ارْتَحَلْنَا ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلَ كَذَا ، حَتَّىٰ عَدَّ فَقَالَ عُمَرُ : ذَلِكَ يَوْمٌ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْجُمُعَةِ ، لَعَلَّكَ تَكُونُ لَقِيَتْ بَرِيدًا مِنْ بُرْدِ الْجِنِّ ، فَإِنَّ لَهُمْ بُرْدًا فَلَبِثَ مَا لَبِثَ ، ثُمَّ جَاءَ الْبَشِيرُ : بِأَنَّهُمْ التَّقَوُا ذَلِكَ الْيَوْمَ^(١) .

وعن حميد بن هلال عن رجلٍ كأنه أبو رفاعَةَ ، قَالَ : كَانَ لِي رَثِيٌّ^(٢) مِنَ الْجِنِّ ، فَأَسْلَمْتُ ففَقَدْتُهُ ، فوَقَفْتُ بِعَرَفَةَ فَسَمِعْتُ حِسَّهُ ، فَقَالَ : أَشَعَرْتَ أَنِّي أَسْلَمْتُ ؟ قَالَ : فَلَمَّا سَمِعَ أَصْوَاتَ النَّاسِ يَرْفَعُونَهَا ، قَالَ عَلَيْكَ الْخُلُقَ الْأَسَدَ ، فَإِنَّ الْخَيْرَ لَيْسَ بِالصُّوْتِ الْأَسَدِ^(٣) .

وعن عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ ، سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ تَقُولُ : سَمِعْتُ الْجِنَّ يَبْكِينَ عَلَيَّ حُسَيْنٍ ، وَتَنُوحُ عَلَيْهِ^(٤) .

وعن مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرِ : بَيْنَا أَنَا أَصْلِي إِذْ قَامَ مِثْلُ الْغُلَامِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَشَدَدْتُ عَلَيْهِ لِأَخْذِهِ ، فَوَثَبَ فَوْقَ خَلْفِ الْحَائِطِ حَتَّىٰ سَمِعْتُ وَجْبَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُمْ يَهَابُونَكُمْ كَمَا تَهَابُونَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ .

وقَالَ حَمِيدُ الْأَعْرَجِ : كَانَ مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ يُكَبِّرُ مِنْ سُورَةِ ﴿وَالضُّحَىٰ﴾^(٥) ،^(٦) .

لَمَّا هَمَّ الْمُسْلِمُونَ بِالْهَزِيمَةِ كَشَفَ مُوسَىٰ بْنُ نَصِيرٍ سُرَادِقَهُ عَنْ بَنَاتِهِ وَحَرَمِهِ ، وَبَرَزَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ بِالْذُعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالبُكَاءِ ، فَكُسِرَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ جُفُونِ السُّيُوفِ وَصَدَّقُوا اللَّقَاءَ وَنَزَلَ النَّصْرُ ، وَغَنِمُوا مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ ، مِنْ ذَلِكَ مَائِدَةٌ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ذَهَبٍ وَجَوَاهِرٍ ، وَقِيلَ : ظَفَرَ بِسِتَّةَ عَشَرَ قُمْقُمًا عَلَيْهَا خَتَمُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَفَتَحَ أَرْبَعَةً وَنَقَبَ مِنْهَا وَاحِدًا إِذَا شَيْطَانٌ يَقُولُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَا أَعُودُ أَفْسِدُ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ نَظَرَ فَقَالَ :

-
- (١) انظر السير : (التُّعْمَانُ بْنُ مُقَرَّنٍ) ٢/٣٥٦-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٢٧٤ .
(٢) يُقَالُ لِلتَّابِعِ مِنَ الْجِنِّ : رَثِيٌّ ، سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ يَتَرَاءَى لِمَتَبَوِّعِهِ ، أَوْ هُوَ مِنَ الرَّأْيِ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : فَلَانَ رَثِيٌّ قَوْمَهُ إِنْ كَانَ صَاحِبَ رَأْيِهِمْ .
(٣) انظر السير : (أَبُو رِفَاعَةَ الْعَدَوِيُّ) ٣/١٤-١٥ ، وانظر النزهة : ٤/٣٢٠ .
(٤) انظر السير : (الْحُسَيْنُ الشَّهِيدُ) ٣/٢٨٠-٣٢١ ، وانظر النزهة : ١/٣٨٥ .
(٥) أَي عِنْدَ خَتَمِ الْقُرْآنِ .
(٦) انظر السير : (مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرِ) ٤/٤٤٩-٤٥٧ ، وانظر النزهة : ٦/٥٣٠ .

والله ما أَرَى سُلَيْمَانَ وَلَا مُلْكَه ، وَذَهَبَ ، فَطُمِرَتِ الْبَوَاقِي (١) .

وقال مَالِكُ : اسْتُعْمِلَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَلَى مَعْدَنِ بَنِي سُلَيْمٍ ، وكان معذراً لا يَزَالُ يُصَابُ فِيهِ النَّاسُ مِنْ قِبَلِ الْجِنِّ فَلَمَّا وَلِيَهُمْ شَكَّوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَأَمَرَهُمْ بِالْأَذَانِ أَنْ يُؤَدِّنُوا وَيَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ ، ففعلوا ، فارتفع عنهم ذلك حتى اليوم .
قال مَالِكُ : أعجبتني ذلك من مشورة زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ (٢) .

وقال عُمَرُ بْنُ بَخْرٍ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي الْحَوَارِيِّ يَقُولُ : بَيْنَا أَنَا فِي قُبَّةٍ بِالْمَقَابِرِ بِلَا بَابٍ إِلَّا كَسَاءَ أُسْبَلْتُهُ ، فإذا أنا بامرأة تَدُقُّ عَلَى الْحَائِطِ فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَتْ : ضَالَّةٌ ، فدلّني على الطَّرِيقِ فَقُلْتُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ، أَيُّ الطَّرِيقِ تَسْلُكِينَ ، فبَكَتْ ، ثم قَالَتْ : عَلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ يَا أَحْمَدُ ، قُلْتُ : هَيْهَاتَ ! إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا عِقَاباً ، وتلك العِقَابُ لَا تَقْطَعُ إِلَّا بِالسَّيْرِ الْحَثِيثِ ، وَتَصْحِيحِ الْمُعَامَلَةِ ، وَحَذْفِ الْعَلَاتِقِ الشَّاعِلَةِ ، فبَكَتْ ، ثم قَالَتْ : سُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَ عَلَيْكَ جَوَارِحَكَ فَلَمْ تَتَقَطَّعْ ، وفؤادك فلم يَتَصَدَّعْ ثم حَرَّتْ مَغْشِيًا عَلَيْهَا فَقُلْتُ لِبَعْضِ النِّسَاءِ : أَيُّ شَيْءٍ حَالُهَا ؟ فَقُمْنَ ، ففَتَّشْنَهَا ، فإذا وَصِيَّهَا فِي جَبِيهَا : كَفُّنُونِي فِي أَثْوَابِي هَلْذِهِ ، فَإِنْ كَانَ لِي عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ فَهُوَ أَسْعَدُ لِي ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَبُعْدًا لِنَفْسِي ، قُلْتُ : مَا هِيَ ؟ فَحَرَكَوْهَا ، فإذا هي مَيْتَةٌ فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذِهِ الْجَارِيَّةُ ؟ قالوا : جَارِيَّةٌ قُرَشِيَّةٌ مُصَابَةٌ ، وكان قَرِيبُهَا يَمْنَعُهَا مِنَ الطَّعَامِ ، وكانت تَشْكُو إِلَيْنَا وَجَعًا بِجَوْفِهَا ، فكُنَّا نَصِفُهَا لِلْأَطْبَاءِ ، فَتَقُولُ : خَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَ الطَّيِّبِ الرَّاهِبِ ، تعني أَحْمَدَ بْنَ أَبِي الْحَوَارِيِّ ، أَشْكُو إِلَيْهِ بَعْضَ مَا أَجِدُ مِنْ بِلَائِي ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ شِفَائِي (٣) .

وكان الْقَاضِي الْخَلِيعِيُّ يَحْكُمُ بَيْنَ الْجِنِّ ، وَإِنَّهُمْ أَبْطَؤُوا عَلَيْهِ قَدَرَ جُمُعَةٍ ثُمَّ أَتَوْهُ ، وَقَالُوا : كَانَ فِي بَيْتِكَ أُنْرُجٌّ ، وَنَحْنُ لَا نَدْخُلُ مَكَاناً يَكُونُ فِيهِ (٤) .

(١) انظر السير : (موسى بن نصير) ٤/٤٩٦-٥٠٠ ، وانظر النزهة : ١/٤٥٠ .

(٢) انظر السير : (زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ) ٥/٣١٦-٣١٧ ، وانظر النزهة : ١/٦٠٦ .

(٣) انظر السير : (أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ) ١٢/٨٥-٩٤ ، وانظر النزهة : ١/٩٨٧ .

(٤) انظر السير : (الْخَلِيعِيُّ) ١٩/٧٤-٧٩ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٦١ .

(٦) الحَظُّ والتَّصِيبُ

عن أبي حنيفة قال : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَأَتَيْتُ أبا الزِّنَادِ ، وَرَأَيْتُ رَبِيعَةَ فَإِذَا النَّاسُ عَلَى رَبِيعَةَ ، وَأَبُو الزِّنَادِ أَفْقَهُ الرَّجُلَيْنِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ أَفْقَهُ أَهْلِ بَلَدِكَ وَالْعَمَلُ عَلَى رَبِيعَةَ ؟ فَقَالَ : وَيَحْكُ كَفُّ مِنْ حَظِّ خَيْرٍ مِنْ جِرَابٍ مِنْ عِلْمٍ ^(١) .

قال عبد الله بن المُعْتَزِّ بالله : الحَظُّ يَأْتِي مَنْ لَا يَأْتِيهِ ^(٢) .

وَلَمَّا تَمَلَّكَ شِيرَازَ ، طَالَبَهُ قُوَّادُهُ بِالْأَمْوَالِ ، وَثَارُوا عَلَيْهِ ، فَأَعْتَمَّ لِنَدِكَ ، وَاسْتَلَقَى ، فَرَأَى حَيَّةً فِي السَّقْفِ ، فَفَزِعَ وَدَعَا الْفَرَّاشِينَ فَنَصَبُوا سُلْمًا ، فَوَجَدُوا غُرْفَةً يُدْخَلُ إِلَيْهَا ، فَأَمَرَهُمْ بِفَتْحِهَا فَفُتِحَتْ ، فَوَجَدُوا فِيهَا صِنَادِيقَ فِيهَا قَدْرُ خَمْسِ مِئَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَأَنْزَلَتْ ، فَفَرِحَ ، وَأَنْفَقَ فِي الْجَيْشِ ^(٣) .

ثم إنَّه طَلَبَ حَيَّاطًا لِيُفْصَلَ لَهُ ، وَكَانَ أَطْرُوشًا ، فَفَزِعَ وَجَاوَبَهُ عَمَّا لَمْ يُسْأَلْ عَنْهُ ، وَحَلَفَ أَنَّهُ لَيْسَ عَنْدَهُ سِوَى اثْنَيْ عَشَرَ صُنْدُوقًا وَدِيعَةً فَتَعَجَّبَ عِمَادُ الدَّوْلَةِ ، وَأُخْضِرَتْ إِلَيْهِ ، فَإِذَا فِيهَا أَمْوَالٌ وَثِيابٌ وَدِيَابُجٌ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سَعَادَتِهِ الْمُقْبِلَةِ ، وَلَا عَقَبَ لَهُ ^(٤) .

* * *

(١) انظر السير : (أبو الزِّنَادِ) ٤٤٥/٥ - ٤٥١ ، وانظر النزهة : ٤/٦٢٠ .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن المُعْتَزِّ بالله) ٤٤/١٤ - ٤٤ ، وانظر النزهة : ٦/١١٢٨ .

(٣) انظر السير : (عِمَادُ الدَّوْلَةِ) ٤٠٢/١٥ - ٤٠٣ ، وانظر النزهة : ١/١٢٤٢ .

(٤) انظر السير : (عِمَادُ الدَّوْلَةِ) ٤٠٢/١٥ - ٤٠٣ ، وانظر النزهة : ١/١٢٤٢ .

(٧) الحنينُ إلى الأوطان

١- الحنينُ إلى الوطن :

كان بلالٌ إذا أفلحَ عنه وجعُ الحمى يرفعُ عقيرته ويقولُ :

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً بوادٍ وحولي إذ خزرٌ وجليلُ
 وهل أرددنَّ يوماً مياهَ مِجَنَّةٍ وهل ييدونَ لي شامةً وطفيلٌ^(١)
 اللهمَّ العنْ عُبَّةَ وشيبةَ وأمِّيَّةَ بنَ خَلْفٍ كما أخرجونا من أرضنا إلى أرضِ
 الوباءِ^(٢) ،^(٣) .

٢- الحنينُ إلى الغربة :

قال أبو الوليد حسانُ بنُ مُحَمَّدٍ : سمعتُ أبا العباسِ السَّرَّاجَ يقولُ : وا أسفني على
 بغداد! فقيلَ له : ما حملك على فراقها ؟ قالَ : أقامَ بها أخي إسماعيلُ خمسينَ سنةً ،
 فلما توفِّيَ ورُفِعَت جنازتهُ سمعتُ رجلاً على بابِ الدَّزبِ يقولُ لآخرَ : مَنْ هذا
 الميِّتُ ؟ قالَ : غريبٌ كانَ ها هنا فقلتُ : إنَّا لله ، بعدَ طولِ مُقامِ أخي بها واشتِهاره
 بالعلمِ والتَّجارة يُقالُ له : غريبٌ كانَ هنا ، فحملتني هذه الكلمةُ على الانصرافِ إلى
 الوطنِ^(٤) .

(١) يرفعُ عقيرته : أي يرفع صوته بغناء أو بكاء . ومِجَنَّة : موضعٌ على أميالٍ من مكة وكانَ به سوقٌ . شامة
 وطفيلٌ : جبلانٌ بقرب مكة وقال الخطابيُّ كنتُ أحسبهما جبلينِ حتى ثبتَ عندي أنهما عينانُ .

(٢) وتمامه : ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « اللهمَّ حبِّبْ إلينا المدينةَ كحُبِّنا مكةَ أو أشدَّ ، اللهمَّ
 باركْ لنا في صاعنا ، وفي مُدِّنا ، وصَحْحَحْها لنا وأنقلْ حُمأها إلى الجحفةِ » قالت عائشةُ : وقدمتُ
 المدينةَ وهي أوبأ أرضِ الله .

(٣) انظر السير : (بلالُ بنُ رباح) ١/٣٤٧-٣٦٠ ، وانظر النزهة : ٦/١٧٥ .

(٤) انظر السير : (السَّرَّاجُ) ١٤/٣٨٨-٣٩٨ ، وانظر النزهة : ٢/١١٦٤ .

٣- مَنْ حَمَلْتُهُ كَلِمَةً عَلَى مُفَارَقَةِ الْعُرْبَةِ وَالْعَوْدَةِ إِلَى الْوَطَنِ :

قَالَ أَبُو الْوَلِيدِ حَسَّانُ بْنُ مُحَمَّدٍ : سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ السَّرَّاجَ يَقُولُ : وَاسْفِي عَلَى بَعْدَادَا فَقِيلَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى فِرَاقِهَا ؟ قَالَ : أَقَامَ بِهَا أَخِي إِسْمَاعِيلُ خَمْسِينَ سَنَةً ، فَلَمَّا تُوفِّيَ وَرُفِعَتْ جَنَازَتُهُ سَمِعْتُ رَجُلًا عَلَى بَابِ الدَّرْبِ يَقُولُ لِآخَرَ : مَنْ هَذَا الْمَيِّتُ ؟ قَالَ : غَرِيبٌ كَانَ هَا هُنَا فَقُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ ، بَعْدَ طَوِيلِ مُقَامِ أَخِي بِهَا وَاشْتِهَارِهِ بِالْعِلْمِ وَالتَّجَارَةِ يُقَالُ لَهُ : غَرِيبٌ كَانَ هُنَا ، فَحَمَلْتَنِي هَذِهِ الْكَلِمَةُ عَلَى الْانْصِرَافِ إِلَى الْوَطَنِ (١) .

٤- شِعْرٌ فِي الْحَنِينِ إِلَى الْأُوطَانِ :

كَانَ بِلَالٌ إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ وَجَعُ الْحُمَى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ وَيَقُولُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً بُوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخَرْتُ وَجَلِيلُ
وَهَلْ أَرِدُنَّ يَوْمًا مِيَاهَ مِجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ (٢)
اللَّهُمَّ الْعَنْ عُنْبَةَ وَشَيْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ
الْوَبَاءِ (٣) ، (٤) .

* * *

-
- (١) انظر السير : (السراج) ١٤/٣٨٨-٣٩٨ ، وانظر النزهاة : ٢/١١٦٤ .
(٢) يرفعُ عقيرته : أي يرفعُ صوتهُ بغناء أو بكاء . ومجنَّة : موضعٌ على أميالٍ من مكة وكان به سوقٌ . شامةٌ وطفيلٌ : جبلان يقرب مكة وقال الخطابي كنتُ أحسبهما جبلين حتى ثبتت عندي أنهما عينان .
(٣) وتمامه : ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا ، وَفِي مُدَّنَا ، وَصَحْحَهَا لَنَا وَانْقُلْ حُمَاهَا إِلَى الْجَحْفَةِ » قالت عائشةُ : وقدمتُ المدينة وهي أوبأ أرض الله .
(٤) انظر السير : (بِلالُ بنُ رباح) ١/٣٤٧-٣٦٠ ، وانظر النزهاة : ٦/١٧٥ .

(٨) الرَّزْقُ

١- رَزُقُ اللهُ آتٍ :

كَانَ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ يَقُولُ : كَمْ مِنْ عَيْنٍ سَاهِرَةٍ فِي رِزْقِي فِي ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ^(١) .

٢- الثَّقَةُ بِاللَّهِ فِي الرَّزْقِ :

قَالَ أَبُو تَرَابٍ سَمِعْتُ حَاتِمًا الْأَصَمَّ يَقُولُ : لِي أَرْبَعَةٌ نِسْوَةٌ ، وَتِسْعَةٌ أَوْلَادٍ ، مَا طَمَعَ شَيْطَانٌ أَنْ يُوسَّوسَ إِلَيَّ فِي أَرْزَاقِهِمْ ^(٢) .

٣- فَضْلُ الثَّقَةِ بِاللَّهِ فِي الرَّزْقِ :

قَالَ ابْنُ بَعْرِ الْأَسَدِيِّ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي الْحَوَارِيِّ ، سَمِعْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيَّ يَقُولُ : مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ فِي رِزْقِهِ زَادَ فِي حُسْنِ خُلُقِهِ ، وَأَعْقَبَهُ الْجِلْمَ ، وَسَخَتْ نَفْسُهُ ، وَقَلَّتْ وَسَاوِسُهُ فِي صَلَاتِهِ ^(٣) .

٤- الْكِفَافُ فِي الرَّزْقِ :

سُئِلَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنِ الْكِفَافِ مِنَ الرَّزْقِ مَا هُوَ ؟ قَالَ : شِعْ يَوْمٍ وَجُوعُ يَوْمٍ ^(٤) .

٥- الرَّزْقُ مَحْضُ فَضْلِ اللَّهِ :

قَالَ يَوْسُفُ بْنُ الْحُسَيْنِ الرَّازِيَّ : حَضَرْتُ ذَا التُّونِ فَقِيلَ لَهُ : يَا أَبَا الْفَيْضِ ، مَا كَانَ سَبَبُ تَوْبِكَ ؟ قَالَ : نِمْتُ فِي الصَّحْرَاءِ ، فَفَتَحَتْ عَيْنِي فَإِذَا قُبْرَةٌ ^(٥) عَمِيَاءُ سَقَطَتْ مِنْ

(١) انظر السير : (محمد بن المنكدر) ٥ / ٣٥٣ - ٣٦١ ، وانظر النزهة : ٥ / ٦٠٨ .

(٢) انظر السير : (حاتم الأصم) ١١ / ٤٨٤ - ٤٨٧ ، وانظر النزهة : ٥ / ٩٦٠ .

(٣) انظر السير : (أبو سليمان الداراني) ١٠ / ١٨٢ - ١٨٦ ، وانظر النزهة : ٥ / ٨٦٥ .

(٤) انظر السير : (سعيد بن عبد العزيز) ٨ / ٣٢ - ٣٨ ، وانظر النزهة : ٤ / ٧٢٤ .

(٥) القُبْرَةُ والقُبْرَةُ والقُبْرَةُ والقُبْرَةُ : عصفورة من فصيلة القُربيات ، ورتبة الجوائم المخروطية =

وكر ، فانشقت الأرض ، فخرج سُكْرُجَتَانِ فَأَكَلَتْ وَشَرِبَتْ فَقُلْتُ : حَسْبِي ، فُتِبْتُ
وَلَزِمْتُ الْبَابَ إِلَى أَنْ قَبِلَنِي ^(١) .

٦- سُؤَالَ اللَّهِ الرَّزْقَ الْحَسَنَ :

قال أبو الأشهب : سمعتُ بكرَ المزني يقول : اللَّهُمَّ ارزُقنا رزقاً يَزِيدُنَا لَكَ شُكْرًا ،
وإِلَيْكَ فَاقَّةً وَفَقْرًا ، وَبِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ غِنَى .

قال حَمِيدُ الطَّوِيلِ : كان بكرُ بنُ عبد الله مُجَابَ الدَّعْوَةِ ^(٢) .

٧- شِعْرٌ فِي الرَّزْقِ :

قال أبو تَمَّامٍ ^(٣) :

ولو كانتِ الأرزاقُ تجري على الحِجَا هلكنَ إذا من جهلِهِنَّ البهائمُ
ولم يجتمع شرقٌ وغربٌ لِقاصِدٍ ولا المجدُ في كَفِّ امرئٍ والدراهمُ

* * *

= المناقير ، سُمِرَ في أعلاها ضاربة إلى بياض في أسفلها ، وعلى صدرها بقعة سوداء ، دائمة التغيريد .

(١) انظر السير : (ذو النون المصري) ١١/٥٣٢-٥٣٦ ، وانظر النزهة : ٣/٩٦٧ .

(٢) انظر السير : (بكر بن عبد الله) ٤/٥٣٢-٥٣٦ ، وانظر النزهة : ١/٥٥١ .

(٣) انظر السير : (أبو تمام) ١١/٦٣-٦٩ ، وانظر النزهة : ٢/٩٠٩ .

(٩) الشَّرْفُ والمَكَارِمُ

١- مِيزَانُ الشَّرْفِ الحَقِيقِيّ :

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ : رَأَيْتُ سُلَيْمَانَ وَعَبْدَ اللَّهِ ابْنِي عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَابْنَ سُلَيْمَانَ يَحْمِلُونَ سَرِيرَ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدِ عَلِيٍّ أَعْنَاهُمْ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ : هَذَا وَاللَّهِ الشَّرْفُ^(١) .

وَعَنْ أَشْعَثَ بْنِ شُعْبَةَ الْمَصْبِيِّ ، قَالَ : قَدِمَ الرَّشِيدُ الرَّقَّةَ ، فَانْجَفَلَ النَّاسُ خَلْفَ ابْنِ الْمُبَارَكِ ، وَتَقَطَّعَتِ النَّعَالُ ، وَارْتَفَعَتِ الْغَبْرَةُ ، فَأَشْرَفَتْ أُمُّ وَالدِّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَرْجٍ مِنْ قَصْرِ الخَشْبِ ، فَقَالَتْ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : عَالِمٌ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ ، قَدِمَ قَالَتْ : هَذَا وَاللَّهِ الْمَلِكُ ، لَا مَلِكَ هَارُونَ الَّذِي لَا يَجْمَعُ النَّاسَ إِلَّا بِشَرِّطٍ وَأَعْوَانٍ^(٢) .

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : (قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ^(٣) دَخَلْتُ عَلَى هَارُونَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، إِنَّكَ فِي مَوْضِعٍ ، وَفِي شَرَفٍ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ذَلِكَ لَا يُغْنِي عَنِّي فِي الْآخِرَةِ شَيْئًا^(٤) .

٢- مِيزَانُ المَكَارِمِ :

قِيلَ : إِنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ بَاعَ دَارَ النَّدْوَةِ مِنْ مُعَاوِيَةَ بِمِئَةِ أَلْفٍ فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ : بَعْتَ مَكْرُمَةً قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : ذَهَبَتِ الْمَكَارِمُ يَا ابْنَ أَخِي إِلَّا التَّقْوَى ، إِنِّي اشْتَرَيْتُ بِهَا دَارًا فِي الْجَنَّةِ ، أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُهَا لِلَّهِ^(٥) .

* * *

- (١) انظر السير : (يُونُسُ بْنُ عُبَيْدِ) ٢٨٨/٦-٢٩٦ ، وانظر النزهة : ٧/٦٥٢ .
- (٢) انظر السير : (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ) ٣٧٨/٨-٤٢١ ، وانظر النزهة : ٣/٧٦٦ .
- (٣) قال صاحبُ النزهة : ما بينَ القَوْسَيْنِ زيادةٌ لازمةٌ من كتاب « تاريخ الإسلام » للإمامِ الذهبي .
- (٤) انظر السير : (أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ) ٥٣٩/٨-٥٤٣ ، وانظر النزهة : ٦/٧٩٠ .
- (٥) انظر السير : (حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ) ٤٤/٣-٥١ ، وانظر النزهة : ٥/٣٣٠ .

(١٠) الضَّيْفُ

١- حَقُّ الضَّيْفِ :

عن مُعَاذِ بْنِ خَالِدٍ : سَمِعْتُ أَبَا حَمْزَةَ السُّكْرِيَّ يَقُولُ : مَا شَبِعْتُ مِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ،
إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِي ضَيْفٌ^(١) .

٢- رِزْقُ الضَّيْفِ عَلَى اللَّهِ :

عن شَقِيقِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ : لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الضَّيْفِ لِأَنَّ رِزْقَهُ عَلَى اللَّهِ ، وَأَجْرُهُ
لِي^(٢) .

٣- الشَّبْعُ مَعَ الضَّيْفِ جَائِزٌ :

عن مُعَاذِ بْنِ خَالِدٍ : سَمِعْتُ أَبَا حَمْزَةَ السُّكْرِيَّ يَقُولُ : مَا شَبِعْتُ مِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ،
إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِي ضَيْفٌ^(٣) .

٤- شِعْرٌ فِي إِكْرَامِ الضَّيْفِ :

قَالَ أَبُو بَكْرِ الْبَيْهَقِيُّ فِي « شُعْبِ الْإِيمَانِ » : أَنشَدَنَا أَبُو نَصْرٍ بْنُ قَتَادَةَ ، أَنشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ
الْفَقَّالُ :

أوسّع رحلي على من نزل
نقدّم حاضر ما عندنا
فأما الكريم فيرضى به
وزادي مباح على من أكل
وإن لم يكن غير خبز وحل
وأما اللئيم فمن لم أبل^(٤)

* * *

(١) انظر السير : (أبو حمزة السُّكْرِي) ٣٨٥-٣٨٧ / ٧ ، وانظر النزهة : ١ / ٧٠٧ .

(٢) انظر السير : (شَقِيق) ٣١٣-٣١٦ / ٩ ، وانظر النزهة : ٨ / ٨٢٣ .

(٣) انظر السير : (أبو حمزة السُّكْرِي) ٣٨٥-٣٨٧ / ٧ ، وانظر النزهة : ١ / ٧٠٧ .

(٤) انظر السير : (الفَقَّالُ السَّاسِي) ٢٨٣-٢٨٥ / ١٦ ، وانظر النزهة : ١ / ١٢٩٦ .

(١١) عَجَائِبُ وَغَرَائِبُ مِنْ عُصُورٍ مُتَفَرِّقَةٍ

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَكَانَ
وَلِكِسْرَى وَقَيْصَرَ وَمَنْ قَبْلَهُمَا مِنَ الْمُلُوكِ فِي دَوْلَتِهِمْ دَهْرٌ طَوِيلٌ ، فَأَمَّا الْأَكَاسِرَةُ
وَالْفُرسُ ، وَهِيَ الْمَجُوسُ فَمَلَكَوا الْعِرَاقَ وَالْعَجَمَ نَحْوًا مِنْ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ ، فَأَوَّلُ
مُلُوكِهِمْ « دَارَا » ، وَطَالَ عُمُرُهُ فَيُقَالُ : إِنَّهُ بَقِيَ فِي الْمُلْكِ مِائَتِي سَنَةٍ ، وَعَدَّةُ مُلُوكِهِمْ
خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ نَفْسًا ، مِنْهُمْ امْرَأَتَانِ ، وَكَانَ آخِرُ الْقَوْمِ « يَزْدَجِرْد » الَّذِي هَلَكَ فِي زَمَنِ
عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمِمَّنْ مَلَكَ مِنْهُمْ ذُو الْأَكْتَفِ « سَابُور » ، عُقِدَ لَهُ بِالْأَمْرِ وَهُوَ فِي
بَطْنِ أُمَّه ، لِأَنَّهُ مَاتَ أَبُوهُ وَهُوَ حَمْلٌ فِي بَطْنِ أُمَّه ، فَقَالَ الْكُهَّانُ : هَذَا يَمْلِكُ الْأَرْضَ
فَوُضِعَ النَّاجُ عَلَى بَطْنِ أُمَّه ، وَكُتِبَ مِنْهُ إِلَى الْآفَاقِ وَهُوَ بَعْدُ جَنِينٌ ، وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ
يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ قَطُّ ، وَإِنَّمَا لُقِّبَ بِذِي الْأَكْتَفِ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْزِعُ أَكْتَفَ مَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ
الَّذِي بَنَى الْإِيوَانَ الْأَعْظَمَ ، وَبَنَى نَيْسَابُورَ ، وَبَنَى سِجِسْتَانَ^(١) .

وَمِنْ مُتَأَخَّرِي مُلُوكِهِمْ « أَنْوَشِرَوَان » ، وَكَانَ حَازِمًا عَاقِلًا ، كَانَ لَهُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ
امْرَأَةٍ وَسَرِيَّةً ، وَخَمْسُونَ أَلْفَ دَابَّةٍ ، وَأَلْفُ فِيلٍ إِلَّا وَاحِدًا ، وَوُلِدَ نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي زَمَانِهِ ، ثُمَّ مَاتَ « أَنْوَشِرَوَان » وَقَتَ مَوْتِهِ عَبْدٌ الْمُطْلَبِ ، وَلَمَّا اسْتَوَلَى
الصَّحَابَةُ عَلَى الْإِيوَانِ أَحْرَقُوا سُتْرَهُ ، فَطَلَعَ مِنْهُ أَلْفٌ مِثْقَالٍ ذَهَبًا^(٢) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ : قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ
بِلَالٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسَيْبِ ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ خَارِجَةَ تُوْفِيَ زَمَنَ
عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَسُجِّيَ بِثَوْبٍ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ سَمِعُوا جَلْجَلَةً فِي صَدْرِهِ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ
فَقَالَ : أَحْمَدُ أَحْمَدُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ، صَدَقَ صَدَقَ أَبُو بَكْرٍ الضَّعِيفُ فِي نَفْسِهِ الْقَوِيُّ
فِي أَمْرِ اللَّهِ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ، صَدَقَ صَدَقَ عُمَرُ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ،

(١) انظر السير : (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) ، وانظر النزهة : ٣/٦٧ .

(٢) انظر السير : (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) ، وانظر النزهة : ١/٦٨ .

صَدَقَ صَدَقُ عُثْمَانَ عَلَىٰ مِنْهَا جِهَهُمْ ، مَضَتْ أَرْبَعُ سِنِينَ وَبَقِيَتْ سَنْتَانِ ، أَتَتْ الْفِتْنُ وَأَكَلَ الشَّدِيدُ الضَّعِيفَ ، وَقَامَتِ السَّاعَةُ ، وَسَيَأْتِيكُمْ خَبْرُ بَنِي أَرِيْسَ ، وَمَا بَنُو أَرِيْسَ .

قال ابنُ المُسيَّبِ : ثم هَلَكَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي خَطْمَةَ ، فَسُجِّيَ بِثُوبٍ فَسَمِعُوا جَلْجَلَةً فِي صَدْرِهِ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ فَقَالَ : إِنَّ أَخَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ صَدَقَ صَدَقَ .

قال ابنُ عبدِ البرِّ : هذا هو الذي تَكَلَّمَ بَعْدَ الْمَوْتِ ، لَا يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عُشِّيَ عَلَيْهِ وَأُسْرِيَ بِرُوحِهِ ، ثُمَّ رَاجَعَتْهُ نَفْسُهُ فَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ فِي أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، وَعُثْمَانَ ، ثُمَّ مَاتَ لَوْقَتِهِ ^(١) .

عن ابنِ سيرينَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ بَالَ قَائِماً ، فَمَاتَ ، فَسُمِعَ قَائِلٌ يَقُولُ :

قد قتلنا سيِّداً الـ خـزرج سعد بن عبادة
ورميناهُ بسهـمٍ فلم نخطيء فؤاده ^(٢)

وقال ابنُ سَعْدٍ : أَنبَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُرَّةَ الشَّعْبَانِيُّ ، حَدَّثَنِي أَشْيَاخٌ مِنْ شَعْبَانَ ، مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَكَانَ عَالِماً ، أَنَّ مَطَرًا أَصَابَ الْيَمْنَ ، فَجَحَفَ السَّبِيلُ مَوْضِعاً فَأَبْدَىٰ عَنْ أَرْجٍ ^(٣) عَلَيْهِ بَابٌ مِنْ حِجَارَةٍ ، فَكَسِرَ الْغَلَقُ وَدُخِلَ فَإِذَا بِهِ عَظِيمٌ فِيهِ سَرِيرٌ مِنْ ذَهَبٍ ، فَإِذَا عَلَيْهِ رَجُلٌ شَبْرَنَاهُ فَإِذَا طُولُهُ اثْنَا عَشَرَ شِبْرًا ، وَإِذَا عَلَيْهِ جِابٌ مِنْ وَشِيٍّ مَنسُوجَةٍ بِالذَّهَبِ ، وَإِلَىٰ جَنْبِهِ مِخْجَرٌ مِنْ ذَهَبٍ عَلَىٰ رَأْسِهِ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ ، وَإِذَا رَجُلٌ أَيْضَ الرِّئَاسِ وَاللَّحْيَةِ ، لَهُ ضَفْرَانُ وَإِلَىٰ جَنْبِهِ لَوْحٌ مَكْتُوبٌ فِيهِ بِالْحَمِيرِيَّةِ : بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ رَبِّ حَمِيرِ أَنَا حَسَّانُ بْنُ عَمْرٍو الْقَيْلِ ^(٤) إِذْ لَا قَيْلَ إِلَّا اللَّهُ ، عِشْتُ بِأَمَلٍ وَمِثٌّ بِأَجَلٍ ، أَيَّامٌ وَخَزْهِيدٌ ^(٥) ، وَمَا وَخَزْهِيدٌ ؟ هَلَكَ فِيهِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ قَيْلٍ ، فَكُنْتُ أُخْرَهُمْ

(١) انظر السير : (عثمان بن عفان) ، وانظر النزهة : ٨٢ .

(٢) انظر السير : (سعد بن عبادة) ٢٧٠-٢٧٩ ، وانظر النزهة : ١٦٢/٢ .

(٣) الأرج : بناء مستطيل مقوس السقف .

(٤) القيل : الملك من ملوك حمير يتقيل من قبله من ملوكهم (يشبهه) .

(٥) الوخز : الطعن النافذ ، أو هو الطاعون ، و«هيد» قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» : وأيام

هيد أيام موتان كانت في الجاهلية في الدهر الأول ، قيل مات فيها اثنا عشر ألفاً ، هكذا ذكره العمراني

في «أسماء الأماكن» ، ولا أدري ما معناه . اهـ

قِيلاً ، فَاتَيْتُ جَبَلَ ذِي شَعْبَيْنَ لِيُجِيرَنِي مِنَ الْمَوْتِ فَأَخْفَرَنِي وَإِلَى جَنْبِهِ سَيْفٌ مَكْتُوبٌ فِيهِ : أَنَا قَيْلٌ بِي يُدْرِكُ الثَّارُ .

عن الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : أَدْرَكْتُ خَمْسَ مِئَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

عن مَكْحُولٍ ، قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنَ الشَّعْبِيِّ .

عن أَبِي مِجَلَزٍ ، قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْقَهَ مِنَ الشَّعْبِيِّ ، لَا سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيْبِ ، وَلَا طَاوُوسَ ، وَلَا عَطَاءَ ، وَلَا الْحَسَنَ ، وَلَا ابْنَ سِيرِينَ ، فَقَدْ رَأَيْتُ كُلَّهُمْ ^(١) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي الْجَوْزَاءِ : وَكَانَ أَبُو الْجَوْزَاءِ قَوِيًّا بِالْمَرَّةِ .

عن سُلَيْمَانَ الرَّبِيعِيِّ ، قَالَ : كَانَ أَبُو الْجَوْزَاءِ يُوَصِّلُ أُسْبُوعًا ، وَيَقْبِضُ عَلَى ذِرَاعِ الشَّابِّ فَيَكَادُ يُحَطِّمُهَا ^(٢) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ هَارُونَ بْنِ رِثَابٍ : قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمِ الْفَقِيهِ : يَمَانٌ ، وَهَارُونَ ، وَعَلِيُّ بْنُ رِثَابٍ ، فَهَارُونَ مِنْ أُمَّةِ السُّنَّةِ ، وَيَمَانٌ مِنْ أُمَّةِ الْخَوَارِجِ ، وَعَلِيُّ مِنْ أُمَّةِ الرَّوَافِضِ ، وَكَانُوا مُتَعَادِينَ ^(٣) .

عن الْبَطَالِ ، قَالَ : اتَّفَقَ لِي أَنَا أَتَيْنَا قَرْيَةَ لُنْغَيْرِ ، فَإِذَا بَيْتٌ فِيهِ سِرَاجٌ وَصَغِيرٌ يَبْكِي ، فَقَالَتْ أُمُّهُ : اسْكُتْ ، أَوْ لَأَذْفَعَنَّكَ إِلَى الْبَطَالِ فَبَكَى فَأَخَذَتْهُ مِنْ سَرِيرِهِ ، وَقَالَتْ : خُذْهُ يَا بَطَالُ فَقُلْتُ : هَاتِهِ ^(٤) .

وَقَالَ نِفْطُويَه : يُقَالُ لِلْمُعْتَصِمِ : الْمُثْمَنُ ، فَإِنَّهُ ثَامِنٌ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَتَمَلَّكَ ثَمَانِي سِنِينَ ، وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ، وَلَهُ فُتُوحَاتٌ ثَمَانِيَةٌ .

وَقَتَلَ ثَمَانِيَةَ : بَابَكَ ، وَالْأَفْشِينَ ، وَمَازِيَارَ ، وَبَاطِيسَ ، وَرَيْسَ الزُّنَادِقَةَ ، وَعُجَيْفًا ، وَقَارُونَ ، وَأَمِيرَ الرَّافِضَةِ ^(٥) .

(١) انظر السير : (الشَّعْبِيُّ) ٤ / ٢٩٤ - ٣١٩ ، وانظر النزهة : ٧ / ٥٠٠ .

(٢) انظر السير : (أبو الْجَوْزَاءِ) ٤ / ٣٧١ - ٣٧٢ ، وانظر النزهة : ٦ / ٥١٢ .

(٣) انظر السير : (هَارُونَ بْنُ رِثَابٍ) ٥ / ٢٦٣ - ٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٤ / ٦٠٠ .

(٤) انظر السير : (الْبَطَالِ) ٥ / ٢٦٨ - ٢٦٩ ، وانظر النزهة : ١ / ٦٠١ .

(٥) انظر السير : (الْمُعْتَصِمِ) ١٠ / ٢٩٠ - ٣٠٦ ، وانظر النزهة : ٥ / ٨٧٩ .

وقال غيرُ نِفْطَوِيَه : خَلَفَ من الذَّهَبِ ثَمَانِيَةَ آلاَفِ دِينَارٍ ، وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَثَمَانِينَ أَلْفَ فَرَسٍ ، وَثَمَانِيَةَ آلاَفِ مَمْلُوكٍ ، وَثَمَانِيَةَ آلاَفِ جَارِيَةٍ ، وَبَنَى ثَمَانِيَةَ قُصُورٍ وَقِيلَ بَلَغَ مَمَالِيكُهُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا ، وَكَانَ ذَا سَطْوَةٍ إِذَا غَضِبَ لَا يُبَالِي مَنْ قَتَلَ .
 قَالَ الْخَطِيبُ : كَثُرَ عَسْكَرُ الْمُعْتَصِمِ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ بَغْدَادُ ، فَبَنَى مَدِينَةَ « سُرَّ مَنْ رَأَى » وَتَحَوَّلَ إِلَيْهَا وَتَسَمَّى أَيْضًا الْعَسْكَرَ .

مَاتَ الْمُعْتَصِمُ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَتِينَ ، وَهُوَ سَبْعٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَدُفِنَ بِـ « سُرَّ مَنْ رَأَى » وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْوَائِقُ (١) .

وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ جَعْفَرِ اللَّبَّانِ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ قَالَ : وُلِدَ أَبِي مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ مَثْقُوبَ الْأَدْنِيِّ ، فَمَضَى جَدِّي رَاهَوِيَةَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ مُوسَى فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : يَكُونُ ابْنُكَ رَأْسًا إِمَامًا فِي الْخَيْرِ ، وَإِمَامًا فِي الشَّرِّ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : هَذِهِ الْحِكَايَةُ رَوَاهَا الْخَطِيبُ فِي « تَارِيخِهِ » عَنْ الْجَوْهَرِيِّ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْخَزَّازُ ، حَدَّثَنَا عَنْهُ أَنْ فَذَكَرَهَا وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ وَحِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ (٢) .

وَقَالَ الْحَاكِمُ : سَمِعْتُ أَبَا النَّضْرِ الْفَقِيهَ ، سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْعَنْبَرِيَّ يَقُولُ : كُنْتُ بِمِصْرَ ، وَأَنَا أَكْتُبُ بِاللَّيْلِ كُتُبَ ابْنِ وَهْبٍ ، وَذَلِكَ لِخَمْسِ بَقِيْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ، فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ ، يَا إِبْرَاهِيمُ مَاتَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ مُحَمَّدُ بْنُ أُسْلَمَ ، فَتَعَجَّبْتُ مِنْ ذَلِكَ ، وَكَتَبْتُهُ عَلَى ظَهْرِ كِتَابِي ، فَإِذَا بِهِ قَدْ مَاتَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ (٣) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّزَّاقِ ، سَمِعْتُ مَعْمَرًا يَقُولُ : رَأَيْتُ بِالْيَمَنِ عُنُقُودَ عِنَبٍ وَقُرَّ (٤) بَغْلٍ تَامٌ .

-
- (١) انظر السير : (الْمُعْتَصِمِ) ١٠/٢٩٠-٣٠٦ ، وانظر النزهة : ١/٨٨٠ .
 (٢) انظر السير : (إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ) ١١/٣٥٨-٣٨٣ ، وانظر النزهة : ١/٩٥٤ .
 (٣) انظر السير : (مُحَمَّدُ بْنُ أُسْلَمَ) ١٢/١٩٥-٢٠٧ ، وانظر النزهة : ٣/٩٩٣ .
 (٤) الوِقرُ : بكسر الواو ، وسكون القاف : الحملُ الثقيلُ .

مات مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ (١) .

وقال أبو داود في « سُنَنِهِ » : شَبَّرْتُ قِثَاءَةً بِمِصْرٍ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَبْرًا ، وَرَأَيْتُ أُتْرُجَةً عَلَى بَعِيرٍ ، وَقَدْ قُطِعَتْ قِطْعَتَيْنِ ، وَعُمِلَتْ مِثْلَ عِدْلَيْنِ .

تُوفِّي أَبُو دَاوُدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَتَيْنِ (٢) .

وعن مُحَمَّدِ بْنِ خَفِيفٍ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ الْحَكِيمِيَّ يَقُولُ : ذَكَرُوا عِنْدَ لَيْلَى الدَّيْلَمِي أَنَّهُ أَبَا بَكْرٍ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ نَاصِبِيٌّ (٣) ، فَبَعَثَ غُلَامًا لَهُ وَمِخْلَاةً وَسَيْفًا ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِرَأْسِهِ ، فَجَاءَ الْعُلَامُ ، وَأَبُو بَكْرٍ يَقْرَأُ الْحَدِيثَ ، وَالكِتَابُ فِي يَدِهِ ، فَقَالَ : أَمَرَنِي أَنْ أُحْمِلَ إِلَيْهِ رَأْسَكَ فَنَامَ عَلَى قَفَاهُ ، وَوَضَعَ الْكِتَابَ الَّذِي كَانَ فِي يَدِهِ عَلَى وَجْهِهِ ، وَقَالَ : أَفْعَلُ مَا شِئْتَ فَلِحِقِّهِ إِنْسَانٌ ، وَقَالَ : لَا تَفْعَلْ ، فَإِنَّ الْأَمِيرَ قَدْ نَهَاكَ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ وَأَخَذَ الْجُزْءَ ، وَرَجَعَ إِلَى الْحَدِيثِ الَّذِي قَطَعَهُ ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ .

مات أحمد بن عمرو سنة سبع وثمانين (٤) .

وعن ابن الجصاص قال : كُنْتُ يَوْمًا فِي الدَّهْلِيْزِ ، فَخَرَجْتُ قَهْرْمَانَةَ مَعَهَا مِئَةُ حَبَّةِ جَوْهَرٍ ، تُسَاوِي الْحَبَّةَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقَالَتْ : نُرِيدُ أَنْ تَخْرُطَ هَذَا الْحَبَّ حَتَّى يَصْغُرَ ، فَأَخَذْتُهُ مِنْهَا مُسْرِعًا ، وَجَمَعْتُ سَائِرَ نَهَارِي مِنَ الْحَبِّ بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، الْوَاحِدَةَ بِالْأَلْفِ ، وَأَتَيْتُ بِهِ الْقَهْرْمَانَةَ ، وَقُلْتُ : قَدْ خَرَطْنَا هَذَا (٥) .

يعني : فَرَبِحَ فِيهِ - فِي يَوْمٍ - بِضْعَةٌ وَتِسْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .

وَلَمَّا تَزَوَّجَ الْمُعْتَضِدُ بِاللَّهِ بِقَطْرِ النَّدَى بِنْتَ خُمَارَوِيَةَ صَاحِبِ مِصْرَ ، نَفَّذَهَا أَبُوهَا مَعَ ابْنِ الْجِصَّاصِ فِي جَهَازٍ عَظِيمٍ وَتُحْفٍ وَجَوَاهِرٍ تَتَجَاوَزُ الْوَصْفَ ، فَنَصَحَهَا ابْنُ الْجِصَّاصِ وَقَالَ : هَذَا شَيْءٌ كَثِيرٌ ، وَالْأَوْقَاتُ تَتَغَيَّرُ ، فَلَوْ أُوْدِعْتَ مِنْ هَذَا ؟ فَقَالَتْ :

(١) انظر السير : (مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ) ١٢/٢١٤-٢٢١ ، وانظر النزهة : ١/٩٩٦ .

(٢) انظر السير : (أَبُو دَاوُدَ) ١٣/٢٠٣-٢٢١ ، وانظر النزهة : ١/١٠٧٢ .

(٣) ناصبي : أي مُبِغِضٌ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) انظر السير : (ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ) ١٣/٤٣٠-٤٣٩ ، وانظر النزهة : ١/١٠٩٩ .

(٥) انظر السير : (ابْنُ الْجِصَّاصِ) ١٤/٤٦٩-٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٢/١١٦٥ .

نعم يا عمُّ وأودعته نفائس ثمينة ، فاتفق أنها أُدخِلت على المُعْتَصِد ، وكُرِّمَتْ عليه ، وحملت منه ، ثم ماتت في النَّفَاسِ بَعْتَهُ ، وزادت أموالُ ابنِ الجِصَّاصِ إلى الغاية ، ونظرت إليه الأعيُنُ ، فلمَّا كان في سنةِ اثنتين وثلاثِ مئة قبضَ عليه المُقْتَدِرُ ، وكُبِسَتْ دارُهُ ، وأخذوا له من الذهبِ والجوهرِ ما قوِّمَ بأربعةِ آلافِ ألفِ دينارٍ^(١) .

وقال الإمامُ الذهبيُّ في تَرْجَمَةِ الحَاكِمِ بأمرِ اللهِ العَبِيدِيِّ : وكان شَيْطَانًا مَرِيدًا جَبَّارًا عَنِيدًا ، كَثِيرَ التَّلَوُّنِ ، سَفَاكًا لِلدَّمَاءِ ، حَبِيثَ النُّحْلَةِ ، عَظِيمَ المَكْرِ ، جَوَادًا مُمَدِّحًا ، له شَأْنٌ عَجِيبٌ وَنَبَأٌ غَرِيبٌ ، كان فِرْعَوْنَ زَمَانِهِ ، يَخْتَرَعُ كُلَّ وَقتٍ أَحْكَامًا يُلْزِمُ الرِّعِيَّةَ بها أَمَرَ بِسَبِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، وبِكُتَابَةِ ذلكَ على أبوابِ المَسَاجِدِ والشُّوَارِعِ وأَمَرَ عُمَّالَهُ بالسَّبِّ ، وبِقَتْلِ الكِلَابِ في سنةِ خَمْسٍ وتسعينِ وثلاثِ مئة وأَبْطَلَ الفُقَّاعَ^(٢) والمُلُوخِيَا ، وحَرَّمَ السَّمَكَ الذي لا فُلُوسَ عليه^(٣) ، ووَقعَ بِبائعِ لشيءٍ من ذلكَ فقتَلَهُمْ^(٤) .

وفي سنةِ اثنتين وأربعِ مئة ، حَرَّمَ بَيْعَ الرُّطْبِ ، وجمَعَ منه شَيْئًا عَظِيمًا ، فأحرقَهُ ، ومنَعَ من بَيْعِ العنبِ ، وأبادَ الكُرُومَ ، وأَمَرَ النَّصَارَى بِتَعْلِيقِ صَليبٍ في رِقَابِهِمْ زِنْتَهُ رَطْلُ ورُبْعٍ بالدَّمَشْقِيِّ وألْزَمَ اليَهُودَ أَنْ يُعَلِّقُوا في أعناقِهِمْ قُرْمِيَّةً في زِنَةِ الصَّليبِ إشارَةً إلى رَأْسِ العِجْلِ الذي عَبَدُوهُ ، وأنْ تَكُونَ عَمَائِمُهُمْ سُودًا ، وأنْ يَدْخُلُوا الحَمَّامَ بِالصَّليبِ وبالْقُرْمِيَّةِ ثم أفرَدَ لَهُمَ حَمَّامَاتٍ وأَمَرَ في العَامِ بِهَدْمِ كَنِيسَةِ قُمَامَةَ^(٥) ، وبِهَدْمِ كَنائِسِ مِصْرَ ، فأسلمَ عِدَّةٌ ، ثم إِنَّهُ نَهَى عن تَقْبِيلِ الأَرْضِ ، وعن الدُّعَاءِ له في الخُطْبِ وفي الكُتُبِ وجَعَلَ بِدَلِهِ السَّلَامَ عَلَيْهِ^(٦) .

وقيلَ : إنَّ ابنَ باديسَ أميرَ المَغْرِبِ بَعَثَ يَنْقِمُ عليه أُمُورًا ، فأرادَ أَنْ يَسْتَمِيلَهُ ،

(١) انظر السير : (ابنُ الجِصَّاصِ) ٤٦٩/١٤ - ٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٣/١١٦٥ .

(٢) شرابٌ يُتخذُ من الشعيرِ .

(٣) الفلَسُ : القشرةُ على ظهر السمكةِ .

(٤) انظر السير : (الحَاكِمِ) ١٧٣/١٥ - ١٨٤ ، وانظر النزهة : ١/١٢٠٨ .

(٥) في بيت المقدسِ .

(٦) انظر السير : (الحَاكِمِ) ١٧٣/١٥ - ١٨٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٠٨ .

فَظَهَرَ التَّقَهُ ، وَحَمَلَ فِي كُفِّهِ الدَّفَاتِرَ ، وَطَلَبَ إِلَى عِنْدِهِ فَفِيهِينَ ، وَأَمَرَهُمَا بِتَدْرِيسِ
فَقِهِ مَالِكٍ فِي الْجَامِعِ ، ثُمَّ تَغَيَّرَ فَقَتَلَهُمَا صَبْرًا^(١) .

وَأَذِنَ لِلنَّصَارَى الَّذِينَ أَكْرَهُهُمْ فِي الْعَوْدِ إِلَى الْكُفْرِ^(٢) .

وَمَنَعَ النِّسَاءَ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الْبُيُوتِ ، فَأَحْسَنَ ، وَأَبْطَلَ عَمَلَ الْخِيفَانِ لَهُنَّ جُمْلَةً ،
وَمَا زِلْنَ مَمْنُوعَاتٍ مِنَ الْخُرُوجِ سَبْعَ سِنِينَ وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ^(٣) .

قَدْ حُبِّبَ فِي الْآخِرِ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْعَزْلَةَ ، وَبَقِيَ يَرْكَبُ وَحْدَهُ فِي
الْأَسْوَاقِ عَلَى حِمَارٍ ، وَيُقِيمُ الْحِسْبَةَ بِنَفْسِهِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَبْدٌ ضَخْمٌ فَاجِرٌ ، فَمَنْ وَجَبَ
عَلَيْهِ تَأْدِيبٌ ، أَمَرَ الْعَبْدَ أَنْ يُوَلِّجَ فِيهِ ، وَالْمَفْعُولُ بِهِ يَصِيحُ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ أَرَادَ ادِّعَاءَ الْإِلَهِيَّةِ ، وَشَرَعَ فِي ذَلِكَ ، فَكَلَّمَهُ الْكِبْرَاءُ وَخَوَّفُوهُ مِنْ وَثُوبِ
النَّاسِ ، فَتَوَقَّفَ .

وَفِي الْأَرْبَعِ مِئَةٍ وَبَعْدَهَا كَانَتْ الْأَنْدَلُسُ تَغْلِي بِالْحُرُوبِ وَالْقِتَالِ عَلَى الْمُلْكِ^(٤) .

وَأُنشِأَ دَارًا كَبِيرَةً مَلَأَهَا قِيُودًا وَأَغْلَالًا ، وَجَعَلَ لَهَا سَبْعَةَ أَبْوَابٍ ، وَسَمَّاهَا جَهَنَّمَ ،
فَكَانَ مَنْ سَخِطَ عَلَيْهِ أَسْكَنَهُ فِيهَا .

وَلَمَّا أَمَرَ بِحَرْقِ مِصْرَ ، وَاسْتَبَاحَهَا ، بَعَثَ خَادِمَهُ لِيُشَاهِدَ الْحَالَ ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ :
كَيْفَ رَأَيْتَ ؟ قَالَ : لَوْ اسْتَبَاحَهَا طَاغِيَةُ الرُّومِ مَا زَادَ عَلَيَّ مَا رَأَيْتُ ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ .

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ ، أُخِذَ الْوَفْدُ الْعِرَاقِيُّ ، وَغَوَّرَتِ الْمِيَاهُ وَهَلَكَ بَضْعَةُ عَشْرٍ
أَلْفَ مُسْلِمٍ ، ثُمَّ أُخِذَ مِنَ الْعَرَبِ بِيَعْضِ الثَّأْرِ ، وَقُتِلَ عِدَّةٌ .

وَبَعَثَ الْمَلِكُ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ كِتَابًا إِلَى الْخَلِيفَةِ بِأَنَّهُ وَرَدَ إِلَيْهِ مِنَ الْحَاكِمِ كِتَابٌ
يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى بَيْعَتِهِ ، وَقَدْ خَرَّقَ الْكِتَابَ ، وَبَصَقَ عَلَيْهِ^(٥) .

(١) انظر السير : (الحاكم) ١٧٣/١٥ - ١٨٤ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٠٨ .

(٢) انظر السير : (الحاكم) ١٧٣/١٥ - ١٨٤ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٠٨ .

(٣) انظر السير : (الحاكم) ١٧٣/١٥ - ١٨٤ ، وانظر النزهة : ٥/١٢٠٨ .

(٤) انظر السير : (الحاكم) ١٧٣/١٥ - ١٨٤ ، وانظر النزهة : ٧/١٢٠٨ .

(٥) انظر السير : (الحاكم) ١٧٣/١٥ - ١٨٤ ، وانظر النزهة : ١/١٢٠٩ .

وقال محمد بن علي السلمي : قُمتُ ليلةً سحراً لآخذَ التَّوبَةَ على ابنِ الأخرم ، فوجدتُ قد سَبَقَنِي ثلاثون قارئاً ، وقال : لم تُدرِكْني التَّوبَةُ إلى العَصْرِ .

توفي ابنُ الأخرم في سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة وعاشَ إحدى وثمانين سنة^(١) .

وقال الإمامُ الذهبيُّ في ترجمة الصَّابِيءِ : الأديبُ ، البليغُ ، صاحبُ التَّرسُّلِ البديعِ ، أبو إسحاقَ ، إبراهيمُ بنُ هلالَ ، الصَّابِيءُ الحَرَائِيُّ ، المُشْرِكُ^(٢) .

حَرَصُوا عليه أن يُسَلِّمَ فأبَى ، وكانَ يَصُومُ رَمَضانَ ، ويحفظُ القرآنَ ، ويحتاجُ إليه في الإنشاءِ وله نظمٌ رائعٌ .

ولمَّا تملَّكَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ هَمَّ بِقتلِهِ وسَجَنَهُ ، ثم أطلقَهُ في سَنَةِ إحدى وسبعين وثلاث مئة ، فألَّفَ له كتابٌ : « التَّاجِي في أخبارِ بني بُويه » .

ماتَ في سَنَةِ أربعٍ وثمانين وثلاث مئة ، وله إحدى وسبعون سنةً ، ويُقالُ : قتلَهُ لأنَّهُ أمرَهُ بِعَمَلِ التَّاريخِ التَّاجِي ، فدخَلَ عليه رجلٌ فسأله ما تُؤلِّفُ ؟ فقال : أباطيلُ أُلْفِقُها ، وأكاذيبُ أنمَّقُها فتحرَّكَ عليه عَضُدُ الدَّوْلَةِ وطردَهُ ، وماتَ ، فرثاهُ الشَّريفُ الرِّضِيُّ ، فليَمَ في ذلكَ ، فقال : إنَّما رثيتُ فضلهُ ، وهذا عُدْرٌ باردٌ .

وكانَ مُكثِراً من الأدابِ .

وكذلكَ ماتَ على كُفْرِهِ ابنُهُ المُحسِنُ ، وكانَ مُحْتَشِماً أديباً ، ثم خلفَهُ ابنُهُ الصِّدْرُ الأوحدُ هلالُ بنُ المُحسِنِ ، الصَّابِيءِ ، الذي أسلمَ وعاشَ كثيراً ، وبقيَ إلى سَنَةِ ثمانٍ وأربعين وأربع مئة^(٣) .

أحضرَ إلى محمودٍ بغزنةَ شَخْصانَ من النَّسْناسِ من باديةِ بلاصيغون وهي مملكةُ قدرخان ، وعدُو النَّسْناسِ في شدَّةِ عدُوِّ الفَرَسِ ، وهو في صورةِ آدميٍّ ، لكنَّهُ بدنه

(١) انظر السير : (ابن الأخرم) ١٥/٥٦٤-٥٦٦ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٥٩ .

(٢) انظر السير : (الصَّابِيءُ) ١٦/٥٢٣-٥٢٤ ، وانظر النزهة : ٤/١٣١٢ .

(٣) انظر السير : (الصَّابِيءُ) ١٦/٥٢٣-٥٢٤ ، وانظر النزهة : ١/١٣١٣ .

مُلْبَسٍ بِالشَّعْرِ ، وَكَلَامُهُ صَفِيرٌ ، وَيَأْكُلُ حَشِيشًا ، وَأَهْلُ تِلْكَ الْبِلَادِ يَصْطَادُونَهُمْ ، وَيَأْكُلُونَهُمْ فَسَأَلَ مَحْمُودُ الْفُقَهَاءَ عَنْ أَكْلِ لَحْمِهِمْ ، فَنَهَوْا عَنْهُ (١) .

وَجَاءَ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ سِينَا : وَقَالَ الرَّئِيسُ : قَدْ صَحَّ عِنْدِي بِالتَّوَاتُرِ مَا كَانَ بِجَوْزِجَانَ فِي زَمَانِنَا مِنْ أَمْرِ حَدِيدٍ - لَعَلَّهُ زِنَةٌ مِثَّةٌ وَخَمْسِينَ مَنًا - نَزَلَ مِنَ الْهَوَاءِ ، فَنَشَبَ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ نَبَا نَبْوَةَ الْكُرَّةِ ، ثُمَّ عَادَ ، فَنَشَبَ فِي الْأَرْضِ ، وَسُمِعَ لَهُ صَوْتُ عَظِيمٌ هَائِلٌ ، فَلَمَّا تَفَقَّدُوا أَمْرَهُ ، ظَفَرُوا بِهِ ، وَحُمِلَ إِلَى الْوَالِي جَوْزِجَانَ فَحَافِلُوا كَسْرَ قِطْعَةٍ مِنْهُ ، فَمَا عَمِلَتْ فِيهِ الْآلَاتُ إِلَّا بِجَهْدٍ ، فَرَامُوا عَمَلَ سَيْفٍ مِنْهُ ، فَتَعَذَّرَ . نَقَلَهُ فِي « الشِّفَاءِ » (٢) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ الْحُطَيْئَةِ : وَحَكَى لَنَا شُجَاعٌ أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ ابْنَ الْحُطَيْئَةِ وُلِدَتْ لَهُ بِنْتُ ، فَلَمَّا كَبُرَتْ أَقْرَأَهَا بِالسَّبْعِ ، وَقَرَأَتْ عَلَيْهِ « الصَّحِيحِينَ » وَغَيْرَ ذَلِكَ ، وَكَتَبَتْ الْكَثِيرَ وَتَعَلَّمَتْ عَلَيْهِ كَثِيرًا مِنَ الْعِلْمِ ، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا قَطُّ ، فَسَأَلْتُ شُجَاعًا : أَمَا كَانَ ذَلِكَ عَنْ قَصْدٍ ؟ فَقَالَ : كَانَ فِي أَوَّلِ الْعُمُرِ اتِّفَاقًا ، لِأَنَّهُ كَانَ يَشْتَغَلُ بِالْإِقْرَاءِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ وَهِيَ فِي مَهْدِهَا ، وَتَمَادَى الْحَالُ إِلَيَّ أَنْ كَبُرَتْ ، فَصَارَتْ عَادَةً ، وَزَوَّجَهَا وَدَخَلَتْ بَيْتَهَا وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا قَطُّ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّبًا : لَا مَدْحَ فِي مِثْلِ هَذَا ، بَلْ الشُّنَّةُ بِخِلَافِهِ ، فَقَدْ كَانَ سَيِّدُ الْبَشَرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْمِلُ أُمَامَةَ بِنْتِ ابْنَتِهِ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ .

تُوفِّيَ ابْنُ الْحُطَيْئَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ سِتِّينَ وَخَمْسِ مِثَّةٍ ، وَقَبْرُهُ بِالْقَرَاةِ ظَاهِرٌ يُرَارٌ (٣) .

وَقَالَ ابْنُ النَّجَّارِ : وَكَانَ لِابْنِ الدَّهَّانِ النَّظْمُ وَالنَّثْرُ وَيُنْشِئُ الْخُطْبَ وَالرِّسَائِلَ بِلَا كُلْفَةٍ وَلَا رَوِيَّةٍ ، وَيَتَكَلَّمُ بِالثَّرَكِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ وَالرُّومِيَّةِ وَالْحَبَشِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ وَالزُّنْجِيَّةِ بِكَلَامٍ فَصِيحٍ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ اللِّسَانِ وَكَانَ حَلِيمًا بَطِيءَ الْعَضْبِ ، مُتَوَاضِعًا دِينًا صَالِحًا ، كَثِيرَ الصَّدَقَةِ ، مُتَفَقِّدًا لِلْفُقَرَاءِ وَالطُّلَبَةِ ، تَفَقَّهَ أَوْلَى لِأَبِي حَنِيفَةَ ، ثُمَّ تَحَوَّلَ شَافِعِيًّا بَعْدَ عُلُوِّ

(١) انظر السير : (السُّلْطَان) ١٧/٤٨٣-٤٩٥ ، وانظر النزهة : ١/١٣٥٥ .

(٢) انظر السير : (ابن سينا) ١٧/٥٣١-٥٣٧ ، وانظر النزهة : ١/١٣٥٩ .

(٣) انظر السير : (ابن الحُطَيْئَةِ) ٢٠/٣٤٤-٣٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٦٠ .

سِنِّهِ ، وَوَلِيَّ تَدْرِيسَ النَّحْوِ بِالنُّظَامِيَّةِ إِلَى أَنْ مَاتَ ، قَرَأْتُ عَلَيْهِ كَثِيرًا ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ فِيمِي بِالْعِلْمِ ، لِأَنَّ أُمَّيَ اسْلَمْتَنِي إِلَيْهِ وَوَلِيَّ عَشْرُ سِنِينَ ، فَكُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ وَالْفِقْهَ وَالنَّحْوَ وَأُطَالِعُ لَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَإِذَا مَشَى ، كُنْتُ أَخِذُ بِبَيْدِهِ (١) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ الْأَبَّارِ : وَمَنْ تَوَالَيْفَهُ « الْأُرْبَعُونَ » عَنْ أُرْبَعِينَ شَيْخًا مِنْ أُرْبَعِينَ تَصْنِيفًا لِأُرْبَعِينَ عَالِمًا مِنْ أُرْبَعِينَ طَرِيقًا إِلَى أُرْبَعِينَ تَابِعِيًّا عَنْ أُرْبَعِينَ صَحَابِيًّا لَهُمْ أُرْبَعُونَ اسْمًا مِنْ أُرْبَعِينَ قَبِيلَةٍ فِي أُرْبَعِينَ بَابًا .

وَقَدْ رَأَيْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَبَّارِ جُزْءًا سَمَّاهُ « دُرَّرَ السَّمَطِ فِي خَبْرِ السَّبْطِ عَلَيْهِ السَّلَامُ » يَعْنِي الْحُسَيْنَ بِإِنْشَاءِ بَدِيعٍ يَدُلُّ عَلَى تَشْيِيعٍ فِيهِ ظَاهِرٌ ، لِأَنَّهُ يَصِفُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْوَصِيِّ ، وَيَنَالُ مِنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَكَانَ مَضْرُوعُهُ عَامَ ثَمَانِيَّةٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ بَتُونُسَ (٢) .

* * *

(١) انظر السير : (ابن الدَّهَّان) ٢٢/٨٦-٨٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٦٧ .

(٢) انظر السير : (ابن الأَبَّار) ٢٣/٣٣٦-٣٣٩ ، وانظر النزهة : ٢/١٧٣٩ .

(١٢) مِنْ الْعُقُوبَات

١- الإِقَامَةُ الْجَبْرِيَّةُ :

قَالَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الوَازِرِ ظَهيرِ الدِّينِ أَبِي شُجَاعٍ : وَرَزَّ سَبْعَ سِنِينَ وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ عُزِلَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الجُمُعَةِ ، فَضَجَّتِ العَامَةُ يَدْعُونَ لَهُ ، وَيُصَافِحُونَهُ ، فَأُلْزِمَ لِذَلِكَ بِأَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْ دَارِهِ ، فَاتَّخَذَ فِي دِهْلِيْزِهِ مَسْجِدًا ، ثُمَّ حَجَّ لِعَامِهِ ، وَرَجَعَ ، فَمُنِعَ مِنْ دُخُولِ بَغْدَادَ ، وَبُعِثَ إِلَى رُوذْرَارَ ، فَبَقِيَ فِيهَا سَتَيْنِ ، ثُمَّ حَجَّ بَعْدَ مَوْتِ الخَلِيفَةِ ، وَنَزَلَ المَدِينَةَ وَتَزَهَّدَ ، فَمَاتَ خَادِمٌ ، فَأَعْطَى الخُدَّامَ ذَهَبًا حَتَّى جُعِلَ مَوْضِعَ الخَادِمِ ، فَكَانَ يَكْنِسُ وَيُوقِدُ ، وَحَفِظَ القُرْآنَ هُنَاكَ .

دُفِنَ بِالبَيْعِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ عَنِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ سَنَةً ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى^(١) .

٢- حَلَقُ اللَّحِيَّةِ :

قَالَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الخَلِيفَةِ العَبَّاسِيِّ المُتَوَكِّلِ عَلَى اللهِ ابْنِ المَعْتَصِمِ : بَعَثَ إِلَى نَائِبِهِ بِمِصْرَ ، فَحَلَقَ لِحِيَّةَ قَاضِي القَضَاءِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي اللَّيْثِ ، وَضَرَبَهُ ، وَطَوَّفَ بِهِ عَلَى حِمَارٍ فِي رَمَضَانَ ، وَسُجِنَ ، وَكَانَ ظَلُومًا جَهْمِيًّا ، ثُمَّ وَلِيَ القَضَاءَ الحَارِثُ بْنُ مَسْكِينٍ ، فَكَانَ يَضْرِبُهُ كُلَّ حِينَ عِشْرِينَ سَوْطًا لِيُؤدِّيَ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّا اللهُ^(٢) .

* * *

(١) انظر السير : (ظهير الدين) ١٩/٢٧-٣١ ، وانظر النزهة : ٥/١٤٥٤ .
(٢) انظر السير : (المتوكل على الله) ١٢/٣٠-٤١ ، وانظر النزهة : ٢/٩٧٨ .

(١٣) العَمَلُ وَالكَسْبُ عِنْدَ السَّلَفِ

١- حَثُّ السَّلَفِ عَلَى الْعَمَلِ :

عن عُتْبَةَ الْغَلَامِ قَالَ : لَا يُعْجِبُنِي رَجُلٌ إِلَّا يَخْتَرِفُ ^(١) .

٢- غَالِبُ عُلَمَاءِ السَّلَفِ يُنْفِقُونَ مِنْ كَسْبِهِمْ :

كَانَ أَبُو نَعِيمٍ شَرِيكاً لِعَبْدِ السَّلَامِ بْنِ حَرْبِ الْمَلَائِي ، كَانَا فِي حَانُوتٍ بِالْكُوفَةِ يَبِيعَانِ الْمُلَاءَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، وَكَانَ كَذَلِكَ غَالِبُ عُلَمَاءِ السَّلَفِ إِنَّمَا يُنْفِقُونَ مِنْ كَسْبِهِمْ ^(٢) .

٣- صُورَةٌ عَلَى الْعَمَلِ وَالكَسْبِ :

قَالَ أَبُو عُمَرَ الْبَصْرِيُّ : كَانَ رَأْسُ مَالِ عُتْبَةَ الْغَلَامِ فَلِساً يَشْتَرِي بِهِ حُوصاً يَعْمَلُ وَيَبِيعُهُ بِثَلَاثَةِ فُلُوسٍ ، فَيَتَصَدَّقُ بِفِلْسٍ ، وَيَتَعَشَّى بِفِلْسٍ ، وَفِلْسٌ رَأْسُ مَالِهِ ^(٣) .

وَكَانَ حَمْزَةُ بْنُ حَبِيبٍ يَجْلِبُ الزَّيْتَ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى حُلْوَانَ ، ثُمَّ يَجْلِبُ مِنْهَا الْجُبْنَ وَالْجَوْزَ ، وَكَانَ إِمَاماً قِيماً لِكِتَابِ اللَّهِ ، قَانِتاً لِلَّهِ ، ثَخِينِ الْوَرَعِ ، رَفِيعِ الذِّكْرِ ، عَالِماً بِالْحَدِيثِ وَالْفَرَائضِ أَصْلُهُ فَارِسِيٌّ ^(٤) .

وَكَانَ هِشَامُ الدَّسْتَوَائِيُّ يَتَّجِرُ فِي الْقِمَاشِ الَّذِي يُجْلِبُ مِنْ دَسْتُوا وَلِذَا قِيلَ لَهُ : صَاحِبُ الدَّسْتَوَائِيِّ ، وَدَسْتُوا بُلَيْدَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الْأَهْوَازِ ^(٥) .

وَقَالَ سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : حَدَّثَنَا أَبِي : كُنْتُ آتِي حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ فِي سُوقِهِ ، فَإِذَا رِيحٌ

(١) انظر السير : (عُتْبَةُ الْغَلَامِ) ٧/٦٢-٦٣ ، وانظر النزهة : ٧/٦٧٦ .

(٢) انظر السير : (أبو نعيم) ١٠/١٤٢-١٥٧ ، وانظر النزهة : ٤/٨٥٩ .

(٣) انظر السير : (عُتْبَةُ الْغَلَامِ) ٧/٦٢-٦٣ ، وانظر النزهة : ٥/٦٧٦ .

(٤) انظر السير : (حَمْزَةُ بْنُ حَبِيبٍ) ٧/٩٠-٩٢ ، وانظر النزهة : ٤/٦٧٩ .

(٥) انظر السير : (هِشَامُ الدَّسْتَوَائِيُّ) ٧/١٤٩-١٥٦ ، وانظر النزهة : ٢/٦٨٧ .

في ثوبِ حَبَّةٍ أو حَبَّتَيْنِ ، شَدَّ جَوْنَتَهُ^(١) وَلَمْ يَبِعْ شَيْئاً ، فَكُنْتُ أَظُنُّ ذَلِكَ يَقُوْتُهُ^(٢) .

كَانَ أَبُو نَعِيمٍ شَرِيكاً لِعَبْدِ السَّلَامِ بْنِ حَرْبِ الْمُلَائِي ، كَانَا فِي حَانُوتٍ بِالْكُوفَةِ بِيَعَانِ الْمُلَاءَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، وَكَانَ كَذَلِكَ غَالِبُ عُلَمَاءِ السَّلَفِ إِنَّمَا يُنْفِقُونَ مِنْ كَسْبِهِمْ^(٣) .

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ : قَالَ لِي وَالِدِي : كَانَتْ وَالِدَتُكَ فِي الظَّلَامِ تَغْزِلُ غَزْلاً دَقِيْقاً ، فَتَبِيعُ الأُسْتَارَ بِدِرْهَمَيْنِ أَقْلَ أو أَكْثَرَ ، فَكَانَ ذَلِكَ قُوْتَنَا ، وَكُنَّا إِذَا اشْتَرَيْنَا الشَّيْءَ نَسْتُرُهُ عَنْهُ كَيْلَا يَرَاهُ ، فَيُوْبِّخُنَا ، وَكَانَ رَبُّمَا خُبْزَ لَهُ ، فَيَجْعَلُ فِي فَخَّارَةٍ عَدَساً وَشَحْمًا وَتَمْرَاتٍ ، وَكَانَ يَأْتِدُمُ بِالخَلِّ كَثِيراً^(٤) .

وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَبُّمَا أَخَذَ القَدُومَ ، وَخَرَجَ إِلَى دَارِ السَّكَانِ ، يَعْمَلُ الشَّيْءَ بِيَدِهِ وَاعْتَلَّ فَتَعَالَجَ^(٥) .

وَقَالَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْرَازِيِّ : كَانَ الفَقِيْهُ رَافِعُ الحَمَّالُ رَفِيْقَهُ فِي الاِسْتِغَالِ ، فَيَحْمِلُ شَطْرَ نَهَارِهِ بِالأَجْرَةِ ، وَيُنْفِقُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْرَازِيِّ ، ثُمَّ إِنَّ رَافِعاً حَجَّ وَجَاوَرَ ، وَصَارَ فَقِيْهَ الحَرَمِ .

وَمَاتَ أَبُو إِسْحَاقَ وَلَمْ يُخَلَّفْ دِرْهَمًا ، وَلَا عَلَيْهِ دِرْهَمٌ ، وَكَذَا فَلْيَكُنِ الزُّهْدُ ، وَمَا تَزَوَّجَ فِيمَا أَعْلَمَ ، وَبِحُسْنِ نَيْتِهِ فِي العِلْمِ اشْتَهَرَتْ تَصَانِيفُهُ فِي الدُّنْيَا كـ «المُهَذَّب» و«التَّنْبِيْهِ» و«اللُّمَعُ فِي أَصُوْلِ الفِقْهِ»^(٦) .

وَجَاءَ فِي تَرْجَمَةِ سَبْطِ الخَيْطِ ، أَبِي عَبْدِ اللهِ ، الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ البَغْدَادِيِّ ، قَالَ السَّمْعَانِيُّ : صَالِحٌ ، حَسَنُ الإِقْرَاءِ ، دَيِّنٌ ، يَأْكُلُ مِنْ كَدِّ يَدِهِ .

وَقَالَ أَبُو الفَرَجِ بْنِ الجَوْزِيِّ : قَرَأْتُ عَلَيْهِ القُرْآنَ .

-
- (١) الجَوْنَةُ : سُلَيْلَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ مُغْشَاةٌ بِالجلْدِ ، يَحْفَظُ العَطَارُ فِيهَا الطَّيْبَ .
 - (٢) انظر السير : (حَمَادُ بْنُ سَلْمَةَ) ٤٤٤-٤٥٦ ، وانظر النزهة : ٥/٧١٥ .
 - (٣) انظر السير : (أَبُو نَعِيمٍ) ١٠/١٤٢-١٥٧ ، وانظر النزهة : ٤/٨٥٩ .
 - (٤) انظر السير : (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٢٧ .
 - (٥) انظر السير : (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٢٧ .
 - (٦) انظر السير : (أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيْرَازِيِّ) ١٨/٤٥٢-٤٦٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٣١ .

مات سنة سبعٍ وثلاثينَ وخمسينَ مئةً^(١) .

وقال الإمامُ الذهبيُّ في ترجمَةِ ابنِ الحُطَيْبَةِ : وقد دَخَلَ الشَّامَ وَزَارَ ، وَسَكَنَ مِصْرَ ، وَتَزَوَّجَ ، وَكَانَ يَعِيشُ مِنَ الْوَرَّاقَةِ ، وَعَلَّمَ زَوْجَتَهُ وَبَنَتَهُ الْكِتَابَةَ ، فَكَتَبَتَا مِثْلَهُ ، فَكَانَ يَأْخُذُ الْكِتَابَ وَيُقَسِّمُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا ، فَيَنْسَخُ كُلُّ مِنْهُمَا طَائِفَةً مِنَ الْكِتَابِ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْخُطُوطِ إِلَّا فِي شَيْءٍ نَادِرٍ ، وَكَانَ مُقِيمًا بِجَامِعِ رَاشِدَةَ خَارِجِ الْفُسْطَاطِ ، وَلِأَهْلِ مِصْرَ حَتَّى أَمْرَائِهَا الْعُبَيْدِيَّةِ فِيهِ اعْتِقَادٌ كَبِيرٌ ، كَانَ لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا ، مَعَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْخَوْفِ وَالْإِخْلَاصِ .

وَأَحْكَمَ الْعَرَبِيَّةَ وَالْفِقَةَ ، وَخَطَّهُ مَرَّغُوبٌ فِيهِ لِإِتْقَانِهِ وَبَرَكَتِهِ^(٢) .

* * *

(١) انظر السير : (سبطُ الحَيَّاطِ) ٢٠/١٢٩-١٣٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٣٦ .

(٢) انظر السير : (ابنُ الحُطَيْبَةِ) ٢٠/٣٤٤-٣٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٥٩ .

(١٤) العَيْن

العَيْنُ حَقٌّ :

عن أبي أمامة بن سهل ، قال : رأى عامرُ بنُ ربيعةَ سهلَ بنَ حنيف ، فقال : والله ما رأيتُ كالْيَوْمِ ولا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ^(١) ! فلبط^(٢) بسهل ، فأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقيل : يا رَسُولَ اللَّهِ ، هل لك في سهل ؟ والله ما يرفعُ رأسَه ! قال صلى الله عليه وسلم : « هل تَهْمُونَ بِهِ أَحَدًا ؟ » قالوا : نَنَّهُمُ عامِرَ بنَ ربيعةَ فدَعَاهُ فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ ، وقال صلى الله عليه وسلم : « عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ ! أَلَا بَرَكْتَ ! اغْتَسَلْ لَهُ » .
فغَسَلَ وَجْهَهُ ، وَيَدَيْهِ ، وَمِرْفَقَيْهِ ، وَرُكْبَتَيْهِ ، وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ ، وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ^(٣) ، فِي قَدَحٍ ، ثُمَّ صَبَّ عَلَيْهِ فَرَّاحَ سَهْلٍ مَعَ النَّاسِ مَا بِهِ بَأْسٌ^(٤) .

* * *

(١) الْمُخَبَّأَةُ : الجارية التي في خدرها لم تتزوج بعد ، لأنَّ صيانتها أبلغ ممَّن قد تزوجت .

(٢) لُبَطٌ : صُرِع .

(٣) دَاخِلَةُ الْإِزَارِ : طَرَفُهُ الدَّاخِلُ الَّذِي يَلِي الْجَسَدَ ، وَيَلِي الْجَانِبَ الْأَيْمَنَ مِنَ الرَّجْلِ إِذَا انْتَزَرَ ، لِأَنَّ

المؤتزر إنما يبدأ بجانبه الأيمن ، فذلك الطرف يُباشِرُ جَسَدَهُ ، وَهُوَ الَّذِي يَغْسَلُ ، وَقِيلَ : هُوَ الْوَرَكُ ،

وقيل : أراد به مذاكيره ، فكني بالداخلة ، كما كني عن الفرج بالسراويل .

(٤) انظر السير : (سهلُ بنُ حنيف) ٢ / ٣٢٥ - ٣٢٩ ، وانظر النزهة : ٢ / ٢٦٨ .

(١٥) الفُرْصَةُ

الفُرْصَةُ إِنْ لَمْ تُنْتَهَرْ فَهِيَ غُصَّةٌ :

عن خالد بن معدان ، قال : إذا فتح أحدكم باب خير فليُسِرْغ إليه ، فإنه لا يدري متى يُغلقُ عنه^(١) .

وقال عفان بن مسلم : حدّثنا حمّاد بن سلّمة قال : قدمت مكة وعطاء بن أبي رباح حيٌّ - في شهر رمضان ، فقلتُ : إذا أفطرتُ دخلتُ عليه ، فمات في رمضان . مات حمّاد بن سلّمة سنة سبع وستين ومئة^(٢) .

* * *

(١) انظر السير : (خالد بن معدان) ٤/٥٣٦-٥٤١ ، وانظر النزّهة : ٣/٥٥٢ .

(٢) انظر السير : (حمّاد بن سلّمة) ٧/٤٤٤-٤٥٦ ، وانظر النزّهة : ٢/٧١٦ .

(١٦) فُكَاهَاتٌ وَنَوَادِرِ

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ ابْنُ أَخِي الْمَاجِشُونُ : بَلَّغْنَا أَنَّهُ كَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ جَارِيَةٌ يَسْتَسْرِئُهَا عَنْ أَهْلِهَا ، فَبَصُرَتْ بِهِ امْرَأَتُهُ يَوْمًا قَدْ خَلَا بِهَا ، فَقَالَتْ : لَقَدْ اخْتَرْتَ أُمَّتَكَ عَلَيَّ حُرَّتَكَ ؟ فَجَاوَبَهَا ذَلِكَ ، قَالَتْ : فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا ، فَأَقْرَأْ آيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ :

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ مِثْوَى الْكَافِرِينَ
قَالَتْ : فَرِزْدَنِي آيَةً ، فَقَالَ :

وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ
وَتَحْمَلُهُ مَلَائِكَةُ كَرَامٍ مَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مَقَرَّرِينَ

فَقَالَتْ : أَمَنْتُ بِاللَّهِ ، وَكَذَّبْتُ الْبَصَرَ ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَحَدَّثَهُ ، فَضَحِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ ^(١) .

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ سَوْدَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّيْتُ خَلْفَكَ الْبَارِحَةَ ، فَرَكَعْتَ بِي ، حَتَّى أَمْسَكْتُ بِأَنْفِي مَخَافَةَ أَنْ يَقْطُرَ الدَّمُ فَضَحِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُضْحِكُهُ الْأَخْيَانَ بِالشَّيْءِ ^(٢) .

وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كَذَبْتِكُمْ ^(٣) مِنَ النِّسَاءِ الْحَارِقَةِ ^(٤) ، فَمَا ثَبَّتَتْ مِنْهُنَّ امْرَأَةً إِلَّا أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ ^(٥) .

(١) انظر السير : (عبد الله بن رَوَاحَةَ) ١/٢٣٠-٢٤٠ ، وانظر النزهة : ١/١٥٤ .

(٢) انظر السير : (سَوْدَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ) ٢/٢٦٥-٢٦٩ ، وانظر النزهة : ٥/٢٥٦ .

(٣) كَذَبَ هَا هُنَا إِغْرَاءً ، أَي : عَلَيْكُمْ بِالْحَارِقَةِ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ نَادِرَةٌ جَاءَتْ عَلَى غَيْرِ الْقِيَاسِ .

(٤) الْحَارِقَةُ : الْمَرْأَةُ الَّتِي تَغْلِبُهَا شَهْوَتُهَا ، وَقِيلَ : الضِّيْقَةُ الْفَرْجِ ، وَقِيلَ : النَّكَّاحُ عَلَى الْجَنْبِ مِنَ حَارِقَةِ الْوَزْكِ ، وَهِيَ عَصَبَةٌ فِيهَا ، وَالْمَعْنَى : عَلَيْكُمْ مِنْ مُبَاشَرَةِ النِّسَاءِ بِهَذَا النَّوعِ ، انظر « الفائق » ، و« النهاية » ، و« اللسان » (حرق) .

(٥) انظر السير : (أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ) ٢/٢٨٢-٢٨٧ ، وانظر النزهة : ٤/٢٦٠ .

وَيُرَوَّى أَنَّ شَاعِرًا جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَأَنْشَدَهُ :

رَأَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ فِي الْمَنَامِ كَسَانِي مِنَ الْخَزْرِ دِرَاعَةً
شَكَوْتُ إِلَى صَاحِبِي أَمْرَهَا فَقَالَ سَتَوْتِي بِهَا السَّاعَةَ
سِيكْسُوكَهَا الْمَاجِدُ الْجَعْفَرُ وَمَنْ كَفَّهُ الدَّهْرَ نَفَاعَةَ
فَمَنْ قَالَ لِلْجُودِ لَا تَعُدْنِي فَقَالَ لَهُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةَ

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لُغْلَامِهِ : أَعْطَهُ جُبِّي الْخَزْرَ ثُمَّ قَالَ لَهُ وَيْحَكَ كَيْفَ لَمْ تَرَ جُبِّي الْوَشْيَ ؟
اشْتَرَيْتُهَا بِثَلَاثِ مِئَةِ دِينَارٍ مَنْسُوجَةً بِالذَّهَبِ فَقَالَ أَنَا مُ فَلَعَلِّي أَرَاهَا فَضَحِكَ عَبْدُ اللَّهِ وَقَالَ
ادْفَعُوهَا لَهُ (١) .

وَقَالَ الْأَعْمَشُ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : كَانَ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ يُحَدِّثُ ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ :
إِنَّ حَدِيثَكَ يُعْجِبُنِي ، وَإِنَّ يَدَكَ لَتَرِيئُنِي قَالَ : أَوْ مَا تَرَاهَا الشَّمَالُ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَذْرِي
الْيَمِينَ يَقْطَعُونَ أُمَّ الشَّمَالِ ؟ فَقَالَ زَيْدٌ : صَدَقَ اللَّهُ ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ
أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴾ (٢) فَذَكَرَ الْأَعْمَشُ أَنَّ يَدَهُ قُطِعَتْ يَوْمَ
نَهَاوَنْدَ (٣) .

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : أَفْرَجَ رَجُلٌ عِنْدَ شُرَيْحٍ ، ثُمَّ ذَهَبَ يُنْكَرُ ، فَقَالَ : قَدْ شَهِدَ عَلَيْكَ
ابْنُ أُخْتِ خَالَتِكَ (٤) .

عَنْ ابْنِ سِيرِينَ ، قَالَ : تَزَوَّجَ عِمْرَانُ خَارِجِيَّةً وَقَالَ : سَأَرُدُّهَا ، قَالَ فَصَرَفْتَهُ إِلَى
مَذْهَبِهَا (٥) .

فَذَكَرَ الْمَدَائِنِيُّ أَنَّهَا كَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ ، وَكَانَ دَمِيمًا فَأَعْجَبَتْهُ يَوْمًا فَقَالَتْ : أَنَا وَأَنْتَ

(١) انظر السير : (عبد الله بن جعفر) ٣/٤٥٦-٤٦٢ ، وانظر النزهة : ٥/٤٠٨ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٩٧ .

(٣) انظر السير : (زيد بن صوحان) ٣/٥٢٥-٥٢٨ ، وانظر النزهة : ٢/٤١٩ .

(٤) انظر السير : (شريح القاضي) ٤/١٠٠-١٠١ ، وانظر النزهة : ١/٤٥٧ .

(٥) انظر السير : (عمران بن حطان) ٤/٢١٤-٢١٦ ، وانظر النزهة : ٣/٤٨١ .

في الجَنَّةِ ، لِأَنَّكَ أُعْطِيتَ فَشَكَرْتَ ، وَابْتُلِيتَ فَصَبَرْتَ^(١) .

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ ، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ : أَنَا أَفْقَهُ مَنْ بَالَ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فِي الْمُبَارَكِ^(٢) .

وَعَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ ، قَالَ : كَانَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَعَ قَوْمٍ ، فَرَأَوْا قَطِيعاً مِنْ غَنَمٍ ، فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِكَ أَنْ أَكُونَ خَلِيفَةً فَاسْقِنَا مِنْ لَبَنِهَا ، فَاثْتَهَى إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ تُيُوسُّ كُلُّهَا^(٣) .

وَرَوَى مُجَالِدٌ وَغَيْرُهُ ، أَنَّ رَجُلًا مُغْفَلًا لَقِيَ الشَّعْبِيَّ وَمَعَهُ امْرَأَةٌ تَمْشِي ، فَقَالَ : أَيُّكُمَا الشَّعْبِيُّ ؟ قَالَ : هَذِهِ^(٤) .

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ يَسَافٍ ، قَالَ لِي الشَّعْبِيُّ : امْضِ بِنَا نَفِرْ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ ، فَخَرَجْنَا ، قَالَ : فَمَرَّ بِنَا شَيْخٌ ، فَقَالَ لَهُ الشَّعْبِيُّ : مَا صَنَعْتُكَ ؟ قَالَ : رَفَاءٌ قَالَ : عِنْدَنَا دِنٌّ مَكْسُورٌ تَرْفُوهُ لَنَا ؟ قَالَ : إِنْ هِيَآتْ لِي سُلُوكًا مِنْ رَمَلٍ ، رَفَوْتُهُ فَضَحِكَ الشَّعْبِيُّ حَتَّى اسْتَلْقَى^(٥) .

وَعَنْ الْأَعْمَشِ : قَالَ : أَتَى رَجُلٌ الشَّعْبِيَّ ، فَقَالَ : مَا اسْمُ امْرَأَةِ إِبْلِيسَ ؟ فَقَالَ ذَلِكَ عُرْسٌ مَا شَهَدْتُهُ^(٦) .

وَكَانَ يُقَالُ أَشْأَمٌ مِنْ طُوَيْسٍ ، قِيلَ : لِأَنَّهُ وُلِدَ يَوْمَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفُطِمَ يَوْمَ مَوْتِ أَبِي بَكْرٍ ، وَبَلَغَ يَوْمَ مَقْتَلِ عُمَرَ ، وَتَزَوَّجَ يَوْمَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ ، وَوُلِدَ لَهُ يَوْمَ مَقْتَلِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .
مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ^(٧) .

(١) انظر السير : (عمران بن حطان) ٢١٤-٢١٦/٤ ، وانظر النزهة : ٤/٤٨١ .

(٢) انظر السير : (أبو سلمة بن عبد الرحمن) ٢٨٧-٢٩٢/٤ ، وانظر النزهة : ٤/٤٩٩ .

(٣) انظر السير : (أبو سلمة بن عبد الرحمن) ٢٨٧-٢٩٢/٤ ، وانظر النزهة : ١/٥٠٠ .

(٤) انظر السير : (الشَّعْبِيُّ) ٢٩٤-٣١٩/٤ ، وانظر النزهة : ٣/٥٠٤ .

(٥) انظر السير : (الشَّعْبِيُّ) ٢٩٤-٣١٩/٤ ، وانظر النزهة : ٤/٥٠٤ .

(٦) انظر السير : (الشَّعْبِيُّ) ٢٩٤-٣١٩/٤ ، وانظر النزهة : ٧/٥٠٤ .

(٧) انظر السير : (طُوَيْسٍ) ٣٦٤/٤ ، وانظر النزهة : ٢/٥١١ .

قال الإمام الذهبي في ترجمة قتيبة بن مسلم : وباهلة قبيلة منحطة بين العرب ، قال الشاعر :

ولو قيل للكلب يا باهلي عوى الكلب من لؤم هذا النسب^(١)
وقال آخر :

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهلة
وقيل : إن قتيبة بن مسلم قال لهييرة : أي رجل أنت لولا أن أحوالك من سلول ،
فلو بادلت بهم ، قال : أيها الأمير ، بادل بهم من شئت ، وجنّني باهلة وقيل
لأعرابي : أيسرك أنك باهلي وتدخل الجنة ؟ قال : إي والله ، بشرط أن لا يعلم أهل
الجنة أنني باهلي^(٢) .

ولقي أعرابي آخر فقال : ممن أنت ؟ قال : من باهلة ، فرأى له فقال : أزيدك
إنني لست من أنفسهم ، بل من مواليتهم ، فأخذ الأعرابي يقبل يديه ويقول :
ما ابتلاك الله بهذه الرزية إلا وأنت من أهل الجنة^(٣) .

وعن مجاهد ، قال : كنت في جنازة رجل ، فسمعت رجلاً يقول لامرأة الميت :
لا تسبقيني بنفسك قالت : قد سبقت .

قال الإمام الذهبي : ولمجاهد أقوال وغرائب في العلم والتفسير تستنكر .
مات مجاهد ساجداً سنة اثنتين ومئة^(٤) .

وعن أشعب ، قال : دخلت على سالم بن عبد الله فقال : حمل إلينا هريسة وأنا
صائم ، فاقعد كل ، قال : فأمعت ، فقال : ازفوق فما بقي يحمل معك ، قال :
فرجعت ، فقالت المرأة : يا مشؤوم بعث عبد الله بن عمرو بن عثمان يطلبك ،

(١) انظر السير : (قتيبة بن مسلم) ٤/٤١٠-٤١١ ، وانظر النزاهة : ٢/٥٢٤

(٢) انظر السير : (قتيبة بن مسلم) ٤/٤١٠-٤١١ ، وانظر النزاهة : ٣/٥٢٤ .

(٣) انظر السير : (قتيبة بن مسلم) ٤/٤١٠-٤١١ ، وانظر النزاهة : ٤/٥٢٤ .

(٤) انظر السير : (مجاهد بن جبير) ٤/٤٤٩-٤٥٧ ، وانظر النزاهة : ٧/٥٣٠ .

وَقُلْتُ : إِنَّكَ مَرِيضٌ قَالَ : أَحْسَنْتِ ، فَدَخَلَ حَمَامًا وَتَمَرَّجَ بَدْهُنِ وَصُفْرَةَ ، قَالَ : وَعَصَبْتُ رَأْسِي ، وَأَخَذْتُ قَصَبَةً أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَتَيْتُهُ ، فَقَالَ : أَشْعَبُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ جُعَلْتُ فِدَاكَ مَا قُمْتُ مُنْذُ شَهْرَيْنِ ، قَالَ : وَعِنْدَهُ سَالِمٌ وَلَمْ أَشْعُرْ ، فَقَالَ : وَوَيْحَكَ يَا أَشْعَبُ ، وَغَضِبَ وَخَرَجَ فَقَالَ : عَبْدُ اللَّهِ ، مَا غَضِبَ خَالِي سَالِمٌ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ فَاعْتَرَفْتُ لَهُ ، فَضَحَكَ هُوَ وَجُلَسَاؤُهُ ، وَوَهَبَ لِي ، فَخَرَجْتُ فَإِذَا أَشْعَبُ قَدْ لَقِيَ سَالِمًا فَقَالَ : وَوَيْحَكَ ، أَلَمْ تَأْكُلْ عِنْدِي الْهَرِيْسَةَ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ شَكَّكْتَنِي (١) .

وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ ، أَنَّ أَشْعَبَ مَرَّ فِي طَرِيقِي ، فَعَبَّتْ بِهِ الصَّبِيَّانُ فَقَالَ : وَوَيْحَكُمْ ، سَالِمٌ يَقْسِمُ جَوْزًا أَوْ تَمْرًا ، فَمَرُّوْا يَعْدُونَ فَعَدَا أَشْعَبُ مَعَهُمْ ، وَقَالَ : مَا يُدْرِينِي لَعَلَّهُ حَقٌّ (٢) .

وَقَالَ حَمَادٌ ، عَنْ أَيُّوبَ : سَمِعْتُ رَجُلًا قَالَ لِعِكْرِمَةَ : فُلَانٌ قَذَفَنِي فِي النَّوْمِ ، قَالَ : اضْرِبْ ظِلَّهُ ثَمَانِينَ (٣) .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ : كَانَ عِكْرِمَةُ يَرَى رَأْيِي نَجْدَةَ الْحَرُورِيِّ .

قَالَ ابْنُ عُلَيَّةَ : ذَكَرَ أَيُّوبُ عِكْرِمَةَ فَقَالَ : كَانَ قَلِيلَ الْعَقْلِ ، أَتَيْنَا ، يَوْمًا فَقَالَ : وَاللَّهِ لِأَحَدَثْتِكُمْ ، فَمَكَّتْ ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُنَا ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّحْسِنُ حَسَنُكُمْ مِثْلَ هَذَا ؟ وَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ إِذْ رَأَى أَعْرَابِيًّا فَقَالَ : هَاهُ (٤) ، أَلَمْ أَرْكَ بِأَرْضِ الْجَزِيرَةِ أَوْ غَيْرِهَا ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَتَرَكَنَا (٥) .

وَعَنْ ابْنِ إِدْرِيسَ ، قَالَ لِي الْأَعْمَشُ : أَمَا تَعَجَّبُ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبَجَرَ قَالَ : جَاءَنِي رَجُلٌ فَقَالَ : إِنِّي لَمْ أَمْرَضُ وَأَنَا أَشْتَهِي أَنْ أَمْرَضَ ، قَالَ : فَقُلْتُ : أَحْمَدُ اللَّهِ

-
- (١) انظر السير : (سالم بن عبد الله) ٤/٤٥٧-٤٦٧ ، وانظر النزهة : ٢/٥٣٢ .
 - (٢) انظر السير : (سالم بن عبد الله) ٤/٤٥٧-٤٦٧ ، وانظر النزهة : ٣/٥٣٢ .
 - (٣) انظر السير : (عكرمة) ٥/١٢-٣٦ ، وانظر النزهة : ٧/٥٧٦ .
 - (٤) كلمة تُقَالُ لِلتَّذَكُّرِ ، وَتُقَالُ أَيْضًا عِنْدَ التَّوَجُّعِ وَالتَّلَهُّفِ .
 - (٥) انظر السير : (عكرمة) ٥/١٢-٣٦ ، وانظر النزهة : ٨/٥٧٦ .

على العافية ، قال : أنا أشتهي أن أمرضَ قالَ كل سَمَكًا مَالِحًا ، واشربَ نَبِيذًا مَرِيَسًا ،
وأفعدُ في الشَّمسِ ، واستمرضَ اللهُ فَجَعَلَ الأَعْمَشُ يَضْحَكُ وَيَقُولُ : كَأَنَّمَا قَالَ لَهُ :
واستشفَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ^(١) .

وقالَ وَكَيْعٌ : جَاؤُوا إِلَى الأَعْمَشِ يَوْمًا ، فَخَرَجَ ، وَقَالَ لَوْلَا أَنِّي فِي مَنزِلِي مَنْ هُوَ
أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْكُمْ مَا خَرَجْتُ إِلَيْكُمْ .

قيلَ : إِنَّ أَبَا دَاوُدَ الحَائِكِ سَأَلَ الأَعْمَشَ : مَا تَقُولُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ فِي الصَّلَاةِ خَلْفَ
الحَائِكِ ؟ فَقَالَ : لَا بَأْسَ بِهَا عَلَيَّ غَيْرِ وُضوءٍ قَالَ : وَمَا تَقُولُ فِي شَهَادَتِهِ ؟ قَالَ : يُقْبَلُ
مَعَ عَدَلَيْنِ^(٢) .

وقالَ عِيسَى بْنُ يُونُسَ : أَتَى الأَعْمَشَ أَضْيَافٌ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ رَغِيفَيْنِ
فَأَكَلُوهُمَا .

فَدَخَلَ فَأَخْرَجَ لَهُمْ نِصْفَ حَبْلِ قَتٍّ ، فَوَضَعَهُ عَلَى الخِوَانِ ، وَقَالَ : أَكَلْتُمْ قُوتَ
عِيَالِي فَهَذَا قُوتُ شَاتِي فَكُلُوهُ^(٣) .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ إِدْرِيسَ ، قُلْتُ للأَعْمَشِ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، مَا يَمْنَعُكَ مِنْ أَخِذِ
شَعْرِكَ ؟ قَالَ : كَثْرَةُ فُضُولِ الحَجَّامِينَ قُلْتُ : فَأَنَا أَجِيئُكَ بِحَجَّامٍ لَا يُكَلِّمُكَ حَتَّى تَفْرَغَ
فَأَتَيْتُ جُنَيْدًا الحَجَّامَ ، وَكَانَ مُحَدِّثًا ، فَأَوْصَيْتُهُ فَقَالَ : نَعَمْ فَلَمَّا أَخَذَ نِصْفَ شَعْرِهِ
قَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، كَيْفَ حَدِيثُ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ فِي المُسْتَحَاضَةِ ؟ فَصَاحَ
صَيْحَةً ، وَقَامَ يَعدُو ، وَبَقِيَ نِصْفُ شَعْرِهِ بَعْدَ شَهْرٍ غَيْرِ مَجْرُوزٍ^(٤) .

وقالَ عِيسَى بْنُ يُونُسَ : خَرَجَ الأَعْمَشُ إِذَا بِجُنْدِي ، فَسَخَّرَهُ لِيُخَوِّصَ بِهِ نَهْرًا فَلَمَّا
رَكِبَ الأَعْمَشُ قَالَ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ﴾^(٥) فَلَمَّا تَوَسَّطَ بِهِ الأَعْمَشُ قَالَ :

-
- (١) انظر السير : (الأعمش) ٢٢٦/٦-٢٤٨ ، وانظر النزهة : ٣/٦٤٤ .
 - (٢) انظر السير : (الأعمش) ٢٢٦/٦-٢٤٨ ، وانظر النزهة : ٥/٦٤٤ .
 - (٣) انظر السير : (الأعمش) ٢٢٦/٦-٢٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/٦٤٥ .
 - (٤) انظر السير : (الأعمش) ٢٢٦/٦-٢٤٨ ، وانظر النزهة : ٤/٦٤٥ .
 - (٥) سورة الزخرف ، الآية : ١٣ .

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ (١) ثم رَمَى بِهِ (٢) .

وعن حُسَيْنِ بْنِ وَقْدٍ قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى الْأَعْمَشِ ، فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ قِرَاءَتِي ؟
قَالَ : مَا قَرَأَ عَلَيَّ عِلْجٌ أَقْرَأَ مِنْكَ (٣) .

وَجَاءَ رَجُلٌ نَبِيلٌ كَبِيرٌ اللَّحِيَّةَ إِلَى الْأَعْمَشِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ خَفِيفَةٍ فِي الصَّلَاةِ
فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا الْأَعْمَشُ فَقَالَ : انظروا إليه ! لِحَيْثِهِ تَحْتَمِلُ حِفْظَ أَرْبَعَةِ آلَافِ حَدِيثٍ ،
وَمَسَأَلْتَهُ مَسْأَلَةَ صَبِيَّانِ الْكُتَّابِ (٤) .

وعن أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ قَالَ : رَأَيْتُ الْأَعْمَشَ يَلْبَسُ قَمِيصًا مَقْلُوبًا وَيَقُولُ : النَّاسُ
مَجَانِنِينَ يَجْعَلُونَ الْخَسَنَ مُقَابِلَ جُلُودِهِمْ (٥) .

وقيل : إِنَّ الْأَعْمَشَ كَانَ لَهُ وَلَدٌ مُغْفَلٌ فَقَالَ لَهُ : اذْهَبْ فَاشْتَرِ لَنَا حَبَلًا لِلْغَسِيلِ
فَقَالَ : يَا أَبَتِ طُولُ كَمْ ؟ قَالَ : عَشْرَةَ أَذْرُعٍ قَالَ : فِي عَرْضِ كَمْ ؟ قَالَ : فِي عَرْضِ
مُصَيَّبَتِي فِيكَ (٦) .

ويُقالُ : إِنَّهُ لَبَسَ مَرَّةً فَرَوًّا مَقْلُوبًا ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَوْ لَبَسْتَهَا وَصُوفُهَا
إِلَى دَاخِلِ كَانَ أَذْفَأَ لَكَ قَالَ : كُنْتُ أَشْرْتُ عَلَى الْكَبْشِ بِهَذِهِ الْمَشُورَةِ (٧) .

وقال الْأَصْمَعِيُّ : عَبَثَ بِأَشْعَبِ صَبِيَّانٍ فَقَالَ : وَيَحْكُمُ ، اذْهَبُوا ، سَالِمٌ يُفَرِّقُ تَمْرًا
فَعَدُّوا فَعَدًّا مَعَهُمْ وَقَالَ : لَعَلَّهُ حَقٌّ (٨) .

وقال الزُّبَيْرُ : قِيلَ لِأَشْعَبِ : نَزَّوْجُكَ ؟ قَالَ : ابْنُ عُونِي امْرَأَةٌ أَتَجَسَّسُ فِي وَجْهِهَا

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ٢٩ .

(٢) انظر السير : (الْأَعْمَشُ) ٦/٢٢٦-٢٤٨ ، وانظر النزاهة : ٥/٦٤٥ .

(٣) انظر السير : (الْأَعْمَشُ) ٦/٢٢٦-٢٤٨ ، وانظر النزاهة : ٦/٦٤٥ .

(٤) انظر السير : (الْأَعْمَشُ) ٦/٢٢٦-٢٤٨ ، وانظر النزاهة : ١/٦٤٦ .

(٥) انظر السير : (الْأَعْمَشُ) ٦/٢٢٦-٢٤٨ ، وانظر النزاهة : ٣/٦٤٦ .

(٦) انظر السير : (الْأَعْمَشُ) ٦/٢٢٦-٢٤٨ ، وانظر النزاهة : ٤/٦٤٦ .

(٧) انظر السير : (الْأَعْمَشُ) ٦/٢٢٦-٢٤٨ ، وانظر النزاهة : ٥/٦٤٦ .

(٨) انظر السير : (أَشْعَبُ الطَّمَعِ) ٧/٦٦-٦٨ ، وانظر النزاهة : ١/٦٧٧ .

تَشْبَع ، وَتَأْكُلُ فَخِذَ جَرَادَةٍ تَنْتَخِمُ (١) .

وَيُقَالُ : دَعَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : أَنَا خَبِيرٌ بكَرَّةِ جُمُوعِكَ قَالَ : لَا أَدْعُو أَحَدًا ، فَجَاء ، إِذْ طَلَعَ صَبِيٌّ ، فَقَالَ أَشْعَبُ : أَيْنَ الشَّرْطُ ؟ قَالَ : يَا أَبَا الْعَلَاءِ !! هُوَ ابْنِي وَفِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ : أَحَدُهَا : أَنَّهُ لَمْ يَأْكُلْ مَعَ ضَيْفٍ ، قَالَ : كَفَى ، التَّسْعُ لَكَ أُذْخِلْهُ (٢) .

وَقَالَ أَبُو عَاصِمٍ : أَوْقَفَنِي ابْنُ جُرَيْجٍ عَلَيَّ أَشْعَبُ فَقَالَ : مَا بَلَغَ مِنْ طَمَعِكَ ؟ قَالَ : مَا زُفَّتْ امْرَأَةٌ إِلَّا كُنَسْتُ بَيْتِي رَجَاءً أَنْ تُهْدَى إِلَيَّ (٣) .

وَعَنْ أَبِي عَاصِمٍ أَنَّ أَشْعَبَ مَرَّ بِمَنْ يَعْمَلُ طَبَقًا فَقَالَ : وَسَعَهُ لَعَلَّهُمْ يُهْدُونَ لَنَا فِيهِ وَمَرَزْتُ يَوْمًا فَإِذَا هُوَ وَرَائِي ، قُلْتُ : مَا بِكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ فَلَنْسُوتَكَ مَائِلَةً فَقُلْتُ : لَعَلَّهَا تَقَعُ فَأَخَذَهَا قَالَ : فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا (٤) .

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِيءُ : قَالَ أَشْعَبُ : مَا خَرَجْتُ فِي جِنَازَةٍ ، فَرَأَيْتُ اثْنَيْنِ يَتَسَارَانِ ، إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ الْمَيِّتَ أَوْصَى لِي بِشَيْءٍ (٥) .

وَقَالَ سَلِيمَانُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ : حَكَى لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ بْنِ مُسْلِمٍ ، قَالَ : كَانَ شَرِيكٌ عَلَيَّ قِضَاءِ الْكُوفَةِ ، فَخَرَجَ يَتَلَقَّى الْخَيْرَانَ ، فَبَلَغَ شَاهِي (٦) ، وَأَبْطَأَتِ الْخَيْرَانَ ، فَأَقَامَ يَنْتَظَرُهَا ثَلَاثًا ، وَيَسِرُ خُبْرَهُ ، فَجَعَلَ يَبْلُغُهُ بِالْمَاءِ وَيَأْكُلُهُ ، فَقَالَ الْعَلَاءُ بْنُ الْمِنْهَالِ الْغَنَوِيُّ (٧) :

فَإِنْ كَانَ الَّذِي قُلْتَ حَقًّا
فَمَا لَكَ مَوْضِعًا فِي كُلِّ يَوْمٍ
مُقِيمًا فِي قَرْيِ شَاهِي ثَلَاثًا
بِأَنْ قَدْ أَكْرَهُوكَ عَلَى الْقِضَاءِ
تَلَقَّى مَنْ يَحُجُّ مِنَ النِّسَاءِ
بِإِذَا زَادَ سِوَى كِسْرِ وَمَاءِ

(١) انظر السير : (أشعبُ الطَّمَعِ) ٦٦-٦٨/٧ ، وانظر النزهة : ٢/٦٧٧ .

(٢) انظر السير : (أشعبُ الطَّمَعِ) ٦٦-٦٨/٧ ، وانظر النزهة : ٣/٦٧٧ .

(٣) انظر السير : (أشعبُ الطَّمَعِ) ٦٦-٦٨/٧ ، وانظر النزهة : ٤/٦٧٧ .

(٤) انظر السير : (أشعبُ الطَّمَعِ) ٦٦-٦٨/٧ ، وانظر النزهة : ٥/٦٧٧ .

(٥) انظر السير : (أشعبُ الطَّمَعِ) ٦٦-٦٨/٧ ، وانظر النزهة : ٦/٦٧٧ .

(٦) موضع قُرب القادسية .

(٧) انظر السير : (شريك) ٨/٢٠٠-٢١٦ ، وانظر النزهة : ٦/٧٤٣ .

وقال الإمام الذهبي في ترجمته أبي عوانة : قال الحافظ ابن عدي : كان مولاة يزيد قد خيره بين الحرية ، وكتابة الحديث ، فاختر كتابه الحديث وفوض إليه مولاة التجارة ، فجاءه سائل ، فقال : أعطني درهمين ، فإني أنفك ، فأعطاه ، فدار السائل على رؤساء البصرة ، وقال : بگروا على يزيد بن عطاء ، فإنه قد أعتق أبا عوانة قال : فاجتمعوا إلى يزيد ، وهنؤوه ، فأنف من أن ينكر ذلك ، فأعتقه حقيقة^(١) .

وعن يحيى بن معين : كان غندر يجلس على رأس المنارة يفرق زكاته ، فقيل له : لم تفعل هذا ؟ قال : أرعب الناس في إخراج الزكاة^(٢) .

واشترى غندر سمكاً ، وقال لأهله : أصلحوه ، ونام ، فأكل عياله السمك ، ولطخوا يده فلما انتبه ، قال : هاتوا السمك ، قالوا : قد أكلت ، فقال : لا قالوا : فشم يدك ففعل ، ثم قال : صدقتم ولكن ما شبع^(٣) .

ونقل ابن مروان في المجالسة قال : حدثنا جعفر بن أبي عثمان ، سمعت يحيى بن معين يقول : دخلنا على غندر ، فقال : لا أحدثكم بشيء حتى تَجِثُوا معي إلى السوق وتمشون ، فيراكم الناس ، فيكرهوني ، قال : فمشينا خلفه إلى السوق .

فجعل الناس يقولون له : من هؤلاء يا أبا عبد الله ؟ فيقول : هؤلاء أصحاب الحديث ، جاؤوني من بغداد يكتبون عني .

قال الإمام الذهبي معقباً : اتفق أرباب الصحاح على الاحتجاج بغندر .

وكانت وفاته في سنة ثلاث وتسعين ومئة ، وهو في عشر الثمانين ، رحمه الله^(٤) .

وروى أبو عبيد الأجرئي عن أبي داود قال : كان أبو عاصم الضحاك يحفظ قدر ألف حديث من جيد حديثه ، وكان فيه مزاح ، ويقال : إنما قيل له النبيل ، لأن فيلاً قدم البصرة ، فذهب الناس ينظرون إليه ، فقال له ابن جرير : ما لك لا تنظر ؟ قال :

(١) انظر السير : (أبو عوانة) ٢١٧/٨ - ٢٢٢ ، وانظر النزاهة : ٣/٧٤٥ .

(٢) انظر السير : (غندر) ٩٨/٩ - ١٠٢ ، وانظر النزاهة : ٦/٨٠٢ .

(٣) انظر السير : (غندر) ٩٨/٩ - ١٠٢ ، وانظر النزاهة : ٧/٨٠٢ .

(٤) انظر السير : (غندر) ٩٨/٩ - ١٠٢ ، وانظر النزاهة : ٨/٨٠٢ .

لا أجدُ منك عَوْضاً ، قَالَ : أَنْتَ نَبِيلٌ وَبَعْضُهُمْ نَقَلَ أَنَّ أَبَا عَاصِمٍ كَانَ ضَخْمَ الْأَنْفِ ، فَتَزَوَّجَ امْرَأَةً ، فَلَمَّا خَلَا بِهَا دَنَا مِنْهَا لِيُقَبِّلَهَا ، فَقَالَتْ : نَحَّ رُكْبَتَكَ عَنْ وَجْهِهِ قَالَ : لَيْسَ ذَا رُكْبَةٍ ، إِنَّمَا هُوَ أَنْفٌ .

وقيلَ : لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ الْخَزَّ وَجَيْدَ الثِّيَابِ ، وَكَانَ إِذَا أَقْبَلَ ، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : جَاءَ النَّبِيلُ .

وقيلَ لِأَنَّ شُعْبَةَ حَلَفَ أَلَّا يُحَدِّثَ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ شَهْرًا ، فَقَصَدَهُ أَبُو عَاصِمٍ فَدَخَلَ مَجْلِسَهُ ، وَقَالَ : حَدَّثْ وَغُلَامِي الْعَطَّارُ حُرٌّ لَوْجَهُ اللَّهُ كَفَّارَةٌ عَنْ يَمِينِكَ فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ (١) .

وقَالَ الْحَسَنُ بْنُ سُوَيْانَ : سَمِعْتُ فَيَّاضَ بْنَ زُهَيْرِ النَّسَائِيِّ ، يَقُولُ : تَشَفَّعْنَا بِامْرَأَةٍ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَلَيْهِ ، فَدَخَلْنَا ، فَقَالَ : هَاتُوا ، تَشَفَّعْتُمْ إِلَيَّ بِمَنْ يَنْقَلِبُ مَعِيَ عَلَى فِرَاشِي ؟ ثُمَّ قَالَ :

لَيْسَ الشَّفِيعُ الَّذِي يَأْتِيكَ مَتَزِرًا مِثْلُ الشَّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكَ عُرْيَانًا (٢)

وقَالَ الْأَصْمُ : سَمِعْتُ الرَّبِيعَ يَقُولُ : سَأَلَ رَجُلٌ الشَّافِعِيَّ عَنْ قَاتِلِ الْوَزْغِ هَلْ عَلَيْهِ غُسْلٌ ؟ فَقَالَ : هَذَا فُتْيَا الْعَجَّازِ (٣) .

وقد كَانَ أَبُو نَعِيمٍ ذَا دُعَابَةٍ ، فَرَوَى عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ الْمَقَانِئِي ، سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَمْرٍو الْعَنْقَرِيَّ يَقُولُ : دَقَّ رَجُلٌ عَلَى أَبِي نَعِيمِ الْبَابَ ، فَقَالَ : مَنْ ذَا ؟ قَالَ : أَنَا ، قَالَ : مَنْ أَنَا ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو نَعِيمٍ ، وَقَبَّلَهُ ، وَقَالَ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا ، مَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ بَقِيَ مِنْ هَذَا النَّسْلِ أَحَدًا (٤) .

وقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ : كُنَّا مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ بِقُرْبِ دَارِ الْأَصْمَعِيِّ ، فَسَمِعْنَا مِنْهَا ضَجَّةً

(١) انظر السير : (أبو عاصم) ٩/٤٨٠-٤٨٥ ، وانظر النزهة : ٣/٨٣٦ .

(٢) انظر السير : (عبدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ) ٩/٥٦٣-٥٨٠ ، وانظر النزهة : ٢/٨٣٩ .

(٣) انظر السير : (الإمامُ الشَّافِعِيُّ) ١٠/٥-٩٩ ، وانظر النزهة : ٣/٨٥٠ .

(٤) انظر السير : (أبو نعيم) ١٠/١٤٢-١٥٧ ، وانظر النزهة : ٤/٨٦١ .

فَبَادَرَ النَّاسُ لِيَعْرِفُوا ذَلِكَ ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : إِنَّمَا يَفْعَلُونَ هَذَا عِنْدَ الْخُبْرِ ، كَذَا يَفْعَلُونَ إِذَا فَقَدُوا رَغِيفًا^(١) .

وقال الجاحظُ : حَدَّثَنِي ثُمَامَةُ ، قَالَ : شَهِدْتُ رَجُلًا قَدَّمَ خَصْمَهُ إِلَى الْوَالِ ، فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، هَذَا نَاصِبِي ، رَافِضِي ، جَهْمِي ، مُشَبَّهٌ ، يَشْتَمُ الْحَجَّاجَ بْنَ الزُّبَيْرِ الَّذِي هَدَمَ الْكَعْبَةَ عَلَى عَلِيٍّ ، وَيَلْعَنُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ^(٢) .

قال جَعْفَرُ بْنُ أَبِي عُثْمَانَ : كُنَّا عِنْدَ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مُسْتَعَجِلٌ ، فَقَالَ : يَا أَبَا زَكَرِيَّا ، حَدَّثَنِي بِشَيْءٍ أَذْكَرُكَ بِهِ ، فَقَالَ يَحْيَى : أَذْكَرُنِي أَنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أُحَدِّثَكَ فَلَمْ أَفْعَلْ^(٣) .

وقال الْحُسَيْنُ بْنُ فَهْمٍ : سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ ، يَقُولُ : كُنْتُ بِمِصْرَ ، فَرَأَيْتُ جَارِيَةً بَيْعَتْ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهَا فَقُلْتُ : يَا أَبَا زَكَرِيَّا ، مِثْلُكَ يَقُولُ هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهَا وَعَلَى كُلِّ مَلِيحٍ .

قال الإمامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : هَذِهِ الْحِكَايَةُ مَحْمُولَةٌ عَلَى الدُّعَابَةِ مِنْ أَبِي زَكَرِيَّا وَتُرْوَى عَنْهُ بِإِسْنَادٍ آخَرَ^(٤) .

وقال خَيْثَمَةُ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَوْفٍ ، يَقُولُ : أَتَيْنَا هِشَامَ بْنَ عَمَّارٍ فِي مَرْزَعَةٍ لَهُ ، وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى مُرُوجٍ لَهُ ، وَقَدْ انْكَشَفَتْ سَوْءَتُهُ ، فَقُلْنَا : يَا شَيْخُ غَطِّ عَلَيْكَ فَقَالَ : رَأَيْتُمُوهُ ؟ ! لَنْ تَرَمَدَ عَيْنُكُمْ أَبَدًا ، يَعْنِي يَمْنَحُ^(٥) .

وقال مُحَمَّدُ بْنُ الْفَيْضِ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ قَرْيَةِ الْحُرْجُلَةِ^(٦) يَطْلُبُ لِعُرْسِ أَخِيهِ لَعَابِينَ ، فَوَجَدَ الْوَالِيَّ قَدْ مَنَعَهُمْ ، فَجَاءَ يَطْلُبُ مُغَبَّرِينَ ، يَعْنِي : مُزْمِزِمِينَ يُغَبَّرُونَ بِالْقَضِيبِ ، قَالَ : فَلَقِيَهُ صُوفِيٌّ مَاجِنٌ ، فَأَرْشَدَهُ إِلَى ابْنِ ذَكْوَانَ ، وَهُوَ خَلْفَ الْمُنْبَرِ ، فَجَاءَهُ ،

-
- (١) انظر السير : (الأصمعي) ١٠/١٧٥-١٨١ ، وانظر النزهة : ٤/٨٦٤ .
 - (٢) انظر السير : (ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ) ١٠/٢٠٣-٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٥/٨٦٨ .
 - (٣) انظر السير : (يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ) ١١/٧١-٩٦ ، وانظر النزهة : ٣/٩١١ .
 - (٤) انظر السير : (يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ) ١١/٧١-٩٦ ، وانظر النزهة : ٤/٩١١ .
 - (٥) انظر السير : (هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ) ١١/٤٢٠-٤٣٥ ، وانظر النزهة : ٢/٩٥٧ .
 - (٦) قرية من قرى دمشق .

وقال : إِنَّ السُّلْطَانَ قَدْ مَنَعَ الْمُغَنِّينَ فَقَالَ : أَحْسَنَ وَاللَّهِ ، فَقَالَ : فَنَعْمَلُ الْعُرْسَ بِالْمُغَبَّرِينَ ، وَقَدْ دَلِلْتُ عَلَيْكَ فَقَالَ : لَنَا رَفِيقٌ ، فَإِنْ جَاءَ ، جِئْتُ ، وَهُوَ ذَاكَ ، وَأَشَارَ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَمَّارٍ فَقَامَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ عِنْدَ الْمِحْرَابِ مُتَكِيٌّ ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِهِشَامٍ : أَبُو مَنْ أَنْتَ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ رَدًّا ضَعِيفًا ، فَقَالَ : أَبُو الْوَلِيدِ ، فَقَالَ : يَا أبا الْوَلِيدِ : أَنَا مِنَ الْحُرِّجَلَّةِ ، قَالَ : مَا أَبَالِي مِنْ أَيْنَ كُنْتَ قَالَ إِنَّ أَخِي يَعْمَلُ عُرْسَهُ ، فَقَالَ : فَمَاذَا أَصْنَعُ ؟ قَالَ : قَدْ أُرْسَلَنِي أَطْلُبُ لَهُ الْمُحْتَشِينَ قَالَ : لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ وَلَا فِيكَ قَالَ : وَقَدْ طَلَبَ الْمُغَبَّرِينَ فَأُرْسِدْتُ إِلَيْكَ قَالَ : وَمَنْ بَعَثَكَ ؟ قَالَ : هَذَا الرَّجُلُ ، فَرَفَعَ هِشَامٌ رِجْلَهُ وَرَفَسَهُ ، وَقَالَ : قُمْ ، وَصَاحَ بِابْنِ ذَكْوَانَ : أَقْدَ تَفَرَّغْتَ لِهَذَا ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ أَنْتَ رَأَيْسُنَا ، لَوْ مَضَيْتَ مَضِينَا^(١) .

وَرَوَى يَمُوتُ بْنُ الْمُزَرَّعِ ، عَنِ الْمُبَرِّدِ ، عَنِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُعَدَّلِ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ الْمَاجِشُونَ ، فَجَاءَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ ، فَقَالَ : يَا أبا مَرْوَانَ أُعْجُوبَةُ ، خَرَجْتُ إِلَى حَائِطِي بِالْغَابَةِ ، فَعَرَضَ لِي رَجُلٌ ، فَقَالَ : اخْلَعْ ثِيَابَكَ قُلْتُ : لِمَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَخُوكَ ، وَأَنَا عُرْيَانٌ قُلْتُ فَالْمُؤَاسَاةُ ؟ قَالَ : قَدْ لَبَسْتُهَا بُرْهَةً قُلْتُ فَتُعَرِّبُنِي ؟ قَالَ : قَدْ رَوَيْتُنَا عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ : لَا بَأْسَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَغْتَسِلَ عُرْيَانًا قُلْتُ : تَرَى عَوْرَتِي قَالَ : لَوْ كَانَ أَحَدٌ يَلْقَاكَ هُنَا ، مَا تَعَرَّضْتُ لَكَ قُلْتُ : دَعْنِي أَدْخُلُ حَائِطِي ، وَأُبْعَثُ بِهَا إِلَيْكَ ، قَالَ : كَلَّا ، أَرَدْتَ أَنْ تُوَجَّهَ عَيْبُكَ ، فَأَمْسِكْ قُلْتُ : أَحْلِفُ لَكَ قَالَ : لَا تَلْزِمُ يَمِينُكَ لِلصَّرِّ فَحَلَفْتُ لَهُ : لَا بُعْثَنَّ بِهَا طَبِيبَةً بِهَا نَفْسِي فَأَطْرَقَ ثُمَّ قَالَ : تَصَفَّحْتُ أَمْرَ اللَّصُوصِ مِنْ عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى وَقْتِنَا ، فَلَمْ أَجِدْ لِيصًّا أَخَذَ بِنَسِيئَةٍ ، فَأَكْرَهُ أَنْ أُبْتَدَعَ ، فَحَلَعْتُ ثِيَابِي لَهُ^(٢) .

وقال محمد بن مظهر الحافظ ، حدثنا القاسم المطرزي ، قال : دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ يَمْتَحِنُ الطَّلَبَةَ ، فَقَالَ : مَنْ حَفَرَ الْبَحْرَ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ قَالَ : هُوَ كَذَا ، وَلَكِنْ مَنْ حَفَرَهُ ؟ قُلْتُ يَذْكُرُ الشَّيْخُ ، قَالَ حَفَرَهُ عَلِيٌّ ، فَمَنْ أَجْرَاهُ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ قَالَ :

(١) انظر السير : (هشام بن عمار) ١١/٤٢٠-٤٣٥ ، وانظر النزاهة : ٢/٩٥٨ .

(٢) انظر السير : (أحمد بن المعدل) ١١/٥١٩-٥٢١ ، وانظر النزاهة : ٤/٩٦٤ .

هو كذلك ، ولكن مَنْ أجزأه ؟ قلتُ : يُفيدني الشَّيْخُ قال : أجزأه الحُسَيْنُ ، وكان ضَريراً ، فرأيتُ سَيْفًا وَحَجَفَةً^(١) فقلتُ : لمن هذا ؟ قال : أعدَدْتُهُ لأقاتل به مع المهدي ، فلمَّا فرغتُ من سَماع ما أردتُ ، دَخَلْتُ عليه ، فقال : مَنْ حَفَرَ البَحْرَ ؟ قلتُ حَفْرَهُ مُعاويةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وأجزأه عمرو بنُ العاص ، ثم وَثَبْتُ وَعَدَوْتُ فجعلَ يَصيحُ : أدركوا الفاسِقَ عَدُوَّ اللهِ ، فاقْتُلوه . إسنادهُ صحيح ، وما أدري كيف تَسَمَّحوا في الأخذِ عَمَّنْ هذا حاله ؟ وإِنَّمَا وَثِقُوا بِصِدْقِهِ .

قال البُخاريُّ : ماتَ عَبَّادُ بنُ يَعْقُوبَ في سنة خمسين ومئتين .

ورأيتُ له جُزءاً من كتاب « المَنَاقِبِ » ، جَمَعَ فيها أشياء ساقِطَةً قد أغنى اللهُ أَهْلَ البَيْتِ عنها ، وما اعتقده يَتَعَمَّدُ الكَذِبَ أبداً^(٢) .

وقال إسحاقُ بنُ إبراهيمَ القَرَازي : كُنَّا عِنْدَ بُنْدَارٍ ، فقالَ في حَدِيثٍ عن عائِشَةَ : قالَ : قالتِ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم فقالَ له رَجُلٌ يَسْخَرُ مِنْهُ : أُعِيدُكَ بِاللَّهِ ، ما أَفْصَحَكَ !! فقالَ : كُنَّا إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَوْحٍ دَخَلْنَا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ ، فقالَ : قد بانَ ذَلِكَ عَلَيكَ^(٣) .

وقالَ عبدُ اللهِ الدَّرَاميُّ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بنُ حَسَّانٍ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بنُ بِلالٍ ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائِشَةَ ، عن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم قالَ : « نِعْمَ الإِدَامُ الخُلُّ » .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّباً : هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ فرَدَّ عَلَيَّ شَرِطُ الشَّيْخِينَ ، وانْفَرَدَ مُسَلِّمٌ بِهِ ، وَرواهُ أيضاً أبو عيسى في « جامعِهِ » كِلاهُما عن أبي مُحَمَّدٍ الدَّرَاميِّ .

وقد كانَ الدَّرَاميُّ يَقْصِدُ في رِوَايَةِ هذا الحَدِيثِ لِتَفَرُّدِهِ بِهِ ، قالَ : فكانَ يَدُقُّ عَلَيَّ

(١) الحجفة : هي الترس .

(٢) انظر السير : (الرَوَاجِي) ١١/٥٣٦-٥٣٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٧٠ .

(٣) انظر السير : (بُنْدَار) ١٢/١٤٤-١٤٩ ، وانظر النزهة : ٥/٩٨٩ .

الباب وأنا ببغداد ، فأقول : مَنْ ذا ؟ فيقال : يحيى بن حسان : « نِعَمَ الإِدَامِ الخُلِّ »^(١) .

وقال المُبرِّدُ : لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بَعْدَ سِبْيَوِيهِ أَعْلَمَ بِالنَّحْوِ مِنَ الْمَازِنِيِّ ، قَالَ : وَذَكَرَ لَنَا الْمَازِنِيُّ أَنَّ رَجُلًا قَرَأَ عَلَيْهِ « كِتَابَ » سِبْيَوِيهِ فِي مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ فَلَمَّا بَلَغَ آخِرَهُ قَالَ : أَمَا إِنِّي مَا فَهِمْتُ مِنْهُ حَرْفًا ، وَأَمَا أَنْتَ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا .

وقال المازيني : قَرَأْتُ الْقُرْآنَ عَلَى يَعْقُوبَ ، فَلَمَّا خَتَمْتُ رَمَى إِلَيَّ بِخَاتِمِهِ ، وَقَالَ : خُذْهُ ، لَيْسَ لَكَ مِثْلُ^(٢) .

وعن الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ ، قَالَ : قَالَتْ بِنْتُ أُخْتِي لِأَهْلِنَا : خَالِي خَيْرٌ رَجُلٍ لِأَهْلِهِ ، لَا يَتَّخِذُ ضَرَّةً وَسَرِيَّةً ، قَالَ : تَقُولُ الْمَرْأَةُ : وَاللَّهِ هَذِهِ الْكُتُبُ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ ثَلَاثِ ضَرَائِرٍ^(٣) .

وقال محمد بن إسحاق الصيرفي : سَأَلْتُ الزُّبَيْرَ : مُنْذُ كَمْ زَوَّجْتِكَ مَعَكَ ؟ قَالَ : لَا تَسْأَلْنِي ، لَيْسَ تَرِدُ الْقِيَامَةَ أَكْثَرَ كِبَاشًا مِنْهَا ، ضَحِيْتُ عَنْهَا سَبْعِينَ كَبِشًا^(٤) .

وقال الحاكم : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ هَانِيَةَ ، سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ سَلَمَةَ يَقُولُ : بَكَرْتُ يَوْمًا عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَشْرِ فِي تَزْوِيجِ أُخْتِ امْرَأَةِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ ، فَرَأَيْتُهُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : مَا بَكَرَ بِكَ الْيَوْمَ ؟ قُلْتُ : عَبْدُ الْوَاحِدِ الصَّفَّارُ سَأَلَنِي أَنْ أُجِيبَكَ لِتُزَوِّجَ ابْنَتَهُ فَقَالَ : مَا حَضَرْتُ تَزْوِيجًا قَطُّ إِذَا كَانَ فِي وَقْتِ قَوْلِهِمْ لِلْحَاطِبِ : قَبِلْتَ هَذَا النِّكَاحَ وَلَهَا مِنَ الْمَهْرِ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا إِذَا قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ فِي نَفْسِي : شَقِيَتْ شِقَاءً لَا تَسَعِدُ بَعْدَهُ أَبَدًا^(٥) .

قال عثمان بن خرزاد : سَمِعْتُ الشَّاذَّكُونِيَّ يَقُولُ : جَاءَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ فَقَعَدَ

(١) انظر السير : (الدَّارِمِيُّ) ١٢/٢٢٤-٢٣٢ ، وانظر النزهة : ٢/٩٩٧ .

(٢) انظر السير : (الْمَازِنِيُّ) ١٢/٢٧٠-٢٧٢ ، وانظر النزهة : ٤/٩٩٧ .

(٣) انظر السير : (الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ) ١٢/٣١١-٣١٥ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٠٤ .

(٤) انظر السير : (الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ) ١٢/٣١١-٣١٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٠٤ .

(٥) انظر السير : (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ بَشْرِ) ١٢/٣٤٠-٣٤٤ ، وانظر النزهة : ٦/١٠٠٦ .

يَتَقَعَّرُ^(١) في كَلَامِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مِنْ أَيِّ بَلَدٍ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ ، أَلَمْ يَأْتِكَ خَبْرِي ؟ أَلَمْ تَسْمَعْ بِنَبِيِّ ؟ أَنَا ذُو الرَّحْلَتَيْنِ قُلْتُ : مَنْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ حِكْمَةً » فَقَالَ : حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا قُلْتُ : مَنْ ؟ قَالَ : أَبُو نَعِيمٍ وَقَبِيصَةَ قُلْتُ : يَا غَلَامُ! اثْنَيْي بِالذَّرَّةِ ، فَأَتَانِي بِهَا ، فَأَمَرْتُهُ ، فَضَرَبَهُ بِهَا حَمْسِينَ ، قُلْتُ : أَنْتَ تَخْرُجُ مِنْ عِنْدِي ، مَا آمَنْ أَنْ تَقُولَ : حَدَّثَنِي بَعْضُ غُلَمَانِنَا^(٢) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ : قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبْرِيُّ : سَمِعْتُ أبا العَبَّاسِ الخُضْرِيَّ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ : مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ لَهُ زَوْجَةٌ ، لَا هُوَ يُمَسِّكُهَا ، وَلَا هُوَ يُطَلِّقُهَا ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ ، فَقَالَ قَائِلُونَ : تُؤَمَّرُ بِالصَّبْرِ وَالِاخْتِسَابِ ، وَتَبَعْتُ عَلَى الطَّلَبِ وَالِاخْتِسَابِ وَقَالَ قَائِلُونَ : يُؤَمَّرُ بِالْإِنْفَاقِ ، وَإِلَّا حُمِلَ عَلَى الطَّلَاقِ فَلَمْ تَفْهَمْ الْمَرْأَةُ قَوْلَهُ ، فَأَعَادَتْ سُؤَالَهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا هَذِهِ أَجَبْتُكَ وَلَسْتُ بِسُلْطَانٍ فَأَمْضِي ، وَلَا قَاضٍ فَأَقْضِي ، وَلَا زَوْجٍ فَأَرْضِي فَأَنْصِرِي فِي^(٣) .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمِ الرَّازِي : وَسَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ ، مِنْ عِنْدِ دَاوُدَ الْجَعْفَرِيِّ ، وَصِرْنَا إِلَى الْجَارِ وَرَكِبْنَا الْبَحْرَ ، فَكَانَتْ الرِّيحُ فِي وُجُوهِنَا ، فَبَقِينَا فِي الْبَحْرِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، وَضَاقَتْ صُدُورُنَا ، وَفِيَّيَ مَا كَانَ مَعَنَا ، وَخَرَجْنَا إِلَى الْبَرِّ نَمْشِي أَيَّامًا ، حَتَّى فَنِيَّ مَا تَبَقِيَ مَعَنَا مِنَ الزَّادِ وَالْمَاءِ ، فَمَشِينَا يَوْمًا لَمْ نَأْكُلْ وَلَمْ نَشْرَبْ ، وَيَوْمَ الثَّانِي ، وَيَوْمَ الثَّلَاثِ ، فَلَمَّا كَانَ يَكُونُ الْمَسَاءُ صَلَّيْنَا ، وَكُنَّا نَلْقِي بَأَنْفُسِنَا حَيْثُ كُنَّا ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ ، جَعَلْنَا نَمْشِي عَلَى قَدَرِ طَاقَتِنَا ، وَكُنَّا ثَلَاثَةَ أَنْفُسٍ : شَيْخٌ نَيْسَابُورِيٌّ ، وَأَبُو زُهَيْرِ الْمَرْزُورُودِيٌّ ، فَسَقَطَ الشَّيْخُ مَغْشِيًا عَلَيْهِ ، فَجِئْنَا نُحْرِكُهُ وَهُوَ لَا يَعْقِلُ ، فَتَرَكَنَاهُ ، وَمَشِينَا قَدَرَ فَرْسَخٍ ، فَضَعُفْتُ ، وَسَقَطْتُ مَغْشِيًا عَلَيَّ ، وَمَضَى صَاحِبِي يَمْشِي فَبَصُرَ مِنْ بُعْدٍ قَوْمًا ، فَزَبَّوْا سَفِينَتَهُمْ مِنَ الْبَرِّ ، وَنَزَلُوا عَلَى بئرِ مُوسَى ،

(١) التّعير : أن يتكلم بأقصى قعر فمه .

(٢) انظر السير : (ابن وارة) ١٣/٢٨-٣٢ ، وانظر النزعة : ١/١٠٤٨ .

(٣) انظر السير : (محمد بن داود) ١٣/١٠٩-١١٦ ، وانظر النزعة : ٣/١٠٦١ .

فلَمَّا عَايَنَهُمْ ، لَوَّحَ بِشَوْبِهِ إِلَيْهِمْ ، فَجَاؤُوهُ مَعَهُمْ مَاءً وَإِدَاوَةً^(١) ، فَسَقَوْهُ وَأَخَذُوا بِيَدِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : الْحَقُّوْا رَفِيقَيْنِ لِي ، فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِرَجُلٍ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَيَّ وَجْهِي ، فَفَتَحْتُ عَيْنِي ، فَقُلْتُ : اسْقِنِي ، فَصَبَّ مِنْ الْمَاءِ فِي مَشْرَبَةٍ قَلِيلاً ، فَشَرِبْتُ ، وَرَجَعْتُ إِلَيَّ نَفْسِي ، ثُمَّ سَقَانِي قَلِيلاً ، وَأَخَذَ بِيَدِي ، فَقُلْتُ : وَرَائِي شَيْخٌ مُلْقَى ، فَذَهَبَ جَمَاعَةً إِلَيْهِ ، وَأَخَذَ بِيَدِي ، وَأَنَا أُمْسِي وَأَجُرُّ رَجُلِي ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ إِلَيَّ عِنْدَ سَفِينَتِهِمْ ، وَأَتَوْنَا بِالشَّيْخِ ، وَأَحْسَنُوا إِلَيْنَا ، فَبَقِينَا أَيَّاماً حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْنَا أَنْفُسَنَا ، ثُمَّ كَتَبُوا لَنَا كِتَاباً إِلَى مَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا : رَايَةٌ^(٢) إِلَى وَالْيَهُم ، وَزَوَّدُونَا مِنَ الْكَعْكَ وَالسَّوْبِقِ وَالْمَاءِ فَلَمْ نَزَلْ نَمْشِي حَتَّى نَفْذَ مَا كَانَ مَعَنَا مِنَ الْمَاءِ وَالْقُوْتِ ، فَجَعَلْنَا نَمْشِي جِياعاً عَلَى شَطِّ الْبَحْرِ ، حَتَّى دَفَعْنَا إِلَى سُلْحَفَاةٍ مِثْلِ الثَّرْسِ ، فَعَمَدْنَا إِلَى حَجَرٍ كَبِيرٍ ، فَضَرَبْنَا عَلَى ظَهْرِهَا ، فَانْفَلَقَ ، فَإِذَا فِيهَا مِثْلُ صُفْرَةِ الْبَيْضِ ، فَتَحَسَّنَاهُ حَتَّى سَكَنَ عَنَّا الْجُوعُ ، ثُمَّ وَصَلْنَا إِلَى مَدِينَةِ الرَّايَةِ ، وَأَوْصَلْنَا الْكِتَابَ إِلَى عَامِلِهَا ، فَأَنْزَلَنَا فِي دَارِهِ ، فَكَانَ يُقَدِّمُ لَنَا كُلَّ يَوْمٍ الْقُرْعَ ، وَيَقُولُ لِخَادِمِهِ : هَاتِ لَهُمِ الْيَقْطِينَ الْمُبَارَكِ ، فَيُقَدِّمُهُ مَعَ الْخُبْزِ أَيَّاماً ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِّنَّا : أَلَا تَدْعُو بِاللَّحْمِ الْمَشْوُومِ ؟! فَسَمِعَ صَاحِبُ الدَّارِ ، وَأَتَانَا بَعْدَ ذَلِكَ بِاللَّحْمِ ثُمَّ زَوَّدَنَا إِلَى مِصْرَ^(٣) .

وقَالَ ابْنُ عَبْدِوَسِّ الطَّرَائِفِيُّ : لَمَّا أَرَدْتُ الْخُرُوجَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ - يَعْنِي إِلَى هَرَاةَ - أَتَيْتُ ابْنَ خُزَيْمَةَ ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي إِلَيْهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ، فَدَخَلْتُ هَرَاةَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِئَتَيْنِ ، فَأَوْصَلْتُهُ الْكِتَابَ ، فَقَرَأَهُ ، وَرَحَّبَ بِي ، وَسَأَلَ عَنِ ابْنِ خُزَيْمَةَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا فَتَى ! مَتَى قَدِمْتَ ؟ قُلْتُ : غَدًا قَالَ : يَا بَنِي ! فَارْجِعِ الْيَوْمَ ، فَإِنَّكَ لَمْ تَقْدَمْ بَعْدُ ، حَتَّى تَقْدَمْ غَدًا^(٤) .

وقِيلَ : جَاءَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : قَدْ عَشِقْتُ جَارِيَةً ، وَثَمَنُهَا خَمْسُونَ دِينَاراً ، وَمَا مَعِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ فَوْهَبَةً مِثَّةَ دِينَارٍ ، فَسَمِعَ بِهِ آخَرٌ ، فَجَاءَهُ وَقَالَ : إِنِّي عَاشِقٌ قَالَ : فَمَا تَجِدُ ؟

(١) الإِدَاوَةُ : الْمِطْهَرَةُ ، وَهِيَ إِنَاءٌ صَغِيرٌ يُحْمَلُ فِيهِ الْمَاءُ .

(٢) رَايَةٌ : مَحَلَّةٌ عَظِيمَةٌ بِفُسْطَاطِ مِصْرَ وَهِيَ الْمَحَلَّةُ الَّتِي فِي وَسْطِهَا جَامِعُ عُمَرُو بْنِ الْعَاصِ .

(٣) انظر السير : (أبو حاتم الرازي) ٢٤٧/١٣-٢٦٣ ، وانظر النزعة : ١/١٠٧٦ .

(٤) انظر السير : (الدارمي) ٣١٩/١٣-٣٢٦ ، وانظر النزعة : ٢/١٠٩١ .

قال : لهيباً قال : اغمسوه في الماء ، فغمسوه مرّات ، وهو يصيحُ : ذهب العِشْقُ فضحك ، وأمر له بثلاثين ديناراً .

ثم إنه تسوّدَن ، وقتل إخوته ، ثم عوفي ، وتاب ، وتصدّق .

ثم ظهرَ عليه الشيعيُّ داعي عبّيد الله المهدي ، وحاربه ، وجرتْ أمورٌ طويلة ، بعضها في « تاريخ الإسلام »^(١) .

وقيل : إنَّ القاسمَ بنَ عبّيد الله الوزيرَ كانَ يخافُ من هُجُومِ ابنِ الرُّوميِّ ، فدسَّ عليه مَنْ أطعمه خُشْكُنَانَةً^(٢) مسمومةً ، فأحسَّ بالسُّمِّ ، فوثبَ ، فقالَ الوزيرُ : إلى أين ؟ قالَ : إلى موضِعِ بعثتني إليه قالَ : سلّم على أبي ، قالَ : ما طريقي إلى النَّارِ فبقيَ أيتاماً ومات^(٣) .

قال الصُّوليُّ : كنتُ أقرأ على أبي خليفة كتابَ : « طبقات الشعراء » وغير ذلك ، قال : فواعدنا يوماً وقال : لا تخلفوني فإنني أتخذُ لكم خبيصةً فتأخّرتُ لشغلٍ عرضَ لي ، ثم جئتُ والهاشميون عنده ، فلم يعرفني الغلامُ ، وحجّبتني ، فكتبتُ إليه :

أبا خليفة تجفو من له أدبٌ وتؤثرُ الغرَّ من أولادِ عباسٍ
وأنتَ رأسُ الوري في كلِّ مكرمةٍ وفي العلوم وما الأذنانُ كالراسِ
ما كانَ قدرُ خبيص لو أذنت لنا فيه فيختلطُ الأشرافُ بالناسِ

فلما قرأها صاحَ على الغلامِ ، ثم دخلتُ ، فقالَ : أسأتَ إلينا بتغييبك ، فظلمتَنا في تعيبك ، وإنما عقدَ المجلسُ بك ، ونحنُ فيما فاتنا بتأخيرك كما أنشدني التوزيُّ لمنْ طلقَ امرأته ثم ندمَ فتزوَّجت رجلاً ، فماتَ حينَ دخلَ بها ، فتزوَّجها الأولُ فقال :

فعادتُ لنا كالشمسِ بعد ظلامها على خير أحوال كأن لم تطلقِ

(١) انظر السير : (ابن الأَعْلَب) ١٣/٤٨٧-٤٨٩ ، وانظر النزهة : ١/١١١١ .

(٢) في الوفيات : « خُشْكُنَانِجَة » ، والخُشْكُنَان : حَبْرَةٌ تُصنَع من خالص دَقِيق الحِنطة وتُملأ بالسُّكَّر واللُّوز أو الفُسْتَق وتُغلى (فارسي) .

(٣) انظر السير : (ابن الرُّوميِّ) ١٣/٤٩٥-٤٩٦ ، وانظر النزهة : ٥/١١١١ .

ثم صَاحَ : يا غلام! أعدْ لنا مثلَ طَعَامِنَا ، فأَقَمْنَا عِنْدَهُ يَوْمَنَا ^(١) .

وقالَ خَلْفُ بَنِي مُحَمَّدٍ الْحَيَّامُ : حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ شَاذَوَيْهِ : أَنَّهُ سَمِعَ الْأَمِيرَ خَالِدَ بْنَ أَحْمَدَ يَسْأَلُ أَبَا عَلِيٍّ صَالِحَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيَّ : لِمَ لُقِّبْتَ جَزْرَةَ ؟ قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا عُمَرُ بْنُ زُرَّارَةَ ، فَحَدَّثَنَاهُمْ بِحَدِيثٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ : أَنَّهُ كَانَ لَهُ خَزْرَةَ لِلْمَرِيضِ ، فَجِئْتُ وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْحَدِيثُ ، فَرَأَيْتُ فِي كِتَابِ بَعْضِهِمْ وَصَحْتُ بِالشَّيْخِ : يَا أَبَا حَفْصٍ ! يَا أَبَا حَفْصٍ ! كَيْفَ حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ : أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ خَزْرَةٌ يُدَاوِي بِهَا الْمَرَضَى ، فَصَاحَ الْمُحَدِّثُونَ الْمُجَّانَ ، فَبَقِيَ عَلَيَّ حَتَّى السَّاعَةِ .

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّباً : قَدْ كَانَ صَالِحٌ صَاحِبَ دُعَابَةٍ ، وَلَا يَعْضَبُ إِذَا وَاجَهَهُ أَحَدٌ بِهَذَا اللَّقَبِ ^(٢) .

وقالَ ابنُ بَكْرٍ بَنِي مُحَمَّدٍ الصَّيْرَفِيُّ : سَمِعْتُ صَالِحَ بْنَ مُحَمَّدٍ قَالَ : كُنْتُ أُسَيرُ الْجَمَلَ الشَّاعِرَ بِمِصْرَ ، فَاسْتَقْبَلَنَا جَمَلٌ عَلَيْهِ جَزْرٌ ، فَقَالَ : مَا هَذَا يَا أَبَا عَلِيٍّ ؟ قُلْتُ : أَنَا عَلَيْكَ ^(٣) .

وقالَ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ لِأَبِي زُرْعَةَ : حَفِظَ اللَّهُ أَخَانَا صَالِحَ بْنَ مُحَمَّدٍ ، لَا يَزَالُ يُضْحِكُنَا شَاهِدًا وَغَائِبًا ، كَتَبَ إِلَيَّ يَذْكُرُ أَنَّهُ مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الدُّهْلِيُّ ، وَجَلَسَ لِلتَّحْدِيثِ شَيْخٌ يُعْرَفُ بِمُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدٍ مَحْمَشٌ فَحَدَّثَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « يَا أَبَا عُمَيْرٍ ، مَا فَعَلَ الْبُعَيْرُ ؟ » ^(٤) .

وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةَ رِفْقَةً فِيهَا خُرْسٌ » ^(٥) فَأَحْسَنَ اللَّهُ عِزَّكُمْ فِي الْمَاضِي ، وَأَعْظَمَ أَجْرَكُمْ فِي الْبَاقِي ^(٦) .

(١) انظر السير : (أبو خَلَيْفَةَ) ١٤/٧-١١ ، وانظر النزهة : ٢/١١٢٢ .

(٢) انظر السير : (صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ) ١٤/٢٣-٣٣ ، وانظر النزهة : ٢/١١٢٣ .

(٣) انظر السير : (صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ) ١٤/٢٣-٣٣ ، وانظر النزهة : ٣/١١٢٣ .

(٤) انظر السير : (صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ) ١٤/٢٣-٣٣ ، وانظر النزهة : ٢/١١٢٤ .

(٥) هَذِهِ اللَّفْظَةُ مُحَرَّفَةٌ عَنْ « جَرَسٌ » وَهُوَ مَا يُعْلَقُ فِي رِقَبَةِ الدَّوَابِّ .

(٦) انظر السير : (صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ) ١٤/٢٣-٣٣ ، وانظر النزهة : ٣/١١٢٤ .

ورُوِيَ عن صالح بن محمّد قال : الأحوْلُ في البيتِ مُباركٌ ، يَرى الشَّيءَ شَيْئِينَ^(١) .

وقال بكر بن محمّد الصَّيرفي : سمعتُ صالح بن محمّد يقولُ : كانَ عبدُ الله بنُ عمَرَ بنِ أبانٍ يمتحنُ أصحابَ الحديثِ ، وكانَ غالياً في التَّشيعِ ، فقالَ لي : مَنْ حَفَرَ بِئرَ رَمَزَمَ ؟ قُلْتُ : معاويةُ ، قالَ : فمَنْ نَقَلَ تُرابَها ؟ قُلْتُ : عمرو بنُ العاصِ ، فصاحَ فيَّ وقامَ^(٢) .

وقال أبو النَّضْرِ الفقيهُ : كُنَّا نَسْمَعُ من صالح بنِ محمّدٍ وهو عَليٌّ فَبَدَتْ عورَتُهُ ، فأشارَ إليه بعضُنا بأنَّ يَتَعَطَّى ، فقالَ : رأيتَهُ ؟ لا ترمدُ أبداً^(٣) .

وقال بكر بنُ محمّد الصَّيرفي : سمعتُ أبا عليٍّ صالحَ بنَ محمّدٍ قالَ : دَخَلْتُ مِصرَ فإذا حَلَقَةٌ ضَخْمَةٌ ، فقلتُ : مَنْ هذا ؟ قالوا : صاحِبُ نَحْوِ فِقرتِ مِنْهُ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : ما كانَ بصادٍ ، جازَ بالسَّيْنِ فِدَخَلْتُ بَيْنَ النَّاسِ وَقُلْتُ : صَلامٌ عَلَيْكُمْ يا أبا سَالحِ ، سَلَّيْتُمْ بَعْدُ ؟ فقالَ لي : يا رَقِيعُ ! أيُّ كَلامِ هذا ؟ قُلْتُ : هذا من قولِكَ الآنَ ، قالَ : أَطُنُّكَ من عِيَّاري بَغدادِ قُلْتُ : هو ما تَرى^(٤) .

ويُحكى عن ابنِ الجِصَّاصِ بَلَّةٌ وَتَغْفيلٌ ، مرَّ به صَدِيقٌ فقالَ له : كَيْفَ أنتَ ؟ فقالَ ابنُ الجِصَّاصِ : الدُّنيا كُلُّها مَخمُومَةٌ ، وكانَ قد حُمَّ^(٥) .

ونظَرَ مَرَّةً في المِراةِ فقالَ لِصاحِبِهِ : تَرى لِحيَّتِي طالَتَ ؟ فقالَ : المِراةُ في يَدِكَ قالَ الشَّاهِدُ يَرى ما لا يَرى الغائِبُ^(٦) .

ودَخَلَ يوماً على الوَزيزِ ابنِ الفُراتِ فقالَ : عندنا كِلابٌ يَحْرِموننا نَنامُ فقالَ الوَزيزُ :

-
- (١) انظر السير : (صالح بن محمّد) ٢٣-٣٣ ، وانظر النزهة : ٤/١١٢٤ .
 - (٢) انظر السير : (صالح بن محمّد) ٢٣-٣٣ ، وانظر النزهة : ٥/١١٢٤ .
 - (٣) انظر السير : (صالح بن محمّد) ٢٣-٣٣ ، وانظر النزهة : ٦/١١٢٤ .
 - (٤) انظر السير : (صالح بن محمّد) ٢٣-٣٣ ، وانظر النزهة : ٨/١١٢٤ .
 - (٥) انظر السير : (ابن الجِصَّاصِ) ٤٦٩-٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٤/١١٦٥ .
 - (٦) انظر السير : (ابن الجِصَّاصِ) ٤٦٩-٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٥/١١٦٥ .

لَعَلَّهُمْ جِرَاءٌ ؟ قَالَ : بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ فِي قَدِّي وَقَدِّكَ (١) .

وَدَعَا ابْنَ الْجَصَّاصِ فَقَالَ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَأَنْبِيَآؤُهُ وَمَلَائِكَتُهُ ، اللَّهُمَّ ، أَعِدْ مِنْ بَرَكَاتِكَ دَعَاتِنَا عَلَى أَهْلِ الْقُصُورِ فِي قُصُورِهِمْ ، وَعَلَى أَهْلِ الْكِنَائِسِ فِي كِنَائِسِهِمْ (٢) .

وَفَرَّغَ مِنَ الْأَكْلِ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُحْلَفُ بِأَعْظَمَ مِنْهُ (٣) .

وَكَانَ مَعَ الْخَافَانِي فِي مَرْكَبٍ وَبِيَدِهِ كِرَّةٌ كَافُورٌ ، فَبَصَقَ فِي وَجْهِ الْوَزِيرِ وَأَلْقَى الْكَافُورَةَ فِي دِجَلَةٍ ، ثُمَّ أَفَاقَ وَاعْتَذَرَ ، وَقَالَ : إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَبْصُقَ فِي وَجْهِكَ وَأَلْقِيهَا فِي الْمَاءِ فَغَلَطْتُ فَقَالَ : كَانَ كَذَلِكَ يَا جَاهِلُ (٤) .

وَقَالَ التَّنُوخِيُّ : اجْتَمَعْتُ بِأَبِي عَلِيٍّ - وَوَلَدِ ابْنِ الْجَصَّاصِ - فَسَأَلْتُهُ عَمَّا يُحْكِي عَنْ أَبِيهِ مِنْ أَنَّ الْإِمَامَ قَرَأَ : ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ فَقَالَ : « إِي لَعْمَرِي » بَدَلًا مِنْ « آمِينَ » (٥) .

وَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُقْبَلَ رَأْسَ الْوَزِيرِ ، فَقَالَ : إِنَّ فِيهِ دُهْنًا فَقَالَ : أُقْبَلُهُ وَلَوْ كَانَ فِيهِ خِرَاءٌ ، فَقَالَ : مَا كَانَتْ فِيهِ سَلَامَةٌ (٦) تُخْرِجُهُ إِلَى هَذَا ، وَكَانَ مِنْ أَذْهَى النَّاسِ ، وَلَكِنْ كَانَ يَفْعَلُ بِحَضْرَةِ الْوَزِيرِ ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَوِّرَ نَفْسَهُ بِنَلِّهِ لِيَأْمَنَهُ الْوُزَرَاءُ لِكَثْرَةِ خَلْوَتِهِ بِالْخُلَفَاءِ (٧) .

وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ يُوسُفُ الْقَوَاسِ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَ النِّسَابُورِيَّ يَقُولُ : تَعْرِفُ مَنْ أَقَامَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ يَنْمِ اللَّيْلَ ، وَيَتَقَوَّتْ كُلَّ يَوْمٍ بِخَمْسِ حَبَّاتٍ ، وَيُصَلِّيَ صَلَاةَ الْغَدَاةِ عَلَى طَهَارَةٍ عِشَاءَ الْآخِرَةِ ؟ ثُمَّ قَالَ : أَنَا هُوَ ، وَهَذَا كُلُّهُ قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ أُمَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَيُّشٍ أَقُولُ لِمَنْ زَوَّجَنِي ؟ ثُمَّ قَالَ : مَا أَرَادَ إِلَّا الْخَيْرَ .

- (١) انظر السير : (ابن الجصاص) ٤٦٩/١٤-٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٦/١١٦٥ .
- (٢) انظر السير : (ابن الجصاص) ٤٦٩/١٤-٤٧٣ ، وانظر النزهة : ١/١١٦٦ .
- (٣) انظر السير : (ابن الجصاص) ٤٦٩/١٤-٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٢/١١٦٦ .
- (٤) انظر السير : (ابن الجصاص) ٤٦٩/١٤-٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٣/١١٦٦ .
- (٥) انظر السير : (ابن الجصاص) ٤٦٩/١٤-٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٥/١١٦٦ .
- (٦) أي : غفلة .
- (٧) انظر السير : (ابن الجصاص) ٤٦٩/١٤-٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٦/١١٦٦ .

قال الإمام الذهبي : قد كان أبو بكر من الحُفَاطِ الْمُجَوِّدِينَ (١) .

وكان محمد بن زَيْد الوَاسِطِيُّ الْمُتَكَلِّمُ يُرْذِي نَفْطَوِيَه ، وَهَجَاهُ ، فَقَالَ :

من سرّه ألا يرى فاسقاً فليجنب من أن يرى نِفْطَوِيَه
أحرقه الله بنصفِ اسمه وصير الباقي صراخاً عليه

وقال أيضاً : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَنَاهَى فِي الْجَهْلِ ، فَلْيَعْرِفِ الْكَلَامَ عَلَى مَذْهَبِ النَّاشِئِ (٢) ، وَالْفِقَةَ عَلَى مَذْهَبِ دَاوُدَ ، وَالتَّحَوَّ عَلَى مَذْهَبِ سَيِّبَوِيَه ثُمَّ يَقُولُ : وَقَدْ جَمَعَ هَذِهِ الْمَذَاهِبَ نِفْطَوِيَه ، فَإِلَيْهِ الْمُتُّهَى (٣) .

وقال ابن زُؤَلَقَ : وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حَسَنَ ، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ الْحَدَّادِ يَقُولُ : كُنْتُ فِي مَجْلِسِ ابْنِ الْإِخْشِيدِ ، يَعْنِي : مَلِكَ مِصْرَ ، فَلَمَّا قُمْنَا أَمْسَكَنِي وَحَدِي ، فَقَالَ : أَيُّمَا أَفْضَلُ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، أَوْ عَلِيٌّ ؟ فَقُلْتُ : اثْنَيْنِ حِذَاءَ وَاحِدٍ ، قَالَ : فَأَيُّمَا أَفْضَلُ أَبُو بَكْرٍ ، أَوْ عَلِيٌّ ؟ قُلْتُ : إِنْ كَانَ عِنْدَكَ فَعَلِيٌّ ، وَإِنْ كَانَ بَرًّا (٤) فَأَبُو بَكْرٍ ، فَضَحَكَ (٥) .

وقال أبو عبد الله الحاكِم : حَضَرْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ الْأَصَمَّ يَوْمًا فِي مَسْجِدِهِ ، فَخَرَجَ لِيُؤَدِّنَ لِصَلَاةِ الْعَصْرِ ، فَوَقَفَ مَوْضِعَ الْمِثْدَنَةِ ، ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ عَالٍ : أَخْبَرَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، أَخْبَرَنَا الشَّافِعِيُّ ، ثُمَّ ضَحِكَ ، وَضَحِكَ النَّاسُ ، ثُمَّ أَدَّنَ (٦) .

وقال ابن منده : وَبَلَغَنِي أَنَّ الطَّبْرَانِيَّ كَانَ حَسَنَ الْمُشَاهَدَةِ طَيِّبَ الْمُحَاضَرَةِ ، قَرَأَ

(١) انظر السير : (ابن زياد النسابوري) ٦٥/١٥-٦٦ ، وانظر النزاهة : ٣/١١٨١ .

(٢) هو عبد الله بن محمد ، أبو العباس ، المعروف بابن شرشير الناشيء ، شاعرٌ متكلمٌ يُعَدُّ فِي طَبَقَةِ ابْنِ الرُّومِيِّ وَالبُخْتَرِيِّ ، أَصْلُهُ مِنَ الْأَنْبَارِ ، وَأَقَامَ بِبَغْدَادَ مَدَّةً طَوِيلَةً ، وَخَرَجَ إِلَى مِصْرَ فَسَكَنَهَا ، وَتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ ٢٩٣ هـ .

(٣) انظر السير : (نِفْطَوِيَه) ٧٧/١٥-٧٧ ، وانظر النزاهة : ٣/١١٨٢ .

(٤) بَرًّا : كَلِمَةٌ مَوْلُودَةٌ بِمَعْنَى عِلَانِيَةٍ ، وَمِنْهُ : « مَنْ أَصْلَحَ جَوَانِيهِ أَصْلَحَ اللَّهُ بَرَانِيهِ » أَي : مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَانِيَتَهُ .

(٥) انظر السير : (ابن الحدّاد) ٤٤٥/١٥-٤٥١ ، وانظر النزاهة : ٢/١٢٤٧ .

(٦) انظر السير : (الأصم) ٤٥٢/١٥-٤٦٠ ، وانظر النزاهة : ١/١٢٤٩ .

عَلَيْهِ يَوْمًا أَبُو طَاهِرٍ بْنُ لُوقَا حَدِيثٌ : كَانَ يَغْسِلُ جِمَارَهُ ^(١) فَصَحَّفَهُ ، وَقَالَ : حِصْيٍ جِمَارَهُ ، فَقَالَ : مَا أَرَادَ بِذَلِكَ يَا أَبَا طَاهِرٍ قَالَ : التَّوَاضُّعُ ، وَكَانَ هَذَا كَالْمُغْفَلِ ، قَالَ لَهُ الطَّبْرَانِيُّ يَوْمًا : أَنْتَ وَلَدِي ، قَالَ : وَإِيَّاكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، يَعْنِي وَأَنْتَ ^(٢) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ صَاحِبِ الْأَغَانِي ، أَبِي الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيِّ : وَلَهُ حِكَايَةٌ مَعَ الْجُهَنِيِّ الْمُحْتَسِبِ : كَانَ يُجَازِفُ ، فَقَالَ مَرَّةً : بِالْبَلَدِ الْفُلَانِي نَعْنَعُ يَطُولُ حَتَّى يُعْمَلَ مِنْهُ سَلَالِمٌ فَبَدَرَ أَبُو الْفَرَجِ وَقَالَ : عَجَائِبُ الدُّنْيَا أَلْوَانُ ، وَالْقُدْرَةُ صَالِحَةٌ ، فَعِنْدَنَا مَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا ، زَوْجُ حَمَامٍ ، يَبِيضُ بَيَضَتَيْنِ ، فَنَأْخُذُهُمَا ، وَنَضَعُ بَدَلَهُمَا سِنَجَتَيْنِ ^(٣) نُحَاسَأُ ، فَتَفْقِسُ عَنْ طُسْتٍ وَمَسِينَةٍ ، فَتَضَاحِكُوا وَخَجَلُ الْجُهَنِيِّ ^(٤) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ قِرْوَاشِ بْنِ مُقَلَّدٍ : وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا ، جَوَادًا مُمَدِّحًا ، نَهَابًا وَهَابًا ، فِيهِ جَاهِلِيَّةٌ وَطَبَعُ الْأَعْرَابِ ، يُقَالُ إِنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ أُخْتَيْنِ ، فَلَامُوهُ ، فَقَالَ : حَدَّثُونِي مَا الَّذِي نَعْمَلُ بِالشَّرْعِ حَتَّى تَذَكُرُوا هَذَا ؟ وَقَالَ مَرَّةً مَا فِي عُنُقِي غَيْرُ دَمٍ خَمْسَةَ سِتَةٍ مِنَ الْعَرَبِ ، فَأَمَّا الْحَاضِرَةُ ، فَمَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِمْ ^(٥) .

وَقِيلَ : إِنَّ أَبَا الطَّيِّبِ الطَّبْرِيَّ دَفَعَ خُفًّا لَهُ إِلَى مَنْ يُصْلِحُهُ ، فَمَطَّلَهُ وَبَقِيَ كُلَّمَا جَاءَ ، نَقَعَهُ فِي الْمَاءِ ، وَقَالَ : الْآنَ أَصْلِحُهُ ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ قَالَ : إِنَّمَا دَفَعْتُهُ إِلَيْكَ لِتُصْلِحَهُ لَا لِتُعَلِّمَهُ السَّبَاحَةَ ^(٦) .

وَقَالَ خَطِيبُ الْمَوْصِلِ أَبُو الْمُفَضَّلِ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : تَوَجَّهْتُ مِنَ الْمَوْصِلِ سَنَةَ

(١) فِي « مُصَنَّفِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ » (٢٧/٤) : حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ زَمْعَةَ عَنْ ابْنِ طَاوُوسٍ ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَغْسِلُ حِصْيَ الْجِمَارِ .

(٢) انظر السير : (الطَّبْرَانِيُّ) ١٦/١١٩-١٣٠ ، وانظر النزاهة : ٣/١٢٧٢ .

(٣) مَا يُوزَنُ بِهِ .

(٤) انظر السير : (صَاحِبُ الْأَغَانِي) ١٦/٢٠١-٢٠٣ ، وانظر النزاهة : ٢/١٢٨٧ .

(٥) انظر السير : (قِرْوَاشِ) ١٧/٦٣٣-٦٣٤ ، وانظر النزاهة : ٢/١٣٧٠ .

(٦) انظر السير : (أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبْرِيَّ) ١٧/٦٦٨-٦٧١ ، وانظر النزاهة : ٢/١٣٧٣ .

تَسْعَ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعَ مِئَةٍ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيرَازِي فَلَمَّا حَضَرَتْ عِنْدَهُ رَحَّبَ بِي ،
 وَقَالَ : مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ : مِنَ الْمَوْصِلِ قَالَ : مَرْحَباً أَنْتَ بِلَدِيَّيْ ، قُلْتُ :
 يَا سَيِّدَنَا ! أَنْتَ مِنْ فَيْرُوزْآبَادِ قَالَ : أَمَا جَمَعْتَنَا سَفِينَةَ نُوحٍ ؟ فَشَاهَدْتُ مِنْ حُسْنِ أَخْلَاقِهِ
 وَلَطَافَتِهِ وَزُهْدِهِ مَا حَبَّبَ إِلَيَّ لُزُومَهُ فَصَحَبْتُهُ إِلَى أَنْ مَاتَ .

تُوفِّيَ سَنَةَ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ بِبَغْدَادِ ، وَأَحْضَرَ إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقْتَدِي
 بِاللَّهِ فَصَلَّى عَلَيْهِ (١) .

وَقَالَ الْحَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ : سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ الْحَبَّالَ يَقُولُ : كُنَّا يَوْمًا نَقْرَأُ
 عَلَى شَيْخٍ ، فَقَرَأْنَا قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ » وَكَانَ فِي الْجَمَاعَةِ رَجُلٌ
 يَبِيعُ الْقَتَّ - وَهُوَ عَلْفُ الدَّوَابِّ - فَقَامَ وَبَكَى ، وَقَالَ : أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ فَقِيلَ لَهُ : لَيْسَ هُوَ
 ذَلِكَ ، لَكِنَّهُ النَّمَامُ الَّذِي يَنْقُلُ الْحَدِيثَ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ يُؤْذِيهِمْ قَالَ : فَسَكَنَ وَطَابَتْ
 نَفْسُهُ (٢) .

وَقِيلَ : دَخَلَ الْغَزَالِيُّ إِلَيْهِ ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ
 الْمَدْرَسَةِ بِبَغْدَادِ قَالَ الْغَزَالِيُّ : لَوْ قُلْتُ : إِنِّي مِنْ طُوسٍ لَذَكَرْتَ تَغْفِيلَ أَهْلِ طُوسٍ ، وَمِنْ
 أَنَّهُمْ سَأَلُوا الْمَأْمُونَ ، وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ بِقَبْرِ أَبِيهِ عِنْدَهُمْ ، وَطَلَبُوا أَنْ يُحَوَّلَ الْكِعْبَةَ إِلَى
 بِلَدِهِمْ ، وَأَنَّهُ جَاءَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ نَجْمِهِ ، فَقَالَ : بِالْتَّيْسِ ، فَقِيلَ لَهُ ، فَقَالَ :
 كَانَ مِنْ سَنَتَيْنِ بِالْجَدْيِ ، وَالسَّاعَةَ قَدْ كَبِرَ .

وَقَالَ ابْنُ نَاصِرٍ : مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ (٣) .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتِ الطَّرْقُيِّ : سَمِعْتُ جَمَاعَةً أَنَّ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْفَامِيَّ أَمَلَى عَلَيْهِمْ
 بِبَغْدَادَ : « صَلَاةٌ فِي آثَرِ صَلَاةِ كِتَابٍ فِي عِلِّيِّينَ » فَصَحَّفَهَا « كَنَارٍ فِي غَلَسٍ » فَكَلَّمُوهُ ،
 فَقَالَ : النَّارُ فِي الْغَلَسِ تَكُونُ أَضْوَأَ .

(١) انظر السير : (أبو إسحاق الشيرازي) ١٨ / ٤٥٢ - ٤٦٤ ، وانظر النزهة : ١ / ١٤٣١ .

(٢) انظر السير : (الحبال) ١٨ / ٤٩٥ - ٥٠٣ ، وانظر النزهة : ١ / ١٤٣٦ .

(٣) انظر السير : (أبو يوسف القزويني) ١٨ / ٦١٦ - ٦٢٠ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٤٤٩ .

قَالَ الطَّرْقِيُّ : وَسَأَلَهُ صَدِيقٌ لِي : هَلْ سَمِعْتَ « جَامِعَ أَبِي عَيْسَى » ؟ فَقَالَ :
 مَا الْجَامِعُ ؟ وَمَنْ أَبُو عَيْسَى ؟ ثُمَّ سَمِعْتَهُ بَعْدَ يَعُدُّهُ فِي مَسْمُوعَاتِهِ ^(١) .

وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَمْلِيَ بِجَامِعِ الْقَصْرِ ، قُلْتُ لَهُ : لَوْ اسْتَعْنَتْ بِحَافِظٍ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا يَفْعَلُ
 ذَا مَنْ قُلْتُ مَعْرِفَتَهُ ، وَأَنَا فَحِظِي يُغْنِينِي ، فَاثْتَحَنْتُ بِالِاسْتِمْلَاءِ عَلَيْهِ ، فَرَأَيْتُهُ يُسْقِطُ مِنَ
 الْإِسْنَادِ رَجُلًا ، وَيَزِيدُ رَجُلًا ، وَيَجْعَلُ الرَّجُلَ اثْنَيْنِ ، فَرَأَيْتُ فَضِيحَةً ، فَمِنْ ذَلِكَ :
 الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، فَأَمَسَكَ الْجَمَاعَةَ ، وَنَظَرَ إِلَيَّ وَتَكَلَّمُوا ،
 فَقُلْتُ : قَدْ سَقَطَ إِمَّا مُحَمَّدُ بْنُ مِنْهَالٍ ، أَوْ أُمَيَّةُ بْنُ بَسْطَامٍ ، فَقَالَ : اكْتُبُوا كَمَا فِي
 أَصْلِي وَجَاءَ : أَخْبَرْنَا سَهْلُ بْنُ بَحْرٍ ، أَنَا سَأَلْتُهُ ، فَصَحَّفَهَا ، فَقَالَ : أَنَا سَأَلِيهِ ،
 وَقَالَ : سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ ، فَقَالَ : وَالْأَشْعَثِيُّ ، جَعَلَ وَآو « عَمْرٍو » لِلْعَطْفِ ،
 فَرَدَدْتُهُ ، فَأَبَى ، فَقُلْتُ : فَمَنْ الْأَشْعَثِيُّ ؟ قَالَ : فَضُولٌ مِنْكَ ، وَجَاءَ وَرَقَاءُ بْنُ قَيْسِ بْنِ
 الرَّبِيعِ ، فَقُلْتُ : هُوَ « عَن » بَدَلُ « ابْن » وَقَالَ فِي حَدِيثِ حُمَيْلِ بْنِ بَصْرَةَ : لَقِيتُ أَبَا
 هُرَيْرَةَ وَهُوَ يَجِيءُ مِنَ الطُّورِ ، فَقَالَ : « الطُّودُ » وَفَسَّرَ مَرَّةً « الْخَشْفَ » ^(٢) ، فَقَالَ :
 طَائِرٌ ، وَقَالَ فِي : ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ ^(٣) انْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ ^(٤) .

وَقَالَ أَبُو سَعْدِ بْنِ أَبِي عِمَامَةَ : كُنْتُ لَيْلَةً جَالِسًا فِي بَيْتِي ، وَقَدْ نَامَ النَّاسُ ، فَدُقَّ
 الْبَابُ ، فَإِذَا بِفَرَّاشٍ وَخَادِمٍ مَعَهُ شَمْعَةٌ ، فَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ فَأَدْخِلْتُ عَلَى الْمُسْتَظْهِرِ ،
 وَعَلَيْهِ أَثْرُغَمٌ ، فَأَخَذْتُ فِي الْحِكَايَاتِ وَالْمَوَاعِظِ وَتَصْغِيرِ الدُّنْيَا وَهُوَ لَا يَتَغَيَّرُ ، وَأَخَذْتُ
 فِي حِكَايَاتِ الْكِرَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ : هَذَا لَا يَنَامُ ، وَلَا يَدْعُنِي أَنَامُ ، فَقُلْتُ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِي مَسْأَلَةٌ قَالَ : قُلْ قُلْتُ : وَلَا تَكْتُمْنِي ؟ قَالَ : لَا ، قُلْتُ : بِاللَّهِ
 حَلَّ عَلَيْكَ نَقْدَةٌ لِلْبَائِعِ ، أَوْ انكسَرَ زُورُكَ ، أَوْ وَقَعُوا عَلَى قَافِلَةٍ لَكَ ، وَضَاقَ وَقْتُكَ ؟
 عِنْدِي طَبَقٌ خِلَافٍ أَنَا أَقْرِضُهُ لَكَ ، وَتَبَقَى بَارِزِيًّا فِي الدُّرُوبِ وَمَا يُخْلِي اللَّهُ مِنْ رِزْقٍ ،

(١) انظر السير : (الفَامِيَّةُ) ١٩ / ٢٤٨ - ٢٥٢ ، وانظر النزاهة : ١ / ١٤٧٤ .

(٢) الخشف : هو الظبي أَوَّلُ مَا يُؤَلَّدُ .

(٣) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

(٤) انظر السير : (الفَامِيَّةُ) ١٩ / ٢٤٨ - ٢٥٢ ، وانظر النزاهة : ٢ / ١٤٧٤ .

فهَذَا هَمَّ عَظِيمٌ ، وَقَدْ مَرَسْتَنِي اللَّيْلَةَ ، فَضَحِكَ حَتَّى اسْتَلَقَنِي ، وَقَالَ : قُمْ ، فَعَلَ اللَّهُ بِكَ وَصَنَعَ قَمُتٌ ، وَتَبِعَنِي الْخَادِمُ بَدَنَانِيرَ وَتَخَتِ ثِيَابٌ ^(١) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ الرَّاهِدِ : قَالَ الضِّيَاءُ : وَبَلَّغَنِي عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُلْبِسُ سَرَاوِيلَهُ حِمَارَهُ ، وَيَقُولُ : نُوَارِي عَوْرَتَهُ ، فَيُضْحِكُ النَّاسُ ^(٢) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ الْخَشَّابِ : قِيلَ : عَرَضَ اثْنَانِ عَلَيْهِ شِعْرًا لهُمَا ، فَسَمِعَ لِلأَوَّلِ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْتَ أَرْدَأُ شِعْرًا مِنْهُ ، قَالَ : كَيْفَ تَقُولُ هَذَا وَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الْآخَرِ ؟ قَالَ : لِأَنَّ هَذَا لَا يَكُونُ أَرْدَأً مِنْهُ ^(٣) .

وَقَالَ لِرَجُلٍ : مَا بِكَ ؟ قَالَ : فُوَادِي قَالَ : لَوْ لَمْ تَهْمَزْهُ لَمْ يُوجِعْكَ .

قَالَ حَمَزَةُ بْنُ الْقَبَيْطِيِّ : كَانَ ابْنُ الْخَشَّابِ يَتَعَمَّمُ بِالْعِمَامَةِ ، وَتَبَقَى مَدَّةً حَتَّى تَسْوَدَ وَتَتَقَطَّعَ مِنَ الْوَسَخِ وَعَلَيْهَا ذَرَقُ الْعَصَافِيرِ .

وَقَالَ ابْنُ الْأَخْضَرِ : مَا تَزَوَّجَ ابْنُ الْخَشَّابِ وَلَا تَسَرَّيْ ، وَكَانَ قَدْرًا يَسْتَقِي بِجَرَّةٍ مَكْسُورَةٍ ، عُدْنَاهُ فِي مَرَضِهِ ، فَوَجَدْنَاهُ بِأَسْوَأَ حَالٍ ، فَنَقَلَهُ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْفَرَاءِ إِلَى دَارِهِ ، وَالْبَسَهُ ثَوْبًا نَظِيفًا ، وَأَحْضَرَ الْأَشْرِبَةَ وَالْمَاوَرِدَ ، فَأَشْهَدَنَا بِوَقْفِ كُتُبِهِ ، فَتَفَرَّقَتْ ، وَبَاعَ أَكْثَرَهَا أَوْلَادُ الْعَطَّارِ حَتَّى بَقِيَ عَشْرُهَا ، فَتَرَكَ بِرِبَاطِ الْمَأْمُونِيَّةِ .

قَالَ ابْنُ النَّجَّارِ : كَانَ بَخِيلًا مُتَبَدِّلًا ، يَلْعَبُ بِالشُّطْرَنْجِ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَيَقِفُ عَلَى الْمُشْعُودِ ، وَيَمَزُحُ ، أَلْفَ فِي الرَّدِّ عَلَى الْحَرِيرِيِّ فِي « مَقَامَاتِهِ » ، وَشَرَحَ « اللَّمَعَ » وَصَنَّفَ فِي الرَّدِّ عَلَى أَبِي زَكَرِيَّا التَّبْرِيذِيِّ .

وَقَالَ الْقِفْطِيُّ : عِبَارَتُهُ أَجُودٌ مِنْ قَلَمِهِ ، وَكَانَ ضَيِّقَ الْعَطْنِ مَا كَمَّلَ تَصْنِيفًا ^(٤) .

-
- (١) انظر السير : (المُسْتَظْهِرُ بِاللَّهِ) ٣٩٦-٤١٢ ، وانظر النزهة : ١/١٤٨٩ .
 - (٢) انظر السير : (أَبُو الْحُسَيْنِ الرَّاهِدِ) ٣٨٠-٣٨٤ / ٢٠ ، وانظر النزهة : ٦/١٥٦٧ .
 - (٣) انظر السير : (ابْنُ الْخَشَّابِ) ٥٢٣-٥٢٨ ، وانظر النزهة : ١/١٥٧٨ .
 - (٤) انظر السير : (ابْنُ الْخَشَّابِ) ٥٢٣-٥٢٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٧٨ .

الأكلة :

قال الإمام الذهبي في ترجمة سليمان بن عبد الملك : كان من الأكلة ، حتى قيل : إنه أكل مرة أربعين دجاجة ، وقيل : أكل مرة خرُوفاً وست دجاجات وسبعين رمانة ، ثم أتى بمكوك^(١) زبيب طائفي فأكله^(٢) .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة ميسرة التراس : قال الأصمعي : قال لي الرشيد : كم أكثر ما أكل ميسرة ؟ قلت : مئة رغيف ونصف مكوك ملح ، فأمر الرشيد فطرح للفيل مئة رغيف ، ففضل منها رغيفاً^(٣) .

وقيل : إن بعض المُجان قالوا له : هل لك في كبش مشوي ؟ قال : ما أكره ذلك ، ونزل عن حمارة فأخذوا الحمار ، وأتوه - وقد جاع - بالشواء ، فأقبل يأكل ، ويقول : أهذا لحم فيل ؟! بل لحم شيطان ، حتى فرغه ، ثم طلب حمارة ، فتصاحكوا ، وقالوا : هو والله في جوفك وجمعوا له ثمنه^(٤) .

وقيل : نذرت امرأة أن تُسبعه ، فرفق بها ، وأكل ما يكفي سبعين رجلاً^(٥) .

* * *

-
- (١) المكوك : مكيال يختلف مقداره باختلاف اصطلاح الناس عليه في البلاد يُقال إنه يسع صاعاً ونصفاً .
 - (٢) انظر السير : (سليمان بن عبد الملك) ١١١/٥ - ١١٣ ، وانظر النزهة : ٧/٥٨٥ .
 - (٣) انظر السير : (ميسرة التراس) ١٦٤/٨ - ١٦٥ ، وانظر النزهة : ٤/٧٤٠ .
 - (٤) انظر السير : (ميسرة التراس) ١٦٤/٨ - ١٦٥ ، وانظر النزهة : ١/٧٤١ .
 - (٥) انظر السير : (ميسرة التراس) ١٦٤/٨ - ١٦٥ ، وانظر النزهة : ٢/٧٤١ .

(١٧) قَصَص

١- قِصَّةُ النَّجَاشِيِّ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ : اسْمُهُ أَصْحَمَةُ مَلِكُ الْحَبَشَةِ مَعْدُودٌ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَكَانَ مَمَّنْ حَسَنَ إِسْلَامِهِ وَلَمْ يُهَاجِرْ ، وَلَا لَهُ رُؤْيَةٌ ، فَهُوَ تَابِعِيٌّ مِنْ وَجْهِ ، صَاحِبٌ مِنْ وَجْهِ ، وَقَدْ تُوْفِّيَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْغَائِبِ ، وَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَى غَائِبٍ سِوَاهُ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ مَاتَ بَيْنَ قَوْمِ نَصَارَى ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الصَّحَابَةَ الَّذِينَ كَانُوا مُهَاجِرِينَ عِنْدَهُ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ مُهَاجِرِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَامَ خَيْبَرَ ^(١) .

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ : لَمَّا نَزَلَتْ أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَزْنَا بِهَا خَيْرَ جَارِ النَّجَاشِيِّ ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا ، وَعَبَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى لَا نُؤَدِي وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا ، ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ ، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبَ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدْمُ ، فَجَمَعُوا لَهُ أَدْمًا كَثِيرًا ، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا إِلَيْهِ هَدِيَّةً ، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةَ الْمَخْزُومِيَّ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ السَّهْمِيَّ ، وَأَمْرُوهُمَا أَمْرَهُمْ ، وَقَالُوا لَهَا : اذْفَعُوا إِلَيَّ كُلَّ بِطَرِيقٍ هَدَيْتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ ، ثُمَّ قَدَّمُوا لَهُ هَدَايَاهُ ، ثُمَّ سَلَوْهُ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ قَالَتْ : فَخَرَجَا ، فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ عِنْدَ خَيْرِ جَارٍ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ ضَوَى ^(٢) إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مَنَا غِلْمَانٌ سَفَهَاءُ ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ ، وَجَاؤُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ لِيُرَدَّهُمْ إِلَيْهِمْ ، فِإِذَا كَلَّمْنَا

(١) انظر السير : (أخبار النجاشي) ١/٤٢٨-٤٤٣ ، وانظر النزهة : ١/١٨٦ .

(٢) وقال السهيلي في « الروض الأنف » : ضوى إليك فتية : أي أورا إليك ولاذوا بك .

الْمَلِكِ فِيهِمْ ، فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا وَلَا يُكَلِّمَهُمْ ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا^(١) وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا لَهُمْ : نَعَمْ ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَا النَّجَاشِيِّ ، فَقَبَلَهَا مِنْهُمْ ، ثُمَّ كَلَّمَاهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُ ضَوَىٰ إِلَىٰ بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سَفَهَاءُ ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ ، وَجَاؤُوا بِدِينٍ مُّبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِيُتَرَدِّدَهُمْ إِلَيْهِمْ ، فَهَمُّ أَعْلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا ، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فِيهِ ، قَالَتْ^(٢) : وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ عَبْدَ اللَّهِ ، وَعَمَرُوا مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ فَقَالَ بَطَارِقَتَهُ حَوْلَهُ : صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ فَاسْلِمْهُمْ إِلَيْهِمَا فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ، ثُمَّ قَالَ : لَا هَا اللَّهُ^(٣) إِذَا لَا أُسَلِّمَهُمْ إِلَيْهِمَا ، وَلَا أَكَادُ^(٤) ، قَوْمٌ جَاوَرُونِي ، وَنَزَلُوا بِبِلَادِي وَاخْتَارُونِي عَلَيَّ مِنْ سِوَايَ حَتَّىٰ أَدْعُوهُمْ فَاسْأَلَهُمْ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَاهُمْ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ ؟ قَالُوا : نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا ، وَمَا أَمَرْنَا بِهِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَاثِنًا فِي ذَلِكَ مَا كَانَ فَلَمَّا جَاؤُوهُ ، وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَافِقَتَهُ ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ : مَا هَذَا الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّمِ ؟ قَالَتْ : وَكَانَ الَّذِي يُكَلِّمُهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّا كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ : نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ ، وَنَقَطَعُ الْأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الْجَوَارَ ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا ، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُؤَخِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ ، وَأَمَرْنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ

(١) قَالَ الشَّهْلِيُّ : أَيُّ أَبْصَرُ بِهِمْ ، أَيُّ عَيْنِهِمْ وَإِبْصَارِهِمْ فَوْقَ عَيْونَ غَيْرِهِمْ فِي أَمْرِهِمْ .

(٢) أَيُّ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٣) لَا هَا اللَّهُ : قَسَمَ ، وَأَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُونَ : لَا هَا اللَّهُ ذَا وَالْهَاءُ بَدَلٌ مِنْ وَاءِ الْقَسَمِ ، أَيُّ : وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَا .

(٤) وَلَا أَكَادُ : بِضَمِّ الْهَمْزَةِ ، فَعَلٌ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ ، أَيُّ وَلَا يَكِيدُنِي أَحَدٌ قَالَ فِي «اللسان» : يَقُولُونَ - إِذَا حَمَلَ أَحَدُهُمْ عَلَىٰ مَا يَكْرَهُ : لَا وَاللَّهِ لَا كِيدًا وَلَا هَمًّا : يُرِيدُ : لَا أَكَادُ وَلَا أَهَمُّ .

الأمانة ، وصيلة الرِّجَم ، وحُسنِ الجِوَارِ ، والكَفِّ عن المَحَارِمِ والدِّمَاءِ ، ونَهَانَا عن الفَوَاحِشِ ، وقَوْلِ الزُّورِ ، وأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَقَدْفِ الْمُحْصَنَةِ ، وَأَمْرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَأَمْرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ - قَالَتْ : فَعَدَّدَ لَهُ أُمُورَ الْإِسْلَامِ - فَصَدَّقْنَاهُ وَأَمَّنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ ، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيُرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ ، فَلَمَّا فَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا ، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا ، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَيَّ مِنْ سِوَاكَ ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نَظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ .

قَالَتْ : فَقَالَ : هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؟ قَالَ : فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿ كَهَيِّصَ ﴾^(١) فَبَكَى وَاللَّهُ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَى عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ : إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لِيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ أَنْطَلِقًا ، فَوَاللَّهِ لَا أُسَلِّمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا وَلَا أَكَادُ^(٢) .

فَلَمَّا خَرَجَا قَالَ عَمْرُو : وَاللَّهِ لِأَبْنَتِهِ غَدَاً عَيْبَهُمْ ثُمَّ اسْتَأْصِلُ خَضْرَاءَهُمْ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ ، وَكَانَ اتَّقَى الرَّجُلِينَ فِينَا : لَا تَفْعَلْ ، فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا قَالَ : وَاللَّهِ لِأَخْبَرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى عَبْدٌ ثُمَّ غَدَاً عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا ، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَسَلِّمْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ فَأَرْسَلَ يَسْأَلُهُمْ .

قَالَتْ : وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلَهَا ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ ، ثُمَّ قَالُوا : نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى كَائِنًا مَا كَانَ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ : مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبُتُولِ فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَأَخَذَ عُودًا ، ثُمَّ قَالَ : مَا عَدَا عِيسَى مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ فَتَنَاخَرَتْ بِطَارِقَتِهِ حَوْلَهُ ، فَقَالَ : وَإِنْ نَخَرْتُمُ وَاللَّهِ ، أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ

(١) أول سورة مريم .

(٢) انظر السير : (أخبار النجاشي) ١ / ٤٢٨ - ٤٤٣ ، وانظر النزعة : ٢ / ١٨٦ .

سُيُومٌ^(١) بأرضي مَنْ سَبَّكُمْ عُرْمَ ، ثم مَنْ سَبَّكُمْ عُرْمَ ، ما أَحْبَبْتُ أَنْ لِي دَبْرِي^(٢) ذَهَباً وَأَنْتِي آذَيْتِ رَجُلًا مِنْكُمْ - والدَّبْرُ بِلِسَانِهِم الْجَبَلُ - رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا ، فوالله ما أَخَذَ اللهُ مَنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي ، فَأَخَذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ ، وما أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ ، فَأَطِيعُهُمْ فِيهِ فَخَرَجَا مَقْبُوحَيْنِ ، مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا ما جَاءَ بِهِ ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ فوالله إِنَّا عَلَى ذَلِكَ ، إِذْ نَزَلَ بِهِ ، يَعْنِي مَنْ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ ، فوالله ما عَلِمْنَا حَرْبًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ حَرْبِ حَرْنَاهُ^(٣) ، تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ عَلَى النَّجَاشِيِّ ، فَيَأْتِيَ رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا ما كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ ، وَسَارَ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عَرْضُ النَّيْلِ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّى يَحْضُرَ وَقَعَةَ الْقَوْمِ ثُمَّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ ؟ فَقَالَ الزُّبَيْرُ : أَنَا ، وَكَانَ مِنْ أَحَدِثِ الْقَوْمِ سِنًا ، فَنفَعُوا لَهُ قَرِيبَةً ، فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ ، ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْهَا حَتَّى خَرَجَ إِلَى مَكَانِ الْمُلتَقَى ، وَحَضَرَ ، فَدَعَوْنَا اللهُ لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِ وَالتَّمَكِينِ لَهُ فِي بِلَادِهِ وَاسْتَوْسَقَ^(٤) لَهُ أَمْرُ الْحَبَشَةِ ، فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنَزَلٍ حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ بِمَكَّةَ .

وقولها : (حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة) عنت نفسها وزوجها^(٥) .

ومن مَحَاسِنِ النَّجَاشِيِّ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ رَمَلَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبِ الْأُمَوِيَّةِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَسْلَمَتْ مَعَ زَوْجِهَا عُبَيْدِ اللهِ بْنِ جَحْشِ الْأَسَدِيِّ قَدِيمًا ، فَهَاجَرَ بِهَا زَوْجُهَا ، فَانْمَلَسَ بِهَا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ حَبِيبَةَ رَبِيبَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَدْرَكَهُ الشَّقَاءُ فَأَعْجَبَهُ دِينُ النَّصْرَانِيَّةِ فَتَنَصَّرَ ، فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ مَاتَ بِالْحَبَشَةِ ، فَلَمَّا وَفَّتِ الْعِدَّةَ ، بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَخْطُبُهَا ، فَأَجَابَتْ ، فَنهَضَ فِي

(١) السيوم : الآتون .

(٢) قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : هُوَ بِالْقَصْرِ : اسْمُ جَبَلٍ .

(٣) الْحَرْبُ : الْغَضَبُ وَالتَّرَاوُعُ ، وَالْخُصُومَةُ .

(٤) اسْتَوْسَقَ لَهُ أَمْرُ الْحَبَشَةِ : أَيِ اجْتَمَعُوا عَلَى طَاعَتِهِ ، فَاسْتَقَرَّ لَهُ الْمُلْكُ فِيهِمْ .

(٥) انظر السير : (أخبار النجاشي) ١ / ٤٢٨ - ٤٤٣ ، وانظر النزاهة : ١ / ١٨٨ .

ذَلِكَ النَّجَاشِيِّ ، وَشَهِدَ زَوْجَاهَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَعْطَاهَا الصَّدَاقَ عَنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْ عِنْدِهِ أَرْبَعُ مِائَةِ دِينَارٍ ، فَحَصَلَ لَهَا شَيْءٌ لَمْ يَحْصُلْ
لِغَيْرِهَا مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ جَهَّزَهَا النَّجَاشِيُّ (١) .

وَأُصْحِمَةَ بِالْعَرَبِيِّ : عَطِيَّةٌ وَلَمَّا تُوفِّيَ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِلنَّاسِ :
« إِنَّ أَخَا لَكُمْ قَدْ مَاتَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ » فَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الصَّحْرَاءِ وَصَفَّهُمْ صُفُوفاً ، ثُمَّ
صَلَّى عَلَيْهِ فَنَقَلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ (٢) .

٢- قِصَّةُ سَلْمَانَ :

قِصَّةُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ : قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرٍ : وَهُوَ سَلْمَانُ
ابْنُ الْإِسْلَامِ ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْفَارِسِيُّ سَابِقُ الْفُرسِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَدَمَهُ وَحَدَّثَ عَنْهُ .

وَكَانَ لَبِيباً حَازِماً مِنْ عُقَلَاءِ الرِّجَالِ وَعُبَادِهِمْ وَنُبَلَاءِهِمْ (٣) .

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ ، عَنِ الْقَاسِمِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَهُ قَالَ : زَارَنَا سَلْمَانُ
الْفَارِسِيُّ فَصَلَّى الْإِمَامُ الظُّهْرَ ، ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَ النَّاسُ ، يَتَلَقُونَهُ كَمَا يُتَلَقَى الْخَلِيفَةَ ،
فَلَقِينَاهُ وَقَدْ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ الْعَصْرَ ، وَهُوَ يَمْشِي فَوْقَنَا نُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَبْقَ فِينَا شَرِيفٌ
إِلَّا عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ ، فَقَالَ : جَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي مَرَّتِي هَذِهِ أَنْ أَنْزَلَ عَلَى بَشِيرِ بْنِ
سَعْدٍ فَلَمَّا قَدِمَ ، سَأَلَ عَنِ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، فَقَالُوا : هُوَ مُرَابِطٌ ، فَقَالَ : أَيْنَ مُرَابِطُكُمْ ؟
قَالُوا : بَيْرُوتَ ، فَتَوَجَّهَ قِبَلَهُ ، قَالَ : فَقَالَ سَلْمَانُ : يَا أَهْلَ بَيْرُوتَ : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ
حَدِيثاً يُذْهِبُ اللهُ بِهِ عَنْكُمْ عَرَضَ الرِّبَاطِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
يَقُولُ : « رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ كَصِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطاً أُجِيرَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ ،

(١) انظر السير : (أخبار النجاشي) ١/٤٢٨-٤٤٣ ، وانظر النزاهة : ١/١٨٩ .

(٢) انظر السير : (أخبار النجاشي) ١/٤٢٨-٤٤٣ ، وانظر النزاهة : ١/١٩٠ .

(٣) انظر السير : (سلمان الفارسي) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزاهة : ٢/١٩٨ .

وَجَرَى لَهُ صَالِحُ عَمَلِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (١) .

عن ابن عباسٍ قال : حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قَالَ : كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ ، مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا : جَيِّ ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَهَا وَكَنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِي حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحَبَسُ الْجَارِيَةُ ، فَاجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَاطِنَ النَّارِ الَّذِي يُوقِدُهَا لَا يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً وَكَانَتْ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ ، فَشُغِلَ فِي بُيَانٍ لَهُ يَوْمًا ، فَقَالَ لِي : يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُيَانِي هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي ، فَادْهَبْ فَاطْلَعْهَا ، وَأْمُرْنِي بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ فَخَرَجْتُ ، ثُمَّ قَالَ : لَا تَحْتَبَسْ عَلَيَّ ، فَإِنَّكَ إِنْ احْتَبَسْتَ عَلَيَّ كُنْتَ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ضَيْعَتِي ، وَشُغِلْتَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِي فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى ، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ بِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ ، وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ ، دَخَلْتُ إِلَيْهِمْ أَنْظَرُ مَا يَصْنَعُونَ ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُمْ أَعْجَبَنِي صَلَوَاتُهُمْ ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ ، وَقُلْتُ : هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ أَتِهَا ، فَقُلْتُ لَهُمْ : أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا بِالشَّامِ .

قال : ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلْبِي وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ ، فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ : أَيُّ بُنَيَّ أَيْنَ كُنْتَ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَاهَدْتُ إِلَيْكَ مَا عَاهَدْتُ؟ قُلْتُ : يَا أَبَتِ مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ ، فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ ، فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ أَيُّ بُنَيَّ لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ قُلْتُ : كَلَّا وَاللَّهِ! إِنَّهُ لَخَيْرٌ مِنْ دِينِنَا قَالَ : فَخَافَنِي ، فَجَعَلَ فِي رِجْلِي قِيدًا ، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ ، قَالَ : وَبَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى فَقُلْتُ : إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تَجَارٌّ مِنْ النَّصَارَى ، فَأُخْبِرُونِي بِهِمْ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ قَالَ : فَفَعَلُوا فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلِي ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ فَلَمَّا قَدِمْتُهَا ، قُلْتُ : مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ ، قَالُوا الْأَسْقَفُ فِي الْكَنِيسَةِ فَجِئْتُهُ ، فَقُلْتُ : إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ ،

(١) انظر السير : (سلمان الفارسي) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزاهة : ٣/١٩٨ .

وأحببتُ أن أكونَ معَكَ أخدمُكَ في كنيستِكَ ، وأتعلَّمُ منكَ ، وأُصلِّيَ معَكَ قالَ : فادخُلْ ، فدخلتُ معه ، فكانَ رجلٌ سوءٌ يأمرُهم بالصدقةِ ويرغبُهم فيها ، فإذا جمَعوا منها شيئاً ، اكتنزهَ لنفسِهِ ، ولمْ يُعْطِ المساكينَ حتَّى جمعَ سبعَ قِلالٍ من ذهبٍ وورقٍ ، فأبغضتُهُ بَعْضاً شديداً لِمَا رَأَيْتُهُ يصنعُ ثم ماتَ ، فاجتمعتُ إليه النَّصارى ليدفِنُوهُ ، فقلتُ لهم : إنَّ هذا رجلٌ سوءٌ ، يأمرُكم بالصدقةِ ، ويرغبُكم فيها ، فإذا جئتمُ بها ، كنزها لنفسِهِ ، ولمْ يُعْطِ المساكينَ ، وأريتُهم موضعَ كنزِهِ سبعَ قِلالٍ مملوءةٍ ، فلما رأوها قالوا : والله لا ندْفِنُهُ أبداً .

فصلبُوهُ ثم رمَوْهُ بالحجارةِ ثم جاؤوا برجلٍ جعلوه مَكَانَهُ ، فما رأيتُ رجلاً - يعني لا يُصلِّي الخَمَسَ - أرى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ ، أزهَدٌ في الدُّنيا ، ولا أرغبُ في الآخرةِ ، ولا أذأبُ ليلاً ونهاراً ، ما أعلمُني أحببتُ شيئاً قطُّ قبلَهُ حُبَّهُ ، فلمْ أزلُ معه حتَّى حضرتهُ الوفاةُ ، فقلتُ : يا فلان! قد حضرَكَ ما ترى من أمرِ الله ، وإنِّي والله ما أحببتُ شيئاً قطُّ حُبِّكَ ، فماذا تأمرُني وإلى مَنْ تُوصيني ؟

قالَ لي : يا بُنَيَّ والله ما أعلمُهُ إلا رجلاً بالمَوْصِلِ ، فائتِهِ ، فإنَّكَ ستجدُهُ على مثلِ حالِي .

فلما ماتَ وغُيِّبَ ، لَحِقْتُ بالمَوْصِلِ ، فأتيتُ صاحبها ، فوجدتهُ على مثلِ حالِهِ من الاجتهادِ والزُّهدِ فقلتُ له : إنَّ فلاناً أوصاني إليك أن أتِيكَ وأكونَ معَكَ قالَ فأقمِ أي بُنَيَّ ، فأقمتُ عندهُ على مثلِ أمرِ صاحبِهِ حتَّى حضرتهُ الوفاةُ فقلتُ له : إنَّ فلاناً أوصى بي إليك وقد حضرَكَ من أمرِ الله ما ترى ، فإلى مَنْ تُوصي بي ؟ وما تأمرُني به ؟ قالَ : والله ما أعلمُ ، أي بُنَيَّ ، إلا رجلاً بنصيبين .

فلما دفنَاهُ ، لَحِقْتُ بالآخرِ ، فأقمتُ عندهُ على مثلِ حالِهِم حتَّى حضره الموتُ ، فأوصى بي إلى رجلٍ من أهلِ عمُوريةِ بالرُّومِ ، فأتيتُهُ فوجدتهُ مثلِ حالِهِم ، واكتسبتُ حتَّى كانَ لي غنيمَةٌ وبقيرَاتُ .

ثم احتضِرَ فكلَّمتهُ إلى مَنْ يُوصي بي ؟ قالَ : أي بُنَيَّ ! والله ما أعلمُهُ بقي أحدٌ على مثلِ ما كنَّا عليه آمركَ أن تأتيه ، ولكنْ قد أظلكَ زمانٌ نبيُّ يُبعثُ من الحَرَمِ ، مهاجرُهُ

بَيْنَ حَرَّتَيْنِ إِلَى أَرْضِ سَبِيحَةِ ذَاتِ نَخْلِ ، وَإِنَّ فِيهِ عِلَامَاتٌ لَا تَخْفَى ، بَيْنَ كَتْفَيْهِ خَاتَمُ
النُّبُوَّةِ ، يَأْكُلُ الْهَدْيَةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَخْلُصَ إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ
فَاعْمَلْ ، فَإِنَّهُ قَدْ أَظْلَكَ زَمَانَهُ .

فَلَمَّا وَارَيْنَاهُ ، أَقَمْتُ حَتَّى مَرَّ بِي رَجُلًا مِنْ تُجَّارِ الْعَرَبِ مِنْ كَلْبٍ ، فَقُلْتُ لَهُمْ :
تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ ، وَأَعْطِيكُمْ غَنِيمَتِي وَبَقْرَاتِي هَذِهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ
إِيَّاهَا وَحَمْلُونِي ، حَتَّى إِذَا جَاؤُوا بِي وَادِي الْقُرَى ، ظَلَمُونِي ، فَبَاعُونِي عَبْدًا مِنْ رَجُلٍ
يَهُودِيٍّ بَوَادِي الْقُرَى فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ النَّخْلَ ، وَطَمِعْتُ أَنْ يَكُونَ الْبَلَدُ الَّذِي نَعَتَ لِي
صَاحِبِي .

وَمَا حَقَّتْ عِنْدِي حَتَّى قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ وَادِي الْقُرَى ، فابْتَاعَنِي مِنْ
صَاحِبِي ، فَخَرَجَ بِي حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا ، فَعَرَفْتُ نَعْتَهَا .

فَأَقَمْتُ فِي رِفْيٍ ، وَبَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ لَا يُذَكِّرُ لِي شَيْءٌ مِنْ
أَمْرِهِ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الرِّقِّ ، حَتَّى قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبَاءً ، وَأَنَا أَعْمَلُ
لِصَاحِبِي فِي نَخْلَةٍ لَهُ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِيهَا إِذْ جَاءَهُ ابْنُ عَمِّ لَه ، فَقَالَ : يَا فُلَانُ قَاتَلَ اللَّهُ بَنِي
قَيْلَةَ ، وَاللَّهِ إِنَّهُمْ الْآنَ لَفِي قُبَاءٍ مُجْتَمِعُونَ عَلَى رَجُلٍ جَاءَ مِنْ مَكَّةَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ .

فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُهَا فَأَخَذْتَنِي الْعُرُوءُ - يَقُولُ الرَّعْدَةُ - حَتَّى ظَنَنْتُ لَأَسْقُطَنَّ
عَلَى صَاحِبِي وَنَزَلْتُ أَقُولُ : مَا هَذَا الْخَبْرُ ؟

فَرَفَعَ مَوْلَايَ يَدَهُ فَلَكَمَنِي لَكَمَةً شَدِيدَةً ، وَقَالَ : مَا لَكَ وَلِهَذَا ؟ ! أَقْبِلْ عَلَيَّ عَمَلِكَ
فَقُلْتُ : لَا شَيْءَ ، إِنَّمَا سَمِعْتُ خَبْرًا ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْلَمَهُ .

فَلَمَّا أُمْسَيْتُ ، وَكَانَ عِنْدِي شَيْءٌ مِنْ طَعَامٍ ، فَحَمَلْتُهُ وَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ بِقُبَاءٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : بَلَّغْنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ ، وَأَنَّ مَعَكَ
أَصْحَابًا لَكَ غُرَبَاءُ ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ مِنْ الصَّدَقَةِ فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ مَنْ بِهِذِهِ الْبِلَادِ ،
فَهَاكَ هَذَا ، فَكُلْ مِنْهُ .

قَالَ : فَأَمْسَكَ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : « كُلُوا » فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذِهِ حَلَّةٌ مِمَّا وَصَفَ
لِي صَاحِبِي .

ثم رَجَعْتُ ، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَجَمَعْتُ شَيْئاً كَانَ عِنْدِي ثُمَّ جِئْتُهُ بِهِ فَقُلْتُ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ فَأَكَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَكَلَ أَصْحَابُهُ ، فَقُلْتُ هَذِهِ خَلَّتَانِ .

ثم جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَتَّبِعُ جِنَازَةً وَعَلَيَّ شِمْلَتَانِ لِي وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ ، فَاسْتَدْرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وُصِفَ فَلَمَّا رَأَيْتُ اسْتَدْبَرْتُهُ عَرَفَ أَنِّي أَتَيْتُهُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي ، فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ ، فَاكْتَبَيْتُ عَلَيْهِ أُقْبَلُهُ وَأُبْكِي .

فَقَالَ لِي : تَحَوَّلَ : فَتَحَوَّلْتُ ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسَ ، فَأَعْجَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابَهُ^(١) .

ثم شَغَلَ سَلْمَانَ الرَّقَّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدْرٌ وَأُحُدٌ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « كَاتِبُ يَا سَلْمَانُ » فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِ مِئَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : « أَعِينُوا أَخَاكُمْ » فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ ، الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً^(٢) ، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسِ عَشْرَةٍ ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ ثَلَاثُ مِئَةِ وَدِيَّةٍ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقَّرْ لَهَا ، فَإِذَا فَرَعْتَ فَاتَّبِعْنِي أَكُونَ أَنَا أَضْعَعُهَا بِيَدَيْ » فَفَقَّرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي ، حَتَّى إِذَا فَرَعْتُ مِنْهَا ، جِئْتُ وَأَخْبَرْتُهُ ، فَخَرَجَ مَعِيَ إِلَيْهَا نُقْرَبُ لَهُ الْوَدِيَّةَ ، وَيَضَعُهُ بِيَدِهِ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ فَأَدَيْتُ النَّخْلَ ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ بَيْضَةِ دَجَاجَةٍ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَعَازِيِّ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمَكَاتِبُ ؟ » فَدُعِيتُ لَهُ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خُذْهَا فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ » قُلْتُ : وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَيَّ ؟ قَالَ : خُذْهَا فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا أَرْبَعِينَ

(١) انظر السير : (سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزاهة : ٤/١٩٨ .

(٢) الودية : جمع ودي : صِغَارُ الْفَسِيلِ .

أَوْقِيَّة ، وَأَوْفَيْتَهُمْ حَقَّهُمْ وَعَتَقْتُ ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَنْدَقَ حُرًّا ، ثُمَّ لَمْ يَقْتَنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ^(١) .

عن عائذ بن عمرو أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ مَرَّ عَلَى سَلْمَانَ وَبِلَالَ وَصُهَيْبٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا : مَا أَخَذْتَ سَيْوْفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَا أَخَذَهَا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : تَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهَا ! ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا بَكْرٍ ! لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ ، لَيْتَنِي كُنْتُ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبِّكَ » فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : يَا إِخْوَتَاهُ أَغْضَبْتِكُمْ ؟ قَالُوا : لَا يَا أَبَا بَكْرٍ ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ^(٢) .

عن أَبِي الْبَخْتَرِيِّ قَالَ : قِيلَ لِعَلِيِّ : أَخْبِرْنَا عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : عَنْ أَيُّهُمْ تَسْأَلُونَ ؟ قِيلَ : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : عَلِمَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ ، ثُمَّ انْتَهَى وَكَفَى بِهِ عِلْمًا قَالُوا : عَمَّارٌ ؟ قَالَ : مُؤْمِنٌ نَسِيٌّ فَإِنْ ذَكَرْتَهُ ذَكَرَ ، قَالُوا : أَبُو ذَرٍّ ؟ قَالَ : وَعَى عِلْمًا عَجَزَ عَنْهُ ، قَالُوا : أَبُو مُوسَى ؟ قَالَ صُبِغَ فِي الْعِلْمِ صِبْغَةً ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهُ قَالُوا : حُذَيْفَةَ ؟ قَالَ : أَعْلَمُ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ بِالْمُنَافِقِينَ قَالُوا : سَلْمَانَ ؟ قَالَ : أَذْرَكَ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ ، وَالْعِلْمَ الْآخِرَ ، بَحْرٌ لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ ، وَهُوَ مَنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ قَالُوا : فَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : كُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ أُعْطِيتُ ، وَإِذَا سَكَتُ ابْتَدِيتُ^(٣) .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾^(٤) قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَضْرَبَ عَلِيٌّ فَاخَذَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَذَا وَقَوْمُهُ ، وَلَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنَ الْفُرْسِ »^(٥) .

عن أَبِي الْبَخْتَرِيِّ قَالَ : جَاءَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَدَخَلَا عَلِيَّ

(١) انظر السير : (سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٢٠٢ .

(٢) انظر السير : (سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٢٠٢ .

(٣) انظر السير : (سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٢٠٣ .

(٤) سورة محمد ، الآية : ٣٨ .

(٥) انظر السير : (سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٢٠٣ .

سَلْمَانَ فِي خُصِّ فَسَلَّمَا وَحَيَّاهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا أُدْرِي فَارْتَابَا قَالَ : إِنَّمَا صَاحِبُهُ مَنْ دَخَلَ مَعَهُ الْجَنَّةَ قَالَ : جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : فَأَيْنَ هَدَيْتُهُ ؟ قَالَ : مَا مَعَنَا هَدْيَةٌ قَالَ : اتَّقِ اللَّهَ ، وَأَدِّيا الأَمَانَةَ ، مَا أَتَانِي أَحَدٌ مِنْ عِنْدِهِ إِلَّا بِهَدْيَةٍ ، قَالَ : لَا تَرْفَعْ عَلَيْنَا هَذَا ، إِنَّ لَنَا أَمْوَالاً فَاحْتَكِمِ ، قَالَ : مَا أُرِيدُ إِلَّا الْهَدْيَةَ ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا بَعَثَ مَعَنَا بَشِيءٌ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ فِيكُمْ رَجُلًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَلَا بِهِ لَمْ يَبِغْ غَيْرَهُ ، فَإِذَا أُتِيْتَمَاهُ ، فَأَقْرَأَهُ مِنِّي السَّلَامَ قَالَ : فَأَيُّ هَدْيَةٍ كُنْتُ أُرِيدُ مِنْكُمْ غَيْرَ هَذِهِ ؟ وَأَيُّ هَدْيَةٍ أَفْضَلُ مِنْهَا ؟ (١) .

عن طارق بن شهاب عن سلمان قال : إذا كان الليلُ ، كان الناسُ منه على ثلاثِ منازلٍ : فمنهم مَنْ له ولا عليه ، ومنهم مَنْ عليه ولا له ، ومنهم مَنْ لا عليه ولا له ! فقلتُ : وكيف ذلك ؟ قال : أمّا مَنْ له ولا عليه ، فرجلٌ اغتَنَمَ غَفْلَةَ النَّاسِ وظُلْمَةَ اللَّيْلِ ، فتَوَضَّأَ وصَلَّى ، فذاك له ولا عليه ، ورجلٌ اغتَنَمَ غَفْلَةَ النَّاسِ وظُلْمَةَ اللَّيْلِ فمَسَى في معاصي الله ، فذاك عليه ولا له ، ورجلٌ نامَ حتَّى أصبحَ ، فذاك لا له ولا عليه (٢) .

قال طارقُ : فقلتُ : لأصحبَنَّ هذا فضربَ على الناسِ بعثُ ، فخرجَ فيهم ، فصحبتهُ وكنْتُ لا أفضلهُ في عملٍ ، إن أنا عَجَنْتُ خَبَزَ وَإِنْ خَبَزْتُ طَبَخَ ، فنزلنا منزلاً فبتنا فيه ، وكانت لِطارِقِ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ يَقُومُهَا ، فكنْتُ أَتَقَيِّظُ لَهَا فأجدهُ نائماً ، فأقولُ : صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خَيْرٌ مِنِّي نائمٌ ، فأنامُ ثم أقومُ فأجدهُ نائماً فأنامُ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الرِّكَعَاتُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ حتَّى إِذَا كَانَ قَبِيلَ الصُّبْحِ قامَ فتَوَضَّأَ ثم رَكَعَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فَلَمَّا صَلَّيْنَا الفَجْرَ قُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! كَانَتْ لِي سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ أَقُومُهَا وَكنْتُ أَتَقَيِّظُ لَهَا فأجِدُكَ نائماً ، قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ! فإيشَ كُنْتَ تَسْمَعُنِي أَقُولُ ؟ فأخبرتُهُ ،

(١) انظر السير : (سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٢٠٣ .

(٢) انظر السير : (سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٢٠٤ .

فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي تِلْكَ الصَّلَاةُ ، إِنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبْتَ الْمُقْتَلَةَ ، يَا ابْنَ أَخِي عَلَيْكَ بِالْقَصْدِ فَإِنَّهُ أُبْلَغُ^(١) .

عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ : ذَهَبْتُ أَنَا وَصَاحِبِي لِي إِلَى سَلْمَانَ ، فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا عَنِ التَّكْلِيفِ ، لَتَكَلَّفْتُ لَكُمْ ، فِجَاءَنَا بِخُبْزٍ وَمِلْحٍ فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : لَوْ كَانَ فِي مِلْحِنَا صَعْتَرٌ فَبَعَثَ سَلْمَانُ بِمِطْهَرَتِهِ ، فَرَهْنَهَا ، فِجَاءَ بَصَعْتَرٍ ، فَلَمَّا أَكَلْنَا قَالَ صَاحِبِي : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَنَعَنَا بِمَا رَزَقَنَا ، فَقَالَ سَلْمَانُ : لَوْ قَنَعْتُ لَمْ تَكُنْ مِطْهَرَتِي مَرْهُونَةً^(٢) .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ : دَخَلَ سَعْدُ وَابْنُ مَسْعُودٍ عَلَى سَلْمَانَ عِنْدَ الْمَوْتِ ، فَبَكَى فَقِيلَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : عَهْدٌ عَهْدَهُ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمْ نَحْفَظْهُ قَالَ : « لَيْكُنْ بِلَاغُ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّكَابِ » وَأَمَّا أَنْتَ يَا سَعْدُ فَاتَّقِ اللَّهَ فِي حُكْمِكَ إِذَا حَكَمْتَ ، وَفِي قَسْمِكَ إِذَا قَسَمْتَ ، وَعِنْدَ هَمِّكَ إِذَا هَمَمْتَ .

قَالَ ثَابِتٌ : فَبَلَغَنِي أَنَّهُ مَا تَرَكَ إِلَّا بَضْعَةً وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا نَفِيقَةً كَانَتْ عِنْدَهُ^(٣) .

عَنْ سَلْمَانَ ، قَالَ : فَتْرَةٌ مَا بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتُّ مِئَةِ سَنَةٍ^(٤) .

مَاتَ سَلْمَانُ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بِالْمَدَائِنِ .

قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ يَزِيدَ الْبَحْرَانِي : يَقُولُ أَهْلُ الْعِلْمِ : عَاشَ سَلْمَانُ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، فَأَمَّا مِئَتَانِ وَخَمْسُونَ ، فَلَا يَشْكُونَ فِيهِ .

وَمَجْمُوعُ أَمْرِهِ وَأَحْوَالِهِ ، وَغَزْوُهُ ، وَهِمَّتُهُ ، وَتَصَرُّفُهُ ، وَسَفَّهُهُ لِلجَرِيدِ ، وَأَشْيَاءُ مِمَّا تَقَدَّمَ يُنْبِئُ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِمُعَمَّرٍ وَلَا هَرِمٍ فَقَدْ فَارَقَ وَطَنَهُ وَهُوَ حَدِيثٌ ، وَلَعَلَّهُ قَدِيمَ الْحِجَازِ وَلَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً أَوْ أَقَلُّ ، فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ سَمِعَ بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ

(١) انظر السير : (سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٢٠٤ .

(٢) انظر السير : (سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٢٠٤ .

(٣) انظر السير : (سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٢٠٥ .

(٤) انظر السير : (سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٢٠٥ .

هاجراً ، فلعلّه عاشَ بضعاً وسبعينَ سنةً وما أراهُ بلغَ المِئةَ فمَنْ كانَ عندهَ علمٌ ،
فليُفدنا .

وقد نقلَ طولَ عُمره أبو الفرج بنُ الجوزي وغيره وما علمتُ في ذلك شيئاً يُركنُ
إليه^(١) .

عن ثابتِ البُنانيِّ قالَ : لَمَّا مَرَضَ سَلْمَانُ ، خَرَجَ سَعْدٌ مِنَ الكُوفَةِ يَعودُهُ ، فَقَدِمَ ،
فوَافَقَهُ وهو في المَوتِ يَبكي ، فَسَلَّمَ وَجَلَسَ ، وَقَالَ : ما يُبكيكَ يا أخي ؟ أَلَا تَذكُرُ
صُحبةَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ؟ أَلَا تَذكُرُ المَشاهدَ الصَّالِحَةَ ؟

قالَ : والله ما يُبكيني وَاحِدَةٌ من اثنتين : ما أبكي حُبًّا بالدُّنيا ولا كَراهيَّةً لِلقاءِ اللهِ
قالَ سَعْدٌ : فما يُبكيكَ بعدَ ثمانينَ ؟ قالَ : يُبكيني أَنَّ خَليلي صَلَّى اللهُ عليه وسلم عَهِدَ
إليَّ عَهداً قالَ : « لِيَكُنْ بَلاغُ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنيا كَرادِ الرَّاكِبِ » وإنا قد خَشينا أَنَّا قد
تعدَّينا .

رَواهُ بَعْضُهُم عن ثابتٍ ، فقالَ : عن أبي عُثمانَ ، وإرسالُهُ أشبهَ قاله أبو حاتمٍ ،
وهذا يوضِّحُ لك أَنَّهُ من أبناء الثَّمانينَ .

قالَ الإمامُ الذَّهبيُّ : وقد ذَكَرْتُ في تاريخي الكَبير أَنَّهُ عاشَ مِئتينَ وخَمسينَ سَنَةً ،
وأنا السَّاعةَ لا أرتَضِي ذلكَ ولا أَصحِّحُه^(٢) .

٣- قِصَّةُ عبدِ اللهِ بنِ حُذافةَ مع مَلِكِ الرُّومِ :

عن أبي رافعٍ ، قالَ : وَجَّهَ عُمَرُ جَيْشاً إلى الرُّومِ ، فَأسروا عبدَ اللهِ بنَ حُذافةَ ،
فذهبوا به إلى مَلِكِهِم ، فقالوا : إنَّ هذا من أصحابِ مُحَمَّدٍ فقالَ : هَلْ لَكَ أَنْ تَتَصَّرا
وأعطيكَ نِصفَ مُلكي ؟ قالَ : لوَ أُعْطيتَني جَميعَ ما تَمَلِكُ ، وَجَميعَ مُلكِ العَرَبِ ،
ما رَجَعْتُ عن دينِ مُحَمَّدٍ طَرفةَ عَينٍ ، قالَ : إذا أَقتلَكَ قالَ : أنتَ وَذاكَ فَأمرَ به فَصُلِبَ
وقالَ للرُّمَّةِ : ارمُوهُ قَريباً من بَدنِهِ ، وهو يَعرضُ عليه ، وَيأبئُ ، فَأنزَلَهُ ودعا بِقَدِرٍ ،

(١) انظر السير : (سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٢٠٥ .

(٢) انظر السير : (سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ) ١/٥٠٥-٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٤/٢٠٥ .

فَصَبَّ فِيهَا مَاءً حَتَّى احْتَرَقَتْ ، وَدَعَا بِأَسِيرِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمَا ، فَأَلْقَى فِيهَا ، وَهُوَ يَعْزُضُ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ ، وَهُوَ يَا بَنِي ثَم بَكَى فَقِيلَ لِلْمَلِكِ : إِنَّهُ بَكَى ، فَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ جَزَعَ ، فَقَالَ : رُدُّوهُ مَا أَبْكَاكَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تُلْقَى السَّاعَةَ فَتَذْهَبُ ، فَكُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ بَعْدَ شِعْرِي أَنْفَسٌ تُلْقَى فِي النَّارِ فِي اللَّهِ .

فَقَالَ لَهُ الطَّاعِيَةُ : هَلْ لَكَ أَنْ تُقْبَلَ رَأْسِي وَأُخْلِي عَنكَ ؟

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : وَعَنْ جَمِيعِ الْأَسَارَى ؟ قَالَ : نَعَمْ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ .

وَقَدَّمَ بِالْأَسَارَى عَلَى عُمَرَ ، فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ فَقَالَ عُمَرُ : حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُقْبَلَ رَأْسَ ابْنِ حُذَافَةَ ، وَأَنَا أَبَدُ ، فَقَبَّلَ رَأْسَهُ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : وَلَعَلَّ هَذَا الْمَلِكَ قَدْ أَسْلَمَ سِرًّا ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مُبَالِغَتُهُ فِي إِكْرَامِ ابْنِ حُذَافَةَ وَكَذَا الْقَوْلُ فِي هِرْقَلٍ إِذْ عَرَضَ عَلَى قَوْمِهِ الدُّخُولَ فِي الدِّينِ ، فَلَمَّا خَافَهُمْ قَالَ : إِنَّمَا كُنْتُ أَخْتَبِرُ شِدَّتَكُمْ فِي دِينِكُمْ .

فَمَنْ أَسْلَمَ فِي بَاطِنِهِ هَكَذَا ، فَيُرْجَى لَهُ الْخَلَاصُ مِنْ خُلُودِ النَّارِ ، إِذْ قَدْ حَصَلَ فِي بَاطِنِهِ إِيمَانًا مَا ، وَإِنَّمَا يُخَافُ أَنْ يَكُونَ قَدْ خَضَعَ لِلْإِسْلَامِ وَلِلرَّسُولِ ، وَاعْتَقَدَ أَنَّهُمَا حَقٌّ ، مَعَ كَوْنِ أَنَّهُ عَلَى دِينٍ صَحِيحٍ ، فَتَرَاهُ يُعْظَمُ لِلدِّينِينَ ، كَمَا قَدْ فَعَلَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمَانِيَّةِ الدَّوَابِينِ ، فَهَذَا لَا يَنْفَعُهُ الْإِسْلَامُ حَتَّى يَتَبَرَّأَ مِنَ الشِّرْكِ .

مَاتَ ابْنُ حُذَافَةَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (١) .

٤- قِصَّةُ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ ، قَالَ : قَالَ أَبُو ذَرٍّ : خَرَجْنَا مَعَ قَوْمِنَا غِفَارَ ، وَكَانُوا يُجِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَخِي أُنَيْسٌ وَأُمَّنَا ، فَتَرَكْنَا عَلَى خَالٍ لَنَا ، فَأَكْرَمْنَا وَأَحْسَنَ فَحَسَدْنَا قَوْمَهُ ، فَقَالُوا : إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ عَنْ أَهْلِكَ يُخَالِفُكَ إِلَيْهِمْ أُنَيْسٌ ، فَجَاءَ خَالُنَا ، فَذَكَرَ لَنَا مَا قِيلَ لَهُ : فَقُلْتُ : أَمَّا مَا مَضَى مِنْ مَعْرِيفِكَ ، فَقَدْ كَذَّرْتَهُ ،

(١) انظر السير : (عبدُ الله بنُ حُذَافَةَ) ١١/٢-١٦ ، وانظر النزهة : ١/٢١١ .

ولا جماع لك فيما بعد فقدّمنا صرمتنا^(١) فاحتملنا عليها ، وجعل خالنا يبيكي ، فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة ، فنافر^(٢) أنيس عن صرمتنا وعن مثلها ، فأتيا الكاهن فحير أنيساً ، فأتانا أنيس بصرمتنا ومثلها معها .

قال : وقد صليت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين قلت : لمن ؟ قال لله قلت : أين توجه ؟ قال : حيث وجهني الله ، أصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفاء^(٣) حتى تعلوني الشمس .

فقال أنيس : إن لي حاجة بمكة ، فاكفني فانطلق أنيس حتى أتى مكة فراث علي^(٤) ، ثم جاء فقلت : ما صنعت ؟ قال لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أنه مرسل قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون : شاعر ، كاهن ، ساحر قال : وكان أنيس أحد الشعراء : فقال : لقد سمعت قول الكهنة ، وما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقوال الشعراء ، فما يلتئم على لسان أحد أنه شعر ، والله إنه لصادق ، وإنهم لكاذبون ! قلت : فاكفني حتى أذهب فأنظر .

فأتيت مكة ، فتضعفت^(٥) رجلاً منهم ، فقلت : من هذا الذي تدعونه الصابىء ؟ فأشار إلي فقال : الصابىء قال : فمال علي أهل الوادي بكل مدرة ، وعظم ، حتى حررت مغشياً علي فارتفعت حين ارتفعت كأني نصب أحمر^(٦) ، فأتيت زمزم ، فغسلت عني الدماء ، وشربت من مائها .

ولقد لبثت - يا ابن أخي - ثلاثين ، بين ليل ويوم ، ما لي طعام إلا ماء زمزم ،

-
- (١) في « صحيح مسلم » : فقربنا صرمتنا ، والصرمة : القطعة من الإبل .
(٢) نافر : حاكم ، يُقال : نافر الرجل منافرة إذا قاضيته ، والمنافرة : المحاكمة تكون في تفضيل أحد الشيين على الآخر .
(٣) الخفاء : كساء يُطرح على السقاء .
(٤) يُقال : راث فلان علينا إذا أبطأ .
(٥) أي نظرت إلى أضعفهم .
(٦) النصب : الحجر أو الصنم الذي كانوا ينصبونه في الجاهلية ويذبحون عليه ، فحمر من كثرة دم القران والذبايح ، أراد أنهم ضربوه حتى أدموه .

فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُنُقِي ، وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبِدِي سَخْفَةً^(١) جُوع .

فَبَيْنَا أَهْلُ مَكَّةَ فِي لَيْلَةِ قَمَرَاءِ إِضْحِيَانٍ^(٢) ، جَاءَتِ امْرَأَتَانِ تَطُوفَانِ ، وَتَدْعَوَانِ إِسَافاً وَنَائِلَةً^(٣) ، فَأَتَتَا عَلِيَّ فِي طَوَافِهِمَا فَقُلْتُ : أَنْكِحَا أَحَدَهُمَا الْآخَرَ فَمَا تَنَاهَتَا عَنْ قَوْلِهِمَا ، فَأَتَتَا عَلِيَّ فَقُلْتُ : هُنَّ^(٤) مِثْلُ الْخَشَبَةِ ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَكْنِي فَاَنْطَلَقْنَا تُوَلُّوْلَانِ ، تَقُولَانِ : لَوْ كَانَ هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْفَارِنَا ! ، فَاسْتَقْبَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَهُمَا هَابِطَتَانِ ، فَقَالَ : مَا لَكُمَا ؟ قَالَتَا : الصَّابِيءُ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَأَسْتَارِهَا قَالَ : فَمَا قَالَ لَكُمَا ؟ قَالَتَا : إِنَّهُ قَالَ كَلِمَةً تَمْلَأُ الْفَمَ .

قَالَ : وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ ، ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ ، هُوَ وَصَاحِبُهُ ، ثُمَّ صَلَّى وَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ قَالَ : عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ! مَنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : مِنْ غِفَارٍ فَأَهْوَى بِيَدِهِ ، وَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ .

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : كَرِهَ أَنِّي انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ فَذَهَبْتُ أَخْذُ بِيَدِهِ فَدَفَعَنِي صَاحِبُهُ ، وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي قَالَ : ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : مَتَى كُنْتَ هَا هُنَا ؟ قُلْتُ : مُنْذُ ثَلَاثِينَ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ قَالَ : فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ ؟ قُلْتُ : مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءٌ زَمَزَمَ فَسَمِنْتُ ، وَمَا أَجِدُ عَلَى بَطْنِي سَخْفَةً جُوعٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامٌ طُعِمَ » .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ائْذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ ، فَاَنْطَلَقْنَا ، فَفَتَحَ أَبُو بَكْرٍ بَاباً ، فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ زَبِيبِ الطَّائِفِ فَكَانَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا .

وَأُنَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « إِنَّهُ قَدْ وَجَّهَتْ لِي أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ ، لَا أَرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ ، فَهَلْ أَنْتَ مُبْلَغٌ عَنِّي قَوْمَكَ ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ ؟ » قَالَ : فَاَنْطَلَقْتُ ، فَلَقَيْتُ أَنَيْساً ، فَقَالَ : مَا صَنَعْتَ ؟ قُلْتُ : صَنَعْتُ أَنِّي

(١) سَخْفَةُ الْجُوعِ : رِقْتُهُ وَهَزَالُهُ .

(٢) يُقَالُ : لَيْلَةُ إِضْحِيَانٍ وَإِضْحِيَانَةٌ ، أَي : مُضِيَّةٌ ، لَا غَيْمَ فِيهَا ، فَقَمَرُهَا ظَاهِرٌ يَضِيئُهَا .

(٣) إِسَافٌ وَنَائِلَةٌ : صَمْنَانٌ تَزْعَمُ الْعَرَبُ أَنَّهُمَا كَانَا لِرَجُلٍ وَامْرَأَةٍ زَنِيَا فِي الْكَعْبَةِ فَمُسَخَا .

(٤) عُنَى بِهِ الذِّكْرَ ، وَقَوْلُهُ : لَا أَكْنِي : أَرَادَ أَنَّهُ أَفْصَحَ بِاسْمِهِ وَلَمْ يُكُنْ عَنْهُ .

أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ قَالَ : مَا بِي رَغْبَةً عَنْ دِينِكَ ، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ فَأَسْلَمْتُ
أُمَّنَا ، فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارَ ، فَأَسْلَمَ نَصْفُهُمْ ، وَكَانَ يَوْمُهُمْ إِيمَاءُ بْنُ رَحْضَةَ ،
وَكَانَ سَيِّدَهُمْ وَقَالَ نَصْفُهُمْ : إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، فَأَسْلَمَ نَصْفُهُمُ الْبَاقِي .

وَجَاءَتْ أَسْلَمٌ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِخْوَانُنَا ، نُسَلِّمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا عَلَيْهِ
فَأَسْلَمُوا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا ! وَأَسْلَمٌ
سَأَلَهَا اللَّهُ » (١) .

٥- قِصَّةُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ :

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ : سَمِعْتُ كَعْبًا يَقُولُ : لَمَّا أَتَخَلَّفْتُ
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ ، حَتَّى كَانَتْ تَبُوكَ إِلَّا بَدْرًا ، وَمَا أَحْبَبْتُ
أَنِّي شَهِدْتُهَا ، وَفَاتَنِي بَيْنَعَتِي لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ (٢) وَقَلَّمَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
غَزْوَةَ إِلَّا وَرَى عَنْهَا بَغِيرَهَا ، فَأَرَادَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنْ يَتَأَهَّبَ النَّاسُ أَهْبَةً وَكُنْتُ أَيْسَرَ
مَا كُنْتُ ، وَأَنَا فِي ذَلِكَ أَصْغُو (٣) إِلَى الظَّلَالِ وَطَيْبِ الثَّمَارِ ، فَلَمَّ أَرَلْتُ كَذَلِكَ حَتَّى خَرَجَ
فَقُلْتُ : أَنْطَلِقُ غَدًا ، فَأَشْتَرِي جَهَازِي ، ثُمَّ أَلْحَقُ بِهِمْ فَاَنْطَلَقْتُ إِلَى السُّوقِ ، فَعَسَّرَ
عَلَيَّ ، فَرَجَعْتُ ، فَقُلْتُ : أَرْجِعُ غَدًا فَلَمَّ أَرَلْتُ حَتَّى التَّبَسَّ بِي الذَّنْبُ ، وَتَخَلَّيْتُ ،
فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي أَسْوَاقِ الْمَدِينَةِ ، فَيُحْزِنُنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا مَغْمُوصًا (٤) عَلَيْهِ فِي
النِّفَاقِ ، أَوْ ضَعِيفًا وَكَانَ جَمِيعٌ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضَعَّةٍ
وَتَمَانِينَ رَجُلًا (٥) .

(١) انظر السير : (أبو ذر الغفاري) ٤٦/٢ - ٧٨ ، وانظر النزهة : ٢١٧/٥ - ٢١٩ .

(٢) في البخاري ومسلم : ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة حين تواتقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها .

(٣) أصغو : أميل .

(٤) أي مطعوناً عليه في دينه ، متهماً بالنفاق ، وقيل : معناه مستحقر ، فتقول غمصت فلاناً إذا استحقرته .

(٥) انظر السير : (كعب بن مالك) ٥٢٣/٢ - ٥٣٠ ، وانظر النزهة : ٣٠٠/٣ .

ولمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبُوكَ ذَكَرَنِي ، وقال : « مَا فَعَلَ كَعْبٌ ؟ » فقال رجلٌ من قَوْمِي : خَلَفَهُ يَا نَبِيَّ اللهُ بُرْدَاهُ ، وَالنَّظْرُ فِي عِطْفِيهِ ، فقال مُعَاذٌ : بِسَ مَا قُلْتَ : وَاللهِ مَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا .

إِلَى أَنْ قَالَ : فَلَمَّا رَأَيْتَنِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَمْ تَكُنْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ » قُلْتُ : بَلَى قَالَ : « فَمَا خَلَفَكَ ؟ » قُلْتُ : وَاللهِ لَوْ بَيْنَ يَدَيَّ أَحَدٍ غَيْرِكَ جَلَسْتُ لَخَرَجْتُ مِنْ سُخْطِهِ عَلَيَّ بَعْدُ ، لَقَدْ أُوتِيتُ جَدَلًا ، وَلَكِنْ قَدْ عَلِمْتُ يَا نَبِيَّ اللهُ أَنِّي أُخْبِرُكَ الْيَوْمَ بِقَوْلٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ وَهُوَ حَقٌّ فَإِنِّي أَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللهِ .

إِلَى أَنْ قَالَ : وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَيْسَرَ وَلَا أَخَفَّ حَادًا^(١) مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَا هَذَا فَقَدْ صَدَقَكُمْ ، فَمُ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ » فُقِمْتُ .

إِلَى أَنْ قَالَ : وَنَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ عَن كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ^(٢) .

فَجَعَلْتُ أَخْرَجُ إِلَى السُّوقِ ، فَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ ، وَتَنَكَّرَ لَنَا النَّاسُ ، حَتَّى مَا هُمُ بِالَّذِينَ نَعْرِفُ ، وَتَنَكَّرَتْ لَنَا الْحَيْطَانُ وَالْأَرْضُ ، وَكُنْتُ أَطُوفُ وَأَتِي الْمَسْجِدَ ، فَأَدْخُلُ وَأَتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَلَّمُ عَلَيْهِ ، فَأَقُولُ هَلْ حَرَكَ شَفْتَيْهِ بِالسَّلَامِ !! ؟^(٣) .

وَاسْتَكَانَ صَاحِبَايَ^(٤) ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يُطْلِعَانِ رُؤُوسَهُمَا ! فَبَيْنَا أَنَا أَطُوفُ بِالسُّوقِ إِذَا بَنَصْرَانِي جَاءَ بِطَعَامٍ ، يَقُولُ : مَنْ يَدُلُّ عَلَيَّ كَعْبٌ ؟ فَدَلُّوهُ عَلَيَّ ! ، فَآتَانِي بِصَحِيفَةٍ مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ ، فَإِذَا فِيهَا : أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ ، وَأَفْصَاكَ ، وَلَسْتَ بِدَارٍ مَضِيْعَةٍ وَلَا هَوَانٍ ، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِكُ فَسَجَّرْتُ لَهَا التُّنُورَ وَأَحْرَقْتُهَا .

(١) الحاذ : الحال .

(٢) أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ : مَبْنِي عَلَى الضَّمِّ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ ، أَي : مَخْتَصِمِينَ بِذَلِكَ دُونَ بَقِيَّةِ النَّاسِ .

(٣) انظر السير : (كعب بن مالك) ٥٢٣/٢ - ٥٣٠ ، وانظر النزهة : ٤/٣٠٠ .

(٤) وهما : مِرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعُمَرِيُّ ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ .

إِلَى أَنْ قَالَ : إِذْ سَمِعْتُ نِدَاءً مِنْ ذِرْوَةِ سَلْعٍ ^(١) : أُبَشِّرُ يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فَخَرَزْتُ
سَاجِدًا ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ يُبَشِّرُنِي ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنْ فَرَسِهِ ، فَأَعْطَيْتُهُ
ثَوْبِيَّ بِشَارَةً ، وَلَبِسْتُ غَيْرَهُمَا .

وَنَزَلَتْ تَوْبَتُنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُلُثَ اللَّيْلِ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ :
يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَلَا نُبَشِّرُ كَعْبًا ؟ قَالَ : « إِذَا يَحْطِمُكُمْ النَّاسُ وَيَمْنَعُونَكَمُ النَّوْمَ » قَالَ :
فَانْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ ، وَحَوْلَهُ
الْمُسْلِمُونَ ، وَهُوَ يَسْتَنْبِرُ كَاسْتِنَارَةِ الْقَمَرِ ، فَقَالَ : « أُبَشِّرُ يَا كَعْبُ بِخَيْرِ يَوْمٍ أَتَى
عَلَيْكَ » ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِمْ : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ الْآيَةَ ^(٢) .

وَفِينَا نَزَلَتْ أَيْضًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٣) .

فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَلَّا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا ، وَأَنْ أُنْخَلَعَ مِنْ مَالِي كُلِّهِ
صَدَقَةً ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ »
الْحَدِيثُ ^(٤) .

وَفِي لَفْظٍ ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ يُهْرَوِلُ ، حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي . فَكَانَ لَا يَنْسَاهَا
لِطَلْحَةَ ^(٥) .

٦- قِصَّةُ إِسْلَامِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ :

عَنْ رَاشِدِ مَوْلَى حَبِيبٍ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ
قَالَ : لَمَّا انْصَرَفْنَا مِنَ الْخَنْدَقِ ، جَمَعْتُ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ إِنَّ أَمْرَ مُحَمَّدٍ
يَعْلُو عُلُوًّا مُنْكَرًا ، وَاللَّهِ مَا يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا ، قَالُوا : وَمَا هُوَ ؟ قُلْتُ : أَنْ
نَلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ عَلَى حَامِيَّتِنَا ، فَإِنْ ظَفَرَ قَوْمُنَا ، فَنَحْنُ مَنْ قَدِ عَرَفُوا ، نَرْجِعُ إِلَيْهِمْ ،

(١) سلع : جبل بالمدينة .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١١٧ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ١١٩ .

(٤) انظر السير : (كعب بن مالك) ٥٢٣/٢ - ٥٣٠ ، وانظر النزهة : ١/٣٠١ .

(٥) انظر السير : (كعب بن مالك) ٥٢٣/٢ - ٥٣٠ ، وانظر النزهة : ١/٣٠٢ .

وإن يظهر مُحَمَّدٌ ، فنكون تحت يدي النجاشي أحب إلينا من أن نكون تحت يدي مُحَمَّدٍ قالوا : أصبت قلت : فابتاعوا له هدايا ، وكان من أعجب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم ، فجمعنا له أدمًا كثيرًا ، وقدمنا عليه ، فوافقنا عنده عمرو بن أمية الضمري قد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في أمر جعفر وأصحابه ، فلما رأيته قلت لعلي أقتله وأدخلت الهدايا ، فقال : مزحبا وأهلاً بصديقي وعجب بالهدية ، فقلت : أيها الملك ! إنني رأيت رسول مُحَمَّد عندك وهو رجلٌ قد وترنا ، وقتل أشرافنا ، فأعطنيه أضرب عنقه ، فغضب وضرب أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو أنشقت لي الأرض دخلت فيها وقلت : لو ظننت أنك تكره هذا لم أسألكه فقال : سألتني أن أعطيك رسولَ رجلٍ يأتيه الناموس^(١) الذي كان يأتي موسى الأكبر تقتله ؟! فقلت : وإن ذاك لكذلك ؟ قال نعم والله إنني لك ناصح فاتبعه ، فوالله ليظهرن كما ظهر موسى وجنوده ، قلت : أيها الملك ، فبايعني أنت له على الإسلام ، فقال : نعم فبسط يده ، فبايعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، على الإسلام ، وخرجت على أصحابي وقد حال رأي ، فقالوا : ما وراءك ؟ فقلت : خيراً ، فلما أمسيت ، جلست على راحلتي ، وانطلقت ، وتركتهم ، فوالله إنني لأهوي إذ لقيت خالد بن الوليد ، فقلت : إلى أين يا أبا سليمان ؟ قال : أذهب والله أسلم ، إنه والله قد استقام الميسم ، إن الرجل لنبئ ما أشك فيه فقلت : وأنا والله ، فقدمنا المدينة ، فقلت : يا رسول الله ، أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ، ولم أذكر ما تأخر فقال لي : « يا عمرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله »^(٢) ،^(٣) .

(١) الناموس : جربيل عليه السلام ، وكذا يُسميه أهل الكتاب ، وفي حديث ورقة بن نوفل لخديجة رضي الله عنها ، إن كان ما تقولين حقاً ، فإنه ليأتيه الناموس الذي كان يأتي موسى عليه السلام .

(٢) رجاله ثقات خلا راشد مولى حبيب ، فلم يوثقه غير ابن حبان وأخرجه من طريق ابن إسحاق بنحوه ابن هشام في السيرة (٢٧٦/٢ ، ٢٧٧) ، وأحمد في «المستد» (١٩٨/٤ ، ١٩٩) ، وهو في تاريخ ابن عساکر ، ومغازي الواقدي .

(٣) انظر السير : (عمرو بن العاص) ٧٧-٥٤/٣ ، وانظر النزهة : ٧/٣٣٣ .

٧- قِصَّةُ إِسْلَامِ أَحَدِ الرُّومِ :

عن ابن جابر ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : غَزَوْنَا مَعَ فَضَّالَةَ بْنِ عُيَيْدٍ ، وَلَمْ يَغْزُ فَضَّالَةٌ فِي الْبَرِّ غَيْرَهَا - فَبَيْنَمَا نَحْنُ نُسْرِعُ فِي السَّيْرِ ، وَهُوَ أَمِيرُ الْجَيْشِ ، وَكَانَتْ الْوُلَاةُ إِذْ ذَاكَ يَسْمَعُونَ مِمَّنْ اسْتَرَعَاهُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ قَائِلٌ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ! إِنَّ النَّاسَ قَدْ تَقَطَّعُوا ، فَفِ حَتَّى يَلْحَقُوا بِكَ فَوَقَّفَ فِي مَرَجٍ عَلَيْهِ قَلْعَةٌ ، فَإِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ أَحْمَرَ ذِي شَوَارِبٍ فَأَتَيْنَا بِهِ فَضَّالَةَ ، فَقُلْنَا : إِنَّهُ هَبَطَ مِنَ الْحِصْنِ بِإِلَاحَةٍ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : إِنِّي الْبَارِحَةُ أَكَلْتُ الْخِزْيَرِ ، وَشَرِبْتُ الْخَمْرَ ، فَأَتَانِي فِي النَّوْمِ رَجُلَانِ ، فَغَسَلَا بَطْنِي وَجَاءَتْنِي امْرَأَتَانِ ، فَقَالَتَا : أَسْلِمُ ، فَأَنَا مُسْلِمٌ ، فَمَا كَانَتْ كَلِمَتُهُ أَسْرَعَ مِنْ أَنْ رُمِينَا بِالزُّبَارِ^(١) فَأَصَابَهُ ، فَدَقَّ عُنُقَهُ ، فَقَالَ فَضَّالَةٌ : اللَّهُ أَكْبَرُ عَمِلَ قَلِيلاً ، وَأَجَرَ كَثِيراً فَصَلِّينَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ دَفَنَاهُ^(٢) .

٨- قِصَّةُ إِسْلَامِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ :

عن ابن سيرين ، عن أبي عبيدة بن حذيفة ، قال : كُنْتُ أَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي لَا آتِيهِ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ : بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَرِهْتُهُ ، ثُمَّ كُنْتُ بِأَرْضِ الرُّومِ ، فَقُلْتُ : لَوْ أَتَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ ، فَإِنْ كَانَ صَادِقاً تَبِعْتُهُ ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ ، اسْتَشَرَفَنِي النَّاسُ فَقَالَ لِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا عَدِيُّ! أَسْلِمْتَ تَسْلِمًا » ، قُلْتُ : إِنَّ لِي دِيناً ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ ، أَلَسْتَ تَرَأْسُ قَوْمِكَ ؟ » قُلْتُ : بَلَى قَالَ : « أَلَسْتَ رَكُوسِيًّا^(٣) تَأْكُلُ الْمُرْبَاعَ^(٤) » قُلْتُ : بَلَى قَالَ : « فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ » ، فَتَضَعَضْتُ لَذَلِكَ ثُمَّ قَالَ : « يَا عَدِيُّ! أَسْلِمْتَ تَسْلِمًا فَأُظِنُّ مِمَّا يَمْنَعُكَ أَنْ تُسَلِمَ خَصَاصَةً تَرَاهَا بِمَنْ حَوْلِي ،

(١) الزُّبَارُ : كَأَنَّهَا الْحِجَارَةُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : زَبَرَ الرَّجُلُ إِذَا رَمَاهُ بِالْحِجَارَةِ ، وَالزُّبَرُ : الْحِجَارَةُ .

(٢) انظر السير : (فضالة بن عبيد) ١١٣/٣ - ١١٧ ، وانظر النزعة : ٣/٣٤٦ .

(٣) قال في النهاية : الرُّكُوسِيَّةُ : هُوَ دِينَ بَيْنَ النَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ .

(٤) كانوا في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضاً ، وغنموا ، أخذ الرئیس رُبْعَ الْغَنِيمَةِ خَالِصاً دُونَ أَصْحَابِهِ ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْمُرْبَاعَ .

وَأَنَّكَ تَرَى النَّاسَ عَلَيْنَا إِلْبًا وَاحِدًا هَلْ آتَيْتَ الْحِيرَةَ ؟ « قُلْتُ : لَمْ آتِهَا ، وَقَدْ عَلِمْتُ مَكَانَهَا قَالَ : « تَوْشِكُ الطَّيْمِينَةُ أَنْ تَزْتَحِلَ مِنَ الْحِيرَةِ بِغَيْرِ جَوَارٍ حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ ، وَلِتَفْتَحَنَّ عَلَيْنَا كَنْزُ كَسْرَى » قُلْتُ : كَسْرَى بِنُ هُرْمُزٍ ! قَالَ : « كَسْرَى بِنُ هُرْمُزٍ ، وَلِيْفِيضَنَّ الْمَالَ حَتَّى يُهِمَّ الرَّجُلُ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُ مَالُهُ صَدَقَةً » .

قَالَ عَدِيٌّ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَتَيْنِ ، وَأَحْلَفُ بِاللَّهِ لَتَجِيئَنَّ الثَّلَاثَةَ ، يَعْنِي : فَيَضَ الْمَالَ (١) .

٩- قِصَّةُ جُنْدُبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ السَّاحِرِ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ : قَدِمَ دِمَشْقَ ، وَيُقَالُ لَهُ : جُنْدُبُ الْخَيْرِ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْمُشْعُودَ .

عَنْ أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ : أَنَّ سَاحِرًا كَانَ يَلْعَبُ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ الْأَمِيرِ ، فَكَانَ يَأْخُذُ سَيْفَهُ ، فَيَذْبُحُ نَفْسَهُ وَلَا يَضُرُّهُ ، فَجَاءَ جُنْدُبٌ إِلَى السَّيْفِ فَأَخَذَهُ ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ أَفْتَاتُوكَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ (٢) ، (٣) .

وَعَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ أَنَّ الْوَلِيدَ كَانَ بِالْعِرَاقِ ، فَلَعِبَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَاحِرٌ ، فَكَانَ يَضْرِبُ رَأْسَ الرَّجُلِ ، ثُمَّ يَصِيحُ بِهِ ، فَيَقُومُ خَارِجًا ، فَيَرْتَدُّ إِلَيْهِ رَأْسُهُ ، فَقَالَ النَّاسُ : سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَرَأَى رَجُلًا مِنْ صَالِحِي الْمُهَاجِرِينَ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ اشْتَمَلَ عَلَى سَيْفِهِ ، فَذَهَبَ لِيَلْعَبَ ، فَاخْتَرَطَ الرَّجُلُ سَيْفَهُ ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ ، وَقَالَ : إِنْ كَانَ صَادِقًا ، فليُخِي نَفْسَهُ ، فَسَجَنَهُ الْوَلِيدُ ، فَهَرَبَهُ السَّجَانُ لِصَلَاحِهِ (٤) .

١٠- قِصَّةُ إِسْلَامِ أَبِي رَجَاءِ الْعَطَارِدِيِّ :

عَنْ يُونُسَ بْنِ عَطِيَّةَ ، نَ أَبِيهِ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي رَجَاءٍ فَقَالَ : بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ لَنَا صَنْمٌ مُدَوَّرٌ ، فَحَمَلْنَاهُ عَلَى قَتَبٍ ، وَتَحَوَّلْنَا فَفَقَدْنَا الْحَجَرَ أَنْسَلًا

(١) انظر السير : (عدي بن حاتم) ٣/١٦٢-١٦٥ ، وانظر النزعة : ٥/٣٥٧ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٣ .

(٣) انظر السير : (جندب الأزدي) ٣/١٧٥-١٧٧ ، وانظر النزعة : ٥/٣٦١ .

(٤) انظر السير : (جندب الأزدي) ٣/١٧٥-١٧٧ ، وانظر النزعة : ٢/٣٦٢ .

فَوَقَعَ فِي رَمَلٍ ، فَرَجَعْنَا فِي طَلْبِهِ إِذَا هُوَ فِي رَمَلٍ قَدْ غَابَ فِيهِ ، فَاسْتَخَرَجْتُهُ فَكَانَ ذَلِكَ
أَوَّلَ إِسْلَامِي ، فَقُلْتُ : إِنَّ إِلَهًا لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ تُرَابٍ يَغِيبُ فِيهِ لِإِلَهِ سُوءٍ وَإِنَّ الْعَنْزَ لَتَمْنَعُ
حَيَاهَا بِذَنْبِهَا .

فَكَانَ أَوَّلَ إِسْلَامِي ، فَرَجَعْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَدْ تُوَفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ^(١) .

١١- قِصَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ مَعَ أَحَدِ الصَّالِحِينَ :

وَقَالَ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ : إِنِّي لَلَّيْلَةَ مُوَاجِهَةٌ هَذَا الْمُنْبَرِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ أَدْعُو ، إِذَا إِنْسَانٌ
عِنْدَ أَسْطُوَانَةٍ مُقَنَّعٌ رَأْسَهُ ، فَاسْمَعُهُ يَقُولُ : أَيُّ رَبِّ إِنَّ الْقَحْطَ قَدْ اشْتَدَّ عَلَى عِبَادِكَ ،
وَإِنِّي مُقْسِمٌ عَلَيْكَ يَا رَبِّ إِلَّا سَقَيْتَهُمْ ، قَالَ : فَمَا كَانَ إِلَّا سَاعَةً إِذَا سَحَابَةٌ قَدْ أَقْبَلَتْ ، ثُمَّ
أَرْسَلَهَا اللَّهُ ، وَكَانَ عَزِيزًا عَلَى ابْنِ الْمُنْكَدِرِ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ ، فَقَالَ :
هَذَا بِالْمَدِينَةِ وَلَا أَعْرِفُهُ !! فَلَمَّا سَلَّمَ الْإِمَامُ ، تَقَنَّعَ وَانصَرَفَ ، وَأَتْبَعَهُ ، وَلَمْ يَجْلِسْ
لِلْقَاصِ حَتَّى أَتَى دَارَ أَنَسِ ، فَدَخَلَ مَوْضِعًا ، فَفَتَحَ وَدَخَلَ قَالَ : وَرَجَعْتُ ، فَلَمَّا
سَبَحْتُ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ : أَدْخُلُ ؟ قَالَ : أَدْخُلْ فَإِذَا هُوَ يَنْجِرُ أَقْداحًا ، فَقُلْتُ : كَيْفَ
أَصْبَحْتَ ؟ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، قَالَ : فَاسْتَشْهَرَهَا وَأَعْظَمَهَا مِنِّي ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ ، قُلْتُ :
إِنِّي سَمِعْتُ إِفْسَامَكَ الْبَارِحَةَ عَلَى اللَّهِ ، يَا أَخِي هَلْ لَكَ فِي نَفْقَةِ تَغْنِيكَ عَنْ هَذَا ،
وَتُفْرُغِكَ لِمَا تُرِيدُ مِنَ الْآخِرَةِ ، قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ غَيْرُ ذَلِكَ ، لَا تَذْكُرْنِي لِأَحَدٍ ،
وَلَا تَذْكُرْ هَذَا لِأَحَدٍ حَتَّى أَمُوتَ ، وَلَا تَأْتِنِي يَا ابْنَ الْمُنْكَدِرِ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَأْتِنِي شَهْرَتِي
لِلنَّاسِ ، فَقُلْتُ : إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَلْقَاكَ ، قَالَ : الْقَيْنِي فِي الْمَسْجِدِ ، قَالَ : وَكَانَ
فَارِسِيًّا ، فَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ لِأَحَدٍ حَتَّى مَاتَ الرَّجُلُ قَالَ ابْنُ وَهْبٍ : بَلَغَنِي أَنَّهُ
انْتَقَلَ مِنْ تِلْكَ الدَّارِ ، فَلَمْ يُرَ ، وَلَمْ يُذَرَ أَيْنَ ذَهَبَ فَقَالَ أَهْلُ تِلْكَ الدَّارِ : اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
ابْنِ الْمُنْكَدِرِ ، أَخْرَجَ عَنَّا الرَّجُلَ الصَّالِحَ^(٢) .

(١) انظر السير : (أبو رجاء العطاردي) ٤ / ٢٥٣ - ٢٥٧ ، وانظر النزعة : ١ / ٤٩٢ .

(٢) انظر السير : (محمد بن المنكدر) ٥ / ٣٥٣ - ٣٦١ ، وانظر النزعة : ٤ / ٦٠٨ .

١٢- قِصَّةُ تَوْبَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ :

قَالَ السَّرَّاجُ : سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ بَشَّارٍ يَقُولُ : قُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ : كَيْفَ كَانَ بَدْءُ أَمْرِكَ ؟ قَالَ : غَيْرُ ذَا أَوْلَىٰ بِكَ قَالَ : قُلْتُ : أَخْبِرْنِي لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ يَوْمًا قَالَ : كَانَ أَبِي مِنَ الْمُلُوكِ الْمَيَاسِيرِ ، وَحُبَّبَ إِلَيْنَا الصَّيْدَ فَرَكِبْتُ ، فَتَارَ أَرْزَبٌ أَوْ ثَعْلَبٌ فَحَرَكْتُ فَرَسِي ، فَسَمِعْتُ نِدَاءً مِنْ وَرَائِي : لَيْسَ لِيذًا خُلِقْتَ ، وَلَا بِذَا أُمِرْتَ فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا ، فَقُلْتُ : لَعَنَ اللَّهُ إِبْلِيسَ ، ثُمَّ حَرَكْتُ فَرَسِي ، فَاسْمَعُ نِدَاءً أَجْهَرُ مِنْ ذَلِكَ : يَا إِبْرَاهِيمُ ! لَيْسَ لِيذًا خُلِقْتَ وَلَا بِذَا أُمِرْتَ ، فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ فَلَا أَرَىٰ أَحَدًا فَقُلْتُ : لَعَنَ اللَّهُ إِبْلِيسَ ، فَاسْمَعُ نِدَاءً مِنْ قَرْبُوسٍ ^(١) سِرْجِي بِذَلِكَ ، فَقُلْتُ : أَنْبَهُتُ ، أَنْبَهُتُ ، جَاءَنِي نَذِيرٌ ، وَاللَّهِ لَا عَصِيَّتُ اللَّهَ بَعْدَ يَوْمِي مَا عَصَمَنِي اللَّهُ ، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ أَهْلِي ، فَخَلَيْتُ فَرَسِي ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَىٰ رُعَاةِ لِأَبِي ، فَأَخَذْتُ جُبَّةً وَكِسَاءً ، وَأَلْقَيْتُ ثِيَابِي إِلَيْهِ ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَعَمِلْتُ بِهَا أَيَّامًا ، فَلَمْ يَصْفُ لِي مِنْهَا الْحَلَالَ فَقِيلَ لِي : عَلَيْكَ بِالشَّامِ فَذَكَرَ حِكَايَةَ نِظَارَتِهِ الرُّمَّانَ ، وَقَالَ الْخَادِمُ لَهُ : أَنْتَ تَأْكُلُ فَابْكِهْتَنَا ، وَلَا تَعْرِفُ الْحُلُومَ مِنَ الْحَامِضِ ؟ قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا ذُقْتُهَا فَقَالَ : أَتُرَاكَ لَوْ أَنَّكَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ ، فَانصَرَفَ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ذَكَرَ صِفَتِي فِي الْمَسْجِدِ ، فَعَرَفَنِي بَعْضُ النَّاسِ ، فَجَاءَ الْخَادِمُ وَمَعَهُ عُنُقٌ ^(٢) مِنَ النَّاسِ فَاخْتَفَيْتُ خَلْفَ الشَّجَرِ وَالنَّاسُ دَاخِلُونَ ، فَاخْتَلَطْتُ مَعَهُمْ وَأَنَا هَارِبٌ .

تُوفِّيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَمِئَةَ ، وَقَبْرُهُ يُرَارُ ^(٣) .

١٣- قِصَّةُ تَوْبَةِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضَ :

وَعَنِ الْفُضْلِ بْنِ مُوسَى ، قَالَ : كَانَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضَ شَاطِرًا يَقَطَعُ الطَّرِيقَ بَيْنَ أَبِيوَرْدَ وَسَرْخَسَ ، وَكَانَ سَبَبُ تَوْبَتِهِ أَنَّهُ عَشِقَ جَارِيَةً ، فَبَيْنَا هُوَ يَرْتَقِي الْجُدْرَانَ إِلَيْهَا ،

(١) القربوس : هو حنو السرج ، قال الأزهري : وللسرج قربوسان ، فأما القربوس المقدم ، ففيه العضدان ، وهما رجلا السرج ، ويُقال لهما حنواه والقربوس الآخر فيه رجلا المؤخرة ، وهما حنواه .

(٢) العنق من الناس : الجماعة من الناس والرؤساء .

(٣) انظر السير : (إبراهيم بن أدْهَمَ) ٣٨٧/٧ - ٣٩٦ ، وانظر النزْهَة : ٢/٧٠٩ .

إِذْ سَمِعَ تَالِيًا يَتْلُو ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ . . . ﴾ (١) فَلَمَّا سَمِعَهَا ، قَالَ : بَلَى ، يَا رَبِّ ، قَدْ آنَ ، فَرَجَعَ ، فَأَوَاهُ اللَّيْلُ إِلَى خَرِبَةٍ ، فَإِذَا فِيهَا سَابِلَةٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : نَزَحَلْ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : حَتَّى نُصْبِحَ فَإِنَّ فُضَيْلًا عَلَى الطَّرِيقِ يَقَطَعُ عَلَيْنَا .
 قَالَ : فَفَكَّرْتُ ، وَقُلْتُ : أَنَا أَسْعَى بِاللَّيْلِ فِي الْمَعَاصِي ، وَقَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَاهُنَا ، يَخَافُونِي ، وَمَا أَرَى اللَّهَ سَاقِنِي إِلَيْهِمْ إِلَّا لِأَرْتَدِعَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَبْتُ إِلَيْكَ ، وَجَعَلْتُ تَوْبَتِي مُجَاوِرَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ (٢) .

١٤- قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ مَعَ يَهُودِيٍّ قَاطِعِ طَرِيقٍ :

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْأَثَرْمُ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ : أَنَّهُ وَرِيَ امْرَأَةً دِمَشَقَ أَعْوَامًا لَمْ يَقْطَعْ فِيهَا عَلَى أَحَدٍ طَرِيقٌ ، وَحَدَّثْتُ أَنَّ الْآفَةَ فِي قَطْعِ الطَّرِيقِ مِنْ دُعَامَةَ وَنُعْمَانَ وَيَحْيَى بْنِ أَرْمِيَا الْيَهُودِيَّ الْبَلْقَاوِي ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَضَعُوا يَدَهُمْ فِي يَدِ عَامِلٍ ، فَكَاتَبْتُهُمْ فَتَابَ دُعَامَةَ وَحَلَفَ النَّعْمَانُ بِالْإِيمَانِ أَنَّهُ لَا يُؤْذِي مَهْمَا وَلَيْتُ ، وَطَلَبَ ابْنُ أَرْمِيَا أَمَانًا لِيَأْتِي ، وَيُنَاطِرَ ، فَأَجَبْتُهُ ، فَقَدِمَ شَابٌّ أَشْعَرُ أَمْعَرُ فِي أَقْبِيَّةِ دِيْبَاجٍ ، وَمِنْطَقَةٍ وَسَيْفٍ مُحْلَى ، فَدَخَلَ عَلَى الْخَضْرَاءِ ، فَسَلَّمَ دُونَ الْبَسَاطِ ، فَقُلْتُ : اصْعَدْ قَالَ : إِنَّ لِّلْبَسَاطِ ذِمَامًا ، أَخَافُ أَنْ يَلْزَمَنِي جُلُوسِي عَلَيْهِ ، وَمَا أَذْرِي مَا تَسُومَنِي ، قُلْتُ : أَسْلِمِ ، وَأَطِعْ قَالَ : أَمَّا الطَّاعَةُ فَأَرْجُو ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَمَا عِنْدَكَ إِنْ لَمْ أُسَلِّمْ ؟ قُلْتُ : لَا بُدَّ مِنْ جَزِيَّةٍ قَالَ : اغْضِنِي قُلْتُ : كَلَّا قَالَ : فَأَنَا مُنْصَرَفٌ عَلَى أَمَانِي فَأَذِنْتُ لَهُ ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يَسْقُوا فَرَسَهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ، دَعَا بِدَابَّةٍ غُلَامِهِ ، وَتَرَكَ فَرَسَهُ ، وَقَالَ : لَنْ أَخُذَ شَيْئًا ارْتَفَقَ مِنْكُمْ ، فَأَحَارِبُكُمْ عَلَيْهِ ، فَاسْتَحْيَيْتُ وَطَلَبْتُهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ ، قُلْتُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، ظَفَرْتُ بِكَ بِلا عَهْدٍ قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قُلْتُ : لِأَنَّكَ انْصَرَفْتَ مِنْ عِنْدِي ، وَقَدْ عُدْتَ ، قَالَ : شَرَطْتُ أَنْ تَصْرِفَنِي إِلَى مَأْمَنِي ، فَإِنْ كَانَ دَارُكَ مَأْمَنِي ، فَلَسْتُ بِخَائِفٍ ، وَإِنْ كَانَ مَأْمَنِي أَرْضِي ، فَرُدَّنِي ، فَجَهَدْتُ بِهِ أَنْ يُؤَدِّيَ جَزِيَّةً عَلَيَّ أَنْ أَهَبَهُ فِي السَّنَةِ أَلْفِي دِينَارٍ ، فَأَبَى ، وَذَهَبَ فَاسْعَرَ الدُّنْيَا شَرًّا ، وَحُمِلَ مَالٌ مِنْ مِصْرَ ، فَتَعَرَّضَ لَهُ ، فَكَتَبَ

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٦ .

(٢) انظر السير : (الفضيل بن عياض) ٨ / ٤٢١-٤٤٢ ، وانظر النزاهة : ٥ / ٧٧٢ .

النُّعْمَانُ إِلَيَّ ، فَأَمَرْتُهُ بِمُحَارَبَتِهِ ، فَسَارَ النُّعْمَانُ ، وَوَأْفَاهُ الْيَهُودِيُّ فِي جَمَاعَتِهِ ، فَسَأَلَهُ
النُّعْمَانُ الْإِنْصِرَافَ ، فَأَبَى ، وَقَالَ : بَارِزْنِي ، وَإِنْ شِئْتَ ، بَرَزْتُ وَحَدِي إِلَيْكَ وَإِلَى
جُنْدِكَ فَقَالَ نُعْمَانُ : يَا يَحْيَى ، وَيَحَكَ أَنْتَ حَدَّثْتَ قَدْ بُلَيْتَ بِالْعُجْبِ ، وَلَوْ كُنْتُ مِنْ
أَنْفَسِ قُرَيْشٍ لَمَا أَمَكَّنَكَ مَعَارَةَ السُّلْطَانِ ، وَهَذَا الْأَمِيرُ هُوَ أَخُو الْخَلِيفَةِ ، وَأَنَا - وَإِنْ
افْتَرَقْنَا فِي الدِّينِ - أَحِبُّ أَنْ لَا يُقْتَلَ عَلَيَّ يَدَيَّ فَارِسٌ ، فَإِنْ كُنْتُ تُحِبُّ السَّلَامَةَ ، فَابْرُزْ
إِلَيَّ وَلَا يُبْتَلَى بِنَا غَيْرُنَا ، فَبَرَزَ لَهُ الْعَصْرُ ، فَمَا زَالَا فِي مُبَارَزَةٍ إِلَى اللَّيْلِ ، فَوَقَفَ كُلُّ
مِنْهُمَا عَلَى فَرَسِهِ مُتَّكِنًا عَلَى رُمْحِهِ ، فَنَعَسَ النُّعْمَانُ ، فَطَعَنَهُ الْيَهُودِيُّ ، فَيَقَعُ سِنَانُ
رُمْحِهِ فِي الْمِنْطَقَةِ ، فَدَارَتْ ، وَصَارَتْ السِّنَانُ يَدُورُ مَعَهَا ، فَاعْتَنَقَهُ النُّعْمَانُ ، وَقَالَ :
أَعْدِرَا يَا بَنَ الْيَهُودِيَّةَ ؟ فَقَالَ : أَوْمُحَارِبُ يَنَامُ يَا بَنَ الْأَمَةِ ؟! فَاتَّكَأَ عَلَيْهِ النُّعْمَانُ ،
فَسَقَطَ فَوْقَهُ ، وَكَانَ النُّعْمَانُ ضَخْمًا ، فَصَارَ فَوْقَهُ ، فَذَبَحَ الْيَهُودِيُّ ، وَبَعَثَ إِلَيَّ
بِرَأْسِهِ ، فَاطْمَأَنَّتِ الْبِلَادُ ، ثُمَّ وَلِيَ بَعْدِي عَمِّي سُلَيْمَانُ ، فَانْتَهَبَهُ أَهْلُ دِمَشْقَ ، وَسَبَّوْا
حُرْمَهُ (١) .

١٥- قِصَّةُ هِشَامِ بْنِ عَمَّارٍ مَعَ الْإِمَامِ مَالِكِ :

قَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الرَّبِيعِيُّ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَيْضِ الْغَسَّانِيُّ ، سَمِعْتُ
هِشَامَ بْنَ عَمَّارٍ ، يَقُولُ : بَاعَ أَبِي بَيْتًا لَهُ بَعَشْرِينَ دِينَارًا وَجَهَّزَنِي لِلْحَجِّ فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى
الْمَدِينَةِ ، أَتَيْتُ مَجْلِسَ مَالِكِ ، وَمَعِيَ مَسَائِلُ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهَا فَاتَيْتُهُ ، وَهُوَ جَالِسٌ
فِي هَيْئَةِ الْمُلُوكِ ، وَغِلْمَانُ قِيَامٌ ، وَالنَّاسُ يَسْأَلُونَهُ ، وَهُوَ يُجِيبُهُمْ ، فَلَمَّا انْقَضَى
الْمَجْلِسُ ، قَالَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ : سَلْ عَن مَاعِكَ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا
عَبْدِ اللَّهِ مَا تَقُولُ فِي كَذَا وَكَذَا ؟ فَقَالَ : حَصَلْنَا عَلَى الصَّبِيَانِ ، يَا غُلَامُ ، احْمِلْهُ
فَحَمَلَنِي كَمَا يُحْمَلُ الصَّبِيُّ ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ مُدْرِكٌ ، فَضَرَبْتَنِي بِدِرَّةٍ مِثْلَ دِرَّةِ الْمُعَلِّمِينَ
سَبْعَ عَشْرَةَ دِرَّةً ، فَوَقَفْتُ أَبْكِي ، فَقَالَ لِي : مَا يُبْكِيكَ ؟ أَوْجَعَتْكَ هَذِهِ الدِّرَّةُ ؟ قُلْتُ :
إِنَّ أَبِي بَاعَ مَنَزَلَهُ ، وَوَجَّهَ بِي أَنْشَرَفُ بِكَ وَبِالسَّمَاعِ مِنْكَ ، فَضَرَبْتَنِي ؟ فَقَالَ : اكْتُبْ ،

(١) انظر السير : (إبراهيم بن المهدي) ١٠/٥٥٧-٥٦١ ، وانظر النزاهة : ٢/٨٩٢ .

قال : فحدّثني سبعة عشر حديثاً ، وسألته عما كان معي من المسائل فأجابني (١) .

١٦- قصة في الإيثار :

قال يونس بن البهلول الأزرق : حدّثنا يعقوب بن شيبّة ، قال : أظنّ العيد رجلاً ، وعنده مئة دينار لا يملك سواها ، فكتب إليه صديق يسترعي منه نفقة فأنفد إليه بالمئة دينار ، فلم ينسب أن ورد عليه رقة من بعض إخوانه يذكر أنه أيضاً في هذا العيد في إضاقة ، فوجه إليه بالصرة بعينها قال : فبقي الأول لا شيء عنده ، فاتفق أنه كتب إلى الثالث وهو صديقه يذكر حاله ، فبعث إليه الصرة بختمها قال فعرفها ، وركب إليه ، وقال : خبرني ما شأن هذه الصرة ؟ فأخبره الخبر ، فركبا معاً إلى الذي أرسلها ، وشرحوا القصة ، ثم فتحوها واقتسموها .

قال ابن البهلول : الثلاثة ، يعقوب بن شيبّة ، وأبو حسان الزياتي ، وآخر نسيتُه إسنادهما صحيح .

وقيل عاش الزياتي تسعاً وثمانين سنة ، مات في سنة اثنتين وأربعين ومئتين (٢) .

١٧- قصة اللصّ الفقيه :

وروى يموت بن المزرع ، عن المبرّد ، عن أحمد بن المعدّل ، قال : كنت عند ابن الماجشون ، فجاءه بعض جلسائه ، فقال : يا أبا مروان أعجوبة ، خرجت إلى حائطي بالغابة ، فعرض لي رجل ، فقال : اخلع ثيابك قلت : لم ؟ قال : لأنني أخوك ، وأنا عريان قلت فالمواساة ؟ قال : قد لبستها برهة قلت فتعريني ؟ قال : قد روينا عن مالك أنه قال : لا بأس للرجل أن يغتسل عرياناً قلت : ترى عورتني قال : لو كان أحد يلقاك هنا ، ما تعرضت لك قلت : دعني أدخل حائطي ، وأبعث بها إليك ، قال : كلاً ، أردت أن توجه عبيدك فأمسك ، قلت : أحلف لك قال : لا تلزم يمينك للصوص فحلفت له : لأبعثن بها طيبة بها نفسي فأطرق ثم قال : تصفحت أمر اللصوص

(١) انظر السير : (هشام بن عمار) ١١/٤٢٠-٤٣٥ ، وانظر النزاهة : ٣/٩٥٧ .

(٢) انظر السير : (أبو حسان الزياتي) ١١/٤٩٦-٤٩٨ ، وانظر النزاهة : ٤/٩٦٢ .

من عهدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى وَقْتِنَا ، فَلَمْ أَجِدْ لِحَدِّثِ بَنِيهِ ، فَأَكْرَهُ أَنْ
أُبْتَدَعَ ، فَخَلَعْتُ ثِيَابِي لَهُ ^(١) .

١٨- قِصَّةُ ثُقُؤِي الْإِيمَانَ :

قال يوسُفُ بْنُ الْحُسَيْنِ الرَّازِيّ : حَضَرْتُ ذَا الثُّونِ فَقِيلَ لِي : يَا أَبَا الْفَيْضِ ، مَا كَانَ
سَبَبُ تَوْبِكَ ؟ قَالَ : نِمْتُ فِي الصَّحْرَاءِ ، فَفَتَحَتْ عَيْنِي إِذَا فُتْبِرَةٌ ^(٢) عَمِيَاءُ سَقَطَتْ مِنْ
وَكْرٍ ، فَانشَقَّتِ الْأَرْضُ ، فَخَرَجَ سُكْرُجَتَانِ فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ فَقُلْتُ : حَسْبِي ، فَتُبْتُ
وَلَزِمْتُ الْبَابَ إِلَى أَنْ قَبِلَنِي ^(٣) .

١٩- قِصَّةُ الْمَرْأَةِ الْمُصَابَةِ بِالْجَنْ :

وقال عُمَرُ بْنُ بَحْرٍ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي الْحَوَارِيِّ يَقُولُ : بَيْنَا أَنَا فِي قُبَّةٍ بِالْمَقَابِرِ
بِلا بَابٍ إِلَّا كَسَاءٌ أَسْبَلْتُهُ ، فَإِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ تَدُقُّ عَلَى الْحَائِطِ فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَتْ :
ضَالَّةٌ ، فَذَلَّنِي عَلَى الطَّرِيقِ فَقُلْتُ : رَحِمَكَ اللهُ ، أَيُّ الطَّرِيقِ تَسْلُكِينَ ، فَبَكَتْ ، ثُمَّ
قَالَتْ : عَلَى طَرِيقِ النَّجَاةِ ، يَا أَحْمَدُ قُلْتُ : هَيْهَاتَ ! إِنَّ سَبِيحًا وَبَيْنَهَا عِقَابًا ، وَتِلْكَ
العِقَابُ لَا تُقَطَعُ إِلَّا بِالسَّيْرِ الْحَثِيثِ ، وَتَصْحِيحِ الْمُعَامَلَةِ ، وَحَذْفِ الْعَلَائِقِ الشَّاعِلَةِ ،
فَبَكَتْ ، ثُمَّ قَالَتْ : سُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَ عَلَيْكَ جَوَارِحَكَ فَلَمْ تَقَطَّعْ ، وَفُؤَادَكَ فَلَمْ
يَتَصَدَّعْ ثُمَّ خَرَّتْ مَغْشِيًا عَلَيْهَا فَقُلْتُ لِبَعْضِ النِّسَاءِ : أَيُّ شَيْءٍ حَالُهَا ؟ فَقَمِنَ ،
فَفَتَّشْنَهَا ، فَإِذَا وَصِيَّتُهَا فِي جَيْبِهَا : كَفَّنُونِي فِي أَثْوَابِي هَذِهِ ، فَإِنْ كَانَ لِي عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ
فَهُوَ أَسْعَدُ لِي ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَبُعْدًا لِنَفْسِي ، قُلْتُ : مَا هِيَ ؟ فَحَرَّكَوْهَا ، فَإِذَا هِيَ
مَيِّتَةٌ فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذِهِ الْجَارِيَّةُ ؟ قَالُوا : جَارِيَّةٌ قُرَشِيَّةٌ مُصَابَةٌ ، وَكَانَ قَرِينُهَا يَمْنَعُهَا مِنَ
الطَّعَامِ ، وَكَانَتْ تَشْكُو إِلَيْنَا وَجَعًا بِجَوْفِهَا ، فَكُنَّا نَصِفُهَا لِلْأَطْبَاءِ ، فَتَقُولُ : خَلُّوا بَيْنِي

(١) انظر السير : (أحمد بن المعدل) ١١/٥١٩-٥٢١ ، وانظر النزعة : ٤/٩٦٤ .

(٢) القُبْرَةُ والقُبْرَةُ والقُبْرَةُ والقُبْرَةُ والقُبْرَةُ : عصفورة من فصيلة القُبْرِيَّاتِ ، ورتبة الجواثم المخروطية
المناقير ، سُمر في أعلاها ضاربة إلى بياض في أسفلها ، وعلى صدرها بقعة سوداء ، دائمة التفريد .

(٣) انظر السير : (ذو النون المصري) ١١/٥٣٢-٥٣٦ ، وانظر النزعة : ٣/٩٦٧ .

وَيَبْنَ الطَّيِّبِ الرَّاهِبِ - تَعْنِي أَحْمَدَ بْنَ أَبِي الْحَوَارِيِّ - أَشْكُو إِلَيْهِ بَعْضَ مَا أَجِدُ مِنْ بَلَائِي ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ شِفَائِي (١) .

٢٠- قِصَّةُ تَدُلُّ عَلَى الْمَرْوَةِ :

قال أحمدُ بنُ مهدي : جاءتني امرأةٌ ببغداد ليلةً ، فذكرت أنها من بناتِ النَّاسِ وأنها امتحنَت بمِحنةٍ ، وأسألك بالله أن تسترني فقد أكرهتُ على نفسي وأنا حُبلى ، وقلتُ إنَّكَ زَوْجِي فلا تفضخني فنكبتُ عنها ومضيتُ فلم أشعر حتى جاءَ إمامُ المَحَلَّةِ والجيران يُهتِّونِي بالولِدِ المِيمُونِ فأظهرتُ التَّهليلَ ووزنتُ في اليَوْمِ الثاني للإمامِ دينارين ، وقلتُ : أعطها نفقةً فقد فارقتها وكنتُ أعطيها في كلِّ شهرٍ دينارين حتى أتى على ذلك ستانِ فماتَ الطُّفْلُ وجاءني النَّاسُ يُعزُّونني فكنْتُ أظهرُ لهم التَّسليمَ والرِّضَا فجاءتني بعدَ أَيامٍ بالدنانيرِ فردَّتها ودعتُ لي ، فقلتُ : هذا الذَّهَبُ كانَ صلَّةً للولِدِ وقد ورثنيه وهو لك (٢) .

٢١- قِصَّةُ أَبِي حَاتِمِ الرَّازِي وَانْقِطَاعِهِ فِي رِحْلَتِهِ :

وقال ابنُ أبي حاتمِ الرَّازي : وسمعتُ أبي يقولُ : خرَجنا من المَدِينَةِ ، من عندِ داوُدَ الجَعْفَرِيِّ ، وصِرنا إلى الجارِ وركبنا البَحَرَ ، فكانتِ الرِّيحُ في وُجُوهِنا ، فبقينا في البَحْرِ ثلاثةَ أَشْهُرٍ ، وضاعتُ صُدُورُنا ، وفني ما كانَ مَعنا ، وخرَجنا إلى البرِّ نمشي أَياماً ، حتى فني ما تبقي مَعنا من الرِّادِ والماءِ ، فمَشينا يوماً لم نأكلْ ولم نَشربْ ، ويومَ الثاني ، ويومَ الثالثِ ، فلمَّا كانَ يَكُونُ المَساءُ صلَّينا ، وكُنَّا نلقِي بأنفُسنا حيثُ كُنَّا ، فلمَّا أَصَبَحنا في اليَوْمِ الثالثِ ، جعلنا نمشي على قَدَرِ طاقِنا ، وكُنَّا ثلاثةَ أنفُسٍ : شيخٌ نيسابُوريٌّ ، وأبو زهيرِ المَرُورُوذِي ، فسَقَطَ الشَّيخُ مَعْشياً عليه ، فجِئنا نُحرِّكُه وهو لا يَعْقِلُ ، فتركناه ، ومَشينا قَدَرَ فَرَسِخٍ ، فضَعُفتُ ، وسَقَطْتُ مَعْشياً عليَّ ، ومَضَى صاحبي يمشي فَبَصُرَ من بُعدٍ قوماً ، قَرَّبوا سَفِينَتَهُم من البرِّ ، ونزلوا على بئرِ موسى ،

(١) انظر السير : (أحمدُ بنُ أبي الحَوَارِيِّ) ١٢/٨٥-٩٤ ، وانظر النزهة : ١/٩٨٧ .

(٢) انظر السير : (أحمدُ بنُ مهدي) ١٢/٥٩٧-٥٩٨ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٣٨ .

فَلَمَّا عَايَنَهُمْ ، لَوَّحَ بِثَوْبِهِ إِلَيْهِمْ ، فَجَاوَزَهُ مَعَهُمْ مَاءٌ وَإِدَاوَةٌ^(١) ، فَسَقَوْهُ وَأَخَذُوا بِيَدِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : الْحَقُّوْا رَفِيقَيْنِ لِي ، فَمَا شَعُرْتُ إِلَّا بِرَجُلٍ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَيَّ وَجْهِي ، فَفَتَحْتُ عَيْنِي ، فَقُلْتُ : اسْقِنِي ، فَصَبَّ مِنَ الْمَاءِ فِي مَشْرَبَةٍ قَلِيلاً ، فَشَرِبْتُ ، وَرَجَعْتُ إِلَيَّ نَفْسِي ، ثُمَّ سَقَانِي قَلِيلاً ، وَأَخَذَ بِيَدِي ، فَقُلْتُ : وَرَائِي شَيْخٌ مُلْقَى ، فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَيْهِ ، وَأَخَذَ بِيَدِي ، وَأَنَا أَمْشِي وَأَجْرُ رَجُلِي ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ إِلَى عِنْدِ سَفِينَتِهِمْ ، وَأَتَوْا بِالشَّيْخِ ، وَأَحْسَنُوا إِلَيْنَا ، فَبَقِينَا أَيَّاماً حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْنَا أَنْفُسُنَا ، ثُمَّ كَتَبُوا لَنَا كِتَاباً إِلَى مَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا : رَايَةٌ^(٢) إِلَى وَالِيهِمْ ، وَزَوَّدُونَا مِنَ الْكَعَكِ وَالسَّوِيقِ وَالْمَاءِ فَلَمْ نَزَلْ نَمْشِي حَتَّى نَفْذَ مَا كَانَ مَعَنَا مِنَ الْمَاءِ وَالْقُوْتِ ، فَجَعَلْنَا نَمْشِي جِيَاعاً عَلَى شَطِّ الْبَحْرِ ، حَتَّى دَفَعْنَا إِلَى سُلْحَفَاةٍ مِثْلِ الثَّرَسِ ، فَعَمَدْنَا إِلَى حَجَرٍ كَبِيرٍ ، فَضَرَبْنَا عَلَى ظَهْرِهَا ، فَانْفَلَقَ ، فَإِذَا فِيهَا مِثْلُ صُفْرَةِ الْبَيْضِ ، فَتَحَسَّيْنَاهُ حَتَّى سَكَنَ عَنَّا الْجُوعُ ، ثُمَّ وَصَلْنَا إِلَى مَدِينَةِ الرَّايَةِ ، وَأَوْصَلْنَا الْكِتَابَ إِلَى عَامِلِهَا ، فَأَنْزَلْنَا فِي دَارِهِ ، فَكَانَ يُقَدِّمُ لَنَا كُلَّ يَوْمٍ الْقُرْعَ ، وَيَقُولُ لِخَادِمِهِ : هَاتِ لَهُمِ الْيَقْطِينَ الْمُبَارَكِ ، فَيُقَدِّمُهُ مَعَ الْخُبْزِ أَيَّاماً ، فَقَالَ وَاحِدٌ مَنَا : أَلَا تَدْعُو بِاللَّحْمِ الْمَشْوُومِ ؟! فَسَمِعَ صَاحِبُ الدَّارِ ، وَأَتَانَا بَعْدَ ذَلِكَ بِاللَّحْمِ ثُمَّ زَوَّدَنَا إِلَى مِصْرَ^(٣) .

٢٢- قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ :

وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الصَّفَّارِ : سَمِعْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي حَاتِمٍ يَقُولُ : وَقَعَ عِنْدَنَا الْغَلَاءُ ، فَأَنْفَذَ بَعْضُ أَصْدِقَائِي حُبُوباً مِنْ أَصْبَهَانَ ، فَبِعْتُهُ بَعْشَرِينَ أَلْفاً ، وَسَأَلَنِي أَنْ أَشْتَرِيَ لَهُ دَاراً عِنْدَنَا ، فَإِذَا جَاءَ يَنْزِلُ فِيهَا ، فَأَنْفَقْتُهَا فِي الْفُقَرَاءِ ، وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ : اشْتَرَيْتُ لَكَ بِهَا قَصِراً فِي الْجَنَّةِ ، فَبِعْتَ يَقُولُ : رَضِيتُ ، فَكَتَبْتُ عَلَيَّ نَفْسِكَ صَكّاً ، فَفَعَلْتُ ، فَأَرَيْتُ فِي الْمَنَامِ : قَدْ وَفَّقْنَا بِمَا ضَمِنْتَ ، وَلَا تَعُدْ لِمِثْلِ هَذَا^(٤) .

(١) الإِدَاوَةُ : الْمِطْهَرَةُ ، وَهِيَ إِذَا صَغِيرٌ يُحْمَلُ فِيهِ الْمَاءُ .

(٢) رَايَةٌ : مَجَلَّةٌ عَظِيمَةٌ بِسُطَّاطٍ مِصْرٍ وَهِيَ الْمَحَلَّةُ الَّتِي فِي وَسْطِهَا جَامِعُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ .

(٣) انظر السير : (أبو حاتم الرازي) ٢٤٧/١٣ - ٢٦٣ ، وانظر النزاهة : ١/١٠٧٦ .

(٤) انظر السير : (عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي) ٢٦٣/١٣ - ٢٦٩ ، وانظر النزاهة : ١/١٠٨٠ .

٢٣- قَصَصٌ مِنْ سِيرَةِ الْخَلِيفَةِ الْمُعْتَضِدِ :

جاءَ في تَرْجَمَتِهِ الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ الْعَبَّاسِيِّ ، قال أبو علي الْمُحْسِنُ التَّنُوخِيُّ : بَلَغَنِي عَنْ الْمُعْتَضِدِ أَنَّهُ كَانَ جَالِساً فِي بَيْتِ يُنَى لَهُ فَرَأَى فِيهِمْ أَسْوَدَ مُنْكَرِ الْخِلْقَةِ يَصْعَدُ السَّلَامَ دَرَجَتَيْنِ دَرَجَتَيْنِ ، وَيَحْمِلُ ضِعْفَ مَا يَحْمِلُهُ غَيْرُهُ ، فَأُنْكَرَ ذَلِكَ ، وَطَلَبَهُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ ، فِتَلَجَّلَجَ فَكَلَّمَهُ ابْنُ حَمْدُونَ فِيهِ ، وَقَالَ : مَنْ هَذَا حَتَّى صَرَفْتَ فِكْرَكَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ وَقَعَ فِي خَلْدِي أَمْرٌ مَا أَحْسَبُهُ بِاطِّلاً ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ ، فَضْرَبَ مِئَةً ، وَتَهَدَّدَهُ بِالْقَتْلِ وَدَعَا بِالنَّطْعِ^(١) وَالسَّيْفِ ، فَقَالَ : الْأَمَانُ ، أَنَا أَعْمَلُ فِي أَتُونِ الْأَجْرُ ، فَدَخَلَ مِنْ شُهُورِ رَجُلٍ فِي وَسْطِهِ هِمِّيَانٌ^(٢) ، فَأَخْرَجَ دَنَانِيرَ فَوُثِبَتْ عَلَيْهِ ، وَسَدَدَتْ فَاهُ ، وَكَتَمَتْهُ وَالْقَيْتَةَ فِي الْأَتُونِ ، وَالذَّهَبَ مَعِيَ يَقْوَى بِهِ قَلْبِي ، فَاسْتَحْضَرَهَا ، فَإِذَا عَلَى الْهِمِّيَانِ اسْمُ صَاحِبِهِ ، فَنُوْدِي فِي الْبَلَدِ ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ : هُوَ زَوْجِي وَلِي مِنْهُ طِفْلٌ ، فَسَلَّمَ الذَّهَبَ إِلَيْهَا ، وَقَتْلَهُ^(٣) .

وقال أبو علي الْمُحْسِنُ التَّنُوخِيُّ : وَبَلَغَنِي عَنْهُ أَيْضاً أَنَّ خَادِمًا أَتَاهُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ صَيَّادًا أَخْرَجَ شَبَكَتَهُ ، فَثَقُلَتْ ، فَجَذَبَهَا ، فَإِذَا فِيهَا جِرَابٌ ، فَظَنَّهُ مَالًا ، فَإِذَا فِيهِ أَجْرٌ بَيْنَهُ كَفَتْ مَخْضُوبَةً ، فَهَالَ ذَلِكَ الْمُعْتَضِدَ وَأَمَرَ الصَّيَّادَ ، فَعَاوَدَ الشَّبَكَةَ ، فَخَرَجَ جِرَابٌ آخَرُ فِيهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ : مَعِيَ فِي بَلَدِي مَنْ يَفْعَلُ هَذَا ؟ مَا هَذَا بِمُلْكٍ ! فَلَمْ يُفْطِرْ يَوْمَهُ ، ثُمَّ أَحْضَرَ ثِقَةً لَهُ ، وَأَعْطَاهُ الْجِرَابَ ، وَقَالَ : طُفْ بِهِ عَلَيَّ مَنْ يَعْمَلُ الْجُرْبَ : لِمَنْ بَاعَهُ ؟ فَغَابَ الرَّجُلُ ، وَجَاءَ وَقَدْ عَرَفَ بَائِعَهُ ، وَأَنَّهُ اشْتَرَى مِنْهُ عَطَارٌ جِرَابًا ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، اشْتَرَى مِنِّي فُلَانٌ الْهَاشِمِيُّ عَشْرَةَ جُرْبٍ ، وَهُوَ ظَالِمٌ إِلَيَّ أَنْ قَالَ : يَكْفِيكَ أَنَّهُ كَانَ يَعِشُقُ مُعْنِيَّةً ، فَاکْتَرَاهَا مِنْ مَوْلَاهَا ، وَادَّعَى أَنَّهَا هَرَبَتْ ! فَلَمَّا سَمِعَ الْمُعْتَضِدُ ذَلِكَ سَجَدَ ، وَأَحْضَرَ الْهَاشِمِيَّ ، فَأَخْرَجَ لَهُ الْيَدَ وَالرَّجْلَ ، فَاصْفَرَ وَاعْتَرَفَ ، فَدَفَعَ إِلَى

(١) النَّطْعُ : بَفَتْحِ النُّونِ وَكَسْرِهَا ، وَفَتْحِ الطَّاءِ وَكَسْرِهَا وَسُكُونِهَا : بَسَاطٌ مِنْ جِلْدٍ ، كَثِيرًا مَا كَانَ يُقْتَلُ فَوْقَ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ .

(٢) الْهِمِّيَانُ : كَيْسٌ لِلنَّفَقَةِ يُشَدُّ فِي الْوَسْطِ .

(٣) انظر السير : (الْمُعْتَضِدُ بِاللَّهِ) ١٣/٤٦٣-٤٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/١١٠٣ .

صاحبِ الجاريةِ ثمنها ، وسجنَ الهاشميَّ ، فيقالُ : قَتَلَهُ (١) .

قِيلَ : كان لتاجرٍ على أميرٍ مالٌ ، فمأطَلَهُ ، ثمَّ جَحَدَهُ ، فقال له صاحبٌ له : قُمْ معي ، فاتى بي خياطاً في مسجدٍ ، فقامَ مَعَنَا إلى الأميرِ ، فلَمَّا رآه ، هابَهُ ، ووقَّاني المالَ ، فقلتُ للخياطِ : خُذْ مِنِّي ما تُريدُ ، فغَضِبَ ، فقلتُ له : فحدَّثني عن سببِ خوفِهِ مِنكَ ، قال : خَرَجْتُ ليلةً ، فإذا بتركيٍّ قد صادَ امرأةً مَليحةً وهي تَمَنُّعُ منه وتَسْتَعِيثُ ، فأنكرتُ عليه فَضْرَبَنِي ، فلَمَّا صَلَّيْتُ العِشاءَ جَمَعْتُ أَصْحَابِي وجِئْتُ بابَهُ ، فخرَجَ في غِلْمَانِهِ وعَرَفَنِي ، فَضْرَبَنِي وشَجَّنِي ، وحَمِلْتُ إلى بيئتي ، فلَمَّا تَصَفَّ الليلُ ، قُمتُ فأذنتُ في المَنارَةِ ، لكي يَظُنَّ أَنَّ الفَجَرَ طَلَعَ فيُخَلِّي المرأةَ ، لأنَّها قالت رَؤُوجِي حالفٌ عليَّ بالطلاقِ أنِّي لا أبيتُ عن بيئتي ، فما نزلتُ حتى أحاطَ بي بدرٌ وأعوأتهُ ، فأدخلتُ على المُعْتَصِدِ ، فقال : ما هَذَا الأذَانُ !! ، فحدَّثتهُ بالقِصَّةِ ، فطَلَبَ التُّركيَّ ، وجَهَّزَ المرأةَ إلى بيئتها ، وضَرَبَ التُّركيَّ في جِوَالِقِ حتى ماتَ ، ثم قال لي : أَنْكَرَ المُنْكَرَ ، وما جَرَى عَلَيْكَ فأذُنُ كما أذنتُ ، فدَعَوْتُ له ، وشَاعَ الخَبْرُ ، فما خَاطَبْتُ أحداً في خُصْمِهِ إلاَّ أَطَاعَنِي وخَافَ (٢) .

٢٤- قِصَّةٌ جَمِيلَةٌ للقَاضِي أبي خَازِمِ :

عن مُكرَمِ بنِ بَكرٍ ، قالَ : كُنْتُ في مَجْلِسِ أبي خَازِمِ القَاضِي ، فَتَقَدَّمَ شَيْخٌ مَعَهُ غُلامٌ ، فَادَّعَى عَلَيْهِ بِألفِ دِينَارٍ ، فَأَقْرَأَ الحَدِيثَ ، فَقَالَ القَاضِي للشَّيْخِ : ما تَشَاءُ ؟ قالَ : حَبْسُهُ فَقَالَ لِلحَدِيثِ : قد سَمِعْتُ فَهَلْ تُوفِّيهِ البَعْضُ ؟ قالَ : لا فَفَكَّرَ سَاعَةً ، ثم قالَ : تَلَازَمَا حَتَّى أَنْظَرَ فَقُلْتُ : لِمَ أَخَرَّ القَاضِي الحَبْسَ ؟ قالَ : وَيَحْكُ ! إنِّي أَعْرِفُ في أَكْثَرِ الأَحْوالِ وَجْهَ المُحَقِّقِ مِنَ المُبْطِلِ ، وقد وَقَعَ لي أَنَّ سَمَاحَتَهُ بالإقْرارِ شَيءٌ بَعِيدٌ مِنَ الحَقِّ ، أَمَّا رَأْيَتِ قِلَّةَ تَغاضِبِهِما في المُحاورَةِ مع عِظَمِ المَمالِ ؟ فبَيْنما نَحْنُ كَذَلِكَ ، إِذْ اسْتَبَانَ الأَمْرُ ، فَأَسْتَأذَنَ تاجِرٌ مُوسِرٌ ، فَأذِنَ له القَاضِي ، فَدَخَلَ ، وقالَ : قد بُلِّيتُ بابِ

(١) انظر السير : (المُعْتَصِدُ بالله) ٤٦٣-٤٧٩ ، وانظر النزهة : ١/١١٠٤ .

(٢) انظر السير : (المعتمد بالله) ٤٦٣-٤٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/١١٠٦ .

لي حَدِّثْ ، يُتْلَفُ مَالِي عِنْدَ فُلَانٍ الْمُقْبِنِ ، فَإِذَا مَنَعْتُهُ مَالِي اِحْتَالَ بِحِيلٍ يُلَجِّنِي إِلَى التِّرَامِ غُرْمًا ، وَأَقْرَبُهُ أَنَّهُ نَصَبَ الْمُقْبِنَ الْيَوْمَ لِمُطَالَبَتِهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَأَقْعُ مَعَ أُمِّهِ - إِنْ حُبِسَ - فِي نَكَدٍ فَتَبَسَّمَ الْقَاضِي ، وَطَلَبَ الْغُلَامَ وَالشَّيْخَ ، فَأُدْخِلَا ، فَوَعِظَ الْغُلَامَ ، فَأَقْرَأَ الشَّيْخُ ، وَأَخَذَ التَّاجِرُ بِيَدِ ابْنِهِ ، وَانصَرَفَ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : قَدْ كَانَ الْمُعْتَصِدُ يَحْتَرِمُ أَبَا خَازِمٍ وَيُجَلِّهُ ، قِيلَ : إِنَّ أَبَا خَازِمٍ لَمَّا احْتَضَرَ بَكَى ، وَجَعَلَ يَقُولُ : يَا رَبِّ ! مِنْ الْقَضَاءِ إِلَى الْقَبْرِ . وَهوَ شِعْرُ رَافِقٍ .

مَاتَ بِيَعْدَادَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِثْنِينَ (١) .

٢٥- قِصَّةُ ابْنِ جَرِيرٍ وَابْنِ خُزَيْمَةَ فِي مِصْرَ :

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الصَّخَّافِ السَّجِسْتَانِيُّ ، سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسَ الْبُكْرِيَّ يَقُولُ : جَمَعَتِ الرَّحْلَةَ بَيْنَ ابْنِ جَرِيرٍ ، وَابْنِ خُزَيْمَةَ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ الْمَرْوَزِيِّ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ الرَّوْيَانِيِّ بِمِصْرَ ، فَأَزْمَلُوا وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مَا يَقْتُوتُهُمْ ، وَأَضْرَّ بِهِمُ الْجُوعُ فَاجْتَمَعُوا لَيْلَةً فِي مَنْزِلٍ كَانُوا يَأْوُونَ إِلَيْهِ ، فَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَسْتَهْمُوا وَيَضْرِبُوا الْقُرْعَةَ ، فَمَنْ خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ سَأَلَ لِأَصْحَابِهِ الطَّعَامَ فَخَرَجَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى ابْنِ خُزَيْمَةَ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ أَمْهَلُونِي حَتَّى أَصَلِّيَ صَلَاةَ الْخَيْرَةِ ، قَالَ : فَانْدَفَعْ فِي الصَّلَاةِ ، فَإِذَا هُمْ بِالشُّمُوعِ وَخَصِيٍّ مِنْ قِبَلِ وَالِي مِصْرَ يَدُقُّ الْبَابَ ، فَفَتَحُوا ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ ؟ فَقِيلَ : هُوَ ذَا ، فَأَخْرَجَ صُرَّةً فِيهَا خَمْسُونَ دِينَارًا ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَأَيُّكُمْ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ ؟ فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ دِينَارًا ، وَكَذَلِكَ لِلرَّوْيَانِيِّ ، وَابْنِ خُزَيْمَةَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الْأَمِيرَ كَانَ قَائِلًا (٢) بِالْأَمْسِ ، فَرَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّ الْمَحَامِدَ جِيَاعٌ قَدْ طَوَوْا كَسْحَهُمْ ، فَانْفَذَ إِلَيْكُمْ هَذِهِ الصُّرَرَةَ ، وَأَقْسَمَ عَلَيْكُمْ : إِذَا نَفَذَتْ فَابْعَثُوا إِلَيَّ أَحَدَكُمْ (٣) .

(١) انظر السير : (القاضي أبو خازم) ١٣/٥٣٩-٥٤١ ، وانظر النزهة : ٤/١١١٤ .

(٢) قائلاً : أي نائماً في القائلة ، وهي نصف النهار ، وفعله : قَالَ ، يَقْبَلُ .

(٣) انظر السير : (محمد بن جرير) ١٤/٢٦٧-٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٢/١١٥٠ .

٢٦- قِصَّةُ قَاضِيٍّ مَعَ امْرَأَةٍ فَاسِقَةٍ :

وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعٍ مِثَّةَ ظَفَرِ الْحَاكِمِ بِنِسَاءِ عَلِيِّ فَسَادٍ ، فَغَرَفَهُنَّ ، وَكَانَتِ الْغَاسِلَةُ لَا تَخْرُجُ إِلَى الْمَرْأَةِ إِلَّا مَعَ عَدْلَيْنِ ، وَمَرَّ الْقَاضِيُّ مَالِكُ بْنُ سَعِيدِ الْفَارَقِيِّ ، فَنَادَتْهُ صَبِيَّةٌ مِنْ رُوَزْنَةِ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِالْحَاكِمِ أَنْ تَقِفَ ، فَوَقَفَ ، فَبَكَتْ ، وَقَالَتْ : لِي أَخٌ يَمُوتُ ، فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا حَمَلْتَنِي إِلَيْهِ لِأَرَاهُ ، فَرَقَّ لَهَا وَبَعَثَ مَعَهَا عَدْلَيْنِ ، فَأَتَتْ بَيْتًا ، فَدَخَلَتْ ، وَالْبَيْتُ لِعَاشِقِهَا ، فَجَاءَ الزَّوْجُ ، فَسَأَلَ الْجِيرَانَ ، فَحَدَّثُوهُ ، فَجَاءَ إِلَى الْقَاضِيِّ وَصَاحَ ، وَقَالَ : لَا أَخَ لَهَا ، وَمَا أَفَارُقُكَ حَتَّى تَرُدَّهَا إِلَيَّ ، فَحَارَ الْقَاضِيُّ وَطَلَعَ بِالرَّجُلِ إِلَى الْحَاكِمِ ، وَنَادَى الْعَفْوَ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ مَعَ الشَّاهِدِينَ ، فَوَجَدُوا الْمَرْأَةَ وَالشَّابَّ فِي إِزَارٍ وَاحِدٍ عَلَى خُمَارٍ ، فَحَمَلَا عَلَى هَيْئَتِهِمَا فَسَأَلَهَا الْحَاكِمُ فَأَحَالَتْ عَلَى الشَّابِّ ، وَقَالَ : بَلْ هَجَمْتَ عَلَيَّ ، وَزَعَمْتَ أَنَّهَا بِلَا زَوْجٍ ، فَلَفَّتْ فِي بَارِيَّةٍ ، وَأُحْرِقَتْ ، وَضُرِبَ الشَّابُّ أَلْفَ سَوْطٍ .

وَوَلِيَ دِمَشْقَ لِلْحَاكِمِ عِدَّةُ أَمْرَاءَ مَا كَانَ يَدْعُ النَّائِبَ يَسْتَقِرُّ حَتَّى يَعْزَلَهُ (١) .

٢٧- قِصَّةُ دَعْلِجِ الْمُحَدَّثِ الْغَنِيِّ :

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَاعِظُ : أُوْدِعَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي مُوسَى الْهَاشِمِيُّ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ لِيَتِيمٍ ، فَضَاقَتْ يَدُهُ فَأَنْفَقَهَا وَكَبِرَ الصَّبِيُّ ، وَأُذِنَ لَهُ فِي قَبْضِ مَالِهِ ، قَالَ ابْنُ أَبِي مُوسَى : فَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ ، وَتَحَيَّرْتُ ، فَبَكَرْتُ عَلَى بَغْلَتِي ، وَقَصَدْتُ الْكَرْخَ فَانْتَهَيْتُ بِي الْبَغْلَةَ إِلَى دَرْبِ السُّلُولِيِّ وَوَقَفْتُ بِي عَلَى بَابِ مَسْجِدِ دَعْلِجٍ ، فَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ خَلْفَهُ الْفَجْرَ ، فَلَمَّا انْفَتَلَ رَحَّبَ بِي ، وَقُمْنَا فَدَخَلْنَا دَارَهُ ، فَقَدَّمَتْ لَنَا هَرَيْسَةً ، فَأَكَلْتُ وَقَصَّرْتُ ، فَقَالَ : أَرَأَيْكَ مُنْقَبِضًا ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : كُلْ فَإِنَّ حَاجَتَكَ تُقْضَى ، فَلَمَّا فَرَعْنَا ، اسْتَدْعَى بِالذَّهَبِ وَالْمِيزَانِ ، فَوَزَنَ لِي عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ وَقُمْتُ أُطِيرُ فَرَحًا ، ثُمَّ سَلَّمْتُ الْمَالَ إِلَى الصَّبِيِّ بِحَضْرَةِ قَاضِيِ الْقُضَاةِ ، وَعَظَّمُ الثَّنَاءُ عَلَيَّ ، فَلَمَّا عُدْتُ إِلَى مَنْزِلِي اسْتَدْعَانِي أَمِيرٌ مِنْ أَوْلَادِ الْخَلِيفَةِ فَقَالَ : قَدْ رَغِبْتُ فِي مُعَامَلَتِكَ

(١) انظر السير : (الحاكم) ١٧٣/١٥ - ١٨٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٠٩ .

وَتَضْمِينِكَ أَمْلاَكِي ، فَضَمَّنْتَهَا فَرَبِحْتُ فِي سِتِّي رِبْحاً عَظِيماً وَكَسَبْتُ فِي ثَلَاثِ سِنِينَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَحَمَلْتُ لِدَعْلَجِ الْمَالِ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَا نَوَيْتُ أَخْذَهَا ، حَلَّ بِهَا الصَّيَّيَانُ ، فَقُلْتُ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، أَيُّشْ أَصْلُ هَذَا الْمَالِ حَتَّى تَهَبَ لِي عَشْرَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ؟ فَقَالَ : نَشَأْتُ ، وَحَفَظْتُ الْقُرْآنَ ، وَطَلَبْتُ الْحَدِيثَ ، وَكُنْتُ أَتَبَرَّزُ ، فَوَافَانِي تَاجِرٌ مِنَ الْبَحْرِ فَقَالَ : أَنْتَ دَعْلَجٌ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ قَالَ : قَدْ رَغِبْتُ فِي تَسْلِيمِ مَالِي إِلَيْكَ مُضَارَبَةً ، فَسَلِّمْ إِلَيَّ بِرِنَامِجَاتٍ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ لِي : ابْسُطْ يَدَكَ فِيهِ وَلَا تَعْلَمْ مَكَاناً يُنْفَقُ فِيهِ الْمَتَاعُ إِلَّا حَمَلْتَهُ ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَرَدَّدُ إِلَيَّ سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ يَحْمِلُ إِلَيَّ مِثْلَ هَذَا وَالبِضَاعَةَ تَنْمَى ثُمَّ قَالَ : أَنَا كَثِيرُ الْأَسْفَارِ فِي الْبَحْرِ ، فَإِنْ هَلَكْتُ فَهَذَا الْمَالُ لَكَ عَلَى أَنْ تَصَدَّقَ مِنْهُ ، وَتَبْنِي الْمَسَاجِدَ ، فَأَنَا أَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا ، وَقَدْ ثَمَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَالَ فِي يَدِي ، فَارْتَمِمْ عَلَيَّ مَا عِشْتُ .

قال الحاكمُ : كان السلطانُ لا يتعرَّضُ لتركَةِ ، ثم لم يصبرُ عن أموالِ دَعْلَجِ ، وقيلَ : لم يكن في الدنيا أيسرُ منه من الثَّجَّارِ ، وتركوا أوقافه ، رحمه الله .

مات سنة إحدى وخمسين وثلاث ومئة^(١) .

٢٨- قِصَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ مَعَ صَنَمِ سُومَنَاتِ :

وَبَلَغَ السُّلْطَانُ أَنَّ الْهُنُودَ قَالُوا : أَخْرَبَ أَكْثَرَ بِلَادِ الْهِنْدِ غَضَبُ الصَّنَمِ الْكَبِيرِ سُومَنَاتِ عَلَى سَائِرِ الْأَصْنَامِ وَمَنْ حَوْلَهَا ، فَعَزَمَ عَلَى غَزْوِ هَذَا الْوَتَنِ ، وَسَارَ يَطْوِي الْقِفَارَ فِي جَيْشِهِ إِلَيْهِ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ : إِنَّهُ يَزُرُّهُ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ وَيَسْمَعُ وَيَعْيِي ، يَحْجُونَ إِلَيْهِ وَيُتَحَفُّونَهُ بِالنَّفَائِسِ ، وَيَتَغَارُّونَ فِيهِ كَثِيراً ، فَتَجَمَّعَ عِنْدَ هَذَا مَالٌ يَتَجَاوَزُ الْوَصْفَ ، وَكَانُوا يَغْسِلُونَهُ كُلَّ يَوْمٍ بِمَاءٍ وَعَسَلٍ وَلَبَنٍ ، وَيَنْقُلُونَ إِلَيْهِ الْمَاءَ مِنْ نَهْرٍ حَيْلَ مَسِيرَةِ شَهْرٍ ، وَثَلَاثُ مِئَةٍ يَخْلِقُونَ رُؤُوسَ حُجَّاجِهِ وَلِحَاهُمْ ، وَثَلَاثُ مِئَةٍ يُغْنُونَ فَسَارَ الْجَيْشُ مِنْ غَزْنَةِ ، وَقَطَعُوا مَفَازَةَ صَعْبَةً وَكَانُوا ثَلَاثِينَ أَلْفَ فَارِسٍ وَخَلَقًا مِنَ الرَّجَالَةِ وَالْمُطَوَّعَةِ ، وَقَوَى الْمُطَوَّعَةَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَنْفَقَ فِي الْجَيْشِ فَوْقَ الْكِفَايَةِ ،

(١) انظر السير : (دَعْلَجِ) ١٦/٣٠-٣٥ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٦٦ .

وارتَحَلَ من المِليَا ثانيَ يومِ الفِطْرِ سنَةَ أربعمائةِ وستَّةِ عَشْرَ ، وقاسُوا مَسَاقَ وبقُوا لا يَجِدُونَ المَاءَ إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثِ ، غَطَّاهُمْ فِي يَوْمِ صَبَابٍ عَظِيمٍ ، فقالتِ الكَفْرَةُ : هذا من فِعْلِ الإلَهِ سُومَنَاتِ .

ثمَّ نازَلَ مدينةَ أَنهْلَوَارَةَ ، وهَرَبَ مِلْكُهَا إلى جَزِيرَةٍ ، فأخْرَبَ المُسْلِمُونَ بِلَدَهُ ، ودَكُّوها ، وبينها وبينَ الصَّنَمِ مَسِيرَةُ شَهْرٍ في مَفَاوِزَ ، فسارُوا حتَّى نازَلُوا مدينةَ دَبُولوارَةَ ، وهي قَبْلَ الصَّنَمِ بيومينِ ، فأخَذَتِ عُنُودَهُ ، وكُسِرَتِ أَصْنَامُهَا ، وهي كثيرةُ الفِوَاكِهِ ، ثمَّ نازَلُوا سُومَنَاتِ في رابعِ عَشَرَ ذِي القِعدةِ ، ولها قَلْعَةٌ مَنيعَةٌ على البَحْرِ ، فوَقَعَ الحِصَارُ فنصِبَتِ السَّلَالِمُ عليها ، فهَرَبَ المُقاتِلَةُ إلى الصَّنَمِ وتَضَرَّعُوا له ، واشتَدَّ الحَالُ وهم يَظُنُّونَ أَنَّ الصَّنَمَ قد غَضِبَ عليهم ، وكان في بيتِ عَظِيمٍ مَنيعٍ على أَبوابِهِ السُّتُورُ الدِّيَابِجُ وعلى الصَّنَمِ من الحُلِيِّ والجِوَاهِرِ ما لا يُوصَفُ والقناديلُ تُضيءُ ليلًا ونهارًا ، على رَأْسِهِ تاجٌ لا يَقُومُ ، يَندهِشُ منه الناظِرُ ويَجْتَمِعُ عندهُ في عِيدِهِم نحوُ مِئَةِ ألفِ كافرٍ ، وهو على عَرشٍ بَدِيعِ الزَّخْرَفَةِ علُوُ خَمسةِ أَذْرُعَ ، وطُولُ الصَّنَمِ عَشْرَةُ أَذْرُعَ ، وله بيتٌ مالٍ فيه من النِّفائِسِ واللِّذَنِيبِ ما لا يُحصى ، ففَرَّقَ مَحْمُودٌ في الجُنْدِ مُعْظَمَ ذلكَ ، وزَعَرَ الصَّنَمَ بالمَعَاوِلِ ، فخرَّ صَريعًا ، وكانت فِرْقَةٌ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَنَاتِ ، وَأَنَّهُ تَحَوَّلَ بِنَفْسِهِ في أَيَّامِ الثُّبُوءِ من سَاحِلِ جُدَّةَ ، وَحَصَلَ بِهَذَا المَكانِ لِيُقَصَّدَ وَيُحَجَّ إليه مُعَارَضَةً لِلكَعْبَةِ ، فلَمَّا رآهُ الكُفَّارُ صَريعًا مَهينًا ، تَحَسَّرُوا وسَقَطَ في أَيْدِيهِم ، ثمَّ أُحْرِقَ حتَّى صارَ كِلْسًا ، وألْقِيَتِ النيرانُ في قُصُورِ القَلْعَةِ ، وقُتِلَ بها خَمسونَ ألفًا ، ثمَّ سارَ مَحْمُودٌ لِأَسْرِ المَلِكِ بِهِم ، ودَخَلُوا بالمَرَاكِبِ ، فهَرَبَ ، وافتتَحَ مَحْمُودٌ عِدَّةَ حُصُونٍ ومَدائِنَ ، وعادَ إلى غَزَنَةَ فدَخَلَهَا في ثامنِ صَفَرِ سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةَ ، ودانَتْ له المُلُوكُ ، فكانت مُدَّةُ الغَيْبَةِ مِئَةً وثلاثَةَ وستينَ يَوْمًا .

وقد حُطِبَ له بِالغُورِ وبخُرَّاسانِ والسُّنْدِ والهِندِ وناحيَةِ خِوارِزْمِ وبلخِ ، وهي من خُرَّاسانِ ، وبجُرْجانِ وطَبْرِستانِ والرِّيِّ والجِبَالِ ، وَأصْبَهانِ وأذَرْبِيجانِ وهَمْدانِ وأرْمِينِيَّةِ .

وكان مُكْرِمًا لِأَمْرائِهِ وأصحابِهِ ، وإذا نَقِمَ عاجِلَ ، وكان لا يَفْتَرُ ولا يَكادُ يَقْرُ وكان

يَعْتَقِدُ فِي الْخَلِيفَةِ ، وَيَخْضَعُ لَجَلَالِهِ ، وَيَحْمِلُ إِلَيْهِ قَنَاطِيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَكَانَ
إِلْبًا عَلَى الْقَرَامِطَةِ وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَعَلَى الْمُتَكَلِّمِينَ ، عَلَى بَدْعَةٍ فِيهِ فِيمَا قَبْلَ ، وَيَغْضَبُ
لِلْكَرَامِيَّةِ ، وَتَصَرَّفَهُ عَلَى الْأَخْلَاقِ الرَّكِيَّةِ ، وَكَانَ فِيهِ شِدَّةٌ وَطَاقَةٌ عَلَى الرَّعِيَّةِ ، وَلَكِنْ
كَانُوا فِي أَمْنٍ وَإِقَامَةِ سِيَاسَةٍ .

وَقَالَ مَحْمُودٌ يَوْمًا لِلْأَمِيرِ أَبِي طَاهِرِ السَّامَانِيِّ : كَمْ جَمَعَ أَبَاؤُكَ مِنَ الْجَوْهَرِ ؟ قَالَ :
سَمِعْتُ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ الْأَمِيرِ الرَّضِيِّ سَبْعَةُ أَرْطَالٍ فَسَجَدَ شُكْرًا وَقَالَ : أَنَا فِي خِزَانَتِي
سَبْعُونَ رَطْلًا^(١) .

٢٩- قِصَّةُ ابْنِ عَقِيلٍ وَعُقْدِ الْوُلُؤُ :

قَالَ أَبُو الْمُظَفَّرِ سِبْطُ بْنُ الْجَوْزِيِّ : حَكَى ابْنُ عَقِيلٍ عَنِ نَفْسِهِ قَالَ : حَجَجْتُ
فَالْتَقَطْتُ عُقْدَ لُؤْلُؤٍ فِي خَيْطِ أَحْمَرَ ، فَإِذَا شَيْخٌ أَعْمَى يَنْشُدُهُ ، وَيَبْدُلُ لِمَلْتَقِطِهِ مِئَةَ دِينَارٍ ،
فَرَدَدْتُهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : خُذْ الدَّنَانِيرَ ، فَاثْنَعْتُ وَخَرَجْتُ إِلَى الشَّامِ ، وَزُرْتُ الْقُدْسَ ،
وَقَصَدْتُ بَغْدَادَ ، فَأَوَيْتُ بِحَلَبٍ إِلَى مَسْجِدٍ وَأَنَا بَرْدَانُ جَائِعٌ ، فَقَدَّمُونِي ، فَصَلَّيْتُ
بِهِمْ ، فَأَطْعَمُونِي ، وَكَانَ أَوَّلُ رَمَضَانَ فَقَالُوا : إِمَامُنَا تُوفِّيَ فَصَلِّ بِنَا هَذَا الشَّهْرَ ،
فَفَعَلْتُ : فَقَالُوا : لِإِمَامِنَا بِنْتٌ ، فَزَوَّجْتُ بِهَا ، فَأَقَمْتُ مَعَهَا سَنَةً ، وَأَوْلَدْتُهَا وَلَدًا ذَكَرًا
فَمَرَّضْتُ فِي نَفَاسِهَا ، فَتَأَمَّلْتُهَا يَوْمًا فَإِذَا فِي عُنُقِهَا الْعُقْدُ بَعَيْنِهِ بِخَيْطِهِ الْأَحْمَرَ فَقُلْتُ لَهَا :
لِهَذَا قِصَّةٌ وَحَكِيَّتٌ لَهَا ، فَبَكَتْ ، وَقَالَتْ : أَنْتَ هُوَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ أَبِي يَبْكِي ،
وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ ارْزُقْ بِنْتِي مِثْلَ الَّذِي رَدَّ الْعُقْدَ عَلَيَّ وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ مِنْهُ ، ثُمَّ مَاتَتْ ،
فَأَخَذْتُ الْعُقْدَ وَالْمِيرَاثَ ، وَعُدْتُ إِلَى بَغْدَادَ^(٢) .

٣٠- قِصَّةُ الرَّجُلِ الصَّالِحِ وَالْحِنِّيِّ :

وَحَكَى ابْنُ عَقِيلٍ عَنِ نَفْسِهِ قَالَ : كَانَ عِنْدَنَا بِالظَّفَرِيَّةِ دَارٌ ، كُلَّمَا سَكَنَهَا نَاسٌ
أَصْبَحُوا مَوْتَى فَجَاءَ مَرَّةً رَجُلٌ مُقْرَى ، فَاكْتَرَاهَا ، وَارْتَضَى بِهَا ، فَبَاتَ بِهَا وَأَصْبَحَ

(١) انظر السير : (السُّلْطَان) ١٧ / ٤٨٣ - ٤٩٥ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٣٥٣ .

(٢) انظر السير : (ابْنُ عَقِيلٍ) ١٩ / ٤٤٣ - ٤٥١ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٤٩٨ .

سَالِمًا ، فَعَجِبَ الْجِيرَانُ ، وَأَقَامَ مُدَّةً ، ثُمَّ انْتَقَلَ ، فَسُئِلَ فَقَالَ : لَمَّا بَثُّ بِهَا ، صَلَّيْتُ الْعِشَاءَ ، وَقَرَأْتُ شَيْئًا ، وَإِذَا شَابُّ قَدْ صَعَدَ مِنَ الْبَيْتِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيَّ ، فُبِهْتُ ، فَقَالَ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ، عَلَّمَنِي شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ ، فَشَرَعْتُ أَعَلِّمُهُ ، ثُمَّ قُلْتُ : هَلْ هَذَا الدَّارُ كَيْفَ حَدِيثُهَا ؟ قَالَ : نَحْنُ جِنٌّ مُسْلِمُونَ ، نَقْرَأُ وَنُصَلِّي ، وَهَلْ هَذَا الدَّارُ مَا يَكْتَرِيهَا إِلَّا الْفُسَّاقُ فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى الْحَمْرِ ، فَنَخْنُقُهُمْ ، قُلْتُ : فِي اللَّيْلِ أَحَافُكَ ، فَجِيءَ نَهَارًا ، قَالَ : نَعَمْ ، فَكَانَ يَصْعَدُ مِنَ الْبَيْتِ فِي النَّهَارِ ، وَالْفُتَيْهَ فَبَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ ، إِذَا بِمُعَزِّمٍ فِي الدَّرْبِ يَقُولُ : الْمُرْقِي مِنَ الدَّبِيبِ ، وَمَنْ الْعَيْنِ وَمَنْ الْجِنِّ ، فَقَالَ : أَيُّشِ هَذَا ؟ قُلْتُ : مُعَزِّمٌ ، قَالَ : اطْلُبْهُ ، فَقُمْتُ وَأَدْخَلْتُهُ ، فَإِذَا بِالْجِنِّيِّ قَدْ صَارَ تُعْبَانًا فِي السَّقْفِ ، فَعَزَمَ الرَّجُلُ ، فَمَا زَالَ التُّعْبَانُ يَتَدَلَّى حَتَّى سَقَطَ فِي وَسْطِ الْمِنْدَلِ ، فَقَامَ لِيَأْخُذَهُ وَيَضَعَهُ فِي الزَّنْبِيلِ ، فَمَنَعْتُهُ ، فَقَالَ : أَتَمْنَعُنِي مِنْ صَيْدِي ؟! فَأَعْطَيْتُهُ دِينَارًا وَرَاحَ ، فَانْتَفَضَ التُّعْبَانُ ، وَخَرَجَ الْجِنِّيُّ ، وَقَدْ ضَعُفَ وَاصْفَرَ وَذَابَ ، فَقُلْتُ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : قَتَلَنِي هَذَا بِهِذِهِ الْأَسَامِي ، وَمَا أَطْنُنِي أَفْلَحَ ، فَاجْعَلْ بِالكَ اللَّيْلَةَ مَتَى سَمِعْتَ فِي الْبَيْتِ صُرَاخًا ، فَانْهَزِمْ ، قَالَ : فَسَمِعْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ النَّعْيَ فَانْهَزَمْتُ قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ : وَامْتَنَعَ أَحَدٌ أَنْ يَسْكُنَ تِلْكَ الدَّارَ بَعْدَهَا^(١) .

* * *

(١) انظر السير : (ابن عَقِيل) ١٩/٤٤٣-٤٥١ ، وانظر النزهة : ١/١٤٩٩ .

(١٨) كوارثُ حَدَّثَتْ فِي بَعْضِ الْأَقْطَارِ

١- كوارثُ كُونِيَّةٍ :

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الخَلِيفَةِ العَبَّاسِيِّ المُتَوَكِّلِ عَلى اللهِ : وَفِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَمِئَتِينَ فِيهَا سَمِعَ أَهْلُ خِلَاطٍ^(١) صَيْحَةً مِنَ السَّمَاءِ مَاتَ مِنْهَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ^(٢) .

وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتِينَ مَاجَتِ النَّجُومُ ، وَتَنَائَرَتِ شِبْهَةُ الجَرَادِ أَكْثَرَ اللَّيْلِ فَكَانَ ذَلِكَ آيَةً مُزْعِجَةً^(٣) .

وَدَخَلَ الإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ الطَّرْطُوشِيُّ بَغْدَادَ فِي حَيَاةِ أَبِي نَصْرِ الزُّنْبِيِّ ، وَأَظْنَهُ سَمِعَ مِنْهُ ، وَقَالَ : رَأَيْتُ بِهَا آيَةً فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ بَعْدَ العَصْرِ ، فَسَمِعْنَا دَوِيًّا عَظِيمًا وَأَقْبَلَ ظَلَامٌ ، فَإِذَا رِيحٌ لَمْ أَرِ مِثْلَهَا ، سَوْدَاءُ ثَخِينَةٌ ، فَاسْوَدَّ النَّهَارُ ، وَذَهَبَتْ آثَارُهُ ، وَذَهَبَ أَثَرُ الشَّمْسِ ، وَبَقِينَا كَأَنَّنا فِي أَشَدِّ ظُلْمَةٍ ، لَا يُبْصِرُ أَحَدٌ يَدَهُ ، وَمَاجَ النَّاسُ ، وَلَمْ نَشُكْ أَنَّهَا القِيَامَةُ أَوْ حَسْفٌ ، أَوْ عَذَابٌ قَدْ نَزَلَ ، وَبَقِيَ الأَمْرُ كَذَلِكَ قَدْرَ مَا يَنْضَجُ الخُبْزُ ، وَرَجَعَ السَّوَادُ حُمْرَةً كَلَهَبِ النَّارِ ، أَوْ جَمْرًا يَتَوَقَّدُ ، فَلَمْ نَشُكْ حِينَئِذٍ أَنَّهَا نَارٌ أَرْسَلَهَا اللهُ عَلى العِبَادِ ، وَأَيْسَنَا مِنَ النَّجَاةِ ، ثُمَّ مَكَثَتْ أَقَلَّ مِنْ مُكْثِ الظَّلَامِ ، وَتَجَلَّتْ بِحَمْدِ اللهِ عَن سَلَامَةٍ ، وَنَهَبَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الأَسْوَاقِ ، وَخَطَفُوا العَمَائِمَ وَالمَتَاعَ ، ثُمَّ طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، وَبَقِيَتْ سَاعَةٌ إِلَى العُرُوبِ .

وَلِلطَّرْطُوشِيِّ مُؤَلَّفٌ فِي تَحْرِيمِ العِنَاءِ ، وَكِتَابٌ فِي الزُّهْدِ ، وَتَعْلِيقَةٌ فِي الخِلَافِ ، وَمُؤَلَّفٌ فِي البِدْعِ ، وَالحَوَادِثِ ، وَبِرِّ الوَالِدِينَ ، وَالرَّدِّ عَلَى اليَهُودِ ، وَالعَمَدِ فِي الأَصُولِ ، وَأَشْيَاءَ .

(١) هي قصبة أرمينية الوسطى .

(٢) انظر السير : (المُتَوَكِّلُ عَلَى اللهِ) ١٢/٣٠-٤١ ، وانظر النزهة : ٤/٩٧٨ .

(٣) انظر السير : (المُتَوَكِّلُ عَلَى اللهِ) ١٢/٣٠-٤١ ، وانظر النزهة : ٥/٩٧٨ .

تُوفِّي بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ سَنَةَ عِشْرِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ ، رَحِمَهُ اللهُ (١) .

وفي سَنَةِ ثَلَاثِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ زُلْزِلَتِ الْمَوْصِلُ وَشَهْرُ زُور ، وَتَرَدَّدَتِ الزَّلْزَلَةُ عَلَيْهِمْ نَيْقًا وَثَلَاثِينَ يَوْمًا ، وَخَرِبَ أَكْثَرُ قُرَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَانْخَسَفَ الْقَمَرُ فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ ، وَجَاءَ بِالْمَوْصِلِ بَرْدٌ عَظِيمٌ زَنَةُ الْوَاحِدَةِ مِثَّتَا دِرْهَمٍ وَأَقْلَ فَأَهْلَكَ الدَّوَابَّ .
وفي رَجَبٍ مِنْهَا تُوفِّيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الظَّاهِرُ ، فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفًا ، رَحِمَهُ اللهُ ، وَعَاشَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَبَايَعُوا وَلَدَهُ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ أَبُو جَعْفَرٍ (٢) .

٢- زَلَازِل :

وفي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِثَّتَيْنِ كَانَتِ الزَّلْزَلَةُ بِقَوْمِس ، وَالْدَّامَغَانَ ، وَالرَّيِّ ، وَطَبْرِسْتَانَ ، وَنِيسَابُورَ ، وَأَصْبَهَانَ ، وَهَلَكَ مِنْهَا بِضْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا ، وَانْهَدَّ نِصْفُ مَدِينَةِ الدَّامَغَانَ (٣) .

وفي سَنَةِ خَمْسِ وَأَرْبَعِينَ وَمِثَّتَيْنِ عَمَّتِ الزَّلْزَلَةُ الدُّنْيَا ، وَمَاتَ مِنْهَا خَلَائِقُ وَبَنَى الْمُتَوَكِّلُ الْمَاحِوزَةَ ، وَسَمَّاهَا الْجَعْفَرِيَّ ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهَا بَعْدَ مُعَاوَنَةِ الْجَيْشِ لَهُ أَلْفِي أَلْفِ دِينَارٍ ، وَتَحَوَّلَ إِلَيْهَا ، وَفِيهَا (٤) وَقَعَ بِنَاحِيَةِ بَلْخِ مَطَرٌ كَالدَّمِ الْعَبِيطِ (٥) .

وفي سَنَةِ ثَلَاثِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ زُلْزِلَتِ الْمَوْصِلُ وَشَهْرُ زُور ، وَتَرَدَّدَتِ الزَّلْزَلَةُ عَلَيْهِمْ نَيْقًا وَثَلَاثِينَ يَوْمًا ، وَخَرِبَ أَكْثَرُ قُرَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَانْخَسَفَ الْقَمَرُ فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ ، وَجَاءَ بِالْمَوْصِلِ بَرْدٌ عَظِيمٌ زَنَةُ الْوَاحِدَةِ مِثَّتَا دِرْهَمٍ وَأَقْلَ فَأَهْلَكَ الدَّوَابَّ .
وفي رَجَبٍ مِنْهَا تُوفِّيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الظَّاهِرُ ، فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفًا ، رَحِمَهُ اللهُ ، وَعَاشَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَبَايَعُوا وَلَدَهُ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ أَبُو جَعْفَرٍ (٦) .

-
- (١) انظر السير : (الطُّرُطُوشِيُّ) ١٩ / ٤٩٠-٤٩٦ ، وانظر النزهة : ١ / ١٥٠١ .
 - (٢) انظر السير : (الظَّاهِرُ بِأَمْرِ اللَّهِ) ٢٢ / ٢٦٤-٢٦٨ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٦٩١ .
 - (٣) انظر السير : (الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ) ١٢ / ٣٠-٤١ ، وانظر النزهة : ٦ / ٩٧٨ .
 - (٤) أي فِي سَنَةِ خَمْسِ وَأَرْبَعِينَ وَمِثَّتَيْنِ .
 - (٥) انظر السير : (الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ) ١٢ / ٣٠-٤١ ، وانظر النزهة : ٧ / ٩٧٨ .
 - (٦) انظر السير : (الظَّاهِرُ بِأَمْرِ اللَّهِ) ٢٢ / ٢٦٤-٢٦٨ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٦٩١ .

٣- حَرَاتِقُ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَأْمُونِ : وَفِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةَ وَمِثْتَيْنِ وَقَعَ حَرِيقٌ عَظِيمٌ بِالْبَصْرَةِ أَذْهَبَ أَكْثَرَهَا^(١) .

٤- غَرَقُ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْقَائِمِ الْعَبَّاسِيِّ : وَفِي سَنَةِ أَرْبَعِ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةِ زَوْجِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْقَائِمِ بِنْتِهِ بِطُغْرُبُكٍ بَعْدَ اسْتِغْفَاءٍ وَكُرْهِ ، وَغَرِقَتْ بَغْدَادُ ، وَبَلَغَ الْمَاءُ أَحْدَا وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا^(٢) .

وَفِي سَنَةِ سِتِّ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِ مِئَةِ غَرِقَتْ بَغْدَادُ ، وَأُقِيمَتِ الْجُمُعَةُ فِي السُّفْنِ مَرَّتَيْنِ ، وَهَلَكَ خَلْقٌ لَا يُحْصَوْنَ ، حَتَّى لَقِيَ : إِنَّ الْمَاءَ بَلَغَ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا ، حَتَّى لَقِيَ سِبْطُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ : وَانْهَدَمَتْ مِئَةُ أَلْفِ دَارٍ^(٣) .

٥- مَجَاعَاتٌ وَأُوبِيَّةٌ :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْمُعْتَصِمِ : وَفِي سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَمِثْتَيْنِ كَانَ الْوَبَاءُ الْمُنْفِرُطُ وَالْقَحْطُ بِمِصْرَ ، وَمَاتَ أَكْثَرُهُمْ^(٤) .

وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِثْتَيْنِ : غَارَتِ مِيَاهُ طَبْرِسْتَانَ ، حَتَّى لَابَيْعَ الْمَاءُ ثَلَاثَةَ أَرْطَالٍ بَدْرَهُمْ ، وَجَاعُوا ، وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ^(٥) .

وَفِي سَنَةِ ثَمَانِ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةِ كَانَ بِالْأَنْدَلُسِ الْقَحْطُ مَا سُمِعَ بِمِثْلِهِ ، وَيُسْمَوْنَ الْجُوعَ الْكَبِيرَ ، وَكَانَ بِمِصْرَ الْقَحْطُ وَالْفَنَاءُ^(٦) .

-
- (١) انظر السير : (المأمون) ٢٧٢/١٠-٢٩٠ ، وانظر النزهة : ٣/٨٧٨ .
 - (٢) انظر السير : (القائم) ٣٠٧/١٨-٣١٨ ، وانظر النزهة : ١/١٤١٨ .
 - (٣) انظر السير : (القائم) ٣٠٧/١٨-٣١٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٤١٨ .
 - (٤) انظر السير : (المعتصم) ٢٩٠/١٠-٣٠٦ ، وانظر النزهة : ٧/٨٧٨ .
 - (٥) انظر السير : (المعتضد بالله) ٤٦٣/١٣-٤٧٩ ، وانظر النزهة : ٣/١١٠٧ .
 - (٦) انظر السير : (المستنصر بالله) ١٨٦/١٥-١٩٦ ، وانظر النزهة : ١/١٢١٢ .

وكان غلاءً مُفْرطاً يَبْغِدَادَ وَفَنَاءً ، وَأَمَّا بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ فَتَجَاوَزَ الْوَصْفَ .

وفي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ كَانَ حَرِيقُ جَامِعِ دِمَشْقَ ، وَدَثِرَتْ مَحَاسِنُهُ
وَاحْتَرَقَتِ الْخَضْرَاءُ مَعَهُ - وَكَانَتْ دَارَ الْمُلْكِ - مِنْ حَرْبٍ وَقَعَ بَيْنَ عَسْكَرِ الْعِرَاقِ ،
وَعَسْكَرِ مِصْرَ .

وفي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ ، قُطِعَتْ مِنْ مَكَّةَ الدَّعْوَةُ الْمُسْتَنْصِرِيَّةَ وَحُطِبَ
لِلْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَتُرِكَ الْأَذَانُ بِـ « حَيِّ عَلَيَّ خَيْرِ الْعَمَلِ » وَذَلِكَ لِذِلَّةِ الْمِصْرِيِّينَ بِالْقَحْطِ
الْأَكْبَرِ وَفَنَائِهِمْ وَأَكَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَتَمَزَّقُوا فِي الْبِلَادِ مِنَ الْجُوعِ ، وَتَمَحَّقَتْ خَزَائِنُ
الْمُسْتَنْصِرِ ، وَافْتَقَرَ ، وَتَعَثَّرَ ^(١) .

وفي هذه التَّوْبَةِ نَقَلَ صَاحِبُ « الْمِرْآةِ » أَنَّ امْرَأَةً خَرَجَتْ وَبِيَدِهَا مِئَةٌ لَوْلُو لَتَشْتَرِي بِهِ
مِئَةَ قَمْحٍ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا أَحَدٌ ، فَرَمَتْهُ فَمَا كَانَ لَهُ مَنْ يَلْتَقِطُهُ ، فَكَادَ الْخَرَابُ أَنْ
يَسْتَوْلِيَ عَلَى سَائِرِ الْأَقَالِيمِ ، حَتَّى لِأَبِيَعِ الْكَلْبِ بَسِئَةَ دَنَانِيرَ وَالْقِطُّ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ ، حَتَّى
أَبِيَعَ الْإِرْدَبُ بِمِئَةِ دِينَارٍ ^(٢) .

قال ابن الأثير : اشْتَدَّ الْغَلَاءُ حَتَّى حُكِيَ أَنَّ امْرَأَةً أَكَلَتْ رَغِيْفًا بِأَلْفِ دِينَارٍ ، بَاعَتْ
عَرُوضاً تُسَاوِي أَلْفَ دِينَارٍ بِثَلَاثِ مِئَةِ دِينَارٍ ، فَاشْتَرَتْ بِهِ جُوالِقَ ^(٣) قَمْحٍ ، فَانْتَهَبَهُ
النَّاسُ ، فَنَهَبَتْ هِيَ مِنْهُ فَحَصَلَ لَهَا مَا خُبِرَ رَغِيْفًا ^(٤) .

وفي دَوْلَةِ الْمُسْتَنْصِرِ وَقَعَ الْقَحْطُ الْمَذْكُورُ لِاحْتِرَاقِ النَّيْلِ الَّذِي مَا عُهِدَ مِثْلُهُ بِمِصْرَ
مِنْ زَمَنِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَدَامَ سَنَوَاتٍ بَحِيثٌ إِنَّ وَالِدَةَ الْمُسْتَنْصِرِ وَبَنَاتِهِ سَافَرْنَ مِنْ
مِصْرَ خَوْفًا مِنَ الْجُوعِ ، وَآلَ امْرَأَتِهِ إِلَى عَدَمِ كُلِّ الدَّوَابِّ بِبِلَادِ مِصْرَ ، بِحَيْثُ بَقِيَ لَهُ فَرَسٌ
يَرْكَبُهَا ، وَاحْتِاجَ إِلَى دَابَّةٍ يَرْكَبُهَا حَامِلُ الْجِثْرِ ^(٥) يَوْمَ الْعِيدِ وَرَاءَهُمْ ، فَمَا وَجَدُوا سِوَى

(١) انظر السير : (المُستَنْصِرِ بالله) ١٥/١٨٦-١٩٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٢١٢ .

(٢) انظر السير : (المُستَنْصِرِ بالله) ١٥/١٨٦-١٩٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٢١٢ .

(٣) وعاء من صوف أو غيره ، جمعه : جوالق - بفتح الجيم ، وهو عند العامة (شوال)

(٤) انظر السير : (المُستَنْصِرِ بالله) ١٥/١٨٦-١٩٦ ، وانظر النزهة : ٤/١٢١٢ .

(٥) الجِثْرُ : بكسر الجيم ، المظلة .

بَعْلَةَ ابْنِ هَبَةَ كَاتِبِ السِّرِّ فَوَقَفَتْ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ ، فَازْدَحَمَ عَلَيْهَا الْحَرَّاشِفَةُ^(١) وَذَبَّحُوهَا
وَأَكَلُوهَا فِي الْحَالِ ، فَأَخَذَهُمُ الْأَعْوَانُ وَشَبِقُوا ، فَأَصْبَحَتْ عِظَامُهُمْ عَلَى الْجُدُوعِ قَدْ
أَكَلُوا تَحْتَ اللَّيْلِ .

مَاتَ الْمُسْتَنْصِرُ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ ، وَقَدْ قَارَبَ السَّبْعِينَ ، وَكَانَ سَبْتُ
الصَّحَابَةِ فَاشِيًّا فِي أَيَّامِهِ ، وَالسَّنَةُ غَرِيبَةٌ مَكْتُومَةٌ ، حَتَّى إِنَّهُمْ مَنَعُوا الْحَافِظَ أَبَا إِسْحَاقَ
الْحَبَّالَ مِنْ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ ، وَهَدَّدُوهُ فَاْمْتَنَعَ ، ثُمَّ قَامَ بَعْدَ الْمُسْتَنْصِرِ ابْنُهُ أَحْمَدُ^(٢) .

وَفِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ ، كَانَ الْقَحْطُ عَظِيمًا بِمِصْرَ وَبِالْأَنْدَلُسِ ،
وَمَا عُهُدَ قَحْطٌ وَلَا وِبَاءٌ مِثْلُهُ بِقَرْطَبَةَ ، حَتَّى بَقِيَتِ الْمَسَاجِدُ مُغْلَقَةً بِلا مُصَلٍّ وَسُمِّيَ عَامَ
الْجُوعِ الْكَبِيرِ^(٣) .

وَفِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ أَخَذَ طُغْرُوبُكُ الْمَوْصِلَ ، وَسَلَّمَهَا إِلَى أَخِيهِ يَنَالَ
وَكَتَبَ فِي أَلْقَابِهِ : مَلِكُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَفِيهَا كَانَ الْجُوعُ الْمُفْرِطُ بِبَغْدَادَ وَالْفَنَاءُ ،
وَكَذَلِكَ بِبُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ حَتَّى يُقَالَ : هَلَكَ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ أَلْفُ أَلْفٍ وَسِتُّ مِئَةٍ
أَلْفٍ^(٤) .

وَاشْتَدَّ بِإِفْرِيقِيَّةِ الْقَحْطُ ، لَا بَلْ كَانَ الْقَحْطُ عَامًا ، فَقَالَ الْمُؤَيَّدُ عِمَادُ الدِّينِ : فِيهَا
كَانَ الْغَلَاءُ الْعَامُّ مِنْ خُرَّاسَانَ إِلَى الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ^(٥) .

* * *

(١) كَالشُّطَارِ وَالْعِيَارِينَ فِي بَغْدَادِ .

(٢) انظُر السِّيرَ : (الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ) ١٥/١٨٦-١٩٦ ، وَانظُرِ النَّزْهَةَ : ٥/١٢١٢ .

(٣) انظُرِ السِّيرَ : (الْقَائِمُ) ١٨/٣٠٧-٣١٨ ، وَانظُرِ النَّزْهَةَ : ٥/١٤١٧ .

(٤) انظُرِ السِّيرَ : (الْقَائِمُ) ١٨/٣٠٧-٣١٨ ، وَانظُرِ النَّزْهَةَ : ٦/١٤١٧ .

(٥) انظُرِ السِّيرَ : (الْمُقْتَفِي لِأَمْرِ اللَّهِ) ٢٠/٣٩٩-٤١٢ ، وَانظُرِ النَّزْهَةَ : ٥/١٥٦٨ .

(١٩) عُيُونُ السُّلْطَانِ

١- شِدَّةُ تَحَرُّزِ الْإِنْسَانِ فِي الْكَلَامِ أَمَامَهُمْ :

عن حاتم الأصم قال : لو أن صاحب خبر جلس إليك ، لكنت تتحرز منه ، وكلامك يعرض على الله فلا تتحرز!!^(١) .

٢- الْحَدْرُ مِنْهُمْ :

قال ابن الأثير في أول « جامع الأصول » وكان الإمام النسائي شافِعياً ، له مناسك على مذهب الشافعي ، وكان ورعاً متحرّياً ، قيل : إنه أتى الحارث بن مسكين في زي أنكره ، عليه قلنسوة وقباء ، وكان الحارث خائفاً من أمور تتعلق بالسلطان فخاف أن يكون عيناً عليه ، فمَنَعَهُ ، فكان يجيء فيقعد خلف الباب ويسمع ، ولذلك ما قال : حدثنا الحارث ، وإنما يقول : قال الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع .

قال ابن الأثير : وسأل أمير أبا عبد الرحمن عن سننه : أصحيح كله ؟ قال : لا قال : فاكثب لنا منه الصحيح ، فجرد المجتنب^(٢) .

قال الإمام الذهبي معقباً : هذا لم يصح ، بل « المجتنب » اختيار ابن السني .

قال الحافظ ابن طاهر : سألت سعد بن علي الزنجاني عن رجل ، فوثقه فقلت : قد ضعفه النسائي ، فقال : يا بُني ! إن لأبي عبد الرحمن شرطاً في الرجال أشد من شرط البخاري ومسلم .

قال الإمام الذهبي معقباً : صدق ، فإنه لئن جماعة من رجال صحيح البخاري ومسلم .

قال محمد بن المظفر الحافظ : سمعت مشايخنا بمصر يصفون اجتهاد النسائي في

(١) انظر السير : (حاتم الأصم) ١١ / ٤٨٤ - ٤٨٧ ، وانظر النزعة : ١ / ٩٦١ .

(٢) كذا الأصل « المجتنب » بالنون ، وهو في « جامع الأصول » المجتنب بالياء ، وكلاهما صحيح .

العِبَادَةَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الْفِدَاءِ مَعَ أَمِيرِ مِصْرَ فُوصِفَ مِنْ شَهَامَتِهِ وَإِقَامَتِهِ السُّنَنَ الْمَأْتُورَةَ فِي فِدَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَاحْتِرَازِهِ عَنِ مَجَالِسِ السُّلْطَانِ الَّذِي خَرَجَ مَعَهُ ، وَالانْبِسَاطِ فِي الْمَأْكَلِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبَهُ إِلَى أَنْ اسْتَشْهَدَ بِدِمَشْقَ مِنْ جِهَةِ الْخَوَارِجِ (١) .

٣- صُورٌ عَلَى انْبِثَائِهِمْ بَيْنَ النَّاسِ :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ رَجَاءَ بْنِ حَيَّوَةَ فَتَذَاكَرْنَا شُكْرَ النَّعْمِ فَقَالَ : مَا أَحَدٌ يَقُومُ بِشُكْرِ نِعْمَةٍ ، وَخَلَفْنَا رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ كِسَاءً ، فَقَالَ : وَلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقُلْنَا : وَمَا ذَكَرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هُنَا وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ قَالَ فَعَفَلْنَا عَنْهُ ، فَالْتَمَعَتْ رَجَاءُ فَلَمْ يَرَهُ فَقَالَ : أُتَيْتُمْ مِنْ صَاحِبِ الْكِسَاءِ فَإِنْ دُعِيتُمْ فَاسْتَحْلِفْتُمْ فَاحْلِفُوا ، قَالَ : فَمَا عَلِمْنَا إِلَّا بِحَرْسِيٍّ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيَّ ، قَالَ : هِيَ يَا رَجَاءُ ، يُذَكِّرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَا تَحْتَجُّ لَهُ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ : وَمَا ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : ذَكَرْتُمْ شُكْرَ النَّعْمِ ، فَقُلْتُمْ : مَا أَحَدٌ يَقُومُ بِشُكْرِ نِعْمَةٍ ، قِيلَ لَكُمْ : وَلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقُلْتُ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ فَقُلْتُ : لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ ، قَالَ : اللَّهُ ؟ قُلْتُ اللَّهُ قَالَ : فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ السَّاعِي ، فَضْرَبَ سَبْعِينَ سَوْطًا فَخَرَجْتُ وَهُوَ مُتَلَوِّثٌ بِدَمِهِ فَقَالَ : هَذَا وَأَنْتَ رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ !! ؟ قُلْتُ : سَبْعِينَ سَوْطًا فِي ظَهْرِكَ خَيْرٌ مِنْ دَمِ مُؤْمِنٍ قَالَ ابْنُ جَابِرٍ : فَكَانَ رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ يَقُولُ وَيَتَلَفَّتُ : أَحْذَرُوا صَاحِبَ الْكِسَاءِ (٢) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخِلِ الْأَمَوِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ : وَكَثُرَتِ الْعُلَمَاءُ بِالْأَنْدَلُسِ فِي دَوْلَتِهِ ، حَتَّى قِيلَ : إِنَّهُ كَانَ بِقَرْطَبَةَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ مُتَقَلِّسٍ مُتَزَيِّينَ بَزِيِّ الْعُلَمَاءِ ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَنَاءَهُمْ ، عَزَّ عَلَيْهِمْ انْتِهَاكُ الْحَكْمِ لِلْحُرْمَاتِ ، وَاتَّعَمَرُوا لِيَخْلَعُوهُ ، ثُمَّ جَيَّشُوا لِقِتَالِهِ ، وَجَرَتْ بِالْأَنْدَلُسِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، فَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَذَكَرَ ابْنُ مُزَيْنٍ فِي تَارِيخِهِ طَالُوتَ بْنَ عَبْدِ الْجَبَّارِ

(١) انظر السير : (النسائي) ١٤/١٢٥-١٣٥ ، وانظر النزهة : ١/١١٣٨ .

(٢) انظر السير : (رجاءُ بنُ حَيَّوَةَ) ٤/٥٥٧-٥٦١ ، وانظر النزهة : ١/٥٥٩ .

المُعَاْفِرِيَّ ، وَأَنَّهُ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ هَمُّوا بِخَلْعِ الْحَكَمِ ، وَقَالُوا : إِنَّهُ غَيْرُ عَدْلٍ وَنَكْثُوهُ فِي نَفُوسِ الْعَوَامِّ ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَا يَجِلُّ الْمَكْتُوبُ وَلَا الصَّبْرُ عَلَى هَذِهِ السَّيْرَةِ الدَّمِيمَةِ ، وَعَوَّلُوا عَلَى تَقْدِيمِ أَحَدِ أَهْلِ الشُّرُورِ بِقَرْطَبَةَ ، وَهُوَ أَبُو السَّمَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الدَّخِيلِ الْأَمْوِيُّ ابْنُ عَمِّ الْحَكَمِ لِمَا عَرَفُوا مِنْ صِلَاحِهِ ، وَعَقَلِهِ ، وَدِينِهِ ، فَقَصَدُوهُ وَعَرَفُوهُ بِالْأَمْرِ ، فَأَبْدَى الْمَيْلَ إِلَيْهِمْ ، وَالْبُشْرَى بِهِمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : أَنْتُمْ أَضْيَافِي اللَّيْلَةِ ، فَإِنَّ اللَّيْلَ ، أَسْتَرَّ ، وَنَامُوا ، وَقَامَ هُوَ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ بِجَهْلٍ ، فَأَخْبَرَهُ بِشَأْنِهِمْ ، فَاجْتَاظَ لِدَلِكِ ، وَقَالَ : جِئْتَ لَسَفْكَ دَمِي أَوْ دِمَائِهِمْ ، وَهُمْ أَعْلَامٌ ، فَمَنْ أَيْنَ نَتَوَصَّلُ إِلَى مَا ذَكَرْتَ ؟ فَقَالَ : أُرْسِلْ مَعِي مَنْ تَثِقُ بِهِ لِيَتَحَقَّقَ ، فَوَجَّهَ مَنْ أَحَبَّ ، فَأَدْخَلَهُمْ أَحْمَدُ فِي بَيْتِهِ تَحْتَ سِتْرِ ، وَدَخَلَ اللَّيْلُ ، وَجَاءَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ : خَبَّرُونِي مَنْ مَعَكُمْ ؟ فَقَالُوا : فَلَانُ الْفَقِيهِ ، وَفَلَانُ الْوَزِيرِ ، وَعَدُّوا كِبَارًا وَالْكَاتِبُ يَكْتُبُ حَتَّى امْتَلَأَ الرَّقُّ ، فَمَدَّ أَحَدُهُمْ يَدَهُ وَرَاءَ السِّتْرِ ، فَرَأَى الْقَوْمَ ، فَقَامَ وَقَامُوا ، وَقَالُوا : فَعَلْتَهَا يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، فَمَنْ فَرَّ لِحَيْنِهِ ، نَجَا وَمَنْ لَا ، قُبِضَ عَلَيْهِ ، فَكَانَ مِمَّنْ فَرَّ عَيْسَى بْنُ دِينَارِ الْفَقِيهِ ، وَيَحْيَى بْنُ يَحْيَى الْفَقِيهِ صَاحِبُ مَالِكِ ، وَقُرْعُوسُ بْنُ الْعَبَّاسِ الثَّقَفِيُّ .

وَقُبِضَ عَلَى نَاسٍ كَأَبِي كَعْبٍ ، وَأَخِيهِ ، وَمَالِكِ بْنِ يَزِيدِ الْقَاضِي ، وَمُوسَى بْنِ سَالِمِ الْخَوْلَانِي ، وَيَحْيَى بْنِ مُضَرِّ الْفَقِيهِ ، وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِدِّينِ ، فِي سَبْعَةِ وَسَبْعِينَ رَجُلًا ، فَضْرَبَتْ أَعْنَاقَهُمْ ، وَصَلَبُوا .

وَأَضَافَ إِلَيْهِمْ عَمِّيهِ كَلْبِيًّا ، وَأُمِيَّةَ ، فَصَلَبَا ، وَأَحْرَقَ الْقُلُوبَ عَلَيْهِمْ ، وَسَارَ بِأَمْرِهِمُ الرِّفَاقُ ، وَعَلِمَ الْحَكَمُ أَنَّهُ مَحْقُودٌ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ ، فَأَخَذَ فِي جَمْعِ الْجُنُودِ وَالْحَشَمِ وَتَهِيًّا ، وَأَخَذَتِ الْعَامَّةُ فِي الْهَيْجِ ، وَاسْتَأَسَدَ النَّاسُ ، وَتَمَمَّرُوا ، وَتَأَهَّبُوا ، فَانْفَقَ أَنَّ مَمْلُوكًا خَرَجَ مِنَ الْقَصْرِ بِسَيْفٍ دَفَعَهُ إِلَى الصَّيْقَلِ ، فَمَاطَلَهُ ، فَسَبَّهُ ، فَجَاوَبَهُ الصَّيْقَلُ فَتَضَارَبَا وَنَالَ مِنْهُ الْمَمْلُوكُ ، حَتَّى كَادَ أَنْ يُثْلِفَهُ ، فَلَمَّا تَرَكَهُ ، أَخَذَ الصَّيْقَلُ السَّيْفَ فَقَتَلَ بِهِ الْمَمْلُوكَ ، فَتَأَلَّبَ إِلَى الْمَقْتُولِ جَمَاعَةٌ ، وَإِلَى الْقَاتِلِ جَمَاعَةٌ أُخْرَى ، وَاسْتَفْحَلَ الشَّرُّ ، وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَمِئَتَيْنِ ، وَتَدَاعَى أَهْلُ قَرْطَبَةَ مِنْ أَرْبَابِهِمْ ، وَتَأَلَّبُوا بِالسَّلَاحِ ، وَقَصَدُوا الْقَصْرَ ، فَرَكِبَ الْجَيْشُ وَالْإِمَامُ الْحَكَمُ ، فَهَزَمُوا الْعَامَّةَ ،

وجاءهم عسكرٌ من خلفهم ، فوضَعوا فيهم السيفَ ، وكانت وقعة هائلةً شنيعةً ، مضى فيها عددٌ كثيرٌ زهاءَ عن أربعين ألفاً من أهلِ الرَبَضِ ، وعانوا البلاءَ من قُدَامِهِمْ ومن خلفهم فتداعوا بالطاعةَ ، وأذعنوا ولا ذوا بالعفوِ ، فعفا عنهم على أن يخرجوا من قرطبةَ ، ففعلوا وهُدِّمَت ديارهم ومساجدهم .

ماتَ الحَكَمُ سَنَةَ سِتٍّ ومِئتينَ ، وله ثلاثٌ وخمسونَ سَنَةً ، وولِيَ الأندلسَ بَعْدَهُ ابنُه أبو المُطَرِّفِ عبدُ الرَّحْمَنِ ^(١) .

وقال الإمامُ الذهبيُّ في تَرْجَمَةِ أَبِي مُسْهَرٍ : قالَ عليُّ بنُ عُثْمَانَ الثُّفَيْلِيُّ : كُنَّا على بابِ أَبِي مُسْهَرٍ جَمَاعَةً من أصحابِ الحَدِيثِ ، فَمَرِضَ ، فَعُدَّنا ، وَقُلْنَا : كيفَ أَصْبَحْتَ ؟ قالَ : في عافيةٍ ، راضياً عن اللهِ ، سَاحِطاً على ذِي القَرْنَيْنِ ، كيفَ لَمْ يَجْعَلَ سَدًّا بَيْننا وَبَيْنَ أَهْلِ العِراقِ ، كما جَعَلَهُ بَيْنَ أَهْلِ خُرَاسانَ وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، فما كانَ بَعْدَ هذا إلاَّ يَسِيرًا حَتَّى وَافَى المَأْمُونُ دِمَشقَ ، وَنَزَلَ بِدَيْرِ مَرَّانَ وَبَنَى القُبَّةَ فَوْقَ الجَبَلِ ، فَكانَ بِاللَّيْلِ يَأْمُرُ بِجَمْرٍ عَظِيمٍ ، فيؤَقَدُ وَيُجْعَلُ في طُسوتِ كِبارِ ، تُدَلِّي من عِندِ القُبَيْبَةِ بِسَلاسلِ وَجِبالِ ، فَتُضِيءُ لَها العُوطَةُ ، فيبصِرُها بِاللَّيْلِ .

وكانَ لأبي مُسْهَرٍ حَلِقَةٌ في الجامِعِ بَينَ العِشاءِينِ عِندَ حائِطِ الشَّرْقِيِّ ، فبَينما هو لَيلَةً ، إِذْ قَد دَخَلَ الجامِعَ ضَوْءٌ عَظِيمٌ ، فَقالَ أبو مُسْهَرٍ : ما هذا ؟ قالوا : النَّارُ التي تُدَلِّي من الجَبَلِ لِأَميرِ المُؤمِنينَ حَتَّى تُضِيءَ لَها العُوطَةُ فَقالَ ﴿ أَتَبْتُونَ بِكُلِّ رِيعِ آيَةٍ تَعْبُوثُونَ ﴾ ^(٢) وَتَتَّخِذُونَ مَصانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿ ^(٣) ، وكانَ في الحَلِقَةِ صاحِبُ خَبرٍ لِلْمَأْمُونِ ، فَرَفَعَ ذلكَ إِلى المَأْمُونِ ، فَحَقَّقَها عِليه .

فلَمَّا رَحَلَ المَأْمُونُ ، أَمَرَ بِحَمْلِ أَبِي مُسْهَرٍ إِليه ، فَامْتَحَنَهُ بِالرِّقَّةِ في القُرْآنِ .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ : قَد كانَ المَأْمُونُ بِأسأَ وَبِلاءَ على الإسلامِ ^(٣) .

(١) انظر السير : (الحَكَمُ بنُ هِشام) ٢٥٣/٨ - ٢٦٠ ، وانظر النزهة : ٢/٧٥١ .

(٢) سورة الشعراء ، الآيتين : ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٣) انظر السير : (أبو مُسْهَرٍ) ٢٢٨-٢٣٨ ، وانظر النزهة : ٢/٨٧٢ .

قال القاضي ابن واصل : كان الناصر لدين الله شهماً شجاعاً ذا فكرة صائبة وعقل رصين ومكر ودهاء ، وكانت هيبته عظيمة جداً ، وله أصحاب أخبار بالعراق وسائر الأطراف يُطالعونه بجزئيات الأمور .

قال : وكان رديء السيرة في الرعية ، مائلاً إلى الظلم والعسف فخرت في أيامه العراق وتفرق أهلها وأخذ أملاكهم ، وكان يفعل أفعالاً متضادةً ، ويتشيع بخلاف آبائه^(١) .

* * *

(١) انظر السير : (الناصر لدين الله) ٢٢/١٩٢-٢٤٢ ، وانظر النزعة : ٣/١٦٨٥ .

(٢٠) المَبَالِغَةُ

١- مُبَالِغَاتٌ قِيلَتْ لِلتَّحْذِيرِ مِنَ الْوَاقِعِ وَالتَّحَشُّرِ عَلَى الْمَاضِي :
قَالَ فُرَاتٌ : سَمِعْتُ مَيْمُونُ بْنَ مِهْرَانَ يَقُولُ : لَوْ نُشِرَ فِيكُمْ رَجُلٌ مِنَ السَّلْفِ
مَا عَرَفَ إِلَّا قِبَلَتِكُمْ ^(١) .

وعن مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ قَالَ : أَدْرَكْتُ سَبْعِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ الْيَوْمَ ،
مَا عَرَفُوا شَيْئاً مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَّا الْأَذَانَ ^(٢) .

٢- مُبَالِغَةُ قِيلَتْ وَخُطِيءَ قَائِلُهَا :

عن مُغِيرَةَ قَالَ : حَجَّ حَمَّادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ ، فَلَمَّا قَدِمَ أَتَيْنَاهُ نُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَقَالَ :
أَبْشِرُوا يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، فَإِنِّي قَدِمْتُ عَلَى أَهْلِ الْحِجَازِ ، فَرَأَيْتُ عَطَاءً وَطَاوُوساً
وَمُجَاهِداً ، فَصَيَّيَانُكُمْ ، بَلْ صَيَّيَانُ صَيَّيَانِكُمْ أَفْقَهُ مِنْهُمْ .
قَالَ مُغِيرَةَ : فَرَأَيْنَا أَنَّ ذَلِكَ بَغِيٌّ مِنْهُ ^(٣) .

٣- رَدُّ الذَّهَبِيِّ مُبَالِغَاتٍ سَبَطَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي كِتَابِهِ « مِرَاةُ الزَّمَانِ » :

جاء في ترجمة ابن الجوزي ، قال الذهبي : قال سبطه أبو المظفر : تُوْفِيَ
أبو الفرج ابن الجوزي ليلة الثالث عشر من رمضان سنة سبع وتسعين وخمسين مئة ،
وغلقت الأسواق ، وجاء الخلق ، وصلّى عليه ابنه أبو القاسم عليّ اتفاقاً ، لأنّ الأعيان
لم يقدرُوا من الوصول إليه ، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور ، فصلّوا عليه ، وضاق
بالناس ، وكان يوماً مشهوداً ، فلم يصل إلى حُفْرَتِهِ بِمَقْبَرَةِ أَحْمَدَ إِلَى وَقْتِ صَلَاةِ
الْجُمُعَةِ ، وكان في تَمُوزَ ، وَأَفْطَرَ الْخَلْقَ ، وَرَمَوْا نَفْسَهُمْ فِي الْمَاءِ إِلَى أَنْ قَالَ :

(١) انظر السير : (مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ) ٧١/٥ - ٧٨ ، وانظر النزهة : ٥/٥٨٢ .

(٢) انظر السير : (مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي قُرَّةَ) ١٥٣/٥ - ١٥٥ ، وانظر النزهة : ٢/٥٩٤ .

(٣) انظر السير : (حَمَّادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ) ٢٣١/٥ - ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٤/٥٩٨ .

وما وصلَ إلى حُفْرته من الكَفَنِ إِلَّا قَلِيلٌ ، كذا قال ، والعُهُدَةُ عليه ، وأنزَلَ في الحُفْرَةِ ، والمُؤذَنُ يقولُ : اللهُ أكبرُ ، وحَزَنَ عليه الخَلْقُ ، وياتوا عند قَبْرِهِ طُولَ شَهْرِ رَمَضانَ يَحْتَمُونَ الحَتَمَاتِ ، بالشَّمْعِ والقناديلِ ، ورأه في تلك اللَّيْلَةِ المُحَدَّثُ أحمدُ بنُ سَلَمَانَ الشُّكْرَ في النَّومِ ، وهو على مَنبَرٍ من ياقوت ، وهو جالسٌ في مَقْعَدِ صِدْقٍ والملائكةُ بين يَدَيْهِ^(١) وأصْبَحنا يومَ السَّبْتِ عملنا العزاء ، وتكلَّمْتُ فيه ، وحَضَرَ خَلْقٌ عَظِيمٌ ، وعَمِلْتُ فيه المَراثي^(٢) .

قال الإمامُ الذهبيُّ في « تاريخ الإسلام » مُعقِّباً على قولِ سِبْطِ ابنِ الجَوْزِيِّ : وهذا من مجازفة أبي المظفر .

وذكرَ أبو المظفَرُ الواعِظُ في « مرآة الزَّمانِ » : وفي ذِي القَعْدَةِ سَنَةَ سِتِّ وَتِسْعِينَ وخَمْسِ مِئَةٍ كان ما اشْتَهَرَ من أمرِ الحافظِ عبد الغني وإِضْراره على ما ظَهَرَ من اعتقادِهِ وإجماعِ الفُقهائِ على الفُتْيَا بتكفيرِهِ ، وأنه مُبتدِعٌ لا يَجُوزُ أن يتركَ بينَ المُسلمينَ ، فسألَ أن يُمهَلَ ثلاثةَ أَيامٍ لِيَنفِصَلَ عن البَلَدِ فأجيب^(٣) .

قال الذهبيُّ : قد بَلَوْتُ على أبي المظفَرِ المُجازِفَةَ وَقِلَّةَ الوَرَعِ فيما يُورِّخُهُ واللهُ الموعِدُ ، وكان يَتَرَفَّضُ ، رأيتُ له مُصَنَّفاً في ذلك فيه دَوَاهِ ، ولو أجمَعَتِ الفُقهائِ على تكفيرِهِ كما زَعَمَ لَمَّا وَسِعَهُمُ إنقاؤُهُ حَيًّا ، فقد كان على مَقالَتِهِ بِدمشقَ أخوهُ الشَّيخُ العِمَادُ والشَّيخُ موفَّقُ الدينِ ، وأخوهُ القُدوةُ الشَّيخُ أبو عَمَرَ ، والعلامةُ شمسُ الدينِ البُخاريُّ ، وسائرُ الحَنابِلَةِ ، وعدةٌ من أهلِ الأثرِ ، وكان بالبَلَدِ أيضاً خَلْقٌ من العُلَماءِ لا يُكفِّرُونَهُ ، نَعَمَ ولا يُصَرِّحُونَ بما أطلَقَهُ من العِبارَةِ لَمَّا ضايقُهُ ، ولو كَفَّ عن تلكَ العِبارَاتِ ، وقال بما وَرَدَتْ به التُّصوصُ لأجَادَ ولَسَلِمَ ، فهو الأوَّلِي ، فما في تَوْسيعِ العِبارَاتِ المُوهِمَةِ خَيْرٌ ، وأسوأُ شَيْءٍ قاله أن ضلَّلَ العُلَماءَ الحاضِرِينَ ، وأنه على الحقِّ ، فقالَ كَلِمَةً فيها شرٌّ وفَسادٌ وإثارةٌ للبلاءِ ، رَحِمَ اللهُ الجَميعَ وغَفَرَ لَهُمُ ، فما

(١) تمام الخبر : والحقُّ سبحانه وتعالى حاضرٌ يسمع .

(٢) انظر السير : (أبو الفرج ابن الجَوْزِي) ٢١/٣٦٥-٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٣٦ .

(٣) انظر السير : (عبد الغني) ٢١/٤٤٣-٤٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٦٥٠ .

قَصْدُهُمْ إِلَّا تَعْظِيمُ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الطَّرَفَيْنِ ، وَلَكِنَّ الْأَكْمَلَ فِي التَّعْظِيمِ وَالتَّنْزِيهِ
الْوُقُوفُ مَعَ أَلْفَاظِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .
وَبِكُلِّ حَالٍ فَالْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالتَّأَلُّهِ وَالصَّدَقِ بِالْحَقِّ ،
وَمَحَاسِنُهُ كَثِيرَةٌ ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْهَوَى وَالْمِرَاءِ وَالْعَصْبِيَّةِ وَالْإِفْتِرَاءِ ، وَنَبْرًا مِنْ كُلِّ
مُجَسِّمٍ وَمُعْطَلٍ (١) .

٤- ضَبْطُ الذَّهَبِيِّ مَا جَاءَ عَنِ السَّلَفِ مُبَالَغًا فِيهِ :

قال مسروق : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَعْلَمَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَعِلْمَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَقْرَأْ
سُورَةَ الْوَاقِعَةِ (٢) .

قال الإمام الذهبي مُعَقِّبًا : هَذَا قَالَهُ مَسْرُوقٌ عَلَى الْمُبَالَغَةِ ، لِعَظَمِ مَا فِي السُّورَةِ مِنْ
جُمَلِ أُمُورِ الدَّارَيْنِ وَمَعْنَى قَوْلِهِ : (فَلْيَقْرَأْ الْوَاقِعَةَ) أَي بَدَأْ بِهَا وَتَفَكَّرْ وَحُضِرْ وَلَا يَكُنْ
كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا .

عن الشعبي ، قال : كَانَ مَسْرُوقٌ إِذَا قِيلَ لَهُ : أَبْطَأْتَ عَنِّي وَعَنْ مَشَاهِدِهِ ،
فَيَقُولُ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّهُ حِينَ صَفَّ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فَنَزَلَ بَيْنَكُمْ مَلَكٌ فَقَالَ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا
أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (٣) أَكَانَ ذَلِكَ حَاجِزًا لَكُمْ ؟

قالوا : نَعَمْ قَالَ : فَوَاللَّهِ لَقَدْ نَزَلَ بِهَا مَلَكٌ كَرِيمٌ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ ، وَإِنَّهَا لِمُحْكَمَةٌ
مَا نَسَخَهَا شَيْءٌ (٤) .

قال الصُّولِيُّ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى أَنَّ الشَّعْبِيَّ قَالَ : أَفْخَرُ بَيْتٍ قِيلَ قَوْلُ الْأَنْصَارِ
يَوْمَ بَدْرٍ :

وَيْبَسِرِ بَدْرٍ إِذْ يَرُدُّ وَجُوهُهُمْ
جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا وَمُحَمَّدٌ (٥)

(١) انظر السير : (عبد الغني) ٢١/٤٤٣-٤٧١ ، وانظر النزاهة : ٢/١٦٥٠ .

(٢) انظر السير : (مسروق) ٤/٦٣-٦٩ ، وانظر النزاهة : ٢/٤٤٦ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٢٩ .

(٤) انظر السير : (مسروق) ٤/٦٣-٦٩ ، وانظر النزاهة : ٣/٦٤٤ .

(٥) انظر السير : (عليُّ الرضِيُّ) ٩/٣٨٧-٣٩٣ ، وانظر النزاهة : ٢/٨٣١ .

ثم قال الصولي: أفخرُّ منه قولُ الحسنِ بنِ هانئٍ في عليِّ بنِ موسى الرضِيِّ :
 قيل لي أنت واحدُ الناسِ في ك
 لك في جوهرِ الكلامِ بديعٌ
 فعلامَ تركتَ مدحَ ابنِ موسى
 قلتُ لا أهتدي لمدحِ إمامٍ
 لَ كَلامٍ مِنَ المَقالِ بديهِ
 يثمرُ الدرُّ في يَدَيِ مجتنيهِ
 بالخصالِ التي تجمَعَنَ فيه
 كانَ جبريلُ خادماً لأبيهِ^(١)
 قالَ الإمامُ الذهبيُّ مُعقَّباً : لا يَسوِّغُ إطلاقُ هذا الأخيرِ إلاَّ بتوقيفٍ ، بل كانَ جبريلُ
 مُعَلِّمَ نَبِيِّنا صلي اللهُ عليه وسلم وَعَلِيهِ^(٢) .

وقال أبو عبيد : ما رأيتُ أحداً أعقلَ من الشافعيِّ ، وكذا قال يونسُ بنُ عبدِ
 الأعلى ، حتَّى إنَّه قالَ : لو جُمعتُ أُمَّةٌ لو سَعَمَ عَقْلُهُ .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ مُعقَّباً : هذا على سبيلِ المُبالَغةِ ، فإنَّ الكامِلَ لو نَقَصَ من عَقْلِهِ
 نحوُ الرُّبعِ ، لَبانَ عليه نَقصٌ ما ، ولَبَقِيَ له نُظراءُ ، فلو ذَهَبَ نِصْفُ ذَلِكَ العَقْلِ مِنْهُ ،
 لَظَهَرَ عَلَيْهِ النِّقْصُ ، فَكَيْفَ بِهِ لو ذَهَبَ ثُلُثا عَقْلِهِ ! فلو أَنَّكَ أَخَذْتَ عُقُولَ ثَلَاثَةِ أَنْفُسٍ
 مثلاً ، وصَيَّرْتَهَا عَقْلَ واحِدٍ ، لَجاءَ مِنْهُ كَامِلُ العَقْلِ وَزِيادَةٌ^(٣) .

وعن محمدِ بنِ مُصعبِ العابدِ ، قالَ : لَسَوِّطُ ضُرْبِهِ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ فِي اللهُ أَكْبَرُ مِنْ
 أَيَّامِ بَشَرٍ بنِ الحارِثِ .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ مُعقَّباً : بَشَرٌ عَظِيمُ القَدْرِ كأحمَدَ ، ولا نَدري وَزْنَ الأَعْمالِ ،
 إِنَّمَا اللهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ .

وقالَ الحُسينيُّ : سَمِعْتُ إِسْماعيلَ بنَ الخَليلِ ، يَقولُ : لو كانَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ فِي
 بني إِسْرَائِيلَ لَكانَ آيَةً^(٤) .

-
- (١) انظر السير : (عليُّ الرضِيِّ) ٣٨٧/٩-٣٩٣ ، وانظر النزهة : ٣/٨٣١
 (٢) انظر السير : (عليُّ الرضِيِّ) ٣٨٧/٩-٣٩٣ ، وانظر النزهة : ٤/٨٣١ .
 (٣) انظر السير : (الإمامُ الشافعيُّ) ١٠/٥-٩٩ ، وانظر النزهة : ١/٨٤٦ .
 (٤) انظر السير : (أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٢٦ .

وعن رَجُلٍ قَالَ : عِنْدَنَا بِخُرَاسَانَ يَظُنُّونَ أَنَّ أَحْمَدَ لَا يُشْبِهُ الْبَشَرَ يَظُنُّونَ أَنَّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ (١) .

وقال آخَرُ : نَظَرَةٌ عِنْدَنَا مِنْ أَحْمَدَ تَعْدِلُ عِبَادَةَ سَنَةٍ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعَقَّباً : هَذَا غُلُوٌّ لَا يَنْبَغِي ، لَكِنِ الْبَاعِثُ لَهُ حُبٌّ وَلِيَّ اللَّهِ فِي اللَّهِ (٢) .

وروي عن الحافظ أبي عبد الرحمن النُّهَاقِ نَدِيٍّ ، أَنَّهُ سَمِعَ الْفَسَوِيَّ يَقُولُ : كَتَبْتُ عَنْ أَلْفِ شَيْخٍ وَكَسَرَ كُلَّهُمْ ثِقَاتٌ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعَقَّباً : لَيْسَ فِي مَشِيخَتِهِ إِلَّا نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِ مِئَةِ شَيْخٍ ، فَأَيْنَ الْبَاقِي ؟ ثُمَّ فِي الْمَذْكُورِينَ جَمَاعَةٌ قَدْ ضَعُفُوا (٣) .

وقال أبو بكر بن دَاسَةَ : سَمِعْتُ أَبَا دَاوُدَ يَقُولُ : « كَتَبْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَ مِئَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ ، انْتَخَبْتُ مِنْهَا مَا ضَمَمْتُهُ هَذَا الْكِتَابَ - يَعْنِي كِتَابَ « السُّنَنِ » - جَمَعْتُ فِيهِ أَرْبَعَةَ آلَافِ حَدِيثٍ وَثَمَانِي مِئَةَ حَدِيثٍ ، ذَكَرْتُ الصَّحِيحَ ، وَمَا يُشْبِهُهُ وَيُقَارِبُهُ ، وَيَكْفِي الْإِنْسَانَ لَدِينِهِ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَةَ أَحَادِيثٍ ، أَحَدُهَا : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » ، وَالثَّانِي : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْينُهُ » ، وَالثَّلَاثُ : قَوْلُهُ : « لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا حَتَّى يَرْضَى لِأَخِيهِ مَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ » ، وَالرَّابِعُ : « الْحَلَالُ بَيْنٌ » الْحَدِيثُ .

قال الإمام الذهبيُّ مُعَقَّباً : وَقَوْلُهُ : يَكْفِي الْإِنْسَانَ لَدِينِهِ ، مَمْنُوعٌ ، بَلْ يَحْتَاجُ الْمُسْلِمُ إِلَى عَدَدٍ كَثِيرٍ مِنَ السُّنَنِ الصَّحِيحَةِ مَعَ الْقُرْآنِ .

قال أبو بكر الخَلَّالُ : أَبُو دَاوُدَ الْإِمَامُ الْمَقْدَمُ فِي زَمَانِهِ ، رَجُلٌ لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ بِتَخْرِيجِ الْعُلُومِ ، وَبَصْرِهِ بِمَوَاضِعِهِ أَحَدٌ فِي زَمَانِهِ ، رَجُلٌ وَرِعٌ مُقَدَّمٌ ، سَمِعَ مِنْهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ حَدِيثًا وَاحِدًا .

(١) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزاهة : ٧/٩٢٧ .

(٢) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزاهة : ٨/٩٢٧ .

(٣) انظر السير : (الفسوي) ١٣/١٨٠-١٨٤ ، وانظر النزاهة : ١/١٠٦٨ .

وقال أبو بكر محمد بن إسحاق الصَّاعِغَانِي ، وإبراهيمُ الحَرَبِيُّ لَمَّا صَنَّفَ أَبُو دَاوُدَ كِتَابَ « السُّنَنِ » أَلَيْنَ لِأَبِي دَاوُدَ الْحَدِيثَ ، كَمَا أَلَيْنَ لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَدِيثَ^(١) .

وقال عليُّ بنُ الحُسَيْنِ بنِ الجُنَيْدِ ، سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ مَعِينٍ ، يَقُولُ : إِنَّا لَنَطْعَنُ عَلِيَّ أَقْوَامَ ، لَعَلَّهُمْ قَدْ حَطُّوا رِحَالَهُمْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ مِثِّي سَنَةٍ .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : لَعَلَّهَا مِنْ مِئَةِ سَنَةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَبْلُغُ فِي أَيَّامِ يَحْيَى هَذَا الْقَدْرَ^(٢) .

وقال الإمامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْحَيَّاطِ : قِيلَ : كَانَ إِمَامَ مَسْجِدِ ابْنِ جَرْدَةَ بِالْحَرِيمِ^(٣) ، لَقِّنَ الْعُمَيَّانَ دَهْرًا لِلَّهِ ، وَكَانَ يَسْأَلُ لَهُمْ ، وَيُنْفِقُ عَلَيْهِمْ ، بَحِيثٌ إِنَّ ابْنَ النَّجَّارِ نَقَلَ فِي « تَارِيخِهِ » أَنَّ أَبَا مَنْصُورِ الْحَيَّاطِ بَلَغَ عَدَدَ مَنْ أَقْرَأَهُمْ مِنَ الْعُمَيَّانِ سَبْعِينَ أَلْفًا .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا : هَذَا مُسْتَحِيلٌ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ نَفْسًا ، فَسَبَقَهُ الْقَلَمُ فَحَطَّ أَلْفًا ، وَمَنْ لَقِّنَ الْقُرْآنَ لِسَبْعِينَ ضَرِيرًا ، فَقَدْ عَمَلَ خَيْرًا كَثِيرًا^(٤) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ ، الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ أَبُو الْقَاسِمِ شَاهِنشَاه : قَالَ ابْنُ خُلِّكَانَ فِي « تَارِيخِهِ » : قَالَ صَاحِبُ الدُّوَلِ الْمُنْقَطِعَةِ : خَلَّفَ الْأَفْضَلُ سِتِّ مِئَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَمِثَّتَيْنِ وَخَمْسِينَ إِزْدَبَابًا مِنَ الدَّرَاهِمِ ، وَخَمْسِينَ أَلْفَ ثَوْبٍ مِنْ دِيبَاجٍ ، وَعِشْرِينَ أَلْفَ ثَوْبٍ حَرِيرٍ ، وَثَلَاثِينَ رَاحِلَةً كَذَا وَكَذَا وَدَوَاةَ مُجَوَّهَرَةً بَائِثِي عِشْرَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَعِشْرَةَ مَجَالِسٍ ، فِي الْمَجْلِسِ مَضْرُوبَ عَشْرَةِ مَسَامِيرٍ مِنَ الذَّهَبِ ، عَلَى الْمِسْمَارِ مِنْدِيلٌ مَشْدُودٌ فِيهِ بَدَلَةٌ ثِيَابٍ وَخَمْسُ مِئَةِ صُنْدُوقٍ ، فِيهَا كِسْوَةٌ وَمَتَاعٌ ، سِوَى الدَّوَابِّ وَالْمَمَالِكِ وَالْبَقَرِ وَالغَنَمِ ، وَلَبْنُ مَوَاشِيهِ يُبَاعُ فِي السَّنَةِ بِثَلَاثِينَ أَلْفِ دِينَارٍ^(٥) .

(١) انظر السير : (أبو داود) ٢٠٣-٢٢١ / ١٣ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٠٦٩ .

(٢) انظر السير : (عبد الرَّحْمَنِ بنِ أَبِي حَاتِمٍ) ٢٦٣-٢٦٩ / ١٣ ، وانظر النزهة : ٢ / ١٠٨٠ .

(٣) أي بحريم دار الخلافة ببغداد .

(٤) انظر السير : (الْحَيَّاطُ) ٢٢٢-٢٢٤ / ١٩ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٤٧٣ .

(٥) انظر السير : (أميرُ الجُيُوشِ) ٥٠٧-٥١٠ / ١٩ ، وانظر النزهة : ٣ / ١٥٠٣ .

قال الإمام الذهبي : هذه الأشياء مُمكنة ، سوى الدنانير والدراهم ، فلا أجوز ذلك ، بل أستبعد عشره ، ولا ريب أن جمعه لهذه الأموال موجب لضعف جيش مضر ، ففي أيامه استولت الفرنج على القدس ، وعكا ، وصور ، وطرابلس ، والسواحل فلو أنفق ربيع ماله ، لجمع جيشاً يملأ الفضاء ، ولأباد الفرنج ، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً^(١) .

وكان ابن الجوزي ذا حظ عظيم وصيت بعيد في الوعظ ، يحضر مجالسه الملوك والوزراء وبعض الخلفاء والأئمة والكبراء ، لا يكاد المجلس ينقص عن الوف كثيرة ، حتى قيل في بعض مجالسه : حزر الجمع بمئة ألف ولا ريب أن هذا ما وقع ، ولو وقع ، لما قدر أن يسمعهم ، ولا المكان يسعهم^(٢) .

* * *

(١) انظر السير : (أمير الجيوش) ١٩/٥٠٧-٥١٠ ، وانظر النزهة : ١/١٥٠٤ .

(٢) انظر السير : (أبو الفرج ابن الجوزي) ٢١/٣٦٥-٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٣٣ .

(٢١) مَفَاهِيمُ وَأَعْمَالُ خَاطِئَةٍ

١- صُورٌ عَلَى الْمَفَاهِيمِ الْخَاطِئَةِ :

عن عُثْمَانَ التَّيْمِيِّ ، قَالَ : رَأَيْتُ جَرِيرًا وَمَا تُضَمُّ شَفْتَاهُ مِنَ التَّسْبِيحِ ، قُلْتُ : هَذَا حَالُكَ وَتَقْدِفُ الْمُحْصَنَاتِ فَقَالَ : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ﴾ ^(١) وَعَدُّ مِنَ اللَّهِ حَقٌّ ^(٢) .

٢- تَصْحِيحُ مَفْهُومٍ يَبْدُو صَحِيحًا :

جَاءَ فِي تَرْجَمَةِ نَوْرِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ : قَالَ لَهُ الْقُطْبُ النِّسَابُورِيُّ : بِاللَّهِ لَا تُخَاطِرُ بِنَفْسِكَ ، فَإِنْ أُصِيبَتْ فِي مَعْرَكَةٍ لَا يَبْقَى لِلْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَهُ السَّيْفُ ، فَقَالَ : وَمَنْ مُحَمَّدٌ حَتَّى يُقَالَ هَذَا !!؟ حَفِظَ اللَّهُ الْبِلَادَ قَبْلِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ^(٣) .

* * *

(١) سورة هود ، الآية : ١١٤ .

(٢) انظر السير : (جرير) ٤/٥٩٠-٥٩١ ، وانظر النزهة : ٢/٥٦٥ .

(٣) انظر السير : (نور الدين) ٢٠/٥٣١-٥٣٩ ، وانظر النزهة : ٤/١٥٨١ .

محتوى الكتاب

٥ الصَّلَاحُ وَالصَّالِحُونَ
٥ (١) سِيَمَاءُ الصَّالِحِينَ وَسَمْتُهُمْ
٥ (أ) صُورٌ عَلَى حُسْنِ السَّمْتِ
٧ (ب) الهَيْبَةُ
٧ صُورٌ عَلَى الهَيْبَةِ
٩ (٢) مِنْ صِفَاتِهِمْ
٩ (أ) مَجْمُوعَةٌ صِفَاتٌ تَجَدُّهَا فِي الصَّالِحِينَ
١٣ (ب) مَعْرِفَتُهُمْ لِمَ عَوْقِبُوا
١٣ (ج) مَعْرِفَتُهُمْ ضَخَامَةَ التَّكْلِيفِ الْمُطَالِبِينَ بِهِ
١٤ (د) اسْتِوَاءُ أَحْوَالِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ
١٤ (هـ) ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾
١٥ (٣) مِنْ فَوَائِدِ الصَّلَاحِ
١٥ الحِفْظُ فِي المَالِ وَالأهْلِ
١٥ (٤) صُحْبَةُ الصَّالِحِينَ
١٥ صُحْبَتُهُمْ تُورِثُ الحِكْمَةَ فِي القَوْلِ وَالعَمَلِ
١٥ (٥) أُمْتِلَةٌ عَلَى حَيَاةِ الصَّالِحِينَ
١٧ (٦) فَضْلُ الصَّالِحِينَ
١٨ (٧) عِنَايَةُ الصَّالِحِينَ بِالقَلْبِ
١٨ ١ - حَيَاةُ القَلْبِ بِذِكْرِ المَوْتِ

- ١٨ - مُعَالَجَةُ فَسْوَةِ الْقَلْبِ بِزِيَارَةِ الْقَبْرِ
- ١٨ - مُعَالَجَةُ فَسْوَةِ الْقَلْبِ بِزِيَارَةِ الصَّالِحِينَ
- ١٩ - مُعَالَجَتُهُ بِتَغْسِيلِ الْمَوْتَى
- ١٩ - الْبُعْدُ عَنِ الْخِصَالِ الْمُقَسِّيَةِ لِلْقَلْبِ
- ١٩ - حِرَاسَةُ الْقَلْبِ
- ١٩ - مِنْ وَسَائِلِ الْعِنَايَةِ بِالْقَلْبِ
- ١٩ - (أ) الْاسْتِغْفَارُ
- ١٩ - ١- لَوَازِمُ الْاسْتِغْفَارِ
- ٢٠ - ٢- الْاسْتِغْفَارُ مَقْدَمٌ عَلَى النَّوَافِلِ
- ٢٠ - ٣- صُورٌ عَلَى الْاسْتِغْفَارِ
- ٢٠ - ٤- شِعْرٌ فِي الْاسْتِغْفَارِ
- ٢١ - (ب) تَذْلِيلُ النَّفْسِ وَمُجَاهَدَتُهَا
- ٢١ - ١- خِلَافُ هَوَى النَّفْسِ عَمَلٌ عَظِيمٌ
- ٢١ - ٢- صُورٌ مِنْ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ
- ٢١ - ٣- مَنْ كَانَ مَشْهُورًا بِتَذْلِيلِ نَفْسِهِ وَمُجَاهَدَتِهَا
- ٢١ - ٤- الْإِزْرَاءُ عَلَى النَّفْسِ طَرِيقَةٌ - أَحْيَانًا - لِتَذْلِيلِهَا
- ٢٢ - ٥- شِعْرٌ فِي الْإِزْرَاءِ عَلَى النَّفْسِ
- ٢٣ - (ج) ذِكْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
- ٢٣ - ١- فَائِدَةُ الذِّكْرِ
- ٢٣ - ٢- كَيْفَ يَتَعَوَّدُ الْإِنْسَانُ الذِّكْرَ
- ٢٣ - ٣- مَتَى يُعَدُّ الْإِنْسَانُ ذَاكِرًا لِلَّهِ
- ٢٣ - ٤- أَقْوَالٌ جَمِيلَةٌ تَحْتُ عَلَى الذِّكْرِ
- ٢٤ - ٥- تَقْيِيدُ الذِّكْرِ بَعْدَ مُعَيَّنٍ

- ٢٥ ٦- ذِكْرُ الْمَلَائِكَةِ لِلَّهِ
- ٢٥ ٧- حَالُ السَّلَفِ مَعَ الذِّكْرِ
- ٢٦ ٨- رُؤْيَا تَحْتُّ عَلَى الذِّكْرِ
- ٢٦ (٨) مِنْ أَسْبَابِ مَوْتِ الْقَلْبِ
- ٢٦ (أ) الذُّنُوبِ
- ٢٦ ١- ذُلُّ الذُّنُوبِ
- ٢٦ ٢- صُعُوبَةُ تَرْكِ الذُّنُوبِ لِمَنْ لَمْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ
- ٢٦ ٣- مَنْ نَدَّرَتْ ذُنُوبُهُ
- ٢٧ ٤- مَعْرِفَةُ الصَّالِحِينَ أَنَّ سَبَبَ الْبَلَاءِ الذُّنُوبِ
- ٢٧ (ب) الْمَعَاصِي
- ٢٧ ١- أَقْسَامُ الْمَعَاصِي
- ٢٨ ٢- التَّحْذِيرُ مِنَ الْمَعَاصِي
- ٢٩ ٣- الْحَثُّ عَلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
- ٢٩ ٤- عَاقِبَةُ الْمَعَاصِي
- ٣٠ ٥- الْمَعَاصِي بَرِيدُ الْكُفْرِ
- ٣٠ ٦- تَرْكُ الْمَعَاصِي شَدِيدٌ ، وَفِعْلُ الطَّاعَاتِ هَيِّنٌ
- ٣٠ ٧- عَاقِبَةُ التَّحَبُّبِ إِلَى الْعِبَادَةِ بِالْمَعَاصِي
- ٣٠ ٨- الْمَعَاصِي تَجْلِبُ بُغْضَ اللَّهِ وَالْعِبَادَةَ
- ٣١ (٩) حَاجَاتُ الْإِنْسَانِ الصَّرُورِيَّةِ وَحَالُ الصَّالِحِينَ مَعَهَا
- ٣١ (أ) الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ
- ٣١ ١- الْجُوعُ غَيْرُ الْمُفْرِطِ وَفَائِدَتُهُ
- ٣١ ٢- الْجُوعُ الْمُفْرِطُ وَعَاقِبَتُهُ
- ٣٢ ٣- الْاِعْتِدَالُ فِي تَنَاوُلِ الْمُبَاحَاتِ

- ٤ - مَسَاوِيءُ الشَّبَعِ ٣٢
- ٥ - مَنْ مَاتَ بِسَبَبِ الطَّعَامِ ٣٣
- ٦ - مَنْ مَاتَ بِسَبَبِ طَعَامٍ حَارٍّ ٣٣
- ٧ - حِرْمَانُ النَّفْسِ مِنْ بَعْضِ الطَّعَامِ يُدَلِّلُهَا ٣٤
- ٨ - التَّحَرِّيُّ فِي المَطْعَمِ ٣٤
- ٩ - تَقَلُّبُ العُلَمَاءِ مِنَ الطَّعَامِ حَالِ الطَّلَبِ ٣٤
- ١٠ - صُورٌ مِنَ التَّقَلُّبِ مِنَ الطَّعَامِ ٣٥
- ١١ - تَقَلُّبُ الصَّالِحِينَ مِنَ الطَّعَامِ لَيْسَ - دَائِمًا - بِسَبَبِ الفَقْرِ ٣٦
- ١٢ - الشَّبَعُ مَعَ الضَّيْفِ جَائِزٌ ٣٧
- ١٣ - الفَرَحُ بِالطَّعَامِ الطَّيِّبِ ٣٧
- ١٤ - شُرْبُ العَسَلِ وَالسَّمَرِ عَلَيْهِ ٣٧
- ١٥ - الجُوعُ بِسَبَبِ الفَقْرِ ٣٨
- (ب) المَالُ ٤٢
- ١ - أَهْمِيَّةُ المَالِ ٤٢
- ٢ - نِعَمَ المَالِ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ ٤٢
- ٣ - المَالُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي اليَدِ لَا فِي القَلْبِ ٤٣
- ٤ - الخَوْفُ مِنَ الحِسَابِ عَلَى الأَمْوَالِ يُزَهِّدُ بَعْضَ النَّاسِ فِيهَا ٤٣
- ٥ - مَنْ ذَمَّ المَالَ ٤٤
- ٦ - حَالُ السَّلَفِ مَعَ الأَمْوَالِ ٤٤
- ٧ - كَثْرَةُ المَالِ وَتَنَوُّعُهُ تُؤَدِي إِلَى تَفَرُّقِ القَلْبِ ٤٧
- (ج) النُّومُ ٤٧
- ١ - الحَثُّ عَلَى قِلَّةِ النُّومِ ٤٧
- ٢ - أَحْوَالُ السَّلَفِ مَعَ النُّومِ ٤٧

٤٨	٣- صُورٌ رَائِعَةٌ عَلَى إِحْيَاءِ اللَّيْلِ جَمِيعِهِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ بِوُضُوءِ الْعِشَاءِ
٥٠	(١٠) وَصَايَا الصَّالِحِينَ
٥٠	١- وَصِيَّةٌ مِنْ وَصَايَا سَيِّدِ الْخَلْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ
٥٠	٢- مِنْ وَصَايَا الصَّالِحِينَ
٥٣	صِفَاتٌ قَلْبِيَّةٌ عَزِيزَةٌ يَتَّصِفُ بِهَا الصَّالِحُونَ
٥٣	الإخلاص
٥٣	١- اخْتِبَارُ الْإِخْلَاصِ
٥٣	٢- مَا لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ يَضْمَحِلُّ
٥٣	٣- سُؤَالُ اللَّهِ الْإِخْلَاصَ وَتَجَنُّبُ الرِّيَاءِ
٥٤	٤- الْحَثُّ عَلَى الْإِهْتِمَامِ بِالسَّرَائِرِ
٥٤	٥- النِّيَّةُ الْحَسَنَةُ
٥٤	(أ) رُؤْيَا فِي فَائِدَتِهَا
٥٤	(ب) وَجُوبُ إِخْلَاصِ النِّيَّةِ
٥٥	(ج) عَاقِبَةُ سُوءِ النِّيَّةِ
٥٥	(د) تَمَنِّي صَفَاءِ النِّيَّةِ
٥٦	التَّقْوَى
٥٦	١- تَعْرِيفُهَا
٥٦	٢- مَتَى يُعَدُّ الْإِنْسَانُ تَقِيًّا
٥٦	التَّوَكُّلُ
٥٦	١- تَعْرِيفُ التَّوَكُّلِ
٥٦	٢- لَيْسَ النَّاسُ فِي التَّوَكُّلِ سِوَاءَ
٥٧	٣- فَضْلُ التَّوَكُّلِ
٥٧	٤- الدُّعَاءُ بِصِدْقِ التَّوَكُّلِ

- ٥٧ ٥ - صُورٌ عَلَى التَّوَكَّلِ
- ٥٧ ٦ - قَوَاعِدُ فِي التَّوَكَّلِ
- ٥٨ ٧ - الاسْتِخَارَةُ نَوْعٌ مِنَ التَّوَكَّلِ
- ٥٨ الخَوْفُ وَالْحَشْيَةُ وَالرَّجَاءُ
- ٥٨ ١ - تَعْرِيفُ الْحَشْيَةِ
- ٥٨ ٢ - الْجَمْعُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ
- ٥٩ ٣ - شِعْرٌ فِي الرَّجَاءِ
- ٥٩ ٤ - الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَا مِنْ غَيْرِهِ
- ٥٩ ٥ - الْحَشْيَةُ تُعِينُ عَلَى الطَّاعَةِ
- ٥٩ ٦ - لِمَاذَا يَقِلُّ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ
- ٦٠ ٧ - الْبُكَاءُ مِنْ حَشْيَةِ اللَّهِ
- ٦٢ ٨ - تَرْكُ الْبُكَاءِ خِذْلَانٌ
- ٦٢ ٩ - الْبُكَاءُ الْمَطْلُوبُ
- ٦٣ ١٠ - الْعَمَى مِنْ كَثْرَةِ الْبُكَاءِ
- ٦٣ ١١ - الْعَشْيُ (الإِغْمَاءُ) مِنْ حَشْيَةِ اللَّهِ
- ٦٧ ١٢ - الْمَوْتُ مِنْ حَشْيَةِ اللَّهِ
- ٦٧ ١٣ - صَغِيرٌ عَظِيمٌ يَخْشَى اللَّهَ
- ٦٨ ١٤ - شِعْرٌ فِي الْحَشْيَةِ
- ٦٨ ١٥ - صُورٌ عَلَى الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ وَحَشْيَتِهِ
- ٧٤ الصَّدَقُ
- ٧٤ ١ - تَعْرِيفُ الصَّدَقِ
- ٧٤ ٢ - الصَّدَقُ مَنجَاةٌ
- ٧٨ ٣ - مِنْ صِفَاتِ الصَّادِقِ

٧٨	٤ - الصُّدُقُ زِينَةٌ
٧٨	٥ - التَّخْلُصُ الحَسَنُ صِدْقٌ
٨١	٦ - المَعَارِضُ صِدْقٌ
٨١	المُحَاسَبَةُ
٨١	١ - صُورٌ عَلَى مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ
٨٢	٢ - مُحَاسَبَةُ اللَّهِ دَقِيقَةٌ
٨٢	المُرَاقَبَةُ
٨٢	حُسْنُ الخُلُقِ
٨٢	١ - حُسْنُ الخُلُقِ مَطْلُوبٌ
٨٢	٢ - صُورٌ عَلَى حُسْنِ الخُلُقِ
٨٤	مِنْ أخْلَاقِ المُؤْمِنِينَ
٨٤	الِاخْتِمَالِ
٨٤	١ - فَضْلُ الإخْتِمَالِ
٨٤	٢ - صُورٌ عَلَى الإخْتِمَالِ
٨٥	الإِحْسَانِ
٨٥	صُورٌ مِنَ الإِحْسَانِ
٨٨	الأَدَبِ
٨٨	١ - عَلاَقَةُ الأَدَبِ بِالْعِلْمِ
٨٨	(أ) العِلْمُ بغيرِ أَدَبٍ ضَارٌّ
٨٨	(ب) الأَدَبُ طَرِيقٌ لِلْعِلْمِ
٨٩	(ج) العِلْمُ لَا يَكْفِي لِتَرْبِيَةِ النَّفْسِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَقْرُونًا بِالأَدَبِ
٨٩	(د) تَعْلِيمُ الفِتْيَانِ الأَدَبَ مَعَ المُعَلِّمِ
٩٠	٢ - سُوءُ الأَدَبِ مَعَ الأئِمَّةِ مَرْفُوضٌ

- ٣- قَلَّةُ الْأَدَبِ مَعَ الصَّالِحِينَ تَسْتَوْجِبُ الْعُقُوبَةَ ٩١
- ٤- عَاقِبَةُ النَّادِبِ مَعَ الْعُلَمَاءِ حَسَنَةٌ ٩٢
- ٥- مِنَ الْأَدَبِ إِعْطَاءُ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ٩٢
- ٦- تَعْظِيمُ شَعَائِرِ اللَّهِ مِنَ الْأَدَبِ ٩٢
- ٧- الْمُبَالَغَةُ فِي أَمْرِ ظَنِّهِ صَاحِبُهُ مِنْ وَاجِبَاتِ الْأَدَبِ ٩٢
- ٨- قَوْلٌ بَلِيغٌ فِي الْحَثِّ عَلَى الْأَدَبِ ٩٣
- ٩- أَدَبُ الْخُلَفَاءِ وَالْأَمْرَاءِ مَعَ الْعُلَمَاءِ ٩٣
- ١٠- الْأَدَبُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ ٩٤
- ١١- أَمَثَلَةٌ عَلَى أَدَبِ الصَّالِحِينَ ٩٤
- الإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ١٠١
- ١- الْحَثُّ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ١٠١
- ٢- الْإِنْفَاقُ مِنْ مَالِ حَرَامٍ لَا يُقْبَلُ ١٠٢
- ٣- صُورٌ مِنَ الْإِنْفَاقِ ١٠٢
- الإِيثَار ١٠٥
- صُورٌ مِنَ الْإِيثَارِ ١٠٥
- التَّعَفُّفُ ١٠٥
- صُورٌ عَلَى التَّعَفُّفِ ١٠٨
- التَّوَاضُّعُ ١٠٩
- ١- فَضْلُهُ ١٠٩
- ٢- غَايَتُهُ ١٠٩
- ٣- صُورٌ عَلَى التَّوَاضُّعِ ١١٠
- التَّوَقِيرُ وَالْإِخْتِرَامُ ١١١
- ١- رُؤْيَا فِيهَا حَثٌّ عَلَى تَوَقِيرِ الْعُلَمَاءِ ١١١

- ١١٢ ٢ - صُورٌ مِنَ التَّوْقِيرِ
- ١١٥ الحَسَّاسِيَّةُ وَالشَّفَافِيَّةُ
- ١١٥ صُورٌ عَلَى الحَسَّاسِيَّةِ وَالشَّفَافِيَّةِ
- ١١٥ الحِلْمُ
- ١١٥ ١ - صُورٌ عَلَى الحِلْمِ
- ١١٦ ٢ - مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا فَلْيَتَحَالَم
- ١١٦ الرِّحْمَةُ
- ١١٦ ١ - رَحْمَةُ اللَّهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ
- ١١٦ ٢ - اللَّهُ أَرْحَمُ مِنَ الْوَالِدِينَ
- ١١٧ ٣ - أَعْمَالٌ يَرْتَجِي بِهَا أَصْحَابُهَا رَحْمَةَ اللَّهِ
- ١١٧ ٤ - رُؤْيَا يَعْظُمُ بِهَا الرَّجَاءُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ
- ١١٨ ٥ - الرِّحْمَةُ بِالْأَطْفَالِ
- ١١٨ ٦ - الرِّفْقُ بِالْحَيَوَانَاتِ
- ١١٨ ٧ - مَنْ كَانَ صَائِمًا فَأَفْطَرَ رَجَاءَ الرِّحْمَةِ
- ١١٨ الرِّقَّةُ
- ١١٨ صُورٌ عَلَى الرِّقَّةِ
- ١٢٠ الرُّهْدُ
- ١٢٠ ١ - مِنْ تَعْرِيفَاتِ الرُّهْدِ
- ١٢٠ ٢ - أَقْسَامُ الرُّهْدِ
- ١٢٠ ٣ - الرُّهْدُ يُجَمَلُ الرُّهَادُ
- ١٢٠ ٤ - فَضْلُ الرُّهْدِ
- ١٢١ ٥ - الرُّهْدُ لَا يُنَافِي الْمَلَابِسَ الْحَسَنَةَ وَالطَّعَامَ الْحَسَنَ
- ١٢٢ ٦ - الرُّهْدُ فَضِيلَةٌ وَلَيْسَ وَسِيلَةً لِلتَّنْفِيرِ

- ١٢٢ ٧- إخفاء الزُّهد
- ١٢٢ ٨- مِنَ النَّاسِ مَنْ بَلَغَ بِهِ الزُّهْدُ مَبْلَغاً عَجِيباً
- ١٢٢ عَدِيُّ بْنُ مُسَافِرٍ
- ١٢٤ ٩- مِنْ زُهَادِ التَّابِعِينَ
- ١٢٤ ١٠- مِنْ زُهَادِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ
- ١٢٤ ١١- الزُّهْدُ فِي الْخِلَافَةِ
- ١٢٥ ١٢- صُورٌ عَلَى الزُّهْدِ
- ١٣١ ١٣- ضَابِطٌ لِلزُّهْدِ
- ١٣١ ١٤- كِرَاهَةُ بَعْضِ السَّلَفِ لِغَيْرِ الْأَثَرِ جَعَلْتَهُمْ يُغْلَوْنَ فِي ذَمِّ بَعْضِ كِتَابِ الزُّهْدِ
- ١٣٢ سَلَامَةُ الصَّدْرِ لِلْمُسْلِمِينَ
- ١٣٢ شُكْرُ النَّعْمِ
- ١٣٢ ١- تَعْرِيفُ الشُّكْرِ
- ١٣٢ ٢- التَّحَدُّثُ بِنِعْمِ اللَّهِ مِنْ شُكْرِ النَّعْمِ
- ١٣٣ ٣- اخْشَوْشِنُوا فَإِنَّ النَّعْمَ لَا تَدُومُ
- ١٣٣ ٤- صُورٌ مِنْ شُكْرِ النَّعْمِ
- ١٣٤ الصَّبْرُ
- ١٣٤ ١- الصَّبْرُ مُفِيدٌ
- ١٣٤ ٢- الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى
- ١٣٤ ٣- الصَّبْرُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ
- ١٣٥ ٤- الصَّبْرُ عَلَى قَسْوَةِ الْإِخْوَانِ
- ١٣٥ ٥- صُورٌ عَلَى الصَّبْرِ
- ١٣٦ ٦- ضَابِطٌ فِي الصَّبْرِ

١٣٦	الصَّمْتُ
١٣٦	١- الصَّمْتُ يُتَعَلَّم
١٣٦	٢- فَضْلُ الصَّمْتُ
١٣٦	٣- الصَّمْتُ حَسَنٌ إِلَّا فِي الْخَيْرِ
١٣٧	٤- الصَّمْتُ يُقَلِّلُ مِنَ الْأَخْطَاءِ
١٣٧	٥- ضَابِطٌ لِكِرَاهِيَةِ السَّلَفِ لِفُضُولِ الْكَلَامِ
١٣٨	العِفَّةُ
١٣٨	١- الْحَثُّ عَلَى عِفَّةِ اللِّسَانِ
١٣٨	٢- مَنْ كَانَ مُبْتَعِداً عَنِ الْفَوَاحِشِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
١٣٨	٣- صُورٌ مِنَ عِفَّةِ اللِّسَانِ
١٣٩	٤- صُورٌ مِنَ عِفَّةِ الْفَرْجِ
١٤٠	القَنَاعَةُ
١٤٠	١- أَقْوَالٌ تَحُثُّ عَلَى الْقَنَاعَةِ
١٤١	٢- صُورٌ عَلَى الْقَنَاعَةِ
١٤٢	الكَرَمُ
١٤٢	١- أَكْرَمُ النَّاسِ
١٤٢	٢- الْكَرِيمُ حَبِيبٌ إِلَى اللَّهِ
١٤٢	٣- صُورٌ عَلَى الْكَرَمِ
١٤٣	٤- شِعْرٌ فِي الْكَرَمِ
١٤٤	٥- مَنْ هُوَ الْكَرِيمُ؟
١٤٤	٦- الْكَرَمُ الْحَقِيقِيُّ
١٤٤	٧- صُورٌ مِنَ الْكَرَمِ وَالْجُودِ

١٤٨	المُدَارَاة
١٤٨	١ - رِضَا النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُدْرِكُ
١٤٨	٢ - التَّغَاوُلُ نَوْعٌ مِنَ المُدَارَاةِ أحياناً
١٤٩	٣ - صُورٌ مِنَ المُدَارَاةِ
١٥٠	المَرْوِءَةُ
١٥٠	صُورٌ عَلَى المَرْوِءَةِ
١٥٣	المُؤَاَسَاةُ
١٥٨	الْوَفَاءُ
١٥٨	١ - كَلِمَةٌ فِي الوَفَاءِ
١٥٨	٢ - صُورَةٌ عَلَى الوَفَاءِ
١٥٩	٣ - وَفَاءٌ وَاحِدٌ مِنَ الكِفَارِ
١٦١	٤ - صُورٌ مِنَ الوَفَاءِ
١٦٤	مِنْ صِفَاتِ المُؤْمِنِينَ
١٦٤	الإِنْصَافُ
١٦٤	١ - البَشَرُ مَجْبُولُونَ عَلَى عَدَمِ الإِنْصَافِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ
١٦٤	٢ - قولُ الذَّهَبِيِّ : صِرْنَا فِي وَقْتٍ لَا يَقْدِرُ الشَّخْصُ عَلَى النُّطْقِ بِالإِنْصَافِ
١٦٥	٣ - تَصْرِيحُ الذَّهَبِيِّ أَنَّ بَعْضَ المُحَدِّثِينَ يَتَنَطَّعُ فِي الحُكْمِ عَلَى الأَشْخَاصِ
١٦٥	٤ - وُجُوبُ التَّخْلِصِ ممَّا فِي كِتَابِ التَّارِيخِ وَغَيْرِهَا مِنَ القَدَحِ فِي العُلَمَاءِ بِالهَوَى
١٦٦	٥ - حَالُ الأَقْرَانِ
١٦٧	٦ - كَلَامُ الأَقْرَانِ فِي بَعْضِهِمْ لَا يُسْمَعُ
١٦٩	٧ - ضَابِطٌ فِي كَلَامِ الأَقْرَانِ
١٧٢	٨ - تَعْلِيلٌ لَدَمِ الأَقْرَانِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً
١٧٣	٩ - قَوَاعِدُ فِي الإِنْصَافِ

- ١٠ - ضوابطُ جميلةٌ في إغذارٍ من تلبّسٍ ببدعةٍ أو خطأً ١٧٣
- ١١ - ضابطٌ في الجرحِ والتَّعْدِيلِ ١٧٦
- ١٢ - معرفةُ مراتبِ الرِّجالِ ١٧٧
- (أ) معالِمُ في تقويمِ الرِّجالِ ١٧٧
- (ب) إنزالُ الرِّجالِ منازلَهُم ١٧٩
- (ج) الموازينُ التي يُوزَنُ بها الرِّجالُ ١٨٠
- (د) أمثلةٌ على تفاوتِ مراتبِ الرِّجالِ ١٨٢
- (هـ) رؤياٌ تدلُّ على تفاوتِ مراتبِ الصَّالِحِينَ في الجَنَّةِ ١٨٦
- ١٣ - دِفَاعُ السَّلَفِ بَعْضِهِمُ عَنِ بَعْضٍ ١٨٧
- ١٤ - أمثلةٌ على الإنصافِ ١٩٥
- التَّرْقِي ٢٢٤
- التَّضْحِيَّةُ ٢٢٥
- صُورٌ مِنَ التَّضْحِيَّةِ ٢٢٥
- قِصَّةُ أُمِّ عُمَارَةَ ٢٢٥
- التَّنَافُسُ ٢٢٧
- حُبُّ الْجَمَاعَةِ وَكَرَاهِيَةُ الْفُرْقَةِ ٢٢٨
- الحِيفَاطُ عَلَى الْوَقْتِ ٢٢٩
- ١ - الاسْتِفَادَةُ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَتَرْتِيبُهَا ٢٢٩
- ٢ - جَدْوَلُ الْأَعْمَالِ الْيَوْمِيِّ لِبَقِيٍّ بْنِ مَخْلَدٍ ٢٢٩
- ٣ - شِعْرٌ فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْوَقْتِ ٢٣٠
- ٤ - صُورٌ فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْأَوْقَاتِ ٢٣٠
- الحِكْمَةُ ٢٣٣
- ١ - صُورٌ مِنَ الْحِكْمَةِ ٢٣٣

٢٣٤	٢- مِنْ حُكَمَاءِ الْإِسْلَام
٢٣٤	الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ
٢٣٤	٣- الْحُكَمَاءُ صِغَارُ السَّن
٢٣٥	٤- صُحْبَةُ الصَّالِحِينَ يَنْتُجُ عَنْهَا الْحِكْمَةُ
٢٣٥	٥- أَقْوَالٌ حَكِيمَةٌ مِنَ التَّوْرَةِ
٢٣٦	٦- مِنْ أَقْوَالِ حُكَمَاءِ الْهِنْدِ
٢٣٦	٧- أَقْوَالٌ حَكِيمَةٌ مُتَفَرِّقَةٌ
٢٤١	٨- شِعْرٌ فِي الْحِكْمَةِ
٢٤٢	الذِّكَاءُ وَالْفِطْنَةُ
٢٤٨	الشَّجَاعَةُ
٢٤٨	١- صُورٌ مِنَ الشَّجَاعَةِ
٢٥٦	٢- أَبْطَالُ الْإِسْلَامِ
٢٦١	معن بن زائدة
٢٦٢	أحمد بن إسحاق الشَّرْمَارِيُّ
٢٦٤	أبو عبد الله مرزنيش
٢٦٥	محمد بن سعد بن مرزنيش
٢٦٧	من الأبطال الذين كانوا ضالين فتابوا
٢٦٧	أبو القاسم هلال
٢٦٧	٣- من الشَّجَاعَةِ الْقُوَّةُ فِي الْحَقِّ
٢٦٨	العَدْلُ
٢٦٨	١- العَدْلُ شَأْنُهُ عَظِيمٌ
٢٦٨	٢- صُورَةٌ عَلَى إِقَامَةِ الْعَدْلِ
٢٦٩	٣- الْعَدْلُ الْمَشُوبُ بِالْمُبَالَغَةِ وَالْجَهْلِ وَالشُّدَّةِ

- العقل ٢٧٠
- ١- مُجَالَسَةُ الْعُقَلَاءِ تُورِثُ الْعَقْلَ الصَّحِيحَ ٢٧٠
- ٢- مِثَالٌ عَلَى الْعُقَلَاءِ ٢٧٠
- ٣- قِلَّةُ الْعَقْلِ ضِيَاعٌ ٢٧١
- العَفْوُ ٢٧١
- ١- ضَابِطٌ فِي الْعَفْوِ ٢٧١
- ٢- الْحَثُّ عَلَى الْعَفْوِ ٢٧١
- ٣- قَوْلٌ جَمِيلٌ فِي الْعَفْوِ ٢٧٢
- ٤- صُورٌ عَلَى الْعَفْوِ ٢٧٢
- ٥- سُؤَالُ اللَّهِ الْعَفْوَ وَالصَّفْحَ ٢٧٤
- ٦- أَكْثَرُ النَّاسِ عَفْوًا ٢٧٤
- الفِرَاسَةُ ٢٧٥
- صُورٌ عَلَى الفِرَاسَةِ ٢٧٥
- قَضَاءُ الْحَوَائِجِ وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ ٢٧٦
- ١- عَدُّ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ عَدَمُ التَّجَاءِ النَّاسِ إِلَيْهِ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ مِنَ الْمَصَائِبِ ٢٧٦
- ٢- قَاضِي حَاجَاتِ النَّاسِ حَبِيبٌ إِلَيْهِمْ ٢٧٦
- ٣- كَلَامٌ جَمِيلٌ فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ ٢٧٦
- ٤- صُورٌ عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ ٢٧٧
- دَعْلَجٌ ٢٧٧
- الْمِنِيعِيُّ ٢٧٩
- ٥- وَاسِطَةُ الْخَيْرِ ٢٨٠
- ٦- صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تُزَيِّنُ مَنْ قُبِحَ ٢٨١
- ٧- صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تُثْمِرُ حَتَّى مَعَ الْبِهَائِمِ ٢٨١

٢٨١	٨- المَعْرُوفُ التَّامُ
٢٨٢	كَيْتْمَانُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ
٢٨٢	١- الحَثُّ عَلَى كَيْتْمَانِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ
٢٨٢	٢- صُورٌ عَلَى كَيْتْمَانِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ
٢٨٣	النُّصْحُ
٢٨٣	١- النُّصْحُ لِعَامَّةِ النَّاسِ
٢٨٤	٢- طَلَبُ النَّصِيحَةِ
٢٨٤	٣- الاستِجَابَةُ لِلنَّصِيحَةِ
٢٨٥	الهِمَّةُ
٢٨٥	١- من نوعِ الهِمَمِ
٢٨٥	٢- الهِمَّةُ الْعَالِيَةُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ
٢٩٠	السَّمْعَانِيُّ
٢٩٢	٣- الهِمَّةُ الْعَالِيَةُ فِي التَّصْنِيفِ وَالْقِرَاءَةِ
٢٩٦	٤- صُورٌ مُتَنَوِّعَةٌ عَلَى الهِمَّةِ الْعَالِيَةِ
٢٩٦	قِصَّةُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
٣٠٦	السَّمْعَانِيُّ
٣٠٧	٥- آيَاتٌ فِي الهِمَّةِ
٣٠٨	الْوَرَعُ
٣٠٨	١- الْوَرَعُ لَا يَكُونُ عَلَى النَّاسِ وَإِنَّمَا عَلَى النَّفْسِ خَاصَّةً
٣٠٨	٢- أَقْوَالٌ تَحُثُّ عَلَى الْوَرَعِ
٣٠٨	٣- صُورٌ مِنَ الْوَرَعِ
٣١٥	الْيَقِينُ
٣١٥	١- فَائِدَةُ الْيَقِينِ

٣١٥	٢- رُؤْيَا تَحُتُّ عَلَى الْيَقِينِ
٣١٥	٣- صُورٌ عَلَى الْيَقِينِ
٣١٨	صِفَاتٌ تُطَلَّبُ بِقَدْرِ
٣١٨	الْحَذَرِ
٣١٨	الْحَذَرُ لَا يَمْنَعُ الْقَدْرَ
٣١٨	الْحُزْنَ
٣١٨	١- حُزْنُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ
٣٢٠	٢- الْحُزْنُ الرَّائِدُ الْمُبَالِغُ فِيهِ مَنْهِيٌّ عَنْهُ
٣٢٠	٣- تَصْحِيحُ الذَّهَبِيِّ لِمُبَالِغَةِ أَحَدِ السَّلَفِ
٣٢١	٤- حُزْنُ الْبَهَائِمِ عَلَى الصَّالِحِينَ
٣٢١	الدَّهَاءُ وَالْمَكْرَ
٣٢١	١- دُهَاءُ الْعَرَبِ
٣٢١	٢- صُورٌ عَلَى الدَّهَاءِ وَالْمَكْرِ
٣٢٤	الْعِتَابُ
٣٢٤	تَرَكَ الْعِتَابَ أَوْلَى
٣٢٥	الْغَضَبِ
٣٢٥	١- صُورَةٌ عَلَى تَرَكَ الْغَضَبِ لِلَّهِ
٣٢٥	٢- مَنْ كَانَ لَا يَغْضَبُ
٣٢٦	الْفَخْرَ
٣٢٦	١- الْفَخْرُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ
٣٢٧	٢- شِعْرٌ فِي الْفَخْرِ
٣٢٧	٣- عَدَمُ الْفَخْرِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ
٣٢٧	٤- الْفَخْرُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْعِبَادِ

- المِزَاحُ وَالضَّحِكُ ٣٢٨
- ١ - المِزَاحُ بِقَصْدِ الاسْتَهْزَاءِ لَا خَيْرَ فِيهِ ٣٢٨
- ٢ - المِزَاحُ وَالضَّحِكُ الْجَبِلْيَانُ لَا يُنْقَدَانِ ٣٢٩
- ٣ - مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ كَانَ يَكْرَهُ المِزَاحَ ٣٢٩
- ٤ - مَنْ كُرِهَ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِأَجْلِ المِزَاحِ ٣٣٠
- ٥ - شِعْرٌ فِي البُعْدِ عَنِ المِزَاحِ الزَّائِدِ ٣٣١
- ٦ - صُورَتَانِ لِلْمِزَاحِ ٣٣١
- ٧ - ضَابِطٌ فِي الضَّحِكِ وَالتَّبَسُّمِ ٣٣١
- التَّذَمُّ ٣٣٢
- التَّرْكِيةُ وَالْمَدْحُ ٣٣٣
- ١ - ضَوَابِطُ لِلتَّرْكِيةِ وَالْمَدْحِ ٣٣٣
- ٢ - كِرَاهِيَةُ الصَّالِحِينَ لِلْمَدْحِ ٣٣٤
- ٣ - الِاعْتِدَالُ فِي المَدْحِ وَالدَّمِّ وَاجِبٌ ٣٣٤
- ٤ - التَّحْذِيرُ مِنْ مَدْحِ النَّفْسِ ٣٣٤
- ٥ - خَوْفُ السَّلَفِ مِنْ كَوْنِ المَدْحِ وَالثَّنَاءِ اسْتِدْرَاجاً ٣٣٥
- ٦ - لَوْ سَأَلْتَ إِنْسَانٌ هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ نَفْسِكَ؟ فَبِمَاذَا تُجِيبُ؟ ٣٣٥
- ٧ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَى البُخَارِيِّ ٣٣٦
- ٨ - ثَنَاءُ عَالِمٍ عَلَى آخَرَ مَعَ تَدَابُرِهِمَا ٣٣٨
- ٩ - تَوْجِيهُ الثَّنَاءِ وَجْهَةً صَاحِبَةً ٣٣٩
- ١٠ - نَمَازِجٌ مِنْ تَرْكِيةِ السَّلَفِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ٣٣٩
- ١١ - شِعْرٌ فِي المَدْحِ ٣٤٨
- ١٢ - نَمُودِجَانِ مِنْ تَرْكِيةِ السَّلَفِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فِي وُجُوهِهِمْ ٣٥١
- ١٣ - رُؤْيٌ فِيهَا تَرْكِيةٌ لَعَدَدٍ مِنَ الفُضَلَاءِ ٣٥١

٣٥٦	الأخلاقُ السيِّئة
٣٥٦	١- وَصَفُ الْإِنْسَانِ ذِي الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ
٣٥٦	٢- جُمْلَةٌ مِنَ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ
٣٥٦	٣- الْإِسْتِخْفَافُ وَعَاقِبَتُهُ
٣٥٦	٤- الْبُخْلُ
٣٥٧	٥- الثَّلَبُ وَالْعَيْبُ
٣٥٨	٦- الحُمُقُ
٣٥٨	٧- الشُّخْرِيَّةُ
٣٥٨	٨- السَّعَايَةُ وَالْوَشَايَةُ
٣٥٨	٩- الشَّنْمُ وَالسَّبُّ
٣٥٩	١٠- الطَّمَعُ
٣٥٩	١١- الطَّيِّشُ
٣٥٩	١٢- ظَنُّ الْمُسِيِّءِ نَفْسَهُ مُحْسِنًا
٣٦٠	١٣- الْمَلَلُ
٣٦٠	١٤- تَعْلِيلُ الذَّهَبِيِّ لِمَا يُمْكِنُ أَنْ يُوصَفَ بِسُوءِ الْخُلُقِ
٣٦٠	١٥- رَدُّ الذَّهَبِيِّ عَلَى بَعْضِ السَّلَفِ أَخْلَاقًا سَيِّئَةً
٣٦٢	آفَاتٌ مُتَنَوِّعَةٌ فِي الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ
٣٦٢	١ الأذِيَّةُ
٣٦٢	(أ) مَنْ قَتَلَهُ اللهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْذِيَ النَّاسَ
٣٦٢	(ب) قَوْلٌ يَحْتُ على البُعْدِ عَنِ الْأذِيَّةِ
٣٦٣	٢ الجِدَالُ وَالْمِرَاءُ
٣٦٣	(أ) شِعْرٌ فِي الْحَثِّ عَلَى الْبُعْدِ عَنِ الْمِرَاءِ
٣٦٣	(ب) أَقْوَالٌ بَلِيغَةٌ تَحْتُ على الْبُعْدِ عَنِ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ

- ٣٦٤ (ج) الصَّالِحُونَ بَعِيدُونَ عَنِ الْمِرَاءِ
- ٣٦٥ ٣ الْجَهْلُ
- ٣٦٥ (أ) مِنْ صِفَاتِ الْجَاهِلِ
- ٣٦٥ (ب) جَهْلُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ
- ٣٦٧ ٤ الْحَسَدُ
- ٣٦٧ (أ) صُورٌ مِنَ الْحَسَدِ
- ٣٦٧ (ب) صُورٌ مِنَ الْحَسَدِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ
- ٣٦٩ (ج) سَبَبُ الْحَسَدِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ
- ٣٦٩ (د) مَنْ نَصَحَ فَلَمْ يَنْتَصِحْ ظَانًّا أَنْ نَاصِحَهُ حَاسِدٌ
- ٣٧٠ (هـ) الْحَسَدُ الْمُفْضِي إِلَى الْقَتْلِ
- ٣٧١ ٥ الْخِيَانَةُ
- ٣٧١ (أ) صُورٌ عَلَى الْخِيَانَةِ
- (ب) عَدُوٌّ ابْنِ سِيرِينَ الْخُرُوجَ الْيَوْمِيَّ مِنَ السِّجْنِ ثُمَّ الْعَوْدَةَ إِلَيْهِ بَدُونَ إِذْنِ
السُّلْطَانِ خِيَانَةً
- ٣٧٢ ٦ الرِّيَاءُ
- ٣٧٣ (أ) أَقْوَالٌ بَلِيغَةٌ فِي الرِّيَاءِ
- ٣٧٣ (ب) مِنْ دَقَائِقِ الرِّيَاءِ
- ٣٧٤ (ج) دَوَاءُ الرِّيَاءِ
- ٣٧٤ (د) الْخَوْفُ وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الرِّيَاءِ
- ٣٧٧ (هـ) ضَوَابِطُ لِلرِّيَاءِ
- ٣٧٧ (و) قَاعِدَةٌ فِي الرِّيَاءِ
- ٣٧٨ ٧ الْعُجْبُ
- ٣٧٨ (أ) تَعْرِيفُ الْعُجْبِ

- ٣٧٨ (ب) مَنْ كَانَ مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ
- ٣٨٠ (ج) الْعُجْبُ بِلَاءٌ
- ٣٨١ ٨ الْغَيْبَةِ
- ٣٨١ (أ) الْخَوْفُ مِنَ الْغَيْبَةِ
- ٣٨١ (ب) عِلَاجُ الْغَيْبَةِ
- ٣٨١ (ج) تَحْذِيرُ الْعُلَمَاءِ النَّاسَ وَمَنْعُهُمْ مِنَ الْغَيْبَةِ
- ٣٨٢ (د) الْغَيْبَةُ مُضَيِّعَةٌ لِلْحَسَنَاتِ
- ٣٨٢ (هـ) مَنْ لَمْ يَغْتَبْ أَحَدًا قَطَّ
- ٣٨٣ (و) قَدْ يَخْتَلِطُ الْجَرْحُ بِالْغَيْبَةِ
- ٣٨٣ (ز) رُؤْيَا فِيهَا تَحْذِيرٌ مِنَ الْغَيْبَةِ
- ٣٨٥ ٩ الْفُضُولُ
- ٣٨٥ (أ) الْبُعْدُ عَنِ الْفُضُولِ مِنْ أَخْلَاقِ الصَّالِحِينَ
- ٣٨٥ (ب) عَاقِبَةُ الْفُضُولِ
- ٣٨٦ ١٠ الْكِبَرُ
- ٣٨٦ (أ) تَعْرِيفُ الْكِبَرِ
- ٣٨٦ (ب) عَاقِبَةُ الْكِبَرِ
- ٣٨٦ (ج) دَوَاءُ الْكِبَرِ
- ٣٨٧ (د) الْخَوْفُ مِنَ الْكِبَرِ وَالْخِيَلَاءِ
- ٣٨٨ (هـ) دُخُولُ الْعُجْبِ وَالْكِبَرِ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ
- ٣٨٨ (و) مِنْ دَقَائِقِ الْكِبَرِ الَّتِي يَذَكِّرُهَا الصَّالِحُونَ عَلَى سَبِيلِ تَعْلِيمِ النَّفْسِ التَّوَاضِعَ
- ٣٨٨ (ز) كِبَرُ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ
- ٣٨٩ ابْنُ وَارَةَ

- ٣٩١ ١١ الكَذِبُ
- ٣٩١ (أ) الدَّعَاوَى الكَاذِبَةُ
- ٣٩١ (ب) كَفَى فَسَاداً وَكَذِباً الكَلَامُ بِكُلِّ مَا يُسْمَعُ
- ٣٩١ (ج) «زَعَمُوا» كَنِيَّةُ الكَذِبِ
- ٣٩١ (د) كَرَاهِيَةُ الكَذِبِ
- ٣٩١ (هـ) جَرِيَانُ الكَذِبِ عَلَى الأَلْسِنَةِ
- ٣٩٢ ١٢ النُّفَاقُ
- ٣٩٢ (أ) مِنْ صِفَاتِ المُنَافِقِ
- ٣٩٢ (ب) الخَوْفُ مِنَ النُّفَاقِ العَمَلِي
- ٣٩٢ (ج) مِنْ صُورِ النُّفَاقِ العَمَلِي
- ٣٩٣ الحُبُّ والعِشْقُ
- ٣٩٣ ١ - قِصَصُ الحُبِّ
- ٣٩٤ المَجْنُونُ
- ٣٩٦ جميل بن عبد الله
- ٣٩٦ ٢ - شِعْرٌ فِي الحُبِّ والغَزَلِ
- ٣٩٨ ٣ - شِعْرٌ فِي فَقْدِ الأَحِبَّةِ
- ٣٩٨ ٤ - صُورٌ مِنَ العِشْقِ المُحَرَّمِ
- ٣٩٩ أخبارُ النِّسَاءِ
- ٣٩٩ ١ - مِثَالٌ عَلَى مُكْثِ النِّسَاءِ فِي بُيُوتِهِنَّ وَعَدَمِ الخُرُوجِ إِلاَّ لِحَاجَةٍ
- ٣٩٩ ٢ - الحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ فَرَضَ عَلَى النِّسَاءِ الإِقَامَةَ الجَبْرِيَّةَ فِي البُيُوتِ
- ٣٩٩ ٣ - الحُرَّةُ لَا تَزْنِي
- ٤٠٠ ٤ - مِنْ أخبارِ الجَوَارِي
- ٤٠٠ (أ) جَوَارٍ يَحْفَظْنَ القُرْآنَ

٤٠٠	(ب) أخبارُهُنَّ مع مَوَالِيهِنَّ العُلَمَاء
٤٠٠	٥ - مَوَاقِفُ عَظِيمَةٌ لِنِسَاءِ عَظِيمَاتٍ
٤٠٥	٦ - النِّسَاءُ فِتْنَةٌ
٤٠٦	٧ - التَّعَلُّقُ بِهِنَّ مَشْغَلَةٌ عَنِ التَّرَقِّي
٤٠٧	الزَّوْاج
٤٠٧	١ - حِرْصُ السَّلَفِ عَلَى الزَّوْاج
٤٠٧	٢ - من أسبابِ عَدَمِ زَوَاجِ بَعْضِ العُلَمَاء
٤٠٨	٣ - الزَّوْجُ الصَّالِح
٤٠٨	٤ - الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ
٤١٠	٥ - مَنْ أَرَادَتْ أَنْ تَكُونَ لِزَوْجِهَا فِي الآخِرَةِ
٤١١	٦ - حَالُ الرَّجُلِ مَعَ الزَّوْجَةِ الْوَاحِدَةِ وَالزَّوْجَتَيْنِ
٤١١	٧ - صُورٌ مِنْ غَيْرَةِ النِّسَاءِ
٤١٤	٨ - اخْتِيَارُ الزَّوْجِ الصَّالِحِ لِلبَنَاتِ ضَرُورَةٌ
٤١٤	٩ - مَنْ قَيَّدَ مِنَ العُلَمَاءِ بِالزَّوْاجِ
٤١٤	١٠ - كَثْرَةُ الزَّوْاجِ
٤١٥	١١ - كَثْرَةُ الجِمَاعِ
٤١٦	١٢ - أَخْبَارُ بَعْضِ الزَّيْجَاتِ
٤١٩	عِنَايَةُ الْوَالِدِينَ بِالْأَبْنَاءِ
٤١٩	١ - السَّعْيُ عَلَى الْعِيَالِ
٤١٩	٢ - فَضْلُ الصَّبْرِ عَلَى الْبَنَاتِ
٤١٩	٣ - مُعَامَلَةُ الْآبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ
٤٢٠	٤ - تَعْلِيمُ الْأَبْنَاءِ وَتَرْبِيَتِهِمْ
٤٢١	عَلِيُّ بْنُ الْفَضِيلِ مَعَ أَبِيهِ

- ٥ - حَالُ أَبِ وَابْنِ عَالِمِينَ ٤٢٧
- ٦ - مَنْ مَنَعَ ابْنَهُ مِنَ التَّعْلِيمِ ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ خَطْوُهُ ٤٢٩
- ٧ - حُبُّ الْآبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ ٤٢٩
- ٨ - ﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ٤٣٠
- ٩ - مَنْ سَمَّى ابْنَهُ اسْمًا صَالِحًا رَجَاءَ السَّعْدِ ٤٣١
- ١٠ - تَوْطِينُ النَّفْسِ عَلَى الصَّبْرِ عِنْدَ فَقْدِ الْأَبْنَاءِ ٤٣١
- ١١ - حَالُ الْآبَاءِ عِنْدَ فَقْدِ الْأَبْنَاءِ ٤٣١
- ١٢ - تَطْمِينُ الرَّجُلِ أَوْلَادَهُ حَالَ الْمَوْتِ إِلَى وُجُودِ مَا يَكْفِيهِمْ بَعْدَهُ ٤٣١
- ١٣ - وَاحِدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ لَمْ يَرِ ابْنَتَهُ أَبَدًا ، وَرَدَّ الذَّهَبِيَّ عَلَيْهِ ٤٣٢
- بِرُّ الْوَالِدَيْنِ ٤٣٣
- ١ - كَيْفَ يُصِيبُ الْإِنْسَانَ الْبِرُّ ٤٣٣
- ٢ - مَنْ بَرَكَ فَقَدْ أَوْثَقَكَ ٤٣٣
- ٣ - قَوَاعِدُ فِي بِرِّ الْوَالِدَيْنِ ٤٣٣
- ٤ - عَاقِبَةُ الْبِرِّ بِالْوَالِدَيْنِ الْجَنَّةُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ ٤٣٤
- ٥ - دُعَاءُ الْوَالِدَيْنِ مُسْتَجَابٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ ٤٣٤
- ٦ - صُورٌ لِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ ٤٣٤
- الدُّنْيَا ٤٣٧
- ١ - أَقْوَالٌ تُحَذِّرُ مِنَ الْاِغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا وَتُحَثُّ عَلَى الْعَمَلِ لِالْآخِرَةِ ٤٣٧
- ٢ - حَالُ الدُّنْيَا ٤٣٨
- ٣ - قَوْلٌ جَمِيلٌ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا ٤٣٩
- ٤ - حَالُ السَّلَفِ مَعَ الدُّنْيَا ٤٤٠
- ٥ - التَّحَرُّرُ مِنْ عِلَاقَةِ الدُّنْيَا ٤٤٠

- ٤٤١ ٦- حُبُّ الدُّنْيَا وَالشُّرُورُ بِهَا
- ٤٤٢ ٧- تَقْدِيمُ أَمْرِ الآخِرَةِ عَلَى أُمُورِ الدُّنْيَا
- ٤٤٢ ٨- قَوْلٌ بَلِيغٌ فِي تَرْكِ الدُّنْيَا
- ٤٤٢ ٩- اسْتِوَاءُ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِ الصَّالِحِينَ
- ٤٤٣ ١٠- أَخْبَارٌ تُحَذِّرُ مِنَ الاغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا
- ٤٤٤ ١١- رُؤْيٌ فِي حَالِ الدُّنْيَا
- ٤٤٥ ١٢- شِعْرٌ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الغَفْلَةِ
- ٤٤٦ ١٣- شِعْرٌ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الاغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا
- ٤٤٧ ١٤- عِبْرَةٌ وَعِظَةٌ فِي حَالِ الدُّنْيَا
- ٤٤٨ العُمُرُ
- ٤٤٨ (أ) فَائِدَةُ طُولِ العُمُرِ
- ٤٤٨ (ب) أَكْمَلُ مَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ الأَرْبَعِينَ
- ٤٤٩ الوَعْظُ وَالوُعَاظُ
- ٤٤٩ ١- مِنْ آدَابِ الوَعْظِ
- ٤٤٩ ٢- مَرَاتِبُ النَّاسِ فِي التَّأْتُرِ بِالوَعْظِ
- ٤٤٩ ٣- تَفَاوُتُ تَأْتِيرِ الوُعَاظِ
- ٤٥٠ ٤- مَنْ مَاتَ مِنَ الوَعْظِ
- ٤٥٠ ٥- مَنْ مَاتَ مِنَ الوُعَاظِ مِنْ شِدَّةِ وَعْظِهِ
- ٤٥١ ٦- الوَاعِظُ الْمُحْتَاجُ إِلَى وَعْظِ
- ٤٥٢ ٧- وَعْظُ العُلَمَاءِ المُلُوكِ وَالأَمْرَاءِ وَالوُزَرَاءِ
- ٤٥٦ ٨- المَشْهُورُونَ بِالوَعْظِ
- ٤٥٨ ٩- القُصَاصُ الوُعَاظُ
- ٤٥٨ ١٠- مَوَاعِظٌ مُتَفَرِّقَةٌ

٤٦٤	١١ - شِعْرُ الْوَعْظِ
٤٦٦	العلاقة مع الله
٤٦٦	١ - عَدَمُ أَمْنِ مَكْرِهِ سُبْحَانَهُ
٤٦٦	٢ - تَعْظِيمُهُ سُبْحَانَهُ
٤٦٧	٣ - الْإِنْكَسَارُ بَيْنَ يَدَيْهِ سُبْحَانَهُ وَالتَّذَلُّلُ لَهُ
٤٦٧	٤ - الرِّضَا بِقَضَائِهِ
٤٦٨	٥ - الْأُنْسُ بِهِ سُبْحَانَهُ
٤٦٨	٦ - الثِّقَّةُ بِهِ سُبْحَانَهُ
٤٧٠	٧ - دَرَجَاتُ الْعَلَاقَةِ مَعَ اللَّهِ
٤٧٠	٨ - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾
٤٧١	٩ - الْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ وَفَائِدَتُهُ
٤٧٢	١٠ - الثَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ
٤٧٢	١١ - التَّعَلُّقُ بِهِ سُبْحَانَهُ
٤٧٢	١٢ - الشُّكْوَى لَهُ سُبْحَانَهُ
٤٧٣	١٣ - تَقْدِيمُ رِضَاهِ
٤٧٤	١٤ - الْإِفْتِقَارُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ
٤٧٤	١٥ - رِضَا اللَّهِ غَايَةَ
٤٧٤	١٦ - عَوْنُهُ سُبْحَانَهُ لِلْعَبْدِ وَتَوْفِيقُهُ
٤٧٥	١٧ - حُبُّهُ سُبْحَانَهُ
٤٧٥	١٨ - رُؤْيَةُ الْمُسَبِّبِ وَمُرَاعَاةُ الْأَسْبَابِ
٤٧٥	١٩ - مُتَفَرِّقَاتُ فِي الْعَلَاقَةِ مَعَ اللَّهِ
٤٧٧	من مظاهر حُسنِ العلاقة مع الله
٤٧٧	١ الاستِسْقَاءُ

- ٤٧٧ صُورٌ من اسْتِسْقَاءِ الصَّالِحِينَ
- ٤٨٢ ٢ الِاتِّجَاءَ حَالَ التَّهْدِيدِ إِلَى اللَّهِ
- ٤٨٢ مَاذَا يَفْعَلُ مَنْ هُدِدَ؟
- ٤٨٣ ٣ التَّوْبَةُ
- ٤٨٣ ١- الْحَثُّ عَلَى التَّوْبَةِ
- ٤٨٣ ٢- مِنْ عِلَامَاتِ التَّوْبَةِ
- ٤٨٣ ٣- كَلِمَةٌ جَمِيلَةٌ فِي التَّوْبَةِ
- ٤٨٣ ٤- صُورٌ مِنَ التَّوْبَةِ
- ٤٨٦ الْمَرَضُ
- ٤٨٦ ١- الْمُمْرِضُ الْحَقِيقِيُّ
- ٤٨٦ ٢- بَعْضُ السَّلَفِ كَانُوا لَا يَتَدَاوُونَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِجَوَازِ التَّدَاوِي
- ٤٨٦ ٣- الْعَدْوَى وَضَابِطُهَا
- ٤٨٧ ٤- مَاذَا يَقُولُ الْمَرِيضُ
- ٤٨٨ الْمَوْتُ
- ٤٨٨ ١- فَائِدَةُ الْإِكْتِمَارِ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ
- ٤٨٨ ٢- حَالُ السَّلَفِ مَعَ ذِكْرِ الْمَوْتِ
- ٤٨٩ ٣- اسْتِعْدَادُ السَّلَفِ لِلْمَوْتِ
- ٤٨٩ ٤- تَنْغِيصُ الْمَوْتِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا
- ٤٨٩ ٥- مُجِيبُ الدُّنْيَا كَارِهُ لِّلْمَوْتِ
- ٤٩٠ ٦- تَمَنِّي الْمَوْتِ عِنْدَ الضَّرِّ
- ٤٩٠ ٧- رَجَاءُ رَحْمَةِ اللَّهِ حَالَةَ نَزُولِ الْمَوْتِ هُوَ الْأُولَى
- ٤٩٠ ٨- الْخَوْفُ مِنَ الْمَوْتِ قِتْلًا لَيْسَ عَيْنًا
- ٤٩١ ٩- شِعْرٌ فِي الْمَوْتِ

- ٤٩١ ١٠ - حُسْنُ الْخَاتِمَةِ
- ٤٩٣ ١١ - رُؤْيَا تَدُلُّ عَلَى سُوءِ الْخَاتِمَةِ
- ٤٩٣ ١٢ - مِنْ مَشَاهِدِ الْاِحْتِضَارِ
- ٥٠٨ ١٣ - الْحُزْنُ عَلَى مَوْتِ الصَّالِحِينَ
- ٥٠٩ ١٤ - صُورٌ مِنْ جَنَائِزِ الصَّالِحِينَ
- ٥١٣ ١٥ - مِنْ أَسْبَابِ مَوْتِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ وَالْكُبَرَاءِ
- ٥١٥ التَّعْزِيَةُ وَالتَّأْيِينَ
- ٥١٥ ١ - صُورٌ مِنَ التَّعْزِيَةِ
- ٥١٧ ٢ - التَّأْيِينَ
- ٥١٨ ٣ - شِعْرٌ فِي الرِّثَاءِ
- ٥٢٠ الرُّؤْيَى
- ٥٢٠ ١ - مِنْ فَوَائِدِ الرُّؤْيَى الصَّالِحَةِ
- ٥٢٠ ٢ - مُتَفَرِّقَاتٌ
- ٥٢٠ (أ) مَنْ كَانَ يَتَمَنَّى رُؤْيَةَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ رَأَاهُ
- ٥٢٠ (ب) رُؤْيَا تَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ الْاِتِّبَاعِ لِلْمُصْطَفَى ﷺ
- ٥٢١ (ج) رُؤْيَا تُفِيدُ فِي قُوَّةِ الرَّجَاءِ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ
- ٥٢١ (د) رُؤْيَى فِيهَا إِخْبَارٌ عَنْ أُمُورٍ سَتَّحْصَلُ
- ٥٢٢ (هـ) مَنْ بَايَعَ النَّبِيَّ ﷺ فِي الرُّؤْيَا عَلَى أَدَاءِ بَعْضِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ
- ٥٢٣ (و) رُؤْيَى فِيهَا دِفَاعٌ عَنْ مُؤْمِنٍ صَالِحٍ
- ٥٢٣ ٣ - تَعْبِيرُ الرُّؤْيَا
- ٥٢٩ ٤ - رُؤْيَى فِيهَا تَوْجِيهٌ
- ٥٤٨ ٥ - رُؤْيَى مُنَوَّعَةٌ

٥٦٣	مُتَفَرِّقَات
٥٦٣	١ - الإِنْشَادُ وَالْغِنَاءُ
٥٦٣	١ - الإِنْشَاد
٥٦٣	٢ - الْغِنَاءُ
٥٦٣	(أ) التَّخْذِيرُ مِنَ الْغِنَاءِ
٥٦٤	(ب) مَنْ اشْتَغَلَ بِالْعِلْمِ مِنَ الْمُغْنِيِّينَ
٥٦٤	(ج) مَنْ كَرِهَ مِنَ الْمُغْنِيِّينَ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى الْغِنَاءِ
٥٦٥	(د) مُغْنُونَ وَمُغْنِيَّات
٥٦٦	٢ - الْأَوَائِلُ
٥٦٦	١ - أَوَّلُ مَنْ أَحَدَّثَ الْمُصَافِحَةَ
٥٦٦	٢ - أَوَّلُ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ عِنْدَ خُرُوجِ الْإِمَامِ إِلَى الصَّلَاةِ
٥٦٦	٣ - أَشْيَاءٌ مُتَعَدِّدَةٌ أَحَدْنَهَا مُعَاوِيَةَ
٥٦٧	٤ - أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ النَّحْوَ
٥٦٧	٥ - أَوَّلُ مَنْ قَصَّ الْقِصَصَ
٥٦٨	٦ - أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ الدَّنَانِيرَ وَكَتَبَ عَلَيْهَا بِالْقُرْآنِ
٥٦٨	٧ - أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ الْكُتُبَ
٥٦٨	٨ - أَوَّلُ مَنْ شَغَلَ الْمُلُوكَ بِكُتُبِ الْعِلْمِ
٥٦٨	٩ - أَوَّلُ مَنْ جَرَّحَ الرِّجَالَ وَعَدَّلَهُمْ
٥٦٩	١٠ - أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ مُسْنَدًا
٥٧٠	٣ - الْبَرَكَةُ
٥٧٠	١ - صُورٌ مِنَ الْبَرَكَةِ
٥٧١	٢ - مَاءٌ زَمَزَمٌ مُبَارَكٌ

- ٥٧٣ ٤ التَّبَرُّكُ بِآثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالصَّالِحِينَ
- ٥٧٣ ١ - صُورٌ مِنَ التَّبَرُّكِ بِآثَارِ الرَّسُولِ ﷺ
- ٥٧٨ ٢ - صُورٌ مِنَ التَّبَرُّكِ بِالصَّالِحِينَ وَآثَارِهِمْ
- ٥٨٠ ٣ - الِاسْتِشْفَاءُ بِآثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
- ٥٨٠ ٤ - التَّبَرُّكُ بِمُصَافِحَةِ الصَّالِحِينَ
- ٥٨٠ ٥ - التَّبَرُّكُ بِالذَّفْنِ بِجِوَارِ الصَّالِحِينَ
- ٥٨٢ ٥ الجِنُّ
- ٥٨٢ ١ - قِرَاءَةُ تَهُمِ الْقُرْآنِ عَلَى الْإِنْسِ
- ٥٨٣ ٢ - رُقِيَّةٌ تَرْقِي مِنَ الْجِنِّ
- ٥٨٣ ٣ - مَنْ سَاءَ مِنْهُمْ قِرَاءَةُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ
- ٥٨٣ ٤ - عَالَمٌ أَحَدُ أَبْوَابِهِ جِنِّيٌّ
- ٥٨٤ ٥ - مِنْ أَحْبَابِ الْجِنِّ
- ٥٨٧ ٦ الحِطُّ وَالنَّصِيبُ
- ٥٨٨ ٧ الحَيْنُ إِلَى الْأَوْطَانِ
- ٥٨٨ ١ - الحَيْنُ إِلَى الْوَطَنِ
- ٥٨٨ ٢ - الحَيْنُ إِلَى الْعُرْبَةِ
- ٥٨٩ ٣ - مَنْ حَمَلَتْهُ كَلِمَةٌ عَلَى مُفَارَقَةِ الْعُرْبَةِ وَالْعَوْدَةِ إِلَى الْوَطَنِ
- ٥٨٩ ٤ - شِعْرٌ فِي الْحَيْنِ إِلَى الْأَوْطَانِ
- ٥٩٠ ٨ الرِّزْقُ
- ٥٩٠ ١ - رِزْقُ اللَّهِ آتٍ
- ٥٩٠ ٢ - الثِّقَّةُ بِاللَّهِ فِي الرِّزْقِ
- ٥٩٠ ٣ - فَضْلُ الثِّقَّةِ بِاللَّهِ فِي الرِّزْقِ
- ٥٩٠ ٤ - الْكِفَافُ فِي الرِّزْقِ

- ٥٩٠ ٥ - الرِّزْقُ مَحْضٌ فَضَّلِ اللهُ
- ٥٩١ ٦ - سُؤَالُ اللهِ الرِّزْقَ الحَسَنَ
- ٥٩١ ٧ - شِعْرٌ فِي الرِّزْقِ
- ٥٩٢ ٩ الشَّرْفُ وَالمَكَارِمُ
- ٥٩٢ ١ - مِيزَانُ الشَّرْفِ الحَقِيقِي
- ٥٩٢ ٢ - مِيزَانُ المَكَارِمِ
- ٥٩٣ ١٠ الضَّيْفُ
- ٥٩٣ ١ - حَقُّ الضَّيْفِ
- ٥٩٣ ٢ - رِزْقُ الضَّيْفِ عَلَى اللهُ
- ٥٩٣ ٣ - الشُّبْعُ مَعَ الضَّيْفِ جَائِزٌ
- ٥٩٣ ٤ - شِعْرٌ فِي إِكْرَامِ الضَّيْفِ
- ٥٩٤ ١١ عَجَائِبُ وَغَرَائِبُ مِنْ عُصُورٍ مُتَّفَرِّقَةٌ
- ٦٠٤ ١٢ مِنَ العُقُوبَاتِ
- ٦٠٤ ١ - الإِقَامَةُ الجَبْرِيَّةُ
- ٦٠٤ ٢ - حَلْقُ اللُّحِيَّةِ
- ٦٠٥ ١٣ العَمَلُ وَالكَسْبُ عِنْدَ السَّلْفِ
- ٦٠٥ ١ - حَقُّ السَّلْفِ عَلَى العَمَلِ
- ٦٠٥ ٢ - غَالِبُ عُلَمَاءِ السَّلْفِ يُنْفِقُونَ مِنْ كَسْبِهِم
- ٦٠٥ ٣ - صُورٌ عَلَى العَمَلِ وَالكَسْبِ
- ٦٠٨ ١٤ العَيْنُ
- ٦٠٨ العَيْنُ حَقٌّ
- ٦٠٩ ١٥ الفُرْصَةُ
- ٦٠٩ الفُرْصَةُ إِنْ لَمْ تُتَّهَزْ فَهِيَ غُصَّةٌ

- ٦١٠ ١٦ فُكَاهَاتُ وَنَوَادِرُ
- ٦٣٥ الأكلة
- ٦٣٦ ١٧ قَصَص
- ٦٣٦ ١ - قِصَّةُ النَّجَاشِيِّ
- ٦٤٠ ٢ - قِصَّةُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ٦٤٨ ٣ - قِصَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُدَافَةَ مَعَ مَلِكِ الرُّومِ
- ٦٤٩ ٤ - قِصَّةُ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ
- ٦٥٢ ٥ - قِصَّةُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ
- ٦٥٤ ٦ - قِصَّةُ إِسْلَامِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ
- ٦٥٦ ٧ - قِصَّةُ إِسْلَامِ أَحَدِ الرُّومِ
- ٦٥٦ ٨ - قِصَّةُ إِسْلَامِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ
- ٦٥٧ ٩ - قِصَّةُ جُنْدُبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ السَّاحِرِ
- ٦٥٧ ١٠ - قِصَّةُ إِسْلَامِ أَبِي رَجَاءِ الْعَطَارِدِيِّ
- ٦٥٨ ١١ - قِصَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ مَعَ أَحَدِ الصَّالِحِينَ
- ٦٥٩ ١٢ - قِصَّةُ تَوْبَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ
- ٦٥٩ ١٣ - قِصَّةُ تَوْبَةِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضِ
- ٦٦٠ ١٤ - قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ مَعَ يَهُودِيِّ قَاطِعِ طَرِيقٍ
- ٦٦١ ١٥ - قِصَّةُ هِشَامِ بْنِ عَمَّارٍ مَعَ الْإِمَامِ مَالِكٍ
- ٦٦٢ ١٦ - قِصَّةُ فِي الْإِيثَارِ
- ٦٦٢ ١٧ - قِصَّةُ اللَّصِّ الْفَقِيهِ
- ٦٦٣ ١٨ - قِصَّةُ تَقْوَى الْإِيْمَانِ
- ٦٦٣ ١٩ - قِصَّةُ الْمَرْأَةِ الْمُصَابَةِ بِالْجَنِّ
- ٦٦٤ ٢٠ - قِصَّةُ تَدَلُّ عَلَى الْمَرْوَةِ

- ٦٦٤ ٢١ - قِصَّةُ أَبِي حَاتِمِ الرَّازِيِّ وَأَنْقِطَاعِهِ فِي رِحْلَتِهِ
- ٦٦٥ ٢٢ - قِصَّةُ عَجِيْبَةِ لَابِنِ أَبِي حَاتِمِ
- ٦٦٦ ٢٣ - قِصَصٌ مِنْ سِيْرَةِ الْخَلِيْفَةِ الْمُعْتَضِدِ
- ٦٦٧ ٢٤ - قِصَّةُ جَمِيْلَةَ لِلْقَاضِي أَبِي خَازِمِ
- ٦٦٨ ٢٥ - قِصَّةُ ابْنِ جَرِيْرِ وَابْنِ خُزَيْمَةَ فِي مِصْرَ
- ٦٦٩ ٢٦ - قِصَّةُ قَاضٍ مَعَ امْرَأَةٍ فَاسِقَةٍ
- ٦٦٩ ٢٧ - قِصَّةُ دَعْلَجِ الْمُحَدِّثِ الْغَنِيِّ
- ٦٧٠ ٢٨ - قِصَّةُ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِيْنَ مَعَ صَنَمِ سُومَنَاتِ
- ٦٧٢ ٢٩ - قِصَّةُ ابْنِ عَقِيْلِ وَعَقْدِ اللَّؤْلُؤِ
- ٦٧٢ ٣٠ - قِصَّةُ الرَّجُلِ الصَّالِحِ وَالْجِنِّيِّ
- ٦٧٤ ١٨ كَوَارِثُ حَدَّثَتْ فِي بَعْضِ الْأَقْطَارِ
- ٦٧٤ ١ - كَوَارِثُ كُوزِيَّةِ
- ٦٧٥ ٢ - زَلَازِلُ
- ٦٧٦ ٣ - حَرَائِقُ
- ٦٧٦ ٤ - غَرَقُ
- ٦٧٦ ٥ - مَجَاعَاتُ وَأَوْيْتَةٌ
- ٦٧٩ ١٩ عُيُونُ الشُّلْطَانِ
- ٦٧٩ ١ - شِدَّةُ تَحَرُّزِ الْإِنْسَانِ فِي الْكَلَامِ أَمَامَهُمْ
- ٦٧٩ ٢ - الْحَذَرُ مِنْهُمْ
- ٦٨٠ ٣ - صُورٌ عَلَى انْتِثَائِهِمْ بَيْنَ النَّاسِ
- ٦٨٤ ٢٠ الْمُبَالَغَةُ
- ٦٨٤ ١ - مُبَالَغَاتٌ قِيلَتْ لِلتَّحْذِيرِ مِنَ الْوَاقِعِ وَالتَّحَسُّرِ عَلَى الْمَاضِي
- ٦٨٤ ٢ - مُبَالَغَةٌ قِيلَتْ وَخُطِيءَ قَائِلُهَا

٦٨٤	٣- رَدُّ الذَّهَبِيِّ مُبَالَغَاتِ سِبْطِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ فِي كِتَابِهِ «مِرَاةُ الزَّمَانِ»
٦٨٦	٤- ضَبْطُ الذَّهَبِيِّ مَا جَاءَ عَنِ السَّلَفِ مُبَالَغاً فِيهِ
٦٩١	٢١ مَفَاهِيمٌ وَأَعْمَالٌ خَاطِئَةٌ
٦٩١	١- صُورٌ عَلَى الْمَفَاهِيمِ الْخَاطِئَةِ
٦٩١	٢- تَصْحِيحُ مَفْهُومٍ يَبْدُو صَحِيحاً
٦٩٣	محتوى الكتاب